

الكامل في التاريخ

تأليف
المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بأبن الأثير
(٥٥٥ - ٦٢٠ هـ)

حَقَّقَهُ وَأَعْتَنَى بِهِ
الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الأمة
في اتحاد المؤرخين العرب

الجزء الثاني
تاريخ الهجرة النبوية وعصر الخلفاء الراشدين
(من سنة ١ - إلى سنة ٤٠ هـ)

الناشر
دار الناشر
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

حقوق النشر © دار الكتاب العربي 2012

ISBN: 978-9953-27-014-2

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة المؤلف على ذلك كتابةً ومقدماتاً.

الناشر

DAR ALKITAB AL ARABI

دار الكتاب العربي

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,

شارع فردان، بناية بنك بيبلس،

8th, floor, P.O. Box 11-5769

الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769

Beirut 1107 2200 Lebanon

بيروت 1107 2200 لبنان

هاتف 861178 - 862905 - 800811 (+961 1) Tel

فاكس 805478 (+961 1) Fax

بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb

academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com

www.academiainternational.com



9 789953 270142

الكامل في التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه، ﷺ، بأصحابه الجمعة في اليوم الذي نزل فيه من قُباء، في بني سالم، في بطن وادٍ لهم، وهي أول جمعة جمعها رسول الله، ﷺ، في الإسلام وحط بهم، وهي أول خطبة^(١).

وكان رجل من قُباء يريد المدينة، فركب ناقته وأرخى زمامها، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا^(٢): هلم يا رسول الله إلى العدد والعدّة والمنّة. فيقول: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، وهو يومئذ مرّيد^(٣) لغلّامين يتيمّين في حجر مُعاذ بن عفراء، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بني النّجار، فلما بركت لم ينزل عنها، ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله، ﷺ، واضع لها زمامها لا يشيها به، فالتفت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها أول مرّة، فبركت فيه ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله، ﷺ، واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله، وسأل رسول الله، ﷺ، عن المرّيد فقال مُعاذ بن عفراء: هو ليتيمّين لي وسأرضيهما من ثمنه، فأمر به رسول الله، ﷺ، أي يُبنى مسجداً، وأقام عند أبي أيوب حتى بُني مسجده ومسأكنه^(٤).

وقيل: إنّ موضع المسجد كان لبني النّجار فيه نخل وحُرث وقبور المشركين، فقال رسول الله، ﷺ: ثامنوني به. فقالوا: لا يُتغى به إلا ما عند الله. فأمر به فُني مسجده، وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة، وبناءه هو والمهاجرون والأنصار، وهو الصحيح^(٥). وفيها بُني مسجد قُباء.

(١) تاريخ الطبري ٣٩٤/٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «قال».

(٣) في النسختين: (ب) و(ت): «ملك».

(٤) سيرة ابن هشام ١٣٦/٢، ١٣٧، أنساب الأشراف ٢٦٦/١، تاريخ الطبري ٣٩٦/٢، البدء والتاريخ

: ١٧٨/٤، تاريخ يعقوبي ٤١/٢.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٣٩٧/٢.

وفيهما أيضاً توفي كُلُّثُوم بن الهِذَم^(١).

وتوفي بعده أسعد بن زُرارة^(٢)، وكان نقيب بني النَجَّار، فاجتمع بنو النَجَّار وطلبوا من رسول الله ﷺ، أن يقيم لهم نقيباً، فقال لهم: أنتم إخواني وأنا نقييكم، فكان فضيلة لهم^(٣).

وفيهما مات أبو أُحَيَّة بالطائف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السَّهمي بمكة مشركين^(٤).

وفيهما بنى النبي ﷺ، بعائشة بعد مقدمه المدينة^(٥) بثمانية أشهر، وقيل بسبعة أشهر في ذي القعدة، وقيل في شَوَّال، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين^(٦)، وقيل ابنة سبع سنين^(٧).

وفيهما هاجرت سودة بنت زَمعة زوج رسول الله ﷺ، وبناته ما عدا زينب، وهاجر أيضاً عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبد الله، وطلحة بن عبيد الله^(٨).

وفيهما زيد في صلاة الحَضَر^(٩) ركعتان^(١٠)، بعد مقدّمه المدينة بشهر.

وفيهما وُلد عبد الله بن الزُّبَيْر، وقيل في السنة الثانية في شَوَّال، وكان أوّل مولود للمهاجرين بالمدينة^(١١).

وكان النعمان بن بشير أوّل مولود للأَنْصار بعد الهجرة^(١٢). وقيل: إنَّ المختار بن أبي عُبَيد، وزِيَاد ابن أبيه وُلدا فيها^(١٣).

(١) المعارف ١٥٢، الطبري ٣٩٧/٢، تاريخ البعقوبي ٤١/٢.

(٢) تاريخ خليفة ٥٦، الطبري ٣٩٧/٢.

(٣) الطبري ٣٩٨/٢.

(٤) الطبري ٣٩٨/٢.

(٥) العبارة في إحدى النسخ «بعد العقد عليها».

(٦) السير والمغازي ٢٥٥.

(٧) الطبري ٤٠٠/٢.

(٨) الطبري ٣٩٨.

(٩) في طبعة صادر ١١٠/٢ «العصر» وهو وهم، والتصويب من الطبري، حيث يقول: «وكانت صلاة الحَضَر

والسفر ركعتين».

(١٠) في الطبعة الأوربية «ركعتين».

(١١) الطبري ٤٠٠/٢.

(١٢) الطبري ٤٠١/٢.

(١٣) تاريخ الطبري ٤٠٢/٢.

وفيهما على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله، ﷺ، لعمه حمزة لواءً أبيض، في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ليعرضوا عير قريش، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان يحمل اللواء أبو مرثد، وهو أول لواء عقده^(١).

وفيهما أيضاً عقد لواءً لعبدة بن الحارث بن المطلب، وكان أبيض يحمله مسطح بن أثانة، فالتقى هو والمشركون، فكان بينهم الرمي دون المسابقة، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان المقداد بن عمرو وعُتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة، فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم. وقال بعضهم: كان لواء أبي عبدة أول لواء عقده، وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض، وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب، وقيل مكرز بن حفص ابن الأخيف^(٢)، وقيل عكرمة بن أبي جهل.

(والأخيف بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها).

وفيهما عقد لواءً لسعد بن أبي وقاص، وسيّره إلى الأبواء^(٣)، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود، وكان مسيره في ذي القعدة وجميع من معه من المهاجرين، فلم يلق حرباً^(٤).

جعل الواقدي^(٥) هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة. وجعلها ابن إسحاق^(٦) في السنة الثانية، فقال: على رأس اثني عشر شهراً من مقدم رسول الله، ﷺ، المدينة خرج غازياً، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، فبلغ ودان^(٧) يريد قريشاً وبني ضمرة من كنانة، وهي غزاة الأبواء، بينهما ستة أميال، فوادعته فيها بنو ضمرة، ورئيسهم مخشي بن عمرو، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً^(٨). وذكر ابن إسحاق بعد

(١) الطبري ٤٠٢/٢، المغازي لعروة ٩/١.

(٢) حتى هنا في تاريخ الطبري ٤٠٢/٢، والباقي في الطبقات لابن سعد ٧/٢، وأنظر المغازي للواقدي ٩/١.

(٣) في الأصل «الحراز». والأبواء: جبل شامخ هولخزاعة وضمرة، به قبر آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ. (معجم البلدان ٧٩/١).

(٤) تاريخ الطبري ٤٠٣/٢.

(٥) في المغازي ٢/١.

(٦) في الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٢.

(٧) ودان: بالفتح. موضع بين مكة والمدينة، وهي قرية جامعة من نواحي الفُرع، قريبة من الجحفة. (معجم البلدان ٣٦٥/٥).

(٨) الطبقات ٨/٢ و ٩.

هذه الغزوة غزوة عُبَيْدَةَ بن الحارث^(١)، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب^(٢).

وفيهما كان غزاة بُواط، خرج رسول الله ﷺ، في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر، يعني سنة اثنتين، يريد قريشاً حتى بلغ بُواط من ناحية رَضْوَى، وكان في غير قريش أُمَيَّة بن خَلَف الجُمَحِيّ، في مائة رجل، ومعهم ألفان وخمسمائة بعير، فرجع ولم يلقَ كيداً، وكان يحمل لواء رسول الله ﷺ، سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن مُعَاذ^(٣).

(بُواط: بفتح الباء^(٤) الموحدة وبالطاء المهملة).

وفيهما غزا رسول الله ﷺ، غزوة العُشَيْرَةِ من يَنْبَع في جمادى الأولى، يريد قريشاً حين ساروا إلى الشام، فلما وصل العُشَيْرَةِ وادع بني مُذَلْج وحلفاءهم من ضَمْرَةَ، ورجع ولم يلقَ كيداً، واستخلف على المدينة أبا سَلَمَةَ بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة، وفي هذه الغزوة كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلِيّاً أبا تراب في قول بعضهم^(٥).

وفيهما أغار كُرْز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفْوَان من ناحية بدر، وفاته كُرْز، وكان لواءه مع عليّ، واستخلف على المدينة زيد^(٦) بن حارثة^(٧).

وفيهما بعث رسول الله ﷺ، سعد بن أبي وقاص في سرية، ثمانية رهط، فرجع

(١) سيرة ابن هشام ١٨/٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٠/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٨/٢، ٩، المغازي للواقدي ٢/١، الطبري ٤٠٥/٢، وفي سيرة ابن هشام ٢٤٠/٢ أنه ﷺ استعمل على المدينة: «السائب بن عثمان بن مظعون». وانظر أنساب الأشراف ٢٨٧/١، والمغازي ١٢/١ وتاريخ خليفة ٥٧، والبدء والتاريخ ١٨٢/٤، وتاريخ الإسلام ٤٧، والبداء والنهاية ٢٤٦/٣، وعيون الأثر ٢٢٦/١، والمجبر ١١٠، وعيون التواريخ ١٠٦/١، والروض الأنف ٢٧/٣، وسيرة ابن كثير ٣٦١/٢.

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان ٥٠٣/١: «بُواط: بالضم... ورواه الأصيلي والعُدري والمستمل من شيوخ المغاربة بُوَاط، بفتح أوله، والأول أشهر. وقالوا: هو جبل من جبال جُهَيْنَةَ بناحية رَضْوَى».

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٠/٢، المغازي للواقدي ٢/١ و١٢ تاريخ الطبري ٤٠٦/٢، الطبقات الكبرى ٩/٢، ١٠، أنساب الأشراف ٢٨٧/١، تاريخ خليفة ٥٧، البدء والتاريخ ١٨٢/٤، البداء والنهاية ٢٤٦/٣، سيرة ابن كثير ٣٦١/٢، تاريخ الإسلام ٤٧، عيون التواريخ ١٠٧/١، عيون الأثر ٢٢٦/١.

(٦) في الطبعة الأوربية «يزيد». وهو تحريف.

(٧) سيرة ابن هشام ٢٤٣/٢، الطبقات الكبرى ٩/٢، تاريخ الطبري ٤٠٧/٢.

ولم يلقَ كيداً^(١)

وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله، ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فقال: ما أحسن ما تدعو إليه! سأنظر في أمري ثم أعود. فلقيه عبد الله بن أبي المنافق فقال: كرهت قتال^(٢) الخزرج. فقال أبو قيس: لا أسلم إلى سنة، فمات في ذي القعدة^(٣).

(١) المغازي للواقدي ٢/١، الطبقات الكبرى ٧/٢ سيرة ابن هشام ٢/٢٤٢.

(٢) في الأصل «قتلك».

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٠٦.

ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة

في هذه السنة غزا رسول الله، ﷺ، في قول بعض أهل السَّير، غزوة الأبواء، ويقال^(١) وَدَّان، وبينهما ستّة أميال، واستخلف رسول الله، ﷺ، على المدينة سعد بن عُبادة، وكان لواءه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب، وقد تقدّم ذكرها^(٢).

ذكر سرية عبد الله بن جحش

أمر رسول الله أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهّز للغزو، فتجهّز، فلمّا أراد المسير بكى صباية إلى رسول الله، ﷺ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش في جمادى الآخرة^(٣)، معه ثمانية رهط من المهاجرين، وقيل اثنا عشر رجلاً، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتّى يسير يومين، ثمّ ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يُكره أحداً من أصحابه، ففعل ذلك، ثمّ قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكّة والطائف، فيرصد قريشاً ويعلم أخبارهم، فأعلم أصحابه، فساروا معه.

وأضلّ سعد بن أبي وقاص، وعُتْبة بن غزوان بعيراً لهما يتعقبانه، فتخلّفا في طلبه، ومضى عبد الله ونزل بنخلة، فمرّت عير لقريش تحمل زيباً وغيره، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وقد حلق رأسه. فلمّا رأوه قالوا: عُمَارُ لا بأس عليكم [منهم]، وذلك آخر يوم من رجب، فرمى واقد بن عبد الله التيميّ عمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله، واستأسر عثمان، والحكم، وهرب نوفل، وغنم المسلمون ما معهم، فقال عبد الله

(١) في الطبعة الأوربية «وقال».

(٢) تاريخ الطبري ٤٠٧/٢ وانظر تاريخ خليفة ٥٦، وأنساب الأشراف ٢٨٧/١، الطبقات الكبرى ٨/٢، سيرة

ابن هشام ٢٣٣/٢، المغازي للواقدي ٢/١، ١١، ١٢، البدء والتاريخ ١٨٢/٤، الروض الأنف ٢٥/٣،

تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥، عيون الأثر ٢٢٤/١، عيون التواريخ ١٠٧/١، تاريخ الخميس ٤٠٢/١.

(٣) في النسخة (ي): «رجب».

ابن جحش: إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفَرَّضَ الْخُمْسُ، وَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَأَوَّلَ خُمْسٍ فِي الْإِسْلَامِ^(١).

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالغير والأسرى إلى المدينة. فلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَمَرْتُمْ بِقِتَالِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ»، فَوَقَّفَ الْغَيْرَ وَالْأَسِيرِينَ، فَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَعَنْفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ اسْتَحْلَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ. وَقَالَتْ الْيَهُودُ تَفَالٌ^(٢) بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ. وَاقِدٌ (ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «عَمْرُو» عَمَرَتِ الْحَرْبُ، وَ«الْحَضْرَمِيُّ» حَضَرَتِ الْحَرْبُ، وَ«وَاقِدٌ»^(٣) وَقَدَّتِ الْحَرْبُ^(٤)). فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(٥) الْآيَةَ. فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ قَبْضَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الْغَيْرَ، وَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ أَصَابُوهَا، وَفَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الْأَسِيرِينَ. فَأَمَّا الْحَكْمُ فَأَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بَشْرٍ مَعُونَةٍ^(٦).

وقيل: كَانَ قَتْلُهُمُ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَأَخَذَ الْغَيْرَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى، وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ^(٧).

وَفِيهَا صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا فُرِضَتْ الْقِبْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَالنَّبِيِّ ﷺ، بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَحِبُّ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ يَصَلِّي بِمَكَّةَ وَيَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ. فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يُمْكِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يُوَثِّرُ أَنْ يُصْرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ^(٨).

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٣ - ٢٤٦، تاريخ الطبري ٢/٤١٠ - ٤١٢، الطبقات الكبرى ١١/٢، المغازي للواقدي ٢/١ و ١٣، المحبر ١١٦، البدء والتاريخ ٤/١٨٢، سيرة ابن كثير ٢/٣٦٦ - ٣٧٢، البداية والنهاية ٣/٢٤٨ - ٢٥٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، عيون الأثر ١/٢٢٧ - ٢٣٠، عيون التواريخ ١٠٨/١ - ١١١، تاريخ الخميس ٤٠٢/١.

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «تَفَالٌ»، وَفِي التَّفْسِيرِ «تَفَالٌ».

(٣) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ إِضَافَةً مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ.

(٤) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ وَرَدَتِ الْعِبَارَةُ: «وَاقِدٌ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ وَوَقَدَتِ الْحَرْبُ».

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - الْآيَةُ ٢١٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٦، تاريخ الطبري ٢/٤١٢، ٤١٣، التفسير ٤/٣٠٥، ٣٠٦، المغازي للواقدي ١٥/١.

(٧) الطبري ٢/٤١٤.

(٨) الطبري ٢/٤١٥، ٤١٦، سيرة ابن هشام ٣/٢٥، تاريخ البيهقي ٢/٤٢.

وقيل: على رأس ستة عشر شهراً في صلاة الظهر^(١).

وفيها أيضاً في شعبان فرض صوم شهر رمضان، وكان لما قديم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء، فصامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم^(٢).

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين^(٣).

وفيها خرج رسول الله، ﷺ، إلى المصلّى، فصلّى بهم صلاة العيد، وكان ذلك أول خُرْجة خرجها، وحملت بين يديه العترة^(٤)، وكانت للزبير وهبها له النجاشي، وهي اليوم للمؤذنين في المدينة^(٥).

ذكر غزوة بدر الكبرى^(٦)

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في السابع عشر^(٧).

وقيل التاسع عشر، وكانت يوم الجمعة^(٨).

وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي، وإقبال أبي سفيان بن حرب في غير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون، وقيل: قريباً من سبعين رجلاً من قريش، منهم: مخزومة بن نوفل الزهري، وعمرو بن العاص، فلما سمع بهم رسول الله، ﷺ، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا

(١) الطبري ٤١٧/٢، تاريخ خليفة ٦٤.

(٢) الطبري ٤١٧/٢، تاريخ اليعقوبي ٤٢/٢.

(٣) الطبري ٤١٨/٢.

(٤) العترة: عصا في رأسها سنان مثل سنان الرمح.

(٥) في الطبعة الأوروبية «وهو».

(٦) الطبري ٤١٨/٢.

(٧) سيرة ابن هشام ٢٤٩/٢، المغازي للواقدي ١٩/١، السير والمغازي ٣٠٥، الطبقات الكبرى ١١/٢، تاريخ خليفة ٥٧، أنساب الأشراف ٢٨٨/١، تاريخ اليعقوبي ٤٥/٢، المغازي لعروة ١٣١، الدرر لابن عبد البر ١١٠، عيون الأثر ٢٤١/١، جوامع السيرة لابن حزم ١٠٧ تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٥٦، دلائل النبوة لليهقي ٣٩٢/٢، المعارف ١٥٢، عيون التواريخ ١١١/١، البدء والتاريخ ١٨٥/٤، تاريخ الخميس ٤١٥/١، سيرة ابن كثير ٣٨٠/٢، البداية والنهاية ٢٥٦/٣، تاريخ الطبري ٤١٨/٢، الأغاني ١٧٠/٤ وما بعدها، المعرفة والتاريخ ٢٥٦/٣، ٢٥٧، المختصر في أخبار البشر ١٢٨/١، ١٢٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٠، صحيح البخاري في المغازي ٣/٥ - ٢٢، المغازي للزهري ٦٢ - ٦٦.

(٨) الطبري ٤١٩/٢.

(٩) الطبري ٤١٨/٢.

إليها لعلَّ الله أن ينفلكموها. فانتدب الناس، فحفَّت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك لأنهم لن يظنوا أنَّ رسول الله، ﷺ، يلقي حرباً.

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبي، ﷺ، يريد، فحذر واستأجر ضَمُضَم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مَكَّة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر، فخرج ضَمُضَم إلى مَكَّة^(١).

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت، قبل قدوم ضَمُضَم مَكَّة ثلاث ليالٍ رؤيا أفزعته، فقصتها على أخيها^(٢) العباس، واستكتمته خبرها، قال: رأيت راكباً على بعير له [حتى] وقف^(٣) بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل عُذْر لمصارعكم في ثلاث! قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، فمثل بعيره على الكعبة، ثم صرخ مثلها، ثم مثل بعيره على رأس أبي قُبَيْس فصرخ مثلها، ثم أخذ صخرة عظيمة وأرسلها، فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت، فما بقي بيت من مَكَّة إلا دخله فلقه منها^(٤).

فخرج العباس فلقي الوليد بن عُتْبَةَ^(٥) بن ربيعة، وكان صديقه، فذكرها له واستكتمه ذلك، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبَةَ^(٦)، ففشا الخبر، فلقي أبو جهل العباس فقال له: يا أبا الفضل أقبل إلينا. قال: فلما فرغت من طوافي أقبلت إليه، فقال لي: متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ وذكر رؤيا عاتكة، ثم قال: ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يكن حقاً، وإلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فما كان مني إليه إلا أنني جحدت ذلك وأنكرته، فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد المطلب وقلن لي: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، وقد تناول نساءكم، ولم تنكر عليه ذلك! قال قلت: والله كان ذلك، ولأتعرضن له، فإن عاد كفيتكموه^(٧). قال: فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا مغضب أحب أن أدركه، فرأيتُه في المسجد، فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به، فخرج نحو المسجد يشتد، قال قلت: ما باله قاتله الله! أكل هذا فرقاً من أن أشاتمه! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضَمُضَم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره قد جدعه، وحول

(١) الطبري ٤٢١/٢، ٤٢٢، الأغاني ١٧١/٤.

(٢) في الطبعة الأوربية وأخيه.

(٣) في الطبعة الأوربية «وقفا».

(٤) حديث عاتكة في المغازي لعروة ١٣٣، ١٣٤، ومجمع الزوائد ٧٠/٦، ٧١ نقلًا عن الطبراني.

(٥) في الطبعة الأوربية «عقبة»، وهو تحريف.

(٦) في سيرة ابن مشام «لاكفيكنه»، وفي تاريخ الطبري «لاكفينكموه».

رحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض له محمد وأصحابه، لا أدري إن تدركوها، الغوث الغوث! فشغلني عنه وشغله عني.

قال: فتجهز الناس سراعاً، ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبا لهب، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وعزم أمية بن خلف الجُمحي على القعود، فإنه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً، فاتاه عتبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار، وما يتبخر به وقال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به! وتجهز وخرج معهم. وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود، فقال له أخوه شيبه: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبة^(١) علينا، فامض مع قومك، فمشى معهم.

فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث، فخافوا أن يؤتوا من خلفهم، فجاءهم^(٢) إبليس في صورة سُراقه بن جُعشم المُدلجي، وكان من أشراف كنانة، وقال: أنا جار لكم، فاخرجوا سراعاً^(٣).

وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل، وكان خيلهم مائة فرس، فنجا^(٤) منها سبعون فرساً، وغنم المسلمون ثلاثين فرساً، وكان من المشركين سبعمائة بغير.

وكان مسير رسول الله، ﷺ، لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان، في ثلاثمائة عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر، وقيل بضعة عشر رجلاً. وقيل ثمانية عشر، وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل ثلاثة وثمانون والباقيون من الأنصار.

فقيل: جميع من ضرب له رسول الله، ﷺ، بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس أحد وسبعون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً، ولم يكن فيهم غير فارسين، أحدهما المقداد بن عمرو الكندي، ولا خلاف فيه، والثاني قيل كان الزبير ابن العوام، وقيل كان مرثد بن أبي مرثد، وقيل المقداد وحده، وكانت الإبل سبعين بغيراً، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبي، ﷺ، وعليّ وزيد بن حارثة بغير، وبين أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف بغير، وعلى

(١) في الطبعة الأوربية «سبته».

(٢) في النسخة (ب): «فتبداهم».

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢٥٠/٢ - ٢٥٥، وتاريخ الطبري ٤٢١/٢ - ٤٣١، والأغانى ١٧١/٤ - ١٧٥.

(٤) في الطبعة الأوربية «فنجوا».

مثل هذا^(١). وكان فرس المقداد اسمه سَبْحَة^(٢)، وفرس الزبير اسمه السَّيْل، وكان لواؤه مع مُضْعَب بن عُمَيْر بن عبد الدار، ورايته^(٣) مع علي بن أبي طالب، وعلى الساقه قيس بن أبي صَعْصَعَة الأنصاري^(٤).

فلما كان قريباً من الصفراء بعث بَسْبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين، يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان، ثم ارتحل رسول الله، ﷺ، وترك^(٥) الصفراء يساراً، وعاد إليه بَسْبَس بن عمرو يُخبره أن العير قد قاربت بداراً، ولم يكن عند رسول الله، ﷺ، والمسلمين علم بمسير قريش لمنع^(٦) غيرهم، وكان قد بعث علياً والزبير وسعداً^(٧) يلتمسون له الخبر بيدراً، فأصابوا راوية لقريش، فيهم أسلم غلام بني الجحجاح^(٨)، وأبو يسار غلام بني العاص. فأتوا بهما النبي، ﷺ، وهو قائم يصلي، فسألوهما، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، وضربوهما ليُخبروهما عن أبي سفيان. فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وفرغ رسول الله، ﷺ، من الصلاة وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، إنهما لقريش، أخبراني أين قريش؟» قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعُدوة القصوى. فقال رسول الله، ﷺ: «كم القوم؟» قالوا: كثير. قال: «كم عدتهم؟» قالوا: لا ندري. قال: «كم ينحرون؟» قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال: «القوم بين تسعمائة إلى الألف»^(٩).

ثم قال لهما: فَمَنْ فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عُتْبَة، وشَيْبَة ابنا ربيعة، والوليد،

(١) السيرة ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «سنجة»، والتصويب من: عقد الأجياد في الصافات الجياد، للأمير محمد بن عبد القادر الجزائري - ص ٣٣٦ طبعة المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.، وفضل الخيل، للحافظ الدمياطي، نشرة محمد راغب الطباخ - ص ١١٨ - طبعة حلب ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م، ورشحات المداد في ما يتعلق بالصافات الجياد، للبخشي - ص ١٢٠ - طبع مع فضل الخيل، والحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. لمحمد بن كامل التاجي الصاحبي (ق ٧ هـ). بتحقيق عبد الله الجبوري - ص ٩٥ طبعة النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١ هـ. / ١٩٨١ م.

(٣) في طبعة صادر ١١٩/٢ «رأيت» بإثبات الهمزة، وهو وهم.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٦، الأغاني ٤/١٧٦.

(٥) في إحدى النسخ «ونزل».

(٦) في النسخة (ب): «يمنع».

(٧) في إحدى النسخ «أسعد».

(٨) في الطبعة الأوربية «الحجاج» وهو وهم.

(٩) ابن سعد ٢/١٥، المغازي ١٣٧، ١٣٨.

وأبو البختريّ بن هشام، وحكيم بن حزام، والحرث بن عامر، وطعيمة بن عديّ، والنضر بن الحرث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمّية بن خلف، ونبيه، ومنبّه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ودّ.

فأقبل رسول الله، ﷺ، على أصحابه وقال: «هذه مكّة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها»^(١). ثمّ استشار أصحابه، فقال أبو بكر فأحسن، ثمّ قال عمر فأحسن، ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لِمَا أَمَرَكَ اللهُ فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾^(٢)؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٣)، يعني مدينة الحبشة، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه^(٤).

فدعا لهم بخير، ثمّ قال رسول الله، ﷺ: أشيروا عليّ أيّها الناس؛ وإنّما يريد الأنصار، لأنهم كانوا عدد الناس، وخاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلّا يمتنّ دهمه بالمدينة، وليس عليهم أن يسير بهم. فقال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: قد آمنا بك وصدّقناك، وأعطيناك عهدنا، فامض يا رسول الله لما أمرت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسير بنا على بركة الله!.

فسار رسول الله، ﷺ، فقال: «أبشروا فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم». ثمّ انحطّ على بدر فنزل قريباً منها^(٥).

وكان أبو سفيان قد ساحل^(٦)، وترك بدرأ يساراً، ثمّ أسرع فنجأ، فلمّا رأى أنّه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش، وهم بالجحفة: إنّ الله قد نجى غيركم وأموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نردّ بدرأ، وكان بدر موسماً من مواسم العرب، تجتمع لهم بها سوق كلّ عام، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجُزر، وننظم الطعام،

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٢٦٠، وتاريخ الطبري ٢/٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) سورة المائدة - الآية ٢٤.

(٣) في النسخة (ب): «تل العمداء».

(٤) الأغاني ٤/١٧٧، سيرة ابن هشام ٢/٢٥٧، ٢٥٨، تاريخ الطبري ٢/٤٣٤، وانظر أنساب الأشراف ٢٩٣/١ رقم ٦٥٩، المغازي لعروة ١٣٥، ١٣٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٨، الأغاني ٤/١٧٨، تاريخ الطبري ٢/٤٣٥، المغازي لعروة ١٣٦.

(٦) أي سار بمحاذاة الساحل.

ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً. فقال الأخنس بن شريق الثقفي، وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجحفة: يا بني زُهرة قد نجى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا. فرجعوا، فلم يشهدا زُهري ولا عدوي، وشهدا سائر بطون قريش^(١).

ولما كانت قريش بالجحفة رأى جُهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم رجلاً أقبل على فرس، ومعه بعير له فقال: قُتل عُتْبة، وشيبة، وأبو جهل، وغيرهم ممن قُتل يومئذ، ورأيت ضرب لَبَّةَ بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء إلا أصابه من دمه. فقال أبو جهل: وهذا أيضاً نبي من بني المطلب، سيعلم غداً من المقتول. وكان بين طالب بن أبي طالب، وهو في القوم، وبين بعض قريش محاورَةً، فقالوا: والله قد عرفنا أن هواكم مع محمد. فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع، وقيل: إنما كان خرج كرهاً، فلم يوجد في الأسرى، ولا في القتلى، ولا فيمن رجع إلى مكة، وهو الذي يقول:

يا ربَّ^(٢) إِمَّا يَغْوُونَ طَالِبَ فِي مَقْنَبٍ^(٣) مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ^(٤)
فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٥)

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي، وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْشاً^(٦)، فأصاب رسول الله ﷺ، وأصحابه منه ما لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منه ما لم يقدرُوا على أن يرحلوا معه. فخرج رسول الله ﷺ، يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدر نزل، فقال الحُباب بن المُنذر بن الجُموح: يا رسول الله! أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه أو نتأخّره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس لك بمنزل، انهض^(٧) بالناس حتى تأتي أدنى ماء سواه من القوم، فننزله، ثم نعوّز^(٨) ما وراء من القلب، ثم نبني عليه حوضاً، ونملأه ماء، فنشرب ماء، ولا يشربون،

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٦١، الأغاني ٤/١٨٢، تاريخ الطبري ٢/٤٣٧، ٤٣٨، ابن سعد ٢/١٣، ١٤.

(٢) في سيرة ابن هشام ٢/٢٦٢ «لا هم» بدل «يا رب».

(٣) المَقْنَب: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هي دون المائة.

(٤) في السيرة: في عصبة محالف محارب.

(٥) في الأصل «المطلوب غير الطالب». وانظر الاختلاف في سيرة ابن هشام. وهو يقول: قوله فليكن

المسلوب، وقوله: ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر. (ج ٢/٢٦٢).

(٦) الدَهْش: كل مكان لئن لم يبلغ أن يكون رملاً.

(٧) في الطبعة الأوربية «انهض».

(٨) نعوّز: ندفن.

ثم نقاتلهم. ففعل رسول الله، ﷺ، ذلك^(١).

فلما نزل جاءه سعد بن مُعَاذ فقال: يا رسول الله بنبي لك عريشاً من جريد فتكون فيه، وترك عندك ركائبك، ثم نَلَقَى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم، كان ذلك ممّا أحببناه، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بما وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حباً لك منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك. فأثنى عليه خيراً^(٢).

ثم بُني لرسول الله، ﷺ، عريش، وأقبلت قريش بخيلائها وفخرها، فلما رآها قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك^(٣) وتكذب رسولك! اللهم فنصرك الذي وعدتني! اللهم أجنهم^(٤) الغداة». ورأى عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال: «إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يُطيعوه يرشدوا»^(٥).

وكان خُفاف بن إيماء بن رَحْصَةَ الغفاريّ أو أبوه إيماء بعث إلى قريش حين مرّوا به ايناً له بجزائر، أهداها لهم، وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح، فقالت قريش: إن كنّا إنّما نقاتل الناس فما بنا من ضعف، وإن كنّا نقاتل الله كما زعم محمد، فما لأحد بالله طاقة. فلما نزلت قريش أقبل جماعة، منهم حَكِيم بن حِزام، حتى وردوا حوضَ النبي، ﷺ، فقال رسول الله، ﷺ: اتركوهم، فما شرب منه رجل إلّا قُتل يومئذٍ، إلّا حَكِيم، نجا على فرس له يقال له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسّن إسلامه، وكان يقول إذا اجتهد في يمينه: لا والذي نَجاني يوم بدر^(٦).

ولما اطمأنت قريش بعثوا عمرو^(٧) بن وهب الجُمحيّ ليحزر المسلمين، فجال بفرسه حولهم، ثم عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولقد رأيت الولايا^(٨) تحمل المنايا، نواضح^(٩) يثرب تحمل الموت الناقع، ليس لهم منعة إلّا سيوفهم، والله لا

(١) السيرة ٢/٢٦٣، الأغاني ٤/١٨٤، الطبري ٢/٤٤٠.

(٢) السيرة ٢/٢٦٣، الطبري ٤٤٠، الأغاني ٤/١٨٤.

(٣) في النسخة (ب): تحاربك. وتحادّك: تعاديك.

(٤) في النسخة (ب): «أجنهم».

(٥) السيرة ٢/٢٦٤، الأغاني ٤/١٨٤، ١٨٥، الطبري ٢/٤٤١، المغازي ١٤٠.

(٦) السيرة ٢/٢٦٥، الطبري ٢/٤٤١، الأغاني ٤/١٨٥.

(٧) في السيرة، والأغاني، وتاريخ الطبري وابن سعد ٢/١٦ «عمير».

(٨) في السيرة ٢/٢٦٥ «البلايا»، والمثبت يتفق مع الطبري والأغاني. والولايا: جمع وليّة، وهي البرذعة أو ما تحتها.

(٩) النواضح: الإبل التي يُسْتَقَى عليها الماء.

يُقبل رجل منهم إلّا يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك، فرّوا رأيكم.

فلما سمع حَكِيم بن حزام ذلك مشى في القوم، فأَتَى عُتْبَةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها، هل لك أن لا تزال تذكّر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، عليّ دمه وما أُصيب من ماله، فأَتِ ابن الحنظليّة، يعني أبا جهل، فلا أخشى أن يُفسد أمر الناس غيره. فقام عُتْبَةُ في الناس فقال: إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموهم، لا يزال رجل ينظر في وجه رجل، يكره النظر إليه، قتل ابن عمّه، أو^(١) ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته. قال حَكِيم بن حزام: فانطلقتُ إلى أبي جهل، فوجدته قد نثّل درعاً وهو يهيئها، فأعلمته ما قال عُتْبَةُ، فقال: انتفخ والله سحره^(٢) حين رأى محمداً وأصحابه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعُتْبَةُ ما قال، ولكن رأى ابنه أبا حذيفة فيهم، وقد خافكم عليه.

ثمّ بعث إلى عامر [بن] الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكّة بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فانشدْ خُفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر وصرخ: واعمره واعمره! فحميت الحرب واستوسق^(٣) الناس على الشرّ.

فلما بلغ عُتْبَةُ قول أبي جهل: انتفخ سحره^(٤)، قال: سيعلم المصفرُّ استه من انتفخ سحره، أنا أم هو! ثمّ التمس بيضة يُدخلها رأسه، فما وجد من عظم هامته، فاعتجر بِبُرد له^(٥).

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان سيّء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، ولأهدمته، أو لأموتنّ دونه. فخرج إليه حمزة فضربه، فأطنّ قدمه بنصف ساقه، فوقع على الأرض، ثمّ حبا إلى الحوض، فاقتحم فيه ليبرّ يمينه، وتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض^(٦).

ثمّ خرج عُتْبَةُ، وشيّبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتْبَةَ، ودعوا إلى المبارزة، فخرج

(١) في إحدى النسخ «قتل».

(٢) في النسخة (ب): «منخرة».

(٣) في الطبعة الأوربية «استوتق». واستوسق الناس: اجتمع: أمرهم.

(٤) أنظر الملحوظة قبل السابقة.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦، ٢٦٧ الأغاني ٤/١٨٧، ١٨٨، تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، ٤٤٤.

(٦) المصادر نفسها.

إليهم عَوْفٌ، وَمُعَوِّذٌ ابنا عفراء، وعبد الله بن رَوَاحَة، كلَّهم من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. فقالوا: أكفاء كرام، وما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفأؤنا من قومنا^(١). فقال النبي، ﷺ: قُمْ يا حمزة، قُمْ يا عبيدة بن الحارث، قُمْ يا علي، فقاموا، ودنا بعضهم من بعض، فبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب، وكان أمير القوم عُتْبَة، وبارز حمزة شيبَة، وبارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يُمهل شيبَة أن قتله، وأما علي فلم يُمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعُتْبَة بينهما ضربتين، كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلي على عُتْبَة، فقتلاه، واحتملا عُبيدة إلى أصحابه، وقد قُطعت رجله، فلما أتوا به النبي، ﷺ، قال: أَلَسْتُ شَهِيداً يا رسول الله؟ [قال: «بلى»]. قال: لورآني أبو طالب لعلم [أننا] أحقُّ منه بقوله:

وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِثِ^(٢)

ثم مات، وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض^(٣)، وأبو جهل يقول: اللهم أقطعنا للرجم، وآتانا بما لم نعرف فأجته الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه.

وكان رسول الله، ﷺ، قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل. ونزل في العريش ومعه أبو بكر، وهو يدعو ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض، اللهم أنجز لي ما وعدتني». ولم يزل حتى سقط رداؤه، فوضعه عليه أبو بكر، ثم قال له: كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. وأغفى رسول الله، ﷺ، في العريش إغفاءة، وانبه ثم قال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبرائيل آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثنياه النقع، وأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾^(٤) الآية^(٥)».

وخرج رسول الله، ﷺ، وهو يقول: ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾^(٦) وحرص المسلمون وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال: عمير بن الحمام الأنصاري وببيده تمرات يأكلهن يخ

(١) السيرة ٢٦٧/٢.

(٢) البيت من قصيدة أبي طالب ومطلعها:

خَلِيلِي مَا أَذْنِي لَأَوَّلَ عَاذِلٍ بِصُغْوَاءٍ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلٍ

(٣) تاريخ الطبري ٤٤٥/٢، ٤٤٦، الأغاني ١٨٩/٤، ١٩٠، ابن سعد ١٧/٢.

(٤) سورة الأنفال - الآية ٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٢٦٩/٢، الأغاني ١٩١/٤، ١٩٢، تاريخ الطبري ٤٤٧/٢.

(٦) سورة القمر - الآية ٤٥.

بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل، ورمى مهجع^(١) مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل؛ ثم رمى حارثة بن سراقة الأنصاري فقتل، وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل، واقتل الناس قتلاً شديداً، فأخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال: شأته الوجوه وقال لأصحابه: شدوا عليهم فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم.

ولما كان رسول الله ﷺ، في العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، متوشحاً بالسيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كره العدو، فرأى رسول الله ﷺ، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله ﷺ: لكأنك تكره ذلك يا سعد؟ قال: أجل يا رسول الله، أول وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الإثخان أحب إلي من استبقاء الرجال^(٢).

وكان أول من لقي أبا جهل مُعاذ بن عمرو بن الجموح، وقريش محيطة به يقولون: لا يُخلص إلى أبي الحكم، قال مُعاذ: فجعلته من شأني، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة، فطرح يدي من عاتقي، فتعلقت بجلدة من جثتي، فقاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذنتني جعلت عليها رجلي، ثم تمطيت حتى طرحتها.

وعاش مُعاذ إلى زمان عثمان، رضي الله عنه^(٣).

ثم مرّ بأبي جهل مُعوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم مرّ به ابن مسعود، وقد أمر رسول الله ﷺ، أن يلتمس في القتلى، فوجده بأخر رمق، قال: فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أعمدت من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله. قال له أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِي الغنم مرتقى صعباً! قال: فقلت: إني قاتلك. قال: ما أنت بأول عبد قتل سيده، أما إن أشد شيء لقيته^(٤) اليوم قتلك إياي، وألا قتلتني رجل من المطييين

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٠، الأغاني ٤/١٩٢، ١٩٣، تاريخ الطبري ٢/٤٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧١، الأغاني ٤/١٩٣، ١٩٤، الطبري ٢/٤٤٩، ابن سعد ٢/١٥.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٢٧٦، ٢٧٧ تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، ٤٥٥، الأغاني ٤/١٩٩، ٢٠٠.

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «لقيته».

الأحلاف. فضربه عبد الله، فوقع رأسه بين رجلَيْهِ^(١)، فحمله إلى رسول الله، ﷺ، فسجد شكراً لله^(٢).

وكان عبد الرحمن بن عَوْفٍ قد غَنِمَ أَدْرَاعاً، فمَرَّ بِأُمَيَّةَ بن خَلْفٍ وابنه عليّ، فقالا له: نحن خير لك من هذه الأدراع. فطرح الأدراع وأخذ بيده ويده ابنه، ومشى بهما، فقال له أُمَيَّةُ: مَنِ الرجلُ الْمُعْلَمُ بريشة نعامه في صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطلب. قال أُمَيَّةُ: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.

ورأى بلال أُمَيَّةَ، وكان يعذِّبه بمَكَّةَ، فيخرج به إلى رمضاء مَكَّةَ، فيُضْجعه على ظهره، ثُمَّ يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد، فلَمَّا رآه بلال قال: أُمَيَّةُ! رأس الكُفْر! لا نجوتُ إن نجا! ثُمَّ صرخ: يا أنصار الله رأس الكفر رأس الكفر أُمَيَّةُ بن خَلْفٍ، لا نجوتُ إن نجا! فأحاط بهم المسلمون، وقُتِلَ أُمَيَّةُ وابنه عليّ، وكان عبد الرحمن يقول: رَحِمَ الله بلالاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري^(٣).

وقُتِلَ حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله عليّ بن أبي طالب^(٤).

ولما انهزم المشركون أمر النبي، ﷺ، أن لا يُقْتَلَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام لأنه كان أكف القوم عن رسول الله، ﷺ، وهو بمَكَّةَ، وكان مَمَّنْ اهْتَمَّ في نقض الصحيفة، فلقبه الْمُجْدَر بن زياد البلوي حليف الأنصار، ومعه زميل له، فقال له: إن رسول الله قد نَهَى عن قتلك. فقال: وزميلي؟ فقال المجدر: لا والله. قال: إذاً والله لأموتن أنا وهو، ولا تتحدَّث نساء قريش أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقتله، ثُمَّ أخبر رسول الله، ﷺ، بخبره^(٥).

وجيء بالعبّاس، أسره أبو اليَسَر، وكان مجموعاً، وكان العبّاس جسيماً، فقبل لأبي اليَسَر: كيف أسرته؟ قال: أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك، بهيئة كذا وكذا، فقال رسول الله، ﷺ: لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم. ولما أمسى العبّاس مأسوراً بات رسول الله، ﷺ، ساهراً أوّل ليلة، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟ فقال: سمعتُ

(١) في النسخة (ب): «يديه».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٧، ٢٧٨ تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، ٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٤.

(٤) أنساب الأشراف ١/٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «كان أخف القوم على».

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٢، تاريخ الطبري ٢/٤٥٠، الأغاني ٤/١٩٤، ١٩٥.

تَصَوَّرَ الْعَبَّاسُ فِي وَثَاقِهِ، فَمَنَعَ مَنِيَّ النُّومِ. فَفَعَلُوا إِلَيْهِ فَاطْلُقُوهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ^(١).

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: قَدْ عَرَفْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ أُخْرِجُوا كَرْهًا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ أَخْرَجَ كَرْهًا. فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنْقَتِلْ أَبْنَاءَنَا وَأَبَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَنَتْرِكَ الْعَبَّاسَ؟ وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لِأَلْحِمَنَهُ بِالسَّيْفِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ، ﷺ، فَقَالَ لِعَمْرِ: يَا أَبَا حَفْصٍ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ أَبِي حُذَيْفَةَ؟ أَيُضْرِبُ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ: لَا أَزَالُ خَائِفًا مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَلَا يَكْفُرُهَا عَنِّي إِلَّا الشَّهَادَةُ. فَقَتَلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا^(٢). وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ رَأَيْتُ جِبْرَائِيلَ وَعَلَى ثَنَائِيهِ النَّعَقَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي، فَصَعِدْنَا جَبَلًا يَشْرَفُ بَنَاءُ عَلَى بَدْرٍ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ، نَنْظُرُ لِمَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ فَتَنْتَهَبُ، فَدَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ، فَسَمِعْتُ فِيهَا حَمِيمَةَ الْخَيْلِ، وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَقْدَمَ حِيزُومٍ، قَالَ: فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَأَمَّا أَنَا فَكَدْتُ أَهْلَكَ، فَتَمَاسَكْتُ^(٣).

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْمَازَنِيُّ: إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأُضْرِبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ سَيْفِي إِلَيْهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَتَلَهُ غَيْرِي^(٤).

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: كَانَ أَحَدُنَا يَشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ، فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ^(٥).

فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَأُسِيرَ مِنْ أُسْرٍ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ تُطْرَحَ الْقَتْلَى فِي الْقَلْبِ، فَطُرِحُوا فِيهِ إِلَّا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دَرْعِهِ فَمَلَأَهَا، فَذَهَبُوا بِهِ لِيُخْرِجُوهُ فَتَقَطَّعَ، وَطُرِحُوا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ مَا غَيَّبَهُ، وَلَمَّا أَلْقَوْا فِي الْقَلْبِ وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْقَلْبِ، بَشُّ عَشِيرَةِ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ! كَذَبْتُمُونِي وَصَدَقْتَنِي النَّاسُ!» ثُمَّ قَالَ: «يَا عُتْبَةَ، يَا شَيْبَةَ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، يَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ»، وَعَدَّدَ مَنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ، «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا». فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: «أَتَكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى؟» فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ

(١) الأغانى ٢٠٦/٤ و ٢٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٧١/٢، تاريخ الطبري ٤٥٠/٢.

(٣) السيرة ٢٧٥/٢، الطبري ٤٥٣/٢، الأغانى ١٩٨/٤.

(٤) السيرة، الطبري، الأغانى.

(٥) الطبري ٤٥٤/٢، الأغانى ١٩٩/٤.

لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(١).

ولما قال، ﷺ، لأهل القليب ما قال رأى في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية وقد تغير، فقال: لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه، ولكنه كان له عقل وحلم وفضل، فكنْتُ أرجو له الإسلام، فلما رأيت ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله، ﷺ، بخير^(٢).

ثم إن رسول الله، ﷺ، أمر فُجمع ما في العسكر، فاختلف المسلمون، فقال من جمعه: هو لنا. وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: [والله] لولا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم [حتى أصبتم ما أصبتم]. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله، ﷺ، وهو في العريش: والله ما أنتم بأحق به منا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه، ولكن خفنا كره العدو على رسول الله، ﷺ، فقمنا دونه. فترع الله الأنفال من أيديهم، وجعلها إلى رسول الله، ﷺ، فقسمها بين المسلمين على سواء^(٣).

وبعث رسول الله، ﷺ، عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة، فوصل زيد وقد سوا التراب على رقية بنت رسول الله، ﷺ، وكانت زوجة عثمان بن عفان، خلفه رسول الله، ﷺ، عليها وقسم له^(٤).

فلما عاد رسول الله، ﷺ، لقيه الناس يهتفون بما فتح الله عليه، فقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري: إن لقينا إلا عجائز ضلُعا كالبدن المعقلة فنحرنها. فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: يابن أخي أولئك الملاء من قريش^(٥).

وكان في الأسرى النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، فأمر علي بن أبي طالب بقتل النضر، فقتله بالصفراء، وأمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن أبي معيط، فلما أرادوا قتله جزع من القتل وقال: ما لي أسوء بهؤلاء؟ يعني الأسرى، ثم قال: يا محمد من للصبيّة؟ قال: النار، فقتله بعرق الظبية^(٦) صبراً^(٧).

وكان في الأسرى سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدُخشم الأنصاري، فلما أتى به

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٠، ٢٨١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، ٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٠، ٢٨١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، الأغاني ٤/٢٠٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.

(٦) في الأصل والظهرة. وعرق الظبية: بين مكة والمدينة.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، الأغاني ٤/٢٠٣.

النبي ﷺ، قال عمر بن الخطاب: [دعني] أنزع ثيَّتيه يا رسول الله، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، وكان سهيل أعلم الشفة السفلى^(١)، فقال رسول الله، ﷺ: دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه، فكان مقامه ذلك عند موت النبي، ﷺ، وسنذكره عند خبر الرِّدة إن شاء الله.

ولما قديم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة، زوج النبي، ﷺ: اعطيتم^(٢) بأيديكم كما تفعل النساء، ألا متَّم كراماً! فسمع رسول الله، ﷺ، قولها فقال لها: يا سودة أعلَى الله وعلى رسوله [تحرّضين]! فقالت: يا رسول الله ما ملكت نفسي حين رأيته أن قلت ما قلت^(٣).

وقال رسول الله، ﷺ: «استوصوا بالأسرى خيراً»^(٤). وكان أحدهم يؤثر أسيرَه بطعامه^(٥).

فكان أول من قديم مكة بمصاب قريش: الحِثُمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة، وشيبة، وأبو الحكم، ونُبَيْه، ومنبّه ابنا الحجاج، وعدّد أشراف قريش. فقال صفوان بن أمية: والله إن يعقل فأسأله عني. فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، وقد رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا^(٦).

ومات أبو لهب، بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة^(٧) أيام، وناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيشمت محمد وأصحابه، ولا تبعثوا في فداء أسراكم لا يشتطّ عليكم محمد. وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعقيل، والحارث، وكان يحب أن يبكي على بيته. فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه، وقد ذهب بصره: انظر هل أحلّ البكاء لعلي أبكي على زمعة، فإن جوفي قد احترق. فرجع إليه وقال له: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته، فقال:

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ^(٨) لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٩)

(١) الأعلام: المشقوق الشفة العليا.

(٢) في إحدى النسخ «لأعيتهم».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، الأغاني ٤/٢٠٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري ٢/٤٦٠.

(٥) السيرة ٢/٢٨٧، الطبري ٢/٤٦١.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٨، الطبري ٢/٤٦١.

(٧) في النسخة (ب): «بسبعة».

(٨) في الأغاني ٤/٢٠٩ «أضلّ».

(٩) هذا البيت والذي بعده، والبيت الأخير في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٢/٣٤٠، ٣٤١.

على بدرٍ تقاصرتِ الجدود^(١)
ومخزومٍ ورهط أبي الوليد^(٢)
وبكّي حارثاً أسد الأسود
فما لأبي حكيمة من نديد
ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا^(٣)

ولا تبكي على بكر^(١) ولكن
على بدرٍ سراة بني هضيص^(٢)
وبكّي^(٣) إن بكيت على عقيل
وبكيتهم^(٤) ولا تسمي^(٥) جميعاً
ألا قد ساد بعدهم أناس^(٦)

يعني أبا سفيان .

ثم إن قريشاً أرسلت في فداء الأسارى، فأول من فدى أبو وداعة السهمي، فداه ابنه المطلب، وفدى العباس نفسه، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم، أمره رسول الله، ﷺ، بذلك فقال: لا مال لي. فقال له رسول الله، ﷺ: «أين المال الذي وضعته عند أم الفضل، وقلت لها إن أصبت للفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولعبيد الله كذا؟» قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيبي وغيرها، وإنّي لأعلم أنك رسول الله! وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وكان قد اخذ^(١) مع العباس عشرون أوقية من ذهب، فقال: احسبها^(٢) في فدائي. فقال النبي، ﷺ: «لا، ذاك شيء أعطانا الله، عز وجل».

وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان، أسره عليّ، فقبل لأبيه: أفد عمراً. فقال: لا أجمع عليّ دمي ومالي، يُقتل ابني حنظلة وأفدي عمراً! فتركه ولم يفكه. ثم إن سعد ابن النعمان الأنصاري خرج إلى مكة معتمراً، فأخذه أبو سفيان، وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر. فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمراً ابنه، وقال:

= وفي الأغاني ٢٠٩/٤ :

ويمنعها البكاء من الهجود

- (١) البكر: الفتى من الإبل.
- (٢) تقاصرت الجدود: أي تواضعت الحظوظ.
- (٣) في الطبعة الأوربية «هضيص».
- (٤) في الأصل «عظامهم همود».
- (٥) في الطبعة الأوربية «وأبكي».
- (٦) في الطبعة الأوربية «وبكيتهم».
- (٧) تسمي: بالتخفيف، «تسامي».
- (٨) في السيرة والطبري والأغاني «رجال».
- (٩) قال ابن هشام: هذا إقواء. (٢/٢٩٠، الطبري ٢/٤٦٤، الأغاني ٢٠٩/٤).
- (١٠) في النسخة (ب): «وجد».
- (١١) في الطبعة الأوربية «أحبسها».

أَرْهَطَ ابْنُ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ^(١) لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو لِنَّامٍ أَذْلَةٌ لَنْ لَمْ يَفْكُوا عَنْ أُسِيرِهِمُ الْكَبَلَا^(٢)

فمضى بنو عمرو بن عوف إلى النبي، ﷺ، فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان، ففادوا به سعداً^(٣).

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله، ﷺ، وكان من أكثر رجال مكة مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمة هالة بنت خويلد أخت خديجة زوجة رسول الله، ﷺ، فسألته أن يزوجه زينب، ففعل قبل أن يوحى إليه، فلما أوحى إليه آمنت به زينب، وكان رسول الله، ﷺ، مغلوباً بمكة لم يقدر أن يفرق بينهما، فلما خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فاسر، فلما بعثت قريش في فداء الأسارى، بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها، كانت خديجة أدخلتها معها، فلما رآها رسول الله، ﷺ، رَقَّ لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا. فأطلقوا لها أسيرها وردّوا القلادة^(٤).

وأخذ رسول الله، ﷺ، عليه أن يُرسل زينب إليه بالمدينة، وسار إلى مكة، وأرسل رسول الله، ﷺ، زيد بن حارثة مولاه، ورجلاً من الأنصار ليصحبها زينب من مكة، فلما قَدِمَ أبو العاص أمرها باللاحاق بالنبي، ﷺ، فتجهّزت سراً، وأركبها كنانة بن الربيع، أخو أبي العاص، بغيراً وأخذ قوسه وخرج بها نهاراً. فسمعت بها قريش فخرجوا في طلبها، فلحقوها بذئ طوى، وكانت حاملاً فطرحت حملها لما رجعت لخوفها، ونثر كنانة أسهمه، ثم قال: والله لا يدنو مني أحد إلا وضعت فيه سهماً! فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجت بها علانية فيظنّ الناس أن ذلك عن ذلّ وضعف منا، ولعمري ما لنا في حبسها حاجة، فارجع بالمرأة ليتحدّث الناس أننا رددناها. ثم أخرجها ليلاً وسلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدم بها على رسول الله، ﷺ، فأقامت عنده^(٥).

فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بأمواله وأموال رجال من قريش، فلما عاد لقيته سرية لرسول الله، ﷺ، فأخذوا ما معه وهرب منهم، فلما كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب، فلما كان الصبح خرج رسول الله، ﷺ، إلى الصلاة

(١) في الطبعة الأوربية «تفاقدتم».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٣، تاريخ الطبري ٢/٤٦٧، أنساب الأشراف ١/٣٠١، عيون الأثر ١/٢٦٨.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ الطبري ٢/٤٦٨.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٦، تاريخ الطبري ٢/٤٧٠.

فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسَ، فنادت زينب من صُفَّة^(١) النساءِ: أيُّها الناس إنِّي قد أجرت أبا العاص. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء من ذلك، وإنَّه ليُجِير على المسلمين أدناهم. وقال لزينب: لا يَخْلُصُ إليك فلا يحلُّ لك. وقال للسرية الذين أصابوه: إن رأيتم أن تردُّوا عليه الذي له فإننا نحبُّ ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، وأنتم أحقُّ به. قالوا: يا رسول الله بل نردّه عليه. فردّوا عليه ماله كلّهُ حتى الشُّظَاظ^(٢)، ثمَّ عاد إلى مكّة فردّ على الناس مالههم وقال لهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده، إلّا تخوُّف أن تظنّوا [أنِّي] إنّما أردتُ أكل أموالكم. ثمَّ خرج فقدم على النبي ﷺ، فردّ عليه أهله بالنكاح الأوّل، وقيل بنكاح جديد^(٣).

وجلس عُمر بن وهب الجُمَحِيّ مع صفوان بن أميّة بعد بدر، وكان شيطاناً ممّن كان يؤذي النبي وأصحابه، وكان ابن وهب في الأسارى، فقال صفوان: لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر. فقال عُمر: صدقت ولولا ذنبي عليّ وعيالي أخشي ضيعتهم لركبت إلى محمّد حتى أقتله. فقال صفوان: ذنبك عليّ وعيالك مع عيالي أسوتهم. فسار إلى المدينة فقدمها، فأمر النبي ﷺ، عمر بن الخطاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه، وقال لرجال معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ، واحذروا هذا الخبيث. فلمّا رآه رسول الله ﷺ، قال لعمر: اتركه، ثمَّ قال: ادنُ يا عُمر، ما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير. قال: اصدّقني. قال: ما جئت إلّا لذلك. قال: بل قعدت أنت وصفوان، وجرى بينكما كذا وكذا. فقال عُمر: أشهد أنّك رسول الله، هذا الأمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «فَقُهِوا أحكام في دينه، وعَلِّمُوهُ القرآن، وأطْلِقُوا له أسيره»؛ ففعلوا. فقال: يا رسول الله كنتُ شديد الأذى للمسلمين، فأحبّ أن تأذن لي فأقدم مكّة فأدعو إلى الله، وأؤذي الكفّار في دينهم، كما كنتُ أؤذي أصحابك. فأذن له، فكان صفوان يقول: أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر.

فلَمّا قدِم عُمر أقام بها يدعو إلى الله، فأسلم معه ناس كثير، وكان يؤذي من خالفه^(٤).

(١) الصُّفَّة: السقيفة.

(٢) في الطبعة الأوروبية «الشطاط»، والشُّظَاظ: خشبة عققاء تدخل في عروة الجوالق، والجمع أشظة.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٩، ٣٠٠ تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، ٤٧٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٣٠٢ - ٣٠٤، تاريخ الطبري ٢/٤٧٣، ٤٧٤، أنساب الأشراف ١/٣٠٤، ٣٠٥، البدء والتاريخ ٤/١٩٣، ١٩٤، أسد الغابة ٤/١٤٨ - ١٥٠.

وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان رسول الله، ﷺ، يشاور أبا بكر، وعمر، وعلياً، في الأسارى، فأشار أبو بكر بالفداء، وأشار عمر بالقتل، فقال رسول الله، ﷺ، إلى القتل^(١)، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)؛ وكان الأسرى سبعين، فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أحد سبعون، وكسرت رباعية رسول الله، وهُشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وانهزم أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾^(٣).

وكان جميع مَنْ قُتِلَ من المسلمين بيد أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار^(٤).

ورد رسول الله، ﷺ، جماعةً استصغروهم، منهم: عبد الله بن عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأسيد بن حضير^(٥).

وضرب رسول الله، ﷺ، لثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يحضروا الواقعة، منهم: عثمان بن عفان، كان رسول الله، ﷺ، خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله، ﷺ، لمرضها، وطلحة بن عبید الله، وسعيد بن زيد، كان أرسلهما يتجسسان خبر العير، وأبو لبابة، خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي، خلفه على العالية، والحارث بن حاطب، رده إلى بني عمرو بن عوف، لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الضمة، كسر بالروحاء، وخوات بن جبير، كسر في بدر أسفل سيفه ذي الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل كان للعاص بن منبه، قتله علي صبراً، وأخذ سيفه ذا الفقار، فكان للنبي، ﷺ، فوهبه لعلي^(٦).

(رخصة: بفتح الراء المهملة، والحاء المهملة، والضاد المعجمة. والجبار: بضم الجاء المهملة، والباء الموحدة. وأسيد بن حضير: بضم الهمزة، والضاد المعجمة. وخديج: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدال المهملة).

(١) في النسخة (ب): «الفداء».

(٢) سورة الأنفال - الآيتان ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٦٥. والخبر في تاريخ الطبري ٤٧٥/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤٧٧/٢.

(٥) في تاريخ الطبري ٤٧٧/٢ «ظهير».

(٦) تاريخ الطبري، ٤٧٨/٢.

ذكر غزوة بني القينقاع^(١)

لما عاد رسول الله، ﷺ، من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً. فلما بلغه حسدُهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل. فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة^(٢).

فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع، فجلست عند صائغ لأجل حُلِيِّ لها^(٣)، فجاء رجل منهم فخل^(٤) درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، ونبذوا العهد إلى رسول الله، ﷺ، وتحصنوا في حصونهم، فغزاهم رسول الله، ﷺ، وحاصروهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فكُتِفُوا، وهو يريد قتلهم، وكانوا حلفاء الخزرج، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فكلّمه فيهم، فلم يُجِبْه، فأدخل يده في جيب رسول الله، ﷺ، فغضب رسول الله وقال: «ويحك أرسلني». فقال: لا أرسلك حتى تُحسن إلى موالي، أربعمائة حاسر، وثمانمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، [تحصدهم في غداة واحدة]، وإني والله لأخشى الدوائر. فقال النبي، ﷺ: «هم لك، خلّوهم، لعنهم الله، ولعنه معهم»^(٥).

وغنم رسول الله، ﷺ، والمسلمون ما كان لهم من مال، ولم يكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغّة، وكان الذي أخرجهم عبادة بن الصّامت الأنصاري، فبلغ بهم ذباب^(٦)، ثم ساروا إلى أذرعات^(٧) من أرض الشام، فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتى هلكوا^(٨).

(١) سيرة ابن هشام ٩/٣، تاريخ الطبري ٤٧٩/٢، المغازي للواقدي ١٧٦/١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨/٢، أنساب الأشراف ٣٠٨/١، تاريخ خليفة ٦٦، عيون الأثر ٢٩٤/١، عيون التواريخ ١٤٠/١، البداية والنهاية ٣/٤، سيرة ابن كثير ٥/٣، تاريخ الخميس ٤٥٩/١، البدء والتاريخ ١٩٥/٤، نهاية الأرب ٦٧/١٧ - ٧٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، المحبر ١١٢، تاريخ خليفة ٦٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٩/٣، تاريخ الطبري ٤٧٩/٢.

(٣) في سيرة ابن هشام «ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع».

(٤) في إحدى النسخ «فخل»، وكذا في أنساب الأشراف ٣٠٩/١.

(٥) سيرة ابن هشام ١٠/٣، أنساب الأشراف ٣٠٩/١، المغازي للواقدي ١٧٧/١، ١٧٨، الطبقات الكبرى ٢٩/٢.

(٦) ذباب ذكره الحازمي بكسر أوله، وقال: جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار. (معجم البلدان ٣/٣).

(٧) أذرعات: بالفتح، ثم السكون، وكسر الراء، بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان. (معجم البلدان ١٣٠/١).

(٨) الخبر في أنساب الأشراف ٣٠٩/١، وتاريخ الطبري ٤٨١/٢.

وكان قد استخلف على المدينة أبا لُبابة^(١)، وكان لواء رسول الله، ﷺ، مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسة، وكان أول خمس أخذه رسول الله، ﷺ، وحضر الأضحى، وخرج إلى المصلّى، فصلّى بالمسلمين، وهي أول صلاة عيد صلاحها، وضحى فيه رسول الله، ﷺ، بشاتين، وقيل بشاة، وكان أول أضحى رآه المسلمون، وضحى معه ذوو اليسار^(٢).

وكانت الغزاة في شوال بعد بدر، وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث، وجعلها بعضهم^(٣) بعد غزوة الكُدر^(٤).

(ذباب: بكسر الدال المعجمة، وبائين موحدتين).

ذكر غزوة الكُدر^(٥)

قال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة اثنتين^(٦).

وقال الواقدي: كانت في المحرم سنة ثلاث^(٧).

وكان قد بلغ النبي، ﷺ، اجتماع بني سليم على ماء لهم يقال له الكُدر، فسار رسول الله، ﷺ، إلى الكُدر فلم يلقَ كيداً، وكان لواءه مع علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وعاد ومعه النعم والرعاء، وكان قدومه، في قول، لعشر ليالٍ مضيّين من شوال. وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان، فقتلوا فيهم وغنموا النعم، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر وعادوا متصفاً شوال^(٨).

(الكُدر: بضم الكاف، وسكون الدال المهملة).

(١) هو أبو لُبابة بن عبد المنذر. (أنساب الأشراف ٣٠٩/١) و(تاريخ الطبري).

(٢) تاريخ الطبري ٤٨١/٢.

(٣) في النسخة (ب): «ابن إسحاق».

(٤) الطبري ٤٨٢/٢، ٤٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٥/٣، الطبقات الكبرى ٣١/٢، المغازي للواقدي ١٨٢/١، أنساب الأشراف ٣١٠/١ رقم

٦٧٩، عيون الأثر ٢٩٧/١، تاريخ الطبري ٤٨٢/٢، تاريخ الخميس ٤٥٩/١، عيون التواريخ ١٤٢/١،

تاريخ خليفة ٥٨، البدء والتاريخ ١٩٦/٤، المحرر ١١١، نهاية الأرب ٧١/١٧، ٧٢.

(٦) المغازي للواقدي ١٨٢/١.

(٧) تاريخ الطبري ٤٨٢/٢، ٤٨٣.

(٨) تاريخ الطبري ٤٨٢/٢.

ذكر غزوة السويق^(١)

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر، أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه، حتى جاء المدينة ليلاً، واجتمع بسلام بن مشكم سيد النصير، فعلم منه خبر الناس، ثم خرج في ليلته، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا العريض^(٢)، فحرّقوا في نخلها، وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له، واسم الأنصاري معبد بن عمرو، وعادوا ورأى أن قد برّ في يمينه، وجاء الصريخ، فركب رسول الله، ﷺ، وأصحابه فأعجزهم.

وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق^(٣) يتخفّفون منها [للنّجاة]، وكان ذلك عامّة زادهم، فلذلك سُميت غزوة السويق^(٤).

ولما رجع رسول الله، ﷺ، والمسلمون قالوا: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم. وقال أبو سفيان بمكة، وهو يتجهز:

كُرُوا عَلَى يَثْرِبٍ وَجَمِعِهِمْ فَإِنْ مَا جَمَعُوا لَكُمْ^(٥) نَفْلٌ
إِنْ يَكْ يَوْمَ الْقَلِيبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنْ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دُولٌ
أَلَيْتَ لَا أَقْرَبَ النِّسَاءَ وَلَا يَمَسُّ رَأْسِي وَجِلْدِي الْغُسْلُ
حَتَّى تُبَيِّرُوا قَبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ، إِنَّ الْفُؤَادَ يَشْتَعِلُ^(٦)

فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يَا لَهْفَ^(٧) أُمِّ الْمُسَبِّحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ الْفَيْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرُّجَالَ مِنْ سَيْمِ الطَّيِّ رَ تَرْقَى^(٨) لِقْنَةِ^(٩) الْجَبَلِ^(١٠)

(١) المغازي للواقدي ١/١٨١، سيرة ابن هشام ٣/٦، تاريخ الطبري ٢/٤٨٣، الطبقات الكبرى ٢/٣٠، عيون الأثر ١/٢٩٦، أنساب الأشراف ١/٣١٠ رقم ٦٧٨، المغازي لعروة ١٦١، الدرر لابن عبد البر ١٤٧، عيون التواريخ ١/١٤٢، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٣، البدء والتاريخ ٤/١٩٦، تاريخ الخميس ١/٤٦١، تاريخ خليفة ٥٩، نهاية الأرب ١٧/٧٠، ٧١، المحبر ١١١.

(٢) تصغير عَرْض أو غُرْض. وهو وادي المدينة. (معجم البلدان ٤/١١٤).

(٣) في تاريخ الطبري «الدقيق».

(٤) الطبري ٢/٤٨٥ وأنظر المغازي لعروة ١٦١، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «وكل».

(٦) في تاريخ الطبري «مشتعل».

(٧) في تاريخ الطبري «تَلَهَفَ».

(٨) في النسخة (ت): «ورمى».

(٩) في الأصل «لقنة».

(١٠) في النسخة (ب): «الحمل». وفي الطبعة الأوربية:

جاؤوا بجمعٍ لو قيسٍ مبركُهُ^(١) ما كانَ إلَّا كَمَفْحَصِ الدُّيْلِ^(٢)
عارٍ من النصرِ والثراءِ^(٣) ومن أبطالِ أهلِ البطحاءِ والأسلِ

وفي ذي الحجة منها مات عثمان بن مظعون، فدفن بالقيع، وجعل رسول الله، ﷺ، على رأس القبر حجراً علامةً لقبره^(٤).

وقيل: إن الحسن بن عليٍّ وُلد فيها^(٥).

وقيل: إن عليَّ بن أبي طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهراً، فإن كان هذا صحيحاً فالأول باطل^(٦).

وفي هذه السنة كتب المعاقلة وقربه^(٧) بسيفه^(٨).

(سَلَام: بتشديد اللام. ومَشَكَم: بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة، وفتح الكاف. والعُرِيض: بضم العين المهملة، وفتح الراء، وآخره ضاد معجمة: وإِد بالمدينة).

= إذ يطرحون الرجال من شيمٍ الطير ويرقى لقيه الجبل

(١) في الطبعة الأوربية «مبركة».

(٢) في الطبعة الأوربية «الدُّول». والبيت في لسان العرب، مادة (دأل):

جاءوا بجيشٍ لو قيسٍ مُعَرَّسُهُ ما كانَ إلَّا كَمُعَرَّسِ الدُّيْلِ

(٣) في الأصل «الثرى».

(٤) تاريخ الطبري ٤٨٥/٢، تاريخ خليفة ٦٥.

(٥) الطبري ٤٨٥/٢، وفي تاريخ خليفة ٦٦ وُلد في سنة ثلاث.

(٦) الطبري ٤٨٥/٢، ٤٨٦، وأنظر البدء والتاريخ ١٩٦/٤ وتاريخ خليفة ٦٥.

(٧) في الأصل «وفرته»، وفي نسخة «قرية».

(٨) هذه العبارة محرفة، وقد جاءت في تاريخ الطبري: «في هذه السنة كتب رسول الله، ﷺ، المعاقِلَ، فكان

معلقاً بسيفه».

والمعاقل، جمع منقُلة: الدية. ولعله أراد أن كتاب الديات كان معلقاً بسيفه.

ودخلت السنة الثالثة من الهجرة

في المحرم سنة ثلاث سمع رسول الله ﷺ، أن جمعاً من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وبني مُحارب بن حفص، تجمعوا ليصيبوا من المسلمين، فسار إليهم في أربعمئة وخمسين رجلاً، فلما صار بذي القصة^(١) لقي رجلاً من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وأخبره أن المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال، فعاد ولم يلق كيداً، وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة^(٢).

وفيها، في جمادى الأولى، غزا بني سُليم ببحران، وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بني سُليم تجمعوا ببحران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فسار إليهم في ثلاثمئة، فلما بلغ ببحران وجدهم قد تفرقوا، فانصرف ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليالٍ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم^(٣).

(القصة: بفتح القاف، والصاد المهملة. وبِحَران: بالباء الموحدة، والحاء المهملة الساكنة).

ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي^(٤)

وفي هذه السنة قُتل كعب بن الأشرف، وهو أحد بني نَبهان من طيء، وكانت أمه

(١) في الأصل «طوى». وذو القصة: بفتح القاف وتشديد الصاد. موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً. وهو طريق الرُبْدَة. قال نصر: وإلى هذا الموضع بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بن سعد. (معجم البلدان ٤/٣٦٦).

(٢) أنظر المغازي للواقدي ١/١٩٤، عيون التواريخ ١/١٤٧، ١٤٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٨/٣، تاريخ الطبري ٢/٤٨٧، المغازي للواقدي ١/١٩٦، تاريخ خليفة ٦٥، ٦٦، الطبقات الكبرى ٢/٣٥٣، عيون التواريخ ١/١٤٨، أنساب الأشراف ١/٣١١ رقم ٦٨١، نهاية الأرب ١٧/٧٩، المحبر ١١٢، سيرة ابن كثير ٤/٣، ٥، عيون الأثر ١/٣٠٤، عيون التواريخ ١/١٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٨٧، البدء والتاريخ ٤/١٩٧، المغازي لعروة ١٦٢، سيرة ابن هشام ٣/١٢ - ١٩، =

من بني النضير، وكان قد كُبر عليه قتل مَنْ قُتل ببدر من قريش، فسار إلى مكة وحرّض على رسول الله، ﷺ، وبكى أصحاب بدر، وكان يشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله، ﷺ: «مَنْ لي من ابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك به، أنا أقتله. قال: «فافعل إن قدرت على ذلك». قال: يا رسول الله لا بدّ لنا ما نقول. قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حلّ من ذلك».

فاجتمع محمد بن مسلمة، وسيلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة، والحرث ابن أوس بن معاذ، وكان أخا كعب من الرضاة، وعبد بن بشر، وأبو عبس بن جبر^(١)، ثم قدّموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة، فتحدّث معه ثم قال له: يا ابن الأشرف إني قد جئتُك لحاجة فاكتمها عليّ. قال: أفعل. قال: كان قدوم هذا الرجل شؤماً على العرب، قطع عنا السبيل حتى ضاعت العيال، وجهدت البهائم. فقال كعب: قد كنت أخبرتك بهذا. قال أبو نائلة: وأريد أن تبيعنا طعاماً، ونرهنك، ونوثق لك، وتُحسن في ذلك. قال: ترهونوني أبناءكم؟ قال: أردت أن تفضحننا، إنّ معي أصحابي على مثل رأيي، تبيعهم وتُحسن، ونجعل عندك رهناً من الحلقة^(٢) ما فيه وفاء، وأراد أبو نائلة بذكر الحلقة، وهي السلاح، أن لا يُنكر السلاح إذا جاء مع أصحابه. فقال: إنّ في الحلقة لوفاء.

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم، فأخذوا السلاح وساروا إليه، وشيّعهم النبي، ﷺ، إلى بقيع الغرقد، ودعا لهم. فلما انتهوا إلى حصن كعب، هتف به أبو نائلة، وكان كعب قريب عهد بعُرس، فوثب إليه، وتحدّثوا ساعة، وسار معهم إلى شعب العجوز^(٣). ثم إنّ أبا نائلة أخذ برأس كعب، وشمّ بيده وقال: ما رأيتُ كالليلة طيباً أعرف^(٤) قطّ. ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأنّ كعب، ثم مشى ساعة، وأخذ بفؤد رأسه، ثم قال: اضربوا عدوّ الله! فاختلف عليه أسيافهم، فلم تُغنِ شيئاً. قال محمد بن مسلمة: فذكرتُ مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلّا أوقدت عليه نار، قال: فوضعتُه في تُندوته، ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانته، ووقع عدوّ الله.

= المغازي للواقدي ١٨٤/١ وما بعدها، طبقات ابن سعد ٢١/٢ - ٢٣، عيون الأثر ٢٩٨/١، عيون التواريخ ١٤٨/١، سيرة ابن كثير ٩/٣ - ١٧، تاريخ الخميس ٤٦٤/١، أنساب الأشراف ٣٨٤/١، المجبر ١١٧، ٢٨٢، ٣٩٠، الأغاني (طبعة بولاق) ١٩/١٠٦، شرح السير الكبير ٢٧٠/١ - ٢٧٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ١٤٥/٣ - ١٤٧، شرح المواهب ١٥/٢، فتح الباري ٣٣٧/٧ - ٣٤٠.

(١) في الأصل «جزا»، وفي النسخة (ب): «جبير».

(٢) الحلقة: السلاح.

(٣) شعب العجوز: بظاهر المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٤٧).

(٤) في النسخة (ب): «عطر».

وقد أُصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ، أصابه بعض أسيافنا، قال: فخرجنا على بُعْث، وقد أبْطأ علينا صاحبنا، فوقفنا له ساعة، وقد نَزفه الدم، ثم أتاننا، فاحتملناه وجئنا به النبي، ﷺ، فأخبرناه بقتل عدو الله، وتَقَلَّ على جُرح صاحبنا، وعُدْنَا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود، ليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

قال: وقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ». فوثب مُحَيِّصَة ابن مسعود على ابن سُنَيْنَة اليهودي، وهو من تَجَار يهود، فقتله، وكان يبايعهم، فقال له أخوه حُوَيْصَة، وهو مشرك: يا عدو الله قتلته! أما والله لرب شحمٍ في بطنك من ماله! وضربه، فقال مُحَيِّصَة: لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لقتلتك. قال: فَوَالله إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حُوَيْصَة. فقال: إِنْ دِينَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى لَعَجَب. ثم أسلم^(١).

(عَبَسَ بن جَبْر: بفتح العين المهملة، وسكون الباء الموحدة. وجبر: بالجيم، والباء الموحدة. وسُنَيْنَة: تصغير سن).

وفي ربيع الأول منها تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي، ﷺ. وبنى بها في جُمَادَى الآخِرَةِ^(٢).

وفيهما وُلِدَ السائب بن يزيد^(٣) ابن أخت نُمَيْر^(٤).

وقال الواقدي: وفيها غزا رسول الله، ﷺ، غزوة أنمار يقال لها ذو أمر^(٥)، وقد ذكرنا قول ابن إسحاق قبل ذلك^(٦).

وفيهما كان غزوة القَرْدَة^(٧)، وكان أميرها زيد بن حارثة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً.

وكان من حديثها أن قريشاً خافت من طريقها التي كانت تسلك إلى الشام بعد بدر،

(١) سيرة ابن هشام ١٥/٣ - ١٧، تاريخ الطبري ٤٨٧/٢ - ٤٩١، عيون التواريخ ١٤٠/١ - ١٥٠، عيون الأثر ٢٩٨/١ - ٣٠١.

(٢) تاريخ خليفة ٦٦، تاريخ الطبري ٤٩١/٢، ٤٩٢، عيون التواريخ ١٥٠/١.

(٣) في طبعة صادر ١٤٥/٢ «زيد» وهو تحريف، والتصويب من تاريخ خليفة ٢٨٠، وتاريخ الطبري.

(٤) في إحدى النسخ «نمر». والخبر في تاريخ الطبري ٤٩٢/٢.

(٥) في طبعة صادر ١٤٥/٢ «دوام» وهو تحريف واضح.

(٦) تاريخ الطبري ٤٩٢/٢، عيون التواريخ ١/١.

(٧) قيل: قَرْدَة، بالفتح ثم السكون، وقيل: قَرْدَة، بالقاف. وقيل: القَرْدَة، بفتح القاف وكسر الراء، وقيل: القَرْدَة بكسر القاف وشكون الراء. (انظر معجم البلدان ٤/٢٤٨ و ٢٤٩ وانظر قول المؤلف في آخر الخبر أعلاه).

فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم جماعة، فيهم صفوان بن أمية، وأبوسفيان. وكان عظيم تجارتهم الفضة، وكان دليلهم فُرات بن حيان، من بكر بن وائل، فبعث رسول الله، ﷺ، زيداً، فلقبهم على ماء يقال له الفردة، فأصاب العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله، ﷺ، وكان الخمس عشرين ألفاً، وقسم الأربعة الأخماس على السوية، وأتي بفُرات بن حيان أسيراً فأسلم، فأطلقه رسول الله، ﷺ،^(١).

(الفردة: ماء بنجد، وقد اختلف العلماء في ضبطه، ف قيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة، وبه مات زيد الخيل، ويرد ذكره، وضبطه ابنُ الفرات في غير موضع قردة بالقاف، وقال ابن إسحاق: وسير زيد بن حارثة إلى الفردة، ماء من مياه نجد، ضبطه ابن الفرات أيضاً بفتح الفاء والراء، فإن كانا مكانين وإلا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ).

ذكر قتل أبي رافع^(٢)

في هذه السنة في جمادى الآخرة، قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله، ﷺ، فلما قتل كعب بن الأشرف، وكان قتلته من الأوس، قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله، ﷺ، وكانا يتصاولان^(٣) تصاول الفحلين، فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله، ﷺ، كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله، ﷺ، في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وخُزاعي بن الأسود حليف لهم، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك، فخرجوا حتى قديموا خيبر، فأتوا دار أبي رافع ليلاً، فلم يدعوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهله، وكان في عُلبة، فاستأذنوا عليه، فخرجت امرأته فقالت: مَنْ أنتم؟ قالوا: نفر من العرب يلتمسون الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فدخلوا. فلما دخلوا أغلقوا باب العلبة ووجدوه على فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها،

(١) المغازي للواقدي ١/١٩٧، ١٩٨، سيرة ابن هشام ٣/١١، تاريخ الطبري ٢/٤٩٢، ٤٩٣، الطبقات الكبرى ٢/٣٦، البدء والتاريخ ٤/١٩٨، عيون الأثر ١/٣٠٤ و ٣٠٥، عيون التواريخ ١/١٥١، نهاية الأرب ١٧/٨٠، سيرة ابن كثير ٣/٨، ٩، تاريخ الإسلام ١٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٩١، سيرة ابن هشام ٣/٢١٨، ٢٢٠، تاريخ الطبري ٢/٤٩٣ - ٤٩٩، عيون التواريخ ١/١٥١ - ١٥٣، أنساب الأشراف ١/٣٧٦ رقم ٧٧٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٤١.

(٣) يتصاولان: يتفاخران.

فيذكر^(١) نَهَى النَّبِيَّ ﷺ، إِيَّاهُمْ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَيَمْسُكُ^(٢) عَنْهَا، وَضَرْبَهُ بِأَسْيَافِهِمْ، وَتَحَامِلُ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ بَسِيفَهُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَنْفَذَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ.

وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر، فوقع من الدَّرَجَةِ فَوُثِنَتْ رِجْلُهُ وَثَأً شَدِيداً، فَاحْتَمَلُوهُ وَاخْتَفَوْا، وَطَلَبْتَهُمْ يَهُودٌ فِي كُلِّ وَجْهِ، فَلَمْ يَرَوْهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ؟ فَعَادَ بَعْضُهُمْ وَدَخَلَ فِي النَّاسِ، فَرَأَى النَّاسَ حَوْلَهُ وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ عَرَفْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ ابْنُ عَتِيكٍ؟ ثُمَّ صَاحَتْ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ: مَاتَ وَاللَّهِ. قَالَ: فَمَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَلَذَّ إِلَى نَفْسِي مِنْهَا. ثُمَّ عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، وَسَمِعَ صَوْتَ النَّاعِي يَقُولُ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَسَارُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَتْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ، فَجَاؤُوا بِهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ: هَذَا قَتْلُهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الْعِظَامِ^(٣).

وقيل في قتله: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيَّ، وَكَانَ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ غَرِبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسُرُجِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ لِأَصْحَابِهِ: أَقِيمْ مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي أَنْطَلِقُ وَأَتَلَطَّفُ لِلْبَوَابِ، لَعَلِّي أَدْخُلُ. فَاَنْطَلَقَ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ، فَتَقَنَّنَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَابُ: إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَعَلَقَ الْمِفْتَاحَ عَلَى وَتْدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ بِهَا الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَسْمُرُ عِنْدَهُ فِي عِلَالِيٍّ لَهُ. فَلَمَّا أَرَادَ النَّوْمَ ذَهَبَ عَنْهُ السَّمَارُ فَصَعِدَتْ إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا فَتَحَتْ بَاباً أَغْلَقَتْهُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، وَقُلْتُ: إِنْ عَلِمُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ. قَالَ: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مَظْلَمٍ، وَسَطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيُّ هُوَ. فَقُلْتُ: أَبَا رَافِعٍ! قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ، فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهْشُ، فَمَا أَغْنَى عَنِّي شَيْئاً وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ؟ قَالَ: لِأَمَكِ الْوَيْلُ! إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ. قَالَ: فَضَرَبْتُهُ فَأَخَذْتُهُ، فَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ حِدَّ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ وَأَخْرُجُ، حَتَّى

(١) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِبِيَّةِ «فَذَكَرَ».

(٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِبِيَّةِ «فَمَسَكُوا».

(٣) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِبِيَّةِ «الْعِظَامُ» وَكَذَلِكَ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢٢٠/٣، وَالْمُثَبَّتُ مَعَ الطَّبْرِ ٤٩٧/٢.

انتهيتُ إلى درجة، فوضعتُ رجلي وأنا أظنُّ أنني انتهيتُ إلى الأرض، فوقعتُ في ليلة مقمرة، وانكسرت ساقِي، فعصبتها بعمامي، وجلسْتُ عند الباب فقلتُ: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعي فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقتُ إلى أصحابي فقلتُ: النجاء! قد قتل الله أبا رافع، فانتهيتُ إلى النبي، ﷺ، فحدثته. فقال: ابسطُ رجلَكَ. فبسطتها، فمسحها، فكأنني لم أشتكها قط^(١).

قيل: كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة أربع من الهجرة، والله أعلم.
(سَلَام: بتشديد اللام. وَحُقِيق: بضمّ الحاء المهملة، وفتح القاف الأولى، تصغير حُقْ).

وفيهما تزوّج رسول الله، ﷺ، حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان^(٢)، وكانت قبله تحت خُنيس (بضمّ الخاء المعجمة، وبالنون المفتوحة، وبالياء المعجمة باثنتين من تحت، وبالسین المهملة) وهو ابن حُذافة السهمي، فتوفي فيها.

ذكر غزوة أُحُد^(٣)

وفيهما في شَوّال لسبع ليالٍ خلون منه كانت وقعة أُحُد، وقيل للنصف منه، وكان الذي هاجها وقعة بدر، فإنه لما أصيب من المشركين مَنْ أصيب ببدر، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم ممّن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم بها، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة، وسألوهم أن يُعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله، ﷺ، ليدركوا ثأرهم منهم، ففعلوا.

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤٩٣/٢ - ٤٩٥.

(٢) تاريخ خليفة ٦٦، تاريخ الطبري ٤٩٩/٢، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٣٣٨/١، عيون التواريخ ١٥٣/١.

(٣) تاريخ خليفة ٦٧ - ٧٣، المغازي لعروة ١٦٨، سيرة ابن هشام ٢٣/٣ - ٦٤، المغازي للواقدي ١٩٩/١ - ٣٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٥٣ وما بعدها، تاريخ الطبري ٤٩٩/٢ - ٥٣٣، عيون الأثر ٢/٢، جوامع السيرة لابن حزم ١٥٦، دلائل النبوة للبيهقي ٤٠/٧ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٣٦/٢ - ٤٨، أنساب الأشراف ٣١١/١ - ٣٣٥، عيون التواريخ ١٥٣/١ - ١٦٧، البدء والتاريخ ١٩٨/٤، نهاية الأرب ٨١/١٧ - ١٢٦، سيرة ابن كثير ١٨/٣ - ١١٧، المعرفة والتاريخ ٢٥٧/٣، ٢٥٨، السير والمغازي ٣٢٢ - ٣٣٥، تاريخ يعقوبي ٤٧/٢، ٤٨، البداية والنهاية ٩/٤ - ٦١، المعارف ١٥٨ - ١٦١، تاريخ الخميس ٤٧١/١ - ٥٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٦٥ - ١٩٩، المغازي للزهري ٧٦ - ٧٨.

وتجهّز الناس، وأرسلوا أربعة نفر، وهم: عمرو بن العاص، وهُبيرة بن أبي وهب، وابن الزُبَيْر، وأبو عَزّة الجُمَحِيّ، فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحايشها، ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وِتهامة، ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلامه وَحْشِيّ بن حرب، وكان حَشِيّاً يَقْذِفُ بِالْحَرْبَةِ قُلَّ مَا يُخْطِئُ، فقال له: اخرج مع الناس، فَإِنْ قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدَ بَعْمِي طُعَيْمَةَ بن عَدِي فَأَنْتَ عَتِيقٌ.

وخرجوا معهم بِالظُّعْنِ لثَلَا يَفْرَوُا، وكان أبو سفيان قائد الناس، فخرج بزوجه هند بنت عُتْبَةَ، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم. خرج عِكْرَمَةُ بن أبي جهل بزوجه أُمّ حَكِيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن المُغيرة بفاطمة بن الوليد بن المُغيرة أخت خالد.

وخرج صفوان بن أميّة ببيرة^(١)، وقيل بَرَزَةَ بنت مسعود الثقفيّة أخت عُروَةَ بن مسعود، وهي أُمّ ابنه عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بِرِيطَةَ بنت منبّه بن الحجاج، وهي أُمّ ولده عُبَيْد^(٢) الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسُلافة بنت سعد، وهي أُمّ بنيه مُسافِع، والجُلّاس، وكِلاب، وغيرهم^(٣).

وكان مع النساء الدفوف يبيكين على قتلى بدر يحرّضن^(٤) بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري، وكان خرج إلى مكّة مباعداً لرسول الله، ﷺ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس، وقيل كانوا خمسة عشر، وكان يَعِدُ قريشاً أَنَّهُ لَوْ لَقِيَ مُحَمَّدًا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنَ الْأَوْسِ رَجُلَانِ. فَلَمَّا التَقَى النَّاسَ بِأَحَدٍ كَانَ أَبُو عَامِرٍ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ فِي الْأَحْيَاشِ وَعَبْدَانِ أَهْلَ مَكَّةَ، فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنَا أَبُو عَامِرٍ. فَقَالُوا: فَلَا أَنْعِمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ! فقال: لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى رَاضَخَهُمُ بِالْحِجَارَةِ. وَكَانَتْ هِنْدُ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا قَالَتْ لَهُ^(٥): يَا أَبَا دُسْمَةَ اشْفِ وَاسْتَشْفِ^(٦)، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا دُسْمَةَ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِيْطْنِ السُّبْحَةِ، مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ بَقْرًا فَأَوَّلْتُهَا خَيْرًا،

(١) في تاريخ الطبري ٥٠١/٢ «بِرَزَّة» قال أبو جعفر: وقيل بيرة.

(٢) في تاريخ الطبري «عبد».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٥٠٠/٢، ٥٠١، والأغاني ١٨١/١٥.

(٤) في النسخة (ب): «وينحن عليهم فعرض».

(٥) لعل كلمة «له» محرفة عن «إيه» في تاريخ الطبري، و«وبها» في سيرة ابن هشام.

(٦) في تاريخ الطبري ٥٠٢/٢، الأغاني ١٨٢/١٥.

ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلَمًا، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درع حصينة، فأولتُها المدينة، فإن رأيتُم أن تقيموا بالمدينة وتَدْعوهم، فإن أقاموا أقاموا بشر [مُقام]، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

وكان رأيُ عبد الله بن أبي بن سلُول مع رأي رسول الله، ﷺ، يكره الخروج، وأشار بالخروج، وأشار بالخروج جماعة ممَّن استشهد يومئذٍ^(١).

وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وخرج رسول الله، ﷺ، حين صلَّى الجمعة، فالتقوا يوم السبت نصف شَوَّال. فلَمَّا لبس رسول الله، ﷺ، سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا: استكرهنا رسول الله، ﷺ، ونشير عليه، فالوحي يأتيه فيه، فاعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما شئت. فقال: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل»^(٢).

فخرج في ألف رجل، واستخلف على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم، فلَمَّا كان بين المدينة وأحد، عاد عبد الله بن أبي بثلث الناس، فقال: أطاعهم وعصاني، وكان من تبعه أهلُ التفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة، يذكرهم الله أن لا يخذلوا نبيهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، وانصرفوا. فقال: أبعدكم الله أعداء الله! فسيغني الله عنكم^(٣).

وبقي رسول الله، ﷺ، في سبعمائة، فسار في حرّة بني حارثة وبين أموالهم، فمرَّ بمال رجل من المنافقين، يقال له مَرْبَع بن قَيْظي^(٤)، وكان ضرير البصر، فلَمَّا سمع حسَّ رسول الله، ﷺ، ومَن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله، ﷺ، فأني لا أحلّ لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنة من تراب في يده وقال: لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربتُ به وجهك. فابتدروا ليقتلوه، فقال النبي، ﷺ: لا تفعلوا، فهذا الأعمى أعمى البصر والقلب. فضربه سعد بن زيد بقوس فشجّه^(٥).

وذَبَّ فرس بذنبه فأصاب كَلَاب سيف صاحبه، فاستلّه، فقال له رسول الله، ﷺ:

-
- (١) السيرة ٢٦/٣، ٢٧، الطبري ٥٠٢/٢، الأغاني ١٨٢/١٥.
 (٢) السير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٤، سيرة ابن هشام ٢٧/٣، تاريخ الطبري ٥٠٣/٢، الطبقات الكبرى ٣٨/٢، المغازي لعروة ١٦٨، ١٦٩.
 (٣) الطبري ٥٠٤/٢، سيرة ابن هشام ٢٧/٣، الأغاني ١٨٣/١٥.
 (٤) في الأصل «قنطي» وفي النسخة (ب): «قنطي».
 (٥) سيرة ابن هشام ٢٨/٣، الأغاني ١٨٥/١٥.

«سيوفكم»^(١)، فَإِنِّي أَرَى السَّيْفَ سَتَّسَلَّ^(٢) الْيَوْمَ».

وسار رسول الله، ﷺ، حتى نزل بعدوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد^(٣).

وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع، والخيـل مائتي فرس، والظُّعَن خمس عشرة امرأة، وكان المسلمون مائة دارع، ولم يكن من الخيـل غير فرسين، فرس لرسول الله، ﷺ، وفرس لأبي بُرْدَة بن نيار. وعرض رسول الله، ﷺ، المقاتلة، فردَّ زيد ابن ثابت، وابن عمر، وأسيد بن سُضَيْر، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس، وأبا سعيد الخُدْرِي، وغيرهم، وأجاز جابر بن سَمُرَة، ورافع بن خَدِيج^(٤).

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول: خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا، فننصرف عنكم، فلا حاجة بنا إلى قتالكم. فردّوا عليه بما يكره.

وتعبًا المشركون، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان: إنّما يؤتّى الناس من قبّل راياتهم، فإمّا أن تكفونا، وإمّا أن تخلّوا بيننا وبين اللّواء، يحرّضهم بذلك. فقالوا: ستعلم إذا التقينا كيف نصنع، وذلك أراد.

واستقبل رسول الله، ﷺ، المدينة وترك أُحُدًا خلف ظهره، وجعل وراءه الرّماة، وهم خمسون رجلاً، وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر، أخا خَوَات بن جُبَيْر، وقال له: انضخ عَنّا الخيـل بالنبل لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا. وظاهر رسول الله، ﷺ، بين درعين^(٥)، وأعطى اللّواء مُصْعَب بن عُمَيْر، وأمر الزّبير على الخيـل ومعه المقداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه.

وأقبل خالد وعكرمة، فلقِيهما الزّبير والمقداد فهزما المشركين، وحمل النبي، ﷺ، وأصحابه فهزموا أبا سفيان، وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمّد إنكم تزعمون أنّ الله يُعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويُعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحد منكم يُعجله سيفي إلى الجنّة، أو يُعجلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط وانكشفت عورته، فناشده الله [والرّجِم] فتركه، فكبر رسول الله، ﷺ، وقال لعليّ: ما منعك أن تُجهز عليه؟ قال: إنّهُ

(١) في السيرة ٢٨/٣ «وَسِمَ سَيْفُكَ»، وكذلك في تاريخ الطبري ٥٠٦/٢.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «فاسبله».

(٣) السيرة ٢٨/٣، تاريخ الطبري ٥٠٧/٢، السير والمغازي ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبري ٥٠٥/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٥٠٧/٢، الأغاني ١٨٦/١٥.

ناشدني الله والرَّجَمَ، فاستحييتُ منه^(١).

وكان بيد رسول الله، ﷺ، سيف، فقال: من يأخذه بحقه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دُجانة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به العدو حتى تُثخن. قال: أنا آخذه. فأعطاه إياه. وكان شجاعاً، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء علم الناس أنه يقاتل، فعصَّب رأسه بها وأخذ السيف، وجعل يتبختر بين الصفين. فقال رسول الله، ﷺ: «إنها مشية يُغضها الله إلا في هذا الموطن»^(٢)، فجعل لا يرتفع له شيء إلا حطمه حتى انتهى إلى نسوة^(٣) في سفح الجبل [معهن دفوف لهن]^(٤) فهن امرأة تقول:

نَحْنُ بناتُ طَارِقٍ نَمشي على النَّمَارِقِ^(٥)
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ ونَفْرُشُ النَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقُ فِرَاقٌ غَيْرِ وَاِمْتِقِ^(٦)

وتقول أيضاً:

إِيهَا^(٧) نبي عبد الدَّارِ إِيهََا^(٨) حُمَاةَ الدِّيَارِ
ضرباً بكلِّ بَتَّارٍ

فرفع السيف ليضربها، ثم أكرم سيف رسول الله، ﷺ، أن يضرب به امرأة. وكانت المرأة هند، والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن.

واقْتَتَلَ الناس قتالاً شديداً، وأمعن في الناس حمزة وعلي، وأبو دُجانة في رجالٍ من المسلمين، وأنزل الله نصره على المسلمين، وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النساء مصعدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم يهبون. فلما نظر بعض الرماة

(١) تاريخ الطبري ٥٠٩/٢، ٥١٠، الأغاني ١٨٨/١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٠/٣، الأغاني ١٨٩/١٥، المغازي للواقدي ٢٥٩/١.

(٣) في النسخة (ب): «ستورة».

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري.

(٥) في النسخة (ب): «الفارق».

(٦) أنظر تاريخ الطبري ٥١٠/٢ باختلاف. والطبقات الكبرى ٤٠/٢، وأنساب الأشراف ٣١٧/١، والسير والمغازي ٣٢٧، والمغازي للواقدي ٢٢٥/١، والأغاني ١٩١/١٥، وسيرة ابن هشام ٣١/٣، وثمار القلوب للشعالي ٩٧، والاستيعاب ٤٢٥/٤، والبدة والتاريخ ٢٠١/٤، ونهاية الأرب ٩٠/١٧، تاريخ الإسلام ١٧٢، البداية والنهاية ١٦/٤، سيرة ابن كثير ٣١/٣، أسد الغابة ٥٦٢/٥، عيون الأثر ٢٥/٢، عيون التواريخ ١٥٨/١، الروض الأنف ١٦١/٣.

(٧) في سيرة ابن هشام ٣١/٣ «ويها»، وفي المغازي للواقدي ٢٢٧/١ «ضرباً».

إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب، وثبتت طائفة وقالوا^(١): نطيع رسول الله ونثبت مكاننا، فأنزل الله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٢)؛ يعني أتباع أمر رسول الله، ﷺ.

قال ابن مسعود: وما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله، ﷺ، يريد الدنيا حتى نزلت الآية^(٣).

فلما فارق بعض الرماة مكانهم، رأى خالد بن الوليد قلةً من بقي من الرماة، فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على أصحاب النبي، ﷺ، من خلفهم. فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا، فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقي مطروحاً لا يدنو منه أحد، فأخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، وأخذته صواب فقتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قاله أبو رافع، قال: فلما قتلهم أبصر النبي، ﷺ، جماعة من المشركين، فقال لعلي: «احمل عليهم»، ففرقهم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: «[احمل عليهم]»، فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المؤاساة! فقال رسول الله، ﷺ: «إنه مني وأنا منه». فقال جبرائيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي^(٤).

وكسرت رابعة رسول الله، ﷺ، السفلى، وشقت شفته، وكلم في وجهته وجبته في أصول شعره، وعلاه ابن قميته بالسيف، وكان هو الذي أصابه، وقيل: أصابه عتبة بن أبي وقاص^(٥).

وقيل: عبد الله بن شهاب الزهري جد محمد بن مسلم.

وقيل: إن عتبة بن أبي وقاص، وابن قميته الليثي الأدرمي، من بني تميم^(٦) بن غالب، وكان أدرم ناقص الذقن، وأبي بن خلف الجمحي، وعبد الله بن حميد^(٧) الأسدي، أسد قريش، تعاقدوا على قتل رسول الله^(٨)، ﷺ؛ فأما ابن شهاب فأصاب

(١) في الطبعة الأوربية «وثبت طائفة وقال».

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٨/٢، ٥٠٩.

(٤) تاريخ الطبري ٥١٤/٢، الأغاني ١٩٢/١٥.

(٥) تاريخ الطبري ٥١٤/٢، ٥١٥، الأغاني ٩٢/١٥.

(٦) في الطبعة الأوربية «تميم».

(٧) في الأصل «جميل».

(٨) المغازي للواقدي ٢٤٣/١، ٢٤٤.

جبهته، وأما عُتْبَةُ فرماه بأربعة أحجار، فكسر رَباعِيَّته اليمنى، وشقَّ شفته، وأما ابن قَمْثَةَ^(١) فكلّم وجنته، ودخل من جِلَقِ المغفر فيها، وعلاه بالسيف، فلم يطقْ أن يقطعه فسقط رسول الله، ﷺ، فجُحِشت ركبته، وأما أَبِي بن خلف فشَدَّ عليه بحربة، فأخذها رسول الله، ﷺ، منه وقتله بها، وقيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل: أخذها من الحارث بن الصَّمَّة، وأما عبد الله بن حميد، فقتله أبو دُجَانَةَ الأنصاري.

ولما جُرح رسول الله، ﷺ، جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يُفْلَح قومٌ خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله!»^(٢) وقاتل دونه نفرٌ خمسة من الأنصار فقتلوا، وترس أبو دُجَانَةَ رسول الله، ﷺ، بنفسه، فكان يقع النبل في ظهره وهو مُنْحَنٌ^(٣) عليه، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله، ﷺ، فكان رسول الله، ﷺ، يناوله السهم ويقول: «ارمِ فداك أبي وأمي»^(٤).

وأصيب يومئذ عَيْنُ قَتَادَةَ بن النعمان، فردّها رسول الله، ﷺ، بيده، فكانت أحسن عَيْنِهِ^(٥).

وقاتل مُضْعَب بن عمير، ومعه لواء المسلمين فُقتل، قتله ابن قَمْثَةَ الليثي، وهو يظنُّ أَنَّهُ النبي، فرجع إلى قريش وقال: قتلْتُ مُحَمَّدًا. فجعل الناس يقولون: قُتل مُحَمَّدٌ، قُتل مُحَمَّدٌ^(٦).

ولما قُتل مُضْعَب أعطى رسول الله، ﷺ، اللواءَ عليَّ بن أبي طالب. وقاتل حمزة حتّى مرَّ به سِبَاع بن عبد العُزَّى الغُبْشاني، فقال له حمزة: هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابن مقطعة البظور! وكانت أمّه أم أنمار ختانة بمكّة، فلَمَّا التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشي: إِنِّي والله لأنظر إلى حمزة وهو يهذُّ^(٧) الناس بسيفه [هَذَا]، ما يلقي شيئاً يمرُّ به إلّا قتله، وقتل سِبَاع بن عبد العُزَّى. قال: فهزرتُ حربتي، ودفعْتُها عليه، فوقعَت في ثُنْتِهِ حتّى خرجت من بين رجليه، وأقبل نحوي فغلب فوقع، فأمهلتُهُ حتّى مات

(١) في مغازي الواقدي «قميثة»؛ وكذلك في السير والمغازي.

(٢) المغازي للواقدي ٢٤٥/١، تاريخ الطبري ٥١٥/٢.

(٣) في النسخة (ب): «مدجن».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ١٢٤/٥ باب إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ. والطبري في تاريخه ٥١٥/٢،

٥١٦، وابن إسحاق في السير والمغازي ٣٢٨، والأصفهاني في الأغاني ١٩٣/١٥، وابن هشام ٤٥/٣

والمقدسي في البدء والتاريخ ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

(٥) السير والمغازي ٣٢٨، تاريخ الطبري ٥١٦/٢، الأغاني ١٩٣/١٥، ١٩٤.

(٦) السير والمغازي ٣٢٩، تاريخ الطبري ٥١٦/٢، الأغاني ١٩٤/١٥.

(٧) يهذُّ: يقطع.

فأخذتُ حربتي، ثمّ تنحيتُ إلى العسكر^(١)، فرضي الله عن حمزة وأرضاه.

وقتل عاصمُ بن ثابت مُسافِعَ بن طلحة، وأخاه كِلاب بن طلحة بسهمين، فحملّا إلى أمّهما سُلَافَة^(٢)، وأخبراهما أن عاصماً قتلهما، فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر^(٣).

وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان مع المشركين، وطلب المبارزة، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه، فقال رسول الله، ﷺ: «شِمَّ سيفك وأمتعنا بك»^(٤).

وانتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر وطلحة، في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يحبسكم؟ قالوا: قد قُتل النبي، ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده! موتوا على ما مات عليه. ثمّ استقبل القومَ فقاتل حتى قُتل، فوجد به سبعون ضربة وطعنة، وما عرفه إلا أخته، عرفته بحسن بنائه^(٥).

وقيل: إن أنس بن النضر سمع نفرّاً من المسلمين يقولون، لما سمعوا أنّ النبي، ﷺ، قُتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبيّ بن سلول، ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتل، فإن ربّ محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد. اللهم إني أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتى قُتل^(٦).

وكان أول من عرف رسول الله، ﷺ، كعب بن مالك، قال: فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبيضوا! هذا رسول الله حيّ لم يُقتل، فأشار إليه: أنصت. فلمّا عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب، ومعه عليّ، وأبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، والحارث ابن الصّمة، وغيرهم. فلمّا أسند إلى الشعب أدركه أبيّ بن خلف، وهو يقول: يا محمد لا نجوت إن نجوت! فعطف عليه رسول الله، ﷺ، فطعنه بالحربة في عنقه، وكان أبيّ يقول بمكة لرسول الله، ﷺ: إنّ عندي العود أعلفه كلّ يوم فرقاً^(٧) من ذرة أقتلك عليه. فيقول له النبي، ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى». فلمّا رجع إلى قريش وقد خدشه

(١) السير والمغازي ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٤، تاريخ الطبري ٥١٦/٢، ٥١٧، سيرة ابن هشام ٣٣/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «سلامة».

(٣) تاريخ الطبري ٥١٧/٢، السير والمغازي ٣٢٩، سيرة ابن هشام ٣٧/٣ وفيها «الجلّاس» بدل «كِلاب».

(٤) المغازي للواقدي ١٥٧/١.

(٥) سيرة ابن هشام ٤٦/٣، السير والمغازي ٣٣٠، الأغاني ١٥/١٩٥.

(٦) تاريخ الطبري ٥١٧/٢، الأغاني ١٥/١٩٥، السير والمغازي ٣٣٠، سيرة ابن هشام ٤٦/٣.

(٧) الفرق: مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع. وفي النسخة (ب): «مدا».

رسول الله ﷺ، خذشاً غير كبير قال: قتلني محمد. قالوا: والله ما بك بأس. قال: إنه قد كان قال لي أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني! فمات عدو الله بسرف^(١).

وقاتل رسول الله ﷺ، يوم أُحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرت سيّة قوسه، وانقطع وتره. ولما جرح رسول الله ﷺ، جعل عليّ ينقل له الماء في دَرَقته من المِهْرَاس^(٢) ويغسله، فلم ينقطع الدم، فأَتَت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً، وجعلت على الجرح من رماده، فانقطع الدم.

ورمى مالك بن زهير الحشميّ النبيّ ﷺ، فاتّقاء طلحةً بيده، فأصاب السهم خنصره، وقيل: رماه جَبَان بن العَرِقة، فقال: حس^(٣)، فقال رسول الله ﷺ: لو قال: «باسم الله، لدخل الجنة»، والناس ينظرون إليه؛ وقيل: إنّ يده شُلَّتْ إلّا السبابة والوسطى؛ والأوّل أثبت.

وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله ﷺ: ليس لهم أن يعلونا، فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين، حتى أهبطوهم، ونهض رسول الله ﷺ، إلى الصخرة ليعلوها، وكان عليه درعان، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة حتى صعد، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْجَبَ طلحة»^(٤).

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عفّان وغيره، إلى الأغوص، فأقاموا به ثلاثاً، ثم أتوا النبيّ ﷺ، فقال لهم حين رآهم: «لقد ذهبتم فيها عريضة».

والتقى حنظلة بن أبي عامر، غسيل الملائكة، وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود وهو ابن شعوب، فدعاه أبو سفيان، فأناه، فضرب حنظلة فقتله، فقال رسول الله ﷺ: إنه لتغسله الملائكة. فسَلُّوا أهله فسُلت صاحبتة فقالت: خرج وهو جُنُب، سمع الهائعة، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة»^(٥).

وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شعوب إياه على قتل حنظلة:

(١) سيرة ابن هشام ٤٧/٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤ (طبعة الهند)، المغازي لعروة ١٧١، الطبقات الكبرى ٤٦/٢، أنساب الأشراف ٣١٩/١، السير والمغازي ٣٣١، الأغاني ١٥/١٩٦، تاريخ الطبري ٥١٨/٢، ٥١٩.

(٢) المِهْرَاس: ماء بجبل أُحد.

(٣) في الطبعة الأوربية حسن. (وحس: كلمة كانوا يقولونها عند مسّ الألم).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ١٢٢/٥ باب غزوة أُحد، ومسلم في كتاب الإمامة ٤٥/٦ باب ثبوت الجنة للشهيد، وابن هشام في السيرة ٤٩/٣، والطبري ٥٢٢/٢.

(٥) السير والمغازي ٣٣٢، ٣٣٣، الطبري ٥٢٢/٢، سيرة ابن هشام ٣٨.

وَلَمْ أَحْمِلِ النِّعْمَاءَ لِابْنِ شُعُوبٍ
لِذُنَّ^(١) غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لَغُرُوبٍ
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنِ صَلِيبٍ
وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبٍ
وَحَقٌّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبٍ
قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبٍ
وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبٍ
لَكَانَتْ شَجًّا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبٍ^(٢)

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُ كُمَيْتَ طِمْرَةٍ^(٣)
فَمَا زَالِ مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ
أَقَاتِلُهُمْ وَأَدْعِي يَالَ غَالِبٍ
فَبِكِي وَلَا تَرْعِي مَقَالَةَ عَاذِلٍ
أَبَاكَ وَإِخْوَانَنَا^(٤) قَدْ تَتَابَعُوا^(٥)
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتَنِي
وَمِنْ هَاشِمٍ قِرْمَاءً^(٦) نَجِيًّا وَمُضْعَبًا
وَلَوْ أَنْتَنِي لَمْ أَشْفِ مِنْهُمْ قَرُونَتِي^(٧)
فَاجَابَهُ حَسَّانُ بِقَوْلِهِ:

وَلَسْتُ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
عِشَاءً^(٨) وَقَدْ سَمَيْتُهُ بَنَجِيبٍ
وَشَيْئَةً وَالْحِجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ
بِضْرِبَةٍ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبٍ^(٩)

ذَكَرْتُ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَتَعَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةً مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ
غَدَاةً دَعَا الْعَاصَ عَلِيًّا فَرَاعَهُ

وَوَقَعَتْ هِنْدٌ وَصَوَاحِبَاتُهَا عَلَى الْقَتْلَى يُمَثِّلْنَ بِهِمْ، وَاتَّخَذَتْ هِنْدٌ مِنْ آذَانِ الرِّجَالِ
وَأَنَافِهِمْ خَدَمًا^(١٠) وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا^(١١) وَقَلَائِدَهَا وَحُشِيًّا، وَبَقِرَتْ عَنْ كَيْدِ حَمْزَةٍ،
فَلَكَتَهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسَيِّغَهَا فَلَفَظَتْهَا^(١٢).

ثُمَّ أَشْرَفَ أَبُو سَفِيَّانٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: أَيُّ الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ [ثَلَاثًا]، فَقَالَ رَسُولُ

(١) الطيمرة: الفرس السريعة الوثب.

(٢) في تاريخ الطبري «لدى».

(٣) عند الطبري «له» وكذا في السيرة.

(٤) في الطبعة الأوربية «تتابعوا»، والمثبت يتفق مع ابن هشام، والطبري.

(٥) في الأصول، وطبعة صادر ١٥٩/٢ «قرنا» وما أثبتناه عن النسخة (ب)، وابن هشام، والطبري.

(٦) قرونتي: نفسي. وفي الطبعة الأوربية «قرونه». وفي سيرة ابن هشام:

ولو أنتني لم أشف نفسي منهم

(٧) أنظر بقية الأبيات في سيرة ابن هشام ٣٩/٣، وتاريخ الطبري ٥٢٣/٢.

(٨) في السيرة، وتاريخ الطبري، وديوان حسَّان: «نجيبا».

(٩) ديوان حسَّان ٦٤-٦٦، السيرة ٣٩/٣، ٤٠، الطبري ٥٢٣/٢، ٥٢٤.

(١٠) الخدم، جمع خدمة: الخللخال. وفي النسخة (ب): «خزما».

(١١) في النسخة (ب) «خزما».

(١٢) سيرة ابن هشام ٥٣/٣، ٥٤، السير والمغازي ٣٣٣، تاريخ الطبري ٥٢٤/٢، ٥٢٥، الأغاني ١٩٧/١٥، ١٩٨.

الله، ﷺ: «لا تجيبوه». [ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً]. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً. ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا. فقال عمر: كذبت أي عدو الله، قد أبقى الله لك ما يُخزبك. فقال: اعلُ هُبْلُ، اعلُ هُبْلُ. فقال رسول الله، ﷺ: «قولوا الله أعلى وأجل». فقال أبو سفيان: إنا لنا عُزَى ولا عُزَى لكم. فقال رسول الله، ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»^(١). فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم، وإنه ليسمع كلامك. فقال: أنت أصدق من ابن قميّة! ثم قال: هذا يوم بدر، والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً، والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت^(٢).

واجتاز به الحُلَيْس بن رَبَّان سَيِّد الأحابيش، وهو يضرب في شِدْق حمزة بُزْجَ الرمح ويقول: دُقْ عَقْقُ^(٣)! فقال الحُلَيْس: يا بني كِنانة هذا سَيِّد قريش يصنع بابتعابه كما ترون. فقال أبو سفيان: اكتبهما^(٤) [عني] فإنها زَلَّة^(٥).

وكانت أم أيمن حاضنة رسول الله، ﷺ، ونساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها جَبَّان بن العَرَقَة^(٦) بسهم فأصاب ذيلها، فضحك، فدفعت النبي، ﷺ، إلى سعد بن أبي وقاص سهماً وقال: «ارمِه». فرماه فأصابه، فضحك النبي، ﷺ، وقال: «استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدّد رميتك».

ثم انصرف أبو سفيان ومن معه وقال: إن موعدكم العام المقبل. ثم بعث رسول الله، ﷺ، عليّاً في أثرهم وقال: «انظر فإن جنّوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنهم». قال عليّ: فخرجت في أثرهم، فامتطوا الإبل وجنّوا الخيل يريدون مكّة^(٧)، فأقبلت أصيح^(٨) ما أستطيع أن أكتم، وكان رسول الله، ﷺ، أمره بالكتمان.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ١٢٠/٥ باب غزوة أحد، وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٦/٣، تاريخ الطبري ٥٢٧/٢، التفسير ٣٠٩/٧، ٣١٠، الأغاني ١٩٩/١٥، ٢٠٠.

(٣) دُقْ عَقْقُ: أي دُقْ جزاء فعلك يا عاق، وعقق: معدول عن عاق للمبالغة، كعقّذ من غادر. (الطبري ٥٢٧/٢ حاشية ٤).

(٤) في الطبعة الأوربية «اكتبهما».

(٥) الطبري ٥٢٧/٢، الأغاني ٢٠٠/١٥، سيرة ابن هشام ٥٥/٣، نهاية الأرب ١٧/١٠٢.

(٦) في الطبعة الأوربية «حفانة بن العرق».

(٧) سيرة ابن هشام ٥٦/٣، ٥٧، الأغاني ٢٠٠/١٥، ٢٠١، تاريخ الطبري ٥٢٨/٢، السير والمغازي ٣٣٤،

٣٣٥، الأغاني ٢٠١/١٥، نهاية الأرب ١٧/٩٩، ١٠٠.

(٨) في الطبعة الأوربية «أصيح».

وأمر رسول الله، ﷺ، رجلاً أن ينظر في القتلى، فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رمق، فقال للذي رآه: أبلغ رسول الله، ﷺ، عني السلام، وقل له جزاك الله خير ما جرى نبياً عن أمته، وأبلغ قومي السلام، وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله، ﷺ، أذى وفيكم عين تطرف. ثم مات^(١).

ووجد حمزة ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به، فحين رآه رسول الله، ﷺ، قال: «لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم».

وقال المسلمون: لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله في ذلك: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» الآية^(٢)، فعفا رسول الله، ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة^(٣).

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب، فقال رسول الله، ﷺ، لابنها الزبير ليردها لثلاً ترى ما بأخيها حمزة، فلقبها الزبير، فأعلمها بأمر النبي، ﷺ، فقالت: إنه بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله قليل! فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن. فأعلم الزبير النبي، ﷺ، بذلك، فقال: «خل سبيلها»، فأتته وصلت عليه واسترجعت، وأمر رسول الله، ﷺ، به فدفن^(٤).

وكان في المسلمين رجل اسمه قُزَمان، وكان رسول الله، ﷺ، يقول إنه من أهل النار، فقاتل يوم أحد قتلاً شديداً، فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثم جرح فحمل إلى داره، وقال له المسلمون: أبشر قُزَمان! قال: بـم أبشر، وأنا ما قاتلت إلا عن أحساب قومي؟ ثم اشتد عليه جرحه فأخذ سهماً، فقطع رواهشه فتزف الدم، فمات، فأخبر رسول الله، ﷺ، فقال: «أشهد أنني رسول الله»^(٥).

وكان ممن قُتل يوم أحد مُحَيَّرِيقُ الْيَهُودِيِّ، قال ذلك اليوم لليهود: يا معشر يهود،

(١) سيرة ابن هشام ٥٧/٣، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، تاريخ الطبري ٥٢٨/٢، الاستيعاب ١٤٥/٤، الأغاني ٢٠١، ٢٠٠/١٥، أسد الغابة ٣٤٨/٢، نهاية الأرب ١٧/١٠٦، ١٠٧، الإصابة ١٤٤/٤، سير أعلام النبلاء ٣١٨/١، ٣١٩.

(٢) سورة النحل - الآية ١٢٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٨/٣، تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، ٥٣٠، السير والمغازي ٣٣٥، الأغاني ٢٠١/١٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٠/٣، تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، الأغاني ٢٠٢/١٥، نهاية الأرب ١٧/١٠٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٠٨.

(٥) الطبري ٥٣١/٢، الأغاني ٢٠٤/١٥ وفيهما زيادة «حقاً» في آخره، المغازي للواقدي ٣/١.

لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حقّ. فقالوا: إنّ اليوم السبت. فقال: لا سبت، وأخذ سيفه وعُدّته وقال: إن قُتِلْتُ فما لي لمحمد يصنع به ما يشاء، ثمّ غدا فقاتل حتى قُتل، فقال رسول الله، ﷺ: «مُخَيَّرَيقُ خَيْرِ يَهُودٍ»^(١).

وقُتِلَ اليمان أبو حذيفة، قتله المسلمون، وكان رسول الله، ﷺ، رفعه وثابت بن قيس بن وقش مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان: ما ننتظر؟ أفلا نأخذ أسيفنا فنلحق برسول الله، ﷺ؟ لعلّ الله أن يرزقنا الشهادة. ففعلوا ودخلا في الناس ولا يُعلم بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله، ﷺ، أن يديّه، فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين^(٢).

واحتمل بعضُ الناس قتلهم إلى المدينة، فأمر رسول الله، ﷺ، بدفنهم حيث صُرِعُوا، وأمر أن يُدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد، وأن يُقدّم^(٣) إلى القبلة أكثرهم قرآنًا، وصلى عليه، فكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما، وقيل: كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلّي عليهم، ونزل في قبره عليّ، وأبو بكر، وعمر، والزبير، وجلس رسول الله، ﷺ، على حفرتة، وأمر أن يُدفن عمر بن الجموح، وعبد الله بن حرام في قبر واحد، وقال: «كانا متصافيين في الدنيا»^(٤).

فلما دُفِنَ الشهداء انصرف رسول الله، ﷺ، فلقيته حمّة بنت جحش، فنعى لها أخاها عبد الله، فاسترجعت له، ثمّ نعى لها خالها^(٥) حمزة، فاستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مضعب بن عمير، فولدت وصاحت، فقال: «إنّ زوج المرأة منها ليمكان»^(٦).

ومرّ رسول الله، ﷺ، بدارٍ من دُور الأنصار، فسمع البكاء والنوائح، فذرفت عيناه فبكى^(٧) وقال: «لكنّ حمزة لا بواكي له!» فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل، فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة^(٨).

ومرّ رسول الله، ﷺ، بامرأة من الأنصار قد أُصيب أبوها وزوجها، فلما نعى لها

(١) المغازي للواقدي ٢٦٢/١، ٢٦٣، طبقات ابن سعد ١٨٢/١، الطبري ٥٣١/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٠/٣، الطبري ٥٣٠/٢، الأغاني ٢٠٣/١٥، ٢٠٤.

(٣) في النسخة (ب): «يدفنهم».

(٤) الطبري ٥٣٢/٢، سيرة ابن هشام ٦٢/٣، المغازي للواقدي ٢٦٦/١، ٢٦٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «أخاها»، والمثبت عن ابن هشام.

(٦) سيرة ابن هشام ٦٢/٣، الطبري ٥٣٢/٢، المغازي للواقدي ٢٩١/١.

(٧) في الطبعة الأوربية «وذرفت عيناه بالبكاء».

(٨) سيرة ابن هشام ٦٢/٣، الطبري ٥٣٢/٢، المغازي لعروة ١٧١.

قالت: ما فعل رسول الله، ﷺ؟ قال: هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه، فلمّا نظرت إليه قالت: كلّ مصيبة بعدك جَلَلٌ^(١).

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة^(٢).

(نِياز: بالنون المكسورة، والياء تحتها نقطتان، وآخره راء. وَجُبِير: بضمّ الجيم، تصغير جبر. وَخَوَات: بالخاء المعجمة، والواو المشدّدة، وبعد الألف تاء فوقها نقطتان. وَجِبَان: بكسر الحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، وآخره نون. وَالْحُلَيْس: بضمّ الحاء المهملة، تصغير حلس. وَزَبَان: بالزاي، والباء الموحّدة، وآخره نون).

ذكر غزوة حمراء الأسد^(٣)

لما كان الغد من يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله، ﷺ، بالغزو وقال: لا يخرج معنا إلّا مَنْ حضر بالأمس، فخرج لِيُظَنّ الكُفّار به قوّة، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي من المدينة على سبعة أميال، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ومَرَّ به مَعْبِد الخُزاعيّ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشركهم غيّبة نُصَح لرسول الله، ﷺ، بتهامة، وكان مَعْبِد مشركاً، فقال: [يا محمّد] لقد عَزَّ علينا ما أصابك. ثمّ خرج من عند النبيّ، ﷺ، فلقي أبا سفيان ومَنْ معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله، ﷺ، ليستأصلوا المسلمين بزعمهم، فلمّا رأى أبو سفيان مَعْبِداً قال: ما وراءك؟ قال: محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله، قد جمع معه مَنْ تخلف عنه وندموا على ما صنعوا، وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيّتهم. قال: إني أنهاك عن هذا، فثنى [ذلك] أبا سفيان ومَنْ معه^(٤).

ومرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم: بلغوا عني محمّداً رسالة وأحمّل

(١) سيرة ابن هشام ٦٢/٣، الطبري ٥٣٣/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٦٣/٣، الطبري ٥٣٤/٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٦٥/٣، المغازي للواقدي ٣٣٤/١، تاريخ الطبري ٥٣٤/٢، أنساب الأشراف ٣٣٨/١ رقم ٧٢٤، الطبقات الكبرى ٤٨/٢، المغازي لعروة ١٧٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧، جوامع السيرة ١٧٥، عيون الأثر ٣٧/٢، نهاية الأرب ١٢٦/١٧، عيون التواريخ ١٦٧/١، تاريخ خليفة ٧٣، سيرة ابن كثير ٩٧/٣، البداية والنهاية ٤٩/٤، تاريخ الخميس ٥٠٣/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٢٣، المحرّر ١١٣، البدء والتاريخ ٢٠٥/٤، الأغاني ٢٠٥/١٥، تاريخ خليفة ٧٣، الروض الأنف ١٨٠/٣، شرح المواهب ٧٠/٢ وما بعدها.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٥/٣، ٦٦ الطبري ٥٣٥/٢، المغازي للواقدي ٣٣٨/١، تاريخ خليفة ٧٤.

لکم إبلکم هذه زيباً بعُکاظ. قالوا: نعم. قال: أخبروه أنا قد أجمعنا السیرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم. فمروا بالنبی، ﷺ، وهو بحمراء الأسد فأخبروه، فقال، ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوکیل»^(١).

ثم عاد إلى المدينة، وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وبأبي عزة عمرو بن عبید الله الجُمَحِيّ^(٢)، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد، ساروا وتركوه نائماً، وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله، ﷺ، بغير فداء لأنه شكاً إليه فقراً وكثرة عيال، فأخذ رسول الله، ﷺ، عليه العهد أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله، فخرج معهم يوم أحد وحرّض على المسلمين، فلما أتى به رسول الله، ﷺ، قال له: يا محمد امنن علي. قال: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»^(٣). وأمر به فقتل^(٤).

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو الذي جدد أنف حمزة ومثل به مع من مثل به، وكان قد أخطأ الطريق، فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان، فلما رآه قال له عثمان: أهلكتنى وأهلكت نفسك. فقال: أنت أقربهم مني رجماً وقد جئتك لتجيرني. وأدخله عثمان داره، وقصد رسول الله، ﷺ، ليشفع فيه، فسمع رسول الله، ﷺ، يقول: «إن معاوية بالمدينة فاطلبوه»؛ فأخرجوه من منزل عثمان، وانطلقوا به إلى النبي، ﷺ، فقال عثمان: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أماناً فهبه لي، فوهبه له، وأجله ثلاثة أيام، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه، فجهرزه عثمان وقال له: ارتحل^(٥).

وسار رسول الله، ﷺ، إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية ليعرف أخبار النبي، ﷺ، فلما كان اليوم الرابع قال النبي، ﷺ: «إن معاوية يصبح قريباً ولم يبعد، فاطلبوه، فطلبه زيد بن حارثة وعمار فأدركاه بالحماة فقتلاه»^(٦).

وهذا معاوية جدّ عبد الملك بن مروان بن الحكم لأمه. وفيها، قيل: وُلد الحسن بن عليّ في النصف من شهر رمضان^(٧).

(١) سيرة ابن هشام ٦٧/٣، ٦٨، الطبري ٥٣٦/٢، المغازي للواقدي ٣٤٠/١، الأغاني ٢٠٧/١٥.

(٢) الطبري ٥٣٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٣، ومسلم في الزهد ٦٣، وأبو داود في الأدب ٢٩، وابن ماجه في الفتن ١٣، والدارمي في الرقاق ٦٥، وأحمد في المسند ١١٥/٢ و ٣٧٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٨/٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٦٨/٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الطبري ٥٣٧/٢، عيون التواريخ ١٦٩/١.

وفيهما عَلِقَتْ فاطمة بالحسين، وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً^(١).
وفيهما حملت جميلة بنت عبد الله بن أبي [بعبد الله بن حنظلة بن أبي]^(٢) عامر غسيل
الملائكة في سؤال^(٣).

(١) الطبري ٥٣٧/٢، عيون التواريخ ١٦٩/١.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن الطبري.
(٣) الطبري ٥٣٧/٢.

ودخلت السنة الرابعة من الهجرة

ذكر غزوة الرّجيع^(١)

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع .

وكان سببها أنّ رهطاً من عَصَل والقارة قَدِمُوا على النبيّ، ﷺ، فقالوا: إنّ فينا إسلاماً، فابعث لنا نمرأً يفقهوننا في الدين ويُقرئونا القرآن . فبعث معهم ستّة نفر، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، وقيل: مرثد بن أبي مرثد، فلمّا كانوا بالهذأة غدروا واستصرخوا عليهم حيّاً من هذيل يقال لهم بنو لُحَيان^(٢)، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجّ المسلمون إلى جبل، فاستنزلوهم وأعطوهم العهد^(٣)، فقال عاصم: والله لا أنزل [على] عهد كافر، اللهم خبر نبيك عنا! وقتلهم هو ومرثد، وخالد بن البكير، ونزل إليهم ابن الدّثنة^(٤)، وخبيب ابن عديّ، ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أتبعكم! فقتلوه وانطلقوا بخبيب، وابن الدّثنة فباعوهما بمكّة، فأخذ خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد، فأخذوه ليقتلوه بالحارث، فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهنّ موسى يستحدّ^(٥) بها للقتل، فدبّ صبيّ لها فجلس

(١) سيرة ابن هشام ١٢٣/٣، المغازي للواقدي ٣٥٤، المغازي لعروة ١٧٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩/٢، جوامع السيرة ١٧٦، الدرر لابن عبد البر ١٦٨، عيون الأثر ٤٠/٢، تاريخ الطبري ٥٣٨/٢، تاريخ خليفة ٧٤، عيون التواريخ ١٧٩/١، نهاية الأرب ١٣٣/١٧، البدء والتاريخ ٢٠٩/٤، عيون الأثر ٤٠/٢، سيرة ابن كثير ١٢٣/٣، البداية والنهاية ٦٢/٤، تاريخ الخميس ٥١٠/١، الأغاني ٢٢٥/٤، المحبّر ١١٧، ١١٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٢٩، الروض الأنف ٢٣٣/٣، المغازي للزهري ٦٧-٧٠.

(٢) في إحدى النسخ «الحبان».

(٣) سيرة ابن هشام ١٢٤/٣، ابن سعد ٥٥/٢.

(٤) الدّثنة: بفتح الدال المهملة، وكسر التاء المثلثة والنون المفتوحة المشدّدة ثم تاء تأنيث. قال ابن دريد في «الاشتقاق» (٢٧٢) من قولهم: دثن الطائر إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (وانظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة ٨٠/٢ طبعة بولاق).

(٥) يستحدّ: أي يحلق عاتته.

على فخذ خبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ إن الغدر ليس من شأننا، فكانت المرأة تقول: ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، لقد رأيتُهُ وما بمكة ثَمرة، وإن في يده لَقِطْفاً من عنب يأكله، ما كان إلا رزقاً رزقه الله خُبيباً^(١).

فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردوني أصل ركعتين، فتركوه، فصلاهما، فجرت سنة لمن قُتل صبراً، ثم قال خبيب: لولا أن تقولوا جزع لزدت، وقال أبياتا، منها:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شيء^(٢) كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شلوي ممزَع^(٣)
اللهم أحصهم^(٤) عدداً، واقتلهم بدداً^(٥)! ثم صلبوه^(٦).

وأما عاصم بن ثابت فإنهم أرادوا رأسه ليعبوه من سُلالة بنت سعد، وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم، لأنه قتل ابنيها بأحد، فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دعوه حتى يمسي فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فمنعه الله في مماته كما منع في حياته^(٧).

وأما ابن الدثنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس إلى التَّعِيم، ليقتله بابنائه، فقال نسطاس: أنشدك الله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: ما أحب أن محمداً الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. ثم قتله نسطاس^(٨).

(١) تاريخ الطبري ٥٤٠/٢، الأغاني ٢٢٨/٤، المغازي للواقدي ٣٥٧/١.

(٢) وفي رواية «شق»، وفي أخرى «جنب».

(٣) البيتان من جملة أبيات في سيرة ابن هشام ١٣٠/٣ وقال: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له»، وانظر:

تاريخ الطبري ٥٤١/٢، والمغازي لعروة ١٧٧، وعيون الأثر ٤١/٢، ونهاية الأرب ١٣٦/١٧، ١٣٧،

وتاريخ الإسلام (المغازي) ٢٣١، والأغاني ٢٢٩/٤، وعيون التواريخ ١٨١/١، والبداية والنهاية ٦٣/٤.

(٤) أحصهم: أي أهلكهم بحيث لا تبقي من عددهم أحداً.

(٥) بدداً: يُروى بكسر الباء، جمع بدة، وهي الحصّة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته

ونصيبه. ويُروى بفتح الباء، من التبديد، أي متفرقين في القتل، واحداً بعد واحد. (النهاية في غريب

الحديث ٦٥/١)، وفي تاريخ الطبري: وخذهم بدداً. وكذلك في الأغاني ٢٢٩/٤.

(٦) الأغاني ٢٢٩/٤، الطبري ٥٤١/٢، سيرة ابن هشام ١٢٨/٣، المغازي للواقدي ٣٥٩/١.

(٧) الطبري ٥٤٠/٢، الأغاني ٢٢٤/٤، وأخرج البخاري حديثه في كتاب المغازي ٤٠/٥، ٤١ باب غزوة

الرجيع. وانظر المغازي للواقدي ٣٥٦/١.

(٨) تاريخ الطبري ٥٤٢/٢، الأغاني ٢٣٠/٤، المغازي للواقدي ٣٦١/١، ٣٦٢، المغازي لعروة ١٧٧.

(خُيِّبَ: بَضَمَ الخاء المعجمة، وفتح الباء الموحدة، بعدها ياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة أيضاً. والبُكَيْرُ: بَضَمَ الباء الموحدة، تصغير بكر).

ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

ولما قُتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله، ﷺ، عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب. قال عمرو: فخرجت أنا ومعِي بغير لي وبرجلٍ صاحبي علة، فكنت أحمله على بعيري، حتى جئنا بطن يأجج، فعقلنا بغيرنا في الشعب، وقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى أبي سفيان لنقتله، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله، ﷺ، وأخبره الخبر وخلّ عني. وأوغل بالبلد بحث السياق^(١).

فدخلنا مكة ومعِي خنجر [قد أعددتُه]، إن عاقني إنسان ضربته به، فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فَنطوف ونصلّي ركعتين؟ فقلت: إن أهل مكة يجلسون بأفئتهم، وأنا أعرف بها. فلم نزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا، ثم خرجنا، فمررنا بمجلس لهم، فعرفني بعضهم، فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية! فثار أهل مكة إلينا وقالوا: ما جاء إلّا لشرٍّ، وكان فاتكاً متشيطناً^(٢) في الجاهلية، فقلت لصاحبي: النجاء! هذا الذي كنت أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل، فانجُ بنفسك.

فخرجنا^(٣) [نشتدُّ] حتى صعدنا الجبل، فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا، ننتظر أن يسكن الطلب. قال: فوالله إني لفيهِ، إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي [يتخيّل] بفرسٍ له، فقام على باب الغار، فخرجت إليه فضرَبته بالخنجر، فصاح صيحةً أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني، فوجدوه وبه رمق، فقالوا: مَنْ ضربك؟ قال: عمرو بن أمية، ثم مات ولم يقدر يُخبرهم بمكاني، وشغلهم قتلُ صاحبهم عن طلبي، فاحتملوه.

ومكثنا في الغار يومين حتى سكن [عنا] الطلب، ثم خرجنا إلى التَّعِيم، فإذا بخشبة خُيِّب وحوله حرس، فصعدتُ خشبته واحتملته على ظهري، فما مشيت به إلّا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته، فاشتدوا في أثري، فأخذت الطريق، فأعبوا ورجعوا، وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي، ﷺ، فأخبره. وأما خُيِّب فلم يُر بعد ذلك وكان الأرض ابتلعتة.

(١) وفي نسخة «فإني عالم بالبلد».

(٢) في النسخة (ب): «مبسطاً».

(٣) في النسخة (ب): «فعدنا».

قال: وسرتُ حتى دخلتُ غاراً بَضْجَنان، ومعِي قوسي وأسْهُمي، فبينما أنا فيه إذ دخل عليَّ رجل من بني الدُّثْل، أعور، طوبل، يسوق غَنماً فقال: مَنْ الرجل؟ قلتُ: من بني الدُّثْل، فاضْطَجع معي، ورفع عقيرته يتغنَّى ويقول:

ولستُ بمُسلمٍ ما دُمْتُ حَيًّا ولستُ أدِينُ دينَ المُسلمينَا

ثم نام فقتلته ثم سرتُ، فإذا رجلان بَعَثْتُهُما قريش يتجسَّسان أمر، رسول الله، ﷺ، فرميتُ أحدهما بهم فقتلته، واستأسرت الآخر، فقدمتُ على النبي، ﷺ، وأخبرته الخبر، فضحك ودعا لي بخير^(١).

وفي هذه السنة تزوج رسول الله، ﷺ، زينب بنت خُزَيْمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان، وكانت قبله عند الطَّفِيل بن الحارث فطلَّقها^(٢).
ووليَ المشركون الحجَّ في هذه السنة^(٣).

ذكر بثر مَعُونَة^(٤)

في هذه السنة في صفر قُتل جمع من المسلمين ببثر مَعُونَة^(٥).

وكان سبب ذلك أن أبا براء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأُسنة، سيّد بني عامر بن صعصعة، قديم المدينة وأهدى للنبي، ﷺ، هدية فلم يقبلها وقال: يا أبا براء لا أقبل هدية مشرك، ثم عرض عليه الإسلام فلم يبعد عنه ولم يُسلم، وقال: إنَّ أمرك هذا حَسَنٌ، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله، ﷺ: «أخشى عليهم أهلَ نجد». فقال أبو براء: أنا لهم جار.

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٥٤٢/٢ - ٥٤٥.

(٢) الطبري ٥٤٥/٢، عيون التواريخ ١٨٢/١ - ١٨٤، وفي تاريخ خليفة ٦٦ ذكر الخبر في حوادث سنة ٣ هـ.

(٣) الطبري ٥٤٥/٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١٣٧/٣، المغازي للواقدي ٣٤٦/١، تاريخ خليفة ٧٦، الطبقات الكبرى ٥١/٢، المغازي لعروة ١٧٨، تاريخ الطبري ٥٤٥/٢، عيون التواريخ ١٨٤/١، مجمع الزوائد ١٢٨/٦، عيون الأثر ٤٤/٢، الدرر لابن عبد البر ١٧٠، جوامع السيرة ١٧٨، نهاية الأرب ١٣٠/١٧، البدء والتاريخ ٢١١/٤، تاريخ الخميس ٥٠٧/١، سير ابن كثير ١٣٩/٣، البداية والنهاية ٧١/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٣٥، الروض الأنف ٢٣٨/٣.

(٥) بثر مَعُونَة: قيل هي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيم، وقيل بين جبال يقال لها أبلَى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة، وقيل ماء لبني عامر بن صعصعة، وقيل في أرض بني سُلَيم وأرض بني كِلاب. وعندها كانت قصّة الرجيع. (معجم البلدان ٣٠٢/١).

فبعث رسول الله، ﷺ، سبعين رجلاً، فيهم: المُنذر بن عمرو الأنصاريّ المُعَنِق^(١) ليموت، والحاتر بن الصّمة، وحرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة، وغيرهم. وقيل: كانوا أربعين، فساروا حتى نزلوا بيئر معونة، بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي، ﷺ، إلى عامر بن الطفيل، فلمّا أتاه لم ينظر إلى الكتاب، وعدا على حرام فقتله، فلمّا طعنه قال: الله أكبر فزّت وربّ الكعبة! واستصرخ بني عامر، فلم يجيبوه وقالوا: لَنْ نُخْفِرَ أبا براء، فقد أجارهم، فاستصرخ بني سليم: عُصِيَّة ورِعْلًا وذُكْوَان، فأجابوه وخرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلّا كعب بن زيد الأنصاريّ، فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق^(٢).

وكان في سرح القوم عمرو بن أميّة ورجل من الأنصار، فرأيا الطير تحوم على العسكر فقالا: إنّ لها لشأنًا، فأقبلا ينظران، فإذا القوم صرعى، وإذا الخيل واقفة، فقال عمرو: نلحق برسول الله، ﷺ، فنخبره الخبر. فقال الأنصاريّ: لا أرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو، ثمّ قاتل القوم حتى قُتل، فأخذوا عمرو بن أميّة أسيرًا. فلمّا علم عامر أنّه من سعد^(٣) أطلقه^(٤)، وخرج عمرو حتى إذا كان بالقرقرة^(٥) لقي رجلين من بني عامر، فزلا معه ومعهما عقد من رسول الله، ﷺ، ولم يعلم به عمرو فقتلها، ثمّ أخبر النبي، ﷺ، الخبر، فقال له: لقد قتلتَ قَتِيلَيْن لأدينيهما^(٦). ثمّ قال رسول الله، ﷺ: «هذا عمل أبي براء»، فشقّ عليه ذلك^(٧).

وكان فيمن قُتل عامر بن فهيرة، فكان عامر بن الطفيل يقول: من الرجل منهم لما قُتل رُفِع بين السماء والأرض؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة. وقال حسان بن ثابت يحرّض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

بني أُمّ البنين أَلَمْ يَرُعْكُمْ
وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
تَهْكُمُ عَامِرٌ بِأَبِي بَرَاءٍ
لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأُ كَعْمَدٍ

(١) ويقال: أعنق. وسُمّي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة.

(٢) سيرة ابن هشام ١٣٨/٣، الطبري ٥٤٦/٢، ٥٤٧.

(٣) في النسخة (ب): «معدّ».

(٤) المغازي لعروة ١٧٩، ١٨٠.

(٥) القرقرة: هي قرقرة الكدّر، أو قرارة الكدّر.

(٦) في النسخة (ب): «رجلين لا تعلم ذنبهما».

(٧) سيرة ابن هشام ١٣٩/٣، الطبري ٥٤٧/٢.

في أبيات له^(١). فقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كل وجه
خُفارة ما أجار أبو براء

في أبيات أخرى^(٢).

فلما بلغ ربيعة بن أبي براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه، فخر عن فرسه، فقال: إن مت فدمي لعتي. وأنزل الله، عز وجل، في أهل بئر معونة قرآناً: بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه، ثم نسخت^(٣).

(مَعُونَة: بفتح الميم، وضَمَّ العين المهملة، وبعد الواو نون. وَحَرَام: بالحاء المهملة، والراء. وَمِلْحَان: بكسر الميم، وبالحاء المهملة).

ذكر إجلاء بني النضير^(٤)

وكان سبب ذلك أن عامر بن الطفيل أرسل إلى النبي ﷺ، يطلب دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية، وقد ذكرنا ذلك.

فخرج النبي ﷺ، إلى بني النضير يستعينهم فيها، ومعه جماعة من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض وتأمروا على قتله، وهو جالس إلى جنب جدار، فقالوا: مَنْ يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويُريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله ﷺ، بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: «لا تبرحوا حتى آتيكم».

وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما أبطأ قام أصحابه في طلبه، فأخبرهم الخبر، وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وأحرق، وأرسل

(١) أنظر ديوان حسان بن ثابت - ص ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات، وبعض الألفاظ، وسيرة ابن هشام ١٤٠/٣، ١٤١، والطبري ٥٤٨/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤١.

(٢) الطبري ٥٤٨/٢، ٥٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٥٣/٢، الطبري ٥٥٠/٢، تفسيره ٣٩٣/٧.

(٤) تاريخ الطبري ٥٥٠/٢، الطبقات الكبرى ٥٧/٢، سيرة ابن هشام ١٤٣/٣، تاريخ يعقوبي ٤٩/٢، المغازي للواقدي ٣٦٣/١، أنساب الأشراف ٣٣٩/١، سيرة ابن كثير ١٤٥/٣، البداية والنهاية ٧٤/٤، عيون التواريخ ١٨٧/١، تاريخ الخميس ٥١٧/١، نهاية الأرب ١٣٧/١٧، البدء والتاريخ ٢١٢/٤، عيون الأثر ٤٨/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٣، المحبر ١١٣، مرآة الجنان ٩/١، مجمع الزوائد ١٢٥/٦، الروض الأنف ٢٥٠/٣ - ٢٥٣، المغازي للزهرري ٧١.

إليهم عبد الله بن أبيّ وجماعة معه، أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نُسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم.

وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا النبي، ﷺ، أن يُجلبهم ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، فكان ممن سار إلى خيبر كِنانة بن الربيع، وحُيَّ بن أخطب، وكان فيهم يومئذ أم عمرو صاحبة غُرّة بن الورد التي ابتاعوا منه، وكانت غفارية.

فكانت [أموال] النضير لرسول الله، ﷺ، وحده يضعها حيث شاء، فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة ذكرا فقرا فأعطاهما. ولم يُسلم من بني النضير إلا يامين بن عُمير بن كعب، وهو ابن عمّ عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب، وأحرزا أموالهما^(١).

واستخلف^(٢) على المدينة ابن أم مكتوم، وكانت رايته مع عليّ بن أبي طالب. (سَلَام: بتشديد (اللام). ومِشْكَم بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة، والكاف).

غزوة ذات الرِّقَاع^(٣)

أقام رسول الله، ﷺ، بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع، ثم غزا نجداً يريد بني مُحارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً، وهي غزوة الرِّقَاع، سُميت بذلك لأجل جبل كانت الواقعة به، فيه سواد وبياض وحُمْرة، فاستخلف على المدينة عثمان بن عفّان، فلقي المشركين ولم يكن قتال، وخاف الناس بعضهم بعضاً، فترلت صلاة الخوف، وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مُستقصى في كتب الفقه.

وجاء رجل من مُحارب إلى النبي، ﷺ، فطلب منه أن ينظر إلى سيفه، فأعطاه السيف، فلما أخذه وهزه قال: يا مُحَمَّد أما تخافني؟ قال: لا. قال: أما تخافني وفي

(١) سيرة ابن هشام ١٤٤/٣، ١٤٥، تاريخ الطبري ٥٥٢/٢ - ٥٥٥.

(٢) أي الرسول ﷺ حين خرج لحرب بني النضير.

(٣) سيرة ابن هشام ١٥٥/٣، تاريخ الطبري ٥٥٥/٢، الطبقات الكبرى ٦١/٢، أنساب الأشراف ٣٤٠/١، المغازي للواقدي ٣٩٥/١، نهاية الأرب ١٥٨/١٧، البدء والتاريخ ٢١٣/٤، تاريخ الخميس ٥٢١/١، عيون التواريخ ١٨٩/١، البداية والنهاية ٨٣/٤. سيرة ابن كثير ١٦٠/٣، عيون الأثر ٥٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٦، المحرر ١١٣، مرآة الجنان ٩/١.

يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، فردَّ السيف إليه^(١).

وأصاب المسلمون امرأة منهم، وكان زوجها غائباً، فلما أتى أهله أخبر الخبر، فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي ﷺ، دماً، وخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ يحرسنا الليلة؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فأقاما بفم شعب نزله رسول الله ﷺ، واضطجع المهاجري وحرس الأنصاري أول الليل وقام يصلي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيثة القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه فانتزعه، وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر فأصابه، فنزعه وثبت يصلي، ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه، ثم ركع وسجد، ثم أيقظ صاحبه وأعلمه، فوثب، فلما رآهما الرجل علم أنهما علما به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها، فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليّ الرمي أعلمتك، وإيم الله لولا خوفاً أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ، بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها^(٢).

وقيل: إن هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة.

ذكر غزوة بدر الثانية^(٣)

وسُميت أيضاً غزوة السويق.

وفي شعبان منها خرج رسول الله ﷺ، إلى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب، حتى نزل بدرًا، فأقام عليها ثمانين ليلة ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة إلى مرّ الظُّهران، وقيل: إلى عُسفان، ثم رجع ورجعت قريش معه، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق^(٤).

واستخلف رسول الله ﷺ، على المدينة عبد الله بن رواحة^(٥).

(١) سيرة ابن هشام ١٥٦/٣، ١٥٧، الطبقات الكبرى ٦١/٢، ٦٢، تاريخ الطبري ٥٥٧/٢، ٥٥٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٩/٣، ١٦٠، الطبري ٥٥٨/٢، ٥٥٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١٦٠/٣، تاريخ الطبري ٥٦٠/٢، المغازي للواقدي ٣٨٤/١، الطبقات الكبرى ٥٩/٢، البدء والتاريخ ٢١٣/٤، نهاية الأرب ١٥٤/١٧، أنساب الأشراف ٣٣٩/١ رقم ٧٢٦، المغازي لعروة ١٨٣، الدرر لابن عبد البر ١٧٧، جوامع السيرة ١٨٤، عيون الأثر ٥٣/٢، تاريخ الخميس ٥٢٣/١، عيون التواريخ ١٩٠/١، سيرة ابن كثير ١٦٩/٣، البداية والنهاية ٨٧/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٩، المحبر ١١٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١٦١/٣.

(٥) الطبري ٥٦١/٢، عيون التواريخ ١٩١/١.

وفيه تزوج رسول الله، ﷺ، أم سلمة^(١).
 وفيها أمر رسول الله، ﷺ، زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود^(٢).
 وفيها، في جمادى الأولى، مات عبد الله بن عثمان بن عفان، وأمه رقية بنت رسول
 الله، ﷺ، وصلى عليه رسول الله، ﷺ، وكان عمره ست سنين^(٣).
 وفيها وُلد الحسين بن علي بن أبي طالب، في قول^(٤).
 وولي الحج فيها المشركون^(٥).

(١) الطبري، عيون التواريخ، البدء والتاريخ ٢١٤/٤، تسمية أزواج النبي ٥٦، الطبقات الكبرى ٨/٨٦.
 (٢) الطبري، عيون التواريخ.
 (٣) أنظر أنساب الأشراف ٤٠١/١ رقم ٨٦٣، البدء والتاريخ ٢١٤/٤.
 (٤) الطبري ٥٥٥/٢، عيون التواريخ ١٩١/١.
 (٥) الطبري ٥٦١/٢، عيون التواريخ ١٩١/١.

الأحداث في السنة الخامسة من الهجرة

فيها تزوج رسول الله ﷺ، زينب بنت جحش^(١)، وهي ابنة عمته، كان زوجها مولاة زيد بن حارثة، وكان يقال له زيد بن محمد. فخرج رسول الله ﷺ، يريدته وعلى الباب ستر من شعر، فرفعته الريح، فرآها وهي حاسرة، فأعجبه وكُرِهت إلى زيد، فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: أَرَأَيْكَ فِيهَا شَيْءٌ؟ قال: لا والله. فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾^(٢). ففارقها زيد وحلت، وأنزل الوحي على النبي ﷺ، فقال: «مَنْ يَبْشُرْ زَيْنَبَ أَنْ اللَّهَ قَدْ زَوَّجْنَاهَا؟» وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٣) الآية؛ فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول: زَوَّجَكُنْ أَهْلُوكُنْ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ^(٤).

وفيها كانت غزوة دومة الجندل في ربيع الأول، وسببها أنه بلغ النبي ﷺ، أن بها جمعاً من المشركين، فغزاهم، فلم يلقَ كيلاً، وخلف على المدينة سبأ بن عَرْفَطَةَ الْغِفَارِيِّ، وغنم المسلمون إبلًا وغنماً ووجدت لهم^(٥).

وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع النبي ﷺ، في هذه الغزاة.

وفيها وادَعَ رسول الله ﷺ، عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ الْفَزَارِيِّ [أن يرفعى بتَغْلَمِينَ^(٦)] وما والاها].

(١) في زواج النبي ﷺ منها أنظر: الطبقات الكبرى ٧١/٨، والاستيعاب ٤ رقم ١٨٤٩، وأسد الغابة ٤٦٣/٥، وتسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيدة ٦١، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢/٣٤٥، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للمحب الطبري ١٠٥ طبعة حلب ١٣٤٦ هـ، والبداية والنهاية ١٤٥/٤، والإصابة ٣٠٧/٤، ٣٠٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٣) الطبري ٥٦٢/٢، ٥٦٣، وانظر التفسير ١٠/٢٢، ١١.

(٤) سيرة ابن هشام ١٦٥/٣، الطبري ٥٦٤/٢.

(٥) تَغْلَمَان: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، بلفظ التشية، موضع في شعر كثير. ذكره ياقوت في معجم البلدان ٣٥/٢.

(عُيَيْنَة: بضم العين، تصغير عين).

ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب^(١)

وكانت في شَوَّال، وكان سببها أَنَّ نفراً من يهود من بني النضير، منهم: عبد الله بن سَلَّام بن أبي الحَقِيق، وَحَيَّ بن أَخْطَب، وَكِنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق، وغيرهم، حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله، ﷺ، فَقَدِمُوا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله، ﷺ، وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله، فَأَجَابُوهم إلى ذلك، ثُمَّ أَتَوْا على غطفان فدعواهم إلى حرب رسول الله، ﷺ، وأخبروهم أَنَّ قريشاً معهم على ذلك، فَأَجَابُوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَة بن حِصْن في بني فِزَارَة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي في مُرَّة، وَمِسْعَر بن رُخَيْلَة الأشْجَعِي في الأشْجَع.

فلَمَّا سمع بهم رسول الله، ﷺ، أمر بحفر الخندق، وأشار به سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شاهده مع رسول الله، ﷺ، وهو يومئذ حُرٌّ، فعمل فيه رسول الله، ﷺ، رغبة في الأجر وحثاً للمسلمين، وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله، ﷺ، فَأَنْزَلَ الله في ذلك: ﴿قَدْ يَعْلَمُ الله الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(٢) الآية.

وكان الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة لحاجة لا بد منها يستأذن رسول الله، ﷺ، فيقضي حاجته ثُمَّ يعود، فَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣) الآية.

وقَسَمَ الخندق بين المسلمين، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان، كُلٌّ يَدْعِيهِ أَنَّهُ منهم، فقال رسول الله، ﷺ: «سلمان منا، سلمان من أهل البيت»^(٤). وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً، فكان سلمان، وحذيفة، والنعمان بن مُقَرَّن، وعمرو بن عَوْف، وستة

(١) سيرة ابن هشام ١٦٥/٣، تاريخ الطبري ٥٦٤/٢، الطبقات الكبرى ٦٥/٢، المغازي للواقدي ٤٤٠/٢، أنساب الأشراف ٣٤٣/١. نهاية الأرب ١٦٦/١٧، المغازي لعروة ١٨٤، عيون التواريخ ١٩٤/١، البدء والتاريخ ٢١٦/٤، تاريخ اليعقوبي ٥٠/٢، سيرة ابن كثير ١٧٨/٣، البداية والنهاية ٩٢/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٨٣، تاريخ الخميس ٥٣٩، عيون الأثر ٥٥/٢، المعارف ١٦١، الدرر لابن عبد البر ١٧٩، جوامع السيرة ١٨٥، المحبر ١١٣، صحيح البخاري ٤٤/٥ - ٤٩، مرآة الجنان ٩/١، المواهب اللدنية ١٢٥/٢، مجمع الزوائد ١٣٠/٦ - ١٤٢، المغازي للزهري ٧٩ - ٨٣.

(٢) سورة النور - الآية ٦٣.

(٣) سورة النور - الآية ٦٢.

(٤) ابن سعد ٥٩/٤، المستدرک على الصحيحين ٥٩٨/٣.

من الأنصار يعملون، فخرجت عليهم صخرة كسرت المِعُولَ، فأعلموا النبي ﷺ، فهبط إليها ومعه سلمان، فأخذ المِعُولَ وضرب الصخرة ضربةً صدعها، وبرقت منها برقّة أضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبر رسول الله ﷺ، والمسلمون، ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك، ثم خرج وقد صدعها، فسأله سلمان عما رأى من البرق، فقال رسول الله ﷺ: «أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبرائيل أنّ أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم، وأخبرني أنّ أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء، وأخبرني أنّ أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا»، فاستبشر المسلمون^(١).

وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يعدكم الباطل، ويخبركم أنّه ينظر من يشرب الحيرة ومداخن كسرى، وأنها تُفتح لكم، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢).

فأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع^(٣) الأسيال من رومة^(٤) بين الجُرف^(٥) وزُغابة^(٦)، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من كنانة وتهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم حتى نزلوا إلى جنب أحد، وخرج رسول الله ﷺ، والمسلمون، فجعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف، فنزل هناك ورفع الذراري والنساء في الأطام.

وخرج حُيَيّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قُرَيْظَةَ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ، على قومه، فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال: إنّك امرؤ مشؤوم، وقد عاهدتُ محمداً ولم أر منه إلّا الوفاء. قال حُيَيّ: يا كعب قد جئتُك بعزّ الدهر وبحر طام، جئتُك بقريش وقادتها وسادتها، وغطفان بقادتها، وقد عاهدوني أنّهم لا ييرحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه. قال كعب: جئتني بذلّ الدهر، وبجَهَام قد هراق ماءه يرعد ويبرق، وليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ! دَعْنِي [ومحمداً]. ولم يزل معه يَفْتِلُهُ فِي الذَّرْوَةِ والغارب، حتى حمّله على الغدر بالنبي ﷺ، ففعل ونكث العهد، وعاهده حُيَيّ إن عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً، أن أدخل معك في حصنك، حتى يصيبني

(١) سيرة ابن هشام ١٧١/٣، الطبري ٥٦٩/٢.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ١٢، والخبر في تفسير الطبري ٨٥/٢١، ٨٦.

(٣) في الطبعة الأوربية «بمجمع».

(٤) في الطبعة الأوربية «روبة».

(٥) الجُرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. (معجم البلدان ١٢٨/٢).

(٦) زُغَابَة: بالفتح في الأول. قال ياقوت: رواه أبو عبيد البكري الأندلسي زُغَابَة بضم الزاي وعين مهملة. (معجم البلدان ١٤١/٣).

ما أصابك. فعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ونَجَمَ التَّفَاق من بعض المنافقين. وأقام رسول الله، ﷺ، والمشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي [بالنبل]^(١).

فلما اشتدَّ البلاء بعث رسول الله، ﷺ، إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن، والحارث بن عَوْف المُرِّي، قَائِدِي غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا^(٢) بمنَّ معهما عن رسول الله، ﷺ، فأجابا إلى ذلك، فاستشار رسول الله، ﷺ، سعد بن مُعَاذ، وسعد بن عُبَادَة، فقالا: يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه، أم شيء أمرك الله به، أو شيء تصنعه لنا؟ قال: بل [لكم]، رأيتُ العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردتُ أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن مُعَاذ: قد كنّا نحن وهم على الشُّرك، ولا يطمعون أن يأكلوا مِنّا تمرَة إلا قَرَى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام نُعطيهم أموالنا! ما نُعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فترك ذلك رسول الله ﷺ^(٣).

ثم إن فوارس من قريش، منهم: عمرو بن عبد ودّ أحد بني عامر بن لُؤَي، وعكرمة ابن أبي جهل، وهُبَيْرَة بن أبي وهب، ونَوْفَل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب الفِهْرِي، خرجوا على خيولهم، واجتازوا بيني كِنَانَة وقالوا: تجهّزوا للحرب وستعلمون من الفرسان. وكان عمرو بن عبد ودّ قد شهد بدرًا كافرًا، وقاتل حتى كثرت الجراح فيه، فلم يشهد أحدًا، وشهد الخندق مُعْلِمًا حتى يُعرف مكانه، وأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا على الخندق، ثم تيمّموا مكانًا ضيقًا فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم في السُّبْحَة، بين الخندق وسلع.

وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين، فأخذوا عليهم الثغرة، وكان عمرو قد خرج مُعْلِمًا، فقال له عليّ: يا عمرو إنك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين، إلا أخذت إحداهما؟ قال: أجل. قال له عليّ: فإنّي أدعوك إلى الله والإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنّي أدعوك إلى النزال. قال: والله ما أحب أن أقتلك. قال عليّ: ولكنّي أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك، فنزل عن فرسه وعقره، ثم أقبل على عليّ، فتجاولا، وقتله عليّ، وخرجت خيلهم منهزمة، وقُتل مع عمرو رجلان، قتل عليّ أحدهما، وأصاب آخر سهم، فمات منه بمكة^(٤).

(١) سيرة ابن هشام ١٧٢/٣، ١٧٣ وفيه «الرميا»، الطبري ٥٧٢/٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «يرجعوا».

(٣) السيرة ١٧٣/٣، الطبري ٥٧٣/٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١٧٦/٣، الطبري ٥٧٣/٢، ٥٧٤.

ورُمي سعد بن مُعاذ بسهم قطع أكَحَلَهُ، رماه جَبَان بن قيس بن العَرَقَة بن عبد مناف، من بني مَعِيص من عامر بن لُؤَيٍّ، والعَرَقَة أُمُّهُ^(١)، وإنما قيل لها العَرَقَة لطيب ريح عَرَقِهَا، وهي قِلَابَة بنت سعد بن سَهْم، وهي أُمُّ عبد مناف بن الحارث. فلمَّا رمى سعداً قال: خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرَقَةِ. فقال النبي ﷺ: عَرَقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ، وَلَمْ يُقَطِّعْ [الْأَكْحَل] مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَاتَ. فقال سعد: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قَرِيشَ شَيْئاً فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَهُمْ مِنْ قَوْمِ آذَوْا نَبِيَّكَ وَكَذَّبُوهُ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا، فَاجْعَلْهُ لِي شَهِاداً، وَلَا تُمَتِّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ^(٢). وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهليَّة.

وقيل إنَّ الذي رمى سعداً هو أَبُو أُسَامَةَ الْجُشَمِيُّ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُوم^(٣). فلمَّا قال سعد ما قال انقطع الدم.

وكانت صَفِيَّة عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، في فَارِع، حصن حَسَّان بن ثابت، وكان حَسَّان فيه مع النساءِ لِأَنَّهُ كَانَ جَبَاناً، قالت: فَأَتَانَا آتٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقُلْتُ لِحَسَّان: هَذَا الْيَهُودِيُّ يَطُوفُ بِنَا، وَلَا نَأْمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ عَوْرَاتِنَا، فَانْزِلْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ. فقال: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا. قالت: فَأَخَذْتُ عَمُوداً وَنَزَلْتُ إِلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقُلْتُ لِحَسَّان: انْزِلْ إِلَيْهِ فَخُذْ سَلْبَهُ، فَإِنِّي يَمْنَعُنِي مِنْهُ أَنَّهُ رَجُلٌ. فقال: وَاللَّهِ مَا لِي بِسَلْبِهِ مِنْ حَاجَةٍ^(٤).

ثُمَّ إِنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَلَمْ يَعْلَمْ قَوْمِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ. فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخُذْ عَلْنَا مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُذْعَةٌ». فخرج حتى أَتَى بَنِي قَرِيظَةَ، وَكَانَ نَدِيماً لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فقال لهم: قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّيَ إِيَّاكُمْ. فقالوا: لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ. قال: قَدْ ظَاهَرْتُمْ قَرِيشاً وَغُظْفَانَ عَلَى حَرْبِ مُحَمَّدٍ، وَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بِلَدِكُمْ، بِهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَيَّ أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ، وَإِنَّ قَرِيشاً وَغُظْفَانَ إِنْ رَأَوْا

(١) في الطبعة الأوربية «جدة».

(٢) السيرة ١٧٧/٣، الطبري ٥٧٥/٢ و ٥٧٦.

(٣) السيرة ١٧٨/٣، الطبري ٥٧٧/٢.

(٤) السيرة ١٧٩/٣، الطبري ٥٧٧/٢.

وقال السَّهْلِيُّ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ ٢٨١/٣ «ومحمل هذا الحديث عند الناس على أَنَّ حَسَّاناً كَانَ جَبَاناً شَدِيدَ الْجَبَنِ، وَقَدْ دَفَعَ هَذَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَأَنْكَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَدِيثٌ مُنْقَطِعُ الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: لَوْ صَحَّ هَذَا لَهُجِّي بِهِ حَسَّانٌ، فَإِنَّهُ كَانَ يَهَاجِي الشُّعْرَاءَ كَضَرَّارِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرِهِمَا، وَكَانُوا يَنَاقِضُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَمَا غَيْرُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِجَبَنِ، وَلَا وَسَمِهِ بِهِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَإِنَّ صَحَّ فَلَعَلَّ حَسَّانَ أَنْ يَكُونَ مَعْتَلّاً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِلَعْلَةٍ مَنَعَتْهُ مِنْ شُهُودِ الْقِتَالِ».

نُهْزَةً^(١) وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمد، ولا طاقة لكم به [إن خلا بكم]، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رُهْناً من أشرافهم ثقةً لكم، حتى تناجزوا محمّداً. قالوا: أشرت بالنصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم وديّ إياكم وفراقي محمّداً، وقد بلغني أنّ قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمّد: هل يُرضيك عنّا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم^(٢) فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأجابهم: أن نعم، فإن طلبت قريظة منكم رُهْناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجالاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: أنتم أهلي وعشيرتي. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم.

فلما كان ليلة السبت من شوال [سنة خمس] كان ممّا صنع الله لرسوله، [أن] أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم: إنا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاعذّوا^(٣) للقتال [حتى نناجز محمّداً]. فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم السبت لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم حتّى تعطونا رُهْناً ثقةً لنا، فإنّا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل ونحن ببلادهم. فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان: والله لقد صدق نعيم بن مسعود، فأرسلوا إلى قريظة: [إنّا] والله لا ندفع إليكم رجالاً واحداً. فقالت قريظة عند ذلك: إنّ الذي ذكر نعيم بن مسعود لحقّ. وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرّح أبنيّتهم.

فلما انتهى إلى النبيّ، ﷺ، اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلاً فقال: انطلق إليهم وانظر حالهم، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا. قال حذيفة: فذهبتُ فدخلتُ فيهم، والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل، لا يقَرّ لهم قَدْر ولا بناء ولا نار. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر الرجل أمر جليسه^(٤)، قال: فأخذتُ بيد الرجل الذي بجاني فقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا فلان.

ثم قال أبو سفيان: والله لقد هلك الخفّ والحافر، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من هذه

(١) في الطبعة الأوربية «نزهة».

(٢) في الطبعة الأوربية «فنعطيكهم».

(٣) في الطبعة الأوربية «فاعذّوا».

(٤) في سيرة ابن هشام: لينظر امرأة من جليسه.

الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم، ولولا عهد رسول الله، ﷺ، [إلي أن] لا أحدث شيئاً لقتلته.

قال حذيفة: فرجعتُ إلى النبي، ﷺ، وهو قائم يصلي في مِرطٍ لبعض نسائه، فأدخلني بين رجله، وطرح عليّ طرف المِرط، فلما سَلِمَ خبرته الخبر.

وسمعتُ غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم^(١)، فلما عادوا قال رسول الله، ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا». فكان كذلك حتى فتح الله مكة.

ذكر غزوة بني قُريظة^(٢)

لما أصبح رسول الله، ﷺ، عاد إلى المدينة، ووضع المسلمون السلاح، وضرب على سعد بن مُعاذ قبة في المسجد ليعوده من قريب، فلما كان الظهر أتى جبرائيل النبي، ﷺ، فقال: أقد وضعت السلاح؟ قال: نعم. قال جبرائيل: ما وضعت الملائكة السلاح، إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قُريظة، وأنا عامد إليهم. فأمر رسول الله، ﷺ، منادياً فنادى: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلين العصر إلّا في بني قُريظة. وقدم علياً إليهم برايته، وتلاحق الناس، ونزل رسول الله، ﷺ، وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلّوا العصر بها، وما عابهم رسول الله، ﷺ،^(٣).

وحاصر بني قُريظة شهراً، أو خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله، ﷺ، أن تبعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المُنذر، وهو أنصاري من الأوس، نستشير، فأرسله، فلما رآوه قام إليه الرجال، وبكى النساء والصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقة أنّه الذّبح. قال أبو لُبابة: فما زالت قدماي حتى عرفتُ أنّي خُنتُ الله ورسوله، وقلتُ: والله لا أقمّتُ بمكان عصيتُ الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ.

(١) إلى هنا في سيرة ابن هشام ١٨٣/٣، الطبري ٥٧٩/٢ - ٥٨١.

(٢) الطبقات الكبرى ٧٤/٢، المغازي للواقدي ٤٩٦/٢، سيرة ابن هشام ١٨٣/٣، تاريخ الطبري ٥٨١/٢، المغازي لعروة ١٨٦، الدرر لابن عبد البر ١٨٩، جوامع السيرة ١٩١، عيون الأثر ٦٨/٢، تاريخ يعقوبي ٥٢/٢، البدء والتاريخ ٢٢٠/٤، أنساب الأشراف ٣٤٧/١ رقم ٧٣٣، نهاية الأرب ١٨٦/١٧، عيون التواريخ ٢٠٦/١، تاريخ الخميس ٥٥٤/١، سيرة ابن كثير ٢٢٣/٣، البداية والنهاية ١١٦/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٠٧، المسند للإمام أحمد ١٤١/٦، المحجّر ١١٣، مجمع الزوائد ١٣٠/٦ - ١٤٢، مرآة الجنان ٩/١، ١٠، صحيح البخاري ٤٩/٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١٨٥/٣، الطبري ٥٨١/٢.

فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله، ﷺ^(١).

ثم نزلوا على حكم رسول الله، ﷺ، فقال الأوس: يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج، يعني بني قَيْنِقَاع، وقد تقدّم ذكرهم. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن مُعَاذ؟ قالوا: بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله، ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك. فلما كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنه يقتلهم، فلما انتهى سعد إلى رسول الله، ﷺ، قال: قوموا إلى سيّدكم، أو قال: خيركم، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد ردّ رسول الله، ﷺ، الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم إليّ؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي، ﷺ، وغضّ بصره عن رسول الله إجلالاً وقال: وعلى من ههنا العهد أيضاً؟ فقالوا: نعم. وقال رسول الله، ﷺ: نعم. قال: فإنّي أحكم أن تُقتل المقاتلة، وتُسبى الذرية والنساء، وتُقسم الأموال، فقال له رسول الله، ﷺ: «لقد حكمت فيهم» [بحكم الله من فوق سبعة أرقعة]^(٢).

ثم استنزلوا فحبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجّار. ثم خرج رسول الله، ﷺ، إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها، وفيهم حُيّي بن أخطب، وكعب بن أسد سيّدهم وكانوا^(٣) ستمائة أو سبعمائة، وقيل: ما بين سبعمائة وثمانمائة، وأتي بحُيّي بن أخطب وهو مكتوف، فلما رأى النبي، ﷺ، قال: والله ما لُمت نفسي في عداوتك، ولكنّ من يخذل الله يُخذل. ثم قال للناس: إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل. فأجلس وضربت عنقه. ولم تُقتل منهم إلّا امرأة واحدة، قُتلت بحدّث أحدثته، وقُتلت أرفة بنت عارضة منهم^(٤).

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٨٧، الطبري ٢/٥٨٥، المغازي لعروة ١٨٧.

(٢) الأرقعة: جمع رقيع: السموات. والخبر في السيرة ٣/١٨٩، ١٩٠، والطبري ٢/٥٨٧، ٥٨٨.

(٣) في الطبعة الأوربية «وكان».

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٩١، الطبري ٢/٥٨٨، ولم يذكر اسم القتيلة، بل قال ابن هشام: «وهي التي طرحت الرجا على خلاد بن سويد، فقتلته».

قال ابن إسحاق: «وقد حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يُقتل من نسائهم إلّا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي، وتضحك ظهراً ويطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك، ما لك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: لحَدّث أحدثته. فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل».

(السيرة ٣/١٩١، ١٩٢).

وأسلم منهم ثعلبة بن سَعْيَة^(١)، وأسيد بن سَعْيَة^(٢)، وأسد بن عُبيد.

ثم قسم رسول الله، ﷺ، أموالهم، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفَرَس سهمان، وفارسه سهم، وللراجل مَمن ليس له فَرَس سهم، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً، وأخرج منها الخمس، وكان أول فَيء وقع فيه السُّهُمان والخمس^(٣).

واصطفى رسول الله، ﷺ، لنفسه رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة^(٤) من بني قُرَيْظَة، فأراد أن يتزوّجها فقالت: اتركني في مَلُكك فهو أخفّ عليّ وعليك^(٥).

فلَمّا انقضى أمر قُرَيْظَة انفجر جرح سعد بن مُعاذ واستجاب الله دعاءه، وكان في خيمته التي في المسجد، فحضره رسول الله، ﷺ، وأبو بكر وعمر. وقالت عائشة: سمعتُ بكاء أبي بكر وعمر عليه وأنا في حجرتي، وأمّا النبي، ﷺ، فكان لا يبكي على أحد، كان إذا اشتدَّ وجده أخذ بلحيته^(٦).

وكان فتح قُرَيْظَة في ذي القعدة وصدر ذي الحِجّة، وقُتل من المسلمين في الخندق ستة نفر، وفي قُرَيْظَة ثلاثة نفر^(٧).

(١) في النسخة (ب): شعبة، وفي أخرى «سعيد».

(٢) سيرة ابن هشام ١٩٤/٣، تاريخ الطبري ٥٩١/٢.

(٣) في الطبعة الأريية «جُنافة».

(٤) السيرة ١٩٤/٣، الطبري ٥٩٢/٢.

(٥) السيرة ١٩٩/٣، الطبري ٥٩٢/٢، ٥٩٣.

(٦) أنظر أسماءهم في السيرة ٢٠٣/٣.

ودخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بني لحيان^(١)

في جُمادى الأولى منها خرج رسول الله، ﷺ، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبَيْب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غزوةً، وأعدَّ السير حتى نزل على غَرَان منازل بني لحيان، وهي بين أَمَج وعُسْفَان، فوجدتهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلمَّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعُسْفَان، تخويفاً لأهل مكة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كُرَاع الغميم، ثم عاد قافلاً^(٢).

(غَرَان^(٣)): بفتح الغين المعجمة، وفتح الراء، وبعد الألف نون. وأَمَج: بفتح الهمزة، والميم، وآخره جيم).

ذكر غزاة ذي قرد^(٤)

ثم قَدِم رسول الله، ﷺ، المدينة فلم يُقَم إِلَّا أَيَّاماً قلائل، حتَّى أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن الفزاري في خيل غطفان على لِقَاح النبي، وأوَّل من نَذِر بهم سَلَمَةُ بن الأكوع

(١) سيرة ابن هشام ٢٢٥/٣، المغازي للواقدي ٥٣٥/٢، تاريخ الطبري ٥٩٥/٢، الطبقات الكبرى ٧٨/٢، أنساب الأشراف ٣٤٨/١ رقم ٧٣٤، البدء والتاريخ ٢٢٢/٤، نهاية الأرب ٢٠٠/١٧، عيون التواريخ ٢٢٣/١، عيون الأثر ٨٣/٢، سيرة ابن كثير ٢٨٥/٣، البداية والنهاية ١٤٩/٤، تاريخ الإسلام ٣٣٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٢٦/٣، تاريخ الطبري ٥٩٥/٢.

(٣) في معجم البلدان لياقوت: غَرَان: بضم أوله وتخفيف ثانيه.

(٤) وتعرف بغزوة الغابة. أنظر عنها في: سيرة ابن هشام ٢٢٧/٣، الطبقات الكبرى ٨٠/٢، تاريخ الطبري ٥٩٦/٢، عيون الأثر ٨٤/٢، المغازي للواقدي ٥٣٧/٢، البدء والتاريخ ٢٢٣/٤، أنساب الأشراف ٣٤٨/١، عيون التواريخ ٢٢٤/١، نهاية الأرب ٢٠١/١٧، سيرة ابن كثير ٢٨٦/٣، البداية والنهاية ١٥٠/٤، تاريخ الإسلام ٣٠٣.

الأسلميّ. هكذا ذكرها أبو جعفر^(١) بعد غزوة بني لحيان عن ابن إسحاق، والرواية الصحيحة عن سلمة: أنها كانت بعد مقدّمة المدينة مُنصرِفاً من الحُدَيْيَّة، وبين الوقعتين تفاوت.

قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبي، ﷺ، إلى المدينة بعد صلح الحُدَيْيَّة، فبعث رسولُ الله، ﷺ، بظهره^(٢) مع رَبَاح غلامه، وخرجتُ معه بفَرَس طُلحة بن عُبيد الله، فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاريّ قد أغار على ظهر رسول الله، ﷺ، فاستاقه أجمع وقتل راعيه، قلتُ: يا ربّاح [خذ] هذا الفرس فأبلغه طُلحة وأخبر النبي، ﷺ، أنّ المشركين قد أغاروا على سرّحه؛ ثمّ استقبلتُ الأكمة فناديتُ ثلاثة أصوات: يا صباحاه! ثمّ خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول:

[خُذها] وأنا ابنُ الأكوع واليومُ يومُ الرُّضْع

قال: فَوَالله ما زلتُ أرميهم وأعقر بهم، فإذا خرج إليّ فارس قعدتُ في أصل شجرة فرميته ففقرت به، وإذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم، فما زلتُ كذلك حتّى ما تركتُ من ظهر رسول الله، ﷺ، بعيداً إلّا جعلته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه، وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بُردة يستخفّون بها، لا يُلْقُون شيئاً إلّا جعلت عليه أمانة، أي علامة، حتّى يعرفه أصحاب رسول الله، ﷺ، حتّى [إذا] انتهوا إلى متضايق من ثنية أتاهم عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر مُمدّاً، ففعدوا يَتَضَحُّون^(٣)، فلمّا رأيَ قال: ما هذا؟ قالوا: لقينا منه البرّح وقد استنقذ كلّ ما بأيدينا^(٤)، فما برحتُ مكاني حتّى أبصرتُ فوارس رسول الله، ﷺ، يتخلّلون الشجر، أولهم الأخرم الأسدي واسمه مُحَرز بن نُضلة من أسد بن خُزَيْمة، وعلى أثره أبو قتادة، وعلى أثرهما المِقْداد بن عمرو الكندي، فأخذتُ بعنان الأخرم وقلتُ: احذر القوم لا يقطّعونك حتّى تلحق رسول الله، ﷺ، وأصحابه، فقال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحلُ بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيتُه، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَة، ففقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم، [ولحق أبو قتادة فارس رسول الله، ﷺ، بعبد الرحمن فطعنه]، فانطلقوا هاربين. قال سلمة: فوالذي

(١) أي الطبري ٥٩٦/٢.

(٢) الظاهر: الإبل تُعدّ للركوب أو حمل الثقل.

(٣) في الأوربية: يصحون. (ويتضحون: أي يأكلون وقت الضحى).

(٤) في الطبعة الأوربية «يلينا».

كَرَّم وجه مُحَمَّد لَاتَبَعَنَّهُم أَعْدُو عَلَى رَجُلِي، حَتَّى مَا أَرَى مِنْ أَصْحَاب مُحَمَّد وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئاً^(١).

وَعَدَلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى غَارٍ فِيهِ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ ذَوْ قَرْدٍ، يَشْرَبُونَ مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَظَنُّوا إِلَيَّ أَعْدُو فِي آثَارِهِمْ، فَحَلَّيْتَهُمْ^(٢)، فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَاشْتَدُّوا فِي ثَنِيَّةٍ^(٣) ذِي أَبْهَرٍ^(٤) فَأَرَشْتُ بَعْضَهُمْ بِسَهْمٍ فَيَقَعُ فِي نَغْضٍ^(٥) كَتَفِهِ، فَقُلْتُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوْعِ وَالْيَوْمَ [يَوْمُ] الرُّضْعِ

وَإِذَا فَرَّسَانِ عَلَى الثَّنِيَّةِ، فَجِئْتُ بِهِمَا أَقُودَهُمَا إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ.

وَلَحَقَنِي عَمِيَّ عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ، فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ وَشَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّيْتَهُمْ^(٦) عَنْهُ بِذِي قَرْدٍ، وَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ الَّتِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَكُلَّ رَمَحٍ، وَكُلَّ بُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ قَدْ نَحَرَ لَهُ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ وَهُوَ يَشْوِي مِنْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلْنِي أُنْتَخِبَ مِائَةَ رَجُلٍ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَقْرُونَ^(٧) بِأَرْضِ غُظْفَانَ^(٨). فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غُظْفَانَ فَقَالَ: نَحَرَ لِهِمْ فَلَانٌ جَزُورًا، فَلَمَّا كَشَطُوا^(٩) عَنْهَا جِلْدَهَا رَأَوْا غِبَارًا، فَقَالُوا: أَتَيْتُمْ^(١٠)، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: خَيْرُ فَرَسَانَا أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا^(١١) سَلَمَةُ بْنُ الْأَكُوْعِ، ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، سَهْمَ الْفَارَسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّقُ شَدًّا^(١٢)، فَقَالَ: أَلَا مِنْ مُسَابِقٍ؟ مَرَارًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِذْنٌ لِي فَلَأَسَابِقَ الرَّجُلِ. قَالَ: إِنْ

(١) الطبري ٥٩٧/٢، ٥٩٨.

(٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «فَحَلَّيْتَهُمْ». وَحَلَّيْتَهُمْ: أَيِ طَرَدْتَهُمْ وَأَجْلَيْتَهُمْ.

(٣) فِي إِحْدَى النُّسخ «نَدْبَهُ»، وَفِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «بَيْت».

(٤) فِي إِحْدَى النُّسخ «أَبْتَر».

(٥) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «بَعْض».

(٦) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «جَلَاهُمْ».

(٧) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «لِيَغْزُونَ»، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢٣١/٣ «لِيُغْبِقُونَ».

(٨) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢٣١/٣، تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٦٠٣/٢.

(٩) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ١٤٣٣/٣ «كَشَفُوا».

(١٠) فِي الصَّحِيحِ «أَتَاكُمُ الْقَوْمُ».

(١١) فِي الصَّحِيحِ، وَالتَّبْرِيِّ «رَجَالِنَا».

(١٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرِيَّةِ «يُسَبِّقُهُ شَيْءٌ».

شئت. قال: فطفرتُ وربطتُ شرفاً أو شرفين فألحقه فقلت: سيقتك والله! فسبقته إلى المدينة، فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خير^(١).

وفي هذه الغزوة نودي: يا خيل الله اركبي، ولم يكن يقال قبلها.
(قَرَدَ بفتح القاف والراء).

ذكر غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعة^(٢)

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت في شعبان من السنة (سنة ست). وكان بلغ رسول الله ﷺ، أن بني المُصْطَلِق تَجَمَّعوا له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرِيَّة زوج النبي ﷺ، فلَمَّا سمع بهم خرج إليهم، فلقبهم بماء لهم يقال له المُرَيْسِع، بناحية قُدَيْد، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، وقتل من قتل منهم، وأصيب رجل من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صُبابَة أخو مِقَيْس بن صُبابَة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبَادَة بن الصامت بسهم، وهو يُرى أنه من العدو فقتله خطأ.

وأصاب رسول الله ﷺ، سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين، وفيهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس، أو لابن عمِّ له، فكاتبتة عن نفسها، فأنت رسول الله ﷺ، فاستعانتة في كتابتها، فقال لها: هل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل، وسمع الناس الخبر فقالوا: أصهار رسول الله؛ فأعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بني المُصْطَلِق، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها^(٣).

وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطَّاب أجيرٌ له من بني غِفَّار، يقال له جَهْجَاه، فازدحم هو وسنان الجُهَنِي، حليف بني عَوْف من الخزرج، على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجُهَنِي: يا معشر الأنصار! وصرخ جَهْجَاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبدُ الله بن أبي بن سلول، وعنده رَهْط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن. فقال: أقد فعلوها! قد كاثرونا في بلادنا! أما والله ﷻ لئن رجَعْنَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٣٣/٣ - ١٤٤١، ورواه الطبري ٦٠٠/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٥/٣، تاريخ الطبري ٦٠٤/٢، تاريخ يعقوبي ٥٣/٢، المغازي لمروءة ١٩٠، تاريخ خليفة ٨٠، عيون الأثر ٩١/٢، الدرر لابن عبد البر ٢٠٠، عيون التواريخ ٢٢٨/١، سيرة ابن كثير ٢٩٧/٣، البداية والنهاية ١٥٦/٤، تاريخ الإسلام ٣٤٩، المغازي للواقدي ٤٠٤/١ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٦٣/٢ - ٦٥، تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ٣٣٦/٢، أنساب الأشراف ٣٤١/١ رقم ٧٢٩، المحبر ١١٤، نهاية الأرب ١٦٤/١٧ - ١٦٦، مجمع الزوائد ١٤٢/٦، ١٤٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٠/٣، ٢٤١.

إلى المَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^(١)! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بَأَنْفُسِكُمْ! أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ! وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ بِلَادِكُمْ.

فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدٌ، فَمَشَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ غَزْوِهِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرِّبُهُ عَبَادُ بْنُ يَشْرَ فَلْيَقْتُلْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! وَلَكِنْ أَذْنٌ بِالرَّحِيلِ». فَارْتَحَلَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَرْتَحِلُ فِيهَا، لِيَقْطَعَ مَا لِلنَّاسِ فِيهِ^(٢).

فَلَقِيَهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رُحَّتْ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَرُوحُ فِيهَا. فَقَالَ: «أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي؟ قَالَ: وَمَاذَا؟ قَالَ: «زَعَمَ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ». قَالَ أُسَيْدٌ: فَأَنْتَ وَاللَّهِ تُخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ الْعَزِيزُ وَهُوَ الذَّلِيلُ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اارْفُقْ بِهِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ بِكَ، وَإِنْ قَوْمَهُ لَيَنْظُمُونَ لَهُ الْخَرْزَ لِيَتَوَجَّوهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلْبَيْتَهُ مُلْكًا^(٣).

وَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْ زَيْدًا أَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ، قَوْلَهُ فَمَشَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغَلَامُ قَدْ أَخْطَأَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾^(٤)؛ تَصْدِيقًا لَزَيْدٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِأُذُنِ زَيْدٍ وَقَالَ: هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ^(٥).

وَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ قَتْلَ أَبِي، فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمَلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ، وَأَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ غَيْرِي بِقَتْلِهِ، فَلَا تَدْعِنِي نَفْسِي أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَأَقْتُلْهُ، فَأَقْتُلْ مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ، فَأَدْخَلَ النَّارَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ نَرَفُقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صَحْبَتَهُ^(٦) مَا بَقِيَ مَعْنَاهُ^(٧). فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ حَدَثًا عَاتَبَهُ قَوْمُهُ وَعَنَفُوهُ وَتَوَعَّدُوهُ،

(١) سورة المنافقين، الآية ٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٨/٣، الطبري ٦٠٨/٢، ٦٠٩، التفسير ٧٥/٢٨، ٧٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣، الطبري ٦٠٦/٢.

(٤) سورة المنافقين - الآية ١.

(٥) سيرة ابن هشام ٢٣٨/٣، الطبري ٦٠٧/٢.

(٦) في إحدى النسخ «محبته».

(٧) في النسخة (ب): «حيًا».

فقال رسول الله، ﷺ، لعمر بن الخطّاب حين بلغه ذلك عنهم: «كيف ترى ذلك يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له أنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته». فقال عمر: أمر رسول الله أعظم بركة من أمري^(١).

وفيها قدّم مقيس بن صُبابه مسلماً فيما^(٢) يُظهر، فقال: يا رسول الله جئت مسلماً وجئت أطلب دية أخي، وكان قُتل خطأ؛ فأمر له بدية أخيه هشام بن صُبابه، وقد تقدّم ذكر قتله آنفاً، فأقام عند رسول الله، ﷺ، غير كثير، ثمّ عدا على قاتل أخيه فقتله، ثمّ خرج إلى مكة مرتدّاً فقال:

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِ بَاتَ فِي الْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبِيهِ^(٣) دُمَاءُ الْأَخَادِعِ^(٤)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلِمُّ، فَتَحْمِينِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ نَذْرِي^(٥) وَأَدْرَكْتُ ثَوْرَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَصْنَامِ^(٦) أَوَّلَ رَاجِعٍ^(٧)

(مقيس: بكسر الميم، وسكون القاف، وفتح الياء تحتها نقطتان. وصُبابه: بصاد مهملة، وببائين موحدتين بينهما ألف. وأسيد: بهمزة مضمومة. وحُضير: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الضاد).

حديث الإفك^(٨)

وكان حديث الإفك في غزوة بني المصطلق:

لما رجع رسول الله، ﷺ، فكان ببعض الطريق قال أهل الإفك ما قالوا. وكان من حديثه ما روي عن عائشة، قالت: كان رسول الله، ﷺ، إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأَيَّتِهِنَّ خرج سهمها خرج بها معه، فلمّا كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، فخرج سهمي، فخرج بي معه، وكانت النساء إذ ذاك إنما يأكلن العَلَقَ^(٩) لم يتفكهن

(١) سيرة ابن هشام ٢٣٩/٣، الطبري ٦٠٨/٢، ٦٠٩.

(٢) في الطبعة الأوربية «فلم».

(٣) في النسخة (ب): «ثوبيه روى بن».

(٤) الأخادع: عروق القفا، وإنما هما أخدعان، فجمعهما مع ما يليهما.

(٥) في السيرة، وتاريخ الطبري «وترى».

(٦) في السيرة، والطبري «الأوثان».

(٧) أنظر بيتاً رابعاً في السيرة ٢٣٩/٣، والطبري ٦٠٩/٢.

(٨) سيرة ابن هشام ٢٤٣/٣، تاريخ الطبري ٦١٠/٢، تاريخ خليفة ٨٠، عيون الأثر ٩٦/٢، عيون التواريخ

٢٣٠/١، سيرة ابن كثير ٣٠٤/٣، البداية والنهاية ١٦٠/٤، صحيح البخاري ٥٥/٥ - ٦١ باب حديث

الإفك، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٦٩، المغازي للزهري ١١٦ - ١٢٢.

(٩) العَلَق: ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.

باللحم^(١)، وكنتُ إذا وصل بعيري جلستُ في هودجي، ثم يأتي القوم الذي يرحلون بعيري، فيحملون الهودج وأنا فيه، فيضعونه على ظهر البعير، ثم يأخذون برأس البعير ويسIRON.

قالت: فلما قفل رسول الله ﷺ، من سفره ذلك، وكان قريباً من المدينة، بات بمنزلٍ بعض الليل، ثم ارتحل هو والناس، وكنتُ قد خرجتُ لبعض حاجتي، وفي عنقي عقْدٌ لي من جَزَع ظفار، انسلَّ من عنقي ولا أدري، فلما رجعتُ التمسْتُ العقْدَ فلم أجده، [وأخذ الناسُ بالرحيل]، فرجعتُ إلى المكان الذي كنتُ فيه ألتمسُه فوجدتهُ، وجاء القوم الذين يرحلون بعيري، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه، فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا، ورجعتُ إلى المعسكر وما فيه داع ولا مجيب، فتلففتُ بجلبابي واضطجعتُ مكاني، وعرفتُ أنهم يرجعون إليَّ إذا افتقدوني.

قالت: فوالله إنني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي، وكان تخلف عن العسكر لحاجته، فلم يبتَّ مع الناس، فلما رأى سوادي أقبل حتى وقف عليَّ فعرفني، وكان رأيي قبل أن يضرب الحجاب، فلما رأيي استرجع وقال: ما خلفك؟ قالت: فما كلمتهُ، ثم قَرَّب البعير وقال: اركبي. فركبتُ، وأخذ برأس البعير مسرعاً.

فلما نزل الناس واطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك [في] ما قالوا، فارتعج^(٢) العسكر، ولم أعلم بشيء من ذلك، ثم قَدِمنا المدينة، فاشتكتُ شكوى شديدة، وقد انتهتُ الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبوي ولا يذكران لي منه شيئاً، إلا أنني أنكرتُ من رسول الله ﷺ، بعض لُطفه، فكان إذا دخل عليَّ وأمي تمرّضني قال: كيف تيكُم؟ لا يزيد علي ذلك، فوجدتُ في نفسي ممَّا رأيتُ من جفائه، فاستأذنته في الإنتقال إلى أمي لتمرّضني، فأذن لي، وانتقلتُ ولا أعلم بشيء ممَّا كان، حتَّى نَقِيتُ من وجعي بعد بضعةٍ وعشرين ليلة.

قالت: وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنف، نعافها ونكرها، إنما كان النساء يخرجن كلَّ ليلة، فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي، ومعِي أُمُ مِسْطَح ابنة أبي رُهم بن المطّلب، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق، قالت: فوالله إنها لتمشي، إذ عثرت في مِرطها فقالت: تَعَسَ مِسْطَحُ. قالت: قلتُ: لعمرُ الله بش ما قلتُ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا! قالت: أو ما بلغك الخبر؟ قلتُ: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان. قالت:

(١) عبارة الطبري «إنما يأكلن العُلُق لم يهيجن اللحم فيثقلن».

(٢) في الطبعة الأوربية «فارتعج»، وهكذا في طبعة السيرة لابن هشام، وفي طبعة أخرى «ارتعج»، كما هو مثبت أعلاه، بمعنى تحرك واضطرب.

فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي، فرجعتُ، فما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أن البكاء سيصدع كبدي، وقلتُ لأمي: تحدثْ الناس بما تحدثوا، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أي بُنية خفيضي عليك، فوالله قلَّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر، إلا كثرن، وكثر^(١) الناس عليها. قالت: وقد قام رسول الله ﷺ، في الناس فخطبهم، ولا أعلم بذلك، ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهن غير الحق، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا معي.

وكان كُبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول، في رجال من الخزرج، مع الذي قال مسطح، وحمنة بنت جحش، وذلك أن زينب أختها كانت عند رسول الله ﷺ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تُضارني لأختها، فلما قال رسول الله ﷺ، تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفهم^(٢)، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمَرْنَا بأمرِك. فقال سعد بن عبادة: والله ما قلتُ هذه المقالة إلا وقد عرفتُ أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلتُ هذا.

فقال أسيد: كذبتَ ولكنك منافق تجادل عن المنافقين. وتثار الناس حتى كاد يكون بينهم شرٌّ، ونزل رسول الله ﷺ، ودعا علي بن أبي طالب وأسماءة بن زيد فاستشارهما. فأما أسماءة فأتني خيراً وأما علي فقال: إن النساء لكثير وسل الخادم تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ، بريرة يسألها، فقام إليها علي، فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: اصدقي رسول الله. فقالت: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنتُ أعيبُ عليها، إلا أنها كانت تنام عن عجينها، فيأتي الداجن فيأكله^(٣).

ثم دخل علي رسول الله ﷺ، وعندي أبواي وامرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فإن كنتِ قارفتِ سوءاً فتوبي إلى الله.

قالت: فوالله لقد تقلص دمعي، حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرتُ أبوي أن يُجيباه، فلم يفعلوا، فقلت: ألا تجيبانه؟ فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه! وما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيام. فلما استعجما بكيتُ ثم قلت: والله لا

(١) في الطبعة الأوربية «كَبُرْنَ وكَبَرَهُ».

(٢) في الطبعة الأوربية «نكفهم»، والمثبت يتفق مع السيرة.

(٣) في الطبعة الأوربية «الداجن فيأكلها».

أتوب إلى الله مما ذكرتُ أبداً، والله لئن أقررتُ - والله يعلم أنني منه بريئة - لتصدقني، ولئن أنكرتُ لا تصدقني. ثم التمسْتُ اسم يعقوب، فلم أجده، فقلت: ولكني أقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، ولشأنني كأني أصغر في نفسي أن ينزل الله في قرآنٍ يُتلى، ولكني كنتُ أرجو أن يرى رؤيا يكذب الله بها عني.

قالت: فوالله ما برح رسول الله، ﷺ. من مجلسه حتى جاءه الوحي، فُسِّجِي بوبه، فأما أنا فوالله ما فزعت ولا باليتُ، قد عرفتُ أنني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبوي فما سُرِّي عن رسول الله، ﷺ، حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما فرقاً [من] أن يحقق الله ما قال الناس.

قالت: ثم سُرِّي عن رسول الله، ﷺ، وإنه ليتحدَّر عنه مثل الجُمان، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله! ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وذكر لهم ما أنزل الله في القرآن، ثم أمر بمسطح بن أئانة، وحسان بن ثابت، وحنمة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حذهم، وحلف أبو بكر لا يُنفق عليّ مسطح أبداً، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾^(٢) الآية؛ فقال أبو بكر: إني أحب أن يغفر الله لي؛ ورجع إلى مسطح نفقته. ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه، ثم قال:

تَلَقَّ دُبابَ السَّيْفِ عَنِّي^(٣) فَلِإِنِّي غَلامٌ إِذَا هَوِجْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب ثابت بن قيس بن شماس، فجمع يديه إلى عنقه، وانطلق به إلى الحارث بن الخزرج، فلقَّيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسان وما أراه إلا قتله. فقال عبد الله: هل علم رسول الله، ﷺ، بشيء مما صنعت؟ [قال: لا والله]، قال: لقد اجترأت، أطلقي الرجل، فأطلقه، فذكر ذلك لرسول الله، ﷺ، فدعا حسان، وصفوان بن المعطل، فقال صفوان: هجاني يا رسول الله وأذاني، فضربته. فقال رسول الله، ﷺ، لحسان: «أحسن يا حسان». قال: هي لك يا رسول الله، فأعطاه رسول الله، ﷺ، عوضاً منها بئرحاء، وهي قصر بني حذيلة، بالحاء المهملة؛ وأعطاه شيرين، أمة قبطية، وهي أخت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، فولدت له ابنه عبد الرحمن، وكان صفوان حصوراً

(١) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٢) سورة النور - الآية ٢٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «عنك».

لا يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً^(١).

(مُسَطَّح: بكسر الميم، وسكون السين المهملة، وبالطاء والحاء المهملتين).

ذكر عُمرَة الحُدَيْيَّة^(٢)

في هذه السنة خرج رسول الله، ﷺ، معتمراً في ذي القعدة، لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار، ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة، وقيل: ألف وخمسمائة، وقيل: ثلاثمائة. وساق الهذلي معه سبعين بدنة، ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت. فلما بلغ عُسفان لقيه بُسر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك، فاجتمعوا بذئ طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم.

وقيل: إن خالداً كان مع النبي، ﷺ، مسلماً، وإنه أرسله، فلقي عكرمة بن أبي جهل فهزمه؛ والأول أصح.

ولما بلغه بُسر ما فعلت قريش قال رسول الله، ﷺ: «يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرّين، والله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»^(٣).

ثم خرج على غير الطريق التي هم بها، وسلك ذات اليمين، حتى سلك ثنية المُرار على مَهْبَطِ الحُدَيْيَّة، فبركت به ناقته، فقال الناس: خلأت. فقال: ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل [عن مكة]، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة يسألوني فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم إيّاها. ثم قال للناس: انزلوا. فقالوا: ما بالوادي ماء. فأخرج سهماً من كِنَانَتِهِ، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قَلِيبٍ من تلك القُلُب، فغرز في جوفه. فجاش الماء بالري حتى ضرب الناس عنه بَعْطَن، وكان اسم الذي أخذ السهم

(١) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ٢٤٣/٣ - ٢٤٨، وتاريخ الطبري ٦١١/٢ - ٦١٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٥٥/٣، تاريخ الطبري ٦٢٠/٢، المغازي لعروة ١٩٢، المغازي للواقدي ٥٧١/٢، البدء والتاريخ ٢٢٤/٤، الطبقات الكبرى ٩٥/٢، أنساب الأشراف ٣٤٩/١، الدرر ٢٠٤، جوامع السيرة ٢٠٧، عيون الأثر ١١٣/٢، البداية والنهاية ١٦٤/٤، تاريخ خليفة ٨١، تاريخ يعقوبي ٥٤/٢، عيون التواريخ ٢٣٨/١، نهاية الأرب ٢١٧/١٧، سيرة ابن كثير ٣١٢/٣، المعرفة والتاريخ ٢٥٨/٣، المعارف ١٦٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٦٣، المحبر ١١٥، صحيح البخاري ٦١/٥ - ٧٠، صحيح مسلم، في الجهاد ٩٠ - ٩٧ صفحة ١٤٠٩ - ١٤١٣، مرآة الجنان ١١/١، مجمع الزوائد ١٤٤/٦ - ١٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٥٦/٣، ٢٥٧.

ناجية بن عُمَيْر سائق بُدْن النَّبِيِّ، ﷺ.

فبينما هم كذلك أتاهم بُدَيْل بن ورقاء الخُزَاعِيّ في نفر من قومه خُزَاعَة، وكانت خُزَاعَة عَيْبَة نُصَح رسول الله، ﷺ، من يَهَامَة، فقال: تركتُ كعب بن لُؤَيّ، وعامر بن لُؤَيّ [قد نزلوا] أَعْدَادًا^(١) مياه الحديبية، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي، ﷺ: إِنَّا لَم نَأْتِ لِقْتَالَ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ شَاءَتْ قَرِيشٌ مَادَدْنَاهُمْ مَدَّةً، وَيَخْلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرُوا سَالِفَتِي.

فانطلق بُدَيْل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبي، ﷺ، فقام عُرْوَة بن مسعود الثقفي فقال: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، دَعُونِي آتِيهِ. فقالوا: آتِيهِ. فَأَتَاهُ وَكَلَّمَهُ، فقال له: يَا مُحَمَّدُ جَمَعْتَ أَوْشَابَ^(٢) النَّاسِ، ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إِلَى بَيْضَتِكَ لِتَفْضُهَا بِهِمْ^(٣)، إِنَّمَا قَرِيشٌ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوْذُ الْمَطَافِيلُ^(٤) قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ النَّمُورِ: يَعَاهِدُونَ اللَّهَ إِنَّكَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ عَنُودًا أَبَدًا، وَإِيْمُ اللَّهِ لَكَأَنِّي بِهِؤَلَاءِ قَدْ تَكْشَفُوا عَنْكَ غَدًا. فقال أبو بكر: امْصُصْ بَطْنَ اللَّاتِ! أُنَحْنُ نَنْكُشِفُ عَنْهُ؟ [قال: من هذا يا محمد؟] قال النبي، ﷺ: «هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ».

فقال: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ عِنْدِي لَكُفَأْتُكَ بِهَا. ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاوَلُ لَحِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَهُوَ يَكَلِّمُهُ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الْحَدِيدِ، فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إِذَا تَنَاوَلَهَا وَيَقُولُ لَهُ: اكْفِفْ يَدَكَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ. فقال [عُرْوَة]: مَنْ هَذَا؟ قال النبي، ﷺ: «هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمَغِيرَةُ». فقال: أَيُّ غُذْرًا! وَهَلْ غَسَلْتَ سَوَاتِكَ [إِلَّا] بِالْأَمْسِ؟ وَكَانَ الْمَغِيرَةُ قَدْ قَتَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَالِكٍ وَهَرَبَ، فَتَهَاجَى الْحَيَّانُ بَنُو مَالِكٍ رَهْطَ الْمَقْتُولِينَ، وَالْأَحْلَافُ رَهْطَ الْمَغِيرَةِ، فَوَدَى عُرْوَة لِلْمَقْتُولِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً، وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الْأَمْرَ.

وطال الكلام بينهما، فقال له النبي، ﷺ، نحو مقالته لبُديْل، فقال له عُرْوَة: يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ، فَهَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتِنَاحَ أَصْلِهِ قَبْلَكَ؟ وَجَعَلَ يَرْمِقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، ﷺ، فَوَاللَّهِ لَا يَتَنَحَّمُ النَّبِيُّ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ

(١) فِي الْأَوْرِبِيَّةِ: عَدَدًا. (وَالْأَعْدَادُ، جَمْعُ عَدَدٍ: الْمَاءُ الدَّائِمُ الَّذِي لَهُ مَادَّةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا).

(٢) فِي الْأَوْرِبِيَّةِ: أَوْبَاشُ. (وَالْأَوْشَابُ: الْأَخْلَاطُ).

(٣) فِي الْأَوْرِبِيَّةِ: جِئْتُ بِهِمْ لِبَعْضِ فَعْلٍ بِهِمْ. (وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ ٢٦٠/٣).

(٤) الْعُوْذُ: النَّاقَةُ ذَاتُ اللَّبَنِ، وَالْمَطَافِيلُ: الْأَمْهَاتُ اللَّاتِي مَعَهَا أَطْفَالُهَا، وَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ لِإِرَادَةِ طَوْلِ الْمَقَامِ لِيَكُونَ أَدْعَى إِلَى عَدَمِ الْفِرَارِ. (شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ١٨٧/٢).

أحدهم، فذَلَّكَ بها وجهه وجلده، وإنَّ أَمَرَهُم ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَمَا يَحْدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَفَدْتُ عَلَى كَسْرَى وَقِصْرٍ وَالنَّجَاشِيِّ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلَكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا! وَحَدَّثَهُمْ مَا رَأَى وَمَا قَالَ النَّبِيُّ، ﷺ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ اسْمُهُ الْحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ: دَعُونِي آتِيهِ. [فَقَالُوا: آتِيهِ]. فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ، ﷺ، قَالَ: «[هَذَا فَلَانٌ، هُوَ] مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ، فَاْبَعِثُوا الْهَذْيَ فِي وَجْهِهِ»، فَلَمَّا رَأَى الْهَذْيَ رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ قَدْ رَأَيْتُمْ مَا لَا يَحِلُّ صَدَّهِ، الْهَذْيُ فِي قَلَانْدِهِ. فَقَالُوا: اجْلِسْ فَلِنَمَّا أَنْتَ أَعْرَابِي لَا عِلْمَ لَكَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالْفَنَّاكُمْ أَنْ تَصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ مَنْ جَاءَ مُعَظِّمًا لَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْلَنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، أَوْ لَأَنْفَرَنَ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ. قَالَ: فَقَالُوا: مَهْ! كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لِنَنْفُسِنَا.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكَرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ. فَقَالُوا: أَفْعَلْ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ، ﷺ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَذَا رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ، ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْلِمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ النَّبِيُّ: «سُهَيْلُ أَمْرَكُم»^(١).

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ قَرِيشاً إِنَّمَا بَعَثَتْ سُهَيْلاً بَعْدَ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ. قَالَ: لَمَّا رَجَعَ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى قَرِيشٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلَى قَرِيشٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الثَّلْبُ لِيُبَلِّغَ عَنْهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنْعَتْهُ الْأَحَابِيشُ، وَخَلَّوْا سَبِيلَهُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَمْرَ لِيُرْسِلَهُ [إِلَى مَكَّةَ]، فَقَالَ: لَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ مَنْ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ عِدَاوَتِي لَهَا، وَأَخَافُهَا عَلَى نَفْسِي، فَأَرْسَلَ عُثْمَانَ فَهُوَ أَعَزُّ بِهَا مِنِّي.

[فَدَعَا عُثْمَانَ] فَأَرْسَلَهُ لِيُبَلِّغَ عَنْهُ، فَاَنْطَلَقَ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ فَاجَارَهُ، فَأَتَى أَبَا سَفْيَانَ وَعُظْمَاءَ قَرِيشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ النَّبِيُّ، ﷺ. فَاحْتَبَسَتْهُ قَرِيشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَّغَ النَّبِيَّ، ﷺ، أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ: «لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَنَاجِزَ الْقَوْمَ»^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣١، ٦٣٢.

ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَبَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمْرَةٌ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سِنَانٍ. ثُمَّ أَتَى الْخَبَرَ أَنَّ عَثْمَانَ لَمْ يُقْتَلْ^(١).

ثُمَّ بَعَثَ قَرِيشَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو أَخَا بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، لِيَصَالِحَهُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ سُهَيْلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَطَالَ مَعَهُ الْكَلَامَ وَتَرَاجَعَا، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمُ الصَّلْحُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «اكَتُبْ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا نَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ اكَتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبَهَا، ثُمَّ قَالَ: اكَتُبْ: «هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو» - فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَقَاتِلَكَ، وَلَكِنْ اكَتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ. فَقَالَ لِعَلِيِّ: «امْحُ رَسُولَ اللَّهِ». فَقَالَ: لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ مَوْضِعَ رَسُولِ اللَّهِ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ لِعَلِيِّ: لَتَبْلَيْنَ بِمِثْلِهَا - اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سَنِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَتَى مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَيْهِ رَدُّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قَرِيشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَرُدُّوهُ [عَلَيْهِ]، وَمَنْ يَحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ دَخَلَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قَرِيشَ دَخَلَ.

فَدَخَلَتْ خُزَاعَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرِ فِي عَهْدِ قَرِيشَ، وَأَنْ يَرْجِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْهُمْ عَامَهُ ذَلِكَ، فِيمَاذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ خَرَجْنَا عَنْكَ، فَدَخَلَتْهَا بِأَصْحَابِكَ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا وَسَلَّاحَ الرَّكَّابِ السِّيَوفَ فِي الْقُرْبِ.

فَبَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، يَكْتُبُ الْكِتَابَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٌ، ابْنُ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو يَرْسِفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ، لَرُؤْيَا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْا الصَّلْحَ دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ. فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ ابْنَهُ أَبَا جَنْدَلٍ أَخَذَهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ تَمَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا. قَالَ: صَدَقْتَ، وَأَخَذَهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قَرِيشَ، فَصَاحَ أَبُو جَنْدَلٍ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ارْجِعُوا إِلَى الْمَشْرُكِينَ لِيَفْتَنُونِي عَنْ دِينِي! فَزَادَ النَّاسَ شَرًّا إِلَى مَا بِهِمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا الْقَوْمَ عَهودَنَا عَلَى ذَلِكَ فَلَا نَغْدِرُ بِهِمْ». قَالَ: فَوُثِّبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْشِي مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ وَيَقُولُ لَهُ: اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ الْمَشْرُكُونَ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ! وَأَدْنَى قَائِمِ السَّيْفِ مِنْهُ رَجَاءُ أَنْ يَأْخُذَهُ فَيَضْرِبَ بِهِ أَبَاهُ، قَالَ: فَبَخَلَ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ.

(١) سيرة ابن هشام ٢٦٢/٣، الطبري ٦٣٣/٢.

وشهد على الصلح جماعة من المسلمين فيهم أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم، وجماعة من المشركين^(١).

فلما فرغ النبي ﷺ، من قضيته قال: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، فما قام أحد حتى قال ذلك مراراً^(٢)، فلما لم يبق أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك، فقالت: يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بदनك وتحلق شعرك، ففعل، فلما رأوا ذلك قاموا فانحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً. فما فُتح في الإسلام قبله فتح كان أعظم منه، حيث أمن الناس كلهم، فدخل في الإسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر^(٣).

فلما قديم رسول الله ﷺ، المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي، وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة، فكتب فيه الأزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق، وبعثا فيه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقال له رسول الله ﷺ: «قد علمت أنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً، ولا يصلح الغدر في ديننا». فانطلق معهما إلى ذي الحليفة فجلسوا، وأخذ أبو بصير سيف أحدهما فقتله به، وخرج المولى سريعاً إلى النبي ﷺ، فأخبره بقتل صاحبه، ثم أقبل أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وفّت ذمتك وأنجاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه يسعر حرب لو كان له رجال»!

فلما سمع ذلك عرف أنه سيره إليهم، فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر، على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا [احتبسوا] بمكة ذلك، فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ، يناشدونه الله والرحم لئلا أرسل إليهم، فمن أتاها فهو آمن، فأواهم رسول الله ﷺ^(٤).

وفيهما نزلت سورة الفتح، وهاجر إلى رسول الله ﷺ، نسوة مؤمنات، فيهن أم كلثوم ابنة عتبة بن أبي معيط، فجاء أخوها عمارة والوليد يطلبانها، فأنزل الله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾^(٥) الآية؛ فلم يرسل امرأة مؤمنة إلى مكة. وأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ﴾^(٦)؛ فطلق عمر بن الخطاب امرأتين له،

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٥، الطبري ٢/٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) في إحدى النسخ «ثلاثاً».

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٥، الطبري ٢/٦٣٨.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٩، ٢٧٠، الطبري ٢/٦٣٩.

(٥) سورة الممتحنة - الآية ١٠.

إحداهما قُرْبِيَّة بنت أبي أمية، والثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جَزُول الخُزَاعِيّ، وهما مشركتان، فتزوّج أم كلثوم أبو جَهْم بن حُذَيْفَةَ بن غانم^(١).

(بُسْر: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة، وآخره راء. بصير: بالباء الموحّدة المفتوحة، والصاد المهملة المكسورة، والياء الساكنة تحتها نقطتان، وآخره راء أيضاً. وأسيد: بفتح الهمزة، وكسر السين. وجارية: بالجيم، وآخره راء أيضاً. والحُلَيْس: بضمّ الحاء المهملة، وفتح اللام، وبعده ياء تحتها نقطتان، وآخره سين مهملة).

وفيهما كانت عدّة من سرايا وغزوات

منها سرية عُكَّاشَةَ بن مِخْصَن في أربعين رجلاً إلى الغَمَر^(٢)، فنذر^(٣) بهم القومُ فهربوا، فسعت الطلائع فوجدوا مائتي بعير فأخذوها إلى المدينة، وكانت في ربيع الآخر^(٤).

ومنها سرية مُحَمَّد بن مَسْلَمَة^(٥)، أرسله رسول الله، ﷺ، في عشرة فوارس في ربيع الأول إلى بني ثعلبة بن سعد، فكمن القوم له حتى نام هو وأصحابه وظهروا عليهم، فقتل أصحابه، ونجا هو وحده جريحاً.

ومنها سرية أَبِي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح^(٦) إلى ذي القَصَّة، في ربيع الآخر في أربعين رجلاً، فهرب أهلُه منهم وأصابوا نَعْماً، ورجلاً [واحداً] أسلم فتركه رسول الله، ﷺ.

(١) سيرة ابن هشام ٢٧٣/٣، الطبري ٦٤٠/٢.

(٢) في الأصول والمطبوع «العَمَق». وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام، وغيره. والغَمَر: ماء من مياه بني أسد على ليلتين من فَيْد، طريق الأول إلى المدينة. (معجم البلدان ٢١٢/٤) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٨٤/٢ أنه غَمَر مرزوق.

(٣) نذر: علم.

(٤) الطبقات الكبرى ٨٤/٢، تاريخ الطبري ٦٤٠/٢، المغازي للواقدي ٥٥٠/٢، نهاية الأرب ٣٠٣/١٧، عيون الأثر ١٠٣/٢، عيون التواريخ ٢٤٧/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٢، سيرة ابن كثير ٣٣٨/٣، البداية والنهاية ١٧٨/٤.

(٥) المغازي للواقدي ٥٥١/٢، الطبقات الكبرى ٨٥/٢، عيون الأثر ١٠٤/٢، عيون التواريخ ٢٤٨/١، البداية والنهاية ١٧٨/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، تاريخ الطبري ٦٤١/٢، نهاية الأرب ٢٠٤/١٧، سيرة ابن كثير ٣٣٨/٣.

(٦) الطبقات الكبرى ٨٦/٢، تاريخ الطبري ٦٤١/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، البداية والنهاية ١٧٨/٤، عيون التواريخ ٢٠٤/١٧، عيون الأثر ١٠٥/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، البداية والنهاية ١٧٨/٤، عيون التواريخ ٢٤٨/١.

ومنها سرية زيد بن حارثة^(١) بالجموم^(٢)، فأصاب امرأة من مَزِينَة اسمها حليلة، فدلّتهم على محلّة من محال بني سُليم، فأصابوا نَعْمًا وشاء وأسرى، فيهم زوجها، فأطلقها رسول الله، ﷺ، وزوجها معها.

ومنها سرية زيد^(٣) أيضاً إلى العيص^(٤) في جمادى الأولى.

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع، واستجار بزینب بنت النبي، ﷺ، فأجارته^(٥). وقد تقدّم ذكره في غزوة بدر.

ومنها سرية زيد أيضاً إلى الطَّرَف^(٦) في جمادى الآخرة، إلى بني ثعلبة، في خمسة عشر رجلاً، فهربوا منه، وأصاب من نَعْمهم عشرين بغيراً^(٧).

ومنها سرية زيد بن حارثة إلى جِسمي^(٨) في جمادى الآخرة.

وسببها أن رفاعه بن زيد الجُدَامِي، ثم الضَّبِّي قديم على النبي، ﷺ، في هُدنة الحُدَيِّية وأهدى لرسول الله، ﷺ، غلاماً وأسلم فحسّن إسلامه، وكتب له رسول الله، ﷺ، كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا، ثم ساروا إلى حَرّة الرُّجلاء.

(١) اكتفى ابن هشام بذكر الغزوة دون تفاصيل ٢٥٨/٤، وكذا فعل الطبري ١٥٥/٣، والخبر في: الطبقات الكبرى ٨٦/٢، ونهاية الأرب ٥٥٥/١٧، وعيون الأثر ١٠٥/٢، ١٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، وعيون التواريخ ٢٤٨/١، والبداية والنهاية ١٧٨/٤.

(٢) الجموم: أرض لبني سليم ناحية بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرْد. (معجم البلدان ١٦٣/٢، ١٦٤).

(٣) الطبقات الكبرى ٨٧/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، عيون الأثر ١٠٦/٢، عيون التواريخ ٢٤٨/١، نهاية الأرب ٢٠٦/١٧، تاريخ الطبري ٦٤١/٢، المغازي للواقدي ٥٥٣/٢.

(٤) العيص: قال ابن سعد: بينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة. (٥) الطبري ٦٤١/٢.

(٦) الطَّرَف: ماء قريب من المرقى، وقيل المراض، دون النُخَيْل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ٣١/٤ والطبقات الكبرى) وقال ابن إسحاق: الطرف من ناحية نخل، من طريق العراق. (سيرة ابن هشام ٢٣٦/٤).

(٧) سيرة ابن هشام ٢٣٦/٤، المغازي للواقدي ٥٥٥/٢، الطبقات الكبرى ٨٧/٢، نهاية الأرب ٢٠٦/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٢٤، عيون الأثر ١٠٦/٢، البداية والنهاية ١٧٨/٤، عيون التواريخ ٢٤٩/١، تاريخ الطبري ٦٤١/٢.

(٨) جِسمي: بالكسر ثم السكون، مقصور. أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان. وأهل تبوك يرون جبل جِسمي في غربيهم. وقيل هي لجُدَام جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض بني عُذرة من ظهر حَرَنِيّا، فذلك كلّه جِسمي. (معجم البلدان ٢٥٨/٢، ٢٥٩).

ثُمَّ إِنَّ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ جُذَامٍ أَغَارَ عَلَيْهِ الْهَنْدُ بْنُ عُوصٍ وَابْنُهُ عُوصُ بْنُ الْهَنْدِ الضُّلَيْعِيَّانِ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ جُذَامٍ، فَأَخَذَا كُلُّ شَيْءٍ مَعَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَفَرًا مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ قَوْمَ رِفَاعَةَ مِمَّنْ كَانَ أَسْلَمَ، فَنفَرُوا إِلَى الْهَنْدِ وَابْنِهِ، فَلَقَوْهُمَا وَاقْتَتَلُوا. فَظَفَرَ بَنُو الضُّبَيْبِ، وَاسْتَقْتَدُوا كُلُّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْ دِحْيَةَ، وَرَدَّوهُ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ دِحْيَةُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ وَطَلَبَ مِنْهُ دَمَ الْهَنْدِ وَابْنِهِ عُوصٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ، فَأَغَارُوا بِالْفُضَافِضِ وَجَمَعُوا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ وَقَتَلُوا الْهَنْدَ وَابْنَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو الضُّبَيْبِ رَهْطَ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ سَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَقَالُوا: إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ. فَقَالَ زَيْدٌ: فَاقْرَأُوا أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهَا حَسَّانُ [بْنُ مَلَّةٍ]. فَقَالَ زَيْدٌ: نَادُوا فِي الْجَيْشِ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْنَا مَا أَخَذْنَا^(١) مِنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ الَّتِي جَاءُوا مِنْهَا، وَأَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِمْ سَبَايَاهُمْ، فَأَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَنْهُمْ بِمَا أَوْجَبَ أَنْ يَحْتَاطَ^(٢)، فَتَوَقَّفَ فِي تَسْلِيمِ السَّبَايَا وَقَالَ: هُمْ فِي حَكَمِ اللَّهِ، وَنَهَى الْجَيْشَ أَنْ يَهْبِطُوا وَادِيَهُمْ.

وَعَادَ أَوْلَئِكَ الرِّكْبُ الْجُذَامِيَّونَ إِلَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ بِكَرَاعِ رَبَّةَ^(٣) لَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّكَ لَجَالِسٌ تَحْلُبُ الْمَعْزَى وَنِسَاءَ جُذَامٍ أَسَارَى، قَدْ غَرَّهِنَّ كِتَابُكَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ. فَسَارَ رِفَاعَةُ وَالْقَوْمُ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَرَضَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلِ؟ فَقَالُوا: لَنَا مَنْ كَانَ حَيًّا، وَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا، يَعْنُونَ تَرَكَوْا الطَّلَبَ بِهِ. فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَرَدَّ عَلَى الْقَوْمِ، مَالَهُمْ، حَتَّى كَانُوا يَنْتَزِعُونَ لِبَدَ الْمَرْأَةِ تَحْتَ الرَّحْلِ، وَأَطْلَقَ الْأَسَارَى.

(رَبَّةٌ: بِالرَّاءِ وَالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ. وَالضُّبَيْبُ: بَضْمُ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ، تَصْغِيرُ ضَبٍّ - وَقِيلَ: هُوَ بَفَتْحِ الضَّادِ، وَكَسْرِ الْبَاءِ، وَآخِرُهُ نُونٌ - نَسَبَةٌ إِلَى ضُبَيْبَةٍ).

وَمِنْهَا سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا إِلَى وَادِي الْقُرَى^(٤) فِي رَجَبٍ^(٥).

(١) فِي إِحْدَى النُّسخِ «أَخَفَ».

(٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيَّةِ «يَخْتَلِطُ».

(٣) كِرَاعُ رَبَّةٍ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ جُذَامٍ. (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٤٤٣).

(٤) وَادِي الْقُرَى: وَادٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ بَيْنَ تَيْمَاءَ وَخَيْبَرَ فِيهِ قُرَى كَثِيرَةٌ وَبِهَا سُمِّيَ وَادِي الْقُرَى. (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣٤٥/٥).

(٥) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤/٢٦٣، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣/١٥٥، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧/٢١٨، الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٢/٥٦٢، عِيُونُ الْأَثَرِ ٢/١٠٧، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (الْمَغَازِي) ٣٥٥.

ومنها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١) في شعبان، فأسلموا، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبح رئيسهم، وهي أم أبي سلمة^(٢).

ومنها سرية علي بن أبي طالب إلى فدك^(٣) في شعبان في مائة رجل، وذلك أن رسول الله، ﷺ، بلغه أن حياً من بني سعد قد تجمعوا له، يريدون أن يمدوا أهل خيبر، فسار إليهم علي، فأصاب عيناً لهم، فأخبره أنه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر^(٤).

ومنها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة^(٥) في رمضان، وكانت عجوزاً كبيرة، فلقي زيد بن فزارة بوادي القرى، فأصيب أصحابه وارث زيد من بين القتلى، فنذر أن لا يمسه ماءً من جنابة حتى يغزو فزارة، فبعثه رسول الله، ﷺ، إليهم، فلقيهم بوادي القرى، فأصاب منهم وقتل وأسر أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، عجوز كبيرة، وبتاً لها، فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين، وقدم على النبي، ﷺ، بابنتها، وكانت لسلمة بن الأكوع، فأخذها رسول الله، ﷺ، منه هبة وأرسلها إلى حرب^(٦) بن أبي وهب، فولدت له عبد الله بن حرب^(٧).

وأما سلمة بن الأكوع، فإنه جعل أمير هذه السرية أبا بكر، فروي عنه أنه قال: أمر رسول الله، ﷺ، علينا أبا بكر، فغزونا ناساً من بني فزارة، فشتنا عليهم الغارة صلاة الصبح، فأخذت منهم جماعة وسقتهم إلى أبي بكر، وفيها امرأة من بني فزارة، معها بنت لها من أحسن العرب، فنفلني أبو بكر بنتها، فقدمت المدينة فلقيت النبي، ﷺ، بالسوق فقال لي: «يا أبا سلمة لله أبوك هب لي المرأة». فقلت: والله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً. فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له، فبعث بها إلى مكة، ففادى بها أسارى من المسلمين^(٨).

(١) سيرة ابن هشام ٢٥٥/٤، الطبقات الكبرى ٨٩/٢، تاريخ الطبري ١٥٨/٣، نهاية الأرب ٢٠٩/١٧، ٢١٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٥، البداية والنهاية ٢١٧٩/٤، عيون الأثر ١٠٨/٢، ١٠٩.

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف المحدث الثقة الفقيه. ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المدنيين. أنظر (تهذيب التهذيب ١١٥/١٢).

(٣) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي مما أفاء الله على رسوله صلحاً بعد غزوة خيبر.

(٤) الطبقات الكبرى ٨٩/٢، ٩٠، المغازي للواقدي ٥٦٢/٢، تاريخ الطبري ١٥٤/٣، نهاية الأرب ٢٠٩/١٧، ٢١٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٥، عيون الأثر ١٠٩/٢، ١١٠، سيرة ابن هشام ٢٥٨/٤.

(٥) الطبري ٦٤٣/٢.

(٦) في تاريخ الطبري «حزن».

(٧) تاريخ الطبري ٦٤٣/٢، ٦٤٤.

ومنها سرية كُرُز بن جابر الفهري إلى العُرنين^(١) الذين قتلوا راعي النبي، ﷺ، واستاقوا الإبل في شَوال. [وبعته رسول الله، ﷺ] في عشرين فارساً^(٢).

وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن [أبي] أفلح^(٣) أخت عاصم، فولدت له عاصماً، فطلقها وتزوجها بعده يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد^(٤)، فهو أخو عاصم لأمه.

(جارية: بالجيم وبعد الراء ياء تحتها نقطتان).

وفيها أجذب الناس جذباً شديداً، فاستسقى رسول الله بالناس في رمضان^(٥).

ذكر مكاتبة رسول الله، ﷺ، الملوك^(٦)

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني، وأرسل دحية إلى قيصر، وأرسل سليل بن عمرو العامري إلى هُوذة بن علي الحنفي، وبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخي عبد القيس^(٧).

وقيل: إن إرساله كان سنة ثمان، والله أعلم.

وأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبي، ﷺ، وأهدى إليه أربع جوارٍ، منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، ﷺ^(٨).

(١) في الطبعة الأوربية «العرنين».

(٢) الطبقات الكبرى ٩٣/٢، تاريخ الطبري ٦٤٤/٢، نهاية الأرب ٢١٣/١٧، ٢١٤، عيون التواريخ ٢٥٣/١، البداية والنهاية ١٧٩/٤، ١٨٠ وقد أخرج البخاري عن هذه السرية في كتاب المغازي (٧٠/٥، ٧١) باب قصة عُكْل غُرَينة.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، وطبعة صادر ٢١٠/٢ والاستدراك من ابن سعد، والطبري.

(٤) في طبعة صادر ٢١٠/٢ «أفلح» بالفاء. والتصويب من الطبري وابن سعد.

(٥) تاريخ الطبري ٦٤٢/٢، الطبقات الكبرى ٣٤٦/٨.

(٦) تاريخ الطبري ٦٤٢/٢.

(٧) تاريخ خليفة ٧٩، تاريخ اليعقوبي ٨٠/٢، تاريخ الطبري ٦٤٤/٢، عيون التواريخ ٢٥٣/١، سيرة ابن كثير ٤٩٤/٣، البداية والنهاية ٢٦٢/٤، عيون الأثر ٢٥٩/٢.

(٨) الطبري ٦٤٤/٢، سيرة ابن هشام ٢٥٤/٤.

(٩) تاريخ الطبري ٦٤٥/٢.

وأما قيصر، وهو هرقل، فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ، وجعله بين فخذيه وخصرته^(١)، وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يُخبره شأنه، فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه، فاتبعه وصدقته. فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة، وغلقت أبوابها، ثم أطلع عليهم من عليّة، وخافهم على نفسه، وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله النبي الذي نجده في كتابنا، فهلّم فلنتبعه ونصدقته فسلم لنا دينانا وآخرتنا. فنحروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا، فقال: ردّوهم عليّ، وخافهم على نفسه وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت منكم ما سرّني، فسجدوا له.

وانطلق وقال لدحية: إنّي لأعلم أن صاحبك نبيّ مرسل، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لأتبعته، فاذهب إلى ضغاطر^(٢) الأسقف الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك، وانظر ما يقول لك.

فجاء دحية، وأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ، فقال له ضغاطر^(٣): والله إن صاحبك نبيّ مرسل، نعرفه بصفته ونجده في كتابنا. ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله، وإنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه فقتلوه^(٤).

فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر. قال: قد قلت إنّنا نخافهم على أنفسنا. وقال قيصر للروم: هلمّوا نعطيه الجزية، فأبوا، فقال: نُعطيه أرض سورية، وهي الشام، ونصالحه، فأبوا. واستدعى هرقل أبا سفيان، وكان بالشام تاجراً، إلى الشام في الهدنة، فحضر عنده ومعه جماعة من قريش أجلسهم هرقل خلفه وقال: إنّي سأثله فإن كذب فكذبوه، فقال أبو سفيان: لولا أن يؤثر عني الكذب لكذبت، فسأله عن النبي، قال: فصغرت له شأنه، فلم يلتفت إلى قولي وقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو أوسطنا نسباً. قال: هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله؟ قلت: لا. قال: فهل له فيكم ملك سلبتموه إياه؟ قلت: لا. قال: فمن اتبعه منك؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث. قال: فهل يحبّه من يتبعه ويلزمه، أو يقيه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه. قال: فكيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: [سجال] يُدال علينا ونُدال عليه. قال: هل يغدر؟

(١) سيرة ابن هشام، الطبري ٦٤٦/٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٦٥٠/٢ «صغاطر» بالصاد المهملة.

(٣) الطبري ٦٥٠/٢.

قال: فلم أجد شيئاً أغمز^(١) به غيرها، قلت: لا، ونحن منه في هدنة، ولا نأمن غدرة.
قال: فما التفت إليها.

قال أبو سفيان: فقال لي هرقل: سألتك عن نسب، فزعمت أنه من أوسط الناس، وكذلك الأنبياء، وسألتك: هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به، فزعمت أن لا، وسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه، فزعمت أن لا، وسألتك عن أتباعه، فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين، وكذلك أتباع الرسل، وسألتك عمن يتبعه، أيحبه أم يفارقه، فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا، ولئن صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه. انطلق لشأنك.

قال: فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول: أي عباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم^(٢).

قال: وقدم عليه دحية بكتاب النبي، ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من أتبع الهدى، أسلم تسلم، وأسلم يؤت الله أجره مرتين، وإن توليت فإن إثم الأكافرين عليك^(٣).

وأما الحارث بن أبي شمر الغساني فأتاه كتاب رسول الله، ﷺ مع شجاع بن وهب، فلما قرأه قال: أنا سائر إليه، فلما بلغ قوله رسول الله، ﷺ، قال: «بادء ملكه»^(٤).

وأما النجاشي، فإنه لما جاءه كتاب النبي، ﷺ، آمن به وأتبعه، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة، فغرقوا في البحر. وأرسل إليه رسول الله، ﷺ، ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فتنصروا وتوفي بالحبشة، فخطبها النجاشي إلى رسول الله، ﷺ، فأجابته، وزوجها، وأصدقها النجاشي أربعمئة دينار، فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله، ﷺ، أم حبيبة قال: ذاك الفعل لا يقدر أنفه^(٥).

(١) في الطبعة الأوربية «أغز».

(٢) الطبري ٢/٦٤٧، ٦٤٨.

(٣) أضاف الطبري ٢/٦٤٩ «يعني يجماله».

(٤) الطبري ٢/٦٥٢.

(٥) الطبري ٢/٦٥٣، ٦٥٤.

وأما كسرى، فجاءه كتاب رسول الله، ﷺ، مع عبد الله بن حذافة، فمزق الكتاب، فقال رسول الله، ﷺ: «مَزَقَ مَلِكُهُ». وكان كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإني أدعوك بدعاء الله، وإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١)، فأسلم تسلم، وإن توليت فإن إثم المجوس عليك».

فلما قرأه شقّه، قال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي! ثم كتب إلى باذان، وهو باليمن: أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدَيْنِ فليأتياني به. فبعث باذان نابوه^(٢)، وكان كاتباً حاسباً، ورجلاً آخر من الفرس يقال له خَرْخُسْرَه، وكتب معهما يأمره بالمسير معهما إلى كسرى، وتقدّم إلى نابوه^(٣) أن يأتيه بخبر رسول الله، ﷺ، وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقال: أبشروا فقد نصّب^(٤) له كسرى ملك الملوك، كُفِيتُم الرجل.

فخرجوا حتّى قدما على رسول الله، ﷺ، وقد حلقا لحاهما [وأعفيا] شواربهما، فكره^(٥) النظر إليهما وقال: ويلكما مَنْ أَمَرَكُمَا بهذا؟ قالوا: ربّنا، يعنينا^(٦) الملك. فقال: لكنّ ربّي أمرني أن أعفي لحيتي وأقصّ شاربي، فأعلماه بما قدما له وقالوا: إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى، وإن أبيت فهو يُهْلِكُك ويُهْلِكُ قومك. فقال لهما رسول الله، ﷺ: أرجعا حتّى تأتياني غداً. وأتى رسول الله، ﷺ، الخبر من السماء: إنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله، فدعاهما رسول الله، ﷺ، وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ مُلْك كسرى وينتهي منتهى الخفّ والحافر، وأمرهما أن يقولوا^(٧) لباذان: أسلم، فإن أسلم أقرّه على ما تحت يده، وأملكه على قومه. ثم أعطى خَرْخُسْرَه منطقة ذهب وفضّة أهداها له بعض الملوك.

وخرجوا فقدما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا كلام ملك، وإني لأراه نبياً، ولننظرنّ، فإن كان ما قال حقاً، فإنه لنبيّ مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا. فلم

(١) سورة يس - الآية ٧٠.

(٢) في النسخة (ب): «تابوه»، وفي الطبري «بابويه».

(٣) نصّب: اهتم له وجَدّ.

(٤) في الطبعة الأوربية «فكر».

(٥) في الطبعة الأوربية «يعنون».

(٦) في الطبعة الأوربية «يقول».

يلبث باذان أن قديم عليه كتاب شيرويه يُخبره بقتل كسرى، وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن، وبالكف عن النبي، ﷺ. فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم، وأسلم معه أبناء من فارس. وكانت حمير تسمي خرخره صاحب المعجزة، والمعجزة بلغة حمير المنطقة^(١).

وأما هُوذة بن علي فكان ملك اليمامة، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام، وكان نصرانياً، أرسل إلى النبي، ﷺ، وفداً فيهم مُجاعة بن مُرارة، والرَّجَال بن عُنفوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربه. فقال رسول الله، ﷺ: «لا ولا كرامة، اللهم اكفنيه!» فمات بعد قليل^(٢).

وأما مُجاعة والرَّجَال فأسلموا، وأقام الرَّجَال عند رسول الله، ﷺ، حتى قرأ سورة البقرة وغيرها، وتفقه وعاد إلى اليمامة، فارتدّ وشهد أن رسول الله أشرك مُسيلمة معه، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة.

(مُجاعة: بضم الميم وتشديد الجيم. والرَّجَال: بالجيم المشددة، وقيل بالحاء المهملة المشددة. وعُنفوة: بضم العين، وسكون النون وضم الفاء، وفتح الواو).

وأما المنذر بن ساوى، والي البحرين، فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى، وأسلم جميع العرب بالبحرين.

فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حال دينار، ولم يكن بالبحرين قتال، إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح^(٣).

وولي الحج في هذه السنة المشركون^(٤).

وفي هذه السنة ماتت أم رومان، وهي أم عائشة زوجة النبي، ﷺ^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٦٥٤/٢ - ٦٥٧ والمنطقة بلسان حمير: المعجزة.

(٢) عيون الأثر ٢/٢٦٩، ٢٧٠.

(٣) عيون الأثر ٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) تاريخ الطبري ٦٥٧/٢.

(٥) أسد الغابة ٥/٥٨٣.

ودخلت سنة سبع

ذكر غزوة خيبر^(١)

لما عاد رسول الله، ﷺ، من الحُدَيْيَّة أقام بالمدينة ذا الحِجَّة وبعض المحرم، وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل، معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع، واستخلف على المدينة سباع بن عُرقطة الغفاري، فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع، ليحول بين أهل خيبر وغطفان، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله، ﷺ. وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهودَ [عليه]، ثم خافوا المسلمين أن يخلّفوهم في أهلهم وأموالهم، [فرجعوا] ونزلوا بين رسول الله، ﷺ، ويهود، فسار رسول الله، ﷺ، وقال في مسيره لعامر بن الأكوع، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: اُحْدُ لنا، فنزل وحدهم يقول:

وَالله لَوْلا الله ما اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا^(٢)

فقال له رسول الله، ﷺ: رَحِمَكَ الله! فقال له عمر: هَلَّا أَمْتَعْتَنَا بِهِ يَا رَسُولَ الله! وكان إذا قالها لرجل قُتِل، فَلَمَّا نَازَلُوا خَيْبَرَ بَارَزَ عَامِرُ^(٣)، فَعَادَ عَلَيْهِ سَيْفَهُ، فَجَرَحَهُ جَرْحاً

(١) المغازي للزهري ٨٤ سيرة ابن هشام ٢٧٥/٣، تاريخ خليفة ٨٢، الطبقات الكبرى ١٠٦/٢، المغازي لعروة ١٩٥، المغازي للواقدي ٦٣٣/٢، تاريخ اليعقوبي ٥٦/٢، تاريخ الطبري ٩/٣، أنساب الأشراف ٣٥٢/١ رقم ٧٣٧، البدء والتاريخ ٢٢٥/٤، نهاية الأرب ٢٤٨/١٧، عيون الأثر ١٣٠/٢، عيون التواريخ ٢٦٤/١، الدرر في المغازي ٢١٧، مرآة الجنان ١١/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٠٣، سيرة ابن كثير ٣٤٤/٣، البداية والنهاية ١٨١، شذرات الذهب ١٢/١.

(٢) في الطبعة الأوربية «حَدَّ».

(٣) أنظر: سيرة ابن هشام ٢٧٦/٣، ومناقب أمير المؤمنين عليّ للواسطي ١٢٩، والطبقات الكبرى ١١١/٢، ونهاية الأرب ٢٤٩/١٧، وعيون الأثر ١٣٠/٢، وعيون التواريخ ٢٦٤/١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٠٥، وصحيح البخاري ٧٢/٥ في المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ١٤٢٩/٣ باختلاف.

(٤) في الطبعة الأوربية «عمرو».

شديداً، فمات منه، فقال الناس: إنه قتل نفسه. فقال سلمة ابن أخيه للنبي، ﷺ، [ما قالوا] فقال: «كذبوا بل له أجره مرتين». فلما أشرف عليها قال لأصحابه: «قفوا». ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياض وما أذرلن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله». وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها.

ونزل على خبير ليلاً ولم يعلم أهلها، فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم، فلما رأوه عادوا وقالوا: محمد والخميس، يعنون الجيش، فقال النبي، ﷺ: الله أكبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(١). ثم حصرهم وضيق عليهم، وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً، فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة، ألقى عليه [منه] رحي فقتلته، ثم القموص حصن بني أبي الحقيق، وأصاب منهم رسول الله ﷺ، سبايا، منهم صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فاصطفأها رسول الله، ﷺ، لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، وأكلوا لحوم الحمر الإنسية، فنهاهم رسول الله، ﷺ، عنها^(٢).

وكان الزبير بن باطا القرطي قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعث، فأطلقه، فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له: أتعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك! قال: أريد أن أجزيك بيدك عندي. قال: إن الكريم يجيز الكريم. فأتى ثابت رسول الله، ﷺ، فقال: كان للزبير عندي يد أريد أن أجزيه بها فهبه لي. فوهبه له. فأتاه فقال له: إن النبي، ﷺ، قد وهب لي دمك فهو لك. قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد؛ فاستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله، ﷺ، فوهبهم له. فقال الزبير: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم؛ فاستوهب ثابت ماله من رسول الله، ﷺ، فوهبه له، فمن عليه بالجميع.

فقال الزبير: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال: قُتل. قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قُتل. قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا كررنا عزال بن سَمَوال^(٣)؟ قال: قُتل. قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيْظَة، وبني عمرو بن قُرَيْظَة. قال:

(١) سورة الصافات - الآية ١٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٧٨.

(٣) في النسخة (ب): «سَمَوال».

ذهبوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ما ألحقني بهم، فوالله ما في العيش بعدهم خير. فقتله.

ثم افتتح رسول الله، ﷺ، حصن الصَّعب، وهو أكثرها طعاماً وودكاً، ثم قصد حصنهم الوطيح والسُّلالم، وكانا آخر ما افتتح، فخرج منه مَرَحِب اليهودي وهو يقول:
قد علمت خيبرُ أنني مَرَحِبُ شاكي السلاح بطلٌ مُجَرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الكيوتُ أقبلتْ تلَهَبُ^(١)
كانَ حِمَايَ كالحِمْيِ^(٢) لا يُقَرَّبُ^(٣)

وسأل المبارزة، فخرج إليه محمد بن مسلمة وقال: أنا والله الموتور الشائر، قتلوا أخي بالأمس. فأقره رسول الله، ﷺ، بمبارزته وقال: اللهم أعنه عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلاً، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدَّرَقَة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته^(٤)، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. ثم خرج أخوه ياسر وهو يقول:

قد علمت خيبرُ أنني ياسرُ شاكي السلاح بطلٌ مُغاورُ
وطلب المبارزة، فخرج إليه الزُّبير بن العوام، فقتله الزُّبير^(٥).

وقيل: إن الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن علي بن أبي طالب؛ وهو الأشهر والأصح.

قال بُرَيْدة الأسلمي: كان رسول الله، ﷺ، ربّما أخذته الشقيقة^(٦)، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته، فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله، ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول؛ ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله، ﷺ، فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوة. وليس ثم علي،

(١) في سيرة ابن هشام «تحرب». وفي الطبعة الأوربية «تلهب».

(٢) في السيرة «إن حمي للحمي».

(٣) سيرة ابن هشام ٢٨٢/٣، تاريخ الطبري ١٠/٣ و ١١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٠٨.

(٤) في الطبعة الأوربية «فغضب وأمسكه عليه».

(٥) الطبري ١١/٣.

(٦) الشقيقة: صداع يعرض في مقدّم الرأس أو إلى أحد جانبيه.

كان قد تخلف بالمدينة لَرَمِدٍ لِحَقِّه، فلَمَّا قال رسول الله، ﷺ، مقالته هذه تطاولت لها قریش، فأصبح فجاء عليّ على بعير له، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله، ﷺ، وهو أرمَدُ قد عصب عينيه، فقال رسول الله، ﷺ: ما لك؟ قال: رمدتُ بعدك. فقال له: ادنْ مِنِّي. فدنا منه، فتفل في عينيه، فما شكاً وجعاً حتى مضى لسبيله. ثم أعطاه الراية، فنهض بها وعليه حلّة حمراء، فأَتَى خيبر، فأشرف عليه رجل من يهود فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفَر يمانيّ، قد نقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يقول:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بطلُ مُجربُ
فقال عليّ:

أنا الذي سَمَّني أُمِّي حَيْدَرَةً أكيلكم بالسَّيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)
لَيْتَ بغاباتٍ شديداً قَسُورَةً

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ فضربه فقدَّ الحَجَفَةُ^(٢) والمِغْفَرُ ورأسه حتى وقع في الأرض؛ وأخذ المدينة^(٣).

قال أبو رافع مولى رسول الله، ﷺ: خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله، ﷺ، [برايته] إلى خيبر، فلَمَّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه^(٤)، ثم ألقاه من يده؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه^(٥).

وكان فتحها في صفر.

فلَمَّا فُتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى يهود، فلَمَّا رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فاصطفى رسول الله،

(١) كيل السندرة: أي كيلاً وافيّاً، وقيل: السندرة ضربٌ من الكيل الواسع. وقيل: شجرة تُصنع منها مكابيل عظام. (راجع مناقب أمير المؤمنين عليّ للواسطي - ص ١٣١).

(٢) في الطبعة الأوربية «الحجر». والحَجَفَةُ: الترس من جلد بلا خشب.

(٣) تاريخ الطبري ١٢/٣، ١٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «الله على يديه».

(٥) الخبر عند الطبري ١٣/٣، وتاريخ الإسلام ٤١١، وانظر تاريخ البعقوبي ٢٥٦/٢، وسيرة ابن هشام

٢٨٤/٣، ٢٨٥.

ﷺ، صفية وأبعد الأخرى وقال: إنها شيطانة، لأجل فعلها، وقال لبلال: أنزعت منك الرحمة؟ جئت بهما على قتلاهما!.

وكانت صفية قد رأت في منامها وهي عروس لِكِنانة بن أبي الحُقَيْق أن قمرًا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين محمدًا. ولطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها، فأتى بها رسول الله، ﷺ، وبها أثر منها، وسألها، فأخبرته، ودفع كِنانة بن أبي الحُقَيْق إلى محمد بن مسلمة، فقتله بأخيه محمود^(١).

وحاصر رسول الله، ﷺ، حصن أهل خيبر الوطيح والسَّالَم، فلمَّا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم، فأجابهم إلى ذلك، وكان قد حاز الأموال كلها، الشَّقَّ ونَظَاةً والكتيبة، وجميع حصونهم.

فلَمَّا سمع بذلك أهلُ فَدَكْ بعثوا إلى رسول الله، ﷺ، يسألونه أن يسيرهم ويخلّوا له الأموال. ففعل ذلك، ولما نزل أهلُ خيبر [على ذلك] سألوا رسول الله، ﷺ، أن يعاملهم في الأموال على النصف، وأن يُخرجهم إذا شاء، فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا، وفعل مثل ذلك أهلُ فَدَكْ، وكانت خيرَ فَيْئًا للمسلمين، وكانت فَدَكْ خالصة لرسول الله، ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب^(٢).

ولما استقرَّ رسول الله، ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلَام بنِ مِشْكَم شاة مصلية مسمومة، فوضعتها بين يديه، فأخذ رسول الله، ﷺ، منها مُضْغَةً، فلم يُسِغْهَا، ومعه بَشْر بن البراء بن مَعْرُور، فأكل بِشْر منها، وقال رسول الله، ﷺ: إن هذه الشاة تُخبرني أنها مسمومة، ثم دعا المرأة فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك فقلت: إن كان نبيًّا فسيُخبر، وإن كان ملكًا استرحنا منه. فتجاوز عنها. ومات بِشْر من تلك الأكلة^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ٢٨٦/٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٨٦/٣، ٢٨٧، تاريخ خليفة ٨٣، تاريخ الطبري ١٤/٣، ١٥، فتوح البلدان ٣٤/١، البداية والنهاية ١٩٨/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٢٢.

(٣) أنظر صحيح البخاري ٨٤/٥ في المغازي، باب الشاة التي سُمِّت للنبي ﷺ في خيبر، و ١٤١/٣ في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السلام، باب السَّم، وأبو داود في الديات (٤٥٠٨) و (٤٥٠٩) و (٤٥١٠) و (٤٥١١) و (٤٥١٢) و (٤٥١٣) و (٤٥١٤) باب فيمن سقى رجلاً سُمًّا أو أطعمه فمات، أَيْقَادُ مَنْه؟ وابن ماجه في الطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند ٣٠٥/١ و ٣٧٣، وابن هشام في السيرة ٤٤/٤، والهيتمي في مجمع الزوائد ٢٩٥/٨، ٢٩٦، باب ما جاء في الشاة المسمومة، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٢٠٢، ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٣٦، ٤٣٧، وتاريخ الطبري ١٥/٣.

وقال رسول الله، ﷺ، في مرضه الذي مات فيه: «هذا الأوان وجدتُ انقطاع أبهري^(١) من أكلة خبير^(٢)». فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة^(٣).

[ذكر غزوة وادي القرى]

ولما فرغ رسول الله، ﷺ، من خبير انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي فافتتحة عنوة، وفي حصاره قُتل مدغم مولى رسول الله، ﷺ، الذي أهداه له رفاة بن زيد الجذامي، فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة. وقال رسول الله، ﷺ: «كلا، والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل عليه ناراً، وكان غلهاً من فيء المسلمين يوم خبير». فسمعه رجل فقال: [يا رسول الله] أصبتُ شراكين^(٤) لنعلين [لي] كنت^(٥) أخذتهما. فقال رسول الله، ﷺ: «يُقَدُّ لك مثلهما من النار»^(٦).

وترك رسول الله، ﷺ، النخل والأرض في أيدي أهل الوادي، وعاملهم نحو ما عامل أهل خبير، فبقوا كذلك إلى أن ولي عمر الخلافة فأجلاهم، وقيل: إنه لم يجلبهم لأنها خارجة عن الحجاز^(٧).

وفي هذه السفرة، أعني خبير، نام رسول الله، ﷺ، عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، والقصة مشهورة^(٨).

وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرَضَخَ^(٩) لهن [من الفِء].

[قصة الحجاج بن علاط السلمي]

وفي هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله، ﷺ: لي بمكة مالٌ

(١) الأبهري: عرق في الظهر.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٨٧/٣، الطبري ١٦/٣.

(٤) الثيراك: سير النعل الذي يكون على وجهها.

(٥) في الطبعة الأروبية «كانا».

(٦) سيرة ابن هشام ٢٨٨/٣، تاريخ الطبري ١٦/٣، نهاية الأرب ٢٦٨/١٧، عيون الأثر ١٤٤/٢، تاريخ الإسلام ٤٠٨.

(٧) أنظر: فتوح البلدان ٣٩/١، ونهاية الأرب ٢٦٩/١٧، ٢٧٠، وتاريخ الإسلام ٤٢، وعيون الأثر ١٤٥/٢، البداية والنهاية ٢١٨/٤.

(٨) الحديث في صحيح مسلم (٦٨٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها. وانظر تاريخ الإسلام ٤٣.

(٩) رضخ: أعطى.

عند صاحبتني أم شَيْبَةَ ابنة أبي طلحة، وهي أم ابنه مُعْرِض بن الحَجَّاج، ومال متفرّق بمكّة، فأذن لي يا رسول الله. فأذن له. فقال: إنه لا بدّ من أن أقول. قال: «قل». فقدم الحَجَّاجُ مكّة، فسأله أهل مكّة عن رسول الله، ﷺ، وما صنع بخير، ولم يكونوا علموا بإسلامه، فقال لهم: إنّ يهود هزمتهم وأصحابه، وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وأسر محمّد، وقالت يهود: لن نقتله حتى نبعث به إليّ مكّة فيقتلوه. فصاحوا بمكّة بذلك، فقال: أعينوني في جمع مالي حتى أقدم خير فاصيب من فلّ محمّد وأصحابه قبل [أن يسبقني] التجار. فجمعوه كلّ كآحت شيء. فأثاه العباسُ وسأله عن الخبر، فأخبره، بعد أن جمع ماله، بفتح خير وأن النبي، ﷺ، أخذ صفية بنت حَيٍّ لنفسه، وأنه قدّم لجمع ماله، وسأله أن يكتم عنه ثلاثاً خوف الطلب. فكتم العباسُ الخبر ثلاثاً بعد مسيره، ثم لبس حلّة له، وخرج فطاف بالكعبة، فلما رآته قريش قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد. قال: كلا والله! لقد افتتح محمّد خير وأخذ ابنة ملكهم وأموالهم. وأخبرهم بخبر الحَجَّاج. فقالوا: لو علمنا لكان له ولنا شأن^(١).

[ذكر مقاسم خير]

وقسم من أموال خير الشُّق والنُّطاة بين المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله والرسول، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فطعم أزواج النبي، ﷺ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله وأهل فدك [بالصلح]، وقسمت خير على أهل الحُدَيْيَةِ، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً. وأقر النبي، ﷺ، أهل خير بخير، وأبو بكر بعده، وعمر صدراً من إمارته حتى بلغه أن النبي، ﷺ، قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»^(٢)؛ فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله، ﷺ^(٣).

(سَلَام بن مِشْكَم: بتشديد اللام، ومِشْكَم بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة. والحَقِيق: بضمّ الحاء المهملة، وبِقَافَيْن. وأخطب: بالخاء المعجمة، وآخره باء موحدة. ومَعْرُور: بالعين المهملة، وبعده راء ان مهملتان. وعِلَاط: بكسر العين المهملة، وطاء مهملة).

(١) سيرة ابن هشام ٢٨٩/٣، تاريخ الطبري ١٧/٣، تاريخ الإسلام ٣٨، ٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٠١/٣، تاريخ الطبري ٢١/٣.

(٣) السيرة، الطبري.

ذكر فَدَك

لما انصرف رسول الله ﷺ، من خيبر بعث مُخَيَّصَةَ بن مسعود إلى أهل فَدَك، يدعوهم إلى الإسلام، ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي، فصالحوا رسول الله ﷺ، على نصف الأرض، فقبل منهم ذلك، وكان نصف فَدَك خالصاً لرسول الله ﷺ، لأنّه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطّاب، وأجلى يهود الحجاز^(١)، فبعث أبا الهيثم بن التّيهان، وسهل بن أبي حَثْمَةَ^(٢)، وزيد بن ثابت، فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل، فدفعها إلى يهود وأجلاهم إلى الشام، ولم يزل رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، يصنعون صنيع رسول الله ﷺ، بعد وفاته.

فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز، ثمّ صارت لعمر بن عبد العزيز، وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان، فلما ولي الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز، ثمّ ولي سليمان الخلافة، فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس، وأعلمهم أمر فَدَك، وأنّه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثمّ أخذت منهم.

فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون إليهم.

(مُخَيَّصَةُ: بضمّ الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الياء المثناة من تحت وكسرها، وآخره صاد مهملة. والتّيهان: بفتح التاء فوقها نقطتان، وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها).

وفي هذه السنة ردّ رسول الله ﷺ، ابنته زينب على أبي العاصم بن الربيع، زوجها، في المحرم^(٣).

وفيها قدّم حاطب من عند المُقَوِّس بمارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وأختها شيرين، وبغلته دُلْدُل، وحماره يَغْفُور، وكسوة، فأسلمت مارية وأختها قبل قدومهما على رسول الله ﷺ، فأخذ مارية لنفسه، ووهب شيرين حسان بن ثابت الأنصاري، فهي أمّ

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٠٤.

(٢) في طبعة صادر «خيّمة» وهو تحريف.

(٣) تاريخ الطبري ٢١/٣.

ابنه عبد الرحمن، فهو وإبراهيم ابنا خالة^(١).

وفيهما اتخذ منبره، وقيل: إنه عمل سنة ثمان، وهو الثبت^(٢).

وفيهما بعث رسول الله، ﷺ، عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجَز هوازن، فهربوا منه ولم يلقَ كيداً^(٣).

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الأنصاري إلى بني مُرة بفدك، في شعبان، في ثلاثين رجلاً، أصيب أصحابه، وارتث في القتلى، ثم رجع إلى المدينة^(٤).

وفيهما كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مُرة، فأصاب مُرداس بن نهيك حليفاً لهم من جُهينة قتله أسامة [بن زيد] ورجل من الأنصار. قال أسامة: لما غشيناه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على النبي، ﷺ، أخبرناه الخبر، فقال: «كيف تصنع بلا إله إلا الله!»^(٥).

وفيهما كانت سرية غالب بن عبد الله أيضاً، في مائة وثلاثين راكباً إلى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم واستاق النعم إلى المدينة^(٦).

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد إلى اليمن والجناب في شوال^(٧).

وكان سببها أن حُسَيْل^(٨) بن نويرة^(٩) الأشجعي كان دليل رسول الله، ﷺ، إلى

(١) تاريخ الطبري ٢١/٣، ٢٢، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الإسلام ٤٥، البداية والنهاية ٢٣٦/٤ وانظر عن مارية في الطبقات الكبرى ٢١٢/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢/٣.

(٣) أنظر: المغازي للواقدي ٧٢٢/٢، والطبقات الكبرى ١١٧/٢، وتاريخ الطبري ٢٢/٣، والبدية والنهاية ٢٢١/٤، ونهاية الأرب ٢٧٠/١٧، وتاريخ الإسلام ٤٦، وعيون الأثر ١٤٥/٢.

(٤) أنظر: المغازي للواقدي ٧٢٣/٢، والطبقات الكبرى ١١٨/٢، ١١٩، وتاريخ الطبري ٢٢/٣، ونهاية الأرب ٧٢/١٧، وتاريخ دمشق (تحقيق دهمان) ١٥٠/١٠، وتاريخ الإسلام ٤٧، وعيون الأثر ١٤٧/٢، ١٤٨، والبدية والنهاية ٢٢١/٤، ٢٢٢، وعيون التواريخ ٢٧١/١.

(٥) سيرة ابن هشام ٢٣٩/٤، الطبقات الكبرى ١١٩/٢، تاريخ الطبري ٢٢/٣، نهاية الأرب ٢٧٢/١٧، ٢٧٣، تاريخ الإسلام ٤٨، عيون الأثر ١٤٧/٢، البداية والنهاية ٢٢٢/٤.

(٦) الطبري ٢٣/٣، الطبقات الكبرى ١١٩/٢، عيون الأثر ١٤٧/٢، عيون التواريخ ٢٧١/١، البدء والتاريخ ٢٢٨، ٢٢٧/٤.

(٧) الطبري ٢٣/٣، عيون الأثر ١٤٧/٢، ١٤٨، الطبقات الكبرى ١٢٠/٢، عيون التواريخ ٢٧٢/١، المغازي للواقدي ٧٢٧/٢، تاريخ الإسلام ٥١، البدء والتاريخ ٢٢٨/٤.

(٨) في طبعة صادر ٢٢٦/٢ «جيل»، وهو وهم.

(٩) في النسخة (ب): «بريرة».

خير، قَدِمَ على النبي، ﷺ، فأخبره أَنَّ جمعاً من غطفان بالجناب قد أمدَّهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن، وأمرهم بالمسير إلى المدينة، فبعث النبي، ﷺ، بشيراً فأصابوا نَعْمًا وقتلوا مولى لِعُيَيْنَةَ، ثُمَّ لقوا جمع عُيَيْنَةَ، فهزمهم المسلمون، وانهزم عُيَيْنَةُ، فلقيه الحارث بن عَوْفٍ منهزماً، فقال له: قد آن لك أن تقصر عمّا مضى ^(١).

(حاطب: بالحاء المهملة، وآخره باء موحدة. وبشير: بفتح الباء الموحدة، وكسر الشين المعجمة، وآخره راء، والد النعمان بن بشير. وعُيَيْنَةُ: بضم العين، وفتح الياء المثناة تحتها نقطتان، وسكون الياء الثانية، وبعدها نون، تصغير عين).

ذكر عُمرَةِ القضاء ^(٢)

لما عاد رسول الله، ﷺ، من خير أقام بالمدينة جُمادَيَيْن ورجب وشعبان ورمضان وشوّالاً يبعث السرايا، ثُمَّ خرج في ذي الحِجَّة معتمراً عُمرَةَ القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه المسلمون ممّن كان معه في عُمرته الأولى. فلَمَّا سمع به أهل مَكَّة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش [بينها] أَنَّ النبي، ﷺ، وأصحابه في عُسر وجُهد، فاصطفوا له عند دار الندوة، فلَمَّا دخلها اضطّبع بردائه، فأخرج عضده اليمنى، ثُمَّ قال: رَجِمَ الله امرأً أراهم اليوم [من نفسه] قوّة! ثُمَّ استلم الركن وخرج يُهْزول، وَيُهْزول أصحابه [معه]، وكان بين يديه لما دخل مَكَّة عبد الله بن رَوَاحَة آخذاً بخطام ناقته وهو يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ	أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ	كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ	وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ^(٣)

وتزوَّج النبي، ﷺ، في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، وأقام بمَكَّة ثلاثاً، فأرسل

(١) في إحدى النسخ «عمارى».

وأنظر عن هذا الخبر: نهاية الأرب ١٧/٢٧٣، ٢٧٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٣٣٥.

(٢) ويقال: عُمرَةُ القضية، ويقال: عُمرَةُ القصاص. (عيون الأثر ٢/١٤٨).

وأنظر الخبر في: سيرة ابن هشام ٥/٤، وتاريخ الطبري ٢٣/٣، تاريخ خليفة ٨٦، والمغازي للواقدي ٧٣١/٢، المغازي لعروة ٢٠١، عيون الأثر ٢/١٤٨، الطبقات الكبرى ١٢٠/٢، أنساب الأشراف ٣٥٣/١، عيون التواريخ ٢٧٢/١، البدء والتاريخ ٢٢٨/٤، مرآة الجنان ١١/١، سيرة ابن كثير ٤٢٨/٣، البداية والنهاية ٢٢٦/٤، تاريخ الإسلام ٤٥٦.

(٣) الأبيات في ديوان عبد الله بن رَوَاحَة ١٠٠، ١٠١، باختلاف في الألفاظ وترتيب الأبيات، وفي سيرة ابن هشام ٧/٤، والطبقات الكبرى ١٢١/٢، والمغازي لعروة ٢٠٢، وتاريخ الطبري ٢٤/٣.

المشركون إليه مع عليّ بن أبي طالب ليخرج عنهم. فقال: ما عليهم لو أعرستُ بين أظهرهم، وصنعنا لهم طعاماً فحضره معنا؟ فقالوا: لا حاجة لنا في طعامه. فخرج عنهم وبنى بميمونة بسرّف، ثمّ انصرف إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع، وبعث جيشه الذي أصيب بمؤتة^(١).

وولي تلك الحجة المشركون.

وفيها كانت غزوة ابن أبي العوّاء السلمي إلى بني سليم، فلقوه فأصيب هو وأصحابه.

وقيل: بل نجا وأصيب أصحابه^(٢).

(١) سيرة ابن هشام ٨/٤، ٩، تاريخ الطبري ٢٥/٣، الطبقات الكبرى ١٢٢/٢، المغازي لعروة ٢٠١، البدء والتاريخ ٢٢٨/٤، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الإسلام ٤٦١، عيون التواريخ ٢٧٣/١.
(٢) تاريخ الطبري ٢٦/٣، الطبقات الكبرى ١٢٣/٢، عيون الأثر ١٤٩/٢، عيون التواريخ ٢٧٤/١.

ودخلت سنة ثمان

فيها توفيت زينب بنت رسول الله،
صلى الله عليه وسلم؛ قاله الواقدي^(١)

* * *

[غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح]^(٢)

وفيها كان سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبّي، كلب الليث، إلى بني الملوّح، فلقبه الحارث بن البرصاء الليثي، فأخذه أسيراً، فقال: إنّما جئت لأسلم. فقال له غالب: إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة، وإن كنت كاذباً استوثقنا منك. ووكل به بعض أصحابه وقال له: إن نازعك فخذ رأسه؛ وأمره بالمقام إلى أن يعود، ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد، فنزلوا بعد العصر، وأرسلوا جندب بن مكيث الجهنّي ربيّة لهم، قال: فقصدت تلاً هناك يطلعني على الحاضر، فانبطحت عليه، فخرج لي منهم رجل فرآني منبطحاً، فأخذ قوسه وسهمين فرماني بأحدهما، فوضعه في جنبي، قال: فنزعتُه ولم أتحرك، ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكمبي، قال: فنزعتُه ولم أتحرك. قال: أما والله لقد خالطه سهماي، ولو كان ربيّة لتحرك. قال: فأمهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا، فشئنا عليهم الغارة فقتلنا منهم، واستقنا منهم النعم، ورجعنا سراعاً، وأتى صريخ القوم، فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء سحاباً، ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدّم، وقدمنا المدينة. وكان شعار المسلمين: «أُمْتُ أُمْتُ»^(٣)، وكان عدّتهم بضعة عشر رجلاً^(٤).

(١) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٢٧/٣، عيون التواريخ ٣٤٠/١.

(٢) المغازي للواقدي ٧٢٤/٢، البداية والنهاية ٢٢٢/٤، تاريخ الإسلام ٤٤٨، الطبقات الكبرى ١٢٤/٢،

عيون التواريخ ٢٧٧/١، تاريخ الطبري ٢٧/٣، عيون الأثر ١٥٠/٢، سيرة ابن هشام ٢٥٦/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٥٧/٤، ٢٥٨.

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبها المنذر بن ساوى، فصالح المنذر على أن على المجوس الجزية، ولا تؤكل ذبائحهم و [لا] تُنكح نساؤهم.

وقيل: إن إرساله كان سنة ست من الهجرة، مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله، ﷺ، إلى الملوك^(١)، وقد تقدّم ذلك.

وفيها كانت سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر، في ربيع الأول، في أربعة عشر رجلاً، فأصابوا نَعَمًا، فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بعيراً^(٢).

وفيها كانت سرية عمرو بن كعب^(٣) الغفاري إلى ذات الأطلاق في خمسة عشر رجلاً، فوجد بها جمعاً كثيراً، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا أن يجيبوا، وقتلوا أصحاب عمرو، ونجا حتى قديم المدينة^(٤).

وذات الأطلاق من ناحية الشام^(٥)، وكانوا [من] قُضاعة، ورئيسهم رجل يقال له سدوس.

ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة^(٦)

في هذه السنة في صفر، قديم عمرو بن العاص مسلماً على النبي، ﷺ، وقديم معه خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدي.

وكان سبب إسلام عمرو أنه قال: لما انصرفنا مع^(٧) الأحزاب [عن الخندق] قلت لأصحابي: إني أرى أمر محمد يعلو علواً منكراً، وإني قد رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإن

(٤) الطبري ٢٨/٣.

(١) الطبري ٢٩/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٧/٢، الطبري ٢٩/٣، المغازي للواقدي ٧٥٣/٢، تاريخ الإسلام ٤٧٦، البداية والنهاية ٢٤٠/٤، نهاية الأرب ٢٧٦/١٧، عيون التواريخ ٢٧٧/١، عيون الأثر ١٥٢/٢، البدء والتاريخ ٢٣٠/٤.

(٣) هكذا في الأصل، وفي مغازي الواقدي، وتاريخ الطبري «كعب بن عمير».

(٤) المغازي للواقدي ٧٥٢/٢، الطبقات الكبرى ١٢٧/٢، تاريخ الإسلام ٤٧٧، البدء والتاريخ ٢٣٠/٤.

(٥) ذات الأطلاق: موضع من وراء وادي القرى إلى المدينة. (معجم البلدان ٢١٨/١).

(٦) المغازي للواقدي ٧٤٢/٢، تاريخ الطبري ٢٩/٣، تاريخ الإسلام ٤٦٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «من».

ظهر محمد على قومنا كُنّا عند النجاشي، وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا. قالوا: إن هذا الرأي. قال: فجمعنا له أدمًا كثيرًا، وخرجنا إلى النجاشي، فإنا لعنده، إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولاً من النبي، ﷺ، في أمر جعفر وأصحابه. قال: فدخلت على النجاشي، وطلبت منه أن يسلم إلي عمرو بن أمية الضمري، لأقتله تقريباً إلى قريش بمكة. فلما سمع كلامي غضب، وضرب أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره، يعني النجاشي، فخفته ثم قلت: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلت أيها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون [وجنوده]. قال: فقلت: فبايعني له على الإسلام. فبسط يده فبايعته، ثم خرجت إلى أصحابي وكتمتهم إسلامي، وخرجت عائداً إلى رسول الله، ﷺ، ولقيني خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مقبل [من مكة]، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم^(١)، إن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم فحتى متى! فقلت: ما جئت إلا للإسلام، فقدمنا على النبي، ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم، ثم دنوت فأسلمت، وتقدم عثمان بن طلحة فأسلم^(٢).

ذكر غزوة ذات السلاسل^(٣)

وفيها أرسل رسول الله، ﷺ، عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدّة يدعو الناس إلى الإسلام، وكانت أمه من بليّ، فتألفهم رسول الله، ﷺ، بذلك، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل، وبه سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف، فبعث إلى النبي، ﷺ، يستمده، فبعث إليه رسول الله، ﷺ، أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر، وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. [فخرج أبو عبيدة]، فلما قدم عليه قال عمرو: إنما جئت مدداً إليّ. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله، ﷺ، قال: لا تختلفا، فإن عصيتني أطعتك. قال: فأنا أمير عليك. قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس^(٤).

(١) والمنسم: المذهب والوجه. وفي الطبعة الأوربية «الميسم».

(٢) الخبر في المغازي للواقدي ٧٤١/٢ وما بعدها.

(٣) المغازي للواقدي ٧٦٩/٢، سيرة ابن هشام ٢٦٩/٤، الطبقات الكبرى ١٣١/٢، المغازي لعروة ٢٠٧، جوامع السيرة ٢٠، البداية والنهاية ٢٧٣/٤، عيون الأثر ١٥٧/٢، تاريخ الطبري ٣١/٣، نهاية الأرب ٢٨٣/١٧، عيون التواريخ ٢٨٥/١، البدء والتاريخ ٢٣٢/٤، سيرة ابن كثير ٥١٦/٣، تاريخ الإسلام ٥١٣، المغازي للزهري ١٥٠.

(٤) المغازي لعروة ٢٠٧، وانظر سيرة ابن هشام ٢٦٩/٤، تاريخ الطبري ٣٢/٣.

وفيهما أرسل رسول الله ﷺ، عمرو بن العاص إلى جيفر، وعياد^(١) ابني الجُلندى بعمان، فأمننا وصدقنا. وأخذ الجزية من المجوس^(٢).

ذكر غزوة الخَبَط وغيرها^(٣)

وفيهما كانت غزوة الخَبَط، وأميرهم أبو عُبيدة بن الجراح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب، وزودهم رسول الله ﷺ، جُراباً من تمر، فكان أبو عُبيدة يقبض لهم قبضة، ثم تمر تمر، فكان أحدهم يلوکها ويشرب عليها الماء، فنقد ما في الجراب، فأكلوا الخَبَط، وجاعوا جوعاً شديداً، فحضر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عُبيدة، فانتَهَى. ثم إنَّ البحر ألقى إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منها حتى شبعوا، ونصب أبو عُبيدة ضلعاً من أضلاعه، فيمرُّ الراكب تحته. فلما قدِموا المدينة ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: كُلُوا رزقاً أخرجهُ الله لكم، وأكل منه رسول الله ﷺ، وذكروا صنيع قيس بن سعد، فقال: إنَّ الجواد من شيمة أهل ذلك البيت^(٤).

وفيهما كانت سرية وجهها رسول الله ﷺ، في شعبان أميرها أبو قتادة، ومعه عبد الله بن أبي حَدرَد الأسلمي؛ وكان سببها أن رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن عظيم من جُشَم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي ﷺ، فبعث النبي ﷺ، أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر، فوصلوا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس، فكمّن كل واحد منهم في ناحية، وكانوا ثلاثة، وقيل كانوا ستة عشر رجلاً، قال عبد الله بن أبي حَدرَد: فكان لهم راع أبطأ عليهم، فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه، فرمته بسهم في فؤاده، فما تكلم، قال: فأخذت رأسه، ثم شددت في ناحية العسكر، وكبرت وكبر أصحابي، فوالله ما كان إلّا النجاء، فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خفّ عليهم، واستقنا الإبل الكثيرة والغنم، فجئنا بها رسول الله ﷺ وبرأسه معي، فأعطاني رسول الله ﷺ، من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً، وكنت قد تزوّجت وأخذت أهلي. وعدل البعير بعشر من الغنم^(٥).

وفيهما أغزى رسول الله ﷺ، أبا قتادة أيضاً إلى إضم، ومعه مُحَلَم بن جثامة

(١) في الأصل «جيفر وعباد». وفي تاريخ الطبري «عمرو» بدل «عياد».

(٢) الخبر عند الطبري ٩٥/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٢/٢، تاريخ الطبري ٣٢/٣، عيون التواريخ ٢٨٦/١، عيون الأثر ١٥٨/٢، المغازي للواقدي ٧٧٤/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٣٣/٣، الطبقات الكبرى ١٣٢/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٣٥/٣، ٣٦.

اللَّيْثِيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ، فَلَقِيَهُمْ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ عَلِيٌّ بَعِيرٌ لَهُ، وَمَعَهُ مَتَاعُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكُوا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ لَشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ بَعِيرَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَنَزَلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)؛ الْآيَةُ.

وقيل: كانت هذه السرية حين خرج إلى مكة في رمضان^(٢).

ذكر غزوة مؤتة^(٣)

كان ينبغي أن نقدّم هذه الغزوة على ما تقدّم، وإنّما أخرناها لتتّصل الغزوات العظيمة، فيتلو بعضها بعضاً.

وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ، واستعمل رسول الله ﷺ، عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة». فقال جعفر: ما كنت أذهب أن تستعمل^(٤) عليّ زيدا. فقال: «امض فإنك لا تدري أيّ ذلك خير». فبكى الناس وقالوا: هلاًّ متعتنا بهم يا رسول الله؟ فأمسك، وكان إذا قال: «فإن أصيب فلان فالأمير فلان»، أصيب كلّ من ذكره.

فتجهّز الناس، وهم ثلاثة آلاف، وودّعهم رسول الله ﷺ، والناس. فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله، فقال له الناس: ما يُبكيك؟ فقال: ما بي حبّ الدنيا ولا صباية بكم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ، يقرأ آية، وهي: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٥)؛ فليست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين. فقال عبد الله:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حَرَّانَ مُجَهَّزَةً بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبْدَا

(١) سورة النساء - الآية ٩٤.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ٧٣/٩، وتاريخه ٣٦/٣٥/٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١١/٤، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الطبري ٣٦/٣، الطبقات الكبرى ١٢٨/٢، عيون التواريخ ٢٧٩/١، نهاية الأرب ٢٧٧/١٧، عيون الأثر ١٥٦/٢، المغازي ٧٥٥/٢، البدء والتاريخ ٢٣٠/٤، مرآة الجنان ١١/١، سيرة ابن كثير ٤٥٥/٣، البداية والنهاية ٢٤١/٤، شذرات الذهب ١٢/١، تاريخ الإسلام ٧٩، المعرفة والتاريخ ٢٥٨/٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «استعمل».

(٥) سورة مريم - الآية ٧٢.

حتى يقولوا^(١) إذا مَرَّوا على جَدَثِي أرشدك^(٢) الله من غازٍ وقد رَشَدًا^(٣)
فلَمَّا ودَّعهم رسول الله، ﷺ، وعاد قال عبد الله :

خَلَفَ السَّلَامُ على امرئٍ ودَّعْتُهُ في النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ^(٤) وَخَلِيلٍ

ثُمَّ ساروا حتى نزلوا مُعَانَ، فبلغهم أَنَّ هِرْقُلَ سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة من لحم، وجُذَام، وبلَقَيْن، وبلَيَّ، عليهم رجل من بلَيَّ يقال له مالك بن رافلة^(٥)، ونزلوا مَأَبَ من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمُعَانَ ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله، ﷺ، نخبره الخبر وننتظر أمره، فشَجَّعهم عبدُ الله ابن رَواحة وقال: يا قوم والله إنَّ الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل النَّاسَ بعدد ولا قوَّة، ولا نقاتلهم إلَّا بهذا الدِّين، فانطلقوا فما هي إلَّا إحدى الحُسَيْنَيْنِ. فقال النَّاسُ: صدق والله، وساروا، وسمعه زيد بن أرقم، وكان يتيماً في حجره، وقد أَرَدَفه في مسيره ذلك على حقيته، وهو يقول:

إذا أَذْيَبْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي	مَسِيرَةً أَرْبَعَ بَعْدَ الْجِسَاءِ
فشأنُكَ فانعمي ^(٦) وخلاكِ ذمٌ	وَلَا أَرْجِعُ إلَى أهلي ورائي
وجاء المُسْلِمُونَ وغادروني	بأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي ^(٧) الشَّوَاءِ
وردَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	مَنْ ^(٨) الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعُ ^(٩) بَعْلٍ ^(١٠)	وَلَا نَخْلُ أسافلها رِوَاءِ

فلَمَّا سمعها زيد بكى، فخفقه بالدَّرة وقال: ما عليك يا لُكْعُ! يرزقني الله الشهادة وترجع بين شُعْبَتِي الرحل؟ ثُمَّ ساروا، فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء، يقال لها مَشَارِف، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَة، فالتقى النَّاسُ عندها، وكان

(١) في السيرة «يقال».

(٢) في السيرة «أرشد»، وفي إحدى النسخ «أشهدك».

(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام ١٢/٤، تاريخ الطبري ٣٧/٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «مشيع».

(٥) في الطبعة الأوربية «رافلة».

(٦) في السيرة وتاريخ الطبري «أنعم».

(٧) في السيرة «مستهي»، وفي الطبعة الأوربية «مشهور».

(٨) في السيرة «إلى».

(٩) في الطبعة الأوربية «ضلع».

(١٠) البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض.

على ميمة المسلمين قُطبة بن قَتادة العُذريّ، وعلى ميسرتهم عَبَايَة^(١) بن مالك الأنصاري، فاقتلوا قتالا شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ، حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل [بها] وهو يقول:

يَا حَبْذا الجَنَّةُ واقتراُبُها طَيِّبَةً وبارِداً شَرابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دنا عذابُها، عليّ، إذ لا قَيْتُها، ضرابُها^(٢)

فلَمّا اشتدَّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء، ففقرها، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أوّل مَنْ عقر فرسه في الإسلام، فوجدوا به بضعاً وثمانين بين رمية وضربة وطعنة، فلَمّا قُتل أخذ الراية عبدُ الله بن رَواحة، ثم تقدّم، فتردّد بعض التردّد، ثم قال يخاطب نفسه:

أَقَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنِي طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرِهَنِي
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّنَّةَ مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِيْنَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَذَّةٍ^(٣)
وقال أيضاً:

يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا جِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
وَمَا تَمَنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ^(٤)

ثم نزل عن فرسه، وأتاه ابن عمّ له بعرق^(٥) من لحم، فقال له: شدّ بهذا صلبك، فقد لقيت ما لقيت. فأخذه فانتهش منه نهشةً، ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر، فقال لنفسه: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه وأخذ سيفه، وتقدّم فقاتل حتى قُتل.

واشتدَّ الأمرُ على المسلمين وكَلِبَ عليهم العدو، وقد كان قُطبة بن قَتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة. ثم إنَّ الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبيّ ﷺ، فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: باب خير!^(٦)

(١) في الطبعة الأوربية «عبادة».

(٢) أنظر سيرة ابن هشام ١٧/٤ فيها اختلاف بالتقديم.

(٣) النطفة: الماء القليل الصافي. والشنة: السقاء البالي.

(٤) في الطبعة الأوربية:

وَمَا تَمَنَيْتِيهِ قَدْ أُعْطِيتِي إِنْ تَفْعَلِي بِقَتْلِهَا هُدَيْتِي

(٥) في الطبعة الأوربية «بعظم».

(٦) في الطبعة الأوربية «ثار خير».

(ثلاثاً) [أخبركم] عن جيشكم هذا الغازي؛ إنهم لقوا العدو، فقتل زيد شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على القوم حتى قتل شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون، ثم قال رسول الله، ﷺ: فقاتل القوم حتى قتل شهيداً، ثم قال: لقد رُفعوا إلى الجنة على سُرر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريرتي صاحبه، فقلت: عمّ هذا؟ ف قيل: مَضِيًّا، وتردد بعض التردد ثم مضى. ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: رضينا بك. فقال: ما أنا بفاعل. فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فأخذ الراية ودافع القوم وانحازوا عنه، فقال رسول الله، ﷺ: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالناس»، فمن يومئذ سُمي خالد سيف الله.

وقال رسول الله، ﷺ: «مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان مختضب القوادم»^(١) بالدم.

قالت أسماء: أتاني النبي، ﷺ، وقد فرغت من اشتغالي، وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشتمهم ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، أصيب هذا اليوم. ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عمل في دين الإسلام. قالت أسماء بنت عميس: فقامت أصنع، واجتمع إلي النساء. فلما رجع الجيش (ودنا من المدينة) لقيهم رسول الله، ﷺ، والمسلمون، فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه، فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فرار يا فرار! ويقول رسول الله، ﷺ: «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى»^(٢).

(١) في النسخة (ب): «القوادم».

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢٠/٤ - ٢٢، تاريخ الطبري ٤٠/٣ - ٤٢.

ذكر فتح مكة^(١)

وأقام رسول الله، ﷺ، بعد غزوة مؤتة جُمادى الآخرة ورجباً، ثم إن بني بكر بن عبد مناة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماءٍ لهم بأسفل مكة، يقال له الوثير، وكانت خُزاعة في عهد رسول الله، ﷺ، وبكر في عهد قريش في صلح الحُدَيْبِيَّة؛ وكان سبباً ذلك أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عَبَّاد، وكان حليفاً للأسود بن رَزْن الدُّثَلِي، ثم البكري في الجاهلية خرج تاجراً، فلما كان بأرض خُزاعة قتلوه، وأخذوا ماله، فعدتْ بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدتْ خُزاعة على بني الأسود بن رَزْن، وهم سَلَمَى، وكُلْثُوم، ودُوَيْب، فقتلوهم بَعْرَةً، وكانوا من أشراف بني بكر، فبينما خُزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلام، واشتغل الناسُ به، فلما كان صلح الحُدَيْبِيَّة ودخلتْ خُزاعة في عهد النبي، ﷺ، ودخلتْ بكر في عهد قريش، اغتنمتْ بكر تلك الهدنة، وأرادوا أن يصيبوا من خُزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود، فخرج نُوْفَل بن معاوية الدُّثَلِي بمن تبعه من بكر حتى بَيَّتَ^(٢) خُزاعة على ماء الوثير.

وقيل: كان سبب ذلك أن رجلاً من خُزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي، ﷺ، فشجّه، فهاج الشرّ بينهم، وثارت بكر بخُزاعة حتى بَيَّتوهم بالوثير، وأعانت قريش بني بكر على خُزاعة بسلاح ودواب، وقاتل معهم جماعة من قريش مخفين، منهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهل بن عمرو، فانحازتْ خُزاعة إلى الحرم، وقتل منهم نفر. فلما دخلتْ خُزاعة الحرم قالت بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك! فقال: لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعُمري إنكم لتُسْرِفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟.

فلما نقضتْ بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي، ﷺ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم الكعبي حتى قَدِم على رسول الله، ﷺ، المدينة فوقف عليه، ثم قال:

(١) سيرة ابن هشام ٢٩/٤، تاريخ الطبري ٤٢/٣، الطبقات الكبرى ١٣٤/٢، المعرفة والتاريخ ٢٥٩/٣، المعارف ١٦٣، تاريخ خليفة ٨٧، المغازي لعروة ٢٠٨، الدرر لابن عبد البر ٢٢٤، جوامع السيرة لابن حزم ٢٢٣، عيون الأثر ١٦٣/٢، المغازي للواقدي ٧٨٠/٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٢٠/٩، نهاية الأرب ٢٩٩/١٧، أنساب الأشراف ٣٥٣/١ رقم ٧٤٠، تاريخ يعقوبي ٥٨/٢، مروج الذهب ٢٩٦/٢، عيون التواريخ ٢٨٨/١، مرآة الجنان ١٥/١، تاريخ الإسلام ٥٢١، البدء والتاريخ ٢٣٢/٤، سيرة ابن كثير ٥٢٦/٣، البداية والنهاية ٢٧٨/٤، المغازي للزهري ٨٦-٩١.

(٢) في الطبعة الأوربية «بَيَّت».

لَا هُمْ^(١) إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
 فَوَالِدًا كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدًا^(٢)
 فَانصُرْ رَسُولَ^(٣) اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 إِنْ قَرِيشًا أَحْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
 وَجْعَلُوا لِي فِي كِدَاءٍ رَصْدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 حَلَفَ أَبِيْنَا وَأَبِيْهِ الْأَتْلَدَا
 ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
 وَادُعْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَنْمِي صُعْدَا^(٤)
 فِي فَلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا^(٥)
 هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَيْتِرِ هُجْدَا
 فَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجْدَا^(٦)

فقال رسول الله، ﷺ: قد نصرت يا عمرو بن سالم! ثم عرض لرسول الله، ﷺ،
 عنان من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»^(٧).
 وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم:
 حلف أبيْنَا وأبيْهِ الْأَتْلَدَا

ثم خرج بُذَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ، ﷺ، الْمَدِينَةَ
 فَنَادَوْهُ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: «يَا لَبِيْكُمْ!» وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، ثُمَّ انصَرَفُوا رَاجِعِينَ
 إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ قَالَ: كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سَفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَجْدَدَ الْعَهْدَ خَوْفًا
 وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ. وَمَضَى بُذَيْلُ فَلَقِيَ أَبَا سَفْيَانَ بَعْثُفَانَ يَرِيدُ النَّبِيَّ، ﷺ، لِيَجْدَدَ الْعَهْدَ
 خَوْفًا مِنْهُ، فَقَالَ لِبُذَيْلٍ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خُزَاعَةَ فِي السَّاحِلِ وَبَطْنِ هَذَا الْوَادِي.
 قَالَ: أَوْ مَا أَتَيْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ لِأَصْحَابِهِ [لَمَّا رَاحَ بُذَيْلٌ]: انظُرُوا بَعْرَ
 نَاقَتِهِ، فَإِنْ جَاءَ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ النَّوَى. فَنَظَرُوا بَعْرَ النَّاقَةِ، فَرَأَوْا فِيهِ النَّوَى.

(١) فِي السِّيرَةِ «يَا رَبَّ».

(٢) فِي السِّيرَةِ: «قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا».

(٣) فِي السِّيرَةِ: «هَذَاكَ اللَّهُ».

(٤) فِي الطَّبَعَةِ الْأُورُبِيَّةِ: «أَبْيَضَ مِثْلَ الْيَدِ تَنْمِي صُعْدَا».

وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ الْاِخْتِلَافُ فِي التَّرْتِيبِ عِنْدَ ابْنِ هِشَامٍ.

(٥) فِي الطَّبَعَةِ الْأُورُبِيَّةِ:

وَجْعَلُوا لِي فِي كِدَاءٍ وَرَصْدَا وَزَعَمُوا أَنْ كُنْتُ تَدْعُو أَحَدًا

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٣٥/٤، الطَّبْرِي ٤٥/٣، وَبَعْضُهَا فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ٣٥٣/١، ٣٥٤، وَالْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٧٨٩/٢، وَعَيُونُ التَّوَارِيخِ ٢٨٨/١، ٢٨٩، وَالْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ٢٣٣/٤، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٥٢٣.

(٧) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٣٥/٤، تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٥/٣.

ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبي ﷺ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه. فقال: أرغبت به عني أم رغبت بي عنه؟ فقالت: هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك بعدي شر. ثم خرج حتى أتى النبي ﷺ، فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً، ثم أتى أبا بكر، فكلّمه ليكلّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ! والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به. ثم خرج حتى أتى عليّاً، وعنده فاطمة والحسن غلام، فكلّمه في ذلك، فقال له: والله لقد عزم رسول الله ﷺ، على أمر لا نستطيع أن نكلّمه فيه. فقال لفاطمة: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيّد العرب؟ فقالت: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس^(١)، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد^(٢). فالتفت إلى عليّ فقال له: أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى. قال: أنت سيّد كنانة، فقم فأجر بين الناس، والحق بأرضك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيّها الناس قد أجرت بين الناس. ثم ركب بغيره وقدم مكة، وأخبر قريشاً ما جرى له، وما أشار به عليّ عليه. فقالوا له: والله ما زاد على أن يسخر بك^(٣).

ثم إن رسول الله ﷺ، تجهّز وأمر الناس بالتجهّز إلى مكة وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها». فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يعلمهم الخبر، وسيّره مع امرأة من مزيّنة اسمها كنود، وقيل: مع سارة مولاة لبني المطلب. فأرسل رسول الله ﷺ، عليّاً والزبير، فأدركاها وأخذا منها الكتاب وجاءا به إلى رسول الله ﷺ، فأحضر حاطباً وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: والله إني لمؤمن [بالله ورسوله] ما بدلت ولا غيرت، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد، وليس لي عشيرة، فصانعتهم عليهم. فقال عمر: دعني أضرب عنقه، فإنه قد نافق. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعلّ الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وأنزل الله [في حاطب]: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ»^(٤) إلى آخر الآية^(٥).

ثم مضى رسول الله ﷺ، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حُصين

(١) في الطبعة الأوربية «أن يجير رسول الله».

(٢) في الطبعة الأوربية «أحد».

(٣) سيرة ابن هشام ٣٧/٤، تاريخ الطبري ٤٦/٣، ٤٧.

(٤) سورة الممتحنة - الآية ١.

(٥) سيرة ابن هشام ٣٩/٤، تفسير الطبري ٣٩/٢٨، تاريخ الطبري ٤٨/٣، ٤٩.

الغفاري، وخرج لعشر مَضِين من رمضان، وفتح مكة لعشر بقين منه، فصام حتى بلغ ما بين عُسْفان وأَمَج، فأَمْطَرُوا، واستوعب معه المهاجرون والأنصار، فسَبَّعْتُ سُلَيْم، وَأَلْفَتْ مُزَيْنَةَ^(١)، وفي كل القبائل عدد [وإسلام]، وأدركه عُيَيْنَةُ بن حَصْن الفزاري، والأقرع بن حابس، ولقيه العباس بن عبد المطلب بالسُّقْيَا، وقيل: بذِي الحُلَيْفَةِ، مهاجراً، فأمره رسول الله، ﷺ، أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه، وقال له: «أنت آخر المهاجرين، وأنا آخر الأنبياء».

ولقيه أيضاً مَحْرَمَةُ بن نوفل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية^(٢) بنيق^(٣) العُقَاب، فالتمسا الدخول على رسول الله، ﷺ، وكَلَمَتَهُ أُم سلمة فيهما وقالت له: ابن عمك وابن عمتك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي، فهو الذي قال بمكة ما قال. فلما سمعا ذلك، وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر فقال: والله ليأذن لي، أو لأخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فرق لهما رسول الله، ﷺ، فأدخلهما إليه فأسلما^(٤).

وقيل: إنَّ عليّاً قال لأبي سفيان بن الحارث: إئت رسول الله، ﷺ، من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾^(٥)، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً، ففعل ذلك. فقال له رسول الله، ﷺ: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٦)، وقربهما، فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما مضى:

لَعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لكالمُدْلَجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
وهادٍ هَدَانِي^(٧) غَيْرَ نَفْسِي وَنَالِي مع الله مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ

الآبيات^(٨)، فضرب رسول الله، ﷺ، صدره وقال: أنت طردتني كلَّ مطرَّد^(٩).

(١) سَبَّعْتُ: أي كانت سبعمئة. وأَلْفَتْ: أي كانت ألفاً.

(٢) في السيرة ٤١/٤ «عبد الله بن أبي أمية».

(٣) في السيرة «بنيق» بالباء الموحدة. والمثبت يتفق مع الطبري ٥٢/٣.

(٤) السيرة ٤١/٤.

(٥) سورة يوسف - الآية ٩١.

(٦) سورة يوسف - الآية ٩٢.

(٧) في السيرة «هداني هاد».

(٨) سيرة ابن هشام ٤٢/٤، تاريخ الطبري ٥١/٣، نهاية الأرب ٢٩٨/١٧، أنساب الأشراف ٣٦٣/١، تاريخ الإسلام ٥٣٦.

(٩) سيرة ابن هشام ٦/٤، الطبري ٥١/٣.

وقيل: إنَّ أبا سفيان لم يرفع رأسه إلى النبيِّ، ﷺ، حياء منه.
وقدِم رسول الله، ﷺ، مرَّ الظَّهران في عشرة آلاف فارس، من بني غِفَار أربعمائة،
ومن مُزَيْنَة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سُليْم سبعمائة، ومن جُهَيْنَة ألف وأربعمائة،
وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف من العرب، ثمَّ من تميم وأسد وقيس.

فلَمَّا نزل مرَّ الظَّهران قال العباس بن عبد المطلب: يا هلاك قريش! والله لئن بَغَتْها
رسول الله، ﷺ، في بلادها فدخل عَنوةٍ إِنَّه لَهلاك قريش إلى آخر الدهر. فجلس على
بغلة النبيِّ، ﷺ، وقال: أخرج لعلِّي أرى حطَّاباً أو رجلاً يدخل مَكَّة فيُخبرهم بمكان
رسول الله، ﷺ، فيأتونه ويستأمنونه. قال: فخرجتُ أطوف في الأراك إذ سمعتُ صوت
أبي سفيان، وحكيم بن حزام، وبُذيل بن ورقاء الخزاعي، قد خرجوا يتجسَّسون. فقال
أبو سفيان: ما رأيت نيراناً أكثر من هذه. فقال بُذيل: هذه نيران خِزاعة. فقال أبو سفيان:
خِزاعة أذلَّ من ذلك. فقلتُ: يا أبا حنظلة، يعني أبا سفيان كان يُكنى بذلك، فقال: أبو
الفضل! قلت: نعم. قال: لبيك فذاك أبي وأمي، ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله،
ﷺ، في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف. قال: ما تأمرني؟ قلتُ: تركب معي فاستأمن
لك رسول الله، ﷺ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنَّ عُنُقك. فردفني، فخرجتُ أركضُ به
نحو رسول الله، ﷺ، فكلَّمنا مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين يقولون: عمَّ رسول الله على
بغلة رسول الله، حتى مررنا بنار عمر بن الخطَّاب، فقال أبو سفيان: الحمد لله الذي
أمكن منك بغير عقد ولا عهد! ثمَّ اشتدَّ نحو النبيِّ، ﷺ، وركضتُ البغلة فسبقتُ عمرَ،
ودخل عمر على رسول الله، ﷺ، فأخبره وقال: دَغني أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله
إنِّي قد أجرته. ثمَّ أخذتُ برأس رسول الله، ﷺ، وقلتُ: لا ينجيه [اليوم] أحدٌ دوني.
فلَمَّا أكثر فيه عمر قلتُ: مهلاً يا عمر، [فوالله] ما تصنع هذا إلَّا لأنَّه من بني عبد مَناف،
ولو كان من بني عدِّي ما قلتُ هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم
أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم. فقال رسول الله، ﷺ،: [اذهب] فقد
آمناء حتى تغدو عليَّ به بالغداة. فرجعتُ به إلى منزلي وغدوتُ به على رسول الله، ﷺ،
فلَمَّا رآه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنَّ لك أن تعلم أن لا إله إلَّا الله؟ قال: بلى،
بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغني [عني] شيئاً. فقال: ويحك
لم يأنَّ لك [أن تعلم] أنِّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي، أمَّا هذه ففي النفس منها
شيء. قال العباس: فقلتُ له: ويحك تشهِّد شهادة الحقِّ قبل أن تُضرب عنقك! قال:
فتشهد، وأسلم معه حكيم بن حزام وبُذيل بن ورقاء. فقال رسول الله، ﷺ، للعباس:
اذهب فاحبس أبا سفيان عند خَطْم^(١) الجبل بمضيق الوادي، حتى تمرَّ عليه جنود الله.

(١) خَطْم الجبل: أنفه أي مقدِّمه. وفي رواية «حطم» بالحاء المهملة، وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى =

فقلت: يا رسول الله إنه يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: «مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»^(١).

قال: فخرجتُ به فحبسْتُهُ عند خَطَمِ الجبل، فمَرَّتْ عليه القبائل فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: أسلم. فيقول: ما لي ولأسلم. ويقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: جُهيْنَةُ. فيقول: ما لي ولجُهينة. حتى مرَّ رسول الله ﷺ، في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار [في الحديد]، لا يُرى منهم إلَّا الحَدَق. فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار. فقال: لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك عظيماً. فقلت: وريحك إنها النبوة. فقال: نعم إذن. فقلت: الحقُّ بقومك سريعاً فحذَرْهم. فخرج حتى أتى مَكَّةَ ومعه حكيم بن حزام، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا مُحَمَّدٌ قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به. فقالوا: فَمَهْ. قال: مَنْ دخل داري فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن^(٢).

ثم قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلي لحياتي، وأقسم لئن أنْتَ لم تُسَلِّمي لتُضربن عنقك، ادخلي بيتك! فتركتُهُ.

وبعث رسول الله ﷺ، في أثرهما الزَّبير وأمره أن يدخل ببعض النَّاس من كَداء، وكان على المُجَنِّبة^(٣) اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل ببعض النَّاس من كَداء، فقال سعد حين وجَّهه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ. فسمعها رجل من المهاجرين، فأعلم رسول الله ﷺ، فقال لعلِّي بن أبي طالب: أدركه فخذِ الرأية منه، وكُنْ أنت الذي تدخل بها، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مَكَّةَ من اللَّيْط في بعض النَّاس، وكان معه أسلم، وغفار، ومُزينة، وجُهينة، وقبائل من العرب^(٤). وهو أوَّل يوم أمر رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد.

ولما وصل رسول الله ﷺ، إلى ذي طَوًى وقف على راحلته وهو مُعتَجِرٌ ببرد خزْ

= يحطم بعضها بعضاً.

(١) سيرة ابن هشام ٤/٤٢ - ٤٤، تاريخ الطبري ٣/٥٢ - ٥٤، الأغاني ٦/٣٥٢ - ٣٥٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٤٣، الطبري ٣/٥٤، الأغاني ٦/٣٥٤.

(٣) في الطبعة الأوربية «الجنبه».

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٤٩، الطبري ٣/٥٦، ٥٧.

أحمر، وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به [من الفتح]، حتى إن أسفل لحيته ليمسّ واسطة الرحل، ثم تقدّم ودخل من أذاخر بأعلاها، وضربت قَبْته هناك^(١).

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، ومعهم الأحابيش، وبنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مناة، فلقبهم خالد ابن الوليد، فقاتلهم فقتل من المسلمين جابر بن حُسَيْل الفَهْرِيّ، وحُبَيْش^(٢) بن خالد، وهو الأشعر الكعبيّ، وسَلَمَة بن المَيْلاء، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزم المشركون^(٣).

وكان مع عكرمة حماس بن خالد الدُّثَلِيّ، وكان قد قال لامرأته: لا تينك بخادم من أصحاب محمد، فلما عاد إليها منهزماً قالت له تستهزئ به: أين الخادم؟ فقال:

فأنت لو شهدتنا بالخندمة	إذ فر صفوان وفر عكرمة
وابوزيد كالعجوز المؤتمّة	لم تنطقي في اللوم أدنى كلمّة
إذ ضربتنا بالسيف المثلّمّة	لهم زفير ^(٤) خلفنا وغمغمّة ^(٥)

أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو.

وكان رسول الله، ﷺ، قد عهد إلى أمرائه أن لا يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم. فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر، وقد نشرن شعورهنّ، فرآهنّ رسول الله، ﷺ، وإلى جنبه أبو بكر، فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: يا أبا بكر كيف قال حسان؟ فأنشده:

تَظَلُّ جِيادُنَا مُتَمَطِّراتٍ^(٦) تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ^(٧)

(١) السيرة ٤٩/٤، الطبري ٥٧/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «خنيس» وفي السيرة «خنيس».

(٣) سيرة ابن هشام ٥٠/٤، الطبري ٥٧/٣، ٥٨.

(٤) في الطبعة الأوربية: «زبير».

(٥) أنظر الأبيات باختلاف الألفاظ والترتيب في: سيرة ابن هشام ٥٠/٤، وتاريخ الطبري ٥٨/٣، وعيون

التواريخ ٣٠٠/١، وأنساب الأشراف ٣٥٦/١، ٣٥٧، والمغازي لعروة ٢١٢، والمغازي للواقدي ٨٢٧/٢، وعيون الأثر ١٧٣/٢، ونهاية الأرب ٣٠٦/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٣٥.

(٦) في إحدى النسخ «مضمرات».

(٧) في الطبعة الأوربية:

تَكَادُ جِيادُنَا مُسْتَمَطِّراتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ

والبيت من قصيدة طويلة في: ديوان حسان، وسيرة ابن هشام ٦٣/٤ - ٦٦، وأنساب الأشراف ٣٥٦/١، =

وكان رسول الله، ﷺ، قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة، فأما الرجال فمنهم عكرمة بن أبي جهل، كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله، ﷺ، وعداوته والإنفاق على محاربتة، فلما فتح رسول الله، ﷺ، مكة خافه على نفسه، فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حَكِيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له، وخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فأطعمته ولم تمكّنه^(١). حتى أتت حياً من العرب فاستعانتهم عليه، فأوثقوه، وأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت: جئتُك من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم، وقد آمنك، فرجع، وأخبرته خبر الرومي، فقتله قبل أن يُسلم. فلما قدم على رسول الله، ﷺ، سرّ به، فأسلم وسأل رسول الله، ﷺ، أن يستغفر^(٢) له، فاستغفر^(٣).

ومنهم صفوان بن أمية بن خَلَف، وكان أيضاً شديداً على النبي، ﷺ، فهرب خوفاً منه إلى جدّة، فقال عُمر بن وهب الجُمحيّ: يا رسول الله إن صفوان سيّد قومي، وقد خرج هارباً منك فأمّنه. قال: هو آمن، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليُعرف بها أمانه، فخرج بها عُمر فأدركه بجدّة، فأعلمه بأمانه وقال: إنّه أحلم الناس وأوصلهم، وإنّه ابن عمّك، وعزّه عزّك، وشرفه شرفك. قال: إنّي أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك. فرجع صفوان وقال لرسول الله، ﷺ: إن هذا يزعم أنك أمنتني. قال: «صدق». قال: اجعلني بالخيار شهرين. قال: «أنت فيه أربعة أشهر»^(٤)، فأقام معه كافراً، وشهد معه حُنيئاً والطائف، ثم أسلم وحسّن إسلامه، وتوفي بمكة عند خروج الناس إلى البصرة ليوم الجمل.

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لُؤي، وكان قد أسلم وكتب السّوحي إلى رسول الله، ﷺ، فكان إذا أملى عليه: عزيز حكيم، يكتب: عليم حكيم، وأشبه ذلك، ثم ارتد وقال لقريش: إنّي أكتب أحرف محمّد في قرآنه حيث شئت، ودينكم خير من دينه؛ فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيّبه عثمان حتى اطمأنّ الناس، ثم أحضره عند رسول الله، ﷺ، وطلب له الأمان، فصمت رسول الله، ﷺ، طويلاً ثم آمنه، فأسلم وعاد، فلما انصرف قال رسول الله، ﷺ، لأصحابه: «لقد صمت ليقّتل أحدكم». فقال أحدهم: هلاً أومات إلينا؟ فقال:

= والمغازي للواقدي ٨٣١/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٢، ٥٤٣.

(١) في الطبعة الأوربية «تمنيه».

(٢) في الطبعة الأوربية «استغفر».

(٣) السيرة ٥٢/٤، الطبري ٥٩/٣، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) سيرة ابن هشام ٦٠/٤.

«ما كان للنبي أن يقتل بالإشارة، إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين»^(١).

ومنهم عبد الله بن خَطل، وكان قد أسلم، فأرسله رسول الله، ﷺ، مصداً ومعه رجل من الأنصار، وغلماً له روميّ قد أسلم، فكان الروميّ يخدمه ويصنع الطعام، فنسي يوماً أن يصنع له طعاماً، فقتله وارتدّ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله، ﷺ، فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزوميّ، أخو عمرو بن حريث، وأبو بَرزّة الأسلميّ^(٢).

ومنهم الحُوَيْرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان يؤذي رسول الله، ﷺ، بمكّة وينشد الهجاء فيه، فلمّا كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقيه عليّ بن أبي طالب فقتله^(٣).

ومنهم مقيس بن صُبابه، وإنّما أمر بقتله لأنّه قتل الأنصاريّ الذي قتل أخاه هشاماً خطأ وارتدّ، فلمّا انهزم أهل مكّة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة، وشربوا الخمر، فعلم به نُمَيْلة بن عبد الله الكنانيّ، فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله^(٤).

ومنهم عبد الله بن الزُّبَيْري السَّهْميّ، وكان يهجو رسول الله، ﷺ، بمكّة ويعظم القول فيه، فهرب يوم الفتح هو وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميّ زوج أمّ هانئ بنت أبي طالب إلى نجران، فأما هُبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك، وأما ابن الزُّبَيْري فرجع إلى رسول الله، ﷺ، واعتذر، فقبل عُذره، فقال حين أسلم:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ^(٥) مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ^(٦)
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَى سَيٌّ^(٧) وَمَنْ مَالٌ مِثْلَهُ^(٨) مَثْبُورٌ^(٩)

(١) قال ابن الأثير في: النهاية في غريب الحديث ٦/٢ «أي يفسر في نفسه غير ما يظهر، فإذا كفّ لسانه وأوماً بعينه فقد خان، وإذا كان ظهور تلك الحالة من قِبَل العين سُميت خائنة الأعين. وانظر المغازي للواقدي ٨٥٦/٢، وسيرة ابن هشام ٥١/٤، وعيون الأثر ١٧٥/٢، وشفاء الغرام ١٨٧/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٩٢/٤، ٩٣، المغازي للواقدي ٨٥٩/٢، ٨٦٠، عيون الأثر ١٧٦/٢، سيرة ابن كثير ٥٦٤/٣، شفاء الغرام ٢٢٦/٢، ٢٢٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٣، ٥٥٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٢/٤، الطبري ٦٠/٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٥٢/٤، والطبري ٦٠/٣، وعيون الأثر ١٧٦/٢، والمغازي للواقدي ٨٦٠/٢، ٨٦١، وشفاء الغرام ٢٢٥/٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «رايق».

(٦) البور: الهالك.

(٧) عند الطبري «سنن الريح».

(٨) في الطبعة الأوربية «نال مثله».

(٩) المثبور: الهالك.

أَمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ بِرَبِّي ثُمَّ نَفْسِي^(١) الشَّهِيدَ أَنْتَ النَّذِيرُ
في أشعار له كثيرة يعتذر فيها^(٢).

ومنه وحشي بن حرب قاتل حمزة، فهرب يوم الفتح إلى الطائف، ثم قديم في وفد
أهله على رسول الله ﷺ، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول
الله. فقال النبي ﷺ: أَوْحَشِي؟ قال: نعم. قال: أَخْبِرْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ عَمِّي؟ فَأَخْبَرَهُ،
فبَكَى وَقَالَ: «غَيْبَ وَجْهَكَ عَنِّي»^(٣). وهو أول من جلد في الخمر، وأول من لبس
المُعَصْفَرُ المصقول في الشام.

وهرب حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فرآه أبو ذرٍّ في حائط^(٤) فأخبر النبي ﷺ، بمكانه،
فقال: أَوَلَيْسَ قَدْ آمَنَّا النَّاسَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَمَرْنَا بِقَتْلِهِ؟ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَسْلَمَ.
قيل: إنه دخل يوماً على مروان بن الحَكَم وهو على المدينة، فقال له مروان: يا
شيخ تأخر إسلامك. فقال: لقد هممتُ به غير مرة، فكان يصدني عنه أبوك.

فأما النساء فمنهنَّ هُند بنت عتبة، وكان رسول الله ﷺ، أمر بقتلها لما فعلت
بحمزة، ولما كانت تؤذي رسول الله ﷺ، بمكة، فجاءت إليه مع النساء متخفية
فأسلمت، وكسرت كل صنم في بيتها وقالت: لقد كنّا منكم في غرور، وأهدت إلى
رسول الله ﷺ، جديتين، واعتذرت من قلة ولادة غنمها، فدعا لها بالبركة في غنمها
فكثرت، فكانت تهب وتقول: هذا من بركة رسول الله ﷺ، فالحمد لله الذي هدانا
لِلْإِسْلَامِ^(٥).

ومنهنَّ سارة، وهي مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي
التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة في قول بعضهم، وكانت قدمت على رسول الله ﷺ،
مسلمة فوصلها، فعادت إلى مكة مرتدة، فأمر بقتلها، فقتلها علي بن أبي طالب^(٦).

ومنهنَّ قينتا عبد الله بن خطل، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما،
فقتلت إحداهما واسمها قُريبة، وفرت الأخرى وتنكرت وجاءت إلى رسول الله ﷺ،

(١) في السيرة: «لربّي ثم قلبي».

(٢) سيرة ابن هشام ٦١/٤، الطبري ٦٤/٣.

(٣) المغازي للواقدي ٨٦٣/٢.

(٤) حائط: بستان.

(٥) أنظر الطبقات الكبرى ٢٣٧/٨، والطبري ٦٢/٣، والمغازي للواقدي ٨٦٩/٢.

(٦) المغازي للواقدي ٨٦٠/٢.

فأسلمت وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطاب، فأوطأها رجل فرسه خطأً فمات^(١).
وقيل: بقيت إلى خلافة عثمان، فكسر رجل ضلعاً من أضلاعها خطأً فمات،
فأغرمه عثمان ديتها^(٢).

ولما دخل رسول الله، ﷺ، مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مائة أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحج». ثم قال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣)، فعفا عنهم^(٤)، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فيئاً، فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء. وطاف بالكعبة سبعاً، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمُحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٥)؛ فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه.

وقيل بل أمر بها وخُدمت وكُسرت.

ثم جلس رسول الله، ﷺ، للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطاب تحته، واجتمع الناس لبيعة رسول الله، ﷺ، على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال^(٦).

وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاه منهن نساء من نساء قريش، منهن أم هانئ بنت أبي طالب، وأم حبيب بنت العاص بن أمية، وكانت عند عمرو بن عبد ود العامري، وأروى بنت أبي العيص عمة عتاب بن أسيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي، وأمه بنت عَفَّان بن أبي العاص أخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم حكيم بنت

(١) الطبري ٦٠/٣، سيرة ابن هشام ٥٢/٤، الروض الأنف ١٠٤/٤، شفاء الغرام ٢٣٠/٢، ٢٣١.

(٢) المغازي للواقدي ٨٦٠/٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤/٤، ٥٥، الطبري ٦٠/٣، ٦١.

(٤) العبارة في النسخة (ب): «فأعتقهم رسول الله».

(٥) سورة الإسراء - الآية ٨١، والخبر في المغازي للواقدي ٨٣١/٢، ٨٣٢.

(٦) عيون التواريخ ٣٠٦/١، الطبري ٦١/٣.

الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاخته بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف، ورقيقة بنت الحجاج، وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهن، وكانت هند متكررة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال لهن: «تبايعنني على أن لا تُشركن بالله شيئاً». قالت هند: إنيك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسؤتيكه. قال: «ولا تسرقن». قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان، وكان حاضراً: أما ما مضى فأنت منه في حل. فقال رسول الله، ﷺ: «أهند؟» قالت: أنا هند فاعفُ عمّا سلف^(١) عفا الله عنك. قال: «ولا تزني». قالت: وهل تزني الحرّة؟ قال: «ولا تقتلن أولادكن». قالت: ربّيناهم صغاراً وقتلّهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم. فضحك عمر. قال: «ولا تأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن». قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح، ولبعص^(٢) التجاوز أمثل^(٣). قال: «ولا تعصيني في معروف». قالت: ما جلسنا هذا المجلس، ونحن نريد أن نعصيك. فقال رسول الله، ﷺ، لعمر: بايعهن. واستغفر لهن رسول الله، ﷺ. وكان رسول الله، ﷺ، لا يمسه النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه^(٤) امرأة إلا امرأة أحلها الله له، أو ذات مَحْرَم [منه]^(٥).

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله، ﷺ، بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن، فلما أذن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة. وقيل: إنها قالت: لقد رفع الله ذكر محمد، وأما نحن فسنصلّي، ولكننا لا نحبّ من قتل الأعبة.

وقال خالد بن أسد، أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي، فلم يرَ هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: ليتني مت قبل هذا اليوم. وقال جماعة نحو هذا القول. ثم أسلموا وحسّن إسلامهم، ورضي الله عنهم.

(وأما الأسماء المُشكلة، فحاطب بن أبي بلتعة: بالحاء والطاء المهملتين، والباء الموحدة، وبلتعة: بالياء الموحدة، وبعد اللام، تاء مثناة^(٦) من فوقها. وعُيينة بن حصن:

(١) في الطبعة الأوربية «سالف».

(٢) في الطبعة الأوربية «ليعرض».

(٣) في النسخة (ب): «أميل».

(٤) في الأصل: «تحسه».

(٥) الطبري ٦١/٣، ٦٢ وأنظر المغازي للواقدي ٢/٨٥٠، ٨٥١.

(٦) في النسخة (ب): «تاء مثناة».

بضمّ العين المهملة، ويائين مثّاتين من تحت، ثمّ نون، تصغير عين. وبُذِلَ بن ورقاء: بضمّ الباء الموحّدة. وعَتَاب: بالثاء فوقها نقطتان، وآخره باء موحّدة. وأَسِيد: بفتح^(١) الهمزة، وكسر السين).

وقول أمّ سلمة: ابن عمّك وابن عمّتك، فتعني بابن عمّه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمّته عبد الله بن أبي أميّة، وهو أخوها لأبيها، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطلب. وقوله: قال في مكّة ما قال، فإنّه قال بمكّة: لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء، ﴿ولن نؤمن لِرُقْيِكَ حتى تُنَزَّلَ علينا كتاباً نقرؤه﴾^(٢). وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال: معنى قول أمّ سلمة: ابن عمّتك، أنّ جدّة النبيّ أمّ عبد الله كانت مخزوميّة، وعبد الله بن أبي أميّة مخزوميّ، فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمّته، والصواب ما ذكرناه.

(وحبّيش بن خالد: بضمّ الحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، ثمّ بالياء المثناة من تحت، وآخره شين معجمة. ومقيس بن صُبابَة: بكسر الميم، وسكون القاف، وبالياء المثناة من تحت المفتوحة، وآخره سين مهملة. وصُبابَة: بضمّ الصاد المهملة، ويائين موحّدتين بينهما ألف. خطم الجبل: روي بالحاء المعجمة، وبالحاء المهملة، فأما بالحاء المعجمة، فهو الأنف الخارج من الجبل، وأمّا بالحاء المهملة فهو الموضع الذي تُلم منه وقُطع، فبقي منقطعاً، وقد روي حطّم الخيل بالحاء المهملة، والخيل هذه هي التي تُركب، يعني أنّه يحبسها في الموضع الضيّق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضاً لضيقه^(٣)).

ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جَذِيمة^(٤)

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جَذِيمة، وكان رسول الله، ﷺ، قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكّة يدعون النّاس إلى الإسلام، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممّن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فنزل على الغُمَيْصاء ماء من مياه جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة بن كِنانة، وكانت جَذِيمة أصابت في الجاهليّة عَوف بن

(١) في الطبعة الأوربية «بضم».

(٢) الإسراء ٩٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «لضيقها».

(٤) سيرة ابن هشام ٧١/٤، المغازي للواقدي ٨٧٥/٣، تاريخ الطبري ٦٦/٣، تاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، الطبقات الكبرى ١٤٧/٢، نهاية الأرب ٣١٦/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧، عيون التواريخ ٣١٣/١، عيون الأثر ١٨٥/٢، سيرة ابن كثير ٥٩٣/٣.

عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا أقبلًا [تاجرين] من اليمن، فأخذت ما معهما [وقتلتهما]، فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنَّ النَّاسَ قد أسلموا. فوضعوا السلاح، فأمر خالد بهم فكُتفوا، ثمَّ عرضهم على السيف فقتل منهم مَنْ قتل^(٣).

فلما انتهَى الخبر إلى النبيّ، ﷺ، رفع يديه إلى السماء ثمَّ قال: «اللهمَّ إِنِّي أبرا إليك ممَّا صنع خالد!» ثمَّ أرسل عليًّا ومعه مال، وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال^(٤) حتى إنه ليدي مِيلَغَة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم عليّ: هل بقي لكم مال أو دم لم يودَّ؟ قالوا: لا. قال: فَإِنِّي أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله، ﷺ، ففعل. ثمَّ رجع إلى رسول الله، ﷺ، فأخبره، فقال: «أصبَت وأحسنَت»^(٥).

وقيل: إنَّ خالداً اعتذر وقال إنَّ عبد الله بن حُذافة السَّهْمِيَّ أمره بذلك عن رسول الله، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك، فقال له: عملتُ بأمر الجاهليَّة في الإسلام. فقال خالد: إِنَّمَا ثَارَتْ بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبتُ، قد قتلتُ أنا قاتلَ أبي، ولكنَّكَ إِنَّمَا ثَارْتَ بعمِّك الفاكه، حتى كان بينهما شرٌّ، فبلغ ذلك رسول الله، ﷺ، فقال: «مهلاً يا خالد دَعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحدُ ذهباً، ثمَّ أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدوة أحدهم ولا رَوْحته»^(٦).

قال عبد الله بن أبي حَزْرَد الأسلميّ: كنتُ يومئذٍ في جند^(٧) خالد، فأثرنا في أثر طُغْن مصعدة يسوق بهنَّ فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم مضوا، ووقف لنا غلام شابَّ على الطريق، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويقول:

ارفعن^(٨) أطرافَ الذبولِ وارفعن^(٩) مَشْيَ حَيَّاتٍ^(١٠) كأنَّ لم تُفَزَعْنَ
إنَّ تُمْنَعِ اليَوْمَ النِّسَاءَ تُمْنَعْنَ

(١) السيرة ٧١/٤ و٧٢.

(٢) في النسخة (ب): «النساء والأولاد».

(٣) سيرة ابن هشام ٧٣/٤، تاريخ الطبري ٦٧/٣، المغازي للواقدي ٧٣/٣، الطبقات الكبرى ١٤٨/٢، نهاية الأرب ٣١٦/١٧ و٣١٩ و٣٢١ و٣٢٢، عيون الأثر ١٨٦/٢.

(٤) السيرة ٧٤/٤، الطبري ٦٧/٣.

(٥) في السيرة وتاريخ الطبري «خيل».

(٦) في الطبقات الكبرى ١٤٨/٢.

«رَخَّيْنِ أذْيَالَ الْحِقَاءِ وَأَرْبَعْنَ»

(٧) في النسخة (ب): «وارفعن»، وفي الأغاني ٢٨٣/٧ «واريعن».

(٨) في النسخة (ب): «شيء حسان».

فقاتلناه طويلاً، فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول
فجعل يقاتلنا ويقول:

أقسم ما إن خادِرٌ^(١) ذو لبدة يَرْزُمُ^(٢) بين أثلة^(٣) وهذه
يفرسُ^(٤) شبان^(٥) الرجال وحده^(٦) بأصدق الغداة مني نجدة

فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظعن فأخذناهم، فإذا فيهن غلام وضيء الوجه، به
صُفرة كالمنهوك، فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله، فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟
قال: تدركون بي^(٧) الظعن في أسفل الوادي، ثم تقتلونني. قلنا: نفعل، فعارضنا الظعن،
فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته: اسلمي حُبِيش، على فقد العيش^(٨).
فأقبلت إليه جارية بيضاء حُسانة وقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدة البلاء.
قال: سلام عليك دهرأ، وإن بقيت عصراً. قالت: وأنت سلام عليك عشراً، وشفعاً
تتري، وثلاثاً وترأ. فقال:

إن يقتلونني يا حُبِيش فلم يدع
فأنت التي أخليت لحمي من دمي
فقلت له:

ونحنُ بكينا من فراقك مرةً
وأنت فلم تبعدْ فنعَم فتى الهوى
أريتكَ إذ طالبتكم فوجدتكم
ألم يك حقاً^(٩) أن يُنولَ عاشقٌ
وأخرى وواسيناك في العسرِ واليسرِ
جميل العفافِ والمودة في ستر^(١٠)
بحلية أو ألفيتكم بالخوانق^(١١)
تكلف إدلاج السرى في الودائق^(١٢)

(١) في إحدى النسخ «خادم». والخادر: المقيم في عرينه وهو الأسد.

(٢) في الطبعة الأوربية «يروم». وفي الأغاني «يزار».

(٣) هكذا في عيون التواريخ ٣١٦/١، وفي الأغاني، ونهاية الأرب ٣٢٠/١٧، وسيرة ابن هشام ٧٩/٤ «أيكه».

(٤) في الطبعة الأوربية «بفرس».

(٥) في نهاية الأرب «ثنيان». والمثبت يتفق مع الأغاني ٢٨٣/٧، وعيون التواريخ ٣١٦/١.

(٦) الشطر في سيرة ابن هشام ٧٩/٤.

ضار بتأكال الرجال وحده

(٧) في الطبعة الأوربية «في».

(٨) راجع الأغاني ٢٨٣/٧، ونهاية الأرب ٣٢٠/١٧.

(٩) أنظر الأغاني ٧/٢٨٤ ففيه «في المودة والستر». وكذا في شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣/٥ طبعة بولاق.

(١٠) في النسخة (ب): «وافيتكم بالخوافق».

(١١) في السيرة «أهلاً».

(١٢) في الطبعة الأوربية: «تكلف إذ لاح السرى في الودائق».

فلا ذنب لي قد قلتُ إذ نحنُ جيرةٌ^(١) أثيبُ^(٢) بوذٍ قبل أن تشحطَ^(٣) النوى
أثيبُ^(٢) بوذٍ قبل أن تشحطَ^(٣) النوى
فإنني لا سرّاً لديّ أضعتُهُ^(٤)
على^(٥) أن ما ناب العشيّة شاعلاً
فقدّموه [فضربوا] عنقه^(٦).

هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكنانيّ، وكان من جذيمة مع حبيشة بنت حبيش الكنانية أنّه خرج مع أمّه، وهو غلام، نحو المُحتلم لتزور جارة لها، وكان لها ابنة اسمها حبيشة بنت حبيش. فلما رآها عبد الله هويها^(١) ووقعت في نفسه، وأقامت أمّه عند جارتها، وعاد عبد الله إلى أهله. ثم عاد ليأخذ أمّه بعد يومين، فوجد حبيشة قد تزينت لأمرٍ كان في الحيّ، فازداد بها عجباً، وانصرفت أمّه، فمشى معها وهو يقول:

وما أدري، بلى إنني لأدري
حبيشة والذي خلق البرايا
أصوب القطر أحسن أم حبيش
وما إن عندنا^(٢) للصب عيش
فسمعت أمّه فتغافلت عنه. ثم إنه رأى ظيماً على ربوة فقال:
يا أمتاً^(٣) خبريني غير كاذبةٍ وما يريد سؤولُ^(٤) الحقّ بالكذب

(١) في السيرة: «فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً».

(٢) في الطبعة الأوربية «أثني».

(٣) في الأصل «يسخط».

(٤) في الطبعة الأوربية «فإنني لأبه لذي ادعيته».

وفي سيرة ابن هشام:

فإنني لا ضيعت سرّاً أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق

(٥) في السيرة «سوى».

(٦) في الطبعة الأوربية:

على بابات العشيّة شاعلاً ولا ذكر إلا ذكر هيمان وامق

وفي السيرة: «عف الودّ إلا أن يكون الترامق».

وانظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في: الأغاني ٢٨٤/٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢، ونهاية

الأرب ٣٢٠/١٧، وسيرة ابن هشام ٧٦/٤، ٧٧، وعيون التواريخ ٣١٧/١، والطبقات الكبرى

١٤٩/٢، وعيون الأثر ١٨٧/٢، وتاريخ الطبري ٦٩/٣.

(٧) في الأصل «عقة».

(٨) في الطبعة الأوربية «هواها».

(٩) في الأغاني ٢٨٠/٧ «وما عن بعدها».

(١٠) في طبعة صادر ٢٥٨/٢ «أمتنا»، وما أثبتناه عن الأغاني.

(١١) في الأغاني «مسؤل».

أَتَلَكْ أَحْسَنُ أَمْ ظَبْيِي بِرَابِيَةِ لَا بَلْ حُبَيْشَةُ فِي عَيْنِي وَفِي أَرْبِي
فَزَجَرْتَهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ: مَا أَنْتَ وَهَذَا؟ وَأَنَا قَدْ زَوَّجْتُكَ ابْنَةَ عَمِّكَ، فَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ تِلْكَ
النِّسَاءِ. وَأَنْتَ امْرَأَةٌ عُمَيْرٌ فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبْرَ وَقَالَتْ: زَيْنِي ابْنَتَكَ لَهُ، فَفَعَلْتُ وَأَدْخَلْتُهَا عَلَيْهِ،
فَاطْرُق. فَقَالَتْ أُمُّهُ: أَيُّهُمَا الْآنَ أَحْسَنُ؟ فَقَالَ:

إِذَا غُيِّبَتْ عَنِّي حُبَيْشَةُ مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ لَا^(١) أَمْلِكُ عَزَاءً وَلَا صَبْرًا
كَأَنَّ الْحَشَا حَرَّ السَّعِيرِ تَحْسَهُ^(٢) وَقُودَ الْغَضَا وَالْقَلْبُ مُضْطَرَّمٌ جَمْرًا^(٣)

وَجَعَلَ يُرَاسِلُ الْجَارِيَةَ وَتُرَاسِلُهُ، فَعَلِقَتْهُ كَمَا عَلِقَهَا، وَأَكْثَرَ قَوْلَ الشَّعْرِ فِيهَا، فَمِنْ
ذَلِكَ:

حُبَيْشَةُ [هَلْ]^(٤) جَدِّي وَجَدُّكَ جَامِعٌ بِشَمْلِكُمْ شَمْلِي وَأَهْلِكُمْ أَهْلِي
وَهَلْ أَنَا مُلْتَفٌّ بِشَوْبِكَ مَرَّةً بِصَحْرَاءَ بَيْنَ الْأَلْبَتَيْنِ إِلَى النَّخْلِ^(٥)

فَلَمَّا عَلِمَ أَهْلُهَا خَبَرَ هُمَا حَجَبُوهَا عَنْهُ، فَازْدَادَ غَرَامَهُ. فَقَالُوا لَهَا: عِدِيهِ السَّرْحَةَ، فَإِذَا
أَتَاكَ فَقُولِي لَهُ: نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ أَحْبَبْتَنِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْكَ، وَنَحْنُ
قَرِيبٌ نَسْمَعُ مَا تَقُولِينَ، فَوَعَدْتَهُ وَجَلَسُوا قَرِيبًا، فَأَقْبَلَ لِمَوْعِدِ لَهَا. فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا دَمَعَتْ
عَيْنَاهَا وَالتَفَتَتْ إِلَى جَنْبِ أَهْلِهَا [وَهُمْ] جُلُوسٌ، فَعَرَفَ أَنَّهَا قَرِيبٌ، وَبَلَغَهُ الْحَالُ فَقَالَ:

فَإِنْ قَلْبٌ مَا قَالُوا لَقَدْ زِدْتَنِي جَوًى عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِرٌّ وَلَا سِتْرٌ^(٦)
وَلَمْ يَكْ حَيٍّ عَنْ نَوَالٍ بِذَلَّتِهِ فَيُسْلِبُنِي عَنْكَ التَّجَنُّبَ وَالْهَجْرُ^(٧)
وَمَا أُنْسَ مِ لَأَشْيَاءَ لَا أُنْسَ وَمَقْهَا^(٨) وَنَظَرْتُهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرُ

(١) فِي الْأَغَانِي «لَمْ».

(٢) فِي الْأَغَانِي «يَحْسَهُ».

(٣) فِي الطَّبَعَةِ الْأُورِيَّةِ «الْجَمْرَاءَ». وَفِي الْأَغَانِي «وَالْقَلْبُ مُسْتَعْرًا».

(٤) إِضَافَةٌ مِنَ الْأَغَانِي.

(٥) فِي طَبَعَةٍ صَادَرِ ٢٥٩/٢ «الْأَلْبَتَيْنِ إِلَى النَّخْلِ». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَغَانِي ٢٨١/٧.

وَأَلْيَةً: مِائَةٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي سَلِيمٍ. وَفِيهَا أَقْوَالٌ أُخْرَى.

(٦) فِي الْأَغَانِي:

لَوْ قَلْبٌ مَا قَالُوا لَزِدْتُ جَوًى بِكُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِتْرٌ وَلَا صَبْرٌ

(٧) الْبَيْتُ فِي طَبَعَةٍ صَادَرِ:

وَلَمْ يَكْ حَتَّى عَنْ فَوَاكِ بِذَلَّتِهِ فَيُسْلِبُنِي عَنْكَ التَّجَنُّبَ وَالْهَجْرَ

وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنِ الْأَغَانِي.

(٨) فِي الطَّبَعَةِ الْأُورِيَّةِ:

وَمَا أُنْسَ لَكَ شَيْئًا وَلَا أُنْسَ وَمَقْهَا

وَفِي الْأَغَانِي «وَمَعَهَا» بِدَلِّ «وَمَقْهَا».

وبعث النبي ﷺ، إثر ذلك خالد بن الوليد، فكان منه ما تقدّم ذكره^(١).

وفي هذه السنة تزوّج النبي ﷺ، مُلَيْكَةَ ابنة داود اللثيثة، وكان أبوها قُتل يوم فتح مَكَّة، فجاء إليها بعض أزواج النبي ﷺ، فقلن لها: ألا تستحين تزوّجين رجلاً قُتل أباك؟ فاستعازت منه، ففارقها^(٢).

وفيها هدم خالد بن الوليد العُزَى ببطن نخلة لخمس ليالٍ بقين من رمضان، وكان هذا البيت تعظّمه قريش وكنانة ومُضَر كلّها، وكان سدّنتها بنو شيبان بن سُليّم حلفاء بني هاشم، فلمّا سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علّق عليها سيفه وقال:

أَيَا عَزَّ شُدَيَّ شَدَّةً لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَّرِي

فلمّا انتهى خالد إليها جعل السّادنُ يقول: أُعْزَى بعض غضباتك، فخرجت امرأة سوداء حبشيّة عريانة مولولة، فقتلها وكسر الصنم، وهدم البيت، ثمّ رجع إلى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: تلك العُزَى لَا تُعْبَدُ أبداً^(٣).

وفيها هدم عمرو بن العاص سُواع، وكان بُرْهاط لهُذَيْل، فلمّا كسر الصنم أسلم سادنه، ولم يجد في خزانته شيئاً^(٤).

وفيها هدم سعد بن زيد الأشهليّ مَنَاة بالمُشَلَّل^(٥).

ذكر غزوة هوازن بِحُنَيْن^(٦)

وكانت في شَوّال، وسببها أنّه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مَكَّة جمعها مالك بن عوف النّصريّ من بني نصر بن معاوية بن بكر، وكانوا مُشفقين من أن يغزوهم رسول الله ﷺ، بعد فتح مَكَّة، وقالوا: لا مانع له من غزونا، والرأي أن نغزوه

(١) الأغاني ٧/ ٢٨٠ - ٢٨٢.

(٢) الطبري ٣/ ٦٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٧٩/ ٤، تاريخ الطبري ٣/ ٦٥، عيون التواريخ ١/ ٣١٩، ٣٢٠، وكتاب الأصنام لابن الكلبي ٢٦، تاريخ خليفة ٨٨.

(٤) الطبري ٣/ ٦٦ ورُهاط من أرض يَبُوع. (الأصنام ٩).

(٥) الأصنام ١٥، الطبري ٣/ ٦٦، عيون التواريخ ١/ ٣٢١.

(٦) المغازي لعروة ٢١٤، سيرة ابن هشام ٨١/ ٤، المغازي للواقدي ٨٨٥/ ٣، الطبقات الكبرى ١٤٩/ ٢، تاريخ الطبري ٣/ ٧٠، تاريخ خليفة ٨٨، الروض الأنف ٤/ ١٣٨، نهاية الأرب ١٧/ ٣٢٣، عيون الأثر ١٨٧/ ٢، سيرة ابن كثير ٣/ ٦١٠، عيون التواريخ ١/ ٣٢١، تاريخ الإسلام (المغازي)، جوامع السيرة ٢٣٦، الدرر لابن عبد البر ٢٣٧، مرآة الجنان ١/ ١٥٠، البدء والتاريخ ٤/ ٢٣٥، مروج الذهب ٢/ ٢٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٦٢، أنساب الأشراف ١/ ٣٦٤، البداية والنهاية ٤/ ٣٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦١، المعارف ١٦٣، المغازي للزهري ٩٢ - ٩٥.

قبل أن يغزونا. واجتمع إليه ثقيف، يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيّد الأحلاف، وذو الخمار سُبَيْع بن الحارث، وأخوه الأحمر بن الحارث سيّد بني مالك، ولم يحضرها من قيس عيلان إلا نصر، وجُشَم، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، ولم يحضرها كعب، ولا كلاب، وفي جُشَم دُرَيْد بن الصَّمّة، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه، وكان شيخاً مجرباً^(١).

فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى رسول الله، ﷺ، حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم، فلما نزلوا أوطاس^(٢) جمع الناس، وفيهم دُرَيْد بن الصَّمّة، فقال دُرَيْد: بأيّ وادٍ أنتم؟ فقالوا: بأوطاس. قال: نَعَمْ مجال الخيل، لا حَزَنٌ شَرِسٌ^(٣)، ولا سهلٌ دَهِسٌ^(٤)؛ ما لي أسمع رُغاء البعير^(٥)، ونُهاق الحمير، ويُعار الشاء، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك. فقال: يا مالك إنّ هذا يوم له ما بعده، ما حملك على ما صنعت؟ قال: سَقَتُهُم مع الناس، ليقاتل كلّ إنسان عن حريمه وماله. قال دُرَيْد: راعي ضأنٍ والله^(٦)، هل يرّد المنهزم شيء؟ [إنها] إن كانت لك، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فَضِخَتْ في أهلك ومالك. وقال: ما فعلت كعب وِكَلاب؟ قالوا: لم يشهدا أحد منهم. قال: غاب الجدّ والحدّ، لو كان يوم غلاء ورفعة لم تَغِب عنه كعب ولا كلاب، ووددت أنكم فعلتم ما فعلا. ثم قال: يا مالك ارفع من معك إلى عُليا بلادهم، ثم الق الصُّبَاء على الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك. قال مالك: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر علمك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكنن على هذا السيف حتّى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكر. فقال دُرَيْد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

ثم قال مالك: أيّها الناس إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدّوا عليهم شدّة رجل واحد^(٧).

وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر، فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ما

(١) سيرة ابن هشام ٨١/٤، الطبري ٧٠/٣، ٧١، الأغاني ٣٠/١٠.

(٢) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن. (معجم البلدان ٢٨١/١).

(٣) الضريس: الصعب.

(٤) الدّيس: اللين السهل.

(٥) في الأغاني «الإبل».

(٦) أصناف في الأغاني ٣١/١٠ (أي أحمق).

(٧) سيرة ابن هشام ٨٢/٤، الطبري ٧١/٣، ٧٢، الأغاني ٣٠/١٠، ٣١، تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٩/٥، ٢٣٠، نهاية الأرب ٣٢٤/١٧، ٣٢٥، معجم البلدان ٢٨١/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٤.

شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق، فوالله ما تماسكنا أن حلّ بنا ما ترى! فلم ينه ذلك [عن وجهه، أن مضى على ما يريد]^(١).

ولما بلغ رسول الله ﷺ، خبر هوازن أجمع المسير إليهم، وبلغه أن عند صفوان ابن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، وهو يومئذ مشرك: أَعِرْنَا سلاحك نلقى فيه عدونا. فقال له صفوان: أَغَضِباً يا محمد؟ فقال: «بل عارية مضمونة نؤديها إليك». قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح. ثم سار النبي ﷺ، ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه، فكانوا اثني عشر ألفاً، فلما رأى رسول الله ﷺ، كثرة مَنْ معه قال: «لن نُغَلِبَ [اليوم] من قلة»، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾^(٢)؛ وقيل: إنما قالها رجل من بكر^(٣).

واستعمل رسول الله ﷺ، على مَنْ بمكة عتاب بن أسيد.

فقال جابر: فلما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ أجوف^(٤) حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً في غماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنا لنا في شعابه ومضايقه، قد تهيأوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتابب قد شددت علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس أجمعون لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ، ذات اليمين ثم قال: «أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»، قاله ثلاثاً، ثم احتملت الإبل بعضها بعضاً، إلا أنه قد بقي مع النبي ﷺ، نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعه بن الحارث، وأيمن ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد.

قال: وكان رجل من هوازن على جمل أحمر، بيده راية سوداء أمام الناس، فإذا أدرك رجلاً طعنه، ثم رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه، فحمل عليه عليّ فقتله.

ولما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، والأزلام معه. وقال كلدة بن الحنبل، وهو أخو صفوان بن أمية لأمه، وكان صفوان بن أمية يومئذ مشركاً: الآن^(٥) بطل السحر.

(١) السيرة ٨٣/٤، الطبري ٧٢/٣.

(٢) سورة التوبة - الآية ٢٥.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن هشام ٨٤/٤.

(٤) أجوف: متسع.

(٥) في الأصل «الآن».

فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك، فوالله لأن^(١) يرُبني^(٢) رجل من قريش، أحب إلي من أن يرُبني^(٣) رجل من هوازن!

وقال شَيْبَةُ بن عثمان: اليوم أدرك ثأري من مُحَمَّد، وكان أبوه قُتل بأحد، قال: فأدرت به لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك^(٤).

وكان العباس مع النبي ﷺ، أخذاً بحكمة^(٥) بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العباس جسيماً شديد الصوت، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمرة!» ففعل، فأجابوه: لبيك لبيك! فكان الرجل يريد أن يشي بغيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه، ثم ينزل عنه، ويؤم الصوت، فاجتمع على رسول الله ﷺ، مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقتلهم، فلما رأى النبي ﷺ، شدة القتال قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

الآن حمي الوطيس؛ وهو أول من قالها. واقتتل الناس قتالاً شديداً، وقال النبي ﷺ، لبغلته دلدل: «البيدي دلدل»، فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى به في وجوههم، فكانت الهزيمة، فما رجع الناس إلّا والأسارى في الجبال عند رسول الله ﷺ.

وقيل: بل أقبل شيء أسود من السماء مثل البجاد^(٦) حتى سقط بين القوم، فإذا نمل أسود مبثوث، فكانت الهزيمة^(٧).

ولما انهزمت هوازن قُتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً، فأما الأحلاف من ثقيف فلم يُقتل منهم غير رجلين، لأنهم انهزموا سريعاً. وقصد بعضُ المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف، واتبعت خيلُ رسول الله ﷺ، المشركين فقتلتهم، فأدرك ربيعة ابن يربوع السُّلَمي دُرَيْدَ بن الصَّمّة، ولم يعرفه لأنّه كان في شِجَار^(٨) لكبره، وأناخ بغيره،

(١) في الطبعة الأوروبية «لئن».

(٢) في الأصل «يرثني».

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨/٤، تاريخ الطبري ٧٤/٣، ٧٥، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الطبقات الكبرى ١٥١/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «بلجام».

(٥) في الطبعة الأوروبية «البخار» وهو تحريف.

(٦) سيرة ابن هشام ٨٨/٤، ٨٩، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الطبقات الكبرى ١٥١/٢، تاريخ الطبري ٧٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٧) الشجار: مركب مكشوف دون الهودج.

فإذا هو شيخ كبير، فقال له دُرِيد: ماذا تريد؟ قال: قتلك. قال: ومن أنت؟ فانتسب له، ثم ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً. فقال دُرِيد: بش ما سلّحتك أمك، خذ سيفي فاضرب [به]، ثم ارفع [عن العظام واخفض] عن الدماغ فإنّي كذلك كنتُ أقتل الرجال، وإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرِيد بن الصّمة، فربّ يوم قد منعتُ فيه نساءك. [فقتله]. فلمّا أخبر أمّه قالت: والله لقد أعتقَ أمّهات لك ثلاثاً. واستلب أبو طلحة الأنصاريّ يوم حُنين عشرين رجلاً وحده، وقتلهم. فقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»^(١).

وقتل أبو قتادة الأنصاريّ قتيلاً، وأجهضه القتالُ عن أخذ سلبه فأخذه غيره، فلمّا قال رسول الله، ﷺ، ذلك قام أبو قتادة فقال: قتلْتُ قَتِيلًا، وأخذ غيري سلبه. فقال الذي أخذ السلب: هو عندي فارضه مني يا رسول الله. فقال أبو بكر: لا والله، لا تعتمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تقاسمه، فردّ عليه السلب^(٢).

وكان لبعض ثقيف غلامٌ نصرانيّ، فقتل، فبينما رجل من الأنصار يستلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد فرآه أغرل، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر العرب إنّ ثقيفاً لا تختن. فقال له المُغيرة بن شُعبة: لا تقل هذا، إنّما هو غلامٌ نصرانيّ، وأراه قتلى ثقيف مختنئين^(٣).

ومرّ رسول الله، ﷺ، في الطريق بامرأة مقتولة، فقال: «مَنْ قَتَلَهَا؟» قالوا: خالد بن الوليد. فقال لبعض مَنْ معه: «أدركَ خالدًا فقلْ له إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً». والعسيفُ الأجير.

وكان بعض المشركين بأوطاس، فأرسل إليهم رسول الله، ﷺ، أبا عامر الأشعريّ، عمّ أبي موسى، فرمى أبو عامر بسهم، قيل رماه سلّمة بن دُرَيْد بن الصّمة^(٤)، وقتل أبو موسى سلّمة هذا بعمّه أبي عامر، وانهزم المشركون بأوطاس، وظفر المسلمون بالغنائم

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، في كتاب الجهاد، باب ما جاء في السلب في النفل. - ص ٣٠١ رقم ٩٨١، وابن أبي داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يُعطى القاتل، والدارمي في السير (٤٣)..
وانظر الخبر في الأغاني ٣٢/١٠، ٣٣، والمغازي للواقدي ٩١٤/٣، ٩١٥.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس (١١٦/٤) باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه، وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ (١٩٦/٥)، والمسند للإمام أحمد ١٢/٥ و ٢٩٥ و ٣٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن هشام ٩٣/٤، والمغازي للواقدي ٩٠٨/٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٩٣/٤، تاريخ الطبري ٧٨/٣.

(٤) في النسخة (ب) زيادة: «ومات سليم بن دريد بن الصّمة ويعرف بابن سمارة وهي أمّه، قاله الكلبي، وبعض المؤرخين يجعلهما اثنين وهو خطأ».

والسبايا، فساقوا في السبيِّ والشِّماء ابنة الحارث بن عبد العزى، فقالت لهم: إني والله أخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدّقوها حتى أتوا بها النبي، ﷺ. فقالت له: إني أختك. قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عضّة عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك. فعرّفها، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيرها فقال: إن أحببت فعندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعني إلى قومك. قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، ففعل^(١).

وأمر رسول الله، ﷺ، بالسبايا والأموال، فُجِعت إلى الجعرانة، وجعل عليها بُدِيل ابن ورقاء الخزاعي^(٢).

واستشهد من المسلمين بَحْنين: أيمن بن أم أيمن، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى، وغيرهما^(٣).

ذكر حصار الطائف^(٤)

لما قدّم المنهزمون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم، واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه. فسار إليهم النبي، ﷺ، فلما كان ببُحرة الرُّغاء قبل وصوله إلى الطائف قتل بها رجلاً من بني ليث قصاصاً، كان قد قتل رجلاً من هُذَيْل فأمر بقتله، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام، وسار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفاً وعشرين يوماً، ونصب عليهم منجنيقاً أشار به سلمان الفارسي، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتّى [إذا] كان يوم الشدخة، عند جدار الطائف، دخل نفر من المسلمين تحت دبابّة عملوها، ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المُحماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم من الطائف بالنبل، فقتلوا رجالاً. فأمر رسول الله، ﷺ، بقطع أعناب ثقيف، ففُطِعت. ونزل إلى رسول الله نفر من رقيق أهل الطائف

(١) سيرة ابن هشام ١٠١/٤، تاريخ الطبري ٨٠/٣، ٨١.

(٢) سيرة ابن هشام ١٠٢/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١٠١/٤، الطبري ٨١/٣، تاريخ خليفة ٨٩، المغازي للواقدي ٩٢٢/٣.

(٤) المغازي لعروة ٢١٦، سيرة ابن هشام ١١٧/٤، المغازي للواقدي ٩٢٢/٣، تاريخ خليفة ٨٩، الطبقات الكبرى ١٥٨/٢، تاريخ الطبري ٨٢/٣، صحيح البخاري ١٠٢/٥، صحيح مسلم ١٤٠٢/٣، جوامع السيرة ٢٤٢، الدرر في المغازي والسير ٢٤٣، معجم البلدان ١١/٤، ١٢، سيرة ابن كثير ٦٥٢/٣، عيون الأثر ٢٠٠/٢، نهاية الأرب ٣٣٥/١٧، عيون التواريخ ٣٣٣/١، البدء والتاريخ ٢٣٧/٤، أنساب الأشراف ٣٦٦/١، تاريخ يعقوبي ٦٤/٢، المعارف ١٦٤، البداية والنهاية ٣٤٥/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩١.

فأعتقهم، منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كَلْدَة، وإنما قيل له أبو بكرة ببكرة نزل فيها، وغيره. فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد في أن يردهم رسول الله، ﷺ، إلى الرق فقال: لا أفعل، أولئك عتقاء الله.

ثم إنَّ خُوَيْلَةَ بنت حَكِيم السُّلَمِيَّة، وهي امرأة عثمان بن مَطْعُون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِّيَّ بادية بنت غِيلان، أو حُلِّيَّ الفارعة بنت عَقِيل، وكانتا من أكثر النساء حُلِّيًّا. فقال لها رسول الله، ﷺ: «أرأيت إن كان لم يؤذَن لي في ثَقِيف يا خُوَيْلَة؟» فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب. فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديثُ حَدَّثْتَنِيهِ خُوَيْلَة أَنَّكَ قد قَلَّتَهُ؟ قال: «قد قَلَّتَهُ». قال: أفلا أُوذَن بالرحيل يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فأذِن بالرحيل^(١).

وقيل: إن رسول الله، ﷺ، استشار نوفل بن معاوية الدُّثَلِيَّ في المقام عليهم. فقال: يا رسول الله ثعلبٌ في جُحر، إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرَّكَ، فأذِن بالرحيل. فلما رجع النَّاس قال رجل: يا رسول الله ادعُ على ثَقِيف. قال: «اللهم اهدِ ثَقِيفاً وَاتِّ بهم»^(٢). فلما رأت ثَقِيف النَّاس قد رحلوا عنهم، نادى سعيد بن عُبيد الثَّقَفِي: ألا إنَّ الحَيَّ مقيم. فقال عُيَيْنَة بن حصن: أجل والله مَجْدَة كراماً. فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُيَيْنَة، أتمدحهم بالامتناع من رسول الله، ﷺ؟ قال: إني والله ما جئتُ لأقاتل معكم ثَقِيفاً، ولكني أردتُ أن أصيب من ثَقِيف جارية، لعلها تلد لي رجلاً، فإنَّ ثَقِيفاً قوم مناكير^(٣).

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن أبي بكر الصديق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله، ﷺ، والسائب بن الحارث بن عدي، وغيرهم^(٤).

(وهذه بادية بنت غِيلان قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسَل رسول الله أن ينفلك بادية بنت غِيلان فإنَّها هَيِّفاء شَموعُ نجلاء، إن تكلمت تَغَنَّتْ، وإن قامت تَثَنَّتْ، وإن مشت ارتجَّتْ، وإن قعدت تَبَنَّتْ، تُقبل بأربع وتُدبر بثمان، بثغر كالأقحوان، بين رجلَيْها كالقعب المكفأ. فقال النبي، ﷺ: لقد علمتُ

(١) سيرة ابن هشام ١٢٣/٤، تاريخ الطبري ٨٥/٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١٥٩/٢.

(٣) السيرة ١٢٣/٤، تاريخ الطبري ٨٥/٣.

(٤) أنظر أسماء الشهداء في سيرة ابن هشام ١٢٤/٤، وعيون الأثر ٢٠٢/٢، والمغازي للواقدي ٩٣٨/٣.

الصفة، ومنعه من الدخول إلى نسائه^(١).

ذكر قسمة غنائم حنين^(٢)

لما رحل رسول الله ﷺ، من الطائف سار حتى نزل الجعرانة، وأتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام زهير بن صرد من بني سعد بن بكر، وهم الذين أرضعوا رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك، ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شمر الغساني، أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين! ثم قال:

امنن علينا رسول الله في كرم
فإنك المرء نرجوه ونذخر
امنن على نسوة قد عاقها قدر
ممنزق شملها في دهرها غير^(٣)

في أبيات. فخيرهم رسول الله ﷺ، بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فاختاروا أبناءهم ونساءهم، فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا أنا صليت بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم وأسأل فيكم». فلما صلى الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم فلا. وقال عبيدة بن جحش: ما كان لي ولقرظة فلا. وقال عباس بن مرداس: ما كان لي ولسليم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: «وهتموني». فقال رسول الله ﷺ: «من تمسك بحقه من السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول شيء نصيبه»، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم^(٤).

وسأل رسول الله ﷺ، عن مالك بن عوف، فقيل: إنه بالطائف. فقال: «أخبروه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة بعير». فأخبر مالك بذلك، فخرج من الطائف سراً، ولحق برسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله،

(١) ما بين القوسين من نسختي (ب) و(ت).

(٢) سيرة ابن هشام ١٢٧/٤، تاريخ الطبري ٨٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٩.

(٣) البيهقي من جملة أبيات في المغازي للواقدي ٩٥٠/٣، ٩٥١، والروض الأنف ١٦٦/٤، والسيرة الحلبية ٢٥٠/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٦.

(٤) سيرة ابن هشام ١٢٩/٤، تاريخ الطبري ٨٧/٣، المغازي للواقدي ٩٥١/٣، ٩٥٢، الطبقات الكبرى ١٥٣/٢، ١٥٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٧، ٦٠٨.

ﷺ، على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف، فأعطاه أهله وماله ومائة بعير. وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثَمالة، وفَهْم، وسَلَمَة ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضَيَّق عليهم^(١).

ولما فرغ رسول الله، ﷺ، من ردّ سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله اقسّم علينا فيئنا، حتى ألقوه إلى شجرة، فاخْطُف رداؤه، فقال: «ردّوا عليّ ردائي أيّها النَّاس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمَ لقسمتها عليكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً».

ثم رفع وَبَرَةً من سَنام بعير، وقال: ليس لي من فيئكم، ولا هذه الوبرة إلا الخُمس، وهو مردود عليكم. ثم أعطى المؤلّفة قلوبهم، وكانوا من أشرف النَّاس، يتألّفهم على الإسلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحَكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفيّ، والحارث بن هشام، وصفوان بن أميّة، وسُهَيْل بن عمرو، وحُوَيْطِب بن عبد العزى، وعُيَيْنَة بن حِصْن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصريّ، كلّ واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً، منهم: مَخْرَمَة بن نوفل الزُّهريّ، وعُمَيْر بن وهب، وهشام بن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العباس بن مِرْداس أباعر، فسَخَطَها وقال:

كَانَتْ نِهَاباً تَلَا فَيْئُهَا	بَكَرِي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرَعِ ^(٢)
وإِيقَاطِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا	إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْيِي وَنَهْبُ الْعُبَيْ	دِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرٍ ^(٣)	فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُنْعَ
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيَتْهَا	عَدِيدَ قَوَائِمِهَا ^(٤) الْأَرْبَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ	يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ ^(٥) فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا	وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

فأعطاه حتى رضي^(٦).

وقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيت عَيْنَةَ والأقرع، وتركت جُعَيْلَ بن

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٨٨، ٨٩، المغازي للواقدي ٣/٩٥٥.

(٢) الأجرع: المكان السهل.

(٣) في النسخة (ب): «ندرة». وذا تدرا: أي ذا دفع عن قومي.

(٤) في الطبعة الأوربية «قوائمه»..

(٥) في سيرة ابن هشام ٤/١٣٣ «ينوقان شيخي».

(٦) سيرة ابن هشام ٤/١٣٣، تاريخ الطبري ٣/٩٠، ٩١، المغازي للواقدي ٣/٩٤٦، ٩٤٧.

سُرَاقَة . فقال رسول الله ، ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لَجُعِلَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ رَجَالًا ، كُلُّهُمْ مِثْلُ عَيْنَيْهِ ، وَالْأَقْرَعُ ، وَلِكُنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا ، وَوَكَلْتُ جُعِيلًا إِلَى إِسْلَامِهِ»^(١) .

وقيل : إِنَّ ذَا الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيَّ فِي هَذِهِ الْقِسْمَةِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، ﷺ : إِنَّكَ لَمْ تَعْدِلِ الْيَوْمَ . فقال رسول الله ، ﷺ : «وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» فقال عمر بن الخطاب : أَلَا نَقْتُلُهُ؟ فقال : «دَعُوهُ ، سَتَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢) .

وقيل : إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ إِنَّمَا كَانَ فِي مَالٍ بَعَثَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، ﷺ ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ : عُيَيْنَةُ ، وَالْأَقْرَعُ ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ^(٣) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْغَنَائِمِ فِي قَرِيشٍ وَقِبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا ، وَجَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، قَوْمَهُ . فَأَخْبَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : «فَأَيْنَ أَنْتَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ : أَنَا مِنْ قَوْمِي . قَالَ : «فاجمع قومك لي» ، فجمعهم . فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، فَقَالَ : «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَفُقَرَاءُ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَأَعْدَاءُ فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِي؟» قَالُوا : بَلَى وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ . فَقَالَ : «أَلَا تَجِيبُونِي؟» قَالُوا : بِمَاذَا نَجِيبُكَ؟ فَقَالَ : «وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ : أَتَيْنَا مَكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَوَاسَيْنَاكَ ، أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» . قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمَ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَقًّا . وَتَفَرَّقُوا^(٤) .

ثُمَّ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، مِنَ الْجَعْرَانَةِ ، وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَتَرَكَ مَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَفْقَهُ النَّاسَ ، وَحَجَّ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ بِالنَّاسِ ، وَحَجَّ

(١) سيرة ابن هشام ١٣٥/٤ ، تاريخ الطبري ٩١/٣ .

(٢) السيرة ١٣٦/٤ ، الطبري ٩٢/٣ ، والمغازي للواقدي ٩٤٨/٣ ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب من ترك قتال الخوارج للتألف .

(٣) الطبري ٩٢/٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ١٣٧/٤ ، ١٣٨ ، تاريخ الطبري ٩٣/٣ ، ٩٤ ، تاريخ خليفة ٩٢ .

النَّاس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ، وعاد رسول الله، ﷺ، إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة^(١).

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعِيَاذ^(٢) ابْنِي الْجُلَنْدَى من الأزْد بَعْمَان مَصْدَقاً، فأخذ الصدقة من أغنيائهم، وردّها على فقرائهم، وأخذ الجزية من المجوس، وهم كانوا أهل البلد، وكان العرب حولها^(٣).
وقيل سنة سبع.

وفيها تزوّج رسول الله، ﷺ، الكلابيّة، واسمها فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان، فاخترت الدنيا، وقيل: إنّها استعازت منه ففارقها^(٤).

وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن النبي، ﷺ، في ذي الحجة، فدفعه إلى أمّ بُردة بنت المنذر الأنصاريّة [فكانت ترضعه]، وزوّجها البراء بن أوس الأنصاري. وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله، ﷺ، فأرسلت أبا رافع إلى النبي، ﷺ، يبشّره بإبراهيم، فوهب له مملوكاً، وغار نساء النبي، ﷺ، وعظم عليهنّ حين رُزقت مارية منه ولداً^(٥).

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، كعب بن عُمر إلى ذات إطلاح^(٦) من الشام، إلى نفر من قُضاعة يدعوهم إلى الإسلام، ومعه خمسة عشر رجلاً، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه، وكان رئيس قُضاعة رجلاً يقال له سدوس، فقتلوا المسلمين ونجا عمير، فتقدّم إلى المدينة. وفيها بعث أيضاً عُيَيْنَة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من تميم، فأغار عليهم وسبى منهم نساء، وكان على عائشة عتق رقبة من بني إسماعيل، فقال لها رسول الله، ﷺ: «هذا سبي^(٧) بني العنبر يقدم علينا، فنعطيك إنساناً فتعتقينه»^(٨).

(١) سيرة ابن هشام ١٤٠/٤، الطبري ٩٤/٣، عيون التواريخ ٣٣٤/١.

(٢) في الأصل «صعر وعمر»، وفي النسخة (ب): «صقر وعمر».

(٣) الطبري ٩٥/٣.

(٤) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٩٥/٣.

(٥) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٩٥/٣، عيون التواريخ ٣٣٤/١.

(٦) وتقال: ذات أباطح.

(٧) في الأصل «سيد».

(٨) أنساب الأشراف ٣٨٠/١ رقم ٨٠٧، عيون التواريخ ٣٣٤/١، ٣٣٥، المغازي للواقدي ٧٥٢/٢.

ثم دخلت سنة تسع

ذكر إسلام كعب بن زهير^(١)

قيل: خرج كعب بن زهير بن أبي سلمى، وأبو سلمى ربيعة المُرَني، ومعه أخوه بُجَير حتى أتيا أبرق العُزَّاف^(٢)، فقال له بُجَير: اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل، يعني رسول الله، ﷺ، فأسمع منه. فأقام كعب وسار بُجَير إلى رسول الله، ﷺ، فأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عني بُجَيراً رِسَالَةً على أي شيء وبَّ^(٣) غيرك ذلكا
على خلقي لم تُلَفِ أُمّاً وَلَا أَباً عليه ولم تُدرك عليه أخاً لَكَ
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَةٍ فَأَنهَلَكَ المأمورُ منها وَعَلَكَا^(٤)

فلما بلغ رسول الله، ﷺ، قوله غضب وأهدر دمه، فكتب بذلك بُجَير إلى أخيه بعد عود رسول الله، ﷺ، من الطائف وقال: النجاء النجاء، وما أدري أن تتفلت، ثم كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فأسلم، وأقبل إليه، فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله. فأسلم كعب، وجاء حتى أناخ راحلته بباب المسجد، ورسول الله، ﷺ، مع أصحابه، قال كعب: فعرفته بالصفة، فتخطيت الناس إليه فأسلمت وقلت: الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك. قال: «مَنْ أَنْتَ؟» فقلت: كعب بن زهير. قال: «الذي يقول»، ثم التفت إلى أبي بكر فقال: «كيف قال؟» فأنشده أبو بكر الأبيات التي أولها:

(١) سيرة ابن هشام ١٤٣/٤، عيون الأثر ٢٠٨/٢، عيون التواريخ ٣٤١/١، سيرة ابن كثير ٦٩٩/٣، البداية والنهاية ٣٦٨/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥.

(٢) أبرق العُزَّاف: بفتح العين المهملة، وتشديد الزاي. هو ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، مشهور، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة يُجاء من حُومانة الدَّرَاج إليه، ومنه إلى بطن نخل ثم الطرف ثم المدينة. (معجم البلدان ٦٨/١).

(٣) وبَّ: مثل ويخ ووَي.

(٤) الأبيات من قصيدة في أول ديوان كعب بن زهير - ص ٣، وسيرة ابن هشام ١٥٨/٤، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٠/١، والأغاني ٨٦/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥، ٦١٦، مع اختلاف في الألفاظ.

أَلَا أبلغَا عني بُجَيْراً رسالَةً

فقال كعب: ما هكذا قلتُ يا رسول الله، إنما قلت:

سقاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رويَةٍ فَأَنهَلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكَ

فقال رسول الله، ﷺ: «مأمون والله». فتجهَّمَتُهُ^(١) الأنصار وأغلظتْ له، ولأنتَ له قريش وأحبتْ إسلامه، فأنشدَه قصيدته التي أولها:

بأنتَ سعادٌ فقلبي اليومَ مَتَبولٌ مَتِيماً إنَّرها^(٢) لم يُفدَ مَكْبولُ

فلَمَّا انتهَى إلى قوله:

وقال كلُّ خليلٍ^(٣) كنتُ أملُهُ
نُبِّئتُ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ أوعَدَنِي
في فتيةٍ^(٤) من قريشٍ قال قائلهم
زالوا فما زالَ أنكَاسٌ ولا كُشْفُ
لا يَقعُ الطَّعَنُ إلَّا في نُحُورِهِمْ
لا ألْهَيْكَ إِنِّي عَنْهُ^(٥) مَشْغولُ
والعَفْوُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ مَأْمولُ
بيطِنِ مَكَّةَ لما أسْلَمُوا زُولُوا
عندَ اللِّقاءِ ولا يَمِيلُ مَعازيلُ
وما لهم عن حياضِ الموتِ تَهْلِيلُ^(٦)

نظر رسول الله، ﷺ، إلى قريش فأوماً إليهم أن اسمعوا، حتى قال:

يَمشونَ مَشْيَ الجِمالِ الزَّهْرِ يَعصِمُهُمْ ضَرْبُ إِذا عَرَدَ السَّودُ التَّنابيلُ

يُعرِّضُ بالأنصار لغلظتهم التي كانت عليه، فأنكرت قريش قوله وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم، ولم يقبلوا ذلك منه، وعظم على الأنصار هجوه، فشكوه، فقال يمدحهم:

مَنْ سِرَّةُ كَرَمِ الحَيَاةِ فلا يَزَلُ
ألباذِلِينَ نُفُوسَهُمْ وِدْماءُهُمْ
يَتَطَهَّرُونَ كأنَّهُ نَسْكَ لَهُمْ
في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ
يَوْمَ الهِياجِ وسَطوَةِ الجَبَّارِ
بدماءٍ مَنْ قَتَلُوا مِنَ الكُفَّارِ^(٧)

في أبيات. فكساه النبي، ﷺ، بُردَةً كانت عليه، فلَمَّا كان زمن معاوية أرسل إلى

(١) في الطبعة الأوربية «فتجهمت».

(٢) في الطبعة الأوربية «عندها».

(٣) في السيرة ١٦٠/٤ «صديق».

(٤) في السيرة «عنك».

(٥) في السيرة «عصية».

(٦) الأبيات من قصيدة في سيرة ابن هشام ١٤٦/٤، ١٥٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٨ - ٦٢١.

(٧) أنظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في سيرة ابن هشام ١٥٣/٤.

كعب: أن بغنا بُردة رسول الله. فقال: ما كنتُ لأؤثر بشوب رسول الله أحداً. فلما مات كعب اشتراها معاويةً من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن^(١).

وقيل: إنما أمر رسول الله، ﷺ، بقتله وقطع لسانه، لأنه كان تشبَّ بأم هانئ بنت أبي طالب^(٢).

(أبو سُلَمَى: بضم السين والإمالة، والمأمور بالراء، قال بعض العلماء: إنما كره رسول الله، ﷺ، ذلك لأنَّ العرب كانت تقول لكل من يتكلَّم بالشيء من تلقاء نفسه مأموراً بالراء، يريدون أنَّ الذي يقوله تأمره به الجن، وإنَّ كان رسول الله، ﷺ، مأموراً من الله تعالى، ولكنه كرهه لعادتهم، فلما قال: المأمون بالتون، رضي به لأنه مأمون على الوحي.

وبُجَيْر: بالباء الموحدة المضمومة وبالجيم).

ذكر غزوة تبوك^(٣)

لما عاد رسول الله، ﷺ، أقام بالمدينة بعد عودته من الطائف ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر النَّاس بالتجهُّز لغزو الروم، وأعلم النَّاس مقصدهم، لبُعْد الطريق، وشدة الحرِّ، وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورى بغيرها.

وكان سببها أنَّ النَّبيَّ، ﷺ، بلغه أنَّ هِرَقْل ملك الروم، ومَنْ عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهَّز هو والمسلمون وساروا إلى الروم. وكان الحرُّ شديداً، والبلاد مجدبة، والنَّاس في عُسرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحبَّ النَّاس المقام في ثمارهم، فتجهَّزوا على كُره، فكان ذلك الجيش يسمَّى جيش العُسرة. فقال رسول الله، ﷺ، للجدِّ بن قيس، وكان من رؤساء المنافقين: هل لك [في] جلال بني

(١) يعني العباسيين، ومنهم انتقلت إلى مصر، وحين فتح السلطان سليم مصر نقلها إلى قصر طويقو باسطنبول، على ما (كشف الذعرات بوصف الشعرات للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور - ص ١١٢ طبعة تونس، وكتاب: الآثار النبوية للأستاذ أحمد باشا تيمور. (عن كتاب: عيون التواريخ ٣٤٤/١ الحاشية (١)).

(٢) عيون التواريخ ٣٤٤/١.

(٣) سيرة ابن هشام ١٥٥/٤، المغازي لعروة ٢٢٠، المغازي للواقدي ٩٨٩/٣، الدرر لابن عبد البر ٢٥، جوامع السيرة ٢٤٩، عيون الأثر ٢١٥/٢، البدء والتاريخ ٢٣٩/٤، أنساب الأشراف ٣٦٨/١ رقم ٧٦٦، تاريخ اليعقوبي ٦٧/٢، تاريخ الطبري ١٠٠/٣، الطبقات الكبرى ١٦٥/٢، المعارف ١٦٥، تاريخ خليفة ٩٢، نهاية الأرب ٣٥٢/١٧، عيون التواريخ ٣٤٤/١، سيرة ابن كثير ٣/٤، البداية والنهاية ٢/٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٢٧ المغازي للزهري ١١١.

الأصفر^(١)؟ فقال: والله لقد عرف قومي حبي للنساء، وأخشى أن لا أصبر على نساء بني الأصفر، فإن رأيت أن تأذن لي ولا تفتني. فقال رسول الله، ﷺ: قد أذنت لك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾^(٢) الآية؛ وقال قائل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾^(٣).

ثم إن النبي، ﷺ، تجهز وأمر بالنفقة في سبيل الله، وأنفق أهل الغنى، وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل: كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار^(٤).

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا النبي، ﷺ، وهم البكاؤون، وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة، فاستحملوه. فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا يبكون، فلقيهم يامين بن عُمير بن كعب النضري، فسألهم عما يُبكيهم فأعلموه، فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن مَعْفَل المُرَنيّ بعيراً، فكانا يعتقبانه^(٥) مع رسول الله، ﷺ^(٦).

وجاء المعذّرون من الأعراب، فاعتذروا إلى رسول الله، ﷺ، فلم يعذرهم الله، وكان عدّة من المسلمين تخلّفوا من غير شكّ، منهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أبي أمية، وأبو خيثمة^(٧).

فلما سار رسول الله، ﷺ، تخلّف عنه عبد الله بن أبي المنافق، فيمن تبعه من أهل النفاق، واستخلف رسول الله، ﷺ، على المدينة سبّاح بن عُرْفُطَة، وعلى أهله عليّ بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلّا استئفالاً له. فلما سمع عليّ ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله، ﷺ، فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنما خلّفتك لما ورائي، فارجع فاخلّفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

(١) بنو الأصفر: هم الروم.

(٢) سورة التوبة - الآية ٤٩.

(٣) سورة التوبة - الآية ٨١، والخبر في سيرة ابن هشام ١٥٦/٤، وتاريخ الطبري ١٠١/٣، ١٠٢.

(٤) السيرة ١٥٧/٤، الطبري ١٠٢/٣، وأنظر: تاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) ص ٥٢، والمسد للإمام أحمد ٧٥/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٢٨.

(٥) في النسخة (ب): «بعسفانة».

(٦) سيرة ابن هشام ١٥٨/٤، تاريخ الطبري ١٠٢/٣.

(٧) سيرة ابن هشام ١٥٨/٤، المجبر لابن حبيب ٢٨٤، ٢٨٥، الطبري ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٠، ٦٣١.

موسى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. فرجع. فسار رسول الله، ﷺ.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ أَقَامَ أَيَّامًا، فَجَاءَ يَوْمًا إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، وَقَدْ رَشَّتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ مَاءً، وَصَنَعَتْ طَعَامًا، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: يَكُونُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فِي الْحَرِّ وَالرَّيْحِ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي الظِّلِّ الْبَارِدِ، وَالْمَاءُ الْبَارِدُ مَقِيمٌ! مَا هَذَا بِالنَّصْفِ، وَاللَّهُ مَا أَحَلَّ عَرِيشًا مِنْهُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَهَيَّأَ زَادَهُ وَخَرَجَ إِلَى نَاضِحِهِ فَرَكِبَهُ، وَطَلَبَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَأَدْرَكَهُ بَتْبُوكٍ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَاكِبٌ مُقْبِلٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ». فَقَالُوا: هُوَ وَاللَّهُ أَبُو خَيْثَمَةَ. وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ، فَدَعَا لَهُ^(١).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، حِينَ مَرَّ بِالْحَجَرِ، وَهُوَ بِطَرِيقِهِ، وَهُوَ مَنَزَلُ ثُمُودَ^(٢)، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَشْرَبُوا مِنْ هَذَا الْمَاءِ شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّأُوا مِنْهُ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ فَأَلْقَوْهُ وَاعْلَفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجُ اللَّيْلَةُ أَحَدٌ إِلَّا مَعَ صَاحِبٍ لَهُ. فَفَعَلَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ فَأَصَابَهُ جَنُونٌ، وَأَمَّا الَّذِي طَلَبَ بَعِيرَهُ، فَاحْتَمَلَهُ الرِّيحُ إِلَى جَبَلِي طِيٍّ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَنَهَكُمُ أَنْ لَا يَخْرُجَ أَحَدٌ إِلَّا مَعَ صَاحِبٍ لَهُ؟» فَأَمَّا الَّذِي خُنِقَ فَدَعَا لَهُ فَشَفِي، وَأَمَّا الَّذِي حَمَلَتْهُ الرِّيحُ فَأَهْدَتْهُ طِيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَأَصْبَحَ النَّاسُ بِالْحَجَرِ وَلَا مَاءَ مَعَهُمْ، فَشَكُوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، فَدَعَا اللَّهُ فَأَرْسَلَ سَحَابَةً، فَأَمْطَرَتْ حَتَّى رَوَى النَّاسُ^(٣).

وَكَانَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَطَرُ قَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّيْءِ؟ قَالَ: سَحَابَةٌ مَرَّةً^(٤).

وَضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ، وَهُوَ عَقِبِي بِدَرِيٍّ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شَعْبِ كَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَاَنْطَلَقُوا فَاتَوْهُ بِهَا، فَرَجَعَ عُمَارَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَخَبَّرَهُمْ بِمَا قَالَ

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٦٠، ١٦١، الطبري ٣/١٠٤، ١٠٥، المغازي للواقدي ٣/٩٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٣.

(٢) ثمود: هم أصحاب الحجر الذين كذبوا النبي صالحاً عليه السلام. وكانت دارهم تسمى «الحجر»، وهي بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٦٢.

(٤) السيرة ٤/١٦٢.

رسول الله ﷺ، عن النّاقة تعجّباً ممّا رأى. وكان زيد بن لُصَيْت^(١) القَيْنُقَاعِي منافقاً، وهو في رحل عُمارة، قد قال هذه المقالة، فأخبر عُمارة بأنّ زيداً قد قالها، فقام عُمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري! أخرج عني يا عدوّ الله! فزعم بعضُ الناس أنّ زيداً تاب [بعد ذلك] وحسّن إسلامه، وقيل: لم يزل متهماً حتى هلك^(٢).

ووقف بأبي ذرّ جملة فتخلف عليه، فقيل: يا رسول الله تخلف أبو ذرّ. فقال: «ذروه فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم»، فكان يقولها لكلّ من تخلف عنه، فوقف أبو ذرّ على جملة، فلمّا أبطأ عليه أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره وتبع النبيّ ﷺ، ماشياً. فنظر النّاس فقالوا: يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده. فقال رسول الله ﷺ: «كنْ أبا ذرّ». فلمّا تأمله النّاس قالوا: هو أبو ذرّ. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين»^(٣).

فلمّا نفى عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذة^(٤)، أصابه بها أجله، ولم يكن معه إلّا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه ويكفّناه، ثمّ يضعاه على الطريق، فأول ركّب يمرّ بهما يستعينا بهم على دفنه؛ ففعلا ذلك، فاجتاز بهما عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق، فأعلمته امرأة أبي ذرّ بموته. فبكى ابن مسعود وقال: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبْعَث وحدك؛ ثمّ واروه^(٥).

وانتهى رسول الله ﷺ، إلى تبوك، فأتى يوحنا بن رُؤية صاحب أيلة^(٦)، فصالحه على الجزية، وكتب له كتاباً، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثمّ زاد فيها الخلفاء من بني أمية. فلمّا كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة، وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كلّ رجب، وصالح أهل جَرَباء على الجزية، وصالح أهل مَقْنَا^(٧) على ربع ثمارهم.

وأرسل رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة

(١) في الأصل «نصيب»، وفي النسخة (ب): «الصلت». ويقال: لصيب.

(٢) سيرة ابن هشام ١٦٣/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١٦٣/٤، الطبري ١٠٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢، ٦٣٣.

(٤) الرّبذة: بالتحريك. قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٢٤/٣).

(٥) السيرة، الطبري، تاريخ الإسلام.

(٦) أيلة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام... وهي

مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت... (معجم البلدان ٢٩٢/١).

(٧) في الأصل «مما»، وفي النسخة (ت) «سفنا»، والتصويب من فتوح البلدان ٥٩.

الجدل^(١)، وكان نصرانياً من كِنْدَة، فقال لخالد: إِنَّكَ تجده يصيد البقر. فخرج خالد بن الوليد، حتى إذا كان من حصنه على منظر العين، وأكيدر على سطح داره، فبات البقر تحك بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، ثم خرج يطلب البقر، فتلقتهم خيل رسول الله ﷺ، وأخذته وقتلوا أخاه حسناً، وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مَخْوص بالذهب، فأرسله إلى رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه. فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ^(٢) فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا». وقَدِمَ خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية، وخلق سبيله^(٣).

وأقام رسول الله ﷺ، بتبوك بضعة عشرة ليلة، ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم والعرب المنتصرة، فعاد إلى المدينة. وكان في الطريق ماء يخرج من وشل لا يروي إلا الراكب والراكبين، بوادٍ يقال له وادي المُشَقِّق، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَقَنَا فَلَا يَسْتَقِينْ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَهُ»، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلَمَّا جاءه رسول الله ﷺ، أخبروه بفعلهم، فلعنهم ودعا عليهم، ثم نزل رسول الله ﷺ، إليه فوضع يده تحته، [وجعل] يصب إليها يسيراً من الماء، فدعا فيه ونضحه في الوشل، فانخرق الماء جرياً شديداً، فشرب الناس واستقوا. وسار رسول الله ﷺ، حتى قارب المدينة، فأتاه خبر مسجد الضرار، فأرسل مالك بن الدُخْشُم فحرقه وهدمه، وأنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) الآيات. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً، وكان قد أخرج من دار خِذَام بن خالد من بني عمرو بن عوف.

وقدِمَ رسول الله ﷺ، وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين، فأتوه يحلفون له ويعتذرون، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ، ولم يعذرهم الله ورسوله، وتَخَلَّفَ أولئك النفر الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، تخلفوا من غير شك ولا نفاق، فَهَيَّ رسول الله ﷺ، عن كلامهم، فاعتزلهم النَّاسُ، فبقوا كذلك خمسين ليلة، ثم أنزل الله توبتهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا

(١) دُومَةُ الْجَدَل: بضم أوله وفتح. حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كِنانة من كلب. (معجم البلدان ٢/٤٨٧).

(٢) في الطبعة الأوربية «عبادة».

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٦٧، والمغازي للواقدي ٣/١٠٣١، والطبقات الكبرى ٢/١٦٦، تاريخ الطبري ٣/١٠٨ و ١٠٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٥، البدء والتاريخ ٤/٢٤٠، أنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٤) سورة التوبة - الآية ١٠٧.

رَحِبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ الآيات؛ إلى قوله: ﴿صَادِقِينَ﴾^(١)، وكان قدوم رسول الله، ﷺ، [المدينة من تبوك] في رمضان^(٢).

(يامين النَّصْرِيِّ: بالنون، والصاد المعجمة. وعبد الله بن مُغْفَل: بالغين المعجمة، والفاء المشددة المفتوحة. وزيد بن لُصَيْت: باللام المضمومة، والصاد المهملة المفتوحة، وآخره تاء مثناة من فوقها. وخِذَام بن خالد: بالخاء المكسورة، والذال المعجمتين. وأُكْدِر: بالهمزة المضمومة، والكاف المفتوحة، والذال المهملة المكسورة، وآخره راء مهملة).

ذكر قدوم عُروَةَ بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ

وفيها قديم عُروَةَ بن مسعود الثقفي على النبي، ﷺ، مسلماً، وقيل: بل أدركه في الطريق مرجعه من الطائف، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله، ﷺ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ». فقال: أنا أحب إليهم من أبقارهم، ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف صعد إلى عِلْيَةَ له، وأشرف منها عليهم، وأظهر الإسلام ودعاهم إليه، فرموه بالنبل، فأصابه سهم فقتله، ف قيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها إليّ، ليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلُوا مع رسول الله، فادفنوني معهم. فلما مات دفنوه معهم. وقال رسول الله، ﷺ، فيه: «إِنْ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ»^(٣).

ذكر قدوم وفد ثقيف

وفي هذه السنة في رمضان قديم وفد ثقيف على رسول الله، ﷺ.

وسبب ذلك أنهم رأوا أَنَّ مَنْ يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال، وشنّوا الغارات عليهم، وكان أشدهم في ذلك مالك بن عوف النصريّ، فلا يخرج منهم مال إلا نُهَب، ولا إنسان إلا أُخِذ، فلما رأوا عجزهم اجتمعوا، وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عَمِير، والحَكَم بن عمرو بن وهب، وشُرْحَبِيل بن غيلان، وهؤلاء من الأحلاف، وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونُمَيْر بن خَرَشَةَ، فخرجوا حتى

(١) سورة التوبة - الآيات ١١٧ - ١١٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١٧١/٤ - ١٧٩، تاريخ الطبري ١٠٩/٣ - ١١١.

(٣) سيرة ابن هشام ١٨٠/٤، تاريخ الطبري ٩٦/٣، ٩٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٠، مرآة الجنان ١٥٠/١.

قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَهُمْ فِي قَبَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَهُ مَعَ خَالِدٍ، وَكَانُوا لَا يَأْكُلُونَ طَعَامًا حَتَّى يَأْكُلَ خَالِدُ مِنْهُ، حَتَّى أَسْلَمُوا.

وَكَانَ فِيْمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَدَعَ الطَّاعِيَةَ، وَهِيَ اللَّاتُ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَكَانَ قَصْدُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا [بِتَرْكِهَا] مِنْ سَفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَنَزَلُوا إِلَى شَهْرِ فَلَمْ يَجِبْهُمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فَقَالَ: «لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ»، فَأَجَابُوا وَأَسْلَمُوا. وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عِثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ، لَمَّا رَأَى مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَعَهُمُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَأَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، لِيَهْدِمَا الطَّاعِيَةَ، فَتَقَدَّمَ الْمُغِيرَةُ فَهَدِمَهَا، وَقَامَ قَوْمُهُ مِنْ بَنِي شُعَيْبٍ دُونَهُ، خَوْفًا أَنْ يُرْمَى بِهِمْ، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسْرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ حُلْيَهَا وَمَالَهَا^(١).

وَكَانَ أَبُو مَلِيحٍ بْنُ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ، وَقَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ مَسْعُودٍ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا قُتِلَ عُرْوَةُ وَالْأَسْوَدُ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَقْضِيَا مِنْهُ دَيْنَ عُرْوَةَ وَالْأَسْوَدِ ابْنِي مَسْعُودٍ، ففَعَلَا، وَكَانَ الْأَسْوَدُ مَاتَ كَافِرًا، فَسَأَلَ ابْنَهُ قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَقْضِيَ دَيْنَ أَبِيهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَافِرٌ. فَقَالَ: «يَصِلُ مُسْلِمٌ ذَا قَرَابَتِهِ»، يَعْنِي أَنَّهُ أَسْلَمَ فَيَصِلُ أَبَاهُ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا^(٢).

ذِكْرُ غَزْوَةِ طِيٍّ وَإِسْلَامِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي سَرِيَّةٍ [إِلَى دِيَارِ] طِيٍّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَهْدِمَ صَنَمَهُمُ الْقَلْسَ^(٣)، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ، فَغَنِمَ وَسَبَى وَكَسَرَ الصَّنَمَ، وَكَانَ مُتَقَلِّدًا سَيْفَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مَخْذَمٌ، وَلِلْآخَرِ رُسُوبٌ، فَأَخَذَهُمَا عَلِيٌّ وَحَمَلَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرٍ أَهْدَى السَّيْفَيْنِ لِلصَّنَمِ، فَعُلَّقَا عَلَيْهِ، وَأَسْرَ بِنْتًا لِحَاتِمِ الطَّائِي، وَحُمِلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالْمَدِينَةِ فَأُطْلِقَهَا^(٤).

وَأَمَّا إِسْلَامُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فَقَالَ عَدِيٌّ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذُوا أُخْتِي وَنَاسًا فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُخْتِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَاغِدُ،

(١) سيرة ابن هشام ١٨٢/٤، ١٨٣، تاريخ الطبري ٩٦/٣ - ١٠٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١٨٥/٤، الطبري ١٠٠/٣، عيون التواريخ ٣٦٤/١.

(٣) في الطبعة الأوربية «القليس». وأنظر عنه: الأصنام لابن الكلبي ١٥.

(٤) تاريخ الطبري ١١١/٣، ١١٢.

فامَنْ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ. فقال: «وَمَنْ وَافِدُكَ؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الذي فر من الله ورسوله!» فَمَنْ عَلَيْهَا، وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب، قال: «سليبه حُمْلَانًا. فسألته، فأمر لها به وكساها، وأعطاهما نفقة. قال عدي: وكنتُ ملك طيء أخذ منهم المِزْبَاعَ وأنا نصراني، فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ، هربتُ إلى الشام من الإسلام، وقلت أكون عند أهل ديني، فبينما أنا بالشام إذ جاءت أختي، وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً، فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عزٍّ وأنت أنت. قال: فقدمتُ على رسول الله ﷺ، فسلمتُ عليه وعرفتُهُ نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت: ما هذا بملك، ثم دخلتُ بيته، فأجلسني على وسادة، وجلس على الأرض، فقلتُ في نفسي: ما هذا ملك. فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المِزْبَاعَ، وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، والله لتسمعنَ بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها، حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، والله لتسمعنَ بالقصور البيض من بابل وقد فتحت. قال: فأسلمتُ، فقد رأيتُ القصور البيض وقد فتحت، ورأيتُ المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، والله لتكوننَ الثالثة^(١) ليفيضنَ المال، حتى لا يقبله أحد^(٢).

ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

لما افتتح رسول الله ﷺ، مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً، إذ كانوا أمام الناس وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ، وخلافه، فلما فتحت مكة وأسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ، ولا عداوته، فدخلوا في الذين أفواجاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٣).

(١) في الطبعة الأوربية «الثلاثة».

(٢) سيرة ابن هشام ٢٢٢/٤، ٢٢٣، تاريخ الطبري ١١٢/٣ - ١١٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٩١/١ وما بعدها، تاريخ خليفة ٩٣، تاريخ اليعقوبي ٧٩/٢، سيرة ابن هشام ٢٠٣/٤.

تاريخ الطبري ١١٥/٣، عيون الأثر ٢٣٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٥.

(٤) سورة النصر بكاملها، والخبر في سيرة ابن هشام ٢٠٣/٤، ونهاية الأرب ١/١٨، وعيون التواريخ ٣٦٤/١.

وقدِمَت وفودهم في هذه السنة، قدِم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ، وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا [رسولاً]، فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١)؛ الآية.

وفيها قدِم وفد بلّي في شهر ربيع الأول^(٢).

وفيها قدِم وفد الدارين^(٣)، وهم عشرة نفر.

وفيها قدِم على رسول الله ﷺ، وفد بني تميم مع حاجب بن زُرارة بن عُدَس، وفيهم الأقرع بن حابس، والزُّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم، والختات^(٤)، ومعتمر بن زيد، في وفد عظيم، ومعهم عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري، فلَمَّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ، [من وراء حُجراته] أن اخرج إلينا يا مُحَمَّد، فأذِن ذلك رسول الله ﷺ، وخرج إليهم، فقالوا: جئنا نفاخرك، فأذِن لشاعرنا وخطيبنا، فأذِن لهم، فقام عطارِد فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثرهم عدداً، فمن يفاخرنا فليعدّد مثل عددنا.

فقال رسول الله ﷺ؛ لثابت بن قيس: «أجب الرجل». فقام ثابت فقال:

«الحمد لله الذي له السماوات والأرض خلَقَهُ، قضى فيهنَّ أمره، ووسَّع كُرْسِيَّه علمه، ولم يكن شيء قطّ إلّا من فضله، ثمَّ كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطَفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه، واثمَّنَه على خلقه، فكان خيرةَ الله تعالى من العالمين، ثمَّ دعا النَّاس إلى الإيمان، فأمن به المهاجرون من قومه وذوي رَحِمه، أكرم النَّاس نسباً، وأحسن النَّاس وجوهاً، وخير النَّاس فعلاً. ثمَّ كان أوَّل الخلق استجابةً لله حين دعاه نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل النَّاس حتَّى يُؤْمِنُوا، فَمَنْ آمَن بالله ورسوله منع ماله ودمه، وَمَنْ كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، والسلام عليكم».

فقالوا: يا رسول الله ائذن لشاعرنا، فأذِن له، فقام الزُّبرقان بن بدر فقال:

(١) سورة الحجرات - الآية ١٧، والخبر في الطبقات الكبرى ٢٩٢/١.

(٢) عيون الأثر ٢٢٢/٢.

(٣) في طبعة صادر ٢٨٧/٢ «الزارين» والتصويب من عيون التواريخ ٣٦٥/١.

(٤) في السيرة لابن هشام ٢٠٤/٤ وتاريخ الطبري ١١٥/٣ «الختات». والذي أثبتناه هو ما نص عليه المؤلف كما سيأتي.

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حِيَّ يُعَادِلُنَا
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمُنَا
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ
فَنَنْحِرُ الْكُومَ غَبْطاً^(١) فِي أَرْوَمَتِنَا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلَنْ يَأْبَى^(٢) لَنَا أَحَدٌ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ يَعْرِفْنَا

مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ
عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعَرَبِ^(٣) يُتَّبَعُ
مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُوْنَسَ الْقَرْعُ^(٤)
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا^(٥) ثُمَّ نَضْطَنُ
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا انْزَلُوا شَبَعُوا
إِلَّا اسْتَقَادُوا وَكَادَ^(٦) الرَّأْسُ يَقْطَعُ
إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فِيرْجِعُ الْقَوْلُ^(٧) وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ

قال: وكان حسان بن ثابت غائباً، فدعاه رسول الله، ﷺ، ليجيب شاعرهم. قال حسان: فلما سمعتُ قوله قلت على نحوه:

إِنَّ الذَّوَاتِبَ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتَهُمْ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ
يَرْضَى بِهَا كُلٌّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ
أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ^(٨) عَفْتُهُمْ
لَا يَخْلُونَ^(٩) عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ

قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
تَقْوَى الْإِلَهِ، وَكُلُّ الْبِرِّ^(١٠) يُضْطَنُ
إِنَّ الْخَلَائِقَ، فاعْلَمْ، شَرُّهَا الْبِدْعُ
فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مُجْدٍ بِالْنَدَى مَتَعُوا
لَا يَطْبَعُونَ^(١١) وَلَا يُزْرِي بِهِمْ^(١٢) طَمَعُ
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(١٣)

(١) في السيرة، وتاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام «العز».

(٢) القزع: السحاب الرقيق، يريد إذا أخلفهم المطر فأجذبت أرضهم. وفي الطبعة الأوربية «القرع».

(٣) هويًا: سراعاً.

(٤) في الطبعة الأوربية «غبطاً».

(٥) في الطبعة الأوربية «وكان».

(٦) في الطبعة الأوربية «ولم ياب».

(٧) في السيرة «فيرجع القوم».

(٨) في السيرة والطبري «الخير».

(٩) في الطبعة الأوربية «الحي».

(١٠) في الطبعة الأوربية «لا يطعمون». ولا يطبعون، لا يدنسون.

(١١) في السيرة «يرديهم».

(١٢) في الطبعة الأوربية «لا ينحلون».

(١٣) في السيرة «طمع».

إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(١)
أُسْدٌ بَحْلِيَّةٌ فِي أَرْسَائِهَا فِدْعُ
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٢)

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمُوتَى لَهُ، خطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا؛ ثُمَّ أَسْلَمُوا وَأَجَازَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الْآيَاتِ^(٣).
(الختات: بالخاء المعجمة، وتأتين كل واحدة منهما مثناة من تحت، ونون).

وفيها قديم على رسول الله ﷺ، كُتِبَ ملوك جَمِيرٍ مَقْرَرِينَ بالإسلام، مع رسولهم الحارث بن عبد كلال، والنعمان قَيْلَ ذِي رُعَيْن، وهمدان، فأرسل إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ مالك بن مَرَّة الرهاوي بإسلامهم، وكتب إليهم رسول الله ﷺ، يأمرهم بما عليهم في الإسلام وينهاهم عما حَرَّمَ عليهم^(٤).

وفيها قديم وفد بهراء على رسول الله ﷺ، فنزلوا على المقداد بن عمرو^(٥).
وفيها قديم وفد بني البكاء^(٦).
وفيها قديم وفد بني فزارة، فيهم خارجة بن حِصْن^(٧).
وفيها قديم وفد ثعلبة بن مُنْقَذ.

وفيها قديم وفد سعد بن بكر، وكان وافدهم ضِمَام بن ثعلبة، فسأل رسول الله ﷺ، عن شرائع الإسلام وأسلم، فلما رجع إلى قومه قال رسول الله ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»؛ فلما قديم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى! فقالوا: اتقى البرص والجذام والجنون. فقال: ويحكم إنهما لا يضران ولا

(١) الذرع: ولد البقرة الوحشية.

(٢) شمعو: هزلوا، وأصل الشمع اللهب والطرب. والأبيات في سيرة ابن هشام ٢٠٧/٤ و٢٠٨، وتاريخ الطبري ١١٦/٣ - ١١٩، وأنظر ديوان حسان ٢٤٨ باختلاف في الألفاظ وترتيب الأبيات، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٦، ٦٧٧.

(٣) سورة الحجرات - الآية ٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢٣١/٤، ٢٣٢، تاريخ الطبري ١٢٠/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٠.

(٥) تاريخ الطبري ١٢٢/٣، عيون الأثر ٢٥١/٢.

(٦) الطبري ١٢٢/٣.

(٧) الطبري ١٢٢/٣.

ينفعان، وإنَّ الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً، وقد استنقذكم به ممَّا كنتم فيه؛ وأظهر إسلامه، فما أمسى ذلك اليوم في حضرته رجل مشرك ولا امرأة مشركة، فما سُمع بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمَام بن ثعلبة^(١).

ذكر حجّ أبي بكر، رضي الله عنه

وفيهما حجّ أبو بكر بالناس، ومعه عشرون بدنةً لرسول الله، ﷺ، ولنفسه خمس بدنات، وكان في ثلاثمائة رجل، فلَمَّا كان بذِي الحُلَيْفَةِ أرسل رسول الله، ﷺ، في أثره علياً وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فعاد أبو بكر وقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني، ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض»؟ قال: بلى، فسار أبو بكر أميراً على الموسم، فأقام الناس الحجّ، وحجّت العربُ الكُفَّارُ على عاداتهم في الجاهلية، وعليّ يؤذّن ببراءة، فنادى يوم الأضحى: لا يحجّن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عُريان، ومَن كان بينه وبين رسول الله، ﷺ، عهد فأجله إلى مدّته. ورجع المشركون، فلام بعضهم بعضاً وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا^(٢).

وفي هذه السنة فُرِضَت الصدقات، وفرّق رسول الله، ﷺ، فيها عُماله^(٣).

وفيهما في شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبي، ﷺ، وهي زوج عثمان بن عفان، وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفيّة بنت عبد المطلب، وقيل: غسلتها نسوة من الأنصار، منهن أم عطية، وصلى عليها رسول الله، ﷺ، ونزل في حفرتها أبو طلحة^(٤).

وفيهما مات عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكان ابتداء مرضه في شوال، فلَمَّا توفي جاء ابنه عبد الله إلى النبي، ﷺ، فسأله قميصه، فأعطاه، فكفّنه فيه، وجاء رسول الله، ﷺ، ليصلي عليه، فقام عمر في صدره وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا؟ يعدّد أيامه، ورسول الله، ﷺ، يتبسّم ثم قال: «أخر عني عمر، قد خيّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ

(١) سيرة ابن هشام ٢١٧/٤، تاريخ الطبري ١٢٤/٣، ١٢٥، الطبقات الكبرى ٢٩٩/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٠ - ٦٨٢.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ١٠٩/١٤، وتاريخ الطبري ١٢٢/٣، ١٢٣، وانظر سيرة ابن هشام ١٨٩/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٤، ٦٦٥ وعيون التواريخ ٣٧٠/١.

(٣) تاريخ الطبري ١٢٣/٣.

(٤) تاريخ خليفة ٩٣، الطبقات الكبرى ٣٧/٨ - ٣٩، تاريخ الطبري ١٢٤/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦١.

مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ^(١)؛ ولو علمتُ أن لو زِدْتُ على السَّبعينَ غفرَ لهم لَزِدْتُ، ثمَّ صَلَّيْ عليه، وقام على قبره حتى فرعَ مَنه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٢) الآية^(٣).

وفيها نعى النبي، ﷺ، النجاشي للمسلمين، وكان موته في رجب سنة تسع وصلَّى عليه رسول الله، ﷺ^(٤).

[الْوَفَيَاتُ]

وفيها تُوفِّي أبو عامر الراهب عند النجاشي^(٥).

(١) سورة التوبة - الآية ٨٠.

(٢) سورة التوبة - الآية ٨٤.

(٣) وانظر: المغازي للواقدي ١٠٥٧/٣، وتاريخ الطبري ١٢٠/٣، وسيرة ابن كثير ٦٥/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٠، وعيون التواريخ ٣٧٣/١.

(٤) تاريخ خليفة ٩٣، عيون التواريخ ٣٧٣/١.

(٥) تاريخ الطبري ١٤٠/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠٠.

ذكر الأحداث في سنة عشر

ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد^(١)

وفيها أرسل رسول الله، ﷺ، خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم. فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأجابوا وأسلموا، فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله، ﷺ، يُعلمه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم، فيهم قيس بن الحُصَيْن بن يزيد بن قينان^(٢) ذي الغُصّة^(٣) ويزيد بن عبد المَدَّان وغيرهما، فقدموا على رسول الله، ﷺ، ثم عادوا عنه في بقية شَوال أو في ذي الحِجَّة، وأرسل إليهم عمرو بن حَزَم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم، وكتب معه كتاباً، وتوفي رسول الله، ﷺ، وعمرو بن حزم على نجران.

وأما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله، ﷺ، وأرادوا مباهلتة، فخرج رسول الله، ﷺ، ومعه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يبأهلوه، وصالحوه على ألفي حلة، ثمن كل حلة أربعون درهماً، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله، ﷺ، وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يُفْتَنُوا^(٤) عن دينهم ولا يُعْشَرُوا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الرِّبَا ولا يتعاملوا به. فلما استخلف أبو بكر عاملهم [بذلك]، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز، وأجلى أهل نجران، فخرج بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى نجرانية الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم.

(١) سيرة ابن هشام ٢٣٥/٤، تاريخ الطبري ١٢٦/٣، الطبقات الكبرى ١٦٩/٢، تاريخ خليفة ٩٤، نهاية

الأرب ١٢١/١٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري «قنان».

(٣) سُمِّيَ بذلك لِقُصَّة كانت في حلقه. أنظر عنه في أسد الغابة ٤١٨/٤.

(٤) في الأصل «يقتلوا»، وفي النسخة (ب): «يفشوا».

وقيل: إنهم كانوا قد كثروا، فبلغوا أربعين ألفاً، فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر بن الخطّاب وقالوا: أجّلنا، وكان عمر بن الخطّاب قد خافهم على المسلمين، فاغتنمها فأجلاهم، فندموا بعد ذلك، ثمّ استقالوه فأبى، فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان. فلمّا ولي عليّ أتوه وقالوا: ننشدك الله خطك بيمينك. فقال: إنّ عمر كان رشيد الأمر، وأنا أكره خلفه، وكان عثمان قد أسقط عنهما مائتي حلة، وكان صاحب النجرائية بالكوفة يبعث إلى من بالشام والنواحي من أهل نجران يوجبونهم الحل^(١).

فلمّا ولي معاوية ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرّقهم وموتَ مَنْ مات منهم، وإسلام مَنْ أسلم منهم، وكانوا قد قلّوا، وأروه كتاب عثمان، فوضع عنهم مائتي حلة تكملة أربعمائة حلة. فلمّا ولي الحجاج العراق وخرج عليه عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث اتّهم الدهاقين بمولاته، واتّهمهم معهم، فردّهم إلى ألف وثلاثمائة حلة، وأخذهم بحلّ وشيء. فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصهم، وإلحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج، فأمر بهم فأحصوا، ووُجدوا على العُشر من عدّتهم الأولى، فقال: أرى هذا الصلح جزيّة، وليس على أرضهم شيء، وجزية المسلم والميت ساقطة، فالزمهم مائتي حلة. فلمّا تولّى يوسف بن عمر الثقفي^(٢) ردّهم إلى أمرهم الأوّل عصيّة للحجاج. فلمّا استخلف السّفاح عمدوا إلى طريقه يوم ظهوره من الكوفة، فألقوا فيها الريحان ونثروا عليه، فأعجبه ذلك من فعلهم، ثمّ رفعوا إليه أمرهم، وتقربوا إليه بأخواله بني الحارث بن كعب، فكلّمه فيهم عبد الله بن الحارث، فردّهم إلى مائتي حلة. فلمّا ولي الرشيد شكوا إليه العمّال، فأمر أن يُعفوا من العمّال، وأن يكون مؤدّاهم بيت المال^(٣).

وفيها قدّم وفد سلامان في شوال، وهم سبعة نفر، رأسهم حبيب السّلاماني^(٤). وفيها قدّم وفد غسان^(٥) في رمضان، ووفد غامد^(٦) في شهر رمضان أيضاً.

(١) أنظر الطبقات الكبرى ٣٥٧/١، ٣٥٨، ونهاية الأرب ١٨/١٣٦، ١٣٨، وفتوح البلدان ١/٧٧، ٧٨، والخراج لقدامة ٢٧٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «تعاقب».

(٣) الخبر في فتوح البلدان ٨٠/١، ٨١، والخراج لقدامة ٢٧٣، ٢٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٣٠، الطبقات الكبرى ١/٣٣٢، نهاية الأرب ١٨/٩٢.

(٥) في طبعة صادر ٢/٢٩٥، «غُشّان». والتصويب من الطبقات الكبرى ١/٣٣٨، وتاريخ الطبري ٣/١٣٠، وعيون الأثر ٢/٢٥٦، ونهاية الأرب ١٨/٩٨.

(٦) في طبعة صادر ٢/٢٩٥ «عامر»، والتصويب من: الطبقات الكبرى ١/٣٤٥، وتاريخ الطبري ٣/١٣٠، ونهاية الأرب ١٨/١٠٨، وعيون الأثر ٢/٢٥٧، ٢٥٨.

وفيها قدم وفد الأزد، رأسهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً، فأسلم، وأمره رسول الله، ﷺ، على مَنْ أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد المشركين، فسار إلى مدينة جُرَش، وفيها قبائل من اليمن فيهم خُثْعَم، فحاصروهم قريباً من شهر، فامتنعوا منه، فرجع حتى كان بجبل يقال له كَشَر، فظن أهل جُرَش أنه منهزم، فخرجوا في طلبه فأدركوه، فعطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله، ﷺ، ينظران حاله. فبينما هما عنده إذ قال: بأيّ بلاد الله شكر؟ فقالا: ببلادنا جبل يقال له كَشَر. فقال: إنه ليس بكَشَر ولكنه شكر، وإن بُدن الله لتُشكر عنده الآن. فقال لهما أبو بكر أو عثمان: ويحكمما إنه ينعي لكما قومكما، فأسألاه أن يدعو الله يرفع عنهم، ففعلا، فقال: «اللهم ارفع عنهم»، فخرجنا من عنده إلى قومهما، فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها النبي، ﷺ، حالهم، وخرج وفد جُرَش إلى رسول الله، ﷺ، فأسلموا^(١).

وفيها قدم وفد مُراد، مع قُرُوة بن مُسيك المُراديّ على رسول الله، ﷺ، مفارقاً لملوك كِنْدَة، وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهمدان وقعة ظفرت [فيها] همدان، وأكثروا القتل في مُراد، وكان يقال لذلك اليوم يوم الرُّزْم^(٢)، وكان رئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق، وفي ذلك يقول قُرُوة:

فإن نغلب فغلابون قدماً	وإن نهزم فغير مهزمين ^(٣)
وما إن طبنا جبن ولكن ^(٤)	منايانا ودولة ^(٥) آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال	تكر ضرؤفه جينا وجينا
فينا ما يسر به ويرضى	ولو لبست غضارته سينا
إذ انقلب به كرات دهر	فألقي للأولى غبطا طحينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم	يجد ريب الزمان له ^(٦) خوونا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا	ولو بقي الكرام إذا بقينا

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٩، ٢٣٠ الطبقات الكبرى ١/٣٣٧، ٣٣٨، تاريخ الطبري ٣/١٣٠، ١٣١، نهاية الأرب ١٨٠/٩٦، ٩٧، عيون الأثر ٢/٢٤٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «الرزم»، والرزم: موضع في بلاد مُراد.

(٣) في سيرة ابن هشام: «وإن نغلب فغير مغلبينا».

(٤) في تاريخ الطبري: «وإن نُقتل فلا جبن ولكن».

(٥) في السير، والطبري «وطعمة».

(٦) في الطبعة الأوربية «لهم».

فأفنى ذاكُم^(١) سَرَوَاتِ قَوْمٍ^(٢) كما أفنى القُرُونِ الأوَّلِينَ^(٣)

ولما توجّه فروة إلى رسول الله، ﷺ، مفارقاً لقومه قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا
يَمُمْتُ رَاحِلَتِي أَوْمَ مُحَمَّداً أَرْجُو فَضَائِلَهَا^(٤) وَحُسْنَ ثَرَائِهَا^(٥)

فلَمَّا انْتَهَى إلى رسول الله، ﷺ، قال له: «يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّزْمِ؟» فقال: يا رسول الله مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤهُ ذلك؟ فقال رسول الله، ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِيدُ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْراً»^(٦)، فاستعمله رسول الله، ﷺ، على مُرَادٍ وَزُبَيْدٍ وَمَذْجِ كُلِّهَا، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص، فكان على الصدقات إلى أن توفي رسول الله، ﷺ،^(٧).

وفيها أرسل فَرَوَةَ بن عمرو الجُذَامِيَّ ثَمَّ الثُّفَايِيَّ رسولاً إلى رسول الله، ﷺ، بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله مُعَانٍ فِي أَرْضِ الشَّامِ، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومَ إِسْلَامَهُ، طلبوه حتى أسروه فحبسوه، فقال في محبسه ذلك:

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مُوَهَّناً فَشَجَانِي^(٨) وَالرَّوْمُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرْبَانِ^(٩)
صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى وَهَمَمْتُ أَنْ أَغْفِي وَقَدْ أَبْكَانِي
لَا تَكْهِلُنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِثْمَداً سَلَمَى وَلَا تَذْنِنَ لِلْإِنْسَانِ^(١٠)

فلَمَّا اجْتَمَعَتِ الرُّومُ لصلبه على ماء لهم يقال له عِفْرَى بفلسطين قال:

(١) في السيرة «ذلكم»، وكذلك في الطبعة الأوربية.

(٢) في السيرة والطبري «قومي».

(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام ٢٢٤/٤، ٢٢٥ وتاريخ الطبري ١٣٥/٣.

(٤) في السيرة والطبري «فواضلها».

(٥) البيتان في السيرة ٢٢٥/٤، وتاريخ الطبري ١٣٥/٣، ونهاية الأرب ٨٥/١٨، وعيون الأثر ٢٤٠/٢،

وعيون التواريخ ٣٨٣/١.

(٦) في الطبعة الأوربية «خرافاً».

(٧) الطبقات الكبرى ٣٢٧/١، سيرة ابن هشام ٢٢٥/٤، تاريخ الطبري ١٣٥/٣، ١٣٦، نهاية الأرب

٨٤/١٨، ٨٥، عيون الأثر ٢٣٩/٢، ٢٤٠.

(٨) في سيرة ابن هشام ٢٣٤/٤، «موهناً أصحابي».

(٩) في النسخة (ت): «العرفان»، وفي السيرة «والقروان».

(١٠) في السيرة «ولا تدين للإتيان».

أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمَى بِأَنَّ خَلِيلَهَا^(١) عَلَى مَاءِ عِفْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَاجِلِ
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَلْقَحْ^(٢) الْفَحْلُ^(٣) أُمَهَا
وهذا من أبيات المعاني . فلَمَّا قدموه ليصلبوه قال :

بَلَّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ^(٤) بِأَنَّنِي سَلَّمُ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمِقَامِي
ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ^(٥) .

وفيها قَدِيمٌ وفدٌ زُبَيْدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مع عمرو بن معدي كَرَبٍ ، وكان رسول الله ﷺ ، قد استعمل عَلَى زُبَيْدٍ وَمُرَادَ فَرْوَةَ بنِ مُسَيِّكٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَبْلَ قُدُومِ عَمْرُو ، فَلَمَّا عَادَ عَمْرُو مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَقَامَ فِي قَوْمِهِ بَنِي زُبَيْدٍ وَعَلَيْهِمْ فَرْوَةُ ، فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ارْتَدَّتْ عَمْرُو^(٦) .

وفيها قَدِيمٌ وفدٌ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وفيهم الجارود بن عمرو ، وكان نصرانياً فأسلم وأسلم من معه ، وكان الجارود حسن الإسلام ، نَهَى قَوْمَهُ عَنِ الرَّدَّةِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، لَمَّا ارْتَدَّوْا مَعَ الْغُرُورِ ، وَهُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ النُّعْمَانِ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ قَبْلَ الْفَتْحِ إِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ سَاوِي الْعَبْدِ ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَبْلَ رَدَّةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَالْعَلَاءُ أَمِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْبَحْرَيْنِ^(٧) .

وفيها قَدِيمٌ وفدٌ بَنِي حَنِيفَةَ وفيهم مُسَيْلِمَةُ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَاجْتَمَعَ مَسَيْلِمَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْيَمَامَةِ وَتَنَبَّأَ وَتَكَذَّبَ [لَهُمْ] ، وَادَّعَى أَنَّهُ شَرِيكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّبُوَّةِ ، فَاتَّبَعَهُ بَنُو حَنِيفَةَ^(٨) .

(١) فِي السِّيَرَةِ «حَلِيلَهَا» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، وَالسِّيَرَةِ «يَضْرِبُ» .

(٣) فِي الطَّبَقَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «الْفَلَحُ» .

(٤) فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى ٣٥٥/١ «الْمُؤْمِنِينَ» .

(٥) الْخَيْرُ فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢٣٤/٤ ، ٢٣٥ ، وَالطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ٣٥٤/١ ، ٣٥٥ ، وَعِيُونَ الْأَثَرِ ٢٤٤/٢ ، وَتَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ ٧٩/٢ .

(٦) سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢٢٦/٤ ، ٢٢٧ ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ٣٢٨/١ ، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٣٢/٣ - ١٣٤ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٨٥/١٨ ، ٨٦ ، عِيُونَ الْأَثَرِ ٢٤٠/٢ ، ٢٤١ ، عِيُونَ التَّوَارِيخِ ٣٨٣/١ .

(٧) سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢١٣/٤ ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ٣١٤/١ ، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٣٦/٣ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٦٥/١٨ ، عِيُونَ الْأَثَرِ ٢٣٤/٢ ، عِيُونَ التَّوَارِيخِ ٣٧٧/١ .

(٨) سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢١٨/٤ ، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٣٧/٣ ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ٣١٦/١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧٢/١٨ ، ٧٣ ، عِيُونَ الْأَثَرِ ٢٣٥/٢ ، عِيُونَ التَّوَارِيخِ ٣٧٨/١ .

وفيها قديم وفد كِنْدَةَ مع الأشعث بن قيس، وكانوا سَتَيْن رَاكِبًا، فقال الأشعث: نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار. فقال النبي، ﷺ: نحن بنو النضر بن كِنَانَةَ لَا نَقْفُوا أَمْنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا^(١).

وفيها قديم وفد محارب^(٢).

وفيها قديم وفد الرهاويين، وهم بطن من مَذْحِج^(٣).

(وَرَهَاء: بفتح الراء، قاله عبد الغني بن سعيد)^(٤).

وفيها قديم وفد عَبَس^(٥).

وفيها قديم وفد صَدِيف، وافوا رسول الله، ﷺ، في حَجَّةِ الْوَدَاع^(٦).

وفيها قديم وفد خَوْلَان، وكانوا عشرة^(٧).

وفيها قديم وفد بني عامر بن صَعْصَعَةَ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل، وأربد بن قيس، وجَبَّار^(٨) بن سُلْمَى، بضَمِّ السين وبالإمالة، بن مالك بن جعفر، وكان عامر يريد الغدر برسول الله، ﷺ، فقال له قومه: إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِم. فقال: لَا أَتَّبِعُ عَقْبَ هَذَا الْفَتَى، ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَد: إِذَا قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَإِنِّي شَاغِلُهُ عَنْكَ، فَأَعْلُهُ بِالسَّيْفِ مِنْ خَلْفِهِ. فَلَمَّا قَدِمُوا جَعَلَ يَكَلِّمُ النَّبِيَّ، ﷺ، يَشْغَلُهُ لِيَفْتِكَ بِهِ أَرْبَد، فَلَمْ يَفْعَلْ أَرْبَدُ شَيْئًا، فَقَالَ عَامِرُ لِلنَّبِيِّ، ﷺ: لَا مَلَأْنَاهَا عَلَيْكَ خِيَلًا وَرِجَالًا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرًا». فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرُ لِأَرْبَد: لِمَ لَمْ تَقْتُلْهُ؟ قَالَ: كَلَّمَا هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ دَخَلَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ؟ وَرَجَعُوا، فَلَمَّا كَانُوا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّهُ لَفِي بَيْتِ امْرَأَةٍ سَلُولِيَّةٍ، فَمَاتَ وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِي عَامِرِ أَغْدَةَ كَعْدَةَ الْبَعِيرِ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ! وَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَى أَرْبَدِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ، وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لَأَمَّهُ^(٩).

(١) سيرة ابن هشام ٢٢٨/٤، الطبقات الكبرى ٣٢٨/١، تاريخ الطبري ١٣٨/٣، نهاية الأرب ٨٧/١٨، ٨٨، عيون الأثر ٢٤١/٢، ٢٤٢، عيون التواريخ ٣٨٤/١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢٩٩/١، تاريخ الطبري ١٣٩/٣، نهاية الأرب ٤٣/١٨، عيون الأثر ٢٥٤/٢.

(٣) تاريخ الطبري ١٣٩/٣، تاريخ الطبري ٣٤٤/٣، ٣٤٥، نهاية الأرب ١٠٧/١٨.

(٤) في مشتببه النسبة - (مخطوطة المتحف البريطاني) - ١٨ ب.

(٥) الطبقات الكبرى ٢٩٥/١، تاريخ الطبري ١٣٩/٣.

(٦) الطبقات الكبرى ٣٢٩/١، تاريخ الطبري ١٣٩/٣.

(٧) الطبقات الكبرى ٣٢٤/١، تاريخ الطبري ١٤٠/٣.

(٨) في النسخة (ب): «حسان».

(٩) تاريخ الطبري ١٤٤/٣، ١٤٥، سيرة ابن هشام ٢١١/٤، ٢١٢، الطبقات الكبرى ٣١٠/١، ٣١١، نهاية الأرب ٥١/١٨.

وفيها قديم على رسول الله ﷺ، وفد طيء فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم. وقال رسول الله ﷺ: «ما ذكر لي رجل من العرب [بفضل] ثم جاءني إلا رأيتُهُ دون ما يقال فيه، إلا ما كان من زيد الخيل»، ثم سمّاه زيد الخير، وأقطع له قيد وأرضين معها. فلما رجع أصابته الحمى بقرية من نجد، فمات بها^(١).

وفيها كتب مُسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ، يذكر أنه شريكه في النبوة، وأرسل الكتاب مع رسولين، فسألهما رسول الله ﷺ، عنه، فصدّقه. فقال لهما: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما»^(٢).

وكان كتاب مُسيلمة: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإنني قد أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قریشاً قوم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب، أما بعد، فالسلام على من أتبع الهدى، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(٣).

وقيل: إن دعوى مُسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التي مات فيها. فلما سمع الناس بمرضه وثب الأسود العنسي باليمن، ومُسيلمة باليمامة، وطليحة في بني أسد^(٤).

ذكر إرسال عليّ إلى اليمن وإسلام همدان

في هذه السنة بعث رسول الله ﷺ، علياً إلى اليمن، وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فأرسل علياً، وأمره أن يعقل خالداً ومن شاء من أصحابه، ففعل، وقرأ عليّ كتاب رسول الله ﷺ، على أهل اليمن، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: الإسلام على همدان، يقوله ثلاثاً، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فسجد شكراً لله تعالى^(٥).

(١) سيرة ابن هشام ٢٢٠/٤، الطبقات الكبرى ٣٢١/١، تاريخ الطبري ١٤٥/٣، نهاية الأرب ٧٦/١٨، عيون الأثر ٢٣٦/٢، عيون التواريخ ٣٧٨/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦، ٦٨٧.

(٢) في الطبعة الأوربية «لقتلتكما». والخبر في سيرة ابن هشام ٢٤٣/٤، ٢٤٤، وتاريخ الطبري ١٤٦/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٣/٤، تاريخ الطبري ١٤٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦.

(٤) تاريخ الطبري ١٤٧/٣، سيرة ابن هشام ٢٤٣/٤.

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٧/٤، الطبقات الكبرى ١٦٩/٢، تاريخ الطبري ٩٣١/٣، نهاية الأرب ١٨، ٣٦٨، =

ذكر بعث رسول الله، ﷺ أمرائه على الصدقات

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، أمرائه وعمّاله على الصدقات، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المُغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى حضرموت على صدقاتهم، وبعث عدي بن حاتم الطائي على صدقات طيء وأسد، وبعث مالك بن نُؤيرة على صدقات [بني] حنظلة، وجعل الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مناة بن تميم، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران، ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود^(١)، ففعل وعاد، ولقي رسول الله، ﷺ، بمكة في حجة الوداع، واستخلف على الجيش الذي معه رجلاً من أصحابه، وسبقهم إلى النبي، ﷺ، فلقاه بمكة، فعمد الرجل إلى الجيش، فكبسهم كل رجل حلة من البر الذي مع علي، فلمّا دنا الجيش خرج علي ليتلقاهم فرأى عليهم الحلل، فنزعها عنهم، فشكاه الجيش إلى رسول الله، ﷺ، فقام النبي، ﷺ، خطيباً فقال: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله [إنه] لأخشن^(٢) في ذات الله وفي سبيل الله»^(٣).

= تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٠، المغازي للواقدي ١٠٧٩/٣، عيون الأثر ٢٧١/٢.
(١) إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢٤٣/٤، وتاريخ الطبري ١٤٧/٣، وعيون التواريخ ٣٩٣/١.
(٢) في الطبعة الأوربية «فهو لأخشن».
(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٧/٤، ٢٤٨ تاريخ الطبري ١٤٩/٣.

ذكر حجة الوداع^(١)

خرج رسول الله، ﷺ، إلى الحجّ لخمس بقين من ذي القعدة، لا يذكر الناس إلّا الحجّ، فلمّا كان بسرف^(٢) أمر الناس أن يحلّوا بعُمْرة إلّا مَنْ ساق الهديّ، وكان رسول الله، ﷺ، قد ساق الهديّ وناس معه، وكان عليّ بن أبي طالب قد لقيه مُحْرِمًا، فقال له النبيّ، ﷺ: «حلّ كما حلّ أصحابك». فقال: إني قد أهللتُ بما أهلّ به رسول الله، فبقي على إحرامه، ونحر رسول الله، ﷺ، الهديّ عنه وعن عليّ، وحجّ بالناس فأراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجّهم، وخطب خطبته التي بين فيها للناس ما بين، وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس، فقال بعد حمد الله:

«أيّها الناس، اسمعوا قولي، فلعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبدًا. أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام^(٣)، كحرمة يومكم هذا، وكلّ رباّ موضوع، لكم رؤوس أموالكم، وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كلّّه، وكلّ دم كان في الجاهليّة موضوع، وأول دم أضع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل. أيّها الناس إنّ الشيطان قد يشّ أن يُعبّد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنّه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم. أيّها الناس ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(٤)، وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، و ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(٥). أيّها الناس استوصوا بالنساء

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٨/٤، الطبقات الكبرى ١٧٢/٢، المغازي للواقدي ١٠٨٨/٣، تاريخ يعقوبي ١٠٩/٢، البدء والتاريخ ٢٤٢/٤، تاريخ الطبري ١٤٨/٣، المغازي لعروة ٢٢٢، تاريخ خليفة ٩٤، عيون الأثر ٢٧٢/٢، عيون التواريخ ٣٩٤/١، أنساب الأشراف ٣٦٨/١، المعارف ١٦٥، سيرة ابن كثير ٢١١/٤، البداية والنهاية ١٠٩/٥، مروج الذهب ٢٩٧/٢، تاريخ الخميس ١٦٤/٢، نهاية الأرب ٣٧١/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠١.

(٢) سرف: بفتح أوله، وكسر ثانيه. وهو موضع على ستة أميال من مكة. (معجم البلدان ٢١٢/٣).

(٣) في السيرة والطبري «حرام إلى أن تلقوا ربكم».

(٤) سورة التوبة - الآية ٣٧.

(٥) سورة التوبة - الآية ٣٦.

خيراً». وهي خطبة طويلة^(١).

وقال حين وقف بعرفة: «هذا الموقف - للجبل الذي هو عليه - وكل عرفة موقف». وقال بالمزلفة: «هذا الموقف وكل مزلفة موقف». ولما نحر بمنى قال: «هذا المنحر وكل منى منحر». ففضى رسول الله، ﷺ، الحج، وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ^(٢)، وذلك أن رسول الله، ﷺ، لم يحج بعدها، وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم^(٣).

ذكر عدد غزواته، ﷺ، وسراياه

وكان آخر غزوة [غزاها] رسول الله، ﷺ، بنفسه غزوة تبوك، وجميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة.

قال الواقدي: هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم، وهو خطأ لأن زيدا غزا مؤتة مع عبد الله بن رواحة، وهو رديفه على رجليه، ولم يغز مع النبي، ﷺ، غير ثلاث غزوات أو أربع.

وقيل: غزا رسول الله، ﷺ، ستاً وعشرين غزوة، وقيل: سبعا وعشرين، فمن قال: ستاً وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة، لأنه لم يرجع من خيبر إلى منزله، ومن فرق بينهما جعل غزواته سبعا وعشرين، جعل خيبر غزوة، ووادي القرى غزوة^(٤).

وأول غزوة غزاها ودان، وهي الأبواء، ثم بواط بناحية رضى، ثم العشيرة، ثم بدر الأولى لطلب كرز بن جابر، ثم بدر التي قتل فيها قريشاً، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمّر، ثم غزوة بخران بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة^(٥) دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم

(١) أنظر سيرة ابن هشام ٢٤٨/٤، ٢٤٩ وتاريخ الطبري ١٥٠/٣ - ١٥٢، والطبقات الكبرى ١٨٦/٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «البلاغة».

(٣) سيرة ابن هشام ٢٥١/٤، تاريخ الطبري ١٥٢/٣، وانظر الأحاديث الواردة في صحيح البخاري ٢٢٣/٥، ٢٢٤، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، وصحيح مسلم ١٩٩/٥ كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ﷺ.

(٤) تاريخ الطبري ١٥٢/٣.

(٥) في النسخة (ب): «غزوة ذات الحرملات».

غزوة تبوك؛ قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأُحد، والخندق، وقُرَيْظَة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحُنين، والطائف^(١).

واختلف في عدد سراياه، فقليل: كانت خمساً وثلاثين ما بين سرية وبُعْث، وقيل: ثمانياً وأربعين^(٢).

وفي هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البجليّ في رمضان مسلماً، فبعثه إلى ذي الخَلَصَة فهدمها، وكان من حجر أبيض بَبَالَة^(٣)، وهو صَنَم بَجِيلَة وَخَنَعَم وأزد السراة، فلَمَّا أتى رسولُ الله، ﷺ، خبر هدمه سجد شكراً لله تعالى^(٤).

وفيهما أسلم باذان^(٥) باليمن، وبعث بإسلامه إلى رسول الله، ﷺ^(٦).

ذكر عدد حجّ النبي، ﷺ، وعُمَره

قال جابر: حجّ النبي، ﷺ، حَجَّتَيْن، حَجَّة قبل أن يهاجر، وحَجَّة بعدما هاجر، معها عُمَرَة. وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله، ﷺ، ثلاث عُمَر، وقالت عائشة: أربع عُمَر، وروي مثل ذلك عن ابن عمر^(٧).

ذكر صفة النبي، ﷺ، وأسمائه وخاتم النبوة

قال عليّ بن أبي طالب: كان رسولُ الله، ﷺ، ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللّحية، شِثْن الكفّين والقدمين، ضخم الكراديس، مُشْرِباً وجهه حمرةً، طويل المَسْرُبة، إذا مشى تكفّأ تكفّؤاً كأنما ينحطّ من صَبَب، لم أر قبله ولا بعده مثله، وكان أدعج العينين، سَبَط الشعر، سهل الخدّين، ذا وَفَرَة، كأنّ عنقه إبريق فضّة، وإذا التفت التفت جميعاً، كأنّ العَرَق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عَرَقه وريحه.

قال أبو عُبَيْدة وغيره: شِثْن الكفّين والقدمين، يعني أنّهما إلى الغِلَظ [أقرب]، وقوله: ضخم الكراديس، يعني ألواح الأكتاف، والمَسْرُبة: الشعر ما بين السُرّة واللّبة،

(١) سيرة ابن هشام ٢٥٥/٤، تاريخ الطبري ١٥٣/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٥٤/٣ و ١٥٨.

(٣) في الطبعة الأوربية «ببالة».

(٤) الطبري ١٥٨/٣.

(٥) في الأصل «زادان».

(٦) الطبري ١٥٨/٣.

(٧) تاريخ الطبري ١٥٩/٣، ١٦٠.

والصبب: الانحدار، والدَّعَج في العين السواد، والسَّيْط من الشعر ضد الجعد.

وكان بين كَتَفَيْهِ، ﷺ، خاتم النبوة، وهي بضعة ناشزة حولها شعر^(١).

وأما أسماؤه فهي كما^(٢) قال رسول الله، ﷺ: «أنا محمّد، وأنا أحمد، والمقفّي^(٣)، والحاشر، ونبيّ الرحمة، ونبيّ التوبة، ونبيّ الملحمة^(٤)، والعاقب، والماحي الذي يمحو الله به الكُفْر^(٥)».

والحاشر الذي يُحشر النَّاس على قدمه. والعاقب آخر الأنبياء.

وأما شعره وشبيهه فقال أنس: لم يشنّه الله بالشيب، وقيل: كان في مقدّم^(٦) لحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب.

قال جابر بن سَمُرّة: وكان في مفرق رأسه شعرات بيض إذا دهنه غطاهنّ الدهن، فأخرجت أم سلمة شعره مخضوباً بالحناء والكتّم.

وقال أبو رمثة: كان رسول الله، ﷺ، يخضب، وكان شعره يبلغ كتفَيْه أو منكبيّه.

وقالت: أم هانئ: كان له صفائر أربع.

ذكر شجاعته، ﷺ، وجُوده

قال أنس: كان رسول الله، ﷺ، أشجع النَّاس، وأسمح النَّاس، وأحسن النَّاس^(٧)،

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١/٤١٠، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢١٣، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٣١٧، وتاريخ الطبري ٣/١٧٩، وأنساب الأشراف ١/٣٩٤ رقم ٨٤٨، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٤٣٤، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٨٣، وصفة الصفوة ١/١٥٣، ١٥٤، والبداية والنهاية ٦/٢٨، ٢٩، وأخرج حديث صفة النبي ﷺ: أبو داود في كتاب الأدب ٤/٢٦٦ رقم (٤٨٦٣) باب في هدي الرجل، والترمذي في اللباس (١٨٠٧) باب ما جاء في الجَمّة واتخاذ الشعر.

(٢) في الطبعة الأوربية «فإنه».

(٣) في الطبعة الأوربية «المقتفي».

(٤) في الطبعة الأوربية «الملحة».

(٥) أنظر صحيح مسلم (٢٣٥٥) في الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٩٧، ٩٨، والطبقات الكبرى ١/١٥٠، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٦٦، وتهذيب الكمال ١/١٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ٢/١٢٠ - ١٢٢، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٢٧٥، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٢ وما بعدها، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/٢٤٣، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٩.

(٦) في الطبعة الأوربية «قدم».

(٧) أنظر ما أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٤/١٠ - ١١ باب السرعة والركض في الفزع، ومسلم (٢٣٠٧) في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدّمه للحرب، وأحمد في المسند ٣/٢٦١، والبيهقي في دلائل =

وقع في المدينة فزع فركب فرساً عُرياً فسبق الناس إليه فجعل يقول: «أيها الناس لم تُراعوا لم تُراعوا».

وقال علي بن أبي طالب: كنّا إذا اشتدّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ، فكان أقربنا إلى العدو^(١). وكفى بهذا شجاعةً أنّ مثل عليّ الذي هو هو في شجاعته يقول هذا، وقد تقدّم في غزواته ما يُستدلّ به على تمكّنه من الشجاعة، وأنّه ما يقاربه فيها أحدٌ.

ذكر عدد أزواج النبي ﷺ وسراريه وأولاده^(٢)

قال ابن الكلبي: إنّ النبي ﷺ، تزوّج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع. وأوّل امرأة تزوّجها خديجة بنت خويلد، وكان تزوّجها قبله عتيق بن عائذ^(٣) بن عبد الله بن مخزوم، ومات عنها، وتزوّجها بعد عتيق أبو هالة بن زُرارة بن ثَبَّاش التميمي، فولدت له هند بن أبي هالة، ثمّ مات عنها، فتزوّجها رسول الله ﷺ، فولدت له ثمانية: القاسم، والطّيب، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورُقَيّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، فأما الذكور فماتوا وهم صغار، وأما الإناث فبلغن ونكحن وولدن، ولم يتزوّج على خديجة في حياتها أحداً^(٤) وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يولد له ولد من غيرها إلّا إبراهيم.

فلما توفّيت خديجة نكح بعدها سوّدة بنت زَمْعَة، وقيل عائشة، فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة بنت ست سنين، وأما سوّدة فكانت امرأة ثيّباً، وكانت قبله عند

= النبوة ٢٧٩/١، وابن سعد ٣٧٣/١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٦٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٤٢/٦.

- (١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ٢١٨/٣، و٢٢٠/٣ و٢٣٣/٣.
- (٢) أنظر في هذا الموضوع: تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة معمر بن المثنى - ٤٤ وما بعدها، والطبقات الكبرى ٥٢/٨ وما بعدها، وتاريخ الطبري ١٢٠/٣ وما بعدها، وأنساب الأشراف للبلاذري ٣٩٦/١ وما بعدها، وسيرة ابن هشام ٢٥٤/٤، وتهذيب الكمال للمزي ٢٠٣/١، ونهاية الأرب للنويري ١٧٠/١٨ وما بعدها، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٣٠٠/٢ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البر ٤٤/١ وما بعدها، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٧٧/١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٢، والسمط الثمين للمحبّ الطبري ٢٣٩ وما بعدها، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٣٤١/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٩٣/٢ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٣/١، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٣٦ وما بعدها، وذيل المذيل للطبري ٦٠٠ وما بعدها، وعيون التواريخ للكتبي ٤١١/١، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٢، وتاريخ يعقوبي ٨٤/٢، والسيرة لابن كثير ٥٧٩/٤، والمعارف لابن قتيبة ١٣٢، والمعرفة والتاريخ ٢٦٧/٣.
- (٣) في تاريخ الطبري ١٦١/٣ «عابده».
- (٤) في الطبعة الأوربية «إحدى».

السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس أخي سُهَيْل بن عمرو، وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصّر بها ومات، فخلف عليها رسول الله، ﷺ، وهو بمكة، وكان الذي خطبها عليه خَوْلَة بنت حَكِيم زوجة عثمان بن مَظْعُون، فدخل بسَوْدَة بمكة، زَوَّجها منه أبوها زَمْعَة بن قيس، فلمّا تزوّجها كان أخوها عبد بن زَمْعَة غائباً، فلمّا قدِم جعل يحثي التراب على رأسه، فلمّا أسلم قال: إني سفيهٌ حيث فعلتُ ذلك، وندم على ما كان منه.

وأما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، ولم يتزوَّج بكَراً غيرها، وماتت سنة ثمانٍ وخمسين^(١).

ثم تزوّج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذافة السَّهْمِيّ (خنيس: بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة)، وكان بَدْرِيّاً، ولم يشهد من بني سَهْم بَدراً غيره، ولم تلد له شيئاً، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان^(٢).

ثم تزوّج بعدها أمّ سلمة ابنة أبي أمية زاد الرّكب المخزوميّة، وكانت قبله عند أبي سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي، شهد بَدراً، وأصابته جراحة يوم أُحُد فمات منها، وتزوَّجها^(٣) رسول الله، ﷺ، قبل الأحزاب^(٤)، وماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: بعد قتل الحسين، رضي الله عنه.

ثم تزوّج زينب بنت جُزَيْمَة من بني عامر بن صَعَصَعَة، ويقال لها أمّ المساكين، وتوفيت في حياته، ولم يمت في حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد، وكانت زينب قبله عند الطُّفَيْل بن الحارث بن عبد المطلب.

ثم تزوّج عام المُرَيْسِع جُوَيْرِيَة ابنة الحارث بن أبي ضَرار الخُزَاعِيَة من بني المُصْطَلِق، وكانت قبله عند مالك بن صَفْوان المصْطَلِقِيّ، لم تلد له شيئاً^(٥).

ثم تزوّج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت عند عُبيد الله بن جَحْش، وكان من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها، فأرسل النبي، ﷺ، إلى النجاشي فخطبها عليه، وتزوَّجها وهي بالحبشة، وزوّجها منه خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: بل خطبها إلى عثمان بن عفّان فزوَّجها منه، وبعث فيها إلى النجاشي، فساق منه المهر أربعمائة

(١) تاريخ الطبري ١٦٤/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٦٤/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «وتزوَّج».

(٤) تاريخ الطبري ١٦٤/٣ «فتزوَّجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب سنة ثلاث، وتزوَّج سلمة بن أبي سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب».

(٥) الطبري ١٦٥/٣.

دينار، وأرسلها إليه، وتوفيت في خلافة أخيه معاوية، فلم تلد له شيئاً^(١).

ثم تزوج زينب بنت جحش، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، فلم تلد له شيئاً، فزوجها الله إياه وبعث في ذلك جبرائيل، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: أنا أكرمهن ولياً وسفيراً، وهي أول [من توفي من] أزواجه، توفيت بعده في خلافة عمر^(٢).

ثم تزوج عام خير صفية بنت حبي بن أخطب، وكانت قبله تحت سلام بن مشكم فتوفي عنها، وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقتله محمد بن مسلمة صبراً بأمر النبي ﷺ، ثم أعتقها النبي ﷺ، وتزوجها سنة ست، ومات سنة ست وثلاثين^(٣).

ثم تزوج ميمونة ابنة الحارث الهلالية، وكانت قبله عند عمير بن عمر الثقفي، ولم تلد له شيئاً، ثم خلف عليها أبو زهير بن عبد العزى بعد عمير، ثم رسول الله ﷺ، بعده، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد، وتزوجها في عمرة القضاء بسرف^(٤).

ثم تزوج امرأة من بني كلاب يقال لها النشابة بنت رفاعه، وقيل: هي شنباء^(٥) ابنة أسماء بن الصلت، وقيل: ابنة الصلت بن حبيب، توفيت قبل أن يدخل بها^(٦).

ثم تزوج الشنباء^(٧) ابنة عمرو الغفارية، وقيل الكنانية، فمات إبراهيم ابنه قبل أن يدخل بها، فقالت: لو كان نبياً ما مات ابنه، فطلقها.

ثم تزوج غزية^(٨) ابنة جابر الكلابية، خطبها عليه أبو أسيد، بضم الهمزة، الساعدي، فلما قدمت على النبي ﷺ، استعادت بالله منه ففارقها^(٩).

ثم تزوج أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن شراحيل^(١٠) الكندي، فلما دخل بها وجد

(١) الطبري ١٦٥/٣.

(٢) الطبري ١٦٥/٣.

(٣) الطبري ١٦٦/٣.

(٤) الطبري ١٦٦/٣.

(٥) في النسخة (ب): «النساء»، وفي تاريخ الطبري «النشابة».

(٦) في النسختين: (ب) و(ت): «سبا». وفي تاريخ الطبري ١٦٦/٣ «سنا». وكذلك في تاريخ دمشق ١٨٩.

(٧) الطبري ١٦٦/٣.

(٨) في النسخة (ب): «الصابية». والخبر عند الطبري ١٦٦/٣.

(٩) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «عربة»، وفي الأصل «غذية». والتصويب من تاريخ الطبري ١٦٧/٣ و١٦٨.

(١٠) تاريخ الطبري ١٦٧/٣.

(١١) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «براحل». والتصويب من تاريخ الطبري.

بها بياضاً، فمَتَّعَهَا ورَدَّهَا إلى أهلها، وقيل: بل استعاذت منه أيضاً فردَّها^(١).
والعالية ابنة طَيَّبان، فجمعها ثمَّ فارقها^(٢).
وقُتِلَتْ بنت قيس أخت الأشعث، فتوفي عنها قبل أن يدخل بها، فارتدت^(٣).
وفاطمة ابنة شُرَيْح^(٤).
وقال ابن الكلبي: غزية^(٥) هي أم شريك. قال: وقيل: إنه تزوج خولة ابنة الهذيل ابن هبيرة^(٦).
وليلي ابنة الخطيم^(٧) الأنصارية عرضت نفسها عليه فتزوجها، فأخبرت قومها، فقالوا: أنتِ غيور وله نساء فاستقيليه، فأقالتته ففارقها^(٨).
وأما مَنْ خطب النبي ﷺ، من النساء، ولم ينكحها فمنهنَّ أم هانئ بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوجها^(٩).
ومنهنَّ ضباعة بنت عامر^(١٠) من بني قُشَيْر.
ومنهنَّ صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري^(١١).
ومنهنَّ أم حبيب^(١٢) ابنة عمِّه العباس، فوجد العباس أخاه من الرضاعة فتركها^(١٣).
ومنهنَّ جَمْرَة ابنة الحارث بن أبي حارثة خطبها، فقال أبوها: بها سوء^(١٤)، ولم يكن

-
- (١) تاريخ الطبري ١٦٧/٣.
(٢) تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٩٠، ١٩١، تاريخ الطبري ١٦٨/٣.
(٣) الطبري ١٦٨/٣، الاستيعاب ٤/ رقم ١٩٠٣، تاريخ دمشق (السيرة) ١٨٦، الإصابة ٤/ ٢٨٨.
(٤) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «سر»، والتصويب من تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ٦٨، وتاريخ الطبري ١٦٨/٣، البداية والنهاية ٢٩٩/٥، وعيون الأثر ١٣٠/٢.
(٥) في طبعة صادر «عربة». والتصويب من الطبري، وتاريخ دمشق ٢٠١.
(٦) تاريخ الطبري ١٦٨/٣، تاريخ دمشق ١٩١.
(٧) في الطبعة الأوربية «وليلة ابنة الخطيم».
(٨) تاريخ الطبري ١٦٨/٣، عيون التواريخ ٤٢١/١.
(٩) تاريخ الطبري ١٦٩/٣، تاريخ دمشق (السيرة) ١٩٩.
(١٠) في الأصول، وطبعة صادر ٣١٠/٢ «ساعة بنت عمر»، والتصحيح من تاريخ الطبري ١٦٩/٣ وتاريخ دمشق (السيرة) ٢٠٠، وأنساب الأشراف ٤٦٠/١.
(١١) تاريخ الطبري ١٦٩/٣ وتاريخ دمشق ٢٠٠.
(١٢) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «حبيبة»، والتصويب من تاريخ الطبري ١٦٩/٣.
(١٣) الطبري ١٦٩/٣.
(١٤) عند الطبري «شيء».

بها، فرجع إليها فوجدها قد برّصت^(١).

وأما سراريه فهي مارية ابنة شمعون القبطية، وولدت له إبراهيم^(٢).
وريحانة ابنة زيد القرطية، وقيل: هي من بني النضير^(٣).

ذكر موالى رسول الله، ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة، وابنه أسامة بن زيد، وثوبان، ويكنى أبا عبد الله، أصله من السّراة، وسكن جَمُص بعد موت النبي، ﷺ، ومات سنة سبع وخمسين، وقيل: سكن الرملة، ولا عقب له.

وشُقْران، وكان من الحيشة، وقيل من الفرس، واسمه صالح [بن عديّ، واختلف في أمره]، فقيل: إنّ رسول الله، ﷺ، ورثه من أبيه، وقيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي، ﷺ، وأعقب.

وأبو رافع، واسمه إبراهيم، وقيل أُوَيْقَع، فقيل: كان للعبّاس فوهبه للنبي، ﷺ، فأعتقه رسول الله، ﷺ، وقيل: كان لأبي أحيحة سعيد بن العاص، فأعتق ثلاثة من بنيه أنصباؤهم منه^(٤)، وشهد معهم بدرأ وهم كفّار، وقُتِلوا يومئذٍ، وهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي، ﷺ، فأعتقه وابنه البهي^(٥)، واسمه رافع، وأخوه عُبيد الله بن أبي رافع، كان يكتب لعليّ بن أبي طالب.

وسلمان الفارسيّ، وكنيته أبو عبد الله، من أهل أصبهان، وقيل: من أهل رامهرمز، أصابه سبباً بعض من كُلب، ويبيع من يهوديّ بوادي القرى، فكاتب اليهوديّ وأعانه النبي، ﷺ، حتى عَتَق^(٦).

وسَفِينة، كان لأمّ سلمة، فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله، ﷺ، [حياته]^(٧).
قيل: اسمه مهران، وقيل: رباح، وقيل: كان من عجم الفرس^(٨).

(١) الطبري ١٦٩/٣.

(٢) الطبري ١٦٩/٣، وتاريخ دمشق ١٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ دمشق.

(٤) في الطبعة الأوربية «وأنصبتهم منه».

(٥) في الإصابة «أبو البهي». والمثبت يتفق مع الطبري ١٧٠/٣.

(٦) الطبري ١٧١/٣.

(٧) إضافة عن الطبري.

(٨) زاد الطبري: «واسمه سبيه بن مارقيه».

وأنسة^(١) يكتني أبا مسروح، وهو من مولدي السّراة، وكان يأذن على رسول الله، ﷺ، وشهد معه بدرأً وأحدأً والمشاهد كلّها، وقيل: كان من الفرس^(٢).

وأبو كبشة، واسمه سليم، قيل: كان من موالي^(٣) مكّة، وقيل: كان من مولدي أرضي دؤس، اشتراه رسول الله، ﷺ، وأعتقه، وشهد بدرأً والمشاهد كلّها، وتوفي يوم استخلف عمر بن الخطّاب سنة ثلاث عشرة^(٤).

ورؤيقع^(٥) أبو مؤهبة، كان من مولدي مُزينة، فاشتراه رسول الله، ﷺ، وأعتقه^(٦).

ورباح الأسود، كان يأذن على رسول الله^(٧)، ﷺ.

وفضالة نزل الشام^(٨).

ومدغم قُتل بوادي القرى^(٩).

وأبو ضُميرة، قيل: كان من الفرس من ولد بشتاسب^(١٠) الملك، فأصابه رسول الله،

ﷺ، في بعض وقائع فاعتقه، وهو جدّ أبي حسين^(١١).

ويسار^(١٢) وكان نوبياً^(١٣)، أصابه في بعض غزواته فاعتقه، وهو الذي قتله العُربون

الذين أغاروا على إقاح رسول الله، ﷺ.

ومهران مولا، حدّث عن النبي، ﷺ.

وكان له خصيّ يقال له مابوز^(١٤)، أهده له المُقوقس مع مارية وشيرين^(١٥)، قيل: إنّه

الذي قُذفت مارية به، فبعث رسول الله، ﷺ، عليّاً ليقتله، فرآه خصياً فتركه. وخرج إليه

(١) في الطبعة الأوربية «وابنه».

(٢) الطبري ١٧١/٣.

(٣) عند الطبري «مولدي».

(٤) الطبري ١٧١/٣.

(٥) في الإصابة «رويفع» بالفاء.

(٦) الطبري ١٧١/٣.

(٧) في الطبعة الأوربية «يؤذن لرسول الله».

(٨) الطبري ١٧١/٣.

(٩) الطبري ١٧١/٣، ١٧٢.

(١٠) في تاريخ الطبري «كشتاسب».

(١١) في تاريخ الطبري «جدّ حسين».

(١٢) عند ابن قتيبة في المعارف ٧٢ «بشار».

(١٣) في الطبعة الأوربية «يونانيا».

(١٤) عند الطبري «مابور» بالراء.

(١٥) عند الطبري «سيرين» بالسین المهملة.

من الطائف، وهو محاصرهم، أربعة أعبد فاعتقهم، منهم أبو بكر^(١).

ذكر مَنْ كان يكتب لرسول الله ﷺ

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً، وعلي بن أبي طالب أحياناً، وخالد ابن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي. وأول مَنْ كتب له أبي بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتدَّ ورجع إلى الإسلام يوم الفتح. وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحظلة الأسدي^(٢) (بضم الهمزة، وتشديد الياء، كذلك يقوله المحدثون، وهو منسوب إلى أسيد بن عمرو بن تميم، بالتشديد إجماعاً)^(٣).

ذكر أسماء خيله، ﷺ

قيل: أول فرس ملكه، ﷺ، فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشر أواق، وسماه السكب^(٤)، وأول غزوة غزاها عليه أحد. وفرس لأبي بردة بن نيار^(٥) اسمه ملاوح^(٦).

وكان له فرس يُدعى المرتجز^(٧)، وهو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت، وكان صاحبه من بني مرة.

وكان له ثلاثة أفراس: إزاز، والظرب، واللحيف^(٨)، وأما لزاز فأهداه له المقوقس، وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء، وأما الظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي^(٩).

(١) الطبري ١٧٢/٣.

(٢) الطبري ١٧٣/٣ وانظر تاريخ يعقوبي ٨٠/٢.

(٣) الإكمال لابن ماکولا ٧٣/١، ٧٤ و ١٨ - ١٢٠، الأنساب للسمعاني ٢٦٢/١.

(٤) أنظر عنه: المعارف ١٤٩، رشحات المداد ١١٦، فضل الخيل ١٣٦، أنساب الخيل ١٩، حلية الفرسان

١٥١، المخصّص (الخيل) ١٩٣، حياة الحيوان ٣١٢/١ و ٢١٩/٢، أنساب الأشراف ٥١١/١، نهاية الأرب

٣٣١/١، شرح المواهب اللدنية ٤٦٣/٣، التراتيب الإدارية ٣٣١/١، الحلبه ٩٠.

(٥) في الطبعة الأوربية «لأبي بردة بن أبي نيار».

(٦) الطبقات الكبرى ٨٩/١، تاريخ الطبري ١٧٣/٣، عيون الأثر ٣٢٠/٢، نهاية الأرب ٣٠٠/١٨، تاريخ

الإسلام (السيرة) ٥١٨.

(٧) الطبقات الكبرى ٤٩٠/١، أنساب الأشراف ٥٠٩/١، نهاية الأرب ٢٩٩/١٨، الحلبه ١٩٤، تاريخ الإسلام

(السيرة) ٥١٨.

(٨) ويقال «اللخيف» بالخاء المعجمة، (تاريخ الإسلام ٥١٨).

(٩) تاريخ الطبري ١٧٤/٣.

وكان له فَرَسٌ يقال له الورد، أهدها له تميم الداري، فوهبه النبي ﷺ، لعمر بن الخطّاب، فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع^(١). وقيل: كان له فرس اسمه اليعسوب.

تفسير هذه الأسماء: السَّكْب: الكثير الجري، كأنما يُصَبّ جريه صَبًّا. واللَّحِيف: سُمِّيَ به لطول ذنبه، كأنه يلحف الأرض بذنبه، أي يغطيها. ولزاز: سُمِّيَ به لشدة تلززه. والظرب: سُمِّيَ به لشدة خلقه، سُمِّيَ بالجبل الصغير. والمرتجز: سُمِّيَ به لحسن صهيله. واليعسوب: سُمِّيَ به لأنه أجود خيله، لأن اليعسوب الرئيس.

ذكر بغاله وحميره وإبله، ﷺ

كانت له دُلْدُل، وهي أول بغلة رُئيت في الإسلام، أهداها له المقوقس، ومعها حمار اسمه عُفَيْر، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية، وأهدى له فروة بن عمرو بغلة يقال لها^(٢) فِضّة، فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور بقي بعد مُنْصَرَفه من حَجّة الوداع^(٣).

وأما إبله فكانت له القَصَوَى^(٤)، وهي التي أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم، وهاجر عليها، وكانت من نَعَم بني الحُرَيْث، وبقيت مدة، وهي العَضَاء، والجَدْعاء أيضاً. قال ابن المسيّب: كان في طرف أذنها جَدْع، وقيل: لم يكن بها جَدْع^(٥).

وأما لقاحه فكان له عشرون لِقحة بالغابة، وهي التي أغار^(٦) عليها القوم^(٧)، يأتي لبنها أهلُه كل ليلة.

وكان له لِقاح غِزار^(٨)، منهنّ: الحناء^(٩)، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والرّيا^(١٠)، ومُهْرة، والشقراء^(١١).

(١) في تاريخ الطبري «يُبَاع»، بمعنى: يسير بخطا فسيحة.

(٢) في الطبعة الأوربية «له».

(٣) أنظر: الطبقات الكبرى ٤٩١/١، أنساب الأشراف ٥١١/١، المعارف ١٤٩، عيون الأثر ٣٢٢/٢، عيون التواريخ ٤٣٦/١، تاريخ الطبري ١٧٤/٣.

(٤) ويقال «القصواء». قال ابن الأثير في «جامع الأصول ٦٦١/٨»: «القصواء لقب ناقة رسول الله ﷺ، ولم تكن قصواء، فإن القصواء هي المشقوق الأذن».

(٥) الطبقات الكبرى ٤٩٢/١، أنساب الأشراف ٥١١/١، ٥١٢، نهاية الأرب ٣٠١/١٨، عيون الأثر ٣٢٢/٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٢٠، تاريخ الطبري ١٧٥/٣، عيون التواريخ ١٤٩/١.

(٦) في الطبعة الأوربية «غار».

(٧) الطبقات الكبرى ٤٩٥/١، عيون الأثر ٣٢٢/٢، تاريخ الإسلام ٥٢١.

(٨) في الطبعة الأوربية «غرر».

(٩) في طبعة صادر ٣١٥/٢ «الحسناء»، والتصحيح من: تاريخ الطبري، وأنساب الأشراف، والطبقات الكبرى.

(١٠) في طبقات ابن سعد «الدباء».

(١١) الطبقات الكبرى ١٧٧/١، تاريخ الطبري ١٧٥/٣، أنساب الأشراف ٥١٣/١.

وأما منائحه، فكانت له سبع منائح من الغنم: عجوة، وزمزم، وسُقيا^(١)، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطراف، وسبع أعنز يراعهن أيمن بن أم أيمن^(٢).

تفسير هذه الأسماء: عُفَيْر: تصغير ترخيم الأعفر، وهو الأبيض بياضاً غير خالص، ومنه أيضاً اسم حماره يعفور، كأخضر ويخضور. البغام: صوت الإبل، ومنه البغوم. والباقي لا يحتاج إلى شرح.

ذكر أسماء سلاحه، ﷺ

كان له ذو الفقار، غنمه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل لغيره، وغنم من بني قَيْنَقَاق ثلاثة أسياف: سيفاً قَلْعِيّاً^(٣)، وسيفاً يُدعى بَنَاراً، وسيفاً يدعى الحَتَف^(٤).

وكان له المعزدم، ورَسوب، وقدم معه المدينة سيفان، شهد بأحدهما بدرًا، يسمّى العَضْب^(٥).

وكان له ثلاثة أرماح، وثلاث قسيّ، قوس اسمها الروحاء، وقوس تُدعى البيضاء، وقوس نَبَع^(٦) تدعى الصفراء.

وكان له درع يقال لها الصعدية^(٧). وكان له درع يقال لها فِضّة، غنمها من بني قَيْنَقَاق، وكان له درع تسمّى ذات الفُضُول، كانت عليه يوم أُحُد، هي وفِضّة.

(١) في الطبعة الأوربية «سقيا».

(٢) الطبقات الكبرى ٤٩٥/١، تاريخ الطبري ١٧٦/٣، أنساب الأشراف ٥١٤/١.

(٣) يُنسب إلى قلع: قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق همدان.

(٤) في الأصول، وطبعة صادر ٣١٦/٢ «الخيف»، وما أثبتناه عن النسخة (ب)، والطبقات لابن سعد ٤٨٦/١،

ونهاية الأرب للنويري ٢٩٧/١٨، وعيون الأثر ٣١٨/٢، وقيد «الجزّي» في تهذيب الكمال ٢١٢/١

«الحنيف» بالنون والياء، أي من الحنف، وهو الإعوجاج. وأنظر تعليقنا في (تاريخ الإسلام) (السيرة) ٥١٠

حاشية رقم (٣)، وأنساب الأشراف ٥٢٢/١.

(٥) العَضْب: أي القاطع.

(٦) قال أبو حنيفة: والنبع شجر، زاد الأزهرى: من أشجار الجبال، تتخذ منه القسيّ. وقال مرة: النبع شجر أصفر

العود، رزينة، ثقيلة في اليد، وإذا تقادم احمرّ. قال: وكل القسيّ إذا ضُمّت إلى قوس النبع، لأنها أجمع

القسيّ للأرز واللبن. يعني بالأرز: الشدّة. (أنظر مادة «فرع» في: لسان العرب، وتاج العروس).

(٧) هكذا في الأصول وطبعة صادر وغيرها. ويقال «السعدية» بالسين المهملة، أنظر الطبقات الكبرى ٤٨٧/١،

وأنساب الأشراف ٥٢٣/١، ونهاية الأرب ٢٩٨/١٨، وذلك نسبة إلى جبال السعد.

ويقال «الصُعديّة» نسبة إلى الصُغد، أو «السُعديّة» بضم الصاد أو السين المهملة، وسكون الغين المعجمة.

(انظر: تهذيب الكمال ٢١٢/١، وعيون الأثر ٣١٨/٢) وأنظر تاريخ الإسلام (السيرة) ٥١٣ حاشية (٣).

وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش، فكرهه رسول الله، ﷺ، فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل^(١).

تفسير هذه الأسماء: سُمِّي السيف ذو الفقار لحفر^(٢) فيه. والسيف المخدم: القاطع. والرُّسوب: الذي يمضي في الضربة ويثبت فيها.

(١) الطبقات الكبرى ٤٨٩/١، نهاية الأرب ٢٩٧/١٨، تاريخ الطبري ١٧٧/٣، ١٧٨، عيون الأثر ٣١٨/٢، تهذيب الكمال ٢١١/١، أنساب الأشراف ٥٢٢/١، ٥٢٣.
(٢) في الطبعة الأوربية «لُحْصِر».

ذكر أحداث سنة إحدى عشرة

في المحرم من هذه السنة ضرب النبي ﷺ، بعثاً إلى الشام، وأميرهم أسامة بن زيد مولاه، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتكلم المنافقون في إمارته وقالوا: أمر غلاماً على جلة المهاجرين والأنصار^(١). فقال رسول الله ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إماره أبيه من قبل، وإنه لخليق للإمارة، وكان أبوه خليقاً لها»، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، منهم: أبو بكر، وعمر، فبينما الناس على لك ابتديء برسول الله ﷺ، مرضه^(٢).

ذكر مرض رسول الله ﷺ، ووفاته

ابتديء برسول الله ﷺ، مرضه أواخر صفر، في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه، فاستأذنهن أن يتمرّض في بيت عائشة، ووصلت أخبار بظهور الأسود العنسي باليمن، ومُسَيْلِمة باليمامة، وطليحة في بني أسد، وعسكر بسميراء، وسيجيء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى.

فتأخر مسير أسامة لمرض رسول الله ﷺ، ولخبر الأسود العنسي، ومُسَيْلِمة، فخرج النبي ﷺ، عاصباً رأسه من الصداع فقال: «إني رأيتُ [فيما يرى النائم أن]»^(٣) في عَصْدِي سوارَيْنِ من ذهب، فنفختهما فطارا، فأولتهما بكذاب اليمامة، وكذاب صنعاء. وأمر بإنفاذ جيش أسامة وقال: «لعن الله الذين اتخذوا قبور^(٤) أنبيائهم مساجد»^(٥).

(١) إلى هنا الخبر في سيرة ابن هشام ٢٥٣/٤.

(٢) أنظر: السيرة، وتاريخ خليفة ١٠٠، والطبقات الكبرى ١٩٠/٢، والمغازي للواقدي ١١١٧/٣، وتاريخ اليعقوبي ١١٣/٢، والبده والتاريخ ٢٤٢/٤، وتاريخ الطبري ١٨٤/٣، وعيون التواريخ ٤٤٩/١، والبداية والنهاية ٢٢٢/٥، السيرة لابن كثير ٤٤٠/٤، ٤٤١، والروض الأنف ٢٤٨/٤، المغازي للزهري ١٣٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري.

(٤) في النسخة (ب): «جعلوا بيوت».

(٥) أنظر حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد في صحيح مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) باب =

وخرج أسامة فضرب الجُرف العسكر، وتمهل الناس، وثقل رسول الله، ﷺ، ولم يشغله شدة مرضه عن إنفاذ أمر الله، فأرسل إلى نفرٍ من الأنصار في أمر الأسود^(١)، فأصيب الأسود في حياة رسول الله، ﷺ، قبل وفاته بيوم، فأرسل إلى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين^(٢).

وقال أبو مؤيَّبة مولى رسول الله، ﷺ: أيقظني رسول الله، ﷺ، ليلة وقال: «إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، [فانطلق معي] فانطلقت معه، فسلم عليهم، ثم قال: «ليهنئكم ما أصبحتم فيه، قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم». ثم قال: «قد أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والحُلْدِ بها، ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي، فاخترت لقاء ربي». ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف، فبديء بمرضه الذي قبض فيه^(٣).

قالت عائشة: فلما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعاً وأنا أقول: وارأساه! قال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه»! ثم قال: «ما ضرَّك لو مُتَّ قبلي فقامت عليك وكفَّتك وصليت عليك ودفتك؟» فقلت: كأنني بك والله لو فعلت ذلك فرجعت إلى بيتي فعرَّست ببعض نسائك. فتبسَّم وتأمَّ به وجعه، وتمرَّض في بيتي^(٤).

فخرج منه يوماً بين رجلين، أحدهما الفضل بن العباس، والآخر علي، قال الفضل: فأخرجته حتى جلس على المنبر فحمد الله، وكان أول ما تكلم به النبي، ﷺ، أن صلى على أصحاب أحد، فأكثر واستغفر لهم، ثم قال: «أيها الناس إنه^(٥) قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد^(٦) منه، ومن كنت شتمت له عرساً فهذا عرسِي فليستقد^(٦) منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخش الشحاء من قبلي، فإنها ليس من شأني، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ

= النهي عن بناء المساجد على القبور..

(١) أنظر عنه: المعرفة والتاريخ ٢٦٢/٣، وتاريخ اليعقوبي ١٣٠/٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٨٧/٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٨٩/٤، الطبقات الكبرى ٢٠٤/٢، تاريخ الطبري ١٨٨/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٧١٦/٢، أنساب الأشراف ٥٤٤/١، نهاية الأرب ٣٦٢/١٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤٤٣/٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢٩٠/٤، المصنّف لعبد الرزاق ٤٢٩/٥، ٤٣٠، الطبقات الكبرى ٢٣٢/٢، أنساب الأشراف ٥٤٤/١، مصنف ابن أبي شيبة ٥٦٠/١٤ رقم ١٨٨٨٥، دلائل النبوة للبيهقي ٧٢٣/٢، تاريخ الطبري ١٨٨/٣، ١٨٩ و ١٩٥، نهاية الأرب للنويري ٢٦٣/١٨، ٢٦٤، عيون الأثر لابن سيد الناس ٣٣٦/٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، السيرة لابن كثير ٤٤٥/٤ - ٤٤٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «ان».

(٦) في الطبعة الأوربية «ليستقد».

مَنِي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبٌ^(١) النَّفْسِ».

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظَّهْرَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ، فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى. فَادَّعَى عَلَيْهِ رَجُلٌ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ، فَأَعْطَاهُ عَوْضَهَا. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ، وَلَا يَقُلْ فُضُوحٌ^(٢) الدُّنْيَا، أَلَا وَإِنَّ فُضُوحَ^(٣) الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ^(٤) الْآخِرَةِ». ثُمَّ صَلَّى عَلَى أَصْحَابِ أَحَدٍ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدِينَاكَ بَأَنْفُسِنَا وَآبَائِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَفْضَلَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدِي مِنْهُ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ»^(٥).

ثُمَّ أَوْصَى بِالْأَنْصَارِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَصْبَحْتُمْ تَزِيدُونَ، وَأَصْبَحْتُ الْأَنْصَارُ لَا تَزِيدُ، وَالْأَنْصَارُ عَيْتِي الَّتِي أُوتِيتُ إِلَيْهَا، فَأَكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ»^(٦).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: نَعَى إِلَيْنَا نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ. فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا فَشَدَّدَ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: «مَرْحَبًا بِكُمْ، حَيَّاكُمُ اللَّهُ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَوَاكُمُ اللَّهُ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، وَفَقَّكُمْ^(٧) اللَّهُ، سَلَّمَكُمْ اللَّهُ، قَبَّلَكُمُ اللَّهُ، أَوْصِيَكُمُ بِنُفُوسِكُمُ اللَّهُ، وَأَوْصِيَكُمُ اللَّهُ بِكُمْ، وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْذِيَكُمُ إِلَيْهِ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»^(٨). قُلْنَا: فَمَتَى أَجْلُكَ؟ قَالَ: «دَنَا الْفِرَاقُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ، وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَالرَّفِيقُ الْأَعْلَى، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى». قُلْنَا: مَنْ يَغْسِلُكَ؟ قَالَ: «أَهْلِي». قُلْنَا: فِيمَ نَكْفَنُكَ؟ قَالَ: «فِي ثِيَابِي أَوْ فِي بِياضٍ». قُلْنَا: فَمَنْ يَصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «مَهْلًا، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَجَزَاكُمُ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا».

(١) عند الطبري «أطيب».

(٢) في الطبعة الأوربية «نضوح».

(٣) هذا حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الصلاة ١١٩/١، ١٢٠، باب الخوخة والممر في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ١٩٠/٤، ١٩١، باب قول النبي ﷺ: سَدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ، والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢٦/٢ و١٨/٣، وعبد الرزاق في المصنف ٤٣١/٥، والبلاذري في أنساب الأشراف، والطبري في تاريخه ١٩١/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩، وابن سعد في الطبقات ٢٢٧/٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢٥٧/٤، تاريخ الطبري ١٩٤/٣.

(٥) في النسخة (ب): «نفعمكم».

(٦) سورة القصص - الآية ٨٣.

فبكينا وبكى، ثم قال: «ضعوني على سريري على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، ليصلي عليّ جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، وملّك الموت مع الملائكة، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ، ولا تأذوني بتزكية ولا رنة، أقرّبوا أنفسكم مني السلام، ومن غاب من أصحابي فأقرّبوه مني السلام، ومن تابعكم على بني فأقرّبوه السلام»^(١).

قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس - ثم جرت دموعه على خديّه - اشتدّ برسول الله، ﷺ، مرضه ووجعهُ، فقال: «إيتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي أبداً». فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبيّ تنازع - فقالوا: إنّ رسول الله، ﷺ، يهجر. فجعلوا يُعيدون عليه، فقال: «دعوني فما أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه». فأوصى [بثلاث]: أن يخرج المشركون من جزيرة العرب، وأن يجاز الوفد بنحو ممّا كان يُجيزهم. وسكت عن الثالثة عمداً، أو قال: نسيتها^(٢).

وخرج عليّ بن أبي طالب من عند رسول الله، ﷺ، في مرضه. فقال الناس: كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباس فقال: أنت بعد ثلاث عبد العصا، وإنّ رسول الله، ﷺ، سيُتوفى في مرضه هذا، وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فاذهب إلى رسول الله، ﷺ، فاسأله فيمن يكون هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا أمره أوصى بنا. فقال عليّ: لئن سألتها رسول الله، ﷺ، فمنعناها لا يُعطيناها الناس أبداً، والله لا أسأله رسول الله، ﷺ، [أبداً]^(٣).

قال: فما اشتدّ الضُحى حتى تُوفّي رسول الله، ﷺ. قالت عائشة: قالت أسماء بنت عميس: ما وجعه إلا ذات الجنب، فلو لدتموه، ففعلوا. فلما أفاق قال: «لِمَ فعلتم هذا»، قالوا: ظننا أنّ بك ذات الجنب. قال: «لم يكن الله لیسّطها عليّ». ثم قال: «لا تُبقنّ أحداً»^(٤) لدتموه إلا عمي، وكان العباس حاضراً، ففعلوا.

قال أسامة: لما ثقل رسول الله، ﷺ، هبطت أنا ومن معي [إلى المدينة] فدخلنا عليه، وقد صمت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها^(٥) عليّ، فعلمت أنّه يدعولي^(٦).

(١) تاريخ الطبري ١٩١/٣، ١٩٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في المغازي ١٣٧/٥ باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي الجزيّة ٦٦/٤ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. ومسلم في الوصيّة (١٦٣٧) باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه. وانظر الخبر في تاريخ الطبري ١٩٣/٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ١٩٣/٣، ١٩٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «تبقين أحداً إلا».

(٥) في الأصل «يصعبها».

(٦) سيرة ابن هشام ٣٠١/٤، الطبري ١٩٦/٣.

قالت عائشة: وكنت أسمع رسول الله، ﷺ، يقول كثيراً: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يَخِيَرَهُ». قالت: فَلَمَّا احْتَضَرَ كَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: بِلِ «الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١). قالت: قُلْتُ: إِذَا وَاللَّهِ لَا يَخْتَارُنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ تَخِيرٌ.

ولما اشتدَّ مرضه أذنه بلال بالصلاة فقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ». قالت عائشة: فَقُلْتُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَفِيقٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُومُ^(٢) مَقَامَكَ لَا يَطِيقُ ذَلِكَ. فقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَيَصَلِّيَ بِالنَّاسِ». فَقُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: «إِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ». فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، خَفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ تَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ قُمْ مَقَامَكَ، فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَصَلِّيَ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ جَالِسًا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ، وَالنَّاسُ يَصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ^(٣).

وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً، وَقِيلَ: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٤).

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ إِلَى النَّاسِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَكَادَ النَّاسُ يَفْتَنُونَ^(٥) فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَرَحًا لَمَّا رَأَى مِنْ هَيْبَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ رَجَعَ وَانصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ أَفَاقَ مِنْ وَجَعِهِ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالسُّنْحِ.

(١) أنظر: صحيح البخاري ١٣٨/٥، ١٣٩ في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي الرقائق ١٩٢/٧ باب سكرات الموت، وفي الدعوات ١٥٥/٧ باب دعاء النبي ﷺ اللهم الرفيق الأعلى، ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقية المريض، وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، ومالك في الموطأ (١٥٩) رقم (٥٦٥) في جامع الجنائز، وأحمد في المسند ٤٥/٦ و ٤٨ و ٧٤ و ٨٩ و ١٠٨ و ١٢٠ و ١٢٦ و ٢٠٠ و ٢٣١ و ٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٠، والطبري في التاريخ ٣/١٩٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «يقيم».

(٣) أنظر الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري في الأذان ١/١٦٨، ١٦٩ باب إنما جعل الإمام ليؤتم به وصلى النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه بالناس وهو جالس. ومسلم في الصلاة (٤١٨) باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما. والنسائي في الإمامة ٢/٨٤ باب الإئتمام بمن يأتى بالإمام، والدارمي في الصلاة باب ٤٤، وأحمد في المسند ٥٢/٢ و ٢٥١/٦، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٨، وابن هشام في السيرة ٤/٢٥٩، والطبري في التاريخ ٣/١٩٧، والنويري في نهاية الأرب ١٨/٣٦٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٩٧.

(٥) في النسخة (ب): «يونسون».

قالت عائشة: رأيتُ رسول الله ﷺ، وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، يُدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»^(١). قال: ثم دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه (نظراً عرف أنه يريد به)، فأخذته فليته، ثم ناولته إياه، فاستن به ثم وضعه، ثم ثقل في حجره، قالت: فذهبت أنظر في وجهه، وإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى»، فقُبض^(٢).

قالت: توفي وهو بين سحري ونحري، فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ، قبض في حجره، فوضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي^(٣).

ولما اشتد برسول الله ﷺ، وجعه، ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: «واكرباه! فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا أبتى! فيقول رسول الله ﷺ: «لا كرب على أبيك بعد اليوم»^(٤)، فلما رأى شدة جزعها استندناها وسارها، فبكت، ثم سارها الثانية فضحكت، فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عائشة عن ذلك، قالت: أخبرني أنه ميت فبكت، ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقاً^(٥) به، فضحكت.

وروي عنها أنها قالت: ثم سارني الثانية، وأخبرني أنني سيّدة نساء أهل الجنة، فضحكت.

وكان موته يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودُفن من الغد نصف النهار، وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول^(٦).

ولما توفي كان أبو بكر بمنزله بالسُّنح، وعمر حاضر، فلما توفي قام عمر فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ، توفي، وإنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي

(١) رواه ابن ماجة في الجنائز (١٦٢٣) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، والترمذي في الجنائز (٩٨٥) باب ما جاء في التشديد عند الموت، وأحمد في المسند ٦٤/٦ و ٧٠ و ٧٧ و ١٥١، والطبري في تاريخه ١٩٧/٣ و ١٩٨.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤، وتاريخ الطبري ١٩٨/٣، ١٩٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢، وصحيح البخاري ١٤١/٥، ١٤٢، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٣) سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤، ٣٠٦، تاريخ الطبري ١٩٩/٣، المسند للإمام أحمد ٢٧٤/٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٤) في النسخة (ب): «الموت».

(٥) في الطبعة الأوربية «لحوقاً».

(٦) الطبري ٢٠٠/٣، وعند ابن سعد في الطبقات ٣٧٢/٢ «لليتين خلتا من ربيع الأول»، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٨.

رجالٍ وأرجلهم زعموا أنه مات^(١).

وأقبل أبو بكر وعمر يكلّم الناس، فدخل على رسول الله، ﷺ، وهو مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال: بأبي أنت وأمي، طُبِتَ^(٢) حياً وميتاً، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَهَا. ثم ردّ الثوب على وجهه ثم خرج، وعمر يكلّم الناس، فأمره بالسكوت فأبى، فأقبل أبو بكر على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس مَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، وَمَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣). قال: فوالله لكانّ الناس ما سمعوها إلّا منه. قال عمر: فوالله ما هو إلّا إذ سمعناها فَعَقَرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ ما تحملني رجلاي، وقد علمت أنّ رسول الله، ﷺ، قد مات^(٤).

ولما تُوفي رسول الله، ﷺ، ووصل خبره إلى مكة، وعامله عليها عتاب بن أسيد ابن أبي العاص بن أمية، استخفى عتاب وارتجّت مكة، وكاد أهلها يرتدون، فقام سهيل ابن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال يا أهل مكة لا تكونوا آخر مَنْ أسلم وأول من ارتدّ، والله لئيمَنَ الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله، ﷺ، فلقد رأيته قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي لا إله إلّا الله تَدِنُ لَكُمْ الْعَرَبُ، وتؤدّ^(٥) إليكم العجم الجزية، والله لتنفقن كنوز كسرى وقبصر في سبيل الله، فمن بين مستهزئ ومصدق فكان ما رأيتم، والله ليكوننّ الباقي. فامتنع الناس من الردّة. وهذا المقام الذي قاله رسول الله، ﷺ، لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب، وقد ذكر هناك.

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤، تاريخ الطبري ٣٠٠/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «طَبِتَ».

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٤٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٣٠٧/٤، تاريخ الطبري ٣٠٠/٣، ٢٠١، الطبقات الكبرى ٢٦٨/٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «تدين لكم العرب وتؤدي».

حديث السقيفة وخلافة أبي بكر، رضي الله عنه وأرضاه^(١)

لما توفي رسول الله، ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليلابعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر، وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر، وأبو عبيدة أمين^(٢) هذه الأمة. فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا النَّبِيُّ، ﷺ؟ فبايعه عمر وبايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. قال: وتخلف علي، وبنو هاشم، والزبير، وطلحة عن البيعة. وقال الزبير: لا اغمد سيفاً حتى يُبايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر^(٣) فأخذهم للبيعة^(٤).

وقيل: لما سمع عليّ بيعة أبي بكر خرج في قميصٍ ما عليه إزار ولا رداء عجلأ حتى بايعه، ثم استدعى إزاره ورداءه فتجلله^(٥).

والصحيح: أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر^(٦)، والله أعلم.

وقيل: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان عليّ والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حيٍّ من قريش؟ ثم قال لعليّ: أبسط

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٨/٤، تاريخ يعقوبي ١٢٣/٢، الطبقات الكبرى ٢٦٩/٢، تاريخ الطبري ٢٠٣/٣، أنساب الأشراف ٥٧٩/١، مروج الذهب ٣٠٧/٢، المعارف ١٧٠، سيرة ابن كثير ٤٨٦/٤، البداية والنهاية ٢٤٥/٥، المغازي للزهري ١٣٩.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمير».

(٣) في الطبعة الأوربية «عمر قال».

(٤) تاريخ الطبري ٢٠٣/٣.

(٥) الطبري ٢٠٧/٣.

(٦) الطبري ٢٠٨/٣.

يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً. فأبى عليّ، عليه السلام، فتمثل بشعر المتملّس^(١):

ولن يُقيم على خُسف يراؤ به إلا الأذلّان غير الحيّ والوَتْدُ
هذا على الخُسف معكوس^(٢) برُمته^(٣) وذا يُشجّ فلا يبكي^(٤) له أحدُ

فزجره عليّ وقال: والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً! لا حاجة لنا في نصيحتك^(٥).

وقال ابن عباس: كنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف القرآن، فحجّ عمر وحجّنا معه، فقال لي عبد الرحمن: شهدت أمير المؤمنين اليوم بمنى، وقال له رجل: سمعتُ فلاناً يقول: لو مات عمر لباعيت فلاناً، فقال عمر: إني لقائم العشيّة في الناس أحذرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم^(٦). قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رِعاة الناس وغوغاءهم، وهم الذين يغلبون على مجلسك، وأخاف أن تقول مقالة لا يعوها ولا يحفظوها ويطيروا بها، ولكن أمهل حتى تقدّم المدينة، وتخلّص بأصحاب رسول الله، ﷺ، فتقول ما قلت^(٧) فيعوا مقالتك. فقال: والله لأقومنّ بها أول مقام أقومه بالمدينة.

قال: فلمّا قَدِمَتُ المدينة هَجَرْتُ يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن، فلمّا جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثم قال بعد أن ذكر الرّجُم وما نُسخ من القرآن فيه: إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً، فلا يغرّنّ أمراً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فتنة، فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها، وليس منكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنّه كان خيرنا حين توفي رسول الله، ﷺ، وإنّ عليّاً والزبير ومنّ معهما تخلّفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلّف عنا الأنصار واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلتُ له: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نحوهم، فلقينا رجلاً صالحيان من الأنصار، أحدهما عُويّم بن ساعدة، والثاني معن بن عديّ، فقالا

(١) أنظر ديوانه بتحقيق حسن كامل الصيرفي، مع التخرّيج ص ٢٠٨ - ٢١١ طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

(٢) في النسخة (ب) «مربوط».

(٣) الرُّمّة: الجبل، والمعنى: شدّ عتق الدابة إلى إحدى يديها.

(٤) في حاشية النسخة (ب): «يرثي».

(٥) الطبري ٢٠٩/٣.

(٦) في النسخة (ب) «حقهم».

(٧) في النسخة (ب) «فعلت».

لنا: ارجعوا اقصوا أمركم بينكم. قال: فأتينا الأنصار وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وبين أظهرهم رجل مزمل، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة وجع، فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا^(١)، وقد دَفَّتْ إلينا دَافَةٌ^(٢) من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغضبونا الأمر. فلما سكت، وكنتُ قد زَوَّرتُ في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر، فلما أردتُ أن أتكلّم قال أبو بكر: على رِسْلِكَ! فقام فحمد الله، وما ترك شيئاً كنتُ زَوَّرتُ^(٣) في نفسي إلا جاء به أو بأحسن منه، وقال: يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهل، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، هم أوسط العرب داراً ونسباً، وقد رَضِيتُ لكم أحد هذين الرجلين. وأخذ بيدي وبيد أبي عُبَيْدة بن الجراح، وإني والله ما كرهتُ من كلامه كلمةً غيرها، إن كنتُ أَقْدُمُ فَتُضْرَبُ عنقي فيما لا يقربني إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أوْمُرَ على قومٍ فيهم أبو بكر.

فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال: أنا جُذَيْلُهَا المَحْكُوكُ^(٤) وَعُذَيْقُهَا المَرْجَبُ^(٥)، منّا أمير ومنكم أمير. وارتفعت الأصوات واللّغط، فلما خفت الاختلاف قلتُ لأبي بكر: ابسط يدك أبياعك؛ فبسط يده فبايعته وبايعه الناس، ثُمَّ نَزَوْنَا^(٦) على سعد بن عبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعداً. فقلت: قتل الله سعداً^(٧)، وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر، خشيتُ إن فارقتُ القوم ولم تكن بيعة، أن يُحْدِثُوا بعدنا بيعة، فإمّا أن نتابعهم على ما لا نرضى به، وإمّا أن نخالفهم فيكون فساداً^(٨).

وقال أبو عَمْرٍة الأنصاريّ: لما قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عبادة ليؤلّوه الأمر، وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً، ﷺ، لبث في

(١) هكذا في الأصول، والمطبوع، وفي تاريخ الطبري «بيننا».

(٢) الدافّة: القوم يسرون جماعة سيراً ليس بالشديد.

(٣) زَوَّرَ في نفسه: هيأ وأعدّ.

(٤) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه، فيضرب به المثل في الرجل يُشْتَقَى برأيه.

(٥) المُدْبِق: تصغير عذق، وهو النخلة نفسها. والمرجّب: الذي تُبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزّه على أهله، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظّمه قومه.

(٦) نَزَوْنَا: وثبنا عليه ووطئناه.

(٧) الخبر حتى هنا في سيرة ابن هشام ٣٠٨/٤ - ٣١١ برواية عبد الله بن أبي بكر، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس.

(٨) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢٠٣/٣ - ٢٠٦ وانظر نحوه في أنساب الأشراف ١/٥٨١، ٥٨٢.

قومه بضع عشرة سنة يدعوهم، فما آمن به إلا القليل، ما كانوا يقدرون على منعه، ولا على إعزاز دينه، ولا على دفع ضيم، حتى [إذا] أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً، فدانت لرسوله بأسيا فكم العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ قرير العين. استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونهم.

فأجابوه بأجمعهم: أن قد وُفِّت وأصبت الرأي، ونحن نوليكَ هذا الأمر، فإنك مَنقُوعٌ وِرْضاً للمؤمنين. ثم إنهم تراءوا الكلام فقالوا: وإن أبي^(١) المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه! فقالت طائفة منهم: فلنا نقول منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً. فقال سعد: هذا أول الوهن.

وسمع عمر الخير فأتى منزل النبي ﷺ، وأبو بكر فيه، فأرسل إليه أن اخرج إلي. فأرسل إليه: إني مشغول. فقال عمر: قد حدث أمر لا بد لك من حضوره. فخرج إليه، فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة. قال عمر: فأتيناهم وقد كنت زورتُ كلاماً أقوله لهم، فلما دنوتُ أقول أسكتني أبو بكر، وتكلم بكل ما أردتُ أن أقول، فحمد الله وقال: إن الله قد بعث فينا رسولاً شهيداً على أمته ليعبدوه ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم [لهم] وتكذيبهم إياهم^(٢)، وكل الناس لهم خالف زار^(٣) عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشنف^(٤) الناس لهم، فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار، من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون^(٥) بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.

فقام حُباب بن المنذر بن الجَموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم،

(١) في الطبعة الأوربية «أبوا».

(٢) في الطبعة الأوربية «إياه».

(٣) في الطبعة الأوربية «زار».

(٤) الشنف: البغض والتنكر.

(٥) عند الطبري «تفتانون»..

فإنَّ النَّاسَ فِي ظِلِّكُمْ، وَلَنْ يَجْتَرِءَ مَجْتَرِءٌ عَلَى خِلَافِكُمْ، وَلَا يَصْدُرُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِكُمْ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ وَأَوْلُوا الْعِدَّةَ وَالْمَنْعَةَ وَذَوُو الْبَأْسِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ مَا تَصْنَعُونَ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيَفْسِدَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ، أَبَى هَؤُلَاءِ إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ، فَمِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان [في قرن]! والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيّنا^(١) من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تتولّى أمرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته!.

فقال الحُباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان النَّاسُ لهذا الدّين، أنا جُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُدَيْقُهَا الْمَرْجَبُ! (أنا أبو شبل في عرينة الأسد)^(٢)، والله لئن شئتُم لنعيدنّها جذعة^(٣).

فقال عمر: إذا ليقتلك الله! فقال: بل إني أقتلك.

فقال أبو عُبَيْدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر، فلا تكونوا أول من بدّل وغيراً فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في الدّين، ما أردنا به إلّا رضى ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكذب لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على النَّاسِ بذلك، ولا نبتغي به الدنيا، إلّا إنَّ مُحَمَّدًا، ﷺ، من قريش وقومه أولى به، وإيمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتّقوا الله ولا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عُبَيْدة، فإن شئتُم فبايعوا. فقالوا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله، ﷺ، في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، أبسط يدك نبايعك. فلما ذهبوا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: عَقَّتْكَ عَقَاقِي^(٤)! أَنْفُسْتُ^(٥) على ابن عمّك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكنني كرهت أن أنازع القوم حقهم.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم

(١) في تاريخ الطبري ٣/٢٢٠ «نبيّها».

(٢) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «لنعيدّها جذعة».

(٤) في الطبعة الأوربية «عققت عقاقاً».

(٥) في النسخة (ب): «أثبت».

لبعض، وفيهم أسيد بن حُصير، وكان نقيباً: والله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب^(١).

ثم تحوّل سعد بن عبادة إلى داره فبقي أياماً، وأرسل إليه ليبايع، فإنّ الناس قد بايعوا، فقال: لا والله حتّى أرميكم بما في كِنَانَتِي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنس ما بايعتكم، حتّى أعرّض على ربّي. فقال عمر: لا تدعّه حتّى يبايع. فقال بشير بن سعد: إنّهُ قد لجّ وأبى، ولا يبايعكم حتّى يُقتل، وليس بمقتول حتّى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضرّكم تركه، وإنّما هو رجل واحد. فتركوه^(٢).

وجاءت أسلم فبايعت، فقوي أبو بكر بهم، وبايع الناس بعد. قيل إنّ عمرو بن حُرَيْث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله، ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة.

قال الزّهرّي: بقي عليّ وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتّى ماتت فاطمة، رضي الله عنها، فبايعوه.

فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه^(٣) الناس بيعة عامّة، ثمّ تكلم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فاعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى آخذ له حقّه، والقويّ ضعيف عندي حتّى آخذ منه الحقّ، إن شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنّه لا يدعه قوم إلّا ضربهم الله بالذلّ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله^(٤).

(أسيد بن حُصير: بضمّ الهمزة، وبالحاء المهملة المضمومة، وبالضاد المعجمة، وآخره راء).

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢١٨/٣ - ٢٢٢.

(٢) الطبري ٢٢٢/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «وبايعوه».

(٤) سيرة ابن هشام ٣١٢/٤، البداية والنهاية ٣٠١/٦.

ذكر تجهيز النبي، ﷺ، ودفنه^(١)

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله، ﷺ، ودفن يوم الثلاثاء^(٢).

وقيل: بقي ثلاثة أيام لم يُدفن^(٣)، والأول أصح.

وكان الذي يلي غسله: علي، والعبّاس، والفضل، وقثم ابنا العبّاس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله، ﷺ، وحضرهم أوس بن خوليّ الأنصاري، وكان بذرياً، وكان العبّاس وابناه يقلّبونه، وأسامة وشقران يصبّان^(٤) الماء، وعليّ يغسله وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً! ولم يرَ من رسول الله، ﷺ، ما يرى من ميت^(٥).

واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجرداً، فالقَى الله عليهم النوم، ثم كلّمهم مكلم لا يُدرى مَنْ هو أن غسّلوا رسول الله، ﷺ، وعليه ثيابه، ففعلوا ذلك^(٦).

وكفّن رسول الله، ﷺ، في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحاريّين، وبُرد حَبَرَة أُدرج فيها إدراجاً^(٧).

واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر: سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقول: «ما قبض نبيّ إلّا دُفن حيث قبض»^(٨)، فرفع فراشه ودفن موضعه، وحفر له أبو طلحة الأنصاري

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ وما بعدها، سيرة ابن هشام ٤/٣١٣، تاريخ الطبري ٣/٢١١، نهاية الأرب ١٨/٣٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٠، عيون الأثر ٢/٣٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٢١٥، الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ عن الواقدي، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ. تاريخ الطبري ٣/٢١١ وعن دفنه ﷺ يوم الثلاثاء أخرج البخاري في المناقب ٤/١٦٤ و١٦٥ باب صفة النبي ﷺ. وفي المغازي ٥/١٤٤ باب وفاة النبي ﷺ، ومسلم في الفضائل (٢٣٤٧) باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه. وانظر تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(٣) الطبري ٣/٢١١.

(٤) في الطبعة الأوربية «يصبّون»، وكذلك في الطبقات لابن سعد ٢/٢٧٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، تاريخ الطبري ٣/٢١١، ابن سعد ٢/٢٨١.

(٦) أنظر ما رواه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في ستر الميت عند غسله، وسيرة ابن هشام ٤/٣١٣، ومسند أحمد ١/٢٦٧، وتاريخ الطبري ٣/٢١٢، وأنساب الأشراف ١/٥٦٩، والطبقات الكبرى ٢/٢٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤.

(٧) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٣/٢٨٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨.

(٨) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٢/٢٩٢، ٢٩٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٣، تاريخ الطبري ٣/٢١٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٠.

لحداً، ودخل النَّاسُ يَصَلُّونَ عليه أرسالاً: الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ثم العبيد، ودُفِنَ ليلة الأربعاء^(١).

وكان الذي نزل قبره عليّ بن أبي طالب، والفضل، وقثم ابنا العباس، وشقران^(٢). وقال أوس بن خوليّ الأنصاريّ لعليّ: أنشدك الله وحظنا من رسول الله، ﷺ، فأمره بالنزول فنزل^(٣).

وكان المغيرة بن شعبة يدّعي أنّه أحدث النَّاسَ عهداً برسول الله، ﷺ، ويقول: ألقيتُ خاتمي في قبره عمداً، فنزلتُ لأخذه^(٤)، وسأل ناس من أهل العراق عليّاً عن ذلك فقال: كذب المغيرة، أحدثنا عهداً به قثم بن العباس^(٥).

واختلفوا في عمره يوم مات، فقال ابن عباس، وعائشة، ومعاوية، وابن المسيّب: كان عمره ثلاثاً وستين سنة^(٦).

وقال ابن عباس أيضاً، ودّعفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستين سنة^(٧).

وقال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة^(٨).

ذكر إنفاذ جيش أسامة بن زيد^(٩)

قد ذكرنا استعمال النبي، ﷺ، أسامة بن زيد على جيش، وأمره بالتوجّه إلى

(١) سيرة ابن هشام ٣١٥/٤، الطبقات لابن سعد ٢٩١/٢، تاريخ الطبري ٢١٣/٣ و ٢١٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٥/٤، الطبقات الكبرى ٣٠٠/٢ وما بعدها، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، تاريخ الطبري ٢١٣/٣، أنساب الأشراف ٥٧٧/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٣) سيرة ابن هشام ٣١٥/٤، الطبقات لابن سعد ٣٠٣/٢ و ٣٠٤، تاريخ الطبري ٢١٤/٣، أنساب الأشراف ٥٧٧/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٤) في الطبقة الأوربية «لأخذه».

(٥) سيرة ابن هشام ٣١٦/٤، الطبقات لابن سعد ٣٠٣/٢ و ٣٠٤، تاريخ الطبري ٢١٤/٣، أنساب الأشراف ٥٧٧/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٦) الطبقات الكبرى ٣٠٩/٢، تاريخ الطبري ٢١٥/٣، أنساب الأشراف ٥٧٩/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و ٥٧٤.

(٧) الطبقات الكبرى ٣١٠/٢، تاريخ الطبري ٢١٦/٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و ٥٧٣، سنن الترمذي، رقم (٣٧٠١)، صحيح مسلم (١٢٢/٢٣٥٣).

(٨) أنظر البخاري في المناقب ١٦٤/٤ و ١٦٥ والمغازي ١٤٤/٥، ومسلم (٢٣٤٧) في الفضائل، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٨/٢، وتاريخ الطبري ٢١٦/٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(٩) تاريخ خليفة ١٠٠، تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، تاريخ الطبري ٢٢٥/٣، البداية والنهاية ٣٠٤/٦.

الشام، وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها، وفيهم عمر بن الخطاب، فتوفي النبي، ﷺ، ولم يسر الجيش، وارتدت العرب إما عامة أو خاصة من كل قبيلة، وظهر النفاق، واشترأت يهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة، لفقد نبئهم، وقتلهم وكثرة عدوهم. فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء، يعنون جيش أسامة، جند المسلمين، والعرب - على ما ترى - قد^(١) انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك. فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تختطفني، لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي، ﷺ. فخطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو، وأن يخرج كل من هو من جيش أسامة إلى معسكره بالجرف، فخرجوا كما أمرهم، وجيش^(٢) أبو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالحي^(٣) حول قبائلهم، وهم قليل^(٤).

فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا، أرسل أسامة عمر بن الخطاب، وكان معه في جيشه، إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس وقال: إن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن علي خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: إن أبا بكر خليفة رسول الله، [فإن أبي] إلا أن نمضي فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولي أمرنا [رجلاً] أقدم سنًا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر، فأخبره بما قال أسامة. فقال: لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله، ﷺ، ولا أرد قضاء قضى به رسول الله، ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته. قال عمر: فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنًا من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً، وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله، ﷺ، وتأمرنى أن أعزله؟.

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم، وهو ماش وأسامه راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن! فقال: والله لا نزلت ولا أركب، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله! فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه.

(١) في الطبعة الأوربية «فقد».

(٢) في النسخة (ب): «حبس».

(٣) في الطبعة الأوربية «مسايح».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، وانظر البداية والنهاية ٦/٣٠٤.

فلَمَّا أراد أن يرجع قال لأسامة: إن رأيت أن تُعيني بعمر فافعل، فإذن له، ثم وصّاهم فقال: لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تُغْلُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً [إلا لمأكلة]، وسوف تمرّون بأقوامٍ قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدّمون عليّ قوم قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفّقوهم بالسيف خفّقاً. اندفعوا باسم الله^(١).

وأوصى أسامة أن يفعل ما أمر به رسول الله، ﷺ. فسار وأوقع بقبائل من ناس قُضاة التي ارتدّت، وغنم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوماً^(٢).
وقيل: سبعين يوماً.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين، فإنّ العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوّة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفّوا عن كثير ممّا كانوا يريدون أن يفعلوه^(٣).

ذِكْرُ أَخْبَارِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ بِالْيَمَنِ^(٤)

واسمه غَيْهَلَةٌ^(٥) بن كعب بن عَوْفِ الْعَنْسِيِّ، بالنُّونِ؛ وَعَنْسٌ: بطن من مَذْجَجٍ، وكان يلقّب ذا الخمار، لأنّه كان معتمداً متخمراً أبداً.

وكان النّبِيّ، ﷺ، قد جمع لباذان^(٦) حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه، وأمره على جميع مخالفه، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات. فلَمَّا مات باذان فرّق رسول الله، ﷺ، أمراءه في اليمن، فاستعمل عمرو بن حَزْمَ على نَجْران، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزَبِيد، وعامر بن شهر على همدان، وعلى صنعاء شهر بن باذان، وعلى عك والأشعرين الطاهر بن أبي هالة، وعلى مأرب أبا موسى، وعلى الجند^(٧) يعلى بن أمية، وكان مُعَاذُ مَعْلَمًا يَتَنَقَّلُ فِي عَمَالَةٍ كُلِّ عَامِلٍ بِالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتِ^(٨).

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢٢٦/٣، ٢٢٧، وبعضه في البداية والنهاية ٣٠٥/٦.

(٢) الطبري ٢٢٧/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «يفعلونه».

(٤) أنظر عنه: تاريخ اليعقوبي ١٣٠/٢، والمعرفة والتاريخ ٢٦٢/٣، وتاريخ خليفة ١١٦ و ١١٧، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ص ٥٣/٢، والبداية والنهاية ٣٠٥/١٦.

(٥) في الأصل «عبهة».

(٦) في تاريخ الطبري «بازام»، وكذا في المعرفة والتاريخ.

(٧) الجند: بالتحريك، من المدن النجدية باليمن الجند من أرض السكاسك، وهي إحدى مخاليف اليمن وأعظمها. (معجم البلدان ١٦٩/٢).

(٨) تاريخ الطبري ٢٢٨/٣.

واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن ليلى الأنصاري، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور، وعلي بن معاوية ابن كندة عبد الله^(١) أو المهاجر، فاشتكى رسول الله، ﷺ، فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر، فمات رسول الله، ﷺ، وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت^(٢).

وكان أول من اعترض الأسود الكاذب: شهر^(٣)، وفيروز، وداؤويه، وكان الأسود العنسي لما عاد رسول الله، ﷺ، من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادعى النبوة، وكان مشعباً يُريهم الأعاجيب، فاتبعته مذحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله، ﷺ، وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حزم، وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة بن مسيك، وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شهر بن باذان فلقبه، فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج معاذ هارباً حتى لحق بأبي موسى وهو بمارب، فلحقا بحضرموت، ولحق بفروة من ثم على إسلامه من مذحج.

واستتب^(٤) للأسود ملك اليمن، ولحق أمراء اليمن إلى الظاهر بن أبي هالة، إلا عمراً وخالداً، فإنهما رجعا إلى المدينة، والظاهر بجبال عك وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين والأحساء، إلى عدن، واستطار أمره كالحرير، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً، سوى الركبان، واستغلظ أمره، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معدى كرب، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز وداؤويه^(٥).

وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً، أو يظهر بها كذاب مثل الأسود، فتزوج معاذ إلى السكون، فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى من باليمن من المسلمين كتب النبي، ﷺ، يأمرهم بقتال الأسود، فقام معاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي، ﷺ، وبر

(١) هو عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٨/٣، ٢٢٩.

(٣) عند الطبري «عمر بن شهز الهمداني».

(٤) في الطبعة الأوربية «وأسب».

(٥) تاريخ الطبري ٢٣٠/٣.

ابن يُحَنَسُ الأزديّ، قال جِشْنَسُ الديلميّ: فجاءتنا كتب النبيّ، ﷺ، يأمرنا بقتاله إمّا مصادمةً أو غيلةً، يعني إليه وإلى فيروز وداؤويه، وأن نكتب مَنْ عنده دين، فعملنا في ذلك، فأرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إنّ قيساً يخاف على دمه، فهو لأوّل دعوة، فدعونا وأبلغناه عن النبيّ، ﷺ، فكأنّما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، وكاتبنا النّاس. فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك، فدعا قيساً فأخبره أنّ شيطانه يأمره بقتله، لميله إلى عدوّه، فحلف قيس: لأنّك أعظم في نفسي من أن أحدث نفسي بذلك. ثمّ أتانا فقال: يا جِشْنَسُ، ويا فيروز، ويا داؤويه، فأخبرنا بقول الأسود. فبينما نحن معه يحدثنا، إذ أرسل إلينا الأسود فتهدّدنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكدّ، وهو مرتاب بنا، ونحن نحذره. فبينما نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شهر، وذي زُود، وذي مُرّان، وذي الكلاع، وذي ظُلَيْم، يبدلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرّم أمرنا. وإنّما احتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ، ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحسن بالهلاك.

قال: فدخلتُ على آزاد، وهي امرأته التي تزوّجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان، فدعوتها إلى ما نحن عليه، وذكرتها قتل زوجها شهر، وإهلاك عشيرتها، وفضيحة النساء. فأجابت وقالت: والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم الله على حقّ ولا ينتهي عن محرّم، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز، وداؤويه، وقيساً. قال: وإذ قد جاء رجل فدعا قيساً إلى الأسود، فدخل في عشرة من مذبح وهمدان، فلم يقدر على قتله معهم وقال له: ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذب؟ إنّه، يعني شيطانه، يقول لي: إلّا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلك وأنت رسول الله، فمرّني بما أحببت أو اقتلني، فموتة أهون من موتات.

فرّق له وتركه، وخرج قيس فمرّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا. فخرج علينا الأسود في جمع، فقمنا له وبالباب مائة، ما بين بقرة وبعير. فنحراها ثمّ خلّأها، ثمّ قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ - وبوّأ له الحربة - لقد هممتُ أن أنحرك. فقال: اخترتُنا لصهرك وفضلتنا، فلو لم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة! فقال له: اقسم هذه، فقسمها، ولحقّ به وهو يسمع سعاية رجل بفيزروز، وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه، ثمّ التفت فإذا فيروز، فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود ورجع فيروز، فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها، فأتيتها فأخبرتها، فقالت: هو متحرّز وليس من القصر شيء إلّا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإنّ ظهره إلى

مكان كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه، فإنكم من دون الحرس، وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازلهم فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجأ رأسي حتى سقطت، وكان شديداً، فصاحت المرأة فأدهشته وقالت: جاءني ابن عمي زائراً ففعلت به هذا؟ فتركني، فأتيت أصحابي فقلت: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر.

فإننا على ذلك حيارى إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعنّ ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأنّ. فقلنا لفيروز: إيتها فثبّت منها. ففعل، فلما أخبرته قال: تنقب على بيوت مبطنة: فدخل فاقطلع البطانة، وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلما أمسينا عملنا في أمرنا، وأعلمنا أشياعنا، وعجلنا عن مراسلة الهمدانين والحميريين، فنقبت البيت ودخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، وأتقينا بفيروز، كان أشدنا، فقلنا: انظر ماذا ترى، فخرج ونحن بينه وبين الحرس. فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً، والمرأة قاعدة، فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان، وتكلّم على لسانه وقال: ما لي ولك يا فيروز! فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله ودقّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره فدقّه، ثم قام ليخرج، فأخذت المرأة بشوّه، وهي ترى أنّه لم يقتله. فقال: قد قتلته وأرحتك منه، وخرج فأخبرنا، فدخلنا معه، فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه! فخدموا^(١)، وقعدنا نأتمر بيننا، فيروز، وداؤونه، وقيس، كيف نخبر أشياعنا، فاجتمعنا على النداء. فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا، ففرح المسلمون والكافرون، ثم نادينا بشعارنا بالأذان فقلت: أشهد أنّ محمداً رسول الله، وأنّ عياله^(٢) كذاب! وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنا أصحابه وحرسه، وشنّوا الغارة، وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا. فناديناهم أهل صنعاء من عنده منهم فأمسكه^(٣)، ففعلوا. فلما خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلاً، فراسلونا وراسلناهم، على أن يتركوا لنا ما في أيديهم، ونترك ما في أيدينا، ففعلنا، ولم يظفروا منا بشيء، وترددوا في ما بين صنعاء ونجران. وتراجع أصحاب النبيّ ﷺ، إلى أعمالهم، وكان يصلي بنا معاذ بن جبل، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ، بخبره، وذلك في حياته.

(١) عند الطبري ٢٣٥/٣ «فخدم».

(٢) في الأصل «عياله».

(٣) عبارة الطبري: «وناديناهم: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلقوا به، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا

به...».

وأناه الخبر من ليلته، وقَدِمَتْ رُسُلُنَا، وقد توفّي رسول الله، ﷺ، فأجابنا أبو بكر. قال ابن عمر: أتى الخبر من السماء إلى النبي، ﷺ، في ليلته التي قُتل فيها، فقال: قُتل العنسي، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: مَنْ قتله؟ قال: قتله فيروز^(١).

قيل: كان أول أمر العنسي إلى آخره ثلاثة أشهر^(٢)، وقيل قريب من أربعة أشهر^(٣)، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول، بعد موت النبي، ﷺ، فكان أول بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة^(٤).

قال فيروز: لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان، وأرسلنا إلى مُعَاذ بن جبل فصلّى بنا، ونحن راجون مؤمّلون، لم يبقَ شيء نكرهه إلّا تلك الخيول من أصحاب الأسود، فأتى موت النبي، ﷺ، فانتقضت الأمور واضطربت الأرض^(٥). (العنسي: بالعين والنون).

وفي هذه السنة ماتت فاطمة^(٦) بنت النبي، ﷺ، لثلاثِ خَلَوْنٍ من رمضان، وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها، وقيل: توفيت بعد النبي، ﷺ، بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر، وغسلها علي، وأسماء بنت عُمَيْس، وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، ودخل قبرها: العباس، وعلي، والفضل بن العباس^(٧).

وفيها توفّي عبد الله بن أبي بكر الصديق^(٨)، وكان أصابه سهم بالطائف وهو مع النبي، ﷺ، رماه به أبو محجّن، ثم انتقض عليه فمات في شوال^(٩).

وفي هذا العام الذي بويع فيه أبو بكر ملك يزُدْجَرْد بلاد فارس^(١٠).

وفيه، أعني سنة إحدى عشرة، اشترى عمر بن الخطّاب مولاه أسلم بمكّة من ناس من الأشعرين^(١١).

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢٣٠/٣ - ٢٣٧ وانظر: المعرفة والتاريخ ٢٦٢/٣، والإصابة لابن حجر ٤٦٧/١، البداية والنهاية ٣٠٨/٦ - ٣١٠، وعيون التواريخ ٤٥١/١، ٤٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢٣٩/٣.

(٣) الطبري ٢٤٠/٣.

(٤) الطبري ٢٤٠/٣.

(٥) الطبري ٢٣٦/٣.

(٦) تاريخ خليفة ٩٦، تاريخ الطبري ٢٤٠/٣، مرآة الجنان ٦١/١، عيون التواريخ ٤٩٨/١.

(٧) تاريخ الطبري ٢٤٠/٣، ٢٤١.

(٨) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٢٤١/٣، البداية والنهاية ٣٣٨/٦.

(٩) الطبري ٢٤١/٣.

(١٠) تاريخ الطبري ٢٤١/٣.

(١١) تاريخ خليفة ١١٧.

ذِكْرُ أَخْبَارِ الرِّدَّةِ

قال عبد الله بن مسعود: لقد قُتِلَ بعد رسول الله، ﷺ، مقاماً كُذِّبَ نَهْلَكَ فِيهِ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَيْنَا بِأَبِي بَكْرٍ، أَجْمَعْنَا عَلَى أَنْ لَا نَقَاتِلَ عَلَى ابْنَةِ مَخَاضٍ وَابْنَةِ لَبُونٍ، وَأَنْ نَأْكُلَ قَرَى عَرَبِيَّةً^(١) وَنَعْبُدَ اللَّهَ حَتَّى يَأْتِنَا الْيَقِينُ، فَعَزَمَ اللَّهُ لِأَبِي بَكْرٍ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا رَضِيَ مِنْهُمْ إِلَّا بِالْخَطَّةِ الْمُخْزِيَةِ^(٢) أَوْ الْحَرْبِ الْمُجْلِيَةِ، فَأَمَّا الْخَطَّةُ الْمُخْزِيَةُ، فَإِنْ يَقْرَؤُوا بِأَنْ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي النَّارِ، وَمَنْ قُتِلَ مِنَّا فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ يَدُودَا قِتْلَانَا، وَنَغْنَمَ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ مَا أَخَذُوا مِنَّا مَرْدُودٌ عَلَيْنَا. وَأَمَّا الْحَرْبُ الْمُجْلِيَةُ، فَإِنْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ.

وَأَمَّا أَخْبَارُ الرِّدَّةِ فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ، ﷺ، وَسَيَّرَ أَبُو بَكْرٍ جَيْشَ أُسَامَةَ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَتَضَرَّعَتِ الْأَرْضُ نَاراً، وَارْتَدَّتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ، عَامَّةٌ أَوْ خَاصَّةٌ، إِلَّا قَرِيشاً وَثَقِيفاً، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُ مُسَيْلِمَةَ، وَطُليحَةَ، وَاجْتَمَعَ عَلَى طُليحَةَ عَوَامٌ طَيِّءٌ وَأَسَدٌ، وَارْتَدَّتْ غُظْفَانُ تَبَعاً لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: نَبِيٌّ مِنَ الْحَلِيفِينَ، يَعْنِي أَسَدًا وَغُظْفَانًا، أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ نَبِيٍّ مِنْ قَرِيشٍ، وَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ وَطُليحَةَ حَيٌّ، فَاتَّبَعَهُ وَتَبِعَتْهُ غُظْفَانُ. وَقَدِمَتْ رُسُلُ النَّبِيِّ، ﷺ، مِنَ الْيَمَامَةِ وَأَسَدٌ وَغَيْرُهُمَا وَقَدْ مَاتَ، فَدَفَعُوا كِتَابَهُمْ لِأَبِي بَكْرٍ، وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ عَنْ مُسَيْلِمَةَ وَطُليحَةَ، فَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى تَجِيءَ رِسَالُ أَمْرَائِكُمْ وَغَيْرِهِمْ بِأَدْهَى مِمَّا وَصَفْتُمْ، فَكَانَ كَذَلِكَ، وَقَدِمَتْ كُتُبُ أَمْرَاءِ النَّبِيِّ، ﷺ، مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَانْتِقَاضِ الْعَرَبِ عَامَّةً أَوْ خَاصَّةً، وَتَسَلَّطَهُمْ^(٣) عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحَارِبَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَحَارِبُهُمْ، بِالرُّسُلِ، فَرَدَّ رُسُلَهُمْ بِأَمْرِهِ، وَأَتْبَعَ رُسُلَهُمْ رِسَالاً، وَانْتَظَرَ بِمَصَادِمَتِهِمْ قُدُومَ أُسَامَةَ، فَكَانَ عُمَالُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى قِضَاعَةٍ وَكَلْبٍ: أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ الْأَصْبَغِ الْكَلْبِيِّ، وَعَلَى الْقَيْنِ: عَمْرُو بْنُ الْحَكَمِ، وَعَلَى سَعْدٍ: هُذَيْمٌ مَعَاوِيَةَ الْوَالِبِيِّ^(٤)، فَارْتَدَّ وَدِيعَةُ الْكَلْبِيِّ فِيمَنْ تَبِعَهُ، وَبَقِيَ أَمْرُ الْقَيْسِ عَلَى دِينِهِ، وَارْتَدَّ زُمَيْلُ بْنُ قُطَيْبَةَ الْقَيْنِيِّ، وَبَقِيَ عَمْرُو، وَارْتَدَّ مَعَاوِيَةُ فِيمَنْ أَتْبَعَهُ مِنْ سَعْدٍ هُذَيْمٌ، فَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَمْرِ الْقَيْسِ، وَهُوَ جَدُّ سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، فَسَارَ بِوَدِيعَةَ إِلَى عَمْرُو، فَأَقَامَ لَزُمَيْلٍ، وَإِلَى مَعَاوِيَةَ الْعُذْرِيِّ، وَتَوَسَّطَتْ خَيْلُ أُسَامَةَ بِيْلَادَ قِضَاعَةٍ، فَشَنَّ الْغَارَةَ فِيهِمْ، فَغَنِمُوا وَعَادُوا سَالِمِينَ^(٥).

(١) فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ «عَرَبِيَّةٌ».

(٢) فِي النُّسَخَتَيْنِ (ب) وَ (ت) «الْحَنْطَةُ» وَ «الْمَجْزِيَّة».

(٣) فِي النُّسخَةِ (ب): «تَبَسَّطَهُمْ»، وَكَذَلِكَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٢٤٣/٣.

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ «مَعَاوِيَةُ بْنُ فُلَانٍ الْوَالِبِيُّ».

(٥) تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٢٤٢/٣، ٢٤٣.

ذكر خبر طليحة الأسدي^(١)

وكان طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله، ﷺ، فوجه إليه النبي، ﷺ، صرار بن الأزور عاملاً على بني أسد، وأمرهم بالقيام على من ارتد، فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه شيئاً، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه. ومات النبي، ﷺ، وهم على ذلك، فكان طليحة يقول: إن جبرائيل يأتيني، وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعقر وجوهكم وتقبح أديباركم شيئاً، اذكروا الله أعفّ قياماً، إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء. فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة، وأقامت طيء على حدود أراضيهم، وأسد بسُميراء، واجتمعت عبس، وثعلبة بن سعد، ومرة بالأبرق من الرَبَذة، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القصة^(٢)، وأمدّهم طليحة بأخيه جبال، فكان عليهم وعلى من معهم من الدّثل، وليث ومذّلع، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه. وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردّهم، فرجع وفدهم، فأخبروهم بقلّة من في المدينة وأطمعوهم فيها.

وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب^(٣) المدينة عليّاً، وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثاً، حتى طرّقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حُسي^(٤)، ليكونوا لهم رداءً، فوافوا ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعواهم، وأرسلوا إلى أبي بكر الخبر، فخرج إلى أهل المسجد على التّواضع، فردّوا العدو وأتبعوهم حتى بلغوا ذا حُسي، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها وفيها الجبال، ثمّ دَهِدوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها، ورجعت بهم إلى المدينة ولم يُضِرْ مسلمٌ.

وظنّ الكفّار بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر، فقدموا عليهم،

-
- (١) أنظر عنه: تاريخ يعقوبي ١٢٩/٢، وتاريخ خليفة ١٠٢، والبداية والنهاية ٣١٤/٦ وما بعدها، وعيون التواريخ ٤٥٦/١، وتاريخ الطبري ٢٤٣/٣ وما بعدها.
- (٢) ذو القصة: بالفتح، وتشديد الصاد: الجصّ الذي تُبيض به المنازل. وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَبَذة. (معجم البلدان ٣٦٦/٤).
- (٣) في الطبعة الأوربية «أنصار». والأنقاب: واحداً النقب: الطريق في الجبل.
- (٤) ذو حُسي: بالضم، والقصر، وإد بارض الشريّة من ديار عبس وغطفان... ولبنى عجلان الحُسا في جوف جبل يُسمّى دفافا (٢٥٨/٢).

وبات أبو بكر يعي الناس، وخرج على تعبئة يمشي، وعلى ميمته النعمان بن مقرن، وعلى مسيرته عبد الله بن مقرن، وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن. فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل رجال، وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذلّ لها المشركون. فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، فحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وازداد المسلمون قوة وثباتاً.

وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس، بهم صفوان، والزبرقان بن بدر، وعدي بن حاتم، وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام، وقيل: كانت غزوته وعوده في أربعين يوماً. فلما قدم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه، ليستريحوا ويريحوا ظهرهم، ثم خرج فيمن كان معه، فناشده المسلمون ليقم، فأبى وقال: لأواسينكم بنفسي. وسار إلى ذي حسيّ وذو القصة حتى نزل بالأبرق، فقاتل من به، فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة^(١) أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر بالأبرق أياماً، وغلب على بني ذبيان وبلادهم، وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم.

ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة وهو بيزاخة^(٢)، وكان رحل من سُميراء^(٣) إليها، فأقام عليها، وعاد أبو بكر إلى المدينة. فلما استراح أسامة وجنده، وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطحاء إن أقام له، وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمُسَيْلِمة، وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام، وعقد لعمر بن العاص وأرسله إلى قضاة، وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني^(٤) وأمره بأهل دِبا^(٥)، وعقد لعرفجة

(١) في طبعة صادر ٣٤٥/٢ «الخطبة»، وفي طبعة أخرى «الخطبة»، وما أثبتته عن تاريخ الطبري.

(٢) بَزَاخَة: بالضم والخاء المعجمة. قال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة بن خويلد الأسدي. (معجم البلدان ٤٠٨/١).

(٣) سُميراء: بفتح أوله وكسر ثانيه، بالمد، وقيل بالضم. منزل بطريق مكة بعد توز مُضْعِداً وقبل الحاجز: قال السكوني: حوله جبال وأكام سود بذلك سُمي سُميراء. (معجم البلدان ٢٥٥/٣).

(٤) في النسخة (ب) «الغفاري».

(٥) دِبا: بفتح أوله والقصر. قال الأصمعي: سوق من أسواق العرب بعمان. (معجم البلدان ٤٣٥/٢).

ابن هرثمة وأمره بمَهْرَة^(١)، وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله. وبعث شُرْحِبِيل بن حَسَنَة في أثر عِكْرِمَة بن أبي جهل وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة. وعقد لمعن^(٢) بن حاجر وأمره ببني سُلَيْم ومن معهم من هوازن، وعقد لسُوَيْد بن مَقْرَن وأمره بتهامة باليمن، وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين، ففصلت الأمراء من ذي القصة ولحق بكل أمير جُنده، وعهد إلى كل أمير، وكتب إلى جميع المرتدين نسخة واحدة^(٣) يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم، وسير الكتب إليهم مع رُسُلِهِ. ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا إلى طليحة ببزاحة أرسل إلى جديلة والغوث من طيء يأمرهم باللاحاق به، فتعجل إليه بعضهم، وأمروا قومهم باللاحاق بهم، فقدموا على طليحة.

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلى طيء، وأتبعه خالدًا، وأمره أن يبدأ بطيء ومنهم يسير إلى بزاحة، ثم يثلث بالبطاح، ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له. وأظهر أبو بكر للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالدًا، يذهب العدو بذلك.

وقدِم عدي على طيء فدعاهم وخوفهم، فأجابوه وقالوا له: استقبل الجيش فأخروه عنا حتى نستخرج من عند طليحة منًا لثلاث يقتلهم. فاستقبل عدي خالدًا وأخبره بالخبر، فتأخر خالد، وأرسلت طيء إلى إخوانهم عند طليحة فلدحوا بهم، فعادت طيء إلى خالد بإسلامهم، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم^(٤).

وأرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة، فلقيا جبال أخو طليحة فقتلاه، فبلغ خبره طليحة، فخرج هو وأخوه سلمة، فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتًا ورجعا.

وأقبل خالد بالناس، فأروا عكاشة وثابتًا قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، وانصرف بهم خالد نحو طيء، فقالت له طيء: نحن نكفيك قيسًا، فإن بني أسد حلفاؤنا. فقال: قاتلوا أي الطائفتين شئتم. فقال عدي بن حاتم: لو نزل هذا على الذين [هم] أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم^(٥) عليه، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم. فقال له

(١) مهرة: بالفتح ثم السكون. قبيلة مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. تُنسب إليهم الإبل المهرية، وباليمن لهم مخلاف. (معجم البلدان ٢٣٤/٥).

(٢) في تاريخ الطبري ٢٤٩/٣ «طريقته».

(٣) أنظر نص الكتاب في تاريخ الطبري ٢٥٠/٣.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢٤٣/٣ - ٢٥٤.

(٥) في الطبعة الأوروبية «لجاهدتم».

خالد: إِنَّ جِهَادَ الْفَرِيقَيْنِ جِهَادٌ، لَا تَخَالَفَ رَأْيَ أَصْحَابِكَ، وَامْضِ بِهِمْ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ لِقَتَالِهِمْ أَنْشَطُ؛ ثُمَّ تَعَبَى لِقَتَالَهُمْ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى التَّقِيَا عَلَى بُزَاخَةٍ، وَبَنُو عَامِرٍ قَرِيباً يَتَرَبَّصُونَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ، قَالَ: فَاقْتَتَلَ النَّاسُ عَلَى بُزَاخَةٍ^(١).

وكان عُيَيْنَةُ بن حصن مع طُليحة في سبعمائةٍ من بني فَزَارة، فقاتلوا قتالاً شديداً، وطُليحة متلففٌ في كسائه يتنبأ لهم، فلما اشتدت الحرب كَرَّ عُيَيْنَةُ على طُليحة وقال له: هل جاءك جبرائيل بعد؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثُمَّ كَرَّ على طُليحة فقال له: لا أبا لك! أجاك جبرائيل؟ قال: لا. فقال عُيَيْنَةُ: حتى متى؟ قد والله بلغ منا! ثُمَّ رجع فقاتل قتالاً شديداً، ثُمَّ كَرَّ على طُليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إِنَّ لك رَحاً كَرَحاه، وحديثاً لا تنساه. فقال عُيَيْنَةُ: قد علم الله أَنَّهُ سيكون حديث لا تنساه، انصرفوا يا بني فَزَارة فإنه كَذَابٌ، فانصرفوا وانهزم النَّاسُ.

وكان طُليحة قد أعدَّ فرسه وراحلته لامرأته النُّوار، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته، ثُمَّ نجا وقال: يا معشر فَزَارة مَنْ استطاع أَنْ يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل. ثُمَّ انهزم فليحق بالشام^(٢)، ثُمَّ نزل على كلب فأسلم حين بلغه أَنَّ أسداً وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر.

وكان خرج معتمراً [في إمارة أبي بكر] ومراً بجَنَبَاتِ المدينة، فقبل لأبي بكر: هذا طُليحة! فقال: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثُمَّ أتى عمرَ فبايعه حين استُخلف. فقال له: أنت قاتل عُكاشة وثابت؟ والله لا أحبك أبداً! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهَمُّك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يَهْنِ بأيديهما! فبايعه عمر وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان [بالكبر]. ثُمَّ رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق^(٣).

ولما انهزم النَّاسُ عن طُليحة أُسر عُيَيْنَةُ بن حصن، فقدم به على أبي بكر، فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنت بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه^(٤).

وأخذ من أصحاب طُليحة رجل كان عالماً به، فسأله خالد عما كان يقول، فقال:

(١) تاريخ الطبري ٢٥٤/٣ و ٢٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢٥٦/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢٦١/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢٦٠/٣.

إِنَّ^(١) مِمَّا أَتَى بِهِ: وَالْحَمَامَ وَالِيَمَامَ، وَالصُّرَدَ الصَّوَامَ، قَدْ ضَمَنْ^(٢) قَبْلَكُمْ بِأَعْوَامَ، لِيُبْلَغَنَّ مُلْكُنَا الْعِرَاقَ وَالشَّامَ^(٣).

قال: ولم يؤخذ منهم سبيٌّ لأنَّهم كانوا قد أحرزوا حريمهم، فلمَّا انهزموا أقروا بالإسلام خشيةً على عيالاتهم، فأمنهم.

(جبال: بكسر الحاء المهملة، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف لام. وذو القصَّة: بفتح القاف، والصاد المهملة. وذو حُسيٍّ: بضمَّ الحاء المهملة، والسين المهملة المفتوحة. ودَبَا: بفتح الدال المهملة، والباء الموحدة. وبُزَاخَة: بضمَّ الباء الموحدة، وبالزاي، والحاء المعجمة).

ذِكْرُ رِدَّةِ بَنِي عَامِرٍ وَهَوَازِنَ وَسُلَيْمٍ

وكانت بنو عامر تُقدِّم إلى الرِّدَّةِ رِجَالًا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى، وَتَنْظُرُ مَا تَصْنَعُ أَسَدٌ وَغُظْفَانٌ. فَلَمَّا أُحِيطَ بِهِمْ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ كَانَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي كَعْبٍ وَمَنْ لَاقَاهَا، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ فِي كِلَابٍ وَمَنْ لَاقَاهَا، وَكَانَ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِجَقٍ بِالشَّامِ بَعْدَ فَتْحِ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ، أَقْبَلَ مَسْرِعًا حَتَّى عَسَكَرَ فِي بَنِي كَعْبٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً عَلَيْهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَقِيلَ: بَلِّ قَعْقَاعُ بْنُ سُوْرٍ، وَقَالَ لَهُ لِيُغَيِّرَ عَلَى عَلْقَمَةَ لَعَلَّهُ يَقْتُلُهُ أَوْ يَسْتَأْسِرُهُ. فَخَرَجَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ عَلْقَمَةُ، وَكَانَ لَا يَبْرَحُ [إِلَّا] مُسْتَعِدًّا، فَسَابَقَهُمْ عَلَى فَرَسِهِ فَسَبَقَهُمْ، وَأَسْلَمَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَخَذَهُمُ الْقَعْقَاعُ وَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَحَدُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَى حَالِ عَلْقَمَةَ، وَلَمْ يَبْلُغْ أَبَا بَكْرٍ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَارَقُوا دَارَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ: مَا ذَنْبُنَا فِيمَا صَنَعَ عَلْقَمَةُ؟ فَأَرْسَلَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ^(٤).

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزَاخَة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، وأتوا خالدًا فبايعهم على ما بايع أهل بُزَاخَة وأعطوه بأيديهم على الإسلام، وكانت بيعته: «عليكم عهدُ الله وميثاقه لتؤمننَّ بالله ورسوله، ولتقيمنَّ الصلاة، ولتؤتِنَ الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم»، فيقولون: نعم، ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطِيء، وسُلَيْمٍ، وعامر إلَّا أن يأتوه بالذين حرَّقوا ومثلوا وعَدَوْا على

(١) في الطبعة الأوربية «إنما».

(٢) في الطبعة الأوربية «ضمن».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٦٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٦١، ٢٦٢.

الإسلام في حال ردتهم، فأتوه بهم، فمَثَل بهم وحرَّقهم ورضخهم بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار، وأرسل إلى أبي بكر يُعلمه ما فعل، وأرسل إليه قُرَّة بن هُبيرة ونفراً معه موثقين، وزهيراً أيضاً^(١).

وأما أم زمل فاجتمع فلأل غطفان وطيء وسُلَيم وهوازن وغيرها إلى أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وكانت أمها أم قُرَّة بنت ربيعة بن بدر، وكانت أم زمل قد سُبيت أيام أمها أم قُرَّة، وقد تقدّمت الغزوة، فوقعت لعائشة، فأعتقتها ورجعت إلى قومها وارتدت، واجتمع إليها الفلّ، فأمرتهم بالقتال، وكثف جمعُها وعظمت شوكتها. فلما بلغ خالدٌ أمرها سار إليها، فاقتتلوا قتالاً شديداً أوّل يوم، وهي واقفة على جملٍ كان لأمها، وهي في مثل عزّها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها، وقتل حول جملها مائة رجل، وبعث بالفتح إلى أبي بكر^(٢).

وأما خبر الفُجاءة السُلَميّة، واسمه إياس بن عبد ياليل، فإنه جاء إلى أبي بكر فقال له: أعني بالسّلاح أقاتل به أهل الردّة. فأعطاه سلاحاً وأمره إمرةً، فخالف إلى المسلمين، وخرج حتى نزل بالجِواء^(٣)، وبعث نُخبة^(٤) بن أبي الميثاء من بني الشريد، وأمره بالمسلمين، فشَنّ الغارة على كلّ مسلم في سُلَيم، وعامر، وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طُريقفة بن حاجز، فأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الحاسي^(٥) عوناً، فنهضا إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثمّ لقياه على الجِواء فاقتتلوا، وقُتل نُخبة وهرب الفُجاءة، فلحقه طُريقفة فأسره، ثمّ بعث به إلى أبي بكر، فلما قدِم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلى المدينة، ثمّ رُمِيَ به فيه مقموطاً^(٦).

وأما خبر أبي شجرة بن عبد العُزّي السُلَميّ، وهو ابن الخنساء، فإنه كان قد ارتدّ فيمن ارتدّ من سُلَيم، وثبّت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجز، وكان أميراً لأبي بكر. فلما سار خالد إلى طليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسلام من بني سُلَيم، فسار واستخلف على عمله أخاه طُريقفة بن حاجز. فقال أبو شجرة حين ارتدّ:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ مَيِّ^(٧) هَوَاهُ وَأَقْصَرَا
وَطَاوَعَ فِيهَا الْعَاذِلِينَ فَأَبْصَرَا

(١) تاريخ الطبري ٢٦٢/٣، ٢٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢٦٣/٣، ٢٦٤.

(٣) الجِواء: من قَرْقرى من نواحي اليمامة. (معجم البلدان ١٧٤/٢).

(٤) في تاريخ الطبري ٢٦٤/٣ «نُجبة».

(٥) في طبعة صادر ٣٥١/٢ «الحاشي»، وما أثبتناه عن الطبري ٢٦٤/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٢٦٤/٣.

(٧) في الطبعة الأوربية «عَمَن هو».

أَلَا أَيُّهَا الْمُدْلِي بِكَثْرَةِ قَوْمِهِ وَحَظَّكَ مِنْهُمْ أَنْ تُضَامَ وَتُقْهَرَا
سَلِ النَّاسَ عَنَّا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ إِذَا مَا التَّقَيْنَا: دَارِعِينَ وَحُسْرَا
أَلَسْنَا نُعَاطِي ذَا الطَّمَاخِ لَجَامَهُ^(١) وَنَطْعُنُ فِي الْهَيْجَا إِذَا الْمَوْتُ أَقْفَرَا
فَرَوَيْتُ رُمَحِي مِنْ كَتِييَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعَمَّرَا^(٢)

ثم إن أبا شجرة أسلم، فلما كان زمن عمر قديم المدينة فرأى عمر وهو يُقَسِّمُ فِي الْمَسَاكِينِ، فَقَالَ: أَعْطِنِي فَإِنِّي ذُو حَاجَةٍ، فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو شَجَرَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى السُّلَمِيِّ. قَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ [لَا] وَاللَّهِ! أَلَسْتَ الَّذِي تَقُولُ:

فَرَوَيْتُ رُمَحِي مِنْ كَتِييَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعَمَّرَا؟
وَجَعَلَ يعلوه بِالذَّرَّةِ فِي رَأْسِهِ حَتَّى سَبَقَهُ عَدُوًّا إِلَى نَاقَتِهِ، فَرَكِبَهَا وَلِحِقَ بِقَوْمِهِ وَقَالَ:
ضَنَّ عَلَيْنَا^(٣) أَبُو حَفْصٍ بِنَائِلِهِ وَكُلُّ مُخْتَبِطٍ^(٤) يَوْمًا لَهُ وَرَقٌ
فِي آيَاتٍ^(٥).

ذكر قدوم عمرو بن العاص من عُمان

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدْ أَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ^(١) عِنْدَ مَنْصَرِفِهِ مِنْ حَاجَةِ الْوُدَاعِ. فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَوَجَدَ الْمَنْذَرَ بْنَ سَاوِيٍّ فِي الْمَوْتِ. ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ إِلَى بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ فَنَزَلَ بِقُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، وَقُرَّةٌ يَقْدَمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَذَبَحَ لَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ. فَلَمَّا أَرَادَ الرِّحْلَةَ خَلَا بِهِ قُرَّةٌ وَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَطِيبُ لَكُمْ نَفْسًا بِالْإِتَاوَةِ^(٢)، فَإِنْ أَعْفَيْتُمُوهَا مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعُ لَكُمْ وَتَطِيعُ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَا تَجْتَمِعُ عَلَيْكُمْ.
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَكْفَرْتَ يَا قُرَّةُ؟ أَتَخَوَّفُنَا بِالْعَرَبِ؟ فَوَاللَّهِ لَا وَطْئَنَ عَلَيْكَ الْخَيْلُ فِي حِفْشِ أَمْكٍ.

(١) فِي النسخة (ب) «حَمَامَةٌ».

(٢) الْأَبْيَاتُ وَغَيْرُهَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢٦٦/٣.

(٣) فِي الْإِصَابَةِ لِابْنِ حَجَرٍ ١٠١/٤ «ضَنَّ عَنَّا».

(٤) الْمُخْتَبِطُ، مِنَ الْخَبَطِ: ضَرْبٌ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ حَتَّى يُنْحَى عَنْهُ، ثُمَّ يَسْتَخْلَفُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضُرَّ ذَلِكَ بِأَصْلِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا.

(٥) أَنْظَرُهَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢٦٧/٣، وَالْإِصَابَةُ ١٠١/٤.

(٦) هُوَ جَيْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، وَيُقَالُ: بَلِ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ. (تَارِيخُ خُلَيْفَةَ ٢٤٠).

(٧) فِي النسخة (ب): «بِالْإِمَارَةِ».

والحِفْش^(١) : بيت تنفرد فيه النفساء .

وقدِم على المسلمين بالمدينة فأخبرهم ، فأطافوا به يسألونه ، فأخبرهم أَنَّ العساكر مُعَسِّكَةٌ من دَبَا إلى المدينة . ففترَّقوا وتحلَّقوا حلِّقًا ، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو ، فمرَّ على حلقة فيها عليّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد . فلمَّا دنا عمر منهم سكتوا ، فقال : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه . فقال لهم : إنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب ! قالوا : صدقت . قال : فلا تخافوهم ، أنا والله منكم على العرب أخوف منِّي من العرب عليكم ، والله لو تدخلون ، معاشر قريش ، جُحْرًا^(٢) لَدَخَلْتَهُ العرب في آثاركم ، فاتقوا الله فيهم .

ومضى عمر ، فلمَّا قَدِم بُقْرَةَ بن هُبَيْرَةَ على أبي بكر أسيرًا ، استشهد بعمرو على إسلامه ، فأحضر أبو بكر عَمْرًا فسأله ، فأخبره بقول قُرَّة إلى أن وصل إلى ذكر الزكاة فقال قُرَّة : مهلاً يا عمرو ! فقال : كلاً ، والله لأخبرنه بجميعه . فعفا عنه أبو بكر وقَبِلَ إسلامه .

ذكر بني تميم وسَجَاح

وأما بنو تميم ، فإنَّ رسول الله ، ﷺ ، فرَّق فيهم عُمَاله ، فكان الزُّبُرْقَان منهم ، وسهل بن مُنْجَاب ، وقيس بن عاصم ، وصَفْوَان بن صفوان ، وسَبْرَةَ بن عمرو ، ووَكَيْع بن مالك ، ومالك بن نُؤَيْرَةَ . فلمَّا وقع الخبر بموت رسول الله ، ﷺ ، سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو ، وأقام قيس بن عاصم ينظر ما الزُّبُرْقَان صانع ليخالفه ، فقال حين أبْطَأ عليه الزُّبُرْقَان في عمله : وا ويلتاه^(٣) من ابن العُكْلِيَّة ! والله ما أدري ما أصنع ، لئن أنا بعثت بالصدقة إلى أبي بكر وبايعته لِنَحْرَنَ^(٤) ما معه في بني سعد ، فيسودني فيهم ، ولئن نحرتهما^(٥) في بني سعد لياتين أبا بكر فيسودني عنده . فقسَّمها على المقاعس والبطون ، ووافى الزُّبُرْقَان فاتَّبَعَ صفوان بن صفوان بصدقات عَوْف والأبناء ، وهذه بطون من تميم . ثم ندم قيس ، فلمَّا أظْلَه العلاء بن الحضرميَّ أخرج الصدقة فتلَقَّاه بها ، ثم خرج معه وتشاغلَت تميم بعضها ببعض^(٦) .

(١) في الطبعة الأوربية «وأحفاش» .

(٢) في الطبعة الأوربية «حُجْرًا» .

(٣) في تاريخ الطبري ٢٦٨/٣ «واوئلنا» .

(٤) في الطبعة الأوربية «لِنَحْرَنَ» .

(٥) في الطبعة الأوربية «نحزتها» .

(٦) تاريخ الطبري ٢٦٧/٣ ، ٢٦٨ .

وكان ثُمَامَةُ بنُ أَثَالِ الحَنْفِيّ تأتيه أمداد تميم، فلمّا حدث هذا الحدث^(١) أضرب ذلك بُشَامَةَ، وكان مقاتلاً لمسيلمة الكذاب، حتى قَدِمَ عليه عِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ، فبينما النَّاسُ ببلاد تميم مُسلمهم يِزَاءَ مَنْ أَرَادَ الرَّدَّةَ وارتاب، إذ جاءتهم سَجَاحُ بنت الحارث بن سُوَيْدِ ابن عُقْفَانَ التَّمِيمِيَّةَ، قد أقبلت من الجزيرة وأدعت النُّبُوَّةَ، وكان ورهطها في أحوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة، معها الهذيل بن عِمْران في بني تغلب، وكان نصرانيّاً، فترك دينه وتبعها، وعَقَّةُ بن هلال في النمر، وتاد^(٢) بن فلان في إياد، والسُّلَيْل بن قيس في شَيْبَانَ، فأتاهم أمر أعظم ممّا هم فيه لاختلافهم.

وكانت سَجَاحُ تريد غزو أبي بكر، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب المواعدة، فأجابها وردّها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته وقالت: أنا امرأة من بني يربوع، فإن كان مُلْكُكُ فهو لكم. وهرب منها عطاردة بن حاجب، وسادة بني مالك، وحنظلة إلى بني العنبر^(٣)، وكرهوا ما صنع وكيع، وكان قد وادعها، وهرب منها أشباههم من بني يربوع، وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة، واجتمع مالك، وكيع، وسجّاح، فسجّعت لهم سجّاح وقالت: «أعدّوا الرّكّاب، واستعدّوا للنّهاب، ثمّ أغيروا على الرّباب، فليس دونهم حجاب». فساروا إليهم، فلقبهم ضَبَّةً، وعبد مناة، فقتل بينهم قتلى كثيرة، وأسر بعضهم من بعض، ثمّ تصالحوا، وقال قيس بن عاصم شعراً، ظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقه.

ثمّ سارت سَجَاحُ في جنود الجزيرة حتى بلغت النّباج^(٤)، فأغار عليهم أوس بن خُزَيْمَةَ الهُجَيْمِيّ في بني عمرو، فأسر الهذيل وعَقَّةَ، ثمّ اتفقوا على أن يطلق أسرى سجّاح، ولا يطا أرض أوس ومنّ معه.

ثمّ خرجت سَجَاحُ في الجنود وقصدت اليمامة وقالت: «عليكم باليمامة، ودّفّوا دَفِيفَ الحمامة، فإنّها غزوة صرّامة، لا يلحقكم بعدها ملامّة». فقصدت بني حنيفة، فبلغ ذلك مُسيلمة، فخاف إن هو شغل بها أن يغلب ثُمَامَةُ وشُرحبيل بن حَسَنَةَ، والقبائل التي حولهم على حَجَرٍ، وهي اليمامة، فأهدى لها، ثمّ أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فأمتته، فجاءها في أربعين من بني حنيفة، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض، وكان

(١) في الطبعة الأوربية «الحديث».

(٢) في طبعة صادر ٣٥٤/٢ «وزياد»، والصحيح ما أثبتناه، فهو أبو عديّ بن وتاد الإيادي. أنظر تاريخ الطبري ٢٦٩/٣.

(٣) في الأصل «العنز».

(٤) النّباج: بكسر أوله. قال أبو منصور: في بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين (أنظر عنه معجم البلدان ٢٥٥/٥).

لقريش نصفها لو عدلت، وقد ردّ الله عليك النصف الذي ردّت قريش.

وكان ممّا شرع لهم أن من أصاب ولداً واحداً ذكراً لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد، فيطلب الولد حتى يصيب ابناً ثم يمسك^(١).

وقيل: بل تحصّن منها، فقالت له: انزل، فقال لها: أبعدِي أصحابك. ففعلت، وقد ضرب لها قبة وجمرها^(٢) لتذكر بطيب الريح الجماع، واجتمع بها، فقالت له: ما أوحى إليك ربك؟ فقال: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالجبلى، أخرج منها نسمة تسعى، بين صفاق^(٣) وحشى^(٤)؟» قالت: وماذا أيضاً؟ قال: «إن الله خلق النساء أفرجاً، وجعل الرجال لهم أزواجاً، فتولج فيهن [قُعساً]^(٥) إيلجاً، ثم تُخرجها إذا تشاء^(٦) إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً». قالت: أشهد أنك نبي. قال: هل لك أن أتزوجك وأكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. قال:

ألا قومي إلى النيك	فقد هني لك المصجع
فإن شئت ففي البيت	وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت سلقناك	وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلاثيه	وإن شئت به أجمع

قالت^(٧): بل به أجمع فإنه أجمع للشمل. قال: بذلك أوحى إلي^(٨). فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فتبعته وتزوجته. قالوا: هل أصدقك شيئاً؟ قالت: لا. قالوا: فارجعي فاطلبي الصداق؛ فرجعت. فلما رآها أغلق باب الحصن وقال: ما لك؟ قالت: أضدقني. قال: من مؤذّنك؟ قالت: شبت بن رباعي الرياحي، فدعاه وقال له: ناد في أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا جاءكم به محمد: صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة. فانصرفت معها أصحابها، منهم: عطار بن حاجب، وعمر بن الأهم^(٩).

(١) تاريخ الطبري ٢٧١/٣ - ٢٧٣.

(٢) في طبعة صادر ٣٥٥/٢ «خمرها»، والتصحيح عن الطبري ٢٧٣/٣.

(٣) الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

(٤) زاد في الأغاني: «من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحياء ثم إلى ربهم يكون المنتهى».

(٥) إضافة على الأصل من الطبري. وفي الأغاني «الغراميل»، وهو بمعناها.

(٦) في طبعة صادر ٣٥٦/٢ «تشاء».

(٧) في الطبعة الأوربية «قال»، وهو وهم.

(٨) إلى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ١٦٥/١٨، ١٦٦ (طبعة ساسي).

(٩) في الطبعة الأوربية «الأهم».

وَعَيَّلَانِ بْنِ خَرَشَةَ، وَشَبَّثَ بْنِ رَبْعِيٍّ، فَقَالَ عَطَارْدُ بْنُ حَاجِبٍ:

أَمَسْتُ^(١) نَبِيَّتُنَا أَثْنَى نَطُوفٍ^(٢) بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا

وصالحها مُسَيْلِمَةُ عَلَى غَلَاتِ الْيَمَامَةِ، سَنَةَ تَأْخِذِ النَّصَفِ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ مَنْ يَأْخِذُ النَّصَفَ، فَأَخَذَتْ النَّصَفَ وَانْصَرَفَتْ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَخَلَّفَتْ الْهَذِيلَ، وَعَقَّةً، وَزِيَاداً لَأْخِذِ النَّصَفِ الْبَاقِي، فَلَمْ يُفَاجِئْهُمْ إِلَّا دُنُوُ خَالِدٍ إِلَيْهِمْ فَارْفَضُوا.

فَلَمْ تَزَلْ سَجَاحٌ فِي تَغْلِبِ حَتَّى نَقَلَهُمْ مَعَاوِيَةَ عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَجَاءَتْ مَعَهُمْ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَإِسْلَامُهَا^(٣)، وَانْتَقَلَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ بِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ لِمَعَاوِيَةَ، قَبْلَ قُدُومِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ خُرَاسَانَ وَوَلَايَتِهِ الْبَصْرَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا لَمَّا قُتِلَ مُسَيْلِمَةُ سَارَتْ إِلَى أَخْوَالِهَا تَغْلِبَ بِالْجَزِيرَةِ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا بِذِكْرِ.

ذِكْرُ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ

لَمَّا رَجَعَتْ سَجَاحٌ إِلَى الْجَزِيرَةِ ارْعَوَى مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ وَندم وتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ، وَعَرَفَ وَكَيْعَ وَسَمَاعَةَ قُبَيْحَ مَا أَتَى، فَارْجَعَا^(٤) رَجُوعاً حَسَناً وَلَمْ يَتَجَبَّرَا، وَأَخْرَجَا الصَّدَقَاتِ فَاسْتَقْبَلَا بِهَا خَالِداً. وَسَارَ خَالِدٌ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ فَزَارَةِ، وَغَطْفَانَ، وَأَسَدَ، وَطِيَّاءَ، يَرِيدُ الْبُطَاحَ، وَبِهَا مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ قَدْ تَرَدَّدَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَتَخَلَّفَتْ الْأَنْصَارُ عَنْ خَالِدٍ وَقَالُوا: مَا هَذَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ إِلَيْنَا إِنْ نَحْنُ فَرَعْنَا مِنْ بُزَاخَةٍ أَنْ نَقِيمَ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيْنَا. فَقَالَ خَالِدٌ: قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنْ أَمْضِيَ، وَأَنَا الْأَمِيرُ، (وَلَوْ لَمْ يَأْتِ كِتَابُ بِمَا رَأَيْتَهُ فُرْصَةً وَكُنْتُ إِنْ أَعْلَمْتُهُ فَاتَنَنْيَ لَمْ أَعْلَمْهُ)^(٥)، وَكَذَلِكَ لَوْ ابْتَلَيْنَا بِأَمْرِ لَيْسَ فِيهِ مِنْهُ عَهْدٌ لَمْ نَدْعُ أَنْ نَرَى أَفْضَلَ مَا يَحْضُرُنَا ثُمَّ نَعْمَلُ بِهِ، فَأَنَا قَاصِدٌ إِلَى مَالِكٍ وَمَنْ مَعِيَ، وَلَيْسْتُ أَكْرَهُهُمْ. وَمَضَى خَالِدٌ وَنَدِمَتْ الْأَنْصَارُ وَقَالُوا: إِنْ أَصَابَ الْقَوْمُ خَيْراً حُرِّمْتُمُوهُ، وَإِنْ أَصِيبُوا لِيَجْتَنِبْنَكُمْ النَّاسُ. فَلَحَقُوهُ.

ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ الْبُطَاحَ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ قَدْ فَرَّقَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْاجْتِمَاعِ وَقَالَ: يَا بَنِي يَرْبُوعَ، إِنَّا دُعِينَا إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فَأَبْطَأْنَا عَنْهُ فَلَمْ نُفْلَحْ،

(١) فِي الْأَغَانِي «أَصَحَّتْ».

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ «نَطِيفٌ»، وَكَذَلِكَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٣٢٠/٦.

(٣) إِلَى هُنَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٢٧٥/٣.

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ «فَرَجَعَا».

(٥) الْعِبَارَةُ فِي الطَّبَرِيِّ: «وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي لَهُ كِتَابٌ وَلَا أَمْرٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ فُرْصَةً، فَكُنْتُ إِنْ أَعْلَمْتُهُ فَاتَنَنْيَ، لَمْ أَعْلَمْهُ حَتَّى أَنْتَهَظَهَا».

وقد نظرتُ فيه فرأيتُ الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صُنِعَ لهم، ففترّقوا وادخلوا في هذا الأمر. ففترّقوا على ذلك، ولما قَدِمَ خالد البُطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكلّ مَنْ لم يُجب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤدّنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذن القوم فكفّوا عنهم، وإن لم يؤدّنوا فاقتلوا وانهبوا، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم.

قال: فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع، فاختلقت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى: أذفثوا^(١) أسراكم، وهي في لغة كِنانة القتل، فظنّ القوم أنه أراد القتل، ولم يُرد إلاّ الدفء، فقتلوهم، فقتل ضِرارُ بن الأزور مالكا، وسمع خالد الواقعة^(٢)، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوَّج خالد أمّ تميم امرأة مالكا. فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رَهَق، وأكثر عليه في ذلك. فقال: [هيه] يا عمر! تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم^(٣) سيفاً سلّه الله على الكافرين. ووَدَى مالكا، وكتب إلى خالد أن يقدّم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فتزعها وحطّمها وقال له: قتلتُ امرأة مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمَنَّك بأحجارك! وخالد لا يكلمه، يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه، وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب. فخرج خالد وعمر جالس فقال: هلمّ إليّ يا ابن أمّ سَلَمَة. فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه^(٤).

وقيل: إنّ المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلاً، أخذوا السلاح فقالوا: نحن المسلمون. فقال أصحاب مالكا: ونحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح، فوضعوه ثمّ صلّوا^(٥)، وكان يعتذر في قتله أنّه قال: ما إخال صاحبكم إلاّ قال كذا وكذا. فقال له: أوّما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه.

وقدّم مُتَمّم بن نُويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يردّ عليهم سيّتهم،

(١) في الطبعة الأوربية «دافثوا».

(٢) الواقعة: الجَلَبَة والصراخ على الميت ونعيّه.

(٣) في الطبعة الأوربية «لا أشتم».

(٤) تاريخ الطبري ٢٧٦/٣ - ٢٨٠، الأغاني ٢٩٩/١٥ - ٣٠٤.

(٥) إلى هنا الخبر في تاريخ خليفة ١٠٥.

فأمر أبو بكر بردَ السبي، وودى مالكا من بيت المال^(١). ولما قديم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيتُه حولاً حتى أسعدت عيني الزاهية عيني الصحيحة، وما رأيت ناراً قط إلا كدت أنقطع أسفاً عليه، لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. قال: فصّفه لي. قال: كان يركب الفرس الحرّون، ويقود الجمل الثقال، وهو بين المزداتين النضوختين في الليلة القرّة، وعليه شملة فلوت، معتقلاً رمحاً خطلاً، فيسري ليلته، ثم يصبح وكأن وجهه فلقة قمر. قال: أنشدني بعض ما قلت فيه. فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مَنِ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن يَتَصَدَّعَا^(٢)
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(٣)

فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيداً. فقال متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين، لو كان أخي صُرع مصرع أخيك لما بكيتُه. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به.

وفي هذه الواقعة قُتل الوليد، وأبو عبيدة ابنا عُمارة بن الوليد، وهما ابنا أخي خالد، لهما صُحبة.

ذكر مُسَيْلَمَةَ وأهل الإمامة^(٤)

قد ذكرنا فيما تقدّم مجيء مسيلمة إلى النبي، ﷺ. فلما مات النبي، ﷺ، وبعث أبو بكر السرايا إلى المرتدين، أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شُرحبيل بن حَسَنَة، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه، وأقام شُرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر: لا أرينك ولا تراني، لا ترجعن فتوهن الناس، امضِ إلى حُدَيْفَة وعَرْفَجَة فقاتل أهل عُمان ومَهْرَة، ثم تسير أنت وجندك تستبرون^(٥) الناس حتى تلقى مُهاجر بن أبي أمية باليمن

(١) تاريخ خليفة ١٠٥.

(٢) البيت في: عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٧٤/١ وفيه «لن نتصدعا»، وزهر الآداب للحصري ٧٦١/٣، والأغاني ٣٠٩/١٥ و٣١٠، ومجمع الأمثال للميداني ١٣٩/٢، وتاريخ خليفة ١٠٥، والبداية والنهاية ٣٢٢/٦.

(٣) البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة (طبعة أوربا) ٥٤٦، والأغاني ٣٠٨/١٥ و٣٠٩ و٣١٠، وتاريخ خليفة ١٠٦، والكمال في الأدب للمبرد ١١٩٨/٣، والبداية والنهاية ٣٢٢/٦.

(٤) تاريخ خليفة ١٠٧، تاريخ اليعقوبي ١٣٠/٢، تاريخ الطبري ٢٨١/٣، مرآة الجنان ٦٣/١، البداية والنهاية ٣٢٣/٦، عيون التواريخ ٤٥٣/١.

(٥) في تاريخ الطبري ٢٨١/٣ «تستبرئون»، وفي نسخة أخرى «تستبرون».

وَحَضَرَمَوْتُ. فَكُتِبَ إِلَى شَرْحِبِيلَ بِالْمَقَامِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ خَالِدَ، فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ مُسَيْلِمَةَ تَلْحَقْ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تَعِينَهُ عَلَى قَضَاعَةِ.

فَلَمَّا رَجَعَ خَالِدٌ مِنَ الْبُطَاحِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ قَبْلَ^(١) عَذْرِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَوَجَّهَهُ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، وَأَوْعَبَ مَعَهُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَعَلَى الْأَنْصَارِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَعَلَى الْمُهَاجِرِينَ أَبُو حُذَيْفَةَ، وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَقَامَ خَالِدٌ بِالْبُطَاحِ يَنْتَظِرُ وَصُولَ الْبَعْثِ إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ سَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ، وَبَنُو حَنْظَلَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرُونَ، كَانَتْ عَدَّتُهُمْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مَقَاتِلَ، وَعَجَّلَ شَرْحِبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَبَادَرَ خَالِدًا بِقِتَالِ مُسَيْلِمَةَ، فَنُكِبَ، فَلَامَهُ خَالِدٌ، وَأَمَدَّ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا بِسَلِيطٍ، لِيَكُونَ رَدَّءًا لَهُ، لِثَلَاثِ يَوْمَاتٍ مِنْ خَلْفِهِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: لَا أَسْتَعْمِلُ أَهْلَ بَدْرٍ، أَدْعُهُمْ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِهِمْ وَبِالصَّالِحِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْتَصِرُ بِهِمْ. وَكَانَ عَمْرُو بْنُ يَرَى اسْتِعْمَالَهُمْ عَلَى الْجُنْدِ وَغَيْرِهِ.

وَكَانَ مَعَ مُسَيْلِمَةَ نَهَارُ الرَّجَالِ بْنِ عُنْفُوَةَ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَبَعَثَهُ مُعَلِّمًا لِأَهْلِ الْيَمَامَةِ وَلِيُشْغِبَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ، فَكَانَ أَعْظَمَ فِتْنَةً عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ مِنْ مُسَيْلِمَةَ، شَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ قَدْ أَشْرَكَ مَعَهُ، فَصَدَّقُوهُ وَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَكَانَ مُسَيْلِمَةَ يَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ يُؤَدِّنُ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ النَّوَاحَةِ^(٢)، وَالَّذِي يُقِيمُ لَهُ حُجَيْرِ بْنِ عَمِيرٍ^(٣)، فَكَانَ حُجَيْرٌ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةَ: أَفَصَحَّ حُجَيْرٌ، فَلَيْسَ فِي الْمَجْمُوعَةِ خَيْرٌ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا.

وَكَانَ مِمَّا جَاءَ بِهِ وَذَكَرَ أَنَّهُ وَحْيٌ: يَا ضَفْدَعُ بِنْتُ ضَفْدَعٍ، نُقِّي مَا تَنْقِينَ، أَعْلَاكَ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلَكَ فِي الطِّينِ، لَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ، وَلَا الْمَاءَ تَكْذَرِينَ. وَقَالَ أَيْضًا: وَالْمُبْدِيَاتِ^(٤) زَرْعًا، وَالْحَاصِدَاتِ حَصْدًا، وَالذَّارِيَاتِ قَمْحًا، وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالْخَابِزَاتِ خُبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا^(٥)، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا، إِهَالَةً وَسَمْنًا؛ لَقَدْ فَضَّلْتُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَبَرِ، وَمَا سَبَقَكُمْ أَهْلُ الْمَدَرِ؛ رِيْقَكُمْ فَاْمْنَعُوهُ، وَالْمُعْيِي فَآوَوْهُ^(٦)، وَالْبَاغِي فَنَاقُوهُ^(٧) وَأَتَتْهُ

(١) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيَّةِ «فَقَبْلَ».

(٢) فِي طَبْعَةِ صَادِرِ ٣٦١/٢ «النَّوَاحَةِ».

(٣) فِي إِحْدَى النُّسخِ «عَمْرُو»، وَإِلَى هُنَا يَنْتَهِي الْخَبَرُ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢٨١/٣ - ٢٨٣.

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢٨٤/٣ «الْمُبْدَرَاتِ».

(٥) ثَرْدُ الْخَبْزِ ثَرْدًا: فَتَهُ ثُمَّ بَلَّهَ بِمَرَقٍ.

(٦) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «وَالْمُعْتَرِّ فَآوَوْهُ».

(٧) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيَّةِ «فَنَاقُوهُ».

امراً فقالت: إِنَّ نَخْلَنَا لَسَحِيقٌ^(١)، وَإِنْ أَبَارَنَا لَجُرُزٌ^(٢)، فادْعُ اللهَ لِمَائِنَا وَنَخْلَنَا، كما وعد محمد، ﷺ، لِأَهْلِ هَـزْمَانَ. فسألَ نَهَاراً عن ذلك، فذكر أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ، دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجّه في الآبار، ففاضت ماء، وانجبت كلَّ نخلة وأطلعت فسيلاً قصيراً مكّماً، ففعل مسيلمة ذلك، فغار ماء الآبار وبس النخل، وإنّما ظهر ذلك بعد مهلكه^(٣).

وقال لها نهار: أَمْرِيْكَ عَلَى أَوْلَادِ بَنِي حَنِيفَةَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ، ففعل وأمر يده على رؤوسهم وحَنَكُهم، ففرع كلَّ صَبِيٍّ مسح رأسه، وَلَيَّغَ كلَّ صَبِيٍّ حَنَكه، وإنّما استبان ذلك بعد مهلكه^(٤).

وقيل: جاءه طلحة النمريّ فسأله عن حاله، فأخبره أنّه يأتيه رجل في ظُلمة، فقال: أشهد أنّك الكاذب^(٥)، وأنَّ مُحَمَّدًا صادق، ولكنَّ كَذَابَ رِبِيعَةَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقٍ مُّضِرٍّ. فقتل معه يوم عُقْرَاءَ كَافراً.

ولما بلغ مسيلمة دنوّ خالد ضرب عسكره بعقرباء، وخرج إليه الناس، وخرج مَجَاعَةُ بْنُ مُرارة في سرّية يطلب ثأراً لهم في بني عامر، فأخذه المسلمون وأصحابه، فقتلهم خالد، واستبقاه لشرفه في بني حنيفة، وكانوا ما بين أربعين إلى ستين^(٦).

وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره، فقال شُرَحْبِيلُ بْنُ مَسِيلَمَةَ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ قَاتِلُوا، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْغَيْرةِ، فَإِنْ انْهَزَمْتُمْ تُسْتَرْدَفُ النِّسَاءُ سَبِيَّاتٍ، وَيُنْكَحْنَ غَيْرَ خَطِيَّاتٍ؛ فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وكان قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم، فقتل، فقالوا: تخشى^(٧) علينا من نفسك [شيئاً]! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، وكانت العرب على راياتهم، والتقى الناس، وكان أوّل من لقي المسلمين نهارَ الرِّجَالِ بْنِ عُنْفُوَةَ فقتل، قتله زيد بن الخطاب، واشتدَّ القتال، ولم يلقَ المسلمون حرباً مثلها قطّ، وانهزم المسلمون، وخلص بنو حنيفة إلى مَجَاعَةَ وإلى خالد، فزال خالد عن الفسطاط، ودخلوا إلى مَجَاعَةَ وهو عند امرأة خالد، وكان سلّمه إليها، فأرادوا قتلها،

(١) في الطبعة الأوربية «يستحيق» وفي تاريخ الطبري «لُسْحَق».

(٢) الجُرُز: المجعدة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٨٤، ٦٨٥، معجم البلدان ٨/٤٦٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٨٥.

(٥) عند الطبري ٣/٢٨٦ «كذاب».

(٦) الطبري ٣/٢٨٦، ٢٨٧.

(٧) في الطبعة الأوربية «تخشى».

فنهاهم مَجَاعَة عَنْ قَتْلِهَا وَقَالَ: أَنَا لَهَا جَارٌ، فَتَرَكُوهَا، وَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِالرِّجَالِ، فَقَطَّعُوا الْفَسْطَاطَ. ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَدَاعَوْا، فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ: بِشِّ مَا عَوَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مُعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَهْلَ الْيَمَامَةِ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ^(١).

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا نَحْوُ^(٢) بَعْدَ الرِّجَالِ^(٣)، وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ حَتَّى نَهْزِمَهُمْ، أَوْ أَقْتُلَ فَالْكَلِمَةَ بِحُجَّتِي. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ، وَعَضُّوا عَلَى أَضْرَاسِهِمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ، وَامْضُوا قُدَّامًا.

وَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِالْفَعَالِ. وَحَمَلَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ حَتَّى رَدَّوهُمْ إِلَى أْبَعْدِ مِمَّا كَانُوا، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَتَذَامَرَتْ بَنُو حَنْفِيَّةَ، وَقَاتَلَتْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَانَتْ الْحَرْبُ يَوْمَئِذٍ تَارَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَتَارَةً لِلْكَافِرِينَ، وَقُتِلَ سَالِمٌ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ، وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلِيِ الْبَصَائِرِ. فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ مَا النَّاسُ فِيهِ قَالَ امْتَازُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِنَعْلَمَ بِلَاءَ كُلِّ حَيٍّ، وَلِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نَوْتِي. فَامْتَازُوا، وَكَانَ أَهْلُ الْبَوَادِي قَدْ جَنَّبُوا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَجَنَّبَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. فَلَمَّا امْتَازُوا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: الْيَوْمَ يُسْتَحَى مِنَ الْفِرَارِ، فَمَا رُئِيَ يَوْمَ كَانَ أَعْظَمُ نَكَايَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَمْ يُذَرَّ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ أَعْظَمَ نَكَايَةٍ، غَيْرَ أَنَّ الْقِتْلَ كَانَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْقُرَى أَكْثَرَ مِنْهُ^(٤) فِي أَهْلِ الْبَوَادِي^(٥).

وَبُثِّتَ مُسَيْلِمَةُ، فَدَارَتْ رِحَاهُمْ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ خَالِدٌ أَنَّهَا لَا تَرْكُدُ إِلَّا بِقَتْلِ مُسَيْلِمَةَ، وَلَمْ تَحْفَلْ بَنُو حَنْفِيَّةَ بِمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ. ثُمَّ بَرَزَ خَالِدٌ وَدَعَا إِلَى الْبَرَازِ، وَنَادَى بِشِعَارِهِمْ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ: يَا مُحَمَّدَاهُ! فَلَمْ يَبْرَزْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ. وَدَارَتْ رِحَا الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَا خَالِدٌ مُسَيْلِمَةَ فَأَجَابَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِمَّا يَشْتَهِي مُسَيْلِمَةُ، فَكَانَ إِذَا هَمَّ بِجَوَابِهِ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ لِيَسْتَشِيرَ شَيْطَانَهُ، فَيَنْهَاهُ أَنْ يَقْبَلَ. فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ مَرَّةً، وَرَكِبَهُ خَالِدٌ وَأَرْهَقَهُ، فَأَدْبَرَ وَزَالَ أَصْحَابَهُ، وَصَاحَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ فَرَكِبُوهُمْ، فَكَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ، وَقَالُوا لِمُسَيْلِمَةَ: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَعِدُنَا؟ فَقَالَ: قَاتَلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ. وَنَادَى الْمُحَكَّمُ: يَا بَنِي حَنْفِيَّةَ الْحَدِيقَةَ الْحَدِيقَةَ! فَدَخَلُوهَا وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِمْ بَابَهَا^(٦).

(١) تاريخ الطبري ٢٨٨/٣ - ٢٩٠، تاريخ خليفة ١٠٧.

(٢) في الطبعة الأوربية «لأنحور»، وفي تاريخ الطبري ٢٩٠/٣ «لا تحوز».

(٣) في تاريخ الطبري «الرحال»، وكذلك في تاريخ خليفة ١٠٨.

(٤) في الطبعة الأوربية «منهم».

(٥) تاريخ الطبري ٢٩٣/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٢٩٣/٣، ٢٩٤.

وكان البراء بن مالك، وهو أخو أسد بن مالك، إذا حضر الحرب أخذته رعدة، حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد، فأصابه ذلك، فلما بال وثب وقال: إِيَّيْهَا النَّاسُ، أنا البراء بن مالك! إِيَّيْ! إِيَّيْ! وقاتل قتالاً شديداً، فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فقالوا: لا نفعل. فقال: والله لتطرحنني عليهم بها! فاحتمل حتى أشرف على الجدار، فاقتحمها عليهم، وقاتل على الباب وفتح للمسلمين ودخلوها عليهم، فاقتتلوا أشد قتال، وكثر القتلى في الفريقين لا سيما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قُتل مسيلمة^(١). واشترك في قتله وحشي مولى جُبَيْر بن مُطْعَم، ورجل من الأنصار، أما وحشي فدفع عليه حربته، وضربه الأنصاري بسيفه، قال ابن عمر: فصرخ رجل: قتله العبد الأسود^(٢)، فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمةً، وأخذهم السيف من كل جانب، وأخبر خالد بقتل مسيلمة، فخرج بمِجَاعَة يرسف في الحديد، ليدله على مسيلمة، فجعل يكشف له القتلى حتى مرَّ بمُحَكَّم اليمامة، وكان وسيماً، فقال: هذا صاحبكم؟ فقال مِجَاعَة: لا، هذا والله خير منه وأكرم، هذا مُحَكَّم اليمامة، ثم دخل الحديقة، فإذا رُوَيْجِلٌ أَصْفَرُ أُخْيَسٌ، فقال مِجَاعَة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا الذي فعل بكم ما فعل^(٣).

وكان الذي قتل مُحَكَّم اليمامة: عبد الرحمن بن أبي بكر، رماه بسهم في نحره وهو يخطب، ويحرّض الناس فقتله. وقال مِجَاعَة لخالد: ما جاءك إلا سرعان الناس، وإن الحصون مملوءة، فهلم إلى الصلح على ما ورائي، فصالحه على كل شيء دون النفوس، وقال: أنطلق إليهم فأشاورهم. فانطلق إليهم وليس في الحصون إلا النساء والصبيان^(٤) ومشیخة فانية، ورجال ضعفي، فالبسهم الحديد، وأمر النساء أن ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم. فرجع إلى خالد فقال: قد أبوا أن يُجيزوا ما صنعت، فرأى خالد الحصون مملوءة وقد نهكت المسلمين الحرب وطال اللقاء، وأحبوا أن يرجعوا على الظفر، ولم يدروا ما هو كائن، وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقُتل ثابت بن قيس، قطع رجل من المشركين رجله، فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقُتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها. وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي، وقيل رُبْعُه^(٥).

(١) تاريخ خليفة ١٠٩.

(٢) تاريخ خليفة ١٠٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ خليفة ١١٠.

(٤) حتى هنا في تاريخ خليفة ١١٠.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

فلَمَّا فُتِحَتِ الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمَجَاعَة: ويحك خدعتني! فقال: هم قومي ولم أستطع إلا ما صنعت^(١)

ووصل كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم، وكان قد صالحهم، فوفى لهم ولم يغدر. ولما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله، وكان معهم: ألا هلكت قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حي! ألا واريث وجهك عني؟ فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيتها، وجهدت أن تساق إليّ، فلم أعطها.

* * *

وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن، لما رأى من كثرة مَنْ قُتِلَ من الصحابة، لئلا يذهب القرآن، وسيرد مبيناً سنة ثلاثين. وممن قُتِلَ باليمامة شهيداً من الصحابة: عباد بن بشر الأنصاري، شهد بدرًا وغيرها^(٢).

وقُتِلَ عباد بن الحارث الأنصاري، وكان شهد أحدًا. وقُتِلَ بها عُمير بن أوس بن عتيك الأنصاري، وكان شهد أحدًا^(٣). وفيها قُتِلَ عامر بن ثابت بن سلمة الأنصاري^(٤). وفيها قُتِلَ عمارة بن حزم الأنصاري أخو عمر، وكان بدريًا^(٥). وفيها قُتِلَ عليّ بن عبيد الله بن الحارث من بني عامر بن لؤي، وكان له صُحبة. وقُتِلَ بها عائد بن ماعص الأنصاري، وقيل قُتِلَ يوم بئر معونة. وقُتِلَ فيها فرّوة بن النعمان^(٦)، وقيل ابن الحارث بن النعمان الأنصاري، وكان قد شهد أحدًا وما بعدها.

وفيها قُتِلَ قيس بن الحارث بن عديّ الأنصاري، عمّ البراء بن عازب، وقيل بل قُتِلَ بأحد.

وقُتِلَ بها سعد بن جمّاز^(٧) الأنصاري، وكان قد شهد أحدًا.

(١) الطبري ٢٩٨/٣.

(٢) تاريخ خليفة ١١٣.

(٣) تاريخ خليفة ١١٣.

(٤) تاريخ خليفة ١١٤.

(٥) تاريخ خليفة ١١٥.

(٦) تاريخ خليفة ١١٥.

(٧) في تاريخ خليفة ١١٤ «حمّاز»، وفي الإصابة «حمار»، وقيل «حمان» وقيل «حبان».

وَقُتِلَ بِهَا أَبُو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ بَدْرِيُّ، وَقِيلَ بَلْ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ وَشَهِدَ صَفِّينَ
مَعَ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقُتِلَ بِالْيَمَامَةِ سَلَمَةُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ سِنَانِ الْأَنْصَارِيِّ^(١).

وَقُتِلَ فِيهَا السَّائِبُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ مَظْلُوعِ الْجُمَحِيِّ، وَهُوَ مِنْ مِهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ، وَشَهِدَ
بَدْرًا.

وَقُتِلَ أَيْضًا السَّائِبُ بْنُ الْعَوَّامِ أَخُو الزَّيْبِرِ لِأَبَوَيْهِ^(٢).

وَقُتِلَ بِهَا الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ، شَهِدَ خَيْبَرَ^(٣).

وَقُتِلَ بِهَا زُرَّارَةُ بْنُ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ، لَهُ صَحْبَةٌ.

وَقُتِلَ فِيهَا مَالِكُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَهُوَ بَدْرِيُّ.

وَقُتِلَ مَالِكُ بْنُ أُمَيَّةَ السُّلَمِيِّ، وَهُوَ بَدْرِيُّ.

وَمَالِكُ بْنُ عَوْسٍ^(٤) بَنَ عَتِيكَ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ مَمَّنْ شَهِدَ أُحُدًا.

وَقُتِلَ بِهَا مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ بَنَ الْجَدِّ الْبَلَوِيِّ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ^(٥)، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا
وغيرهما.

وَمَسْعُودُ بْنُ سِنَانَ الْأَسْوَدِ حَلِيفُ بَنِي غَانِمٍ، وَشَهِدَ أُحُدًا.

وَفِيهَا قُتِلَ النَّعْمَانُ بْنُ عَصْرٍ بَنَ الرَّيِّعِ الْبَلَوِيِّ، وَهُوَ بَدْرِيُّ.

(وَقِيلَ هُوَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الصَّادِ، وَقِيلَ بَفَتْحِهَا).

وَفِيهَا قُتِلَ صَفْوَانُ وَمَالِكُ ابْنَا عَمْرِو السُّلَمِيِّ^(٦)، وَهُمَا بَدْرِيَانِ.

وَضِرَارُ بْنُ الْأَزُورِ الْأَسَدِيِّ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ بِأَمْرِ خَالِدٍ.

وَفِيهَا قُتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ^(٧) بَنَ عَدِيٍّ السَّهْمِيِّ، وَقِيلَ قُتِلَ عَبْدِ اللَّهِ
بِالطَّائِفِ هُوَ وَأَخُوهُ السَّائِبُ.

وَفِيهَا قُتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الْعَامِرِيِّ^(٨) عَامِرُ قَيْسٍ، وَشَهِدَ بَدْرًا

وغيرها.

(١) تاريخ خليفة ١١٥.

(٢) تاريخ خليفة ١١٢.

(٣) تاريخ خليفة ١١١.

(٤) في تاريخ خليفة ١١٣ «أوس».

(٥) تاريخ خليفة ١١٤.

(٦) تاريخ خليفة ١١١.

(٧) تاريخ خليفة ١١٣.

(٨) تاريخ خليفة ١١٣.

وفيهما قُتل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول^(١)، وهو بدرّي.
وعبد الله بن عتيك الأنصاري^(٢)، وهو قاتل ابن أبي الحقيق، وهو بدرّي.
وفيهما قُتل شجاع بن أبي وهب^(٣) الأسديّ أسد خزّيمة، شهد بدرًا.
وهُرّيم بن عبد الله المطلبي القرشيّ، وأخوه جُنادة.
والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوميّ^(٤)، ابن عمّ خالد.
وقُتل ورقة بن إياس بن عمرو الأنصاريّ، وهو بدرّي.
وزيد بن أوس حليف بني عبد الدار^(٥)، أسلم يوم الفتح.
وأبو حبة بن غزية^(٦) الأنصاريّ^(٧)، شهد أحدًا.
وأبو عقيل البلويّ حليف الأنصار، وهو بدرّي.
وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ السهميّ، من مهاجرة الحبشة^(٨)، شهد أحدًا.

وزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت^(٩).

(الرّجال بن عُفُوّة: بالراء المفتوحة، وبالجيم المشدّدة، وقيل بالحاء المهملة،
والأوّل أكثر. ومجاعة: بتشديد الجيم. ومحكمّ اليمامة: بالحاء المهملة، والكاف
المشدّدة. وسعد بن جمّاز: بالجيم، والميم المشدّدة، وآخره زاي).

ذكر ردة أهل البحرين^(١٠)

لما قدّم الجارود بن المعلّى العبديّ على النّبيّ، ﷺ، وتفقه رده إلى قومه
عبد القيس، فكان فيهم. فلما مات النّبيّ، ﷺ، وكان المنذر بن ساوي العبديّ مريضاً،

(١) تاريخ خليفة ١١٤.

(٢) تاريخ خليفة ١١٣.

(٣) في تاريخ خليفة ١١١ «شجاع بن وهب».

(٤) تاريخ خليفة ١١٢.

(٥) تاريخ خليفة ١١٢.

(٦) في النسخة (ب): «عرم».

(٧) تاريخ خليفة ١١٥.

(٨) تاريخ خليفة ١١٣.

(٩) تاريخ خليفة ١١٥.

(١٠) تاريخ خليفة ١١٦، تاريخ اليعقوبي ١٣١/٢، تاريخ الطبري ٣٠١/٣، الأغاني ٣٥٥/١٥، البداية والنهاية ٣٢٧/٦.

فمات بعد النبي ﷺ، بقليل. فلما مات المنذر بن ساوي ارتدّ بعده أهل البحرين؛ فأما بكر فتمت على ردتها، وأما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبياً لم يمت. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان الله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمداً ﷺ، قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأسلموا وثبتوا على إسلامهم. وحصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي. واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة، إلا الجارود ومن تبعه وقالوا: نردّ المُلْك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمّى الغرور. فلما أسلم كان يقول: أنا المغرور ولست بالغرور^(١).

وخرج الحُطَم بن ضُبَيْعَة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل، فاجتمع إليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركاً، حتى نزل القُطَيْف وهَجَرَ، واستغفروا^(٢) الخط، ومن بها من الزُّط والسباججة^(٣)، وبعث بعثاً إلى دارين^(٤)، وبعث إلى جُوانا^(٥) فحصر المسلمين، فاشتدّ الحصر على من بها، فقال عبد الله بن حَذَف، وقد قتلهم الجوع: .

أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولاً	وَفَتِيانَ الْمَدِينَةَ أَجْمَعِينَ
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمٍ كِرَامٍ	قُعُودٍ فِي جُوانَا مُحْصَرِينَ
كَأَن دِمَاءَهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ	شُعَاعُ الشَّمْسِ يَغْشَى النَّاطِرِينَ
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا	وَجَدْنَا النَّصْرَ ^(٦) لِلْمُتَوَكِّلِينَ ^(٧)

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمي إياهم أن أبا بكر كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثُمَامَة بن أثال الحنفي في مُسَلَمَة بني حنيفة، ولحق به أيضاً قيس بن عاصم المنقري، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ، وانضمّ إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرباب أيضاً لحقته في مثل عدته، فسلك بهم الدهناء، حتى [إذا] كانوا في بُحْبُوحَتِها نزل، وأمر الناس بالنزول

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٠٣، الأغاني ١٥/٢٥٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤ «استغوى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، وفتوح البلدان ١/١٩٢، وأنساب الأشراف ٤/١٠٦ و ١١٢ وجاء في تاج العروس للزبيدي ٦/٧ تحقيق د. حسين نصار - طبعة الكويت ١٩٦٩ السباججة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يُبْدِرُونَهَا. واحدهم: سبيجي.

(٤) دارين: فُرْضة بالبحرين يُجَلَب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان ٢/٤٣٢).

(٥) جُوانا: بالضم. حصن لعبد القيس بالبحرين. (معجم البلدان ٢/١٧٤).

(٦) في تاريخ الطبري «الصبر».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، الأغاني ١٥/٢٥٦، ٢٥٧.

في اللَّيْلِ، فنفرت إِيْلَهُمْ بِأَحْمَالِهَا، فما بقي عندهم بغير ولا زاد ولا ماء، فليَحِقْهُمْ من الغَمِّ ما لا يعلمه إِلَّا اللهُ، ووصَّى بعضهم بعضاً، فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه، فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغَمِّ؟ فقالوا: كيف نُلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمَّ الشمس حتى نهلك. فقال: لن تُراعوا، أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله، فأبشروا فَوَالله لن تُخَذَّلُوا.

فلَمَّا صَلُّوا الصَّبْحَ دعا العلاء ودعوا معه، فلمع لهم الماء، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا. فما تعالَى النهار حتى أقبلت الإبل تُجمع من كلِّ وجه، فأناخت إليهم فسقوها. وكان أبوهريرة فيهم، فلَمَّا ساروا عن ذلك المكان قال لِمِنْجَاب بن راشد: كيف علمك بموضع الماء؟ قال: عارف به. فقال له: كُنْ معي حتى تُقيمني عليه. قال: فرجعتُ به إلى ذلك المكان، فلم نجد إِلَّا غدير الماء، فقلتُ له: والله لولا الغدير لأخبرتُك أنَّ هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوءة ماء. فقال أبوهريرة: هذا والله المكان، ولهذا رجعتُ بك وملأتُ إداوتي، ثمَّ وضعتها على شفير الغدير وقلتُ: إن كان مِنَّا من المَنِّ عرفته، وإن كان عينا^(١) عرفته، فإذا مِنُّ من المَنِّ، فحمد الله.

ثمَّ ساروا فنزلوا بهَجْر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحُطَمِ ممَّا يليه، وسار هو فيمَنُّ معه، حتى نزل عليه ممَّا يلي هَجْر، فاجتمع المشركون كلُّهم إلى الحُطَمِ، إِلَّا أهل دارين، واجتمع المسلمون إلى العلاء، وخذق المسلمون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يتراوحن القتال، ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينما هم كذلك سمع المسلمون صَوْضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَدَف: أنا، فخرج حتى دنا من خندقهم، فأخذوه. وكانت أمه عِجْلِيَّة، فجعل ينادي: يا أَبْجَراه! فجاء أَبْجَر بن بُجَيْر فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: عَلَامٌ أَقْبِلُ^(٢) وحولي عساكر من عِجْلٍ وَتَيْمِ اللَّاتِ وغيرهما؟ فخلَّصه، فقال له: والله إنِّي لأظنُّكَ بئس ابن أختٍ أتيت اللَّيْلَةَ أخوالك. فقال: دَعْنِي من هذا، وأطعمني، فقد مت جوعاً. فقرَّب له طعاماً، فأكل، ثمَّ قال: زوِّدني واحمِلْني، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر، فحمّله على بغير وزوِّده وجوِّزه، فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم أنَّ القوم سُكَارَى، فخرج المسلمون عليهم، فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا، وهرب الكُفَّار،

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «غيثاً».

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «أقتل».

فمن بين متردٍ^(١) وناجٍ، ومقتول ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر، ولم يفلت رجل إلّا بما عليه.

فأمّا أبجر فأفلت، وأمّا الحُطَم فُقُتِل، قتله قيس بن عاصم، بعد أن قطع عفيفُ بن المنذر التميمي رِجله. وطلبهم المسلمون، فأسر عفيفُ المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم. وأصبح العلاء، فقسّم الأنفال، ونفل رجالاً من أهل البلاء ثياباً، فأعطى ثُمَامَةَ بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام، كانت للحُطَم يُباهي بها. فلَمّا رجع ثُمَامَةُ بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة، فقالوا له: أنت قتلت الحُطَم! فقال: لم أقتله ولكنني اشتريتها من المغنم. فوثبوا عليه فقتلوه.

وقصد عَظْمُ الفُلال إلى دارين، فركبوا إليها السفن، ولحق الباقون ببلاد قومهم. فكتب العلاء إلى مَنْ ثُبِتَ على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عُتَيْبَةُ بن النُّهَّاس^(٢) والمُثَنَّى بن حارثة وغيرهما، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكلّ طريق، ففعلوا، وجاءت رُسُلهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يُؤتَى من وراء ظهره، فندب حينئذٍ النَّاسَ إلى دارين وقال لهم: قد أراكم الله من آياته في البَرِّ لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر. وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحُمير وغير ذلك، وفيهم الراجل، ودعا ودعوا. وكان من دعائهم: يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا صمد، يا حيّ، يا مُحيي الموتى، يا حيّ يا قيوم، لا إله إلّا أنت يا ربّنا! فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم ليلة لسُفُن البحر، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فظفر المسلمون وانهزم المشركون، وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مُخبراً، وغنموا وسبوا، فلَمّا فرغوا رجعوا حتى عبروا^(٣)، وضرب الإسلام فيها بجرانه.

وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحُطَم. وكان مع المسلمين راهب من أهل هَجَرَ، فأسلم فقبل له: ما حملك على الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها: فَيُض في الرمال، وتمهيد أثباج البحر^(٤)، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سَحَرًا: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحيّ الذي لا يموت، وخالق ما يُرى وما لا يُرى، وكلّ

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «متردٍ».

(٢) في الأصل «النهّاش».

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٣٠٦ - ٣١١، الأغاني ١٥/٢٥٦ - ٢٦٠.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/٣١٢ «البحار»، وفي الأغاني «البحور».

يوم أنت في شأن، عِلِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلَمٍ^(١). فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَانُوا بِالْمَلَائِكَةِ إِلَّا وَهُمْ عَلَى حَقٍّ^(٢)، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، ﷺ، يَسْمَعُونَ هَذَا مِنْهُ بَعْدُ^(٣).

(عُتْبِيَّة: بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها، وياء تحتها نقطتان، ثم باء موحد. وحارثة: بحاء مهملة، وثاء مثناة).

ذِكْرُ رَدَّةِ أَهْلِ عُمان وَمَهْرَةٍ

قد اختلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدّين، فقال ابن إسحاق: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام سنة اثنتي عشرة.

وقال أبو معشر، ويزيد بن [عياض] بن جُعْدَبَة^(٤)، وأبو عُبيدة بن مُحَمَّد بن عَمَّار بن ياسر: إن فتوح الردّة كلّها لخالد وغيره سنة إحدى عشرة، إلا أمر ربيعة بن بُجَيْر، فإنه كان سنة ثلاث عشرة، وقصّته: أنه بلغ خالد بن الوليد أنّ ربيعة بالمُصَيِّخ^(٥) والحَصِيد^(٦)، في جمّع من المرتدّين، فقاتله وغنم وسبى، وأصاب ابنة لربيعة، فبعث بها إلى أبي بكر، فصارت إلى عليّ بن أبي طالب^(٧).

وأما عُمان فإنه نبغ بها ذو التاج لَقِيط بن مالك الأزديّ، وكان يسامي في الجاهليّة الجُلُنْدِي، وادّعى بمثل ما ادّعى من تنبّا، وغلب على عُمان مرتدّاً، والتجأ جَيْفَر وعياذ^(٨) إلى الجبال، وبعث جَيْفَر إلى أبي بكر يُخبره ويستمدّه^(٩) عليه، وبعث أبو بكر حُذَيْفَة بن مِخْصَن الغُلْفَانِيّ من حِمير، وعُرفْجَة البارقيّ من الأزد، حذيفة إلى عُمان، وعُرفْجَة إلى مَهْرَة، وكلّ منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قَرُبَا من عُمان يَكْتَبَان جَيْفَرًا. فسار إلى عُمان، وأرسل أبو بكر إلى عِكْرَمَة بن أبي جهل، وكان بعثه إلى اليمامة، فأصيب فأرسل إليه أن يلحق بِحُذَيْفَة وعُرفْجَة بمن معه يساعدهما على أهل عُمان ومَهْرَة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحقهما عِكْرَمَة قبل عُمان، فلَمَّا وصلوا رَجَمَا، وهي قريب

(١) في الأغاني «تعليم».

(٢) حتى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ٢٥٧/١٥ - ٢٦٢.

(٣) أي من الهجريّ، كما في تاريخ الطبري ٣١٢/٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «وجُعْدَبَة».

(٥) في الطبعة الأوربية «بالمُصَيِّخ». والمُصَيِّخ: بضَم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشدّدة، وخاء معجمة، يقال له مصيخ بني البرشاء: وهو بين حوران والقَلْت. (معجم البلدان ١٤٤/٥).

(٦) الحصيد: بالفتح ثم الكسر، موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. (معجم البلدان ٢٦٦/٢).

(٧) تاريخ الطبري ٣١٣/٣، ٣١٤.

(٨) في تاريخ الطبري «عَبَاد».

(٩) في تاريخ الطبري «يستجيشه».

من عُمان، كاتبوا جَيْفَرًا وعيادًا^(١)، وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبًا، وخرج جَيْفَر وعياد^(٢) وعسكرا بَصْحَار، وأرسلوا إلى حُذيفة وعِكْرمة وعَرْفجة، فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء من لقيط وارفَضُوا عنه، ثُمَّ التقوا على دَبَا، فاقتلوا قتالاً شديداً، واستعلى لقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر. فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية، وعليهم الخريّت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سَيِّحان بن وَصْحان، وغيرهم، فقتل الله المسلمين، فوَلَّى المشركون الأدبار، فقتل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبهم حتى أئخنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسموا الأموال، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عَرْفجة، وأقام حُذيفة بعُمان يُسَكِّن النَّاسَ^(٣).

وأما مَهْرَة فَإِنَّ عِكْرمة بن أبي جهل سار إليهم لما فرغ من عُمان، ومعه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب، وسعد، فاقتجم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعين من مَهْرَة، أحدهما مع سَخْرِيّت^(٤)، رجل منهم، والثاني مع المَصْبُح، أحد بني مُحَارِب، ومعظم النَّاس معه، وكانا مختلفين. فكاتب عكرمة سَخْرِيّتاً^(٥)، فأجابه وأسلم، وكاتب المَصْبُح يدعو فلم يجب، فقاتله قتالاً شديداً، فانهزم المرتدون، وقُتل رئيسهم، وركبهم المسلمون، فقتلوا من شاؤوا منهم، وأصابوا ما شاؤوا من الغنائم، وبعث الأُخماس إلى أبي بكر مع سَخْرِيّت^(٦)، وازداد عِكْرمة وجُنْدُه قوَّةً بِالظَّهْرِ والمَتَاع، وأقام عِكْرمة حتى اجتمع النَّاس على الذي يحبّ ويباعوا على الإسلام^(٧).

(دَبَا: بفتح الباء الموحدة المخففة، وفتح الدال المهملة. والخريّت: بكسر الخاء المعجمة، وتشديد الراء المهملة المكسورة ثم ياء مثناة من تحتها، وآخره تاء. وسَيِّحان: بفتح السين المهملة، وبالياء المثناة من تحت، وبالحاء المهملة، وآخره نون).

ذِكْرُ خَبَرِ رِدَّةِ الْيَمَنِ

لما تُوفِّي رسول الله، ﷺ، وعلى مَكَّة وأرضها عَتَاب بن أُسَيْد، وعلى عَكِّ والأشعرين الطَّاهِر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عَوْف النَّضْرِي، عثمان على المَدَن^(١)، ومالك على أهل الوَبَر، وبصنعاء فيروز ودادُوَيْه يسانده

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣١٥ «عباد».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٤ - ٣١٦.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣١٧ «سَخْرِيّت».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣١٦، ٣١٧.

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣١٨ «على أهل المدر».

وقيس بن مكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مارب أبو موسى، وكان منهم مع الأسود الكذاب ما ذكرناه. فلما أهلك الله الأسود العنسي بقي طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران، لا يأوون^(١) إلى أحد. ومات النبي، ﷺ، على أثر ذلك، فارتد الناس، فكتب عتاب بن أسيد إلى أبي بكر يعرفه خبر من ارتد في عمله، وبعث عتاب أخاه خالداً إلى أهل تهامة، وبها جماعة من مذبح، وخزاعة، وأبناء كنانة.

وأما كنانة عليهم جندب بن سلمى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد وفرقهم، وأفلت جندب بن سلمى، وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شنوءة، وبها جماعة من الأزد، وبجيلة، وخثعم، وعليهم حميضة بن النعمان، واستعمل عثمان على السرية عثمان بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم الكفار وتفرقوا، وهرب حميضة في البلاد^(٢).

وأما الأخابث من العك فكانوا أول منتقض بتهامة بعد النبي، ﷺ، ثم تجمع عك والأشعريون، وأقاموا على الأعلام^(٣)، فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة، ومعه مسروق وقومه من عك، ممن لم يرتد، فالتقوا على الأعلام، فانهزمت عك ومن معهم، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وكان ذلك فتحاً عظيماً. وورد كتاب أبي بكر على الطاهر يأمره بقتالهم، وسماهم الأخابث، وسمى طريقهم طريق الأخابث، فبقي الاسم عليهم إلى الآن^(٤).

وأما أهل نجران فلما بلغهم موت النبي، ﷺ، أرسلوا وفداً ليجددوا عهدهم مع أبي بكر، فكتب بذلك كتاباً^(٥).

وأما بجيلة فإن أبا بكر رد جرير بن عبد الله، وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاثل بهم من ارتد عن الإسلام، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة، فخرج جرير وفعل ما أمره، فلم يبق له أحد إلا نفر يسير، فقتلهم وتبعهم^(٦).
(حميضة: بالحاء المهملة المضمومة، والضاد المعجمة).

ذكر خبر ردة اليمن ثانية

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن مكشوح، وذلك أنه لما بلغه موت

(١) في الطبعة الأوربية «تأوي».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٨ - ٣٢٠.

(٣) الأعلام: أرض لعك بن عدنان بين مكة والساحل. (معجم البلدان ١/٢٢٢).

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.

(٥) أنظر تاريخ الطبري ٣/٣٢١.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.

النبي، ﷺ، عمل في قتل فيروز وجشنش^(١). وكتب أبو بكر إلى عمر^(٢) ذي مُرَّان وإلى سعيد ذي رُود، وإلى الكلاع، وإلى حَوْشَب ذي ظُلَيْم، وإلى شهر ذي نِيف^(٣) يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على مَنْ ناوَاهم^(٤)، والسمع لفيزوز، وكان فيروز ودَاوُيَه وقيس قبل ذلك متساندين. فلَمَّا سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء، وإخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه ولم ينصروا الأبناء. فاستعدَّ لهم قيس، وكتب أصحاب الأسود المترددين في البلاد سراً، يدعوهم ليجتمعوا معه، فجاءوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء، فقصد قيس فيروز ودَاوُيَه، فاستشارهما في أمره خديعةً منه ليلبس عليهما، فاطمأنا إليه. ثم إنَّ قيساً صنع من الغد طعاماً، ودعا دَاوُيَه، وفيروز، وجشنس، فخرج دَاوُيَه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز، فلَمَّا دنا منه سمع امرأتين تتحدثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتل دَاوُيَه، فخرج فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، ولقيه جشنس، فرجع معه، فتوجَّها نحو جبل خَوْلان، وهم أحوال فيروز، فصعدا الجبل، ورجعت خيول قيس فأخبروه، فثار بصنعاء وما حولها، وأتته خيول الأسود.

واجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، وكتب إلى أبي بكر يُخبره، واجتمع إلى قيس عوامٌ قبائل مَنْ كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء، وعمد قيس إلى الأبناء، ففرَّقهم ثلاث فرق: مَنْ أقام أقرَّ عياله، والذين ساروا مع فيروز فرَّق عيالهم فرقتين، فوجَّه إحداهما إلى عدن ليُحمِلوا في البحر، وحمل الأخرى في البرِّ، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلَمَّا علم فيروز ذلك جدَّ في حربه، وتجرَّد لها، وأرسل إلى بني عُقَيْل بن ربيعة بن عامر يستمدِّهم، وإلى عَكَّ يستمدِّهم، فركبت عُقَيْل، فلقوا خيل قيس بن عامر، ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيَّروهم قيس، فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس. وسارت عَكَّ فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء، وقتلوا مَنْ معهم من أصحاب قيس، وأمَدَّت عُقَيْل وعَكَّ فيروز بالرجال. فلَمَّا أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده، فلقوا قيساً دون صنعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم قيس وأصحابه، وتذبذب أصحاب العنسيِّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران^(٥).

(١) في الأصل «جشنش»، وفي النسخة (ب) «جيس»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ «جشنش».

(٢) في تاريخ الطبري «عمير».

(٣) في تاريخ الطبري «يناف».

(٤) في الطبعة الأوربية «باوهم».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ - ٣٢٦.

قيل: وكان فرّوة بن مُسيك قديم على النبي، ﷺ، مسلماً فاستعمله النبي، ﷺ، على صدقات مُراد ومَنْ نازلهم ونزل دارهم.

وكان عمرو بن معدى كرب الزُبَيْدِيّ قد فارق قومه سعد العَشيرة، وانحاز إليهم وأسلم معهم، فلَمَّا ارتدَّ العنسيّ ومعه مَذْحِج ارتدَّ عمرو فيمَنْ ارتدَّ، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلَمَّا ارتدَّ سار إليه خالد فلقّيه، فضربه خالد على عاتقه فهرب منه، وأخذ خالد سيفه الصمصامة وفرسه، فلَمَّا ارتدَّ عمرو جعله العنسي يَزاء فرّوة، فامتنع كلّ واحد منهما من البراح لِمكان صاحبه. فبينما هم كذلك قديم عكرمة بن أبي جهل أَيْبَن^(١) من مَهْرة، وقد تقدّم ذكر قتال مَهْرة، ومعه بَشْر كثير من مَهْرة وغيرهم، فاستبرى النّخع وجَمِير، وقديم أيضاً المهاجر بن أبي أمية في جمع من مَكّة، والطائف، وبَجيلة، مع جرير^(٢) إلى نجران، فانضمَّ إليه فرّوة بن مُسيك المُرادِيّ، فأقبل عمرو بن معدى كرب مستجيباً^(٣) حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيساً أيضاً فأوثقه، وسيرهما إلى أبي بكر، فقال: يا قيس قتلَ عباد الله، واتخذت المرتدّين وليجة من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئاً، وكان قتله سراً، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو: أما تستحي أنك كلّ يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدّين لَرَفَعَكَ الله. فقال: لا جَرَمَ لأُقبلنّ ولا أعود. ورجعا إلى عشائريهما. فسار المهاجر من نجران، والتقت الخيول على أصحاب العنسيّ، فاستأنوا فلم يؤمنهم، وقتلهم بكلّ سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها، وكتب إلى أبي بكر بذلك^(٤).

ذِكْر رِدَّة حَضْرَمَوْت وَكِندَة

لَمَّا تُوفّي رسول الله، ﷺ، وعُمّاله على بلاد حضرموت: زياد بن أبي ليبد الأنصاريّ على حضرموت، وعُكاشة بن أبي أمية على السكاسك، والسّكون، والمُهاجر بن أبي أمية على كِنْدَة، استعمله النبي، ﷺ، ولم يخرج إليها حتى تُوفّي النبي، ﷺ، فبعثه أبو بكر إلى قتال مَنْ باليمن، ثمّ المسير بعدُ إلى عمله، وكان قد تخلف عن رسول الله، ﷺ، بَبُوك، فرجع رسول الله، ﷺ، وهو عاتب عليه، فبينما أمّ سلمة تغسل رأس النبي، ﷺ، قالت: كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي؟ فرأت

(١) أَيْبَن: يُفتح أوله ويُكسر. مخلاف باليمن، منه عدن. (معجم البلدان ١/٨٦).

(٢) في النسخة (ب): «حزبه».

(٣) في الأصل «مستجيباً». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٣٢٩.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٧ - ٣٣٠.

منه رقة، فأومات إلى خادمها فدعته، فلم يزل بالنبى، ﷺ، يذكر عذره حتى رضي عنه واستعمله على كِنْدَة. فتوفي النبى، ﷺ، ولم يسر إلى عمله، ثم سار بعده^(١).

وكان سبب ردة كِنْدَة، وإجابتهم الأسود الكذاب حتى لعن النبى، ﷺ، الملوك الأربعة منهم، أنهم لما أسلموا أمر رسول الله، ﷺ، أن يوضع بعض صدقة حضرموت في كِنْدَة، وبعض صدقة كِنْدَة في حضرموت، وبعض صدقة حضرموت في السكون، وبعض صدقة السكون في حضرموت، فقال بعض بني وليعة: من كِنْدَة لحضرموت ليس لنا ظهر، فإن رأيتم أن تبعثوا إلينا بذلك على ظهر. قالوا: فإننا ننظر، فإن لم يكن لكم ظهر فعلنا، فلما توفي رسول الله، ﷺ، قالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله، ﷺ، فقالوا: إن لكم ظهراً فاحتملوا، فقالوا لزياد: أنت معهم علينا. فأبى^(٢) الحضرميون، ولجّ الكنديون، ورجعوا إلى دارهم، وترددوا في أمرهم، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمهاجر.

وكان المهاجر لما تأخر بالمدينة قد استخلف زياداً على عمله، وسار المهاجر من صنعاء إلى عمله، وعكرمة بن أبي جهل أيضاً، فنزل أحدهما على الأسود، والآخر على وائل، وكان زياد بن لبيد قد ولي صدقات بني عمرو بن معاوية من كِنْدَة بنفسه، فقدم عليهم، فكان أول من انتهى إليه منهم شيطان بن حُجر، فأخذ منهم بكرة ووسمها، فإذا الناقة للعداء بن حُجر أخي شيطان، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها، وكان اسمها شذرة، وظنها غيرها، فقال العداء: هذه ناقتي. فقال شيطان: صدق فأطلقها وخذ غيرها. فاتهم زياد بالكفر ومباعدة الإسلام، فمنعهما عنها وقال: صارت في حق الله. فلجأ في أخذها، فقال لهما: لا تكوننَّ شذرة عليكم كالبسوس. فنادى العداء: يا آل عمرو أضام وأضطهد! إن الذليل من أكل في داره! ونادى حارثة بن سُرَاقَة بن معدي كرب، فأقبل إلى زياد وهو واقف، فقال: أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها. فقال زياد: مالي إلى ذلك سبيل. فقال حارثة: ذاك إذا كنت يهودياً؛ وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها، فأمر زياد شباباً من حضرموت والسكون فمنعوه^(٣) وكثفوه، وكثفوا أصحابه، وأخذوا البكرة، وتصايحت كِنْدَة، وغضبت بنو معاوية لحارثة، وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسكون لزياد، وتوافى عسكريان عظيمان من هؤلاء، ولم يحدث بنو معاوية شيئاً لمكان أسرائهم، ولم يجد أصحاب زياد سبيلاً يتعلقون به عليهم، وأمرهم زياد بوضع السلاح

(١) الطبري ٣/٣٣٠، ٣٣١.

(٢) في الطبعة الأوربية «فأتى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٣٢ «فمغثوه»، بمعنى: نالوه بالأيدي.

فلم يفعلوا، وطلبوا أسراهم فلم يطلقهم، ونهد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرقوا، فلما تفرقوا أطلق حارثته ومن معه. فلما رجع الأسرى إلى أصحابهم حرّضوهم على زياد ومن معه، واجتمع منهم عسكر كثير، ونادوا بمنع الصدقة، فأرسل الحُصَيْن بن نُمَيْر، وسكن بعضهم عن بعض، فأقاموا بعد ذلك سيراً.

ثم إن بني عمرو بن معاوية من كِنْدَةَ نزلوا المَحَاجِر، وهي أحماء حموها، فنزل جَمَدٌ محجراً، ومَخُوصٌ محجراً، ومِشْرَحٌ محجراً، وأَبْضَعَةٌ محجراً، وأختهم العَمْرَدَةُ محجراً، وهم الملوك الأربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله ﷺ، وقد ذكروا قبل. ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرهما، فنزل الأشعث بن قيس محجراً، والسَّمُط بن الأسود محجراً، وأطبقت بنو معاوية كلها على منع الصدقة، إلا شُرْحَبِيل بن السَّمُط وابنه، فإنهما قالاً لبني معاوية: إنه لقبيح بالأحرار التنقل، إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل والقيبح! اللهم إنا لا نماليء قومنا على ذلك. وانتقل ونزل مع زياد، ومعهما امرؤ القيس بن عابس، وقالوا له: بيت القوم فإن أقواماً من السكاسك والسكون قد انضموا إليهم، وكذلك شدّاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تتفرق الناس عنا إليهم. فأجابهم إلى تبسيت القوم، فاجتمعوا وطرقوهم في محاجرهم، فوجدوهم جلوساً حول نيرانهم، فأكبوا على بني عمرو بن معاوية، وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه، فأصابوا مشرحاً، ومخوصاً، وجمداً، وأبضعة، وأختهم العَمْرَدَةُ، وأدركتهم لعنة النبي ﷺ، وقتلوا فأكثروا، وهرب من أطاق الهرب، وعاد زياد بن ليلى بالأموال والسيبي، واجتازوا بالأشعث، فثار في قومه، فاستنقذهم وجمع الجموع.

وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه، فلقيه الكتاب بالطريق، فاستخلف على الجند عكرمة بن أبي جهل، وتعجل في سرعان الجناس، وقدم على زياد وسار إلى كِنْدَةَ، فالتقوا بمحجر الزُرْقَان^(١) فاقتتلوا، فانهزمت كِنْدَةُ وقُتِلَتْ، وخرجوا هُراباً فالتجأوا إلى النُجَيْر^(٢)، وقد رموه وأصلحوه. وسار المهاجر فنزل عليهم، واجتمعت كِنْدَةُ في النُجَيْر، فتحصنوا به، فحصرهم المسلمون، وقدم إليهم عكرمة، فاشتد الحصر على كِنْدَةَ، وتفرقت السرايا في طلبهم، فقتلوا منهم، وخرج من النُجَيْر من كِنْدَةَ وغيرهم، فقاتلوا المسلمين، فكثرت فيهم القتل، فرجعوا إلى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل،

(١) في الطبعة الأوربية «الزُبَيْرَان»، وهو بضم الزاي والمحجر كالناحية للقوم، بأرض حضرموت. (معجم البلدان ٣/١٣٧).

(٢) النُجَيْر: حصن باليمن قرب حضرموت منبع. (معجم البلدان ٥/٢٧٣).

وخاف الرؤساء على نفوسهم. فخرج الأشعث ومعه تسعة نفر، فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهلهم على أن يفتحوا له الباب. فأجابهم إلى ذلك وقال: اكتبوا ما شئتم ثم هلموا الكتاب حتى أختمه. ففعلوا، ونسي الأشعث أن يكتب نفسه لأنَّ جحداً وثب عليه بسكين، فقال: تكتبني أو أقتلك؟ فكتبه ونسي نفسه، ففتحوا الباب فدخل^(١) المسلمون فلم يدعوا مقاتلاً إلا قتلوه، وضربوا أعناقهم صبراً، وأخذوا الأموال والسبي. فلما فرغوا منهم دعا الأشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم، فأجار من في الكتاب، فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذي خطأ فاك يا أشعث يا عدو الله! قد كنت أشتي أن يُخزيك الله! وشده كتاباً، فقبل له: آخره وسيّره إلى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه، فسيّره إلى أبي بكر مع السبي^(٢).

وقيل: إنَّ الحصار لما اشتدَّ على من بالنجير نزل الأشعث إلى المهاجر وزياد والمسلمين، فسألهم الأمان على دمه وماله حتى يقدموا به على أبي بكر، فيرى فيه رأيه، على أن يفتح لهم النجير ويسلم إليهم من فيه وغدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن، فاستنزلوا من فيه من الملوك، فقتلوه وأوثقوا الأشعث وأرسلوه مع السبي إلى أبي بكر، فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه، وسماه نساء قومه عُرف النار، وهو اسم الغادر عندهم. فلما قدم المدينة قال له أبو بكر: ما تراني أصنع بك؟ قال: لا أعلم. قال: فإني أقتلك. قال: فانا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحل دمي. قال: إنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها، وإنما كنت قبل ذلك مراوياً. فلما خشي القتل قال: أوتحتسب في خيراً فتطلق إيساري، وتقبلني عثرتي، وتفعل بي مثل ما فعلت بأمثالي، وترد علي زوجتي؟ وقد كان خطب أم فروة أخت أبي بكر لما قدم على النبي، ﷺ، وأخبرها إلى أن يقدم الثانية، فمات النبي، ﷺ، وارتد؛ فإن فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادي لدين الله. فحقن دمه وردَّ عليه أهله، وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسم الغنائم بين الناس^(٣).

وقيل: إنَّ عكرمة قدم بعد الفتح، فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إنَّ إخوانكم قدّموا مدداً لكم، فأشركوهم في الغنيمة، ففعلوا وأشركوهم.

ولما ولي عمر بن الخطاب قال: إنَّه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسع الله عز وجل وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام،

(١) في الطبعة الأوربية «فدخلوا».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٣٨ - ٣٣٨.

(٣) الطبري ٣/٣٣٨، ٣٣٩، وأنظر: معجم البلدان ٥/٢٧٢، ٢٧٣، وتاريخ خليفة ١١٦.

إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ لِسَيِّدِهَا، وَجَعَلَ فِدَاءَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتَّةَ أَبْعَرَةٍ أَوْ سَبْعَةٍ، إِلَّا حَنِيفَةً وَكِندَةَ، فَإِنَّهُ خَفَّفَ عَلَيْهِمْ لِقَتْلِ رِجَالِهِمْ، فَتَتَّبَعَ النِّسَاءُ بِكُلِّ مَكَانٍ فَقَدُوهُنَّ^(١).

وفيهما انصرف مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مِنَ الْيَمَنِ^(٢).

وفيهما استقضى أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ خِلَافَتَهُ كُلَّهَا^(٣).

وحج بالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ^(٤).

(النُّجَيْرُ: بَضَمَ النُّونَ، وَفَتَحَ الْجِيمَ، وَسَكُنَ الْيَاءَ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: حَصَنَ

بِالْيَمَنِ مَنِيعٌ).

(١) الطبري ٣/٣٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٤) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق وصلح الحيرة

في هذه السنة في المحرم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، وقيل: بل قدم المدينة من اليمامة، فسيره أبو بكر إلى العراق، فسار حتى نزل ببانقيا^(١) وباروسما^(٢) وأليس^(٣) وصالحه أهلها. وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة^(٤) كسرى، وكانت على كل رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية. ثم سار حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة^(٥) الطائي، وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاخترأوا الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الإسلام هي والقرىات التي صالح عليها^(٦).

وقيل: إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلة^(٧)، وكتب إلى عياض بن غنم أن يقصد العراق ويبدأ بالمصبيح^(٨) ويدخل العراق من أعلاه، ويسير حتى يلقي خالدًا، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق فأذن له، فكان يغزوهم قبل

(١) بانقيا: بكسر النون. ناحية من نواحي الكوفة. (معجم البلدان ١/٣٣١).

(٢) باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٣) في الطبعة الأوربية «والليس». وأليس: مصغر، وهو الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي كتب الفتوح: أليس قرية من قرى الأنبار. (معجم البلدان ١/٢٤٨).

(٤) في النسخة (ب): «ما حرزه».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٤٤ «قبيصة بن إياس» والمثبت يتفق مع تاريخ خليفة ١١٨.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٤٣، ٣٤٤.

(٧) الأبلة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها. بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. (معجم البلدان ١/٧٧).

(٨) في الأصل «بالمصبح»، وفي الطبعة الأوربية «بالمصبيح».

قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالداً وعياضاً أن يستنفرا مَنْ قاتل أهل الردّة، وأن لا يغزواً معهما مرتدّ، ففعلاً وكتباً إليه يستمدّانه، فأمدّ خالداً بالققعاق بن عمرو التميمي، فقبل له: أتمدّه برجل واحد؟ لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. وأمدّ عياضاً بعبد بن غوث^(١) الحِمْيَرِيّ. وكتب أبو بكر إلى المثنى وحرّمة ومَعْدُور وسُلَيمى أن يلحقوا بخالد بالأبلة. فقدم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل، وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف^(٢).

ولما قدّم خالد فرّق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحد، على مقدّمته^(٣) المثنى وبعده عديّ بن حاتم، وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحفير ليصادموا عدوّهم، وكان ذلك الفرّج أعظم فروج فارس وأشدّها شوكة، فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البرّ والهند في البحر. فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر، وتعبّل هو إلى الكواظم في سرّعان أصحابه، فسمع أنّهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه ونزل به، وجعل على مقدّمته قُبَاذ وأنوشجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، واقتنوا في السلاسل لثلاً يفجروا، فسمع بهم خالد، فمال بالنّاس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، وكان سيّء المجاورة للعرب، فكلّهم عليه حَقِيقٌ، وكانوا يضربونه مثلاً فيقولون: أكفر من هرمز^(٤).

وقدّم خالد فنزل على غير ماء، فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لَعَمْرِي ليصيرنّ الماء لِأَصْبَرَ الفريقين، فحطّوا أثقالهم، وتقدّم خالد إلى الفُرس فلاقاهم، وأرسل الله سحابة فأغدرت^(٥) وراء صفّ المسلمين، فقويت قلوبهم، وخرج هرمز ودعا خالداً إلى البراز، وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد، فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلاً، ونزل هرمز أيضاً وتضارباً، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز، فما شغله ذلك عن قتله، وحمل الققعاق بن عمرو فأزاحهم، وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون، وسُمّيت الوقعة ذات السلاسل، ونجا قُبَاذ وأنوشجان، وأخذ خالد سَلْبَ هُرْمَز، وكانت قَلَنْسُوتُهُ بمائة ألف، لأنّه كان قد تَمَّ شَرَفُهُ في الفرس، وكانت هذه عادتهم، إذا تَمَّ شرف الإنسان تكون قَلَنْسُوتُهُ بمائة ألف. وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى أبي بكر، وسار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة، وبعث المثنى بن حارثة في آثارهم، وأرسل مَعْقِل بن مُقَرَّن إلى الأبلة ففتحها، فجمع الأموال بها والسبي.

(١) هكذا في جميع النسخ، ما عدا النسخة (ب) ففيها وفي تاريخ الطبري ٣/٣٤٧ «بعبد بن عوف».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٤٦، ٣٤٧.

(٣) في النسخة (ب): «فتقدمه».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٤٨.

(٥) في النسخة (ب): «فأعدرت»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٤٩ فأغزرت.

وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل، لأن فتح الأبلّة كان على يد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ أيام عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة^(١).

وحاصر المثنى بن حارثة حصن المرأة^(٢) وأسلمت، ولم يعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين، لأنّ أبا بكر أمرهم بذلك^(٣).

ذكر وقعة الثّني

لما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد أمّده بقارن بن قريانس^(٤)، فلمّا انتهى إلى المذار لقيه المنهزمون، فاجتمعوا ورجعوا معهم قُبَاذَ وأنوشجان، ونزلوا الثّني^(٥)، وهو النهر، وسار إليهم خالد فلقبهم واقتتلوا، فبرز قارن فقتله معقل بن الأعشى بن النّباش، وقتل عاصم أنوشجان، وقتل عديّ بن حاتم قُبَاذَ، وكان شرف قارن انتهى. ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه، وقُتِلَ من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً، سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وقسم الفّيء، وأنفذ الأحماس إلى المدينة، وأعطى الأسلاب مَنْ سَلَبَهَا، وكانت الغنيمة عظيمة، وسبى عيالات المقاتلة، وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمّةً. وكان في السّبي أبو الحسن البصريّ، وكان نصرانيّاً، وأمر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الجند^(٦) سويد بن مقرن المُرَنيّ، وأمره بنزول الحفير، وأقام يتجسّس الأخبار^(٧).

ذكر وقعة الوَلَجَة

ولما فرغ خالد من الثّني وأتى الخبر أردشير بعث الأندَرَزَعُ^(٨)، وكان فارساً من مؤلّدي السواد، وأرسل بهمّن جاذوّه في أثره في جيش، وحشر إلى الأندَرَزَعُ^(٩) من بين الحيرة وكسّكر ومن عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالوَلَجَة^(١٠). وسمع بهم خالد فसार

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٨ - ٣٥٠.

(٢) في تاريخ خليفة ١١٨: وصالحته طماهيج صاحبة نهر المرأة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٠.

(٤) في النسخة (ب): «قرياس».

(٥) الثّني: بكسر أوّله، وسكون ثانيه، وياء مخفّفة، والثّني من كل نهر أو جبل مُنعطفه. ويقال: الثّني اسم لكل نهر. ويوم الثّني لخالد بن الوليد على الفرس قرب البصرة مشهور. (معجم البلدان ٢/٨٦).

(٦) في إحدى النسخ «الجزء».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٥١، ٣٥٢ والخبر بعنوان (وقعة المذار).

(٨) في تاريخ الطبري ٣/٣٥٣ «الأندَرَزَعُ».

(٩) الوَلَجَة: بأرض كسّكر، موضع مما يلي البرّ. (معجم البلدان ٥/٣٨٣).

إليهم من الثَّني فلقِيهم بالولجة وكَمَن لهم^(١) فقاتلهم قتالاً شديداً أشدَّ من الأوَّل، حتى ظنَّ الفريقان أنَّ الصبر قد أفرغ. واستبطاً خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين^(٢)، فانهزمت الأعاجم، وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الأندرزعزَّ منهزماً، فمات عطشاً، وأصاب خالد ابناً لجابر بن وائل، وكانت وقعة الولجة في صفر، وبذل الأمان للفلاحين، فعادوا وصاروا ذمَّةً، وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم^(٣).

ذكر وقعة الأليس^(٤) وهو على الفرات

لَمَّا أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على الأليس وعليهم عبد الأسود العجلِّي، وكان^(٥) مسلمو بني عجل، منهم: عُتَيْبَةُ بن النَّهَّاس، وسعيد بن مُرَّة، وفُرات بن حِيَّان، ومَذْعُور بن عديّ، والمثنى بن لاحق، وشَدَّ النَّاس على أولئك النصارى. وكتب أردشير إلى بهمن جاذوئِه، وهو بقشينا^(٦)، يأمره بالقدوم على نصارى العرب بالأليس، فقدم بهمن جاذوئِه جابانَ إليهم، وأمره بالتوقُّف عن المحاربة إلى أن يقدم عليه، ورجع بهمن جاذوئِه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل، فوجده مريضاً، فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل، وتيم اللات، وضُبَيْعة، وجابر بن بُجَيْر، وعرب الضاحية من أهل الحيرة.

وكان خالد لما بلغه تجمَّع نصارى بكر وغيرهم سار إليهم ولا يشعر بدنو جابان. فلَمَّا طلع جابان بالأليس قالت العجم له: أنعاجلهم أم نغذي النَّاس ولا نُريهم أنَّا نحفل بهم ثم نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فعصوه وبسطوا الطعام، وانتهى خالد إليهم وحطَّ الأثقال، فلَمَّا وُضعت توجَّه إليهم، وطلب مبارزة عبد الأسود، وابن أبجر، ومالك بن قيس، فبرز إليه مالك من بينهم، فقتله خالد وأعجل الأعاجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: ألم أقل لكم والله ما دخلتني من مقدَّم جيش وحشة إلَّا هذا؟ وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسمُّوا الطعام، فإن ظفرتم فأيسر هالك، وإن

(١) في الطبعة الأوربية «له».

(٢) في النسخة (ب): «موضعهم».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «الليس».

(٥) في الطبعة الأوربية «وكانوا».

(٦) في معجم البلدان ٤/٣٥٠ «قُشيانا» موضع بالعراق له ذكر في فتوح خالد بن الوليد. وليس فيه «قشينا» كما هنا. وفي تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ «قُشيانا».

كانت لهم هلكوا بأكله، فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، والمشركون يزيدهم ثبوتاً توقعهم قدوم بهممن جاذوئيه، فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلي أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم. فانهزمت فارس فنادى منادي خالد: الأسراء الأسراء إلا من امتنع فاقتلوه. فأقبل بهم المسلمون أسراء، ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلاً. فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليه الماء تبريمينك؛ ففعل، وسُمي نهر الدّم؛ ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد نقلتكموه، فتعشى به المسلمون، وجعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض! (١).

وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وكانت الوقعة في صفر.

ذكر وقعة أمغيشياً

فلما فرغ من أليس سار إلى أمغيشياً، وقيل اسمها مَنيشياً، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله، لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعمهم وغير ذلك، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب أمغيشياً. فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: عجز النساء أن يلدن (٢) مثل خالد (٣).

ذكر وقعة يوم فرات (٤) بادقلى وفتح الحيرة

ثم سار خالد من أمغيشياً إلى الحيرة وحمل الرحال (٥) والأثقال في السفن، فخرج مرزبان الحيرة، وهو الأزاذبة، فعسكر عند الغريين، وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن، فبقيت على الأرض. فسار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبة فلقه على فرات بادقلى فضربه وقتله وقتل أصحابه وسار نحو الحيرة، فهرب منه الأزاذبة، وكان قد بلغه موت أردشير وقتل ابنه، فهرب بغير قتال، ونزل المسلمون عند الغريين، وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم. وكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر الغريين (٦) وفيه عدي بن عدي

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ - ٣٥٧.

(٢) في تاريخ الطبري «ينسلن».

(٣) الطبري ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/٣٥٩ «حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى».

(٥) في تاريخ الطبري «الرجل»، وفي نسخة أخرى «الرجال».

(٦) الغريين: بظاهر الكوفة، بناهما المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء (معجم البلدان ٤/١٩٨). وفي

تاريخ الطبري ٣/٣٦٠ «قصر العدسين».

المقتول، وكان ضِرَار بن مُقَرَّن المُرَنِّي عاشر عشرة إخوة محاصراً قصر ابن مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بُقَيْلَة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بُقَيْلَة، فدعّوهم جميعاً وأجلّوهم يوماً وليلة، فأبى أهل الحيرة، وقاتلهم المسلمون، فافتتحوا الدُّور والديرات وأكثروا القتل. فنادى القسّيسون والرهبان: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم! فنادى أهل القصور المسلمين: قد قَبَلْنَا واحدةً من ثلاث، وهي: إمّا الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فكفّوا عنهم، وخرج إليهم إيّاس بن قبيصة، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث، وهو بُقَيْلَة، وإنّما سَمِّي بُقَيْلَة لأنّه خرج على قومه في بُرْدَيْنِ أخضرين، فقالوا: ما أنت إلّا بُقَيْلَة خضراء، فأرسلوهم إلى خالد، فكان الذي يتكلّم عنهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتى عليك؟ قال: مئو سنين. قال: فما أعجبُ ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة فلا تتزوّد إلّا رغيّاً. فتبسّم خالد وقال لأهل الحيرة: ألم يبلغني أنّكم خَبَيْتَة خَدَعَة، فما بالكم تتناولون حوائجكم بخِرفٍ لا يُدْرَى^(١) من أين جاء؟.

فأحبّ عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله وصحّة ما حدّثه به، قال: وحقّقك إنّي لأعرف من أين جئت! قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي. قال: فأين تريد؟ قال: أمامي. قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صُلب أبي. قال: ففيمَ أنت؟ قال: في ثيابي. قال: أتعتقل؟ قال: إي والله وأقيد^(٢). قال خالد: إنّما أسألك! قال: فأنا أجيبك. قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلّم. قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نجسه حتى ينهائهم الحليم. قال خالد: قتلت أرضاً جاهلها وقتل أرضاً عالمها، القوم أعلم بما فيهم.

وكان مع ابن بُقَيْلَة خادم معه كيس فيه سمّ، فأخذه خالد ونثره في يده وقال: لِمَ تستصحب هذا؟ قال: خشيتُ أن تكونوا على غير ما رأيْتُ، فكان الموت أحبّ إليّ من مكروه أدخله على قومي. فقال خالد: إنّها لن تموت نفس حتى تأتّي على أجليها، وقال: باسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض والسماء، الذي لا يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، وابتلع السمّ. فقال ابن بُقَيْلَة: والله لتبلغنّ ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا^(٣).

وأبى خالد أن يصالحهم إلّا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شُوَيْل، فأبوا، فقالت: هُونُوا عليهم وأسلموني فإنّي سأفتدي. ففعلوا، فأخذها شُوَيْل، فافتدت منه بألف

(١) في طبعة صادر ٣٩١/٢ «يدري» والتصويب من الطبري.

(٢) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣٦٣/٣.

(٣) الطبري ٣٦٣/٣.

درهم، فلامه الناس، فقال: ما كنت أظن أن عدداً أكثر من هذا^(١).

وكان سبب تسليمها إليه أن النبي ﷺ، لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سألهُ شُوَيْبَلُ أن يعطي كرامة ابنة عبد المسيح، وكان رآها شابةً فمال إليها، فوعده النبي ﷺ، ذلك، فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعده النبي ﷺ، أن يسلمها إليه، فسلمها إليه خالد^(٢).

وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفاً، وقيل: على مائتي ألف وتسعين ألفاً، وأهدوا له هدايا. فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية.

وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتاباً، فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب، فلما افتتحه المثنى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا كفروا، وافتتحها سعد بن أبي وقاص ووضع عليهم أربعمئة ألف.

قال خالد: ما لقيتُ قوماً كأهل فارس، وما لقيتُ من أهل فارس كأهل أليس^(٣).

ذَكَرَ مَا بَعْدَ الْحِيرَةِ

قيل: كان الدهاقين يتربصون بخالد [وينظرون] ما يصنع أهل الحيرة، فلما صالحهم واستقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سرياً وصلبوا ابن نسطونا ونسطونا، فصالحوه على ما بين الفلاليج^(٤) إلى هُرْمُزْجُرد^(٥) على ألفي ألف، وقيل: ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى، وبعث خالد عماله ومسالحه، وبعث ضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، والققعاق بن عمرو، والمثنى بن حارثة، وعُتَيْبَةُ بن النّهاس، فنزلوا على السَّيْب^(٦)، وهم كانوا أمراء الثغور مع خالد، وأمرهم بالغارة، فمخروا^(٧) ما وراء ذلك إلى شاطيء دجلة، وكتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فإن أجابوا وإلا حاربهم، فكان العجم مختلفين بموت أردشير، إلا أنهم قد أنزلوا

(١) في النسخة (ب): «ألف». والخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٦٤ و٣٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧.

(٤) الفلاليج: فلاليج السواد قراها، إحداها فُلُوجة. (معجم البلدان ٤/٢٧٠).

(٥) هرمزجرد: ناحية كانت بأطراف العراق. (معجم البلدان ٥/٤٠٢).

(٦) السَّيْب: بكسر أوله وسكون ثانيه، وأصله مجرى الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة، وهم سييان

الأعلى والأسفل من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة. (معجم البلدان ٣/٢٩٣).

(٧) في النسخة (ب): فجردوا، وفي هامش النسخة «فمخروا».

بهمَن جاذوئِه بَهْرَسِير^(١) ومعه غيره كأنه مقدّمة لهم، وجبى خالد الخراج في خمسين ليلة وأعطاه المسلمين، ولم يبقَ لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمرٌ، لاختلافهم بموت أردشير، إلّا أنهم مجمعون على حرب خالد، وخالد مقيم بالحيرة يصعد ويصوب^(٢) سنة قبل خروجه إلى الشام، والفُرس يخلعون ويملّكون ليس إلّا الدفع عن بَهْرَسِير، وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كلَّ مَنْ كان يناسبه إلى أنوشروان، وقتل أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، من كان بين أنوشروان وبين بهرام جور، فبقوا لم يقدرُوا على مَنْ يملّكونه ممَّن يجتمعون عليه. فلَمَّا وصلهم كُتِبَ خالد تكلم نساء آل كسرى، فوَلَّى الفرخزاد بن البندوان إلى أن يجتمع آل كسرى على مَنْ يملّكونه إن وجدوه^(٣).

ووصل جرير بن عبد الله البجليّ إلى خالد بعد فتح الحيرة، وكان سبب وصوله إليه أنّه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام، فاستأذنه في المصير إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه ليجمعهم له، وكانوا أوزاعاً متفرّقين في العرب، فأذن له، فقدم على أبي بكر، فذكر له ذلك، وأن رسول الله، ﷺ، وعده به وشهد له شهود، فغضب أبو بكر وقال: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممَّن يباؤهم من فارس والروم، ثم أنت تكلفني ما لا يُغني! وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد، فسار حتى قدِم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئاً ممّا قبلها بالعراق، ولا شيئاً ممّا كان خالد فيه من قتل أهل الرّدة.

(عُتِبَ: بالتاء المثناة من فوقها، وبالياء المثناة من تحتها، وبالياء الموحّدة).

ذكر فتح الأنبار

ثم سار خالد على تعبيته إلى الأنبار. وإنّما سُمِّي الأنبار لأنَّ أهراء الطّعام كانت بها أنابيب^(٤)، وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس. فلَمَّا بلغها أطاف بها وأنشِب القتال، وكان قليل الصبر عنه، وتقدّم إلى رُماته أن يقصدوا عيونهم، فرموا رشقاً واحداً، ثم تابَعُوا فأصابوا ألف عين، فسُمِّيت تلك الوقعة ذات العيون. وكان مَنْ بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط^(٥)، فلَمَّا رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردَّ رُسُلَه ونحر من إبل العسكر كلَّ ضعيف، وألقاه في خندقهم، ثم عبره، فاجتمع المسلمون والكفّار

(١) بَهْرَسِير: بالفتح ثم الضمّ، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. ويقال: بَهْرَسِير الرومقان. (معجم البلدان ١/٥١٥).

(٢) في النسخة (ب): «يضرب».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٩ - ٣٧٢.

(٤) العبارة في النسخة (ب): «ولأهل الطّعام كانت بها أنا بيرهم».

(٥) ساباط: هو ساباط كسرى، بالمدائن موضع معروف. قال أبو المنذر: إنّما سُمِّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسُمِّي به. (معجم البلدان ٣/١٩٦).

في الخندق، فأرسل شیرزاد إلى خالد وبذل له ما أراد، فصالحه على أن يُلحقه بمأمنه في جريدة ليس معهم من متاع شيء، وخرج شیرزاد إلى بهمن جاذوئيه، ثم صالح خالد مَنْ حول الأنبار وأهل كَلَوَاذَى^(١).

ذكر فتح عين التمر

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزُّبْرَقَان بن بدر، وسار إلى عين التمر، وبها مهران بن بهرام جُورِين، في جَمْع عَظِيمٍ من العجم، وَعَقَّة بن أبي عَقَّة في جمع عظيم من العرب من النِمْر، وتغلب، وإياد، وغيرهم، فلَمَّا سمعوا بخالد قال عَقَّة لمهران: إنَّ العرب أعلم بقتال العرب فَدَعْنَا وخالدًا. قال: صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب، وإنَّكم لمثلنا في قتال العجم. فخدعه واتقى به وقال: إن احتجتم إلينا أعناكم. فلامه أصحابه من الفُرس على هذا القول، فقال لهم: إنَّه قد جاءكم من قتل^(٢) ملوككم (أمر عظيم)^(٣) وفلَّ حدَّكم فاتَّقِيْتهُ^(٤) بهم، فإن كانت لكم^(٥) على خالد فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنُوا فنقاتلهم ونحن أقوىاء. فاعترفوا له، وسار عَقَّة إلى خالد فالتقوا، فحمل خالد بنفسه على عَقَّة وهو يقيم صفوفه، فاحتضنه وأخذه أسيراً، وانهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم.

فلَمَّا بلغ الخبر مهران هرب في جُنْدِه وتركوا الحصن، فلَمَّا انتهى المنهزمون إليه تحصَّنوا به، فنازلهم خالد، فطلبوا منه الأمان، فأبى، فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى وقتل عَقَّة، ثم قتلهم أجمعين، وسبى كلَّ مَنْ في الحصن وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم^(٦) أربعين غلاماً يتعلَّمون الإنجيل، فأخذهم فقسَّمهم في أهل البلاء، منهم: سيرين أبو محمد^(٧)، ونُصير أبو موسى^(٨)، وحُمران مولى عثمان^(٩). وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخمس.

(١) كَلَوَاذَى: طسوج قرب مدينة السلام ببغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربي من نهر بوق. (معجم البلدان ٤/٤٧٧).

والخبر باختصار عن الطبري ٣/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) في النسخة (ب): «مَنْ قتل»، وفي النسخة (ت): «قبل».

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ب).

(٤) في النسخة (ب): «ما اتَّقِيْتهُ».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ «لهم».

(٦) في النسخة (ب): «شعبهم».

(٧) في النسخة (ت): «سير بن أبي محمد».

(٨) إلى هنا في تاريخ خليفة ١١٨.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٣٧٧.

وفي عين التمر قُتل عُمَيْر بن رِثَاب السَّهْمِيّ، وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير بن سعد الأنصاريّ والد النعمان، فدفن بها إلى جانب عُمَيْر.

ذكر خبر دُومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتابُ عِيَاض بن غنم يستمده على مَنْ يَازائه من المشركين، فسار خالد إليه، فكان يَازائه بَهْرَاء، وكلب، وغَسَّان، وتنوخ، والضُّجاعم، وكانت دُومة على رئيسين: أَكْبَدْر بن عبد الملك، والجُودِيّ بن ربيعة، فأما أَكْبَدْر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه خوفاً، فلم يقبلوا منه، فخرج عنهم، وسمع خالد بمسيره، فأرسل إلى طريقه فأخذه أسيراً فقتله، وأخذ ما كان معه، وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل، فجعلها بينه وبين عِيَاض. فلما اطمأنَّ خالد خرج إليه الجوديّ في جمع ممَّنْ عنده من العرب لقتاله، وأخرج طائفة أخرى إلى عِيَاض، فقاتلهم عِيَاض فهزمهم، فهزم خالد مَنْ يليه، وأخذ الجوديّ أسيراً وانهزموا إلى الحصن، فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله، فأخذهم خالد فقتلهم حتى سدَّ باب الحصن، وقتل الجوديّ وقتل الأسرى إلا أسرى كلب، فإنَّ تميم قالوا لخالد: قد أمَّناهم، وكانوا حلفاءهم، فتركهم. ثم أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسَّرح فباعهم، واشترى خالد ابنة الجوديّ، وكانت موصوفةً.

وأقام خالد بدومة الجندل، فطمع الأعاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقّة، فخرج زرمهر ورؤبه يريدان الأنبار، واتعدا حُصَيْدًا والخنافس، فسمع القعقاع بن عمرو، وهو خليفة خالد على الحيرة، فأرسل أعبَد بن فِدْكيّ وأمره بالحصيد، وأرسل غُرُوة بن الجَعْد البارقِيّ إلى الخنافس، فخرجوا فحالا بينهما وبين الريف، ورجع خالد إلى الحيرة، فبلغه ذلك، وكان عازماً على مصادمة أهل المدائن، فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر، فعجّل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فِدْكيّ إلى رُوزبة وزرمهر، ووصل إلى خالد أنَّ الهذَّيل بن عِمْران قد عسكر بالمُصَيَّخ، ونزل ربيعة بن بُجَيْر بالثنيّ وبالبشر^(١) غضباً لعقّة يريدان زرمهر ورُوزبة، فخرج خالد وسار إلى القعقاع وأبي ليلى فاجتمع بهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حُصَيْد، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس^(٢).

(١) البشُر: بكسر أوله ثم السكون. وهو حبل يمتدّ من عُرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية. سُمِّي بالبشُر بن هلال بن عقبة. (معجم البلدان ٤٢٦/١). وفي النسخة (ب) «بالسير».

(٢) الخبر باختصار عن الطبري ٣/٣٧٨ - ٣٨٠.

ذكر وقعة حُصَيْد والخنافس

فسار القعقاع نحو حصيد، وقد اجتمع بها رُوْزبة وزَرْمهر، فالتقوا بُحْصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة، فقتل القعقاع زرمهر، وقتل عصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف الضَّبِّي رُوْزبة، وكان عصمة من البرَّة، وهم كلٌّ فخذ هاجرت بأسرها، والخيرة كل قوم هاجروا من بطن، وغنم المسلمون ما في حُصيد، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس، وسار أبو ليلي بمن معه إلى الخنافس وبها المهبُوزان على العسكر، فلما أحس المهبُوزان بهم هرب إلى المُصَيِّخ إلى الهُذَيْل بن عِمْران^(١).

ذكر وقعة مُصَيِّخ^(٢) بني البرشاء

ولما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحُصَيْد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع، وأبي ليلي، وأبعد، وعُروة، وواعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المُصَيِّخ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم. فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمُصَيِّخ، فأغاروا على الهُذَيْل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوه، وأفلت الهُذَيْل في ناس قليل وكثر فيهم القتل، وكان مع الهُذَيْل عبد العُزَّى بن أبي رُهم أخو أوس مناة وليد بن جرير، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما، فقتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العُزَّى:

أَقُولُ إِذْ طَرَّقَ الصَّبَاحُ بَغَارَةً سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّ مُحَمَّدٍ
سُبْحَانَ رَبِّي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ رَبِّ الْبِلَادِ وَرَبِّ مَنْ يَتَوَرَدُ^(٣)

فوداهما وأوصى بأولادهما، فكان عمر يعتدّ بقتلهما وقتل مالك بن نُيرة على خالد، فيقول أبو بكر: كذلك يلقي مَنْ نازل أهل الشرك. وقد كان حُرْقُوص بن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه، فجلس مع زوجته وأولاده يشربون، فقال لهم: اشربوا شراب مودع، هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد؛ ثم قال:

أَلَا سَقْيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدِيرِي

فضرب رأسه، فإذا هو في جفنة فيها الخمر، وقتلوا أولاده وأخذوا بناته^(٤).
وقيل: إِنَّ قَتْلَ حُرْقُوصِ وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ وَوَقْعَةُ الثَّغْيِ كَانَ فِي مَسِيرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٨٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «مُصَيِّخ».

(٣) في البيت إقواء.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨١، ٣٨٢.

العراق إلى الشام، وسيذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر وقعة الثني والزُميل

وكان ربيعة بن بُجَيْر التغلبيّ بالثنيّ والبشر، وهو الزُميل، وهما شرقي الرُصافة، قد خرج غضباً لَعَقَة، وواعد رُوزبة وزريمهر والهُذَيْل، ولما أصاب خالد أهل المصَيِّخ^(١) واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة، وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم، فسار خالد من المصَيِّخ، فاجتمع هو وأصحابه بالثنيّ، فبيّتهم من ثلاثة أوجهٍ وجردوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مُخْبِرٌ، وغنم وسبى وبعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر، فاشتري عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، بنت ربيعة بن بُجَيْر التغلبيّ، فولدت له عمر ورُقَيّة.

ولما انهزم الهُذَيْل بالمصَيِّخ لحق بعتاب بن فلان، وهو بالبشر، في عسكر ضخم، فبيّتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجهٍ قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم، وبعث الخمس إلى أبي بكر، وسار خالد من البشر إلى الرُضاب، وبها هلال بن عَقّة، ففرّق عنه أصحابه، وسار هلال عنها فلم يلتق خالد بها كيداً^(٢).

ذكر وقعة الفِراض

ثم سار خالد من الرُضاب^(٣) إلى الفِراض^(٤)، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم، واجتمع معهم تغلب، وإياد، والنمير، وساروا إلى خالد. فلمّا بلغوا الفرات قالوا له: إمّا أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم. قال خالد: اعبروا. قالوا له: تنحّ عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل، ولكن اعبروا أسفل منّا. فعبروا أسفل من خالد، وعظم في أعينهم، وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم [من يشب] ممّن يولي. ففعلوا، فاقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزمت الروم ومّن معهم، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم، فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفِراض عشراً، ثم أذن

(١) في الطبعة الأوربية «المصَيِّخ».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٨٢، ٣٨٣.

(٣) الرضاب: موضع بالرُصافة قبل بناء هشام إِيّاهَا. (معجم البلدان ٣/٥٠).

(٤) الفِراض: بكسر أوله. موضع بين البصرة واليمامة قرب فُلَيْج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٤٣).

بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، وجعل شَجَر بن الأَعَزَّ^(١) على الساقة، وأظهر خالد أنه في الساقة^(٢).

ذَكَرَ حَاجَّةَ خَالِد

ثم خرج خالد حاجاً من الفِراضِ سِراً ومعه عِدَّة من أصحابه يعتسف^(٣) البلاد، فأتى مكة وحجَّ ورجع، فما توافى جُنْدُه بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة، فقدموا معاً وخالد وأصحابه محلِّقون، ولم يعلم بحجِّه إلَّا مَنْ أَعْلَمَه به، ولم يعلم أبو بكر بذلك إلَّا بعد رجوعه، فعتب عليه، وكانت عقوبته إيَّاه أن صرفه إلى الشام من العراق ممداً جموع المسلمين باليرموك، وكان أهل العراق أيام عليّ إذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون: نحن أصحاب ذات السلاسل، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض، ولا يذكرون ما بعد الفِراض احتقاراً للذي كان بعدها.

وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد، ووجَّه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاة وبكر^(٤)، وأغار أيضاً على مَسْكِن^(٥)، وقُطْرُبُل^(٦)، وتَلَّ عَقْرَقُوف^(٧)، وبَادُورِيَا^(٨)؛ قال الشاعر:

وللمثنى بالعالِ مَعْرَكَةٌ	شاهدَهَا مِنْ قَبِيلِهِ بَشَرٌ
كَنِيَّةٌ أَفْزَعَتْ بِوَقْعَتِهَا	كِسْرَى وَكَادَ الْإِيوَانُ يَنْفَطِرُ
وَشَجَّعَ الْمُسْلِمِينَ إِذْ حَذَرُوا ^(٩)	وَفِي صُرُوفِ التَّجَارِبِ الْعَبْرُ
سَهْلٌ نَهَجَ السَّبِيلَ فَاقْتَفَرُوا	آثَارُهُ وَالْأُمُورُ تُقْتَفَرُ

(١) في إحدى النسخ «سحرة بن الأعر»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٨٤ «شجرة».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) في طبعة صادر ٢/٤٠٠ «يعسف». ويعتسف الطريق: يقطعه دون صوب توخاه فأصابه.

(٤) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣/٣٨٤، ٣٨٥.

(٥) مَسْكِن: بالفتح، ثم السكون، وكسر الكاف. موضع قريب من أوانا على نهر دُجِيل عند دير الجاثليق. (معجم البلدان ٥/١٢٧).

(٦) قُطْرُبُل: بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة، ولام. وقد رُوي بفتح أوله وطاقه، وأما الباء فمشددة مضمومة في الروايتين، وهي كلمة أعجمية: اسم قرية بين بغداد وعُكبرا يُنسب إليها الخمر. (معجم البلدان ٤/٣٧١).

(٧) عقرقوف: هو عقر أضيف إليه قوف فصار مركباً مثل حضرموت وبعليك. قرية نواحي دُجِيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. (معجم البلدان ٤/١٣٧).

(٨) بَادُورِيَا: بالواو، والراء، وباء، وألف: طسوج من كورة الاسنان بالجانب الغربي من بغداد. (معجم البلدان ١/٣١٧).

(٩) في النسخة (ب): «حضرُوا». وفي فتوح البلدان «شَجَّعَ المسلمون».

يعني بالعال: الأنبار، ومَسْكِن، وقَطْرُبُل، وبَادُورِيَا^(١).

* * *

وفيها تزوّج عمر عاتكة بنت زيد^(٢).
وفيها مات أبو العاص بن الربيع^(٣) في ذي الحجة وأوصى إلى الزبير، وتزوّج عليّ،
عليه السلام، ابنته أمانة، وأمها زينب بنت رسول الله، ﷺ^(٤).

وفيها اشترى عمر أسلم مولاة في قول^(٥).
وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفّان^(٦)، وقيل:
حجّ بالناس عمر بن الخطّاب أو عبد الرحمن بن عوف^(٧).

[الوفيات]

وفيها مات أبو مرثد الغنوي^(٨)، وهو بدرى، وكان ابنه مرثد بن أبي مرثد قد
قُتل بالرّجيع^(٩)، وهو بدرى أيضاً.

(١) فتوح البلدان ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥.

(٣) تاريخ خليفة ١١٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥، غيون التواريخ ١/٥٠٧، ٥٠٨، مرآة الجنان ١/٦٤.

(٥) الطبري ٣/٣٨٥، وفي تاريخ خليفة ١١٧ في سنة ١١١هـ.

(٦) تاريخ خليفة ١١٩، الطبري ٣/٣٨٦.

(٧) الطبري ٣/٣٨٦، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩١.

(٨) الطبري ٣/٣٨٥.

(٩) تاريخ خليفة ٧٥.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر فتوح الشام^(١)

قيل: في سنة ثلاث عشرة وجّه أبو بكر الجنود إلى الشام بعد عَوْدِهِ من الحجّ، فبعث خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: إنّما سيّره لما سيّر خالد بن الوليد إلى العراق، وكان أوّل لواء عقده إلى الشام لواء خالد، ثمّ عزله قبل أن يسير.

وكان سبب عزله أنّه تربّص ببيعه أبي بكر شهرين، ولقي عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفّان فقال: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغلّبتُم عليها؟ فقال عليّ: أمّغالبَةٌ ترى أمّ خلافة.

فأمّا أبو بكر فلم يحقّها^(٢) عليه، وأمّا عمر فاضطّغنها عليه، فلمّا ولّاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الإمارة وجعله رِدْءاً للمسلمين بَيمَاء، وأمره أن لا يفارقها إلّا بأمره، وأن يدعو مَنْ حوله من العرب إلّا مَنْ ارتدّ، وأن لا يقاتل إلّا مَنْ قاتله. فاجتمع إليه جموع كثيرة، وبلغ خبره الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من: بَهْرَاء، وسَلِيح، وغَسَّان، وکلب، ولخمْ، وجُذَام، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر: أقْدِمْ ولا تقْتَحِمَنَّ. فسار إليهم، فلمّا دنا منهم تفرّقوا، فنزل منزلهم وكتب إلى أبي بكر بذلك، فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتّى من خلفه. فسار حتى جازه قليلاً ونزل^(٣)، فسار إليه بطريق [من بطارقة] الروم يُدْعَى باهان، فقاتله فهزمه وقتل من جُنْدِهِ، فكتب خالد إلى أبي بكر يستمّده، وكان قد قَدِمَ على أبي بكر أوائل مستنصري

(١) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ اليعقوبي ١٣٣/٢، فتوح البلدان للبلاذري ١٣٠، تاريخ الطبري ٣٨٧/٣، المعرفة والتاريخ ٢٩٠/٣ وما بعدها، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٤، مروج الذهب ٣٠٩/٢، مرآة الجنان ٦٥/١، عيون التواريخ ٥٠٩/١، تاريخ دمشق ٤٤١/١، وانظر فتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والفتوح لابن أعمش الكوفي، وتاريخ الإسلام للذهبي (عصر الخلفاء الراشدين) بتحقيقنا.

(٢) في تاريخ الطبري ٣٨٧/٣ «فلم يحفلها».

(٣) في الطبعة الأوربية «ينزل».

اليمن وفيهم ذو الكلاع، وقدم عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من تهامة، وعمان، والبحرين، والسرو، فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يُبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسُمي جيش البِدال، وقدموا على خالد بن سعيد.

وعندها اهتم أبو بكر بالشام وعناه أمره، وكان أبو بكر قد ردَّ عمرو بن العاص إلى عمله الذي كان رسول الله، ﷺ، ولَّاه إِيَّاه من صدقات سعد هُذَيْم وعُذْرَة وغيرهم، قبل ذهابه إلى عُمان، ووعدَه أن يُعيدَه إلى عمله بعد عودَه من عُمان، فأنجز له أبو بكر عدة رسول الله، ﷺ.

فلما عزم على قصد الشام كتب له: إِنِّي كُنْتُ قد رددْتُكَ على العمل الذي ولَّاه رسول الله، ﷺ، مرَّةً ووعدُكَ به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله، ﷺ، وقد وليتُه، وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَفْرُغَكَ لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الذي أَنْتَ فيه أَحَبَّ إِلَيْكَ.

فكتب إليه عمرو: إِنِّي سَهِمَ من سهام الإسلام، وَأَنْتَ بعدَ الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أَشَدَّها وأخْشاهَا وأفضَلُها فارمَ به. فَأَمْرُه وأمر الوليد بن عُقْبَة، وكان على بعض صدقات قُضاعة، أَنْ يَجْمَعَ العرب، ففعلاً، وأرسل أبو بكر إلى عمرو بعض من اجتمع إليه، وأمره بطريق سَمَّاها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بالأردن وأمدَه ببعضهم، وأمر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سُهَيْل بن عمرو في أمثاله من أهل مَكَّة، وشَيْعَة ماشياً^(١)، وأوصاه وغيرَه من الأمراء^(٢)، فكان ممَّا قال ليزيد:

«... إِنِّي قد وَلَّيْتُكَ لأَبْلُوكَ وأَجْرَبُكَ وأَخْرَجُكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رددْتُكَ إلى عملك وزدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عزَلْتُكَ، فعليك بتقوى الله فَإِنَّه يَرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسَ بالله أَشَدَّهُمْ تَوَلَّيًّا لَهُ، وَأَقْرَبَ النَّاسَ من الله أَشَدَّهُمْ تَقَرُّباً إِلَيْهِ بعمله، وقد وَلَّيْتُكَ عمل خالد فَإِيَّاكَ وَعُيَّةُ الجاهليَّة، فَإِنَّ الله يَبْغِضُهَا وَيَبْغِضُ أَهْلَهَا، وَإِذَا قَدِمْتَ على جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ وابدأهم بالخير وعِذْهم إِيَّاه، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلِحْ لَكَ النَّاسُ، وَصَلِّ الصَّلَواتِ لأَوْقَاتِهَا بِإِتِمَامٍ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعَ فِيهَا، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ وَأَقْلِلْ لَبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَلَا تُرِينَهُمْ^(٣) فَيَرَوْا خَلْلَكَ وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ،

(١) من هنا ناقص في النسخة (ب).

(٢) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩٠.

(٣) في الطبعة الأوربية «يرينهم».

وأنزلهم في ثروة عسكريك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لسلامهم، ولا تجعل سرّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبدّهم في عسكريك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن جدته غفل عن محرسه فأحس أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أسرها لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجئ فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده، ولا تجسّس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف^(١) بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجب الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له^(٢).

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولاة الأمر.

ثم إن أبا بكر^(٣) استعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمره بحمص^(٤)، وسار أبو عبيدة على باب^(٥) من البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه، فكان أول صلح في الشام.

واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين، فوجه^(٦) إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمانة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد^(٧). ثم أتوا الدائن^(٨) فهزمهم أبو أمانة أيضاً، ثم مرج الصفر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد، وقيل: استشهد فيها خالد أيضاً^(٩)، وقيل: بل سليم وانهزم على ما ذكره، وذلك أنه لما سمع توجيه الأمراء بالجنود بادر لقتال الروم، فاستطرد له باهان فاتبعه خالد ومعه ذو الكلاع

(١) في الطبعة الأوربية «واكتف».

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) حتى هنا ينتهي النقص في النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٩٠.

(٥) هكذا في الأصول. وفي فتوح البلدان للبلاذري ١٣٤ رقم ٣١٣ «مآب». قال ياقوت في معجم البلدان ٣١/٥: «مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء».

(٦) في النسخة (ب) زيادة «بعد سرية».

(٧) الخبر في معجم البلدان - مادة «عربة» ج ٤/٩٦ وانظر: فتوح البلدان ١٣٠.

(٨) دائن: ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين بالشام. (معجم البلدان ٤١٧/٢).

(٩) تاريخ خليفة ١٢٠.

وعكرمة والوليد فنزل مرج الصُّفَر، فاجتمعت عليه مَسَالِح باهان وأخذوا الطُّرُق، وخرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومَنَّ معه، فسمع خالد فانهزم، فوصل في هزيمته إلى ذي المَرَّة قريب المدينة، فأمره أبوبكر بالمقام بها، وبقي عكرمة في الناس رِذْءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم^(١).

وكان قد قَدِم شُرْحَبِيل بن حَسَنَة من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر وافداً، فأمره أبوبكر بالشام وندب معه الناس واستعمله على عمل الوليد بن عُقبة. فَأَتَى شُرْحَبِيل على خالد بن سعيد ففصل عنه ببعض أصحابه، واجتمع إلى أبي بكر ناس^(٢) فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللِّحَاق بأخيه يزيد، فَلَمَّا مَرَّ^(٣) بخالد فصل عنه بياقي أصحابه^(٤). فَأَذِن أبوبكر لخالد بدخول المدينة^(٥). فَلَمَّا وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عُبَيْدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شُرْحَبِيل الأردن، وقيل بُصْرَى، ونزل عمرو بن العاص العَرَبَة. فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هِرَقْل، وكان بالقُدْس، فقال: أرى أن تصالحو المسلمين، فواللَّهِ لَأَنْ تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أَحَبَّ إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم. فتفرقوا عنه وعصوه، فجمعهم وسار بهم إلى جِمَص، فنزلها وأعدَّ الجنود والعساكر، وأراد إشغال كلَّ طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره، لكثرة جنده، لتضعف كلُّ فرقة من المسلمين عَمَّنْ بلزائمه، فأرسل تَذَارِق أخاه لأبيه وأمه في تسعين ألفاً إلى عمرو، وأرسل جَرَجَة بن تَوْذَر^(٦) إلى يزيد بن أبي سفيان، وبعث القيقار^(٧) بن نَسْطُوس في ستين ألفاً إلى أبي عُبَيْدة بن الجراح، وبعث الدُّرَاقِص نحو شُرْحَبِيل، فهابهم المسلمون وكتبوا عَمراً ما الرأي، فأجابهم: إِنَّ الرأى لمثلنا الاجتماع، فَإِنْ مثُلنا إذا اجتمعنا لا نُغَلَب من قَلَة، فَإِنْ تفرقنا لا يقوم كلُّ فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا.

وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال: إِنَّ مثلكم لا يؤتى من قَلَة وإنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، فاجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل واحد منكم بأصحابه. فاجتمع المسلمون باليرموك، والروم أيضاً وعليهم

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٢) هكذا في الأصول، وفي النسخة (ب): «فوارس». وفي تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٣) في النسخة (ب): «والحق».

(٤) حتى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٥) الطبري ٣/٣٩٢.

(٦) عند الطبري «توذرا».

(٧) في النسخة (ت): «فيقار». وفي النسخة (ب): «القنقار».

التذارق، وعلى المقدمة جَرْجَة، وعلى المجنَّبة باهان، ولم يكن وصل بعدُ إليهم، والدَّرَاقص على الأخرى، وعلى الحرب القيقار^(١). فنزل الروم وصار الوادي خندقاً لهم، وإنَّما أرادوا أن يتأنَّس الروم بالمسلمين لترجع إليهم قلوبهم، ونزل المسلمون على طريقهم، ليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أبشروا! حُصرت الروم وقتل ما جاء محصوراً بخير. وأقاموا صفراً عليهم وشهرت ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق، ولا يُخرج الروم خرجة إلا أدبل^(٢) عليهم المسلمون^(٣).

ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدَّوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إليهم وبالحث^(٤) وأن يأخذ نصف النَّاس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني^(٥)، ولا يأخذنَّ مَنْ فيه نجدة إلا ويترك عند المثنى مثله، وإذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه إلى العراق.

فاستأثر خالد بأصحاب النبي ﷺ، على المثنى وترك للمثنى عدادهم من أهل القنعة مَنْ ليس له صحبة، ثم قَسَمَ الجند نصفين، فقال المثنى: والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر، وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ. فلما رأى خالد ذلك أرضاه^(٦).

وقيل: سار من العراق في ثمانمائة، وقيل: في ستمائة، وقيل: في خمسمائة^(٧)، وقيل: في تسعة آلاف^(٨)، وقيل: في ستة آلاف.

وقيل: إنَّما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القوَّة والنجدة، فأَتَى حَدُودَهُ^(٩) فقاتله أهلها فظفر بهم، وأتى المصيِّخ وبه جمْعٌ من تغلب فقاتلهم وظفر بهم وسبى وغنم^(١٠).

(١) في النسخة (ت): «فيقار»، والنسخة (ب) «القنقار»، وفي نسخة دي غوية: «الفيقار».
(٢) في النسخة (ب): «أغار»، وجاء في لسان العرب: يقال: «أدبل لنا على أعدائنا، أي نُصِرنا عليهم، وكانت الدولة لنا».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) الطبري ٣/٣٩٣.

(٥) فتوح البلدان ١٣١.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤١١.

(٧) الأقوال في فتوح البلدان ١٣١.

(٨) الطبري ٣/٤١١.

(٩) حَدُودُهُ: بفتحين وسكون الواو، ودال أخرى، وألف ممدودة. موضع في بلاد عُذرة. ويروى بالقصر.

(معجم البلدان ٢/٢٢٩).

(١٠) الطبري ٣/٤١٠، فتوح البلدان ١٣١.

وكان من السَّيِّئِ : الصُّهْبَاء بنت حَبِيب بن بُجَيْر، وهي أمَّ عمر بن عليّ بن أبي طالب^(١)، وقيل في أمرها ما تقدّم .

وقيل : سار خالد فلماً وصل إلى قُراقِر^(٢)، وهو ماء لكلب، أغار على أهلها وأراد أن يسير منهم مفوّزاً إلى سُوى^(٣)، وهو ماء لبهاء بينهما خمس ليال، فالتمس دليلاً، فذلَّ على رافع بن^(٤) عَمِيرة الطائي، فقال له في ذلك، فقال له رافع : إنَّك لن تُطيق ذلك بالخيّل والأثقال، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّاكِب المفرد يخافه على نفسه. فقال : إنه لا بُدَّ لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لثلاً يحبسني عن غياث المسلمين. فأمر صاحب كلِّ جماعة أن يأخذ الماء للشعبة لخمس، وأن يعطش من الإبل الشَّرْف ما يكتفي به، ثم يسقوها غللاً بعد نَهْل، والعلل الشربة الثانية، والنَّهْل الأولى، ثم يصروا آذان الإبل ويشدّوا مشافرها لثلاً تجتَر. ثم ركبوا من قُراقِر، فلماً ساروا يوماً وليلة شقّوا لعدّة^(٥) من الخيل بطون عشرة من الإبل، فمزجوا ماء في كروشها بما كان من الألبان وسقوا الخيل، ففعلوا ذلك أربعة أيام. فلماً دنا من العَلَمَيْن قال للنَّاس : انظروا هل تروُن شجرة عَوْسَج كقعدة الرجل؟ فقالوا : ما نراها. فقال : إنّ الله وإنّا إليه راجعون، هلكتم والله وهلك معكم ! وكان أرمَد. فقال لهم : انظروا ويحكم ! فنظروا فأروها قد قُطعت وبقي منها بقية. فلماً رأوها كَبَرُوا، فقال رافع : احفروا في أصلها. فحفروا واستخرجوا عيناً، فشربوا حتى روي النَّاسُ. فقال رافع : والله ما وردت هذا الماء قطّ إلّا مرّة واحدة مع أبي وأنا غلام. فقال شاعر من المسلمين :

لله عينا رافع^(٦) أنى اهتدى فَوَزَّ من قُراقِر إلى سُوى^(٧)
خمساً إذا ما سار^(٨) الجيش بكى ما سارها قبلك إنسي يُرى^(٩)

(١) فتوح البلدان ١٣١.

(٢) قُراقِر: بضم أوله. اسم وادٍ لكلب بالسماوة من ناحية العراق. (معجم البلدان ٣١٧/٤).

(٣) سُوى: بضم أوله والقصر. اسم ماء لبهاء من ناحية السماوة. (معجم البلدان ٢٧١/٣).

(٤) في الطبعة الأوربية «من».

(٥) في الطبعة الأوربية «العدّة».

(٦) في فتوح البلدان : «لله دُرّ نافع» وفي معجم البلدان «لله دُرّ رافع».

(٧) في النسخة (ب) «سرى».

(٨) في تاريخ الطبري «سارها».

(٩) تاريخ الطبري ٤١٦/٣ وفي فتوح البلدان ١٣١ :

ماء إذا ما رامه الجيش اثثنى ما جازها قبلك من إنس يُرى

وفي معجم البلدان ٢٧١/٣ :

خمساً إذا ما سارها الجيش بكى ما سارها من قبله إنس يُرى

فلما انتهى خالد إلى سُوى^(١) أغار على أهلها وهم بهراء وهم يشربون الخمر ومغنيهم يقول:

ألا عِلَّلاني قبل جيش أبي بكر
ألا عِلَّلاني بالزجاج وكَرَّرُوا
ألا عِلَّلاني من سُلَافَةِ قَهْوَةٍ
أظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا
فهل لَكُمْ في السَّيْرِ قبل قتالكم^(٢)
لَعَلَّ مَنَايانا قَرِيبٌ وَلَا^(٣) نَذْري
عليَّ كُمَيْتٌ^(٤) اللَّوْنُ صَافِيَةٌ تَجْري
تُسَلِّي هُمُومَ النَّفْسِ من جَيْدِ الخمرِ
ستَطْرُقُكم قبل الصَّباحِ مع النَّسرِ^(٥)
وقبل خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ من الخِذْرِ

فقتل المسلمون مُغْنِيَهُمْ وسال دمه في تلك الجفنة وأخذوا أموالهم^(٦)، وقتل حُرْقُوص بن النُّعْمان البَهْراني^(٧). ثم أتى أَرْكَ^(٨) فصالحوه، ثم أتى تَدْمُرَ فتحصن أهلها ثم صالحوه، ثم أتى القَرَيْتَيْنِ^(٩) فقاتلهم فظفر بهم وغنم، وأتى حُورَين^(١٠) فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قُصَمَ^(١١) فصالحه بنو مَشْجَعَةٍ من قُضَاعَةٍ، وسار فوصل إلى ثنية العُقَابِ عند دمشق ناشراً رأيته، وهي راية سوداء وكانت لرسول الله ﷺ، تسمى العُقَاب، وقيل: كانت رأيته تسمى العُقَاب فسميت الثنية بها، وقيل: سُميت بعُقَاب الطير سقطت عليها، والأول أصح^(١٢).

ثم سار فأتى مَرْجَ راهط فأغار على^(١٣) غَسَّان في يوم فُضْحهم^(١٤) فقتل وسبى،

- (١) في النسخ (ب): «سرى».
- (٢) هكذا في فتوح البلدان ١٣٢، وفي تاريخ الطبري «وما» ٤١٦. وانظر البيت بألفاظ مختلفة في: المعرفة والتاريخ ٢٩٢/٣.
- (٣) في تاريخ الطبري ٤١٧/٣ «كُمَيْتٌ».
- (٤) في تاريخ الطبري ٤١٧/٣ ونهاية الأب «من البشر».
- (٥) في تاريخ الطبري «قتالهم».
- (٦) فتوح البلدان ١٣٢، تاريخ الطبري ٤١٧/٣.
- (٧) فتوح البلدان ١٣١.
- (٨) أرك: بفتحين: مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر، وهي ذات نخل وزيتون. وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام. (معجم البلدان ١٥٣/١).
- (٩) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سُخْنَة، وأرك كلهم نصارى (في أيام ياقوت). (معجم البلدان ٣٣٦/٤).
- (١٠) حُورَين: بالضم، وتشديد الواو، ويختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وباء ساكنة، ونون. حصن من ناحية حمص. (معجم البلدان ٣١٥/٢).
- (١١) قُصَمَ: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق. (معجم البلدان ٣٦٥/٤).
- (١٢) فتوح البلدان ١٣٢، ١٣٣، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٦، ٢٨٧، تاريخ يعقوبي ١٣٤/٢.
- (١٣) في إحدى النسخ: «على مرج».
- (١٤) في النسخة (ب): «فصبحهم».

وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد. ثم سار حتى وصل إلى بصرى، فقاتل من بها، فظفر بهم وصالحهم، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق^(١). وبعث بالأخماس إلى أبي بكر. ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر، وطلع باهان على الروم ومعه الشامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال، وخرج باهان كالمعتذر^(٢)، فولي خالد قتاله، وقاتل الأمراء من بإزائهم، ورجع باهان والروم إلى خندقهم وقد نال منهم المسلمون^(٣).

(عميرة: بفتح العين المهملة وكسر الميم).

ذكر وقعة اليرموك

فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك، وكانوا سبعة وعشرين ألفاً، قدم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستة وثلاثين ألفاً سوى عكرمة، فإنه كان رداءً لهم، وقيل: بل كانوا سبعة وعشرين ألفاً وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد، فصاروا أربعين ألفاً سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل، وقيل في عددهم غير ذلك، والله أعلم^(٤).

وكان فيهم ألف صحابي، منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا^(٥). وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألف مقيّد، وأربعون ألف مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم لثلاثي يفرّوا، وثمانون ألف رجل، وقيل: كانوا مائة ألف، وكان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد، حتى قدم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهراً، ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة^(٦).

فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين، فسار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا

(١) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ الطبري ٣/٤١٠، ٤١١ و٤١٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩٣، تاريخ دمشق ٤٦٠/١.

(٢) في تاريخ الطبري «كالمقتدر».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٩٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٣٩٧.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٩٥.

البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا^(١) الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون^(٢)، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه رأي من واليكم ومحبة. قالوا: هات فما الرأي؟ قال: «إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون، لقد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله! فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان [لأحد] من الأمراء^(٣)، ولا يزيده عليه إن دانوا له. إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم^(٤) عند الله ولا عند خليفة رسول الله، ﷺ. هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا، وإن هذا يوم له ما بعده، إن ردناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها. فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا^(٥) اليوم، والآخر بعد غد، حتى تتأمروا كلكم، ودعوني أتأمر اليوم». فأمرهم وهم يرون أنها كخرجاتهم، وأن الأمر [لا] يطول.

فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كُردوساً^(٦) إلى الأربعين، وقال: «إن عدوكم كثير^(٧) وليس تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحбил^(٨) بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كُردوس القعقاع بن عمرو، وجعل على كل كُردوس رجلاً من الشجعان، وكان القاضي أبو الدرداء، وكان القاص أبو سفيان بن حرب، وعلى الطلائع قبات بن أشيم، وعلى الأقباض^(٩) عبد الله بن مسعود. وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان، والله لوددت أن الأشقر، يعني

(١) في النسخة (ب): «وارضوا».

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٩٥ «على تسائد».

(٣) عند الطبري «امراء الجنود».

(٤) عند الطبري ٣/٣٩٦ «ينقصكم».

(٥) عند الطبري «فليكن عليها بعضنا».

(٦) الكُردوس: القطعة العظيمة من الخيل، يقال: كردس القائد خيله، أي جعلها كتيبة منه.

(٧) عند الطبري ٣/٣٩٦ «إن عدوكم قد كثُر وطفى وليس من التعبئة تعبئة أكثر».

(٨) عند الطبري «وفيها شرحبيل».

(٩) الأقباض: جمع قبض، بفتحيتين، وهو ما جُمع من الغنائم.

فرسه، براء من توجّيه^(١)، وأنهم أضعفوا في العدد، وكان قد خفي في مسيره.

فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو فأنشبا القتال، والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا، فإنهم على ذلك قدِم البريد من المدينة، واسمه محمية بن زُنَيْم، فسألوه الخبر، فأخبرهم بسلامة وأمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة، فبلغوه خالدًا، فأخبره خبر أبي بكر سرًّا.

وخرج جَرَجَة إلى بين الصّفين وطلب خالدًا، فخرج إليه، فأمن كلّ واحد منهما صاحبه، فقال جَرَجَة: يا خالد اصدقني ولا تكذبني، فإنّ الحُرّ لا يكذب، ولا تُخادِعني، فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكم، فلا تسله على قومٍ إلّا هزمتهم؟ قال: لا. قال: ففيم سُميت سيف الله؟ فقال له: إنّ الله بعث فينا نبيّه، ﷺ، فكنت فيمن كذّبه وقاتله، ثمّ إنّ الله هداني فتابعته. فقال: أنت سيف الله سلّه الله على المشركين! ودعا لي^(٢) بالنصر. قال: فأخبرني إلى ما تدعوني. قال خالد: إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب. قال: فما منزلة من الذي يُجيبكم ويدخل فيكم؟ قال: منزلتنا واحدة. قال: فهل له مثلكم من الأجر والدُّخر؟ قال: نعم وأفضل لأننا اتّبعنا نبينا وهو حيّ يُخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات، وحقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسلم، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا، فمَنْ دخل بنيةٍ وصدق كان أفضل منّا. فقلب جَرَجَة ترسه ومال مع خالد وأسلم، وعلمه الإسلام واغتسل وصلى ركعتين، ثمّ خرج مع خالد فقاتل الرومَ.

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم إلّا^(٣) المحامية، عليهم عكرمة وعمّه الحارث بن هشام، فقال عكرمة [يومئذ]: قاتلتُ مع رسول الله، ﷺ، في كلّ موطن ثمّ أفرّ اليوم! ثمّ نادى: مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدّام فسطاط خالد حتّى اثبتوا^(٤) جميعاً جراحاً، فمنهم مَنْ برأ ومنهم مَنْ قُتل. وقاتل خالد وجَرَجَة قتالاً شديداً، فقتل جَرَجَة عند آخر النهار، وصلى الناس الأولى والعصر إيماءً، وتضعض الروم ونهّد خالد بالقلب حتّى كان بين خيله ورجلهم. فانهزم الفرسان وتركوا الرّجالة.

ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجّهت للمهرب أفرجوا لها، ففترقت وقُتل

(١) وجي الفرس وتوجّى، أي أصيب بالوجأ، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره.

(٢) في الطبعة الأوروبية «علي».

(٣) في الطبعة الأوروبية «إلى».

(٤) في الطبعة الأوروبية «أثبوا».

الرَّجَالَةَ واقتحموا في خندقهم، فاقتحمه^(١) عليهم، [فعمدوا إلى الواقصة حتى]^(٢) هوى فيها المقترنون وغيرهم، ثمانون ألفاً من المقترنين، وأربعون ألف مُطْلَق، سوى مَنْ قُتِل في المعركة، وتجلَّل الفيقار وجماعة من أشراف الروم برانسهم وجلسوا فقتلوا متزملين. ودخل خالد الخندق ونزل في رواق تَذَارِق. فلَمَّا أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحاً، فوضع رأسه على فخذه، وبعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما وقطر في حلوقهما الماء وقال: زعم ابن حنّمة، يعني عمر، أنا لا نُستشهد! وقاتل النساء ذلك اليوم وأبلى^(٣).

قال عبد الله بن الزبير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبي لا أقاتل، فلَمَّا اقتتل الناس نظرتُ إلى ناسٍ على تلٍّ لا يقاتلون، فركبتُ وذهبتُ إليهم وإذ أبو سفيان بن حرب ومشixe من قريش من مهاجرة الفتح، فأروني حَدَثاً فلم يتقوني، قال: فجعلوا والله إذا مال^(٤) المسلمون وركبتهم الروم يقولون: إيه بني الأصفر! فإذا مالت الروم وركبهم^(٥) المسلمون قال: ونح بني الأصفر^(٦)! فلَمَّا هزم الله الروم أخبرتُ أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلا ضغنًا، لننحن خير لهم من الروم! وفي اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب^(٧).

ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص، فنادى بالرحيل عنها قريباً وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمر عليها أميراً كما أمر على دمشق. وكان مَنْ أُصيب من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة، وابنه عمرو، وسَلْمَة بن هشام، وعمر بن سعيد، وأبان بن سعيد، وجُنْدُب بن عمرو، والطُّفَيْل بن عمرو، وطُليب بن عُمَيْر، وهشام بن العاص، وعيَّاش بن أبي ربيعة، في قول بعضهم^(٨). (عيَّاش: بالياء المثناة والشين المعجمة).

وفيها قُتل سعيد بن الحارث^(٩) بن قيس بن عدي السهمي، وهو من مهاجرة الحبشة.

(١) أي خالد بن الوليد.

(٢) ما بين الحاصرتين عن الطبري ٤٠٠/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «وأبوا». وانظر الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣٩٤/٣ - ٤٠١.

(٤) في الطبعة الأوربية «مالت».

(٥) في الطبعة الأوربية «وركتهم».

(٦) الإصابة لابن حجر ١٧٣/٢ وقال ابن حجر: «وهذا لبعده من قبله والذي قبله أصح». وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، ٣٠١.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، وفي فتوح البلدان ١٦٠ ذهب عنه يوم الطائف.

(٨) تاريخ الطبري ٤٠٢/٣، وفي فتوح البلدان كانت وفاتهم يوم أجنادين - ص ١٣٥.

(٩) في طبعة صادر ٤١٤/٢ «الحرب»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان ١٣٥ رقم ٣١٥.

وفيهما قُتِلَ نُعَيْمٌ^(١) بن عبد الله النَّحَّامُ العدويّ عديّ قریش، وكان إسلامه قبل عمر.
وفيهما قُتِلَ النُّضِيرُ بن الحارث بن علقمة، وهو قديم الإسلام والهجرة، وهو أخو
النُّضَر الذي قُتِلَ بيدر كافراً.

وقُتِلَ فيها أبو الروم بن عُمَيْر بن هاشم العبدريّ^(٢) أخو مُضْعَب بن عُمَيْر، وهو من
مُهَاجِرَةِ الحَبْشَةِ، شهد أحداً. وقيل قُتِلوا يوم أجنّادين، والله أعلم.

ذكر حال المُثَنَّى بن حارثة بالعراق

وأما المُثَنَّى بن حارثة الشيباني فإنه لما ودّع خالد بن الوليد، وسار خالد إلى الشام
فيمن معه بالجُند، أقام بالحيرة ووضع المسلحة وأذكى العيون، واستقام أمر فارس بعد
مسير خالد من الحيرة بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة، على شهريران^(٣) بن أردشير بن
شهریار سابور، فوجّه إلى المُثَنَّى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذوئيه في عشرة آلاف،
فخرج المُثَنَّى من الحيرة نحوه وعلى مجنبتيه المُعَنَّى ومسعود أخواه، فأقام ببابل، وأقبل
هرمز نحوه، وكتب كسرى شهريران^(٤) إلى المُثَنَّى كتاباً: إني قد بعثت إليكم جنداً من
وخش^(٥) أهل فارس، إنما هم رُعاء الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلاّ بهم. فكتب إليه
المُثَنَّى: «إنما أنت أحد رجلين: إمّا باغ، فذلك شرّ لك وخير لنا، وإمّا كاذب، فأعظم
الكاذبين»^(٦) فضيحةً عند الله وفي الناس الملوك، وأما الذي يدلّنا عليه الرأي فإنكم إنما
أضررتم^(٧) إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدهم إلى رُعاة الدجاج والخنازير.

فجزع الفرس من كتابه، فالتقى المُثَنَّى وهرمز ببابل فاقتلوا قتالاً شديداً، وكان
فيلهم يفرّق المسلمين، فانتدب له المُثَنَّى ومعه ناس فقتلوه، وانهمز الفرس وتبعهم
المسلمون إلى المدائن يقتلونهم. ومات شهريران لما انهزم هرمز جاذوئيه، واختلف أهل
فارس، وبقي ما دون دجلة بيد المُثَنَّى^(٨).

ثمّ اجتمعت الفرس على دُخْتُ زَنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمرٌ وخُلعت، ومَلَكَ
سابور بن شهريران^(٩). فلما مَلَكَ قام بأمره الفَرُّخزاد بن البَنْدَوان، فسأله أن يزوجه

(١) في النسخة (ب): «معمّر»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان وتاريخ خليفة ١٢٠.

(٢) في النسخة (ب): «العدوي».

(٣) في تاريخ الطبري ٤١١/٣ «شَهْرِيَّاز» وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣٠٢/٣.

(٤) في طبعة صادر ٤١٥/٢ «وحش»، وما أثبتناه عن الطبري، والوخش بالخاء المعجمة، والْحَثَالَة من الناس.

(٥) عند الطبري ٤١٢/٣ «الكذابين».

(٦) عند الطبري «اضطرتهم».

(٧) الطبري ٤١٢/٣ - ٤١٣.

(٨) عند الطبري ٤١٣/٣ شهريراز، وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣٠٢/٣.

أَزْرَمِيذُخْتُ بِنْتُ كَسْرَى، فَأَجَابَهُ. فَغَضِبَتْ أَزْرَمِيذُخْتُ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى سَيَاوَحْشٍ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْعَرَسِ أَقْبَلَ الْفَرْخَزَادَ حَتَّى دَخَلَ، فَثَارَ بِهِ سَيَاوَحْشٌ فَقَتَلَهُ، وَقَصَدَتْ أَزْرَمِيذُخْتُ وَمَعَهَا سَيَاوَحْشٌ سَابُورٌ فَحَصَرُوهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ، وَمَلَكَتْ أَزْرَمِيذُخْتُ ثُمَّ تَشَاغَلُوا بِذَلِكَ^(١).

وَأَبْطَأَ خَبَرُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى الْمَثْنَى، فَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِشِيرِ بْنِ الْخِصَاصِيَّةِ، وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيُخْبِرَهُ خَبَرَ الْمَشْرِكِينَ وَيَسْتَأْذِنَهُ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِمَنْ حُسِنَتْ تَوْبَتُهُ مِنَ الْمَرْتَدِّينَ، فَإِنَّهُمْ أَنْشَطُوا إِلَى الْقِتَالِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَبُو بَكْرٍ مَرِيضٌ قَدْ أَشْفَى، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ، فَاسْتَدْعَى عَمَرَ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ يَوْمِي هَذَا، فَإِذَا مِتُّ فَلَا تَمْسِيَنَّ حَتَّى تَنْدُبَ النَّاسَ مَعَ الْمَثْنَى، وَلَا تَشْغَلْنِي عَنْ أَمْرِ دِينِكُمْ وَوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتَنِي مَتَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا صَنَعْتُ وَمَا أُصِيبُ الْخَلْقَ بِمِثْلِهِ، وَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَارْدَدَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْعِرَاقِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَاةُ أَمْرِهِ وَأَهْلُ الْجَرَاءَةِ عَلَيْهِمْ^(٢).

وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَيْلًا فَدَفَنَهُ عَمَرُ، وَنَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمَثْنَى، وَقَالَ عَمَرُ: قَدْ عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ يَسْؤُنِي أَنْ أَوْمَرَ خَالِدًا فَلِهَذَا أَمَرْنِي أَنْ أُرَدِّ أَصْحَابَ خَالِدٍ، وَتَرَكْتُ ذِكْرَهُ مَعَهُمْ^(٣).

وَالِىَ أَزْرَمِيذُخْتُ أَنْتَهَى شَأْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَهَذَا حَدِيثُ الْعِرَاقِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤).

ذِكْرُ وَقْعَةِ أَجْنَادَيْنَ

قَدْ ذَكَرَهَا أَبُو جَعْفَرٍ^(٥) عَقِيبَ وَقْعَةِ الْيَرْمُوكِ، وَرَوَى خَبَرَهَا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْأُمَرَاءِ وَمَسِيرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ نَحْوَمَا تَقَدَّمَ، وَقَالَ: فَسَارَ خَالِدٌ مِنْ مَرْجِ رَاهِطٍ إِلَى بُضْرَى، وَعَلَيْهَا أَبُو عَيْبَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا عَلَى الْجَزِيَّةِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ فُتِحَتْ بِالشَّامِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ. ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فِلَسْطِينَ مَدَدًا لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مَقِيمٌ بِالْعَرَبَاتِ، وَاجْتَمَعَتِ الرُّومُ بِأَجْنَادَيْنِ وَعَلَيْهِمْ تَذَارِيقُ أَخُوهِ رَقْلُ الْأَبْيُوهِ، وَقِيلَ كَانَ عَلَى الرُّومِ الْقُبْقَلَارُ؛ وَأَجْنَادَيْنِ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ جَبْرِينَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَسَارَ عَمْرُو بْنُ

(١) الطبري ٤١٣/٣.

(٢) الطبري ٤١٤/٣.

(٣) الطبري ٤١٤/٣.

(٤) الطبري ٤١٤/٣.

(٥) الطبري في تاريخه ٤١٧/٣.

العاص حين سمع بالمسلمين فلقبهم ونزلوا بأجنادتين وعسكروا عليهم، فبعث القُبُقْلَارَ عربياً إلى المسلمين يأتيه بخبرهم، فدخل فيهم وأقام يوماً وليلة ثم عاد إليه، فقال: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه^(١)، ولو زنى رُجم، لإقامة الحق فيهم. فقال: إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها.

والتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جُمَادَى^(٢) الأولى سنة ثلاث عشرة، فظهر المسلمون وهُزِمَ المشركون وقُتِلَ القُبُقْلَارُ وَتَذَارِقُ، واستشهد رجال من المسلمين^(٣)، منهم: سَلَمَةُ بن هشام بن المغيرة، وهَبَّار بن الأسود، ونُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام، وهشام بن العاص بن وائل^(٤).
وقيل: بل قُتِلَ باليرموك وجماعة غيرهم.

قال: ثم جمع هِرَقْلُ للمسلمين باليرموك، وجاءهم خبر وفاة أبي بكر وهم مصاقفون، وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الواقعة في رجب؛ هذه سياقة الخبر.

وكان فيمن قُتِلَ ضِرَار بن الخطَّاب الفِهْرِيُّ وله صحبة، وعمر بن سعيد بن العاص وهو من مهاجرة الحبشة^(٥)، وقُتِلَ باليرموك، وممن قُتِلَ الفضل بن العباس^(٦)، وقيل: قُتِلَ بمرج الصُّفَر، وقيل: مات في طاعون عَمَواس.

وفيها قُتِلَ طُلَيْب بن عمير بن وهب القرشي وقُتِلَ باليرموك، شهد بدرًا، وهو من المهاجرين الأولين.

وفيها قُتِلَ عبد الله بن أبي جهَم القرشي العدوي، وكان إسلامه يوم الفتح.
وفيها قُتِلَ عبد الله بن الزَّيْبِر بن عبد المطلب بعد أن قتل جمعاً من الروم في المعركة، وكان عمره يوم مات النبي ﷺ، نحو ثلاثين سنة.
وفيها قُتِلَ عبد الله بن الطُّفَيْل الدَّؤُوسِي^(٧)، وهو الملقَّب بذي النور، وكان من فضلاء الصحابة قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة.

(١) عند الطبري ٤١٨/٣ «قطعوا يده». وانظر: الفتوح لابن أعمش ١٥١/١.

(٢) في تاريخ خليفة ١١٩ «لثلاث بقين من جمادى الأولى».

(٣) حتى هنا عند الطبري ٤١٧/٣ - ٤١٩.

(٤) فتوح البلدان ١٣٥ وانظر تاريخ خليفة ١٢٠، والفتوح لابن أعمش ١٤٧.

(٥) تاريخ خليفة ١٢٠.

(٦) تاريخ خليفة ١٢٠.

(٧) في فتوح البلدان ١٣٥ «عمر بن الطُّفَيْل بن عمرو الدَّؤُوسِي»؛ وانظر تجريد أسماء الصحابة ٣٥٠/١.

(أجنّادَيْن: بعد الجيم نون، ودال مهملة مفتوحة، ومنهم مَنْ يكسرها، ثمّ ياء مثناة من تحتها ساكنة، وآخره نون).
وقد قيل: إنّ وقعة أجنّادَيْن كانت سنة خمس عشرة، وسيرِدِ ذِكْرُها إن شاء الله.

ذكر وفاة أبي بكر

كانت وفاة أبي بكر، رضي الله عنه، لثمانِي لِيالٍ بَقِيْنَ من جُمادَى الآخرة ليلة الثلاثاء وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة، وهو الصحيح، وقيل غير ذلك، وكان قد سمّاه اليهود في أُرْزٍ، وقيل في حريرة، وهي الحَسُو، فأكل هو والحارث بن كَلْدَة، فكفّ الحارث وقال لأبي بكر: أكلنا طعاماً مسموماً سُمّ سنة، فماتا بعد سنة^(١).

وقيل: إنّهُ اغتسل وكان يوماً بارداً، فحَمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، فأمر عمر أن يصلي بالنّاس. ولما مرض قال له النّاس: ألا ندعو الطيب؟ قال: قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد؛ فعلموا مراده وسكتوا عنه، ثمّ مات^(٢).

وكانت خلافته ستين وثلاثة أشهر وعشر لِيالٍ، وقيل: كانت ستين وأربعة أشهر إلّا أربع لِيالٍ، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين^(٣).

وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عُمَيْس وابنه عبد الرحمن، وأن يُكفّن في ثوبِهِ وَيُسْتَرَى معهما ثوبٌ ثالث، وقال: الحَيّ أَحوج^(٤) إلى الجديد من الميت، إنّما هو للمُهَلَّة^(٥) والصديد^(٦).

وُدُنَ لِيلاً وصلى عليه عمر بن الخطّاب في مسجد رسول الله، ﷺ، وكبّر عليه أربعاً، وحُمِلَ على السرير الذي حُمِلَ عليه رسول الله، ﷺ، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة، وجُعِلَ رأسه عند كتفي النبي، ﷺ، وألصقوا لحدّه بلحد النبي ﷺ^(٧)، وجُعِلَ قبره مثل قبر النبي ﷺ، مسطحاً^(٨). وأقامت عائشة عليه النّوح، فنهاهنّ عن البكاء عمر، فأبين، فقال لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة،

(١) تاريخ الطبري ٤١٩/٣.

(٢) الطبري ٤١٩/٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٢/٣، تاريخ الطبري ٤٢٠/٣، وانظر تاريخ خليفة ١٢٢.

(٤) عند الطبري ٤٢١/٣ «أحق».

(٥) المُهَلَّة: القيح والصديد.

(٦) الطبري ٤٢١/٣.

(٧) الطبقات الكبرى ٢٠٩/٣، الطبري ٤٢٢/٣.

(٨) الطبقات ٢٠٩/٣، الطبري ٤٢٣/٣.

فأخرج إليه أم فروة ابنة أبي قحافة فعلاها بالدرة ضربات، ففترق النوح حين سمعن ذلك.

وكان آخر ما تكلم به: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١).

وكان أبيض خفيف العارضتين، أحنى^(٢) لا يستمسك^(٣) إزاره، معروق الوجه^(٤)، نحيفاً، أقنى، غائر العينين، يخضب بالحناء والكتم، وكان أبوه حياً بمكة لما توفى^(٥).

وهو أبو بكر عبد الله، وقيل: عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة^(٦) بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، يجتمع مع رسول الله ﷺ، في مرة بن كعب، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو^(٧) بن كعب بن سعد بن تميم.

وقيل: إن رسول الله ﷺ، قال له: أنت عتيق من النار، فلزمه، وقيل: إنما قيل له عتيق لرفقه حسنه وجماله. وأسلمت أمه قديماً بعد إسلام أبي بكر، وتزوج في الجاهلية قتيلة بنت عبد العزى بن عامر بن لؤي، فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان، واسمها دعد بنت عامر بن عميرة الكنانية، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فولدت له محمد بن أبي بكر، وتزوج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية، فولدت له بعد وفاته أم كلثوم^(٨).

أسماء قضااته وعَمَّاله وكتبه

لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان.

وكان علي بن أبي طالب يكتب له، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، وكان يكتب له من حضر^(٩).

(١) سورة يوسف - الآية ١٠١، وانظر الطبري ٤٢٣/٣.

(٢) عند الطبري ٤٢٤/٣، وابن سعد ١٨٨/٣ «أجنا»: أي أحذب.

(٣) في الطبعة الأوربية «يتمسك».

(٤) أي قليل اللحم.

(٥) تاريخ الطبري ٤٢٤/٣.

(٦) في تاريخ الطبري ٤٢٥/٣ «تيم بن مرة بن كعب بن لؤي».

(٧) في تاريخ الطبري «عامر».

(٨) تاريخ الطبري ٤٢٥/٣، ٤٢٦.

(٩) تاريخ الطبري ٤٢٦/٣.

وكان عامله على مكة عتّاب بن أسيد، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر^(١)، وقيل: مات بعده. وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية^(٢)، وعلى حضرموت زياد بن ليبيد الأنصاري، وعلى حوّلان يعلى بن منية^(٣)، وعلى زبيد ورمع أبو موسى، وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي^(٤). وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وعبد الله بن ثور إلى جرش، وعياض بن غنم إلى دومة الجندل. وكان بالشام أبو عبيدة وشرحيل ويزيد وعمرو، وكل رجل منهم على جندٍ وعليهم خالد بن الوليد^(٥). وكان نقش خاتمه: نعم القادر الله. وعاش أبوه بعده ستة أشهر وأياماً، ومات وله سبع وتسعون سنة^(٦).

ذكر بعض أخباره ومناقبه

كان أبو بكر أول الناس إسلاماً في قول بعضهم، وقد تقدّم الخلاف في ذلك، وقال النبي ﷺ: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبة غير أبي بكر. والذي ورد له عن النبي ﷺ، من المناقب كثير، كشهادته له بالجنة، وعتقه من النار، وغير ذلك من الإخبار بخلافته تعريضاً لقوله، ﷺ، للمرأة: إن لم تجدني فاتي أبا بكر، وكقوله: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، إلى غير ذلك.

وشهد بديراً وأحدًا والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله، ﷺ، وأعتق سبعة نفر كلهم يُعَذَّب في الله تعالى، منهم بلال وعامر بن فهيرة وزينة والنهدية وابنها وجارية بني مؤمل وأمّ عبّيس وأسلم. وله أربعون ألفاً أنفقها في الله مع ما كسب في التجارة.

ولما ولي الخلافة وارتدت العرب خرج شاهراً سيفه إلى ذي القصة، فجاءه علي وأخذ بزمَام راحلته وقال له: أين يا خليفة رسول الله، ﷺ! أقول لك ما قال لك رسول الله، ﷺ، يوم أخذ: «شِم سيفك لا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام»؛ فرجع وأمضى الجيش.

وكان له بيت مال بالسُّنح، وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة، فقبل له:

(١) تاريخ خليفة ١٢٣.

(٢) تاريخ خليفة ١٢٣.

(٣) هكذا في الأصول والمطبوع في تاريخ خليفة ١٢٣ وتاريخ الطبري ٤٢٧/٣، «أمية».

(٤) تاريخ خليفة ١٢٢.

(٥) تاريخ الطبري ٤٢٧/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٤٢٧/٣.

ألا نجعل عليه مَنْ يحرسه؟ قال: لا. فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شيء، فلما انتقل إلى المدينة جعل بيت المال معه في داره.

وفي خلافته افتتح معدن بني سُليم، وكان يسوي في قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الحر والعبد والذكر والأنثى، فقيل له: لتقدم أهل سبق على قدر منازلهم، فقال: إنما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيههم ذلك في الآخرة، وإنما هذه الدنيا بلاغ. وكان يشتري الأكسية ويفرقها في الأرامل في الشتاء.

ولما توفي أبو بكر جمع عمر الأمناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً غير دينار سقط من غرارة، فترحموا عليه.

قال أبو صالح الغفاري: كان عمر يتعهد امرأة عمياء في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضي أشغالها سرّاً وهو خليفة، فقال له: أنت هو لعمري! قال أبو بكر بن حفص بن عمر: لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة وهو يعالج الموت فتمثلت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذلك ولكن ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١)، إني قد كنت نحلّتك حائط كذا وفي نفسي منه شيء فردّيه على الميراث، فردّته، فقال: إنما هما أخواك وأختاك. قالت: من الثانية؟ إنما هي أسماء. قال: ذات بطن بنت خارجة، يعني زوجته، وكانت حاملاً فولدت أمّ كلثوم بعد موته. وقال لها: أما إننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين إلا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بالجميع إلى عمر. فلما مات بعثته إلى عمر، فلما رآه بكى حتى سالت دموعه إلى الأرض وجعل يقول: رجم الله أبا بكر! لقد أتعب من بعده، ويكرّر ذلك، وأمر برفعه. فقال عبد الرحمن بن عوف؛ سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم، فلو أمرت بردها عليهم. فقال: لا والذي بعث محمداً ﷺ، لا يكون هذا في ولايتي ولا خرج أبو بكر منه وأتقلّده أنا. وأمر أبو بكر أن يُردّ جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته.

وقيل: إن زوجته اشتهدت حُلواً فقال: ليس لنا ما نشترى به. فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدّة أيام ما نشترى به. قال: افعلي. ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيام

(١) (سورة ق، الآية ١٩).

كثيرة شيء يسير، فلمّا عرّفته ذلك ليشتري به حلوّاً أخذه فردّه إلى بيت المال وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كلّ يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له.

هذا والله هو التقوى الذي لا مزيد عليه وبحقّ قدّمه النَّاس، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان منزل أبي بكر بالسُّنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، فأقام هنالك ستّة أشهر بعدما بُوع له، وكان يغدو على رجلَيْه إلى المدينة، وربّما ركب فرسه، فيصلّي بالنّاس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى السُّنح، وكان إذا غاب صلّى بالنّاس عمر. وكان يغدو كلّ يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربّما خرج هو بنفسه فيها، وربّما رُعت له، وكان يحلب للحَيّ أغنامهم، فلمّا بوع بالخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيّر بي ما دخلتُ فيه. فكان يحلب لهم. ثمّ تحوّل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من خلافته وقال: ما تصلح أمور النَّاس مع التجارة، وما يصلح إلّا التفرّغ لهم والنظر في شأنهم، فترك التجارة، وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم، وبحجّ ويعتمر، فكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستّة آلاف درهم^(١).

وقيل: فرضوا له ما يكفيه، فلمّا حضرته الوفاة أوصى أن تُباع أرض له ويُصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين.

وكان أوّل والٍ فرض له رعيّته نفقته، وأوّل خليفة ولي وأبوه حيّ وأوّل من سمّي مصحف القرآن مصحفاً، وأوّل من سمّي خليفة.

(زُنيرة: بكسر الزاي، والنون مشدّدة. وعُبَيْس: بضمّ العين المهملة، وبالباء الموحّدة المفتوحة، ثمّ بالياء المثناة من تحت، وبالسّين المهملة. ومُنيّة: بالنون الساكنة، والياء تحتها نقطتان).

ذكر استخلافه عمر بن الخطّاب

لما نزل بأبي بكر، رضي الله عنه، الموتُ دعا عبدَ الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيك إلّا أنّه فيه غِلْظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنّه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً ممّا هو عليه، وقد رَمَقْتُهُ فكنْتُ إذا غضبتُ على رجلٍ أراني الرضاء عنه، وإذا لِنْتُ له أراني الشدّة عليه. ودعا عثمان بن عفّان وقال

(١) تاريخ الطبري ٤٣٢/٣.

له: أخبرني عن عمر. فقال: سريره خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكر ما قلْتُ لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوتُ عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولوددتُ أني كنتُ من أموركم خلواً وكنتُ فيمن مضى من سلفكم^(١).

ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: استخلفتُ على الناس عمر وقد رأيتُ ما يلقي الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقِ ربك فسائلك عن رعيتك! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفني! إذا لقيتُ ربي فسألني قلت: استخلفتُ على أهلك خير أهلك^(٢).

ثم إنَّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفَّان خالياً ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين، أما بعد. ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: أما بعد فإنِّي قد استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفتُ أن يختلف الناس إن مُت في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله^(٣).

فلما كتب العهد أمر به أن يُقرأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للناس^(٤): أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله، ﷺ، فإنه لم يألکم نصحاً. فسكن الناس، فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلفتُ عليكم؟ فإنِّي ما استخلفتُ عليكم ذا قرابة، وإنِّي قد استخلفتُ عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإنِّي والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا^(٥). ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إنِّي قد استخلفتك على أصحاب رسول الله، ﷺ، وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

يا عمر إنَّ لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلاً حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون

(١) في النسخة (ب) «سبقكم». والخبر في الطبقات الكبرى ١٩٩/٣ باختلاف في الرواية، وتاريخ الطبري ٤٢٨/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٣/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣٢٩/٣.

(٤) هنا زيادة في النسخة (ب): «أترضون بمن استخلف عليكم». والعبارة في تاريخ الطبري ٤٢٨/٣.

(٥) الطبري ٤٢٨/٣ بتقديم وتأخير.

ثَقِيلًا. أَلَمْ تَرِ يَا عُمَرُ أَنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتْ^(١) عَلَيْهِمْ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ [فِيهِ] غَدًّا^(٢) إِلَّا بِاطْلٍ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا. أَلَمْ تَرِ يَا عُمَرُ أَنَّمَا نَزَلَتْ آيَةُ الرَّخَاءِ مَعَ آيَةِ الشَّدَّةِ وَآيَةُ الشَّدَّةِ مَعَ آيَةِ الرَّخَاءِ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا، لَا يَرِغِبُ رَغْبَةً يَتَمَنَّى فِيهَا عَلَى اللَّهِ مَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا يَرْهَبُ رَهْبَةً يُلْقَى فِيهَا بِيَدِهِ. أَوَلَمْ تَرِ يَا عُمَرُ أَنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ لِأَنَّهُ يَجَاوِزُ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ أَيْنَ عَمَلِي مِنْ أَعْمَالِهِمْ؟ فَإِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ حَاضِرٍ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَسْتُ بِمَعْجِزِهِ.

وَتُوَفِّي أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا دُفِنَ صَعِدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَخَطَبَ النَّاسَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْعَرَبِ مَثَلُ جَمَلٍ أَتَبَعَ أَتْبَعَ قَائِدَهُ، فَلْيَنْظُرْ قَائِدُهُ حَيْثُ يَقُودُهُ، وَأَمَّا أَنَا فَوَرَبُّ الْكَعْبَةِ لِأَحْمِلَنَّكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ^(٣).

وَكَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ بِتَوَلِيَةِ جُنْدِ خَالِدٍ وَبِعِزْلِ خَالِدٍ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ سَاخِطًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ كُلِّهَا لَوَقَعَتْهُ بَابُنْ نُؤَيْرَةَ وَمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي حَرْبِهِ، وَأَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ عِزْلُ خَالِدٍ وَقَالَ: لَا يَلِي لِي عَمَلًا أَبَدًا، وَكُتِبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: إِنَّ أَكْذَبَ خَالِدٍ نَفْسَهُ فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يُكَذِّبْ نَفْسَهُ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَانْزِعْ عِمَامَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ وَقَاسِمِهِ مَالَهُ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَخَالِدٍ، فَاسْتَشَارَ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ لَا يَحِبُّكَ عُمَرُ أَبَدًا وَمَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكْذِبَ نَفْسَكَ ثُمَّ يَنْزِعَكَ. فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ: صَدَقَتْ؛ فَأَبَى أَنْ يَكْذِبَ نَفْسَهُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَتَزَعَ عِمَامَةَ خَالِدٍ وَقَاسِمَهُ مَالَهُ، ثُمَّ قَدِمَ خَالِدٌ عَلَى عُمَرَ بِالْمَدِينَةِ^(٤).

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ أَقَامَ بِالشَّامِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَصَحُّ.

ذَكَرَ فَتَحَ دِمَشْقَ

قِيلَ: وَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ الْيَرْمُوكِ اسْتَخْلَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الْيَرْمُوكِ بَشِيرُ بْنُ كَعْبِ الْجَمِيرِيِّ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِالصُّفْرِ، فَأَتَاهُ الْخَبْرُ أَنَّ الْمُنْهَزِمِينَ اجْتَمَعُوا بِفِخْلٍ، وَأَنَّهُ الْخَبْرُ أَيْضًا بِأَنَّ الْمَدَدَ قَدْ أَتَى أَهْلَ دِمَشْقَ مِنْ جَنْصٍ، فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ فِي ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ عُمَرُ

(١) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «وَخَفَّتْ».

(٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «هَذَا».

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤٣٣/٣.

(٤) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤٣٦/٣، ٤٣٧.

يأمره بأن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فِحل بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فِحل، فإذا فُتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حَسَنَة وعَمراً بالأردن وفلسطين.

فأرسل أبو عبيدة إلى فِحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريباً منها، ويثق الروم الماء حول فِحل فوحت الأرض، فنزل عليهم المسلمون، فكان أول محصور بالشام أهل فِحل ثم أهل دمشق.

وبعث أبو عبيدة جُنُداً فنزلوا بين حمص ودمشق، وأرسل جُنُداً آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين، وسار أبو عبيدة وخالد فقدموا على دمشق وعليها نسطاس، فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمر^(١) على ناحية، وكان هرقل قريب حمص، فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً، وقتلوهم بالزحف والمجانيق، وجاءت خيول هرقل مُغيثةً دمشق، فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص، فخذل أهل دمشق وطمع فيهم المسلمون^(٢).

وَوُلِدَ للبَطريق الذي على أهلها مولود، فصنع طعاماً فأكل القوم وشربوا وتركوا موافقهم، ولا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد، فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، وكان قد اتَّخذ جبلاً كهيئة السلاليم وأوهاقاً^(٣)، فلما أمسى ذلك اليوم نهَّد هو ومن معه من جُنُده الذين قُدِّم عليهم، وتقدَّمهم هو والقعقاع ابن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله وقالوا: إذا سمعتم تكبيراً على السور فارَّقوا إلينا واقصدوا الباب. فلما وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الجبال فعلق بالشرف منها جبالان، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الجبال بالشرف، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء، فصعد المسلمون ثم انحدر خالد وأصحابه وترك بذلك المكان مَنْ يحميه وأمرهم بالتكبير، فكَبَرُوا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الجبال، وانتهى خالد إلى مَنْ يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البَوَّابين، وثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال، وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، وفتح خالد الباب وقتل كل مَنْ عنده من الروم.

فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح، فقبل منهم وفتحوا له الباب

(١) في النسخة (ب): «يزيد» وهذا وهم.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٨/٣، ٤٣٩.

(٣) الأوهاق، واحدها وَهَق: جبل في طرفه أنشودة يُطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ.

وقالوا له: ادخلْ وامنعنا من أهل ذلك الجانب، ودخل أهل كل باب بصلح ممّا يليهم. ودخل خالد عَنوةً، فالتقى خالد والقوَاد في وسطها، هذا قتلاً ونهباً وهذا صفحاً^(١) وتسكيناً، فأجروا ناحيةً خالد مجرى الصلح^(٢)، وكان صلحهم على المقاسمة، وقسموا معهم للجنود التي عند فِحل وعند حمص وغيرهم ممّن هو رِداء للمسلمين.

وأرسل أبو عُبَيْدة إلى عمر بالفتح، فوصل كتاب عمر إلى أبي عُبَيْدة يأمره بإرسال جُند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقاص، فأرسلهم وأمر عليهم هاشم بن عُتْبَة المِرْقَال، وكانوا قد قُتل منهم، فأرسل أبو عُبَيْدة عَوْضَ مَنْ قُتل، وكان ممّن أرسل الأشر غيرهِ، وسار أبو عُبَيْدة إلى فِحل^(٣).

ذكر غزوة فِحل^(٤)

فلَمّا فُتحت دمشق سار أبو عُبَيْدة إلى فِحل واستخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان، وبعث خالداً على المقدّمة، وعلى الناس شُرْحَبِيل بن حَسَنَة، وكان على المجنّبتين أبو عُبَيْدة وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرّجال عِيَاض بن غنم، وكان أهل فِحل قد قصدوا بَيْسَان، فهم بها، فنزل شُرْحَبِيل بالناس فِحلاً، وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر، وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة ذات الرَّدْغَة وبَيْسَان وفِحل. وأقام النَّاسُ ينتظرون كتاب عمر، فاعترهم الروم فخرجوا وعليهم سَقَلَار بن مَخْرَاق، فأتوهم والمسلمون حذرون، وكان شُرْحَبِيل لا يبيت ولا يصبح إلّا على تعبٍ. فلَمّا هجموا على المسلمين لم ينظروهم فاقتتلوا أشدّ قتال كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل، وأظلم الليل عليهم وقد حاروا، فانهزم الروم وهم حيارى وقد أصيب رئيسهم سَقَلَار والذي يليه [فيهم] نِسْطُورس^(٥)، وظفر المسلمون بهم وركبهم، ولم تعرف الروم مأخذهم، فانتَهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه، ولحقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يدَ لَامِس^(٦) فوخزهم بالرّماح، فكانت الهزيمة بفِحل والقتل بالرّدَاغ، فأصيب الروم وهم ثمانون ألفاً، لم يُفِلت منهم إلا الشريد، وقد كان الله

(١) عند الطبري ٤٤٠/٣ «صلحاً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤٣٠/٣، ٤٤٠ وأنظر البداية والنهاية ٢٠/٧، ٢١.

(٣) تاريخ الطبري ٤٤٠/٣ و٤٤١.

(٤) قال أبو عبد الله الصوري: في الأصل فحل بكسر الحاء، والمحفوظ سكونها. (تهذيب تاريخ دمشق ١٣١/١).

(٥) في الطبعة الأوربية «نسطوس».

(٦) في الطبعة الأوربية «بدلامس».

يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البُثوق والوحل، فكانت عوناً لهم على عدوهم وغنموا أموالهم فاقسموها، وانصرف أبو عبيدة بخالد ومن معه إلى حمص^(١).

وممن قُتل في هذه الحرب السائب بن الحارث^(٢) بن قيس بن عدي السهمي، له صُحبة.

(فحل: بكسر الفاء، وسكون الحاء المهملة، وآخره لام).

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق^(٣)

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق وسار إلى فحل سار يزيد إلى مدينة صيدا وعِرْقَة^(٤) وجُبَيْل^(٥) وبُيُروت، وهي سواحل دمشق، على مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً سيراً وجلاً كثيراً من أهلها؛ وتولّى فتح عِرْقَة معاوية بنفسه في ولاية يزيد. ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول^(٦) خلافة عثمان، فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمّا وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع^(٧).

ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجّه معاوية سُفْيَانَ بن مُجِيب الأزدي إلى طرابلس، وهي ثلاث مدنٍ مُجمِعة، ثم بنى في مَرْجٍ على أميالٍ منها حصناً سُمّي حصن سُفْيَانَ، وقطع المادّة عن أهلها من البرّ والبحر وحاصره. فلما اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم، فوجّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلاً وهربوا. فلما أصبح سُفْيَان، وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثم يغدو على العدو، وجد الحصن خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعة كثيرة

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤٤٢/٣، ٤٤٣.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٣٢/٧ أنّ الذي قُتل هو: تميم بن الحارث بن قيس وأخوه قيس. وليس فيه «السائب».

(٣) ليس في تاريخ الطبري أي ذكر لفتح بلاد ساحل دمشق. أنظر حول هذا الموضوع بحثنا المقدّم إلى المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام المنعقد بالجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان «الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)» ص ٤.

(٤) عِرْقَة: بكسر العين وسكون الراء. بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق. وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. (معجم البلدان ١٠٩/٤) ولم يبق من البلدة الآن سوى بعض الآثار، وقد زالت منذ أوائل العصر العثماني.

(٥) جُبَيْل: تصغير جبل. بلدة بين طرابلس وبيروت، على ساحل البحر.

(٦) عند البلاذري «أو».

(٧) الخبر في فتوح البلدان ١٥٠.

من اليهود. وهو الذي فيه المينا اليوم، ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصّنه. ثم نقض أهله أيام عبد الملك ففتح ابنه الوليد في زمانه^(١).

ذكر فتح بيسان وطبرية

لما قصد أبو عبيدة جِمْص من فِحل أرسل شَرْحِيل ومن معه إلى بيسان فقاتلوا أهلها، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم صالحهم مَنْ بقي على صلح دمشق فقبل ذلك منهم^(٢).

وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طَبَرِيَّة يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضاً، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القَوَاد وخيولها، وكتبوا بالفتح إلى عمر^(٣).

قال أبو جعفر: وقد اختلفوا في أيّ هذه الغزوات كان قبل الأخرى، فقليل ما ذكرنا، وقيل: إنّ المسلمين لما فرغوا من أجنادين اجتمع المنهزمون بِفِحل فقصدها المسلمون فظفروا بها.

ثم لحق المنهزمون من فِحل بدمشق، فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحوها، وقدم كتاب عمر بن الخطّاب بعزل خالد وولاية أبي عبيدة وهم محاصرون دمشق، فلم يعرفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد، وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله، وكانت فِحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، وفتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة.

وقيل: إنّ وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة، ولم تكن للروم بعدها وقعة^(٤)، وإنّما اختلفوا لقرب بعض ذلك من بعض^(٥).

(١) الخبر في فتوح البلدان ١٥٠، ١٥١، والخراج وصناعة الكتابة ١٩٥ و ٢٩٦، وتاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٧٦/١٦، وتهذيب تاريخ دمشق ١٨٤/٦ وينظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (عصر الصراع العربي البيزنطي) ٨١/١ - ٩٤، (الطبعة الثانية)، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣٤٥/١، ٣٤٦ في النص الفارسي.

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٣/٣.

(٣) الطبري ٤٤/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤١/٣.

(٥) الطبري ٤٤٢/٣.

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عُبيد بن مسعود

قد ذكرنا قدوم المثنى بن حارثة الشيباني من العراق على أبي بكر، ووصية أبي بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه؛ فلما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر كان أول ما عمل أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني [إلى أهل فارس]، ثم بايع الناس، ثم ندب الناس وهويبايعهم ثلاثاً، ولا يُتدب أحد إلى فارس، وكانوا أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم، فلما كان اليوم الرابع ندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عُبيد بن مسعود الثقفي، وهو والد المختار، وسعد بن عُبيد الأنصاري، وسليط بن قيس^(١)، وهو ممن شهد بدرًا، وتتابع الناس.

وتكلم المثنى بن حارثة فقال: أيها الناس لا يعظم عليكم هذا الوجه، فإننا قد فتحنا^(٢) ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد ولننا^(٣) منهم واجترأنا عليهم، ولنا إن شاء الله ما بعدها. فاجتمع الناس، فقبل لعمر: أُمِر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار. قال: لا والله لا أفعل، إنما رفعهم^(٤) الله تعالى بسبقهم ومسارعهم إلى العدو، فإذا فعل فعلهم قوم وثاقلوا كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً ويسبقون إلى الرفع أولى بالرياسة منهم، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً! ثم دعا أبا عبيد، وسعداً وسليطاً، وقال لهما: لو سبقتماه لويتكما ولأدركما بها إلى ما لكما من السابقة^(٥)، فأمر أبا عبيد وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأشركهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعتي إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع الأعراب^(٦)، فإنه لا يصلحها إلا الرجل المكيث^(٧). وأوصاه بجنده. فكان بعث أبي عُبيد أول جيش سيره عمر، ثم بعده سير يعلى بن مُنيّة إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران بوصية رسول الله ﷺ، وأن لا يجتمع بعجيزة العرب دينان^(٨).

(١) ذكر خليفة بن خياط في تاريخه ١٢٣ أن أبا بكر ولّاه على اليمامة. وسيأتي ذكره هنا.

(٢) في تاريخ الطبري ٤٤٥/٣ «تبجحنا».

(٣) في الطبعة الأوربية «وأنلنا».

(٤) في النسخة (ب) «زينهم».

(٥) في الطبعة الأوربية «المسابقة»، وفي تاريخ الطبري ٤٤٥/٣ «القدمة».

(٦) في إحدى النسخ «الأعريان».

(٧) في النسخة (ب): «مكتب». والمكيث: الرزين الذي لا يعجل.

(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٤٤٤/٣ - ٤٤٦ وانظر فتوح البلدان ٣٠٧.

ذكر خبر النمارق

فسار أبو عبيدة الثقفي، وسعد بن عُبيد، وسليط بن قيس الأنصاريان، والمثنى بن حارثة الشيباني أحد بني هند من المدينة، وأمر عمر المثنى بالتقدم إلى أن يقدم عليه أصحابه، وأمرهم باستنفار من حسن إسلامه من أهل الردة. ففعلوا ذلك، وسار المثنى فقدم الحيرة، وكانت الفرس تشاغل عن المسلمين بموت شهريران^(١) حتى اصطلحوا على سابور بن شهریار بن أردشير^(٢)، فثارت به آرميدخت فقتلته وقتلت الفرخزاد وملكت بوران، وكانت عدلاً بين الناس حتى يصطلحوا، فأرسلت إلى رستم بن الفرخزاد بالخبر وتحته على السير، وكان على فرج خراسان، فأقبل لا يلقى جيشاً لآرميدخت إلا هزمه، حتى دخل المدائن، فاقتتلوا، وهزم سبأوخش وحصره وآرميدخت بالمدائن. ثم افتتحها رستم وقتل سبأوخش وفقاً عين آرميدخت، ونصب بوران على أن تملكه عشر سنين، ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم أحداً، وإلا ففي نسائهم، ودعت مرازمة فارس وأمرتهم أن يسمعوا له ويطيعوا، وتوخت، فدانت له فارس قبل قدوم أبي عُبيد. وكان منجماً حسن المعرفة به وبالحوادث، فقال له بعضهم: ما حملك على هذا الأمر وأنت ترى ما ترى^(٣)؟ قال: حب الشرف والطمع^(٤).

ثم قدم المثنى إلى الحيرة في عشر، وقدم أبو عُبيد بعده بشهر. فكتب رستم إلى الدهاقين أن يثوروا^(٥) بالمسلمين، وبعث في كل رستاق رجلاً يثور^(٦) بأهله، فبعث جابان إلى فرات بادقلى، وبعث نرسي إلى كسكر^(٧) ووعدهم يوماً، وبعث جنداً لمصادمة المثنى. وبلغ المثنى الخبر فحذر، وعجل جابان ونزل النمارق^(٨)، وثاروا وتوالوا على الخروج، وخرج أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخرج المثنى من الحيرة، فنزل خفان^(٩) لثلاثي يوتي من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدم عليه أبو عُبيد. فلما قدم لبث أياماً يستريح هو وأصحابه، واجتمع إلى جابان بشر كثير، فنزل النمارق، وسار إليه

(١) في تاريخ الطبري ٤٤٨/٣ «شهر براز».

(٢) في تاريخ الطبري «على سابور بن شهر براز بن أردشير بن شهريار».

(٣) في الطبعة الأوروبية «أرى».

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٦/٣ - ٤٤٩.

(٥) في الطبعة الأوروبية «يؤثروا».

(٦) في الطبعة الأوروبية «يؤثر».

(٧) كسكر: بالفتح ثم السكون، كورة واسعة... قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة. (معجم البلدان ٤/٤٦١).

(٨) النمارق: موضع قرب الكوفة. (معجم البلدان ٥/٣٠٤).

(٩) خفان: بفتح أوله وتشديد ثانيه. موضع قرب الكوفة، فوق القادسية. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

أبو عُبيد فجعل المثنى على الخيل، وكان على مجنبتَي جابان جُنُس^(١) ماه ومردأناشاه، فاقتتلوا بالنمارق قتالاً شديداً، فهزم الله أهل فارس وأسر جابان، أسر مطر بن فضة التيمي، وأسر مردأناشاه، أسره أكتل بن شَمَاح العُكَلِيّ فقتله.

وأما جابان فإنه خدع مطراً وقال له: هل لك أن تؤمّني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا؟ ففعل، فخلّى عنه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عُبيد، وأخبروه أنه جابان وأشاروا عليه بقتله. فقال: إني أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم، وتركوه. وأرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نرسي، وقتلوا منهم^(٢).

(أكتل: بفتح الهمزة، وسكون الكاف، وفتح التاء المثناة باثنتين من فوقها، وفي آخره لام).

ذكر وقعة السقاطية بكسكر

ولحق المنهزمون نحو كسكر وبها نرسي، وهو ابن خالة الملك، وكان له النُرسيان، وهو نوع من التمر يحميه، لا يأكله إلا ملك الفرس أو مَنْ أكرموه بشيء منه، ولا يغرسه غيرهم، واجتمع إلى النرسي الفالّة، وهو في عسكره، فسار أبو عُبيد إليهم من النمارق، وكان على مجنبتَي نرسي بِنْدَوِيَه وتيرَوِيَه ابنا بسطام خال الملك، ومعه أهل باروسما^(٣) والزوابي^(٤). ولما بلغ الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس إلى نرسي، فليحقه قبل الحرب، فعاجلهم أبو عُبيد، فالتقوا أسفل من كسكر، بمكان يُدعى السقاطية^(٥)، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت فارس، وهرب نرسي، وغلب المسلمون على عسكره وأرضه، وجمعوا الغنائم، فرأى أبو عُبيد من الأطعمة شيئاً كثيراً، فنقله مَنْ حوله من العرب، وأخذوا النُرسيان فأطعموه الفلاحين، وبعثوا بخمسه إلى عمر وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها، وأحبينا أن تروها لتشكروا إنعام الله وإفضاله. وأقام أبو عُبيد.

(١) في الأصل «حشنش»، وفي النسخة (ب) «حشيش».

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٨/٣، ٤٤٩.

(٣) باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٤) الزوابي: في العراق أربعة أنهر. نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منها الزاب. (معجم البلدان ١/١٥٥).

(٥) السقاطية: ناحية بكسكر من أرض واسط. (معجم البلدان ٣/٢٢٦).

وبعث أبو عبيد المثنى إلى باروسما، وبعث والقا إلى الزوابي، وعاصماً إلى نهر جَوْبِر^(١)، فهزموا مَنْ كان تَجَمُّع وأخربوا وسبوا أهل زَنْدَوْرَد^(٢) وغيرها، وبذل لهم فَرَوخ وفراونداد^(٣) عن أهل باروسما والزوابي وكَسَّكر الجزاء معجلاً، فأجابوا إلى ذلك وصاروا صلحاً، وجاء فَرَوخ وفراونداد إلى أبي عُبيد بأنواع الطعام والأخصبة وغيرها، فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟ فقالوا: لم يَتيسَّر ونحن فاعلون، وكانوا يترَبِّصون قدوم الجالينوس. فقال أبو عُبيد: لا حاجة لنا فيه، بشس المرء أبو عُبيد إنَّ صَحِب قوماً من بلادهم استأثر عليهم بشيء، ولا والله لا أكل ما أتيت به ولا ممّا أفاء الله إلّا مثل ما يأكل أوساطهم. فلمّا هُزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضاً، فقال: ما أكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: ليس من أصحابك أحد إلّا وقد أتى بمثل هذا؛ فأكل حينئذٍ^(٤).

ذكر وقعة الجالينوس

ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بَنَرسي ثم يقاتل أبا عُبيد، فبادره أبو عُبيد إلى نَرسي فهزمه، وجاء الجالينوس فنزل بباقيشيانا^(٥) من باروسما، فسار إليه أبو عُبيد، وهو على تعبته، فالتقوا بها، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عُبيد على تلك البلاد، ثم ارتحل حتى قَدِم الحيرة، وكان عمر قد قال له: إنَّك تقدّم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تقدّم على قوم تجرّأوا على الشرّ فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون، واحرز^(٦) لسانك، ولا تُفشين سرّك، فإنَّ صاحب السرّ ما يضبطه متحصّن لا يؤتّى من وجهٍ يكرهه، وإذا ضيّعه كان بمضيعة^(٧).

ذكر وقعة قَسّ الناطف^(٨) ويقال لها الحِسر ويقال المروحة وقتل أبي عُبيد بن مسعود^(٩)

ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزماً ومَنْ معه من جُنده قال رستم: أيّ العجم

(١) في الأصل «ححر» وفي النسخة (ب): «بهرام جور»، وفي نسخة المتحف البريطاني، ونسخة مكتبة بودليان «جور».

(٢) زندورد: بفتح أوله وسكون ثانيه. مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط. (معجم البلدان ١٥٤/٣).

(٣) في تاريخ الطبري ٤٥١/٣ «فرونداد».

(٤) تاريخ الطبري ٤٥٠/٣ - ٤٥٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «بباقيشيانا».

(٦) في تاريخ الطبري ٤٥٤/٣ «واخزن».

(٧) الطبري ٤٥٣/٣، ٤٥٤.

(٨) في إحدى النسخ «الناطق».

(٩) العنوان في تاريخ الطبري ٤٥٤/٣ «وقعة القَرَقَس».

أشدّ على العرب؟ قال: بِهِمَن جاذوئِهِ المعروف بذي الحجاب، وإنّما قيل له ذو^(١) الحجاب لأنّه كان يعصّب حاجبيّه بعصابة ليرفعهما كِبْرًا^(٢). فوجّهه ومعه فيلّة، وردّ الجالينوس معه وقال لِبَهْمَن: إن انهزم الجالينوس ثانيةً فاضربْ عُنقه. فأقبل بِهِمَن جاذوئِهِ ومعه دِرْفش كايان راية كسرى، وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، فنزل بَقْسُ الناطف^(٣). وأقبل أبو عُبيد فنزل بالمَرْوَحَة^(٤)، فرأت دَوْمَة، امرأته أم المختار ابنه، أن رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شراب، فشرب أبو عُبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عُبيد فقال: لهذه إن شاء الله الشهادة! وعهد إلى النَّاس فقال: إن قُتِلْتُ فعلى النَّاس فلان، فإن قُتِل فعليهم فلان، حتى أُمِر الذين شربوا من الإناء، ثم قال: فإن قُتِل فعلى النَّاس المثنى.

وبعث إليه بِهِمَن جاذوئِهِ: إمّا أن تعبر إلينا ونَدْعَكم والعبور، وإمّا أن تَدْعُونَا نعبّر إليكم. فنهاه النَّاس عن العبور، ونهاه سَلِيط أيضاً، فلجّ وترك الرأي وقال: لا يكونوا أجراً على الموت منّا. فعبر إليهم على جسر عقده ابن صُلوبا للفريقين، وضاحت الأرض بأهلها واقتتلوا، فلمّا نظرت الخيول إلى الفِيلَة والخيل عليها التجافيف^(٥) رأّت شيئاً منكراً لم تكن رأّت مثله، [فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم] لم^(٦) تقدم عليهم [خيولهم]، وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلال فرقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشاب. واشتدّ الأمر بالمسلمين. فترجّل أبو عُبيد والنّاس، ثم مشوا إليهم، ثم صافحوهم بالسيوف، فجعلت الفِيلَة لا تحمل على جماعة إلّا دفعتهم، فنادى أبو عُبيد: احتشوا الفِيلَة واقطعوا بطانها^(٧) واقلبوا عنها أهلها، ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بَطانها ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلّا حطّوا رحله وقتلوا أصحابه. وأهوى الفيل لأبي عُبيد، فضربه أبو عُبيد بالسيف، وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه. فلمّا بصر به النَّاس تحت الفيل خشعت أنفُس بعضهم، ثم أخذ اللّواء الذي [كان] أمره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عُبيد، فأخذه المسلمون فأحرزوه، ثم قتل الفيلُ الأمير الذي بعد أبي عُبيد، وتتابع سبعة أنفُس من ثقيف، كلّهم يأخذ اللّواء ويقاتل حتى يموت، ثم أخذ اللّواء المثنى، فهرب عنه النَّاس.

(١) في الطبعة الأوربية «ذا».

(٢) في الأصل «كثيراً».

(٣) قَسُ الناطف: بضم أوله. موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. (معجم البلدان ٤/٣٤٩).

(٤) المَرْوَحَة: موضع بالسواد على شاطئ الفرات الغربي. (معجم البلدان ٥/١١١، ١١٢).

(٥) التجافيف: واحدها التجفاف: من آلات الحرب توضع على الفرس يُتَقَى بها كالدرع للإنسان.

(٦) في الطبعة الأوربية «فلم».

(٧) البطان: مفردها بطانة، وهي حزام القتب.

فلَمَّا رأى عبد الله بن مَرْثَد الثَّقَفِيّ ما لقي أبو عُبيد وخلفاؤه، وما يصنع النَّاسُ بادِرهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيُّها النَّاسُ موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا! وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر، فتوائب بعضهم إلى الفرات فغرق مَنْ لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر. وحمى المثنى وفرسان من المسلمين النَّاسَ وقال: إنا دونكم فاعبروا على هَيْبَتِكُمْ^(١)، ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم^(٢). وقاتل عُرْوَةُ بن زيد الخيل قتالا شديداً وأبو مُحَجَّن الثَّقَفِيّ، وقاتل أبو زَيْد الطَّائِي حَمِيَّةً للعربيَّة^(٣)، وكان نصرانياً قَدِمَ الحيرة لبعض أمره^(٤)، ونادى المثنى: من عبر نجا^(٥). فجاء العلوج ف عقدوا الجسر وعبر النَّاسُ^(٦).

وكان آخر مَنْ قُتِلَ عند الجسر سَلِيط بن قيس، وعبر المثنى وحمى جانبه، فلَمَّا عبر ارفض عنه أهل المدينة وبقي المثنى في قلّة، وكان قد جُرح وأُثبت فيه حَلَقٌ من درعه^(٧). وأخبر عمر عَمَن سار في البلاد من الهزيمة استحياء، فاشتدّ عليه وقال: اللهمَّ إِنْ كُلَّ مسلمٍ في حِلٍّ مِنِّي، أنا فئة كلِّ مسلمٍ، يرحم الله أبا عُبيد! لو كان انحاز إليّ لكنت له فئة^(٨).

وهلك من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق^(٩)، وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف، وقُتِلَ من الفرس ستة آلاف^(١٠).

وأراد بِهِمْ جاذويّهُ العبور خلف المسلمين، فأتاه الخبر باختلاف الفُرس، وأنهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه، وصاروا فريقين: الفُهلُوج على رستم، وأهل فارس على القُيُوزان، فرجع إلى المدائن.

وكانت هذه الوقعة في شعبان^(١١).

(١) في الطبعة الأوربية «هنتكم». وهنتكم: أي على مهلكم.

(٢) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤٥٤/٣ - ٤٥٧. وأنظر الفتوح لابن أعمش ١٦٨/١ وتاريخ يعقوبي ١٤٢/٢.

(٣) في فتوح البلدان ٣٠٨ «حمية للمسلمين بالعربية».

(٤) العبارة من: وقاتل عُرْوَةُ بن زيد الخيل... إلى هنا، من فتوح البلدان ٣٠٨.

(٥) في الأصل «غير ومن المسلمين».

(٦) تاريخ خليفة ١٢٥، فتوح البلدان ٣٠٩، تاريخ الطبري ٤٥٨/٣.

(٧) تاريخ الطبري ٤٥٨/٣.

(٨) تاريخ الطبري ٤٥٨/٣.

(٩) أنظر تاريخ خليفة ١٢٥.

(١٠) تاريخ الطبري ٤٥٨/٣ وأنظر ص ٤٥٥ عن قتلى الفُرس.

(١١) الخبر في تاريخ الطبري ٤٥٥/٣.

وكان فيمن قُتل بالجسر: عُقبة وعبد الله ابنا قَيْظي^(١) بن قيس، وكانا شهداء أُحُدًا، وقُتل معهما أخوهما عباد ولم يشهد معهما أُحُدًا^(٢)، وقُتل أيضاً قيس بن السُّكْن بن قيس أبو زيد الأنصاري، وهو بَذْرِي لا عَقْب له^(٣)، وقُتل يزيد بن قيس بن الحُطَيْم الأنصاري، شهد أُحُدًا^(٤)، وفيها قُتل أبو أمية الفزاري، له صحبة، والحَكَم بن مسعود أخو أبي عبيد، وابنه جبر^(٥) بن الحَكَم بن مسعود.

ذكر خبر أُلَيْس الصغرى

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومردانشاه بما جاءه من الخبر، فخرجوا حتى أخذوا بالطريق، وبلغ المثنى فَعَلُهُمَا فاستخلف على النَّاس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريد هما، فظنَّا أَنَّهُ هارب فاعترضاه، فأخذهما أسيرين، وخرج أهل أُلَيْس^(٦) على أصحابهما فاتوه بهم أسرى، وعقد لهم بها ذمّة وقتلهم وقتل الأسرى. وهرب أبو مِخْجَن من أُلَيْس ولم يرجع مع المثنى بن حارثة^(٧).

ذكر وقعة البُوَيْب

لما بلغ عمرَ خبرِ وقعة أبي عبيد بالجسر ندب النَّاس إلى المثنى، وكان فيمن ندب بَجيلة، وأمرهم إلى جرير بن عبد الله، لأنَّه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرقين فيها، فسأل النبي ﷺ، أن يجمعهم فوعده ذلك، فلَمَّا ولي عمر طلب منه ذلك فكتب إلى عُمّاله: إِنَّهُ مَنْ كَانَ يُنسب إلى بَجيلة في الجاهليّة وثبت عليه في الإسلام فأخرجوه إلى جرير، ففعلوا ذلك، فلَمَّا اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق، وأبوا إلا الشام، فعزم عمر على العراق، وينفلهم ربع الخُمس، فأجابوا، وسيّروهم إلى المثنى بن حارثة، وبعث عصمة بن عبد الله الضبيّ فيمن تبعه إلى المثنى، وكتب إلى أهل الرّدة، فلم يأتِه أحد إلا رمى به المثنى، وبعث المثنى الرُّسُل فيمن يليه من العرب، فتوافوا إليه في جُمُعٍ عظيم. وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمريّ في جُمُعٍ عظيم من النمر نصارى وقالوا: نقاتل مع قومنا.

(١) في طبعة صادر ٤٤٠/٢ «قبطي»، والتصويب من البداية والنهاية ٥٠/٧.

(٢) البداية والنهاية ٥٠/٧.

(٣) البداية والنهاية ٤٩/٧ و ٥٠.

(٤) البداية والنهاية ٥١/٧.

(٥) في النسخة (ب) «حي».

(٦) أُلَيْس: مُصَغَّر بوزن فُلَيْس. موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية. وهي قرية من قرى الأنبار.

(معجم البلدان ٢٤٨/١).

(٧) تاريخ الطبري ٤٥٩/٣، ٤٦٠.

وبلغ الخبر رستم والفَيْرَزَان، فبعثا مِهْران الهمذاني إلى الحيرة، فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخَفَّان، فاستبطن فَرَاتَ بَادَقْلَى، وكتب إلى جرير وعصمة وكلّ مَنْ أتاه ممداً له يُعلمهم الخبر، ويأمرهم بقصد البُؤبُف فهو الموعد فانتهاوا إلى المثنى وهو بالبُؤبُف ومِهْران بإزائه من وراء الفرات، فاجتمع المسلمون بالبُؤبُف ممّا يلي الكوفة اليوم، وأرسل مِهْران إلى المثنى يقول: إمّا أن تعبر إلينا وإمّا أن نعبّر إليك. فقال المثنى: اعبروا. فعبّر مِهْران فنزل على شاطئ الفرات، وعبّى المثنى أصحابه، وكان في رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقروا على عدوهم، فأفطروا^(١).

وكان على مجنّبي المثنى: بَشِير بن الخصاصيّة، وبُسْر بن أبي رُهم، وعلى مجرّدته المُعَنَى أخوه، وعلى الرُّجُل مسعود أخوه، وعلى الرَّدء^(٢) مَذْعُور، وكان على مجنّبي مِهْران بن الازاذبه مرزبان الحيرة ومردانشاه. وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف، مع كلّ صف فيل، ورَجَلهم أمام فيلهم ولهم رُجُلٌ، فقال المثنى للمسلمين: إنّ الذي تسمعون فُشَل فالزموا الصمت.

ودنوا من المسلمين، وطاف المثنى في صفوفه يعهد إليهم وهو على فرسه الشُّمُوس، وإمّا سُمِّي بذلك ليلينه، وكان لا يركبه إلّا إذا قاتل، فوقف على الرايات يحرضهم، ويهزهم، ولكلّهم يقول: إنّي لأرجو أن لا يؤتّى النَّاس من قبلكم اليوم، والله ما يسرّني اليوم لنفسي شيء إلّا وهو يسرّني لعامتكم. فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل، وخلط النَّاس في المحبوب والمكروه، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً وقال: إنّي مكبرٌ ثلاثاً فتهيّأوا، ثمّ احمّلوا في الرابعة. فلما كبر أول تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم، وركدت خيلهم وحربهم ملياً، فرأى المثنى خللاً في بني عَجَل، فجعل يمدّ لحيته لما يرى منهم، وأرسل إليهم يقول: الأسير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم. فقالوا: نعم؛ واعتدلوا. فضحك فرحاً.

فلما طال القتال واشتدّ قال المثنى لأنس بن هلال النمري: إنك امرؤ عربيّ وإن لم تكن على ديننا، فإذا حملتُ على مِهْران فاحملْ معي، فأجابه، فحمل المثنى على مِهْران فأزاله حتى دخل في ميمنته، ثمّ خالطوهم واجتمع القلبان، وارتفع الغبار والمجنّبات تُقَتِّل^(٣)، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المسلمون ولا المشركون، وارتث مسعود أخو المثنى يومئذٍ وجماعة من أعيان المسلمين، فلما أصيب مسعود تضعضع مَنْ

(١) تاريخ الطبري ٤٦٠/٣، ٤٦١.

(٢) في الطبعة الأوروبية «الرء».

(٣) عند الطبري ٤٦٦/٣ «تقتل».

معه، فقال: يا معشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله، ولا يهولنكم مصرعي! وكان المثنى قال لهم: إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، الزموا مصافكم وأغنوا غناء^(١) من يليكم.

وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام نصراني من تغلب مهران، واستوى على فرسه، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلب، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب، قال: وأفنى المثنى قلب المشركين والمجنّبات بعضها يقاتل بعضاً. فلما رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله وثب مجنّبات المسلمين على مجنّبات المشركين، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر، ويرسل إليهم من يذمهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالكم، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر، وأخذ طريق الأعاجم، فافترقوا مُصعّدين ومنحدرين، وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثّاً^(٢).

فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقي رمة منها، بقيت عظام القتلى دهرًا طويلاً، وكان يحزرون القتلى مائة ألف، وسُمّي ذلك اليوم الأعشار، أحصي مائة رجل، قتل كل رجل منهم عشرة. وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، وغالب الكِنَاني وعرفجة الأزدي من أصحاب التسعة. وقُتل المشركون فيما بين السكون المثنى على أخذه بالجسر وقال: عجزت عجرة وقي الله شرّها بمسابقتي إياهم إلى الجسر حتى أخرجتهم، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها، فإنها كانت زلة، فلا ينبغي إحراج من لا يقوى على امتناع.

ومات أناس من الجرحى، منهم: مسعود أخو المثنى، وخالد بن هلال، فصلّى عليهم المثنى وقال: والله إنه ليهوّن وجدي أن صبروا وشهدوا البُويّب ولم ينكلوا.

وكان قد أصاب المسلمون غنماً ودقيقاً وبقراً، فبعثوا به إلى عيال من قديم من المدينة وهم بالقوادس. وأرسل المثنى الخيل في طلب العجم، فبلغوا السَّيب^(٣)، وغنموا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً، فقسمه فيهم، ونقل أهل البلاد، وأعطى بجيله ربع الخمس، وأرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثنى يعرفونه سلامتهم، وأنه لا مانع

(١) في الطبعة الأوربية «عنا».

(٢) في الطبعة الأوربية: جثياً. (والجث: ما أشرف من الأرض حتى يكون كأكمة صغيرة). وقد وردت في النسخة (ب) «جثماً».

(٣) في النسخة (ب) «البر».

دون القوم، ويستأذنونهم في الإقدام، فأذن لهم، فأغاروا^(١) حتى بلغوا ساباط^(٢)، وتحصّن أهلهم منهم واستباحوا القرى، ثمّ مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة، لا يخافون كيداً ولا يلقون مانعاً، ورجعت مسالحيّ العجم إليهم، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة^(٣).

(بُسر بن أبي رُهم: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة).

ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد

ثمّ خلّف المثنّى بالحيرة بشير بن الخصاصيّة، وسار يمحّر السواد، وأرسل إلى ميسان ودستميسان^(٤) وأذكى المسالحيّ، ونزل أليس^(٥)، قرية من قرى الأنبار، وهذه الغزوة تُدعى غزوة الأنبار الآخرة وغزوة أليس^(٦) الآخرة.

وجاء إلى المثنّى رجلان أحدهما أنباريّ فدله على سوق الخنافس، والثاني حيريّ^(٧) دله على بغداد، فقال المثنّى: أيّتهما قبل صاحبتهما^(٨)؟ فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيّهما أعجل؟ قال: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وربيعه وقضاء يخفرونهم. فركب المثنّى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاء، وعلى قضاة رومانس بن وبرّة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء، فانتسف^(٩) السوق وما فيها، وسلب الخفراء. ثمّ رجع فأتى الأنبار فتحصّن أهلها منه، فلمّا عرفوه نزلوا إليه وأتوه بالأعلاف والزاد، وأخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد، وأظهر لدهقان الأنبار أنّه يريد المدائن، وسار منها إلى بغداد ليلاً، وعبر إليهم وصبّحهم في أسواقهم، فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء. وقال المثنّى: لا تأخذوا إلّا الذهب والفضّة والخزّ^(١٠) من كلّ شيء. ثمّ عاد راجعاً حتى نزل بنهر السالحيين^(١١) بالأنبار، فسمع أصحابه

(١) في النسخة (ب) «فساروا».

(٢) ساباط كسرى: بالمدائن موضع معروف. (معجم البلدان ٣/١٦٦).

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٦٠ - ٤٧٠.

(٤) دستميسان: بفتح الدال، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها، وميم مكسورة، وياء مثناة من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون. كورة جلييلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. (معجم البلدان ٢/٤٥٥).

(٥) في الطبعة الأوربية «أليس».

(٦) في النسخة (ب) «خيرى».

(٧) في الطبعة الأوربية «صاحبتهما».

(٨) في النسخة (ب) «فانتهب».

(٩) في الطبعة الأوربية: والخزّ. (والخزّ من كلّ شيء: خياره وطيبه).

(١٠) السالحيين: هي سيلحون: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح لامه، ثمّ حاء مهملة، وواو ساكنة. قرب الحيرة ضاربة في البرّ قرب القادسيّة. وهذه غير سيلحون التي باليمن. وكتاب الخراج يجعلون السيلحين طسوجاً =

يقولون: ما أسرع القوم في طلبنا، فخطبهم وقال: احمدا الله وسلوه العافية، وتناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا باللائم والعدوان، أنظروا في الأمور وقَدِّروها ثم تكلّموا. إنّه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد، ولو بلغهم لحال الرّعب بينهم وبين طلبكم. إن للغارات روعات تُضعف القلوب يوماً إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم وأنتم على العراب^(١) حتى تنتهوا إلى عسكريكم، ولو أدركوكم لقاتلتهم التماس الأجر ورجاء النصر، فثّقوا بالله وأحسنوا به الظنّ، فقد نصركم في مواطن كثيرة.

ثم سار بهم إلى الأنبار، وكان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنون الغارات ما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات، وجسّوا مثقّباً إلى عين التمر وفي أرض الفلّاليج، والمثنى بالأنبار.

ولما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار بعث المضارب العجليّ في جمع إلى الكبّاث وعليه فارس العناب التغلبيّ، ثم لحقهم المثنى فسار معهم، فوجدوا الكبّاث، قد سار من كان به^(٢)، ومعهم فارس العناب، فسار المسلمون خلفه، فلحقوه وقد رحل من الكبّاث، فقتلوا في أخريات أصحابه وأكثروا القتل. فلما رجعوا إلى الأنبار سرّح فرات بن حيّان التغلبيّ وعُتيبة بن النّحاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصفين، ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلّمى الهُجيميّ. فلما دنوا من صفين فرّ من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه، فأكلوا رواحلهم إلا ما لا بد منه حتى جلودها، ثم أدركوا عيراً من أهل دَبَا^(٣) وحوّران، فقتلوا من بها، وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خُفراء، وأخذوا العير، فقال لهم: دُلُونِي. فقال أحدهم: آمنوني على أهلي ومالي، وأدلكم على حيّ من تغلب. فأمنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشيّ على القوم، والنعم صادرة عن الماء، وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّية، واستاق الأموال، وكان التغلبيّون بني ذي الرُّويحلة، فاشتري من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفّيء وأعتقوهم؛ وكانت ربيعة لا تسابي إذ العرب يتسابون في جاهليّتهم.

= برأسه من كورة بهُقبّاذ الأسفل من الجانب الغربي، وبين هذه الناحية وبغداد ثلاثة فراسخ. وقيل: إنها سُمّيت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكسرى، وهم قوم بسلّاح يُرتّبون في الثغور والمخافات، واحدهم مَسْلَحِيّ. والعامة تقول مصلحيّ، وهو خطأ. (معجم البلدان ٣/٢٩٨. ٢٩٩).

(١) العراب. من الخيل والإبل: الكرائم السالمة من الهجّة. وفي الطبعة الأوربية «العرب». وفي النسخة (ب): «الفرات».

(٢) في النسخة (ب) «يذب».

(٣) دَبَا: بفتح أوله. وهو سوق من أسواق العرب بعمّان. (معجم البلدان ٢/٤٣٥).

(عُتَيْبَةُ بْنُ النَّهَّاسِ: بِالتَّاءِ الْمَثَنَاءُ مِنْ فَوْقِهَا، وَبِالْيَاءِ الْمَثَنَاءُ مِنْ تَحْتِهَا، وَبِالْوَاحِدَةِ).

وبلغ ذلك من أمرهم المثني والمسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤٧٦/٣ - ٤٨٢.

من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، مَنْ كان له عهد ومَنْ لم يكن له عهد، فخرج المثنى حتى نزل بذي قار، ونزل النَّاسُ بِالطُّفِّ في عسكر واحد. ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال: والله لأضربنَّ ملوك العجم بملوك العرب! فلم يَدْعُ رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه النَّاسِ وغرَّهم. وكتب عمر إلى المثنى ومَنْ معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرُّق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يَدْعُوا في ربيعة ومُضَرَّ وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا أحضروه إما طوعاً أو كرهاً. ونزل النَّاسُ بِالْجُلِّ^(١) وشراف^(٢) إلى غُضَيِّ^(٣)، وهو جبل البصرة، وبسُلَّمان^(٤)، بعضهم ينظر إلى بعض ويُغيث بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة^(٥).

وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة، مُخْرِجَهُ إلى الحجِّ، إلى عُمَّالِهِ على العرب أن لا يَدْعُوا مَنْ له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي إلا وجهوه إليه، فأما مَنْ كان على النصف^(٦) ما بين المدينة والعراق، فجاء إليه بالمدينة لما عاد من الحجِّ، وأما مَنْ كان أقرب إلى العراق فانضمَّ إلى المثنى بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلى عمر^(٧).

وحجَّ في هذه السنة عمر بن الخطاب بالنَّاسِ، وحجَّ سنه كلها^(٨).

وكان عامل عمر على مَكَّة هذه السنة عَتَّاب بن أُسَيْد فيما قال بعضهم، وعلى الطائفة عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْية، وعلى عُمان واليمامة حُذَيْفَةُ ابن مِخْصَن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجراح، وعلى فُرج^(٩) الكوفة وما فُتِحَ من أرضها المثنى بن حارثة^(١٠).

(١) في طبعة صادر ٤٤٩/٢ «بالخَلِّ»، والتصويب من معجم البلدان ١٥٥/٢، ١٥٦، حيث قال: الجُلُّ: بالضم، وتشديد اللام.. وهو قريب من السُّلَّمان، بينه وبين واقصة ثمانية أميال. وقال الحازمي: جُلُّ موضع بالبادية على جادة طريق القادسية إلى زُبالة، بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلاً.

(٢) في طبعة صادر قِيدَها «شُراف» بكسر أوله. والتصحيح من معجم البلدان ٣٣١/٣ حيث قال: شُراف: بفتح أوله. وقال أبو عبيد السكوني: شُراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب.

(٣) غُضَيِّ: جبال البصرة. (معجم البلدان ٢٠٧/٤).

(٤) سُلَّمان: منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة، وبين عين صيد والسلمان ليلتان وما قصة دون ذلك، وبين العقبة والسلمان ليلتان. (معجم البلدان ٢٣٩/٣).

(٥) تاريخ الطبري ٤٧٧/٣، ٤٧٨.

(٦) في النسخة (ب): «الثقف».

(٧) تاريخ الطبري ٤٧٩/٣، وأنظر الفتوح لابن أعمش ١٧٣/١، ١٧٤.

(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٤٧٩/٣ وفي تاريخ خليفة ١٢٥: أقام الحجَّ سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في الأصل «فتح»، وفي النسخة (ب): «مرج». (١٠) الطبري ٤٧٩/٣.

وكان على القضاء فيما ذكر علي بن أبي طالب^(١) . .

* * *

[الوفيات]

وفي هذه السنة مات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، وقيل بعد ذلك.

وفي خلافة أبي بكر مات سهل بن عمرو أخو سهيل، وهو من مسلمة الفتح. وفي خلافته مات الصَّعب بن جثامة الليثي.

وفي أول خلافته مات ابنه عبدالله بن أبي بكر، وكان قد جرح في حصار الطائف ثم انتقض عليه جرحه فمات.

وفي هذه السنة توفي الأرقم بن أبي الأرقم يوم مات أبو بكر، وهو الذي كان رسول الله ﷺ، مستخفياً بداره بمكة أول ما أرسل.

(١) الطبري ٤٧٩/٣.

ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسية^(١)

لما اجتمع النَّاسُ إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يُدعى صِراراً^(٢)، فعسكر به، ولا يدري النَّاسُ ما يريد أيسير أم يُقيم، وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف، فإن لم يقدر هذان على عمل شيء مما يريد ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب، فسأله عثمان عن سبب حركته، فأحضر النَّاسَ فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامة: سِرْ وسِرْ بنا معك. فدخل معهم في رأيهم وقال: اغدوا واستعدوا فإنِّي سائر إلّا أن يجيء رأيي هو أمثل من هذا. ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله، ﷺ، وأرسل إلى عليّ، وكان استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة، وكان على المقدمة، فرجع إليه، وإلى الزبير وعبد الرحمن، وكانا على المجنبتين، فحضرنا، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله، ﷺ، ويرميه بالجنود، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلّا أعاد رجلاً وبعث^(٣) آخر، ففي ذلك غيظ العدو.

فجمع عمر النَّاسَ وقال لهم: إنِّي كنتُ عزمْتُ على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل.

(١) فتوح البلدان ٣١٣، تاريخ اليعقوبي ١٤٣/٢، تاريخ خليفة ١٣١، كتاب الفتوح لابن أعثم ١٧٢/١، تاريخ الطبري ٤٨٠/٣، الخراج وصناعة الكتابة ٣٥٩، الأخبار الطوال ١١٩، العقد الفريد ١٥٣/١، البدء والتاريخ ١٧٠/٥، مروج الذهب ٣١٢/٢ طبعة داغر، الأغاني ١٦٩/١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ - ٩٧/٩، آثار البلاد وأخبار العباد ٢٣٩، الفخري في الأدب السلطانية ٧٨، نهاية الأرب للنويري ١٨٩/١٩، تاريخ الإسلام ١١/٢، البداية والنهاية ٣٧/٧، تاريخ ابن خلدون ٩١/٢، خزنة الأدب للبغدادي ٤٢٦/١، المغازي للزهري ١٧٤.

(٢) في الطبعة الأوروبية «ضرار».

(٣) في الأصل إضافة «جنداً».

وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر بانتخاب ذوي الرأي والنجدة والسلاح، فجاءه كتابُ سعد، وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه، يقول: قد انتخبْتُ لك ألف فارس كلَّهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم. فلَمَّا وصل كتابه قالوا لعمر: قد وجدته. قال: من هو؟ قالوا: الأسد عاديًّا سعد بن مالك، فانتهى إلى قولهم، وأحضره وأمره على حرب العراق ووصَّاه وقال: لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله، فإنَّ الله لا يمحو السيِّء بالسيِّء، ولكنَّه يمحو السيِّء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلَّا طاعته، فالناس في ذات الله سواء، الله ربُّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويُدركون^(١) ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ، يلزمه فالزمه^(٢). ووصَّاه بالصبر وسرَّحه فيمن اجتمع إليه من نفر المسلمين، وهم أربعة آلاف، فيهم حُمَيْضَةُ بن النُّعْمان بن حُمَيْضَةَ على بارق، وعمر بن معدى كرب، وأبو سَبْرَةَ بن ذُؤَيْب على مَدْجِج^(٣)، ويزيد بن الحارث الصُّدائي على صُداء، وحَبِيب^(٤) ومُسلية وبشر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان^(٥).

وخرج إليهم عمر، فمرَّ بِقَتِيَّةٍ من السَّكون مع حُصَيْن بن نُمَيْر ومعاوية بن حُذَيْج دُلَم^(٦) سباط، فأعرض عنهم، فقيل له: ما لك وهؤلاء؟ فقال: ما مرَّ بي قوم من العرب أكره إليَّ منهم. ثمَّ أمضاهم فكان بعدُ يذكرهم بالكراهة، فكان منهم سُودان بن حُمران قتل عثمان، وابن مُلْجَم قتل عليًّا، ومعاوية بن حُذَيْج جرَّد السيف في المسلمين، يُظهر الأخذ بثأر عثمان، وحُصَيْن بن نُمَيْر كان أشدَّ النَّاس في قتال علي^(٧).

ثمَّ إنَّ عمر أخذ بوصيتهم وبعظتهم ثمَّ سيَّره، وأمدَّ عمر سعداً بعد خروجه بالقيِّ يمانِي نَجْدِي، وكان المثنى بن حارثة في ثمانية آلاف، وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه، فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه، واستخلف على النَّاس بشيرُ بن الخصاصية وسعد يومئذٍ بَزْرود^(٨)، وقد اجتمع معه ثمانية آلاف، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حدِّ أرضهم بين الحزن والبسيطة، فنزلوا في ثلاثة آلاف، وسار سعد إلى

(١) في الطبعة الأوربية «ويذكرون».

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٣/٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٤٨٤/٣ «على جُعْفَى».

(٤) في تاريخ الطبري «جَنَب».

(٥) تاريخ الطبري ٤٨٤/٣، ٤٨٥.

(٦) دُلَم: جمع أدلم، وهو الطويل.

(٧) تاريخ الطبري ٤٨٥/٣، ٤٨٦.

(٨) زُرُود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. (معجم البلدان ١٣٩/٣).

شَرَّاف فَنزَلَهَا، وَلِحَقِّهَ بِهَا الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِّنْ شَهِدِ الْقَادِسِيَّةِ بَضْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَجَمِيعٌ مِّنْ قُسْمٍ عَلَيْهِ فَيْئُهَا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا^(١).

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَجْرًا عَلَى أَهْلِ فَارَسٍ مِنْ رِبِيعَةٍ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْمَوْنَهُمْ رِبِيعَةَ الْأَسَدِ إِلَى رِبِيعَةِ الْفَرَسِ، وَلَمْ يَدْعُ عَمْرٌ ذَا رَأْيٍ وَلَا شَرَفٍ وَلَا خَطِيئًا وَلَا شَاعِرًا وَلَا وَجِيهًا مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ إِلَّا سَيَّرَهُ إِلَى سَعْدٍ^(٢).

وَجَمَعَ سَعْدٌ مَّنْ كَانَ بِالْعِرَاقِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَسْكَرِ الْمُثَنَّى، فَاجْتَمَعُوا بِشَرَافٍ، فَعَبَّأَهُمْ وَأَمَرَ الْأُمَرَاءَ، وَعَرَّفَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ عَرِيفًا، وَجَعَلَ عَلَى الرِّيَاضَاتِ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ، وَوَلَّى الْحُرُوبَ رِجَالًا عَلَى سَاقَتِهَا وَمَقْدَمَتِهَا وَرَجُلَهَا وَطَلَائِعَهَا وَمَجَنَّبَاتِهَا، وَلَمْ يَفْصِلْ إِلَّا بِكِتَابِ عَمْرٍ، فَجَعَلَ عَلَى الْمَقْدَمَةِ زُهْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ الْحَوِيَّةِ، فَانْتَهَى إِلَى الْعُدَيْبِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ عَلَى الْيَمِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِّ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضًا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ شُرَحْبِيلُ بْنُ السَّمُطِ الْكِنْدِيُّ، وَجَعَلَ خَلِيفَتَهُ خَالِدُ بْنُ عُرْقُطَةَ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَجَعَلَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ عَلَى السَّاقَةِ، وَسَوَادُ بْنُ مَالِكِ التَّمِيمِيِّ عَلَى الطَّلَائِعِ، وَسَلْمَانُ بْنُ رِبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ عَلَى الْمَجْرَدَةِ، وَعَلَى الرِّجَالَةِ حَمَالُ بْنُ مَالِكِ الْأَسَدِيِّ، وَعَلَى الرُّكْبَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي السَّهْمَيْنِ الْخَثْعَمِيُّ^(٣).

وَجَعَلَ عَمْرٌ عَلَى الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ رِبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ، وَعَلَى قِسْمَةِ الْفَيْءِ أَيْضًا، وَجَعَلَ رَائِدَهُمْ وَدَاعِيَتَهُمْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ، وَالْكَاتِبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ^(٤).

وَقَدِيمُ الْمَعْنَى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ وَسَلَمَى بِنْتَ خَصْفَةَ زَوْجِ الْمُثَنَّى بِشَرَافٍ، وَكَانَ الْمَعْنَى بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ قَدْ سَارَ إِلَى قَابُوسِ بْنِ قَابُوسِ بْنِ الْمَنْذَرِ بِالْقَادِسِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهَا الْفَرَسُ يَسْتَنْفِرُ الْعَرَبَ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمَعْنَى فَقَفَلَهُ فَأَنَامَهُ^(٥) وَمَنْ مَعَهُ، وَرَجَعَ إِلَى ذِي قَارٍ وَسَارَ إِلَى سَعْدٍ يُعَلِّمُهُ بِرَأْيِ الْمُثَنَّى لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِأَمْرِهِمْ أَنْ يَقَاتِلُوا الْفَرَسَ عَلَى حُدُودِ أَرْضِهِمْ عَلَى أَدْنَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَا يَقَاتِلُوهُمْ^(٦) بِعَقْرِ دَارِهِمْ، فَإِنْ يُظْهِرَ اللَّهُ

(١) تاريخ الطبري ٤٨٥/٣ - ٤٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٧/٣.

(٣) في طبعة صادر ٤٥٣/٢ «الحنفي» وهو تحريف، والتصويب من تاريخ الطبري ٤٨٩/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٨٨/٣، ٤٨٩.

(٥) في الطبعة الأوروبية «فأفامه». وأنামه: قتله.

(٦) في الطبعة الأوروبية «يقاتلهم».

المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم، إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم. فترحم سعد ومن معه على المشي، وجعل المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً، ثم تزوج سعد سلمى زوج المشي. وكان معه تسعة وتسعون بدرياً^(١) وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمئة من أبناء الصحابة^(٢).

وقدّم على سعد كتاب عمر بمثل رأي المشي، وكتب عمر أيضاً إلى أبي عبيدة ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم إلى العراق. وكان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل، عليها النعمان بن قبيصة الطائي، وهو ابن عم قبيصة بن إياس صاحب الحيرة، فلما سمع بمجيء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان بن خزيمة الأسدي، فقل: رجل من قريش. فقال: والله لأحادثه القتال فإن قريشاً عبيد من غلب، والله لا يخرجون من بلادهم إلّا بخفين^(٣)! فغضب عبد الله بن سنان من قوله وأمهله حتى دخل قبة فقتله ولحق بسعد وأسلم.

وسار سعد من شراف فنزل العذيب، ثم سار حتى نزل القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة، وقدّيس^(٤) أسفل منها بميل.

وكتب عمر إلى سعد: إني ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتوهم، فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أماناً، فأجروا له ذلك مجرى الأمان والوفاء، فإن الخطأ بالوفاء بقيّة، وإن الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهنكم وقوة عدوكم^(٥). فلما نزل زهرة في المقدّمة وأمسى بعث سرية في ثلاثين معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلما جازوا السيلحين سمعوا جلبة، فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أخت آزادمرّد بن آزاذبه مرزبان الحيرة تزفّ إلى صاحب الصّنين، وهو من أشراف العجم، فحمل بكير بن عبد الله الليثي أمير السرية على شيرزاد بن آزاذبه فدقّ صلبه، وطار الخيل على وجوهها، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امراً^(٦) من

(١) في تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ «بضعة وسبعون بدرياً».

(٢) الطبري ٤٩٠/٣.

(٣) في النسخة (ب) «لحقير».

(٤) أنظر معجم البلدان ٣١٤/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٤٩٢/٣، ٤٩٣.

(٦) في الأصل، وفي تاريخ الطبري ٤٩٤/٣ «امراً»، وما أثبتناه هو الصحيح.

الدهاقين ومائة من التوابع، ومعهم ما لا يُدرى قيمته، فاستاق ذلك ورجع فصَبَحَ سعداً
بُعْذِيبَ الْهَجَانَاتِ، فَقَسَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَ الْحَرِيمَ بِالْعُذِيبِ وَمَعَهَا خَيْلٌ
تَحُوطُهَا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ^(١).

ونزل سعد القادسية وأقام بها شهراً لم يأتَه من الفُرس أحد. فأرسل سعد عاصمَ بن
عمرو إلى مَيْسَانَ، فطلب غنماً أو بقرأ فلم يقدر عليها، وتحصَّن منه مَنْ هُناك، فأصاب
عاصم رجلاً بجانب أجمَة، فسأله عن البقر والغنم، فقال: ما أعلم. فصاح ثور من
الأجمَة: كذب عدو الله، ها نحن! فدخل فاستاق البقر فأَتَى بها العسكر، فقَسَمَهُ سعد
على النَّاسِ، فأخصبوا أياماً. فبلغ ذلك الْحَجَّاجَ فِي زَمَانِهِ فَأرسل إلى جماعة فسألهم،
فشهدوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا ذَلِكَ وشاهدوه، فقال: كذبتُم. قالوا: ذلك إِنْ كُنْتَ شَهِدْتَهَا وَغَبْنَا
عنها. قال: صدقتُم، فما كان النَّاسُ يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ؟ قالوا: وإِنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى رِضَى
الله وفتح عدونا. فقال: ما يكون هذا إِلَّا والجمع أبرار أتقياء. قالوا: ما ندري ما أجنّت
قلوبهم، فأما ما رأينا فما رأينا قطّ أزهّد في دنيا منهم ولا أشدّ بُغضاً لها، ليس فيهم جبان
ولا غار^(٢) ولا غدار. وذلك يوم الأباقر^(٣).

وبثَّ سعد الغارات والنهب بين كَسَكِرَ والأنبار، فحسوا من الأطمعة ما استكفوا به
زماناً؛ وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسية والفراغ منها ستتان
وشيء، وكان مقام سعد بالقادسية شهرين وشيئاً حتى ظفر.

فاستغاث أهل السواد إلى يَزْدَجَرْدَ وأعلموه أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ نَزَلُوا الْقَادِسيَّةَ وَلَا يَبْقَى
عَلَى فَعْلِهِمْ شَيْءٌ، وَقَدْ أَخْرَبُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَرَاتِ، وَنَهَبُوا الدَّوَابَّ وَالْأَطْعِمَةَ، وَإِنْ أَبْطَأَ
الْغِيَاثُ أَعْطَيْنَاهُمْ بِأَيْدِينَا، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الَّذِينَ لَهُمُ الضِّيَاعُ بِالْطَّفِّ، وَهَيَّجُوهُ عَلَى
إِرْسَالِ الْجُنُودِ. فَأرسل يَزْدَجَرْدَ إِلَى رِسْتَمَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوَجِّهَكَ فِي
هَذَا الْوَجْهِ، فَأَنْتَ رَجُلٌ فَارَسَ الْيَوْمَ، وَقَدْ تَرَى مَا حَلَّ بِالْفُرسِ مِمَّا لَمْ يَأْتَهُمْ مِثْلُهُ، فَأَظْهَرَ
لَهُ الْإِجَابَةَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: دَعْنِي فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَزَالُ تَهَابُ الْعَجَمَ مَا لَمْ تُضْرِبْهُمْ بِي، وَلَعَلَّ
الدَّوْلَةَ أَنْ تُثَبَّتَ بِي إِذَا لَمْ أَحْضَرْ الْحَرْبَ، فَيَكُونُ اللَّهُ قَدْ كَفَى، وَنَكُونُ قَدْ أَصَبْنَا الْمَكِيدَةَ،
وَالرَّأْيُ فِي الْحَرْبِ أَنْفَعُ مِنْ بَعْضِ الظَّفَرِ، وَالْأَنَاءَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعَجَلَةِ، وَقَتَالُ جَيْشٍ بَعْدَ جَيْشٍ
أَمْثَلُ مِنْ هَزِيمَةٍ بِمَرَّةٍ وَأَشَدُّ عَلَى عَدُونَا. فَأَبَى عَلَيْهِ، وَأَعَادَ رِسْتَمَ كَلَامَهُ وَقَالَ: قَدْ اضْطَرَّنِي
تَضْيِيعُ الرَّأْيِ إِلَى إِعْظَامِ نَفْسِي وَتَرْكِتِهَا، وَلَوْ أَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بَدْءاً لَمْ أَتَكَلَّمُ بِهِ، فَأَنْشُدُ اللَّهَ

(١) أنظر تاريخ خليفة ١٣٢.

(٢) في النسخة (ب): «غال».

(٣) في الأصل «الأنافر». والمثبت يتفق مع الطبري ٤٩٥/٣.

في نفسك وملكك دَعْنِي أَقِمَّ بعسكري وأسْرَحِ الجالينوس، فإن تكن لنا فذلك وإلاّ بعثنا غيره، حتى إذا لم نجد بداً صبرنا لهم وقد وهّناهم ونحن جامون^(١)، فإنّي لا أزال مرجوّاً في أهل فارس ما لم أهزم. فأبى إلا أن يسير^(٢)، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط، وأرسل إلى الملك ليعفيه فأبى.

وجاءت الأخبار إلى سعد بذلك، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكرهنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دُعَاءهم توهيناً لهم.

فأرسل سعد نفرأ، منهم: النُّعْمان بن مُقَرَّن، وئُسْر بن أبي رُهم، وحملة بن حَوَيْة^(٣)، وحنظلة بن الربيع، وفُرات بن حَيَّان، وعديّ بن سُهَيْل، وعُطارد بن حاجب، والمُغيرة بن زُرارة بن النَّبَّاش الأسديّ، والأشعث بن قيس، والحارث بن حَسَّان، وعاصم ابن عمرو، وعمرو بن معدي كَرِب، والمغيرة بن شُعْبة، والمعنى بن حارثة إلى يزيد جرد دُعَاة^(٤)، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزيد جرد، وطووا رستم، واستأذنوا على يزيد جرد فحبسوا، وأحضر وزراءه ورستم معهم، واستشارهم فيما يصنع ويقول له.

واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلّها صُهاّل، وعليهم البرود وبأيديهم السيّاط، فأذن لهم، وأحضر الترجمان وقال له: سلّمهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمّن أجّل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النُّعْمان بن مُقَرَّن لأصحابه: إن شئتم تكلمت عنكم، ومن شاء أثرته. فقالوا: بل تكلم. فقال: إنّ الله رجّما فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشرّ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدعُ قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينيذ^(٥) إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغبتبط، وطائع [أتاه] فازداد، فعرّفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كلّهُ، فإن أبيتم فأمر من الشرّ هو أهون من آخر شرّ منه الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتكم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله، وأقمنا على أن

(١) في طبعة صادر ٤٥٦/٢ «حامون»، والتصحيح من تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٥٠٣/٣، ٥٠٤.

(٣) في تاريخ الطبري «جُوَيْة».

(٤) تاريخ الطبري ٤٩٦/٣، تاريخ يعقوبي ١٤٤/٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «نبتدا».

تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتكم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس^(١)، فإن كان غرر^(٢) لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتاً إلى خضبتكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

فأسكت القوم، فقام المغيرة بن زُرارة فقال: أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يُكرم الأشراف ويعظم حقهم الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به قالوه، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، فجأؤني لأكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي؛ فأما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد؛ ثم ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبي ﷺ، إليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم أو الجزية، ثم قال له: اختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك^(٣).

فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم! لا شيء لكم عندي. ثم استدعى بوقر من تراب فقال: احمלוه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ارجعوا إلي صاحبكم فأعلموه أنني مُرسَل إليه رستم حتى يدفعه ويدفنكم معه في خندق القادسية، ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب. وقال: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء، فحملة على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد: أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملوكهم^(٤).

واشتد ذلك على جلساء الملك. وقال الملك لرستم، وقد حضر عنده من ساباط: ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صدقني القوم، لقد وعدوا أمراً ليدركته أو ليموتن عليه، على أنني وجدت أفضلهم أحققهم حيث حمل

(١) في الطبعة الأوربية «لفارس».

(٢) في تاريخ الطبري ٤٩٩/٣ «عدد»، وفي البداية والنهاية ٤١/٧ «عددكم كثير».

(٣) النص هنا باختصار عن الطبري ٤٩٩/٣، ٥٠٠، وانظر البداية والنهاية ٤١/٧، ٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٠٠/٣، ٥٠١، البداية والنهاية ٤٢/٧، ٤٣، وانظر تاريخ يعقوبي ١٤٣/٢، ١٤٤، وفتوح البلدان ٣١٦ وفيه عمرو بن معدي كرب.

التراب على رأسه. فقال رستم: أيها الملك إنه أعقلهم، وتطير إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه. وخرج رستم من عند الملك غضبان كثيراً، وبعث في أثر الوفد وقال لثقتة: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزه سلبكم الله أرضكم. فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شك؛ وكان منجماً كاهناً^(١).

وأغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على النجاف والفراض^(٢)، فاستاق دابة من بين بغل وحمار وثور وأوقرها سمكاً، وصبح العسكر، فقسمه سعد بين الناس، وهذا يوم الحيتان، وكانت السرايا تسري لطلب اللحوم، فإن الطعام كان كثيراً عندهم، فكانوا يسمون الأيام بها: يوم الأباقر ويوم الحيتان. وبعث سعد سرية أخرى فأغاروا فأصابوا إبلًا لبني تغلب والنير واستاقوها ومن فيها، فنحر سعد الإبل وقسمها في الناس فأخصبوا. وأغار عمرو بن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد^(٣).

وسار رستم من ساباط، وجمع آلة الحرب وبعث على مقدمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستين ألفاً، وفي ساقته عشرون ألفاً، وجعل في ميمته الهرمزان، وعلى الميسرة مهران بن بهرام الرازي، وقال رستم للملك يشجعه بذلك: إن فتح الله علينا القوم فتوجهنا^(٤) إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم^(٥) وبلادهم إلى أن يقبلوا المسالمة.

وكان خروج رستم من المدائن في ستين ألف متبوع، ومسيره عن ساباط في مائة ألف وعشرين ألف متبوع، وقيل غير ذلك^(٦).

ولما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البندوان: أما بعد فرموا حصونكم وأعدوا واستعدوا، فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم^(٧) وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً، فإن السمكة قد كذرت الماء، وإن النعائم قد حسنت، والزهرة قد حسنت، واعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء

(١) تاريخ الطبري ٥٠١/٣، ٥٠٢، البداية والنهاية ٤٣/٧.

(٢) الفراض: بكسر أوله، موضع بين البصرة واليمامة قرب فُلُج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٢٤٣/٤) والفراض: تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات.

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٢/٣.

(٤) عند الطبري ٥٠٥/٣ «فهو وجهنا».

(٥) في الأصل «أرضهم» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) تاريخ الطبري ٥٠٤/٣، ٥٠٥.

(٧) في النسخة (ب): «أنفسكم».

القوم إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا، وإنَّ أشدَّ ما رأيتُ أنَّ الملك قال: تسيرنَّ أو لأسيرنَّ بنفسِي^(١).

ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط، وكانا منجمين، فشكا إليه وقال له: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أما أنا فأقاد بخشاش وزمام، ولا أجد بُدًّا من الانقياد. ثم سار فنزل بكوئي^(٢)، فأتي برجل من العرب، فقال له: ما جاء بكم وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تُسلموا. قال رستم: فإن قُلتُم قبل ذلك! قال: مَنْ قُتل منا دخل الجنة، ومَنْ بقي منا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعنا إذن في أيديكم! فقال: أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرّتك مَنْ ترى حولك، فإنك لست تجاول^(٣) الإنس إنما تجاول القدر. فضرب عنقه، ثم سار فنزل البرس^(٤)، فغضب أصحابه النَّاسُ أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمر، فضجَّ أهلها إلى رستم فقال: يا معشر فارس والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله إنَّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم، إنَّ الله كان ينصركم على العدو يَمَكِّنْ لكم في البلاد بحُسن السيرة وكفَّ الظلم والوفاء والإحسان، فإذا تغيّرتُم فلا يرى الله إلا مغيراً ما بكم، وما أنا بآمنٍ من أن ينزع الله سلطانه منكم. وأتي ببعض من يُشكى منه فضرب عنقه.

ثم سار حتى نزل الحيرة، ودعا أهلها وتهددهم وهم بهم، فقال له ابن بُقيلة: لا تجمع علينا أن تعجز عن نُصرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا^(٥).

ولما نزل رستم بالنجف رأى كأنَّ ملكاً نزل من السماء ومعه النبي، ﷺ، وعمر، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه، ثم دفعه إلى النبي، ﷺ، فدفعه النبي، ﷺ، إلى عمر، فأصبح رستم حزيناً^(٦).

وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النجف والسيلجين، فطافت في السواد، فبعث سواداً وحُمِيضَةً في مائة مائة، فأغاروا على النهرين، وبلغ رستم الخبرُ فأرسل إليهم خيلاً، وسمع سعدُ أن خيله قد غلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً

(١) تاريخ الطبري ٥٠٥/٣، ٥٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٥٠٧/٣ «بكوني» وما أثبتناه يتفق مع معجم البلدان ٤٨٧/٤.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٠٨/٣ «تحاول».

(٤) في طبعة صادر ٤٥٩/٢ قِيدَت «البرس»، وما أثبتناه عن معجم البلدان ٣٨٤/١ وهو موضع بأرض بابل.

(٥) تاريخ الطبري ٥٠٧/٣، ٥٠٨.

(٦) الطبري ٥٠٩/٣، ٥١٠.

الأسديّ في آثارهم، فلقّبيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلّصوا ما بأيديهم، فلمّا رأته
 الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم. وأرسل سعد عمرو بن معدّي كرب وطلّيحة
 الأسديّ طليعة، فسارا في عشرة، فلم يسيروا إلّا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم
 وسرّحهم على الطفوف قد ملأوها، فرجع عمرو ومنّ معه، وأبى طليحة إلّا التقدّم، فقالوا
 له: أنت رجل في نفسك غدر، ولن نفلح بعد قتل عُكاشة بن مِحصن، فارجع معنا.
 فأبى، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقرب القوم^(١).

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يجوسه ويتوسّم، فهتك أطناب
 بيت رجل عليه واقتاد فرسه، ثمّ هتك على آخر بيته وحلّ فرسه، ثمّ فعل بآخر كذلك، ثمّ
 خرج يعدو به فرسه، ونذر به الناس فركبوا في طلبه، فأصبح وقد لحقه فارس من الجند،
 فقتله طليحة، ثمّ آخر فقتله، ثمّ لحق به ثالث، فرأى مصرع صاحبيّه، وهما ابنا عمّه،
 فازداد حنقاً، فلحق طليحة، فكرّ عليه طليحة وأسره، ولحقه الناس، فرأوا فارس الجند
 قد قُتلا وأسر الثالث، وقد شارف طليحة عسكره، فأحجموا عنه، ودخل طليحة على سعد
 ومعه الفارسيّ وأخبره الخبر، فسأل الترجمان الفارسيّ، فطلب الأمان، فأمنه سعد، قال:
 أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قبليّ، باشرت الحروب منذ أنا غلام إلى
 الآن، وسمعت بالأبطال، ولم أسمع بمثل هذا، أن رجلاً قطع فرسخين إلى عسكر فيه
 سبعون ألفاً، يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى
 سلب فرسان الجند، وهتك عليهم البيوت، فلمّا أدركناه قتل الأوّل وهو يعدّ بألف فارس،
 ثمّ الثاني وهو نظيره، ثمّ أدركته أنا [ولا أظنّ أنني]^(٢) خلّفت من بعدي من يعدلني وأنا
 النائر بالقتيلين، فرأيت الموت واستؤسرت. ثمّ أخبره عن الفرس، وأسلم ولزم طليحة،
 وكان من أهل البلاء بالقادسيّة، وسماه سعد مسلماً^(٣).

ثمّ سار رستم وقدم الجالينوس وذا الحاجب، فنزل الجالينوس بحيال زهرة من دون
 القنطرة، ونزل ذو الحاجب بطيزناباد^(٤)، ونزل رستم بالخرّارة^(٥)، ثمّ سار رستم فنزل
 بالقادسيّة؛ وكان بين مسيره من المدائن ووصله القادسيّة أربعة أشهر، لا يقدم رجاء أن

(١) الطبري ٥١٠/٣ - ٥١٢.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والاستدراك من الطبري ٥١٤/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٣/٣، ٥١٤.

(٤) طيزناباد: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ثمّ زاي مفتوحة، ثمّ نون، وبعد ألفها باء مؤدّة، وآخره ذال معجمة..

موضع بين الكوفة والقادسيّة على حافة الطريق على جادة الحاج. (معجم البلدان ٥٤/٤).

(٥) الخرّارة: موضع قرب السيلحون من نواحي الكوفة (معجم البلدان ٣٥٠/٢).

يضجروا^(١) بمكانهم فينصرفوا، وخاف أن يلقي ما لقي من قبله، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه [ويقدمه، حتى أقحمه].

وكان عمر قد كتب إلى سعد يأمره بالصبر والمطاوله أيضاً، فأعدَّ للمطاوله. فلما وصل رستم القادسيّة وقف على العتيق بحيال عسكر سعد، ونزل الناس، فما زالوا يتلاحقون حتى أعتَمُوا من كثرتهم، والمسلمون ممسكون عنهم. وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكانت الفيلة تألفه، فجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً، وفي المجنبتين خمسة عشر فيلاً^(٢).

فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسائر العتيق نحو خَفَّان، حتى أتى على مُنْقَطَعِ عسكر المسلمين، ثمَّ صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل المسلمين، ووقف على موضع يشرف منه عليهم، ووقف على القنطرة، وأرسل إلى زُهْرَة فواقفه، فأراده على أن يصالحه ويجعل له جُعلاً، على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرّح له بذلك بل يقول له: كنتم جيراننا وكنا نُحَسِّنُ إليكم ونحفظكم، ويخبره عن صنيعهم مع العرب.

فقال له زُهْرَة: ليس أمرنا أمر أولئك، إننا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنّا طَلَبْنَا وَهْمَنَا الآخرة، وقد كنّا كما ذكرت، إلى أن بعث الله فينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لرسوله: إنّي سلّطت هذه الطائفة على مَنْ لم يدنْ بديني، فأنا منتقم به منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلّا ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلّا عزّ.

فقال له رستم: ما هو؟ قال: أمّا عموده الذي لا يصلح إلّا به، فشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. قال: وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأمّ. قال: ما أحسن هذا! [ثمّ] قال رستم: أرايت إن أجبت إلى هذا ومعى قومي، كيف يكون أمركم، أترجعون؟ قال: إي والله. قال: صدقتني، أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدّوا طُورَهم وعادوا أشرافهم. فقال زُهْرَة: نحن خير الناس للناس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، بل نطيع الله في السّفلة ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا.

فانصرف عنه، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا، فأنفوا. فأرسل إلى سعد: أن

(١) في الطبعة الأوربية «يضجروا».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥١٥، ٥١٦.

ابعث إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا. فدعا سعدُ جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له ربّعي بن عامر: متى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة. وأعلم رستم بمجيئه، فأظهر زينته، وجلس على سريرٍ من ذهب، وبسط البُسُط والنمازق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربّعي على فرسه وسيفه في خرقه، ورمحه مشدود بعصب وقد^(١)، فلما انتهى إلى البُسُط قيل له: انزل، فحمل فرسه عليها ونزل، وربطها بوسادتين شقهما، وأدخل الجبل فيهما، فلم ينهوه وأروه التهاون، وعليه درع، وأخذ عباءة بغيره فتدرّعها وشدّها على وسطه. فقالوا: ضغ سلاحك. فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني. فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه، فلم يدع لهم نمرقاً ولا بساطاً إلا أفسده وهتكه. فلما دنا من رستم جلس على الأرض، وركّز رُمحه على البُسُط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحبّ القعود على زينتك. فقال له ترجمان رستم، واسمه عبود من أهل الحيرة: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنُخرج مَنْ يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمَنْ قبله قبلنا منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومَنْ أبى قاتلناه حتى نُفْضي إلى الجنة أو الظفر. فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم، وإنّ ممّا سنّ لنا رسول الله، ﷺ، أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاثٍ بعد الأجل: إمّا الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك، وإن احتجّت إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، إلا أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي. قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكنّ المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض، يجير أديانهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاماً قطّ أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ونحكم! لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب تستخفّ باللباس وتصون الأحساب، ليسوا مثلكم.

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد: أن ابعث إلينا ذلك الرجل. فبعث إليهم حذيفة بن محصن، فأقبل في نحوٍ من ذلك الزيّ، ولم ينزل عن فرسه، ووقف على

(١) عبارة الطبري ٥١٩/٣: «ورمحه معلوب بقده».

(٢) في النسخة (ب) «أعرف».

رستم راكباً. قال له: انزل. قال: لا أفعل. فقال له: ما جاء بك ولم يجيء الأول؟ قال له: إن أميرنا يحب أن يعدل^(١) بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأول. فقال رستم: أو المواعدة^(٢) إلى يوم ما؟ قال: نعم، ثلاثاً من أمس. فردّه وأقبل على أصحابه وقال: ويحكم أما ترون ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلّبنا على أرضنا، وحقّر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجنا، وجاء هذا اليوم فوقف علينا، وهو في يمين الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

فلما كان الغد أرسل: إبعثوا إلينا رجلاً. فبعث المغيرة بن شعبة، فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة، لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريريه، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه^(٣)، وقال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد، وإنّي لم آتكم ولكن دعوتومني اليوم، علمت أنكم مغلوبون^(٤)، وأن ملوكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول. فقالت السفلة: صدق والله العربي. وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون^(٥) إليه، قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة!.

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال: لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرفاً في الأمم، فليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا، نُنصر عليهم ولا يُنصرون علينا، إلّا اليوم واليومين والشهر للذنوب، فإذا انتقم الله منا ورضي علينا ردّ لنا الكرّة على عدونا، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمراً منكم، كنتم أهل قشّف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً، وكنتم تقصدوننا^(٦) إذا قحطت بلادكم، فنأمر لكم بشي من التمر والشعير، ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلّا الجهد في بلادكم، فأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وأمر لكل منكم بوقر تمر، وتنصرفون عنا، فإني أشتهي أن أقتلكم.

(١) في النسخة (ب): «يساوي».

(٢) في الطبعة الأوربية «المواعدة»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥٢١/٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٢٢/٣ «مغثوه»، أي ضربه ضرباً ليس بالشديد.

(٤) في تاريخ الطبري «مغلوبون» ٥٢٢/٣.

(٥) في النسخة (ب): «يسرعون».

(٦) في الطبعة الأوربية «تصدّقوننا».

فَتَكَلَّمَ الْمَغِيرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَالَقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُهُ^(١)، فَمَنْ صَنَعَ شَيْئاً فَإِنَّمَا هُوَ يَصْنَعُهُ، وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتَ بِهِ نَفْسُكَ وَأَهْلُ بِلَادِكَ فَنَحْنُ نَعْرِفُهُ، فَاللَّهُ صَنَعَهُ بِكُمْ وَوَضَعَهُ فِيكُمْ، وَهُوَ لَهُ دُونُكُمْ، وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتَ فِينَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَالضِّيقِ وَالْاِخْتِلَافِ، فَنَحْنُ نَعْرِفُهُ وَلِسْنَا نُنْكِرُهُ، وَاللَّهُ ابْتَلَانَا بِهِ وَالْدُنْيَا دَوْلٌ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الشَّدَائِدِ يَتَوَقَّعُونَ الرِّخَاءَ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الرِّخَاءِ يَتَوَقَّعُونَ الشَّدَائِدَ حَتَّى تَنْزِلَ بِهِمْ، وَلَوْ شِئْنَا مَا أَتَاكُمْ اللَّهُ لَكَانَ شُكْرُكُمْ يَقْصُرُ عَمَّا أَوْتَيْتُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ ضَعْفَ الشُّكْرِ إِلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ، وَلَوْ كُنَّا فِيمَا ابْتُلِينَا بِهِ أَهْلُ كُفْرٍ^(٢) لَكَانَ عَظِيمٌ مَا ابْتُلِينَا بِهِ مُسْتَجْلِباً مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً يَرْفُهَا^(٣) بِهَا عَنَّا؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ فِينَا رَسُولاً. ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الْإِسْلَامِ وَالْجَزِيَةِ وَالْقِتَالِ، وَقَالَ لَهُ: وَإِنَّ عِيَالَنَا قَدْ ذَاقُوا طَعَامَ بِلَادِكُمْ، فَقَالُوا: لَا صَبْرَ لَنَا عَنْهُ.

فَقَالَ رَسْتُمْ: إِذَا تَمُوتُونَ دُونَهَا. فَقَالَ الْمَغِيرَةُ: يَدْخُلُ مَنْ قُتِلَ مَنَا الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ النَّارَ، وَيُظْفَرُ مَنْ بَقِيَ مَنَا بِمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ.

فَاسْتَشَاطَ رَسْتُمْ غَضِباً ثُمَّ حَلَفَ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ الصَّبْحُ غَداً حَتَّى نَقْتُلَكُمْ أَجْمَعِينَ. وَانصَرَفَ الْمَغِيرَةُ وَخَلَصَ رَسْتُمْ بِأَهْلِ فَارَسَ وَقَالَ: أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ! هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ الرِّجَالُ، صَادِقِينَ كَانُوا أَمْ كَاذِبِينَ، وَاللَّهُ لَئِنْ كَانَ بَلُغٌ مِنْ عَقْلِهِمْ وَصُونُهُمْ لَسَرَّهُمْ أَنْ لَا يَخْتَلِفُوا، فَمَا قَوْمٌ أَبْلَغُ لَمَّا أَرَادُوا مِنْهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَمَا يَقُومُ لَهُؤُلَاءِ شَيْءٌ! فَلَجُّوا وَتَجَلَّدُوا.

فَأَرْسَلَ رَسْتُمْ مَعَ الْمَغِيرَةِ وَقَالَ لَهُ: إِذَا قَطَعَ الْقَنْظَرَةَ فَأَعْلِمْنِي أَنَّ عَيْنَهُ تُفَقِّأُ غَداً، فَأَعْلَمَهُ الرُّسُولُ ذَلِكَ: فَقَالَ الْمَغِيرَةُ: بَشَّرْتَنِي بِخَيْرٍ وَأَجْرٍ، وَلَوْلَا أَنْ أَجَاهِدَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَشْبَاهَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَتَمَنَيْتُ أَنَّ الْآخِرَى ذَهَبَتْ. فَرَجَعَ إِلَى رَسْتُمْ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: أَطِيعُونِي يَا أَهْلَ فَارَسَ، إِنِّي لَأَرَى لِلَّهِ فِيكُمْ نِقْمَةً لَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَعْدُ بَقِيَّةِ ذَوِي الرَّأْيِ فَسَارُوا، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ، إِلَى رَسْتُمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ أَمِيرَنَا يَدْعُوكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا وَلَكَ، الْعَافِيَةُ أَنْ تَقْبَلَ مَا دَعَاكَ [اللَّهُ]^(٤) إِلَيْهِ، وَنَرْجِعَ إِلَى أَرْضِنَا، وَنَرْجِعَ إِلَى أَرْضِكَ، وَدَارُكُمْ لَكُمْ وَأَمْرُكُمْ فِيكُمْ، وَمَا أَصَبْتُمْ كَانَ زِيَادَةً لَكُمْ دُونَنَا، وَكُنَّا عَوْناً لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ إِنْ أَرَادَكُمْ، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا يَكُونَنَّ هَلَكَ قَوْمُكَ عَلَى يَدِكَ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ تَغْبِطَ بِهَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ، وَتَطْرُدَ بِهِ الشَّيْطَانَ عَنْكَ.

(١) فِي النُّسخَةِ (ب): «وَوَارِثُهُ».

(٢) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيبِيَّةِ «الْكُفْر».

(٣) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيبِيَّةِ «بِرَأْفَةٍ».

(٤) إِضَافَةٌ مِنَ الطَّبْرِيِّ ٥٢٦/٣.

فقال لهم: إِنَّ الأمثال أَوْضَحُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَهْلَ جَهْدٍ وَقَشْفٍ لَا تَنْتَصِفُونَ وَلَا تَمْتَنِعُونَ، فَلَمْ نُسِءْ جَوَارِكُمْ، وَكُنَّا نَمِيرُكُمْ وَنَحْسِنُ إِلَيْكُمْ، فَلَمَّا طَعَمْتُمْ طَعَامَنَا وَشَرِبْتُمْ شَرَابَنَا وَصَفْتُمْ لِقَوْمَكُمْ ذَلِكَ، وَدَعَوْتُمُوهُمْ ثُمَّ أَتَيْتُمُونَا، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُنَا كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ لَهُ كَرْمٌ فَرَأَى فِيهِ ثَعْلَبًا فَقَالَ: وَمَا ثَعْلَبُ! فَانْطَلَقَ الثَّعْلَبُ، فَدَعَا الثَّعْلَابَ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْمِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ سَدَّ صَاحِبُ الْكَرْمِ النَّقْبَ الَّذِي كُنَّ يَدْخُلْنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُنَّ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا: الْحِرْصُ وَالْجَهْدُ، فَارْجِعُوا وَنَحْنُ نَمِيرُكُمْ، فَإِنِّي لَا أَشْتَهِي أَنْ أَقْتُلَكُمْ، وَمِثْلُكُمْ أَيْضًا كَالذِّبَابِ يَرَى الْعَسَلَ فَيَقُولُ: مَنْ يُوَصِّلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ؟ فَإِذَا دَخَلَ غُرْقًا وَنَشِبَ، فَيَقُولُ: مَنْ يُخْرِجُنِي وَلَهُ أَرْبَعَةُ دِرَاهِمٍ؟ وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّ رَجُلًا وَضَعَ سَلَّةً وَجَعَلَ طَعَامًا فِيهَا، فَاتَى الْجُرَذَانِ فَخَرَقْنَ السَّلَّةَ، فَدَخَلْنَ فِيهَا، فَرَادَ سَدَّهَا فَقِيلَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ إِذَنْ يَخْرِقُنَّهُ، لَكِنْ انْقُبْ بِحَيَالِهِ، ثُمَّ اجْعَلْ [فِيهَا] قِصَّةَ مَجُوفَةٍ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْجُرَذَانِ وَخَرَجْنَ مِنْهَا فَاقْتُلْ كُلَّ مَا خَرَجَ مِنْهَا؛ وَقَدْ سَدَدْتُ عَلَيْكُمْ، [فَيَأْكُم] أَنْ تَقْتَحِمُوا^(١) الْقِصَّةَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ، فَمَا دَعَاكُمْ إِلَى مَا صَنَعْتُمْ، وَلَا أَرَى عَدَدًا وَلَا عُدَّةً!.

قال: فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ، وَذَكَرُوا سُوءَ حَالِهِمْ، وَمَا مَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِرسَالِ رَسُولِهِ، وَاخْتِلَافِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ، وَقَالُوا: وَأَمَّا مَا ضَرَبْتَ لَنَا مِنَ الْأَمْثَالِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ إِنَّمَا مِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ غَرَسَ أَرْضًا وَاخْتَارَ لَهَا الشَّجَرَ، وَأَجْرَى إِلَيْهَا الْأَنْهَارَ، وَزَيَّنَهَا بِالْقُصُورِ، وَأَقَامَ فِيهَا فَلَاحِينَ يَسْكُنُونَ قُصُورَهَا وَيَقُومُونَ عَلَى جَنَاتِهَا، فَخَلَا الْفَلَاحُونَ فِي الْقُصُورِ عَلَى مَا لَا يَحِبُّ، فَأَطَالَ إِمْهَالَهُمْ فَلَمْ يَسْتَحْيُوا، فَدَعَا إِلَيْهَا غَيْرَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، فَإِنْ ذَهَبُوا عَنْهَا تَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، وَإِنْ أَقَامُوا فِيهَا صَارُوا خَوَلًا لِهَؤُلَاءِ فَيَسُومُونَهُمُ الْخُسْفَ أَبَدًا؛ وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا نَقُولُ حَقًّا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الدُّنْيَا، لَمَّا صَبَرْنَا عَلَى الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذِيذِ عَيْشِكُمْ، وَرَأَيْنَا مِنْ بَزْرِجِكُمْ وَلَقَارِغِنَاكُمْ عَلَيْهِ!.

فقال رستم: أَتَعْبُرُونَ إِلَيْنَا أَمْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلْ اعْبُرُوا إِلَيْنَا.

وَرَجَعُوا مِنْ عِنْدِهِ عَشِيًّا، وَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى النَّاسِ أَنْ يَقِفُوا مَوَاقِفَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: شَأْنَكُمْ وَالْعُبُورَ، فَأَرَادُوا الْقَنْطَرَةَ فَقَالَ: لَا وَلَا كِرَامَةَ! أَمَّا شَيْءُ غَلْبِنَاكُمْ عَلَيْهِ فَلَنْ نَرُدَّ عَلَيْكُمْ. فَبَاتُوا يَسْكُرُونَ الْعَتِيقَ حَتَّى الصَّبَاحِ بِالتَّرَابِ وَالْقُصْبِ وَالْبِرَادِغِ حَتَّى جَعَلُوهُ طَرِيقًا، وَاسْتَمَّتْ بَعْدَ مَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ.

(١) عبارة الطبعة الأوربية «سددت عليهم أن يقتحموا»، والنص بكامله في تاريخ الطبري ٥٢٧/٣.

ورأى رستم من الليل كأنَّ ملكاً نزل من السماء، فأخذ قبيَّ أصحابه، فحتم عليها، ثمَّ صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموماً واستدعى خاصَّته، فقصَّها عليهم وقال: إنَّ الله ليعظنا لو اتعظنا. ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومِغْفَر، وأخذ سلاحه ووُثب، فإذا هو على فرسه لم يضع رِجله في الركاب، وقال: غداً ندقَّهم دقًّا! فقال له رجل: إن شاء الله. فقال: وإن لم يشأ! ثمَّ قال: إنما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد، يعني كسرى، وإني أخشى أن تكون هذه سنة القروء^(١)!

فإنَّما قال هذه الأشياء توهيناً للمسلمين عند الفرس، وإلَّا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين، وقد أظهر ذلك إلى من يثق به^(٢).

ذكر يوم أرمات

لما عبر الفرسُ العتيق جلس رُستم على سريرهِ وضرب عليه طيارة، وعبى في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها صناديق ورجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، وأقام الجالينوس بينه وبين رُستم رجالاً على كلِّ دعوة رجلاً، أولَّهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم، فكلمَّا فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه: كان كذا وكذا، ثمَّ يقول الثاني ذلك للذي يليه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى يزدجُرد في أسرع وقت.

وأخذ المسلمون مصافَّهم. وكان بسعد دماميل وعِرْق النُسا فلا يستطيع الجلوس، إنَّما هو مُكبَّ على وجهه، في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على النَّاس، والصف في أصل حائطه^(٣)، لو أعرأه^(٤) الصف فُواق ناقةٍ لأخذ برُمته، فما كَرَّته^(٥) هول تلك الأيام شجاعة، وذكر ذلك النَّاس، وعابه بعضهم بذلك فقال:

نُقَاتِلْ^(٦) حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَسَعْدُ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْصِمُ
فَأُبْنَا^(٧) وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمُ^(٨)

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٥١٧/٣ - ٥٣٠ وقد دخل فيه شيء من يوم أرمات.

(٢) العبارة هذه تعليق من المؤلف رحمه الله.

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٠/٣ و ٥٣١.

(٤) في الطبعة الأوربية «تَعْرَاه».

(٥) كَرَّتْ الغَمَّ فلاناً: اشتدَّ عليه وبلغ منه المشقة.

(٦) في فتوح البلدان «وقاتلت».

(٧) في فتوح البلدان «فَرَحْنَا».

(٨) فتوح البلدان ٣١٩: البداية والنهاية ٤٥/٧، العقد الفريد ٢٩٩/٥، البدء والتاريخ ١٧٦/٥ وفيه:

الم تر أن الله أنزل نصره

فبلغت أبياته سعداً فقال: اللهم إن كان هذا كاذباً وقال الذي قاله رياء وسُمعةً فاقطع عني لسانه! فإنه لواقفٌ في الصفِّ يومئذٍ أتاه سهم غرب، فأصاب لسانه، فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى. فقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضاً، وكذلك غيره، ونزل سعدٌ إلى الناس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيه وأليتيه، فعذره الناس وعلموا حاله، ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عُرْفُطَةَ على الناس، فاختلَفَ عليه، فأخذ نفرًا ممن شغب عليه فحبسهم في القصر، منهم: أبو مِحنَجْنِ الثَّقَفِي، وقَيْدَهُم^(١).

وقيل: بل كان حبس أبي مِحنَجْنِ بسبب الخمر، وأعلم الناس أنه قد استخلف خالدًا وإنما يأمرهم خالد، فسمعوا وأطاعوا، وخطب الناس يومئذٍ، وهو يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة، وحثهم على الجهاد، وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد، وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس، وكذلك فعل أمير كل قوم، وأرسل سعد نفرًا من ذوي الرأي والنجدة، منهم: المغيرة، وحذيفة، وعاصم، وطليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معدي كرب، وأمثالهم، ومن الشعراء: الشماخ، والحطيئة، وأوس بن مِغْرَاء، وعبيدة^(٢) بن الطيب وغيرهم، وأمرهم بتحريض الناس على القتال، ففعلوا.

وكان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْسٍ والخندق، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق، ومع الفرس ثلاثون ألفًا مُسَلَّسِل، وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد، وهي الأنفال، فلما قرئت هتت قلوب الناس وعيونهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها. فلما فرغ القراء منها قال سعد: الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم فإنني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، فإذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا^(٣) عَدَتَكُمْ، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج إليهم من الفرس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وقال غالب بن عبد الله الأسدي:

= وكذلك في تاريخ غرر السير للثعالبي - نشره: هـ. زوتنبرج، باريس ١٩٠٠ - ص ٧٤١، ومعجم

البلدان ٢٩١/٤، ونهاية الأرب ٢٠٣/١٩.

(١) فتوح البلدان ٣١٦، تاريخ الطبري ٥٣١/٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٣ «عبدة».

(٣) في إحدى النسخ «البستم». وفي تاريخ الطبري ٥٣٥/٣ «وُلُتْسَمَ عَدَتَكُمْ».

قد علمت واردة المشائح^(١) ذات اللبان^(٢) والبيان^(٣) الواضح
 أني سمام البطل المسالحي^(٤) وفارج الأمر المهم الفادح^(٥)
 فخرج إليه هُرْمُز، وكان من ملوك الباب، وكان متوجاً، فأسره غالب، فجاء به
 سعداً، ورجع وخرج عاصم وهو يقول:

قد علمت بيضاء صفراء اللب^(٦) مثل اللجين إذ تغشاه^(٧) الذهب
 أني امرؤ لا من يعيبه^(٨) السبب مثلي على مثلك يُغربه العتب

فطارد فارسياً فانهزم، فاتبعه عاصم حتى خالط صفهم، فحموه، فأخذ عاصم رجلاً
 على بغل وعاده به، وإذا هو خباز الملك، معه من طعام الملك وخبيص، فأتى به سعداً
 فنقله أهل موقفه. وخرج فارسي فطلب البراز، فبرز إليه عمرو بن معدي كرب، فأخذه
 وجلد به الأرض، فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته. وحملت الفيلة عليهم ففرقت بين
 الكتائب، فنفرت الخيل، وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة^(٩) عشر فيلاً، فنفرت
 خيل بجيلة، فكادت بجيلة تهلك^(١٠) لئفار خيلها عنها وعمن معها، وأرسل سعد إلى بني
 أسد أن دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس. فخرج طليحة بن خويلد، وحمال^(١١) بن
 مالك في كتائبهما، فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبائها.

وخرج إلى طليحة عظيم منهم، فقتله طليحة، وقام الأشعث بن قيس في كندة
 فقال: يا معشر كندة لله در بني أسد أي فري يفرون^(١٢)، وأي هد يهدون^(١٣) عن موقفهم،

(١) في تاريخ الطبري ٥٣٦/٣ «المشائح»، وفي مروج الذهب - طبعة داغر ٣١٢/٢ «المسالح».

والمشائح: المقاتل.

(٢) في الأصل «اللسان». والمثبت يتفق مع الطبري. وفي مروج الذهب «اللبان واللبان».

واللبان الصدر.

(٣) عند الطبري «البنان»، وفي المرجون «اللبان».

(٤) عند الطبري والمسعودي «المشايح».

(٥) في النسخة (ب): وفارج لكل هم قادح.

(٦) اللب: بالتحريك، موضع القلادة من الصدر.

(٧) في مروج الذهب: مثل اللجين يتغشاه..

(٨) عند الطبري «تعيبه». وعند المسعودي «يعنيه».

(٩) عند الطبري ٥٣٨/٣ «سته»، والمثبت يتفق مع المسعودي ٣١٣/٢.

(١٠) عند الطبري «تؤكل».

(١١) في النسخة (ب) «جمال».

(١٢) الفري: الأمر العظيم. يقال: فلان يفري الفري: إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

(١٣) في النسخة (ب) «هدة يهدون». وفي الطبعة الأوربية «هزء يهزؤون».

أَغْنَى^(١) كُلَّ قَوْمٍ مَا يَلِيهِمْ، وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ مَنْ يَكْفِيكُمْ، أَشْهَدُ مَا أَحْسَنْتُمْ أُسُوءَ قَوْمِكُمْ مِنَ الْعَرَبِ. فَنَهَدُ وَنَهْدُوا مَعَهُ، فَأَزَالُوا الَّذِينَ بِإِزَائِهِمْ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرَسُ مَا يَلْقَى النَّاسَ وَالْفِيلَةَ مِنْ أَسَدٍ رَمَوْهُمْ بِحَدِّهِمْ وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذُو الْحَاجِبِ وَالْجَالِينُوسُ، وَالْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ سَعْدٍ، فَاجْتَمَعَتْ حَلْبَةُ فَارَسٍ عَلَى أَسَدٍ وَمَعَهُمْ تِلْكَ الْفِيلَةُ، فَثَبَّتُوا لَهُمْ، وَكَبَّرَ سَعْدُ الرَّابِعَةَ، وَزَحَفَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَرَحَا الْحَرْبُ تَدُورُ عَلَى أَسَدٍ، وَحَمَلَتْ الْفِيُولُ عَلَى الْمِيْمَةِ وَالْمَيْسِرَةِ، فَكَانَتْ الْخِيُولُ تَحِيدُ عَنْهَا.

فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو التَّمِيمِيِّ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي تَمِيمٍ، أَمَّا عِنْدَكُمْ لِهَذِهِ الْفِيلَةِ مِنْ حِيلَةٍ؟ قَالُوا: بَلَى وَاللَّهِ! ثُمَّ نَادَى فِي رِجَالِهِ مِنْ قَوْمِهِ رُمَاةً، وَآخَرِينَ لَهُمْ ثِقَافَةً فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرَّمَاةِ، ذَبُّوا^(٢) رِكْبَانَ الْفِيلَةِ عَنْهُمْ بِالنَّبْلِ. وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الثَّقَافَةِ، اسْتَدْبِرُوا الْفِيلَةَ فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا^(٣)، وَخَرَجَ يَحْمِيهِمْ^(٤)، وَرَحَا الْحَرْبُ تَدُورُ عَلَى أَسَدٍ، وَقَدْ جَالَتْ الْمِيْمَةُ وَالْمَيْسِرَةُ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ عَاصِمٍ عَلَى الْفِيلَةِ، فَأَخَذُوا بِأُذُنَابِهَا تَوَابِيئَهَا، فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا، وَارْتَفَعَ عَوَاؤُهُمْ، فَمَا بَقِيَ لَهُمْ فِيلٌ إِلَّا أَوَى^(٥)، وَقُتِلَ أَصْحَابُهَا، وَنُقِسَ عَنْ أَسَدٍ، وَرَدُّوا فَارِسًا عَنْهُمْ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، وَاقْتَتَلُوا حَتَّى غَرِبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ حَتَّى ذَهَبَتْ هَدَاةُ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَأَصِيبَ مِنْ أَسَدٍ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ خَمْسَمِائَةَ، وَكَانُوا رِدْءًا لِلنَّاسِ، وَكَانَ عَاصِمٌ حَامِيَةً لِلنَّاسِ، وَهَذَا الْيَوْمُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ يَوْمُ أَرْمَاثٍ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ الْأَسَدِيُّ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ نَيْقٍ إِلَى كِسْرَى فَوَافَقَهَا رِعَالًا^(٦)
تَرَكْنَا لَهُمْ عَلَى الْأَقْسَامِ شَجْوًا وَبِالْحَقْوَيْنِ أَيَّامًا طَوَالًا^(٧)
قَتَلْنَا رُسْتَمًا وَبَنِيهِ قَسْرًا تُثِيرُ الْخَيْلَ فَوْقَهُمُ الْهَيْالَا
الْأَبْيَاتُ^(٨).

= والهد: القطع السريع.

(١) في الطبعة الأوربية «أعني».

(٢) في النسخة (ب) «أرموا».

(٣) الوضين: بطان عريض منسوخ من سيور أو شعر.

(٤) في النسخة (ب): «وخرجوا بجمعهم».

(٥) في تاريخ الطبري ٥٤٠/٣ «أعري».

(٦) عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنبات ودارت على بني أسد يوم أرمات فقتل تلك العشيّة منهم

خمسائة رجل، فقال عمرو بن شاس الأسدي: جلبنا الخيل.

والرعال: الجماعة من الخيل. والإرعال: سرعة الطعن وشدّته.

(٧) ورد البيت في البداية والنهاية ٤٧/٧:

تركن لهم بقادس عزّ فخر وبالخيفين أياماً طوالاً

(٨) أنظر بقية الأبيات في تاريخ الطبري ٥٤٠/٣، ٥٤١، وهي في: شعر عمرو بن شاس الأسدي المتوفى نحو=

وكان سعد قد تزوّج سَلْمَى امرأة المثنى بن حارثة الشيباني بعده^(١) بشراف، فلمّا جال النَّاس يوم أرمات، وكان سعد لا يطبق الجلوس، جعل سعد يتململ جَزَعاً فوق القصر، فلمّا رأت سَلْمَى ما يصنع الفرس قالت: وامثنيّاه! ولا مثنى للخيل اليوم! قالت ذلك عند رجل ضجر ممّا يرى في أصحابه ونفسه، فلطم وجهها وقال: أين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرّحا! يعني أسداً وعاصماً. فقالت: أغيرةً وجُبناً^(٢)؟ فقال: والله لا يعذرني اليوم أحد إن لم تعذريني وأنت تَرَيْنِ ما بي! فتعلّقها النَّاس، لم يبقَ شاعر إلّا اعتدّ بها عليه، وكان غير جبان ولا مَلُوم^(٣).

ذكر يوم أغواث

ولما أصبح القوم وكَّل سعد بالقتلى والجرحى مَنْ ينقلهم، فسَلَّم الجرحى إلى النساء ليَقمن عليهم، وأمّا القتلى فذَفَنوا هنالك على مشرّق، وهو وادٍ بين العُدَيْب وعين الشمس. فلمّا نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام، وكان فتح دمشق قبل القادسيّة، فلمّا قَدِم كتاب عمر على أبي عُبَيْدة بن الجراح بإرسال أهل العراق سيّهم وعليهم هاشم بن عُتْبَة بن أبي وقاص، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو التميمي، فتعجّل القعقاع: فقدِم على النَّاس صبيحة هذا اليوم، وهو يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً، وهم ألف، كلّما بلغ عشرة مَدَى البصر سرّحوا عشرة، فقدّم أصحابه في عشرة، فأَتى النَّاس فسَلَّم عليهم وبشّروهم بالجنود، وحرّضهم على القتال وقال: اصنعوا كما أصنع، وطلب البراز فقالوا فيه بقول أبي بكر: لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. فخرج إليه ذو الحاجب، فعرفه القعقاع فنادى: يا لثارات أبي عُبَيْد وسليط وأصحاب الجسر! وتضاربوا، فقتله القعقاع، وجعلت خيله تَرُد إلى الليل وتنشّط النَّاس، وكأنّ لم يكن بالأمس مصيبة، وفرحوا بقتل ذي الحاجب، وانكسرت الأعاجم بذلك.

وطلب القعقاع البراز فخرج إليه الفيرزان والبُندوان، فانضمّ إلى القعقاع الحارث ابن ظُبَيان بن الحارث أحد^(٤) بني تَيْم اللّات فتبارزوا، فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البُندوان، ونادى القعقاع: يا معشر المسلمين، باثروهم بالسيوف، فإنّما يُحصَد النَّاس

= سنة ٢٠ هـ. / ٦٤٠ م. تحقيق د. يحيى الجبوري - طبعة مطبعة الآداب بالنجف ١٣٩٦ هـ. / ١٩٧٦، ص

٨٦ و ٨٧. مروج الذهب ٣١٩/٢.

(١) في تاريخ الطبري ٥٤٢/٣ «قبله».

(٢) فتوح البلدان ٣١٦ رقم ٦٤٠.

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٥٣٠/٣ - ٥٤٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «يقول أبو».

(٥) عند الطبري ٥٤٣/٣ «أخوه».

بها! فاقتتلوا حتى المساء، فلم يرَ أهل فارس في هذا اليوم [شيئاً] ممّا يُعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، كانت توايبتها تكسّرت بالأمس، فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد.

وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة من أصحابه كَبَر وكَبَر المسلمون، ويحمل ويحملون، وحمل بنو عمّ للقعقاع عشرةً عشرةً على إبل قد ألبسوها وهي مجلّلة مبرقة، وأطافت بهم خيولهم تحميمهم، وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة، ففعلوا بهم هذا اليوم، وهو يوم أغواث، كما فعلت فارس يوم أرمات، فجعلت خيل الفرس تفرّ منها، وركبتها خيول المسلمين. فلمّا رأى الناس ذلك استنوا^(١) بهم، فلقي الفرس من الإبل أعظم ممّا لقي المسلمون من الفيلة.

وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله، فقتل دونه. وخرج رجل من فارس يبارز، فبرز إليه الأعرف بن الأعلم العقيليّ فقتله، ثمّ برز إليه آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه، فغَبَر في وجوههم التراب حتى رجع إلى أصحابه. وحمل القعقاع بن عمرو يومئذٍ ثلاثين حملة، كلّما طلعت قطعة حمل حملة وأصاب فيها وقتل، فكان آخرهم بُزْجُمُهر الهمدانيّ. وبارز الأعور بن قُطبة شهريار^(٢) سجستان، فقتل كلّ واحد منها صاحبه، وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار. فلمّا اعتدل النهار تراحف الناس، فاقتتلوا حتى انتصف الليل. فكانت ليلة أرمات تدعى الهدأة، وليلة أغواث تدعى السواد، ولم يزل المسلمون يرون [في] يوم أغواث الظفر، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم، وحالت فيه خيل القلب، وثبت رجُلهم، فلولا أن خيلهم عادت أخذ رستم أخذاً. وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة أرمات، ولم يزل المسلمون يتمنون. فلمّا سمع سعد ذلك قال لبعض مَنْ عنده: إن تمّ الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء، وإن سكتوا ولم يتمّ الآخرون فلا توقظني، فإنهم على السوء، فإن سمعتهم يتمون فأيقظني، فإنّ انتماءهم عن السوء.

ولما اشتدّ القتال، وكان أبو مخجن قد حُبس وقيد فهو في القصر، قال لسلمي زوج سعد: هل لك أن تخلي^(٣) عني وتعيّرني البلقاء؟ فلهه عليّ إن سلّمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي. فأبت، فقال:

(١) في الطبعة الأوربية «استوا».

(٢) في تاريخ الطبري ٥٤٧/٣ «شَهْرِيَّار».

(٣) في الطبعة الأوربية «تخلي».

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَرْدِي^(١) الْخَيْلُ بِالْقَنَا
إِذَا قَمْتُ عَنَّا نِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ^(٢)
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ^(٣) كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ^(٤)
وَلَّاهُ عَهْدًا لَا أُخِيسُ بَعْدَهُ
وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا^(٥) عَلَيَّ وَثَاقِيَا
مَصَارِيْعُ دُونِي قَدْ تُصَمُّ^(٦) الْمُنَادِيَا
فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا^(٧) لَا أَخَا لِيَا
لَنْ فُرَجَتْ أَنْ لَا أَزُورَ الْحَوَائِيَا^(٨)

فَرَقْتُ لَهُ سَلَمِي وَأَطْلَقْتُهُ، وَأَعْطَيْتُهُ الْبَلْقَاءَ فَرَسَ سَعْدٍ، فَرَكِبَهَا، حَتَّى [إِذَا] كَانَ
بَحِيَالُ الْمِيْمَنَةِ كَبْرًا، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْفَرَسِ، ثُمَّ رَجَعَ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ، وَحَمَلَ عَلَى
مِيْمَتِهِمْ، وَكَانَ يَقْصِفُ النَّاسَ قِصْفًا مُنْكَرًا، وَتَعْجَبُ النَّاسُ مِنْهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: هُوَ مِنْ أَصْحَابِ هَاشِمٍ أَوْ هَاشِمٍ نَفْسَهُ، وَكَانَ سَعْدٌ يَقُولُ: لَوْلَا مَحْبِسُ أَبِي
مِخْجَنٍ لَقُلْتُ هَذَا أَبُو مِخْجَنٍ وَهَذِهِ الْبَلْقَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هَذَا الْخَضِرُ. وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: لَوْلَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَبَاشِرُ الْحَرْبَ لَقُلْنَا إِنَّهُ مَلَكٌ. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ وَتَرَجَعَ
الْمُسْلِمُونَ وَالْفَرَسُ عَنِ الْقِتَالِ أَقْبَلَ أَبُو مِخْجَنٍ، فَدَخَلَ الْقَصْرَ وَأَعَادَ رِجْلَيْهِ فِي الْقَيْدِ وَقَالَ:

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَقِيفٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سَيُوفَا
وَأَكْثَرُهُمْ^(٩) دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَصْبَرُهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْوُقُوفَا^(١٠)

(١) فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ (٣١٩): «تُدْعَسُ». وَفِي طَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ لِابْنِ سَلَامٍ الْجَمْعِي - تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ
مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ - طَبْعَةُ دَارِ الْمَعَارِفِ بِالْقَاهِرَةِ (٢٢٥) «تُطْرَدُ». وَفِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٤٢٣/١ «تُطْفَنُ». وَفِي
مَرْجِ الْذَهَبِ ٣١٥/٢ «تَرْتَدِي». وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٤٤/٧ «تَدْحَمُ».

(٢) فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ «قَدْ شَدَّوْا».

(٣) فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، وَالْأَغَانِي ٢٩٢/١٨ «غُلِّقْتُ». وَفِي مَرْجِ الْذَهَبِ «فَأَغْلَقْتُ».

(٤) فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ، وَطَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ، وَمَرْجِ الْذَهَبِ، وَالْأَغَانِي، وَالْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ:

مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُصَمُّ الْمُنَادِيَا

وَفِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ: «مَغَالِيْقُ» بَدَلُ «مَصَارِيْعُ». وَفِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ: «مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُقِيمُ الْمُنَادِيَا».

(٥) فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ «أَهْلُ».

(٦) فِي مَرْجِ الْذَهَبِ «وَثَرُوءَ».

(٧) فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ «تَرْكُونِي مُفْرَدًا».

(٨) الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى فِي طَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ ٢٢٥، وَكَذَلِكَ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٤٢٣/١، وَالْبَدَايَةِ
وَالنِّهَايَةِ ٤٤/٧، وَوَرَدَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَقَطْ فِي الْإِصَابَةِ ٢٦١/٧، فِي تَرْجُمَةِ أَبِي مَحْجَنٍ الثَّقَفِيِّ وَوَرَدَ الْبَيْتَانِ
الْأَوَّلَانِ فَقَطْ فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ ٣٣٩، وَالْخَرَاغُ وَصَنَاعَةُ الْكِتَابَةِ ٣٥٩، وَكُلُّهُمَا مَعَ أَبْيَاتٍ أُخْرَى فِي: تَارِيخُ
الطَّبْرِيِّ ٥٤٨/٣، وَمَرْجِ الْذَهَبِ، وَالْأَغَانِي ٢٩٢/١٨، وَنِهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٠٩/١٩، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ وَلَبَّ
لِبَابِ لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى شَوَاهِدِ شَرْحِ الْكَافِيَةِ - لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْبَغْدَادِيِّ - الْمَطْبَعَةُ الْمِيزِيَّةُ، بُولَاق ١٢٧٩ هـ - ج
٥٥٤/٣.

(٩) فِي مَرْجِ الْذَهَبِ «وَأَكْرَمُهُمْ».

(١٠) فِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ «الْحَتُوفَا».

وَأَنَا وَفَدُّهُمْ^(١) فِي كُلِّ يَوْمٍ
وَلَيْلَةَ قَادِس^(٢) لَمْ يَشْعُرُوا بِي
فَإِنْ أَحْبَسَ فَذَلِكُمْ بِلَاثِي^(٣)
فَإِنْ عَمَّوْا^(٤) فَسَلَّ بِهِمْ عَرِيفًا
وَلَمْ أَشْعِرْ^(٥) بِمُخْرَجِي الزُّحُوفَا
وَإِنْ أَتَرَكَ أَذِيقُهُمُ الْحُتُوفَا^(٦)

فَقَالَتْ لَهُ سَلَمَى : فِي أَيِّ شَيْءٍ حَبَسَكَ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا حَبَسَنِي بِحَرَامٍ أَكَلْتُهُ وَلَا شَرِبْتُهُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَنَا امْرُؤُ شَاعِرٍ يَدَبُ الشَّعْرَ عَلَى لِسَانِي ، فَقُلْتُ :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِي إِلَى أَصْلِ^(٧) كَرْمَةٍ
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنَّنِي
تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عَرُوقَهَا
أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا^(٨)

فَلَذَلِكَ حَبَسَنِي . فَلَمَّا أَصْبَحْتَ أَتَتْ سَعْدًا فَصَالَحَتْهُ ، وَكَانَتْ مُغَاضِبَةً لَهُ ، وَأَخْبَرْتَهُ بِخَبْرِ أَبِي مُحَجَّجٍ ، فَاطْلَقَهُ فَقَالَ : أَذْهَبُ فَمَا أَنَا مُؤَاخِذُكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلَهُ . قَالَ : لَا جَرَمَ ، [وَاللَّهِ] لَا أَجِيبُ لِسَانِي إِلَى [صَفَةِ] قَبِيحٍ أَبَدًا!^(٩) .

ذِكْرُ يَوْمِ عِمَاسٍ^(١٠)

ثُمَّ أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الثَّالِثَ وَهُمْ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ ، وَبَيْنَ الصَّفَّيْنِ مِنْ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانُ مِنْ جَرِيحٍ وَمَيِّتٍ ، وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ عَشْرَةُ آلَافٍ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَنْقُلُونَ قَتْلَاهُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ وَالْجُرْحَى إِلَى النِّسَاءِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَحْفَرُونَ الْقُبُورَ ، وَكَانَ عَلَى الشَّهَدَاءِ حَاجِبُ بْنُ زَيْدٍ . وَأَمَّا قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ فَبَيْنَ الصَّفَّيْنِ لَمْ يُنْقَلُوا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا

(١) فِي الْأَغَانِي «رَفْدُهُمْ» .

(٢) فِي الْأَغَانِي «فَإِنْ جَحَدُوا» ، وَفِي مَرْجِ الذَّهَبِ «فَإِنْ عَتَبُوا» ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ «عَمِيُوا» .

(٣) فِي النُّسخَةِ (ب) : «فَارَسَ» .

(٤) فِي الْأَغَانِي «وَلَمْ أَكْرَهُ» .

(٥) فِي الْأَغَانِي : «وَإِنْ أَحْبَسَ فَقَدْ عَرَفُوا بِلَاثِي» .

(٦) فِي الْأَغَانِي : «وَإِنْ أَطْلَقَ أَجْرَعَهُمْ حَتُوفًا» .

وَالْأَبْيَاتُ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ فِي : مَرْجِ الذَّهَبِ ، وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، وَالْأَغَانِي ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٧) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ٣٥٠/٦ «إِلَى ظِلِّ» ، وَفِي مَرْجِ الذَّهَبِ «إِلَى جَنْبِ» .

(٨) الْبَيْتَانِ فِي : الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ٣٥٠/٦ ، وَمَرْجِ الذَّهَبِ ٣١٦/٢ ، وَالْأَغَانِي ٢٩٤/١٨ ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ

٢١٠/١٩ ، وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥٤٩/٣ ، ٥٥٠ .

(٩) تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥٤٢/٣ - ٥٥٠ ، الْأَغَانِي ٢٩٤/١٨ ، مَرْجِ الذَّهَبِ ٣١٣/٢ - ٣١٧ ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ

٢٠٣/١٩ - ٢١١ ، وَانْظُرْ فَتْوحَ الْبُلْدَانِ ٣١٦ ، ٣١٧ .

(١٠) عِمَاسٌ : بِكسر العين . قَالَ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ١٤٩/٤ : «كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ مِنْ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَلَا

أَدْرِي أَهْوَ مَوْضِعٍ أَمْ هُوَ مِنَ الْعَمَسِ مَقْلُوبُ الْمَعْسِ» .

قَوَى المسلمین، وبات القعقاع تلك اللَّيلة یسَرِّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة، فإن جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجداً ولا يشعر به أحد. وأصبح الناس على مواقفهم، فلما ذرَّ قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فحين رآهم كَبُرَّ وكَبُرَ المسلمون وتقدَّموا، وتكتَّبَت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم، فأخبر بما صنع القعقاع، فعَبَى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن هُبيرة بن عبد يَعُوْث المعروف بقیس بن المكشوف المُرادِي، ولم يكن من أهل الأيام إنما كان باليرموك، فانتدب مع هاشم، حتى إذا خالط القلب كَبُرَّ وكَبُرَ المسلمون وقال: أوَّل قتال المطاردة ثمَّ المراماة؛ ثمَّ حمل على المشركين یقاتلهم حتى خرق صفَّهم إلى العتيق، ثمَّ عاد.

وكان المشركون قد باتوا یعملون توابیتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الرِّجالة مع الفِيلة یحمونها أن تُقطع وُضُنْها، ومع الرِّجالة فرسان یحمونهم، فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس، لأنَّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش، وإذا أطافوا به كان آنس، وكان يوم عِماس من أوَّله إلى آخره شديداً، العربُ والعجمُ فيه سواء، ولا تكون بينهم نُقْطة إلاَّ أبلغوها یزدَجِرْد بالأصوات، فیبعث إليهم أهل النُّجَدات مَمَّن عنده، فلولا أنَّ الله ألهم القعقاع ما فعل في البومین، وإلاَّ كسر ذلك المسلمین^(١).

وقاتل قيس بن المكشوح، وكان قد قَدِم مع هاشم، قتالاً شديداً وحرَّض أصحابه^(٢).

وقال عمرو بن معدي كرب: إِنِّي حَامِلٌ على الفيل وَمَنْ حوله، لفيل^(٣) بإزائه، فلا تَدْعُونِي أكثر من جَزَر جَزور، فإن تأخرتم عَنِّي فقدتم أبا ثور، یعنی نفسه، وأین لکم مثل أبي ثور! فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبار، وحمل أصحابه، فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه، وإنَّ سيفه لفي يده یصارمهم، وقد طعن فرسه، فأخذ برجل فرس أعجمي، فلم یطق الجري، فنزل عنه صاحبه إلى أصحابه وركب عمرو. وبرز فارسي، فبرز إليه رجل من المسلمین یقال له شَبْر بن علقمة^(٤)، وكان قصيراً، فترجل الفارسي إليه فاحتمله وجلس على صدره، ثمَّ أخذ سيفه لیذبحه، ومَقْوَد فرسه مشدود في مِنطَقته، فلما

(١) تاریخ الطبري ٣/ ٥٥٠ - ٥٥٢، مروج الذهب ٢/ ٣١٧، نهاية الأرب ١٩/ ٢١١، ٢١٢.

(٢) الطبري ٣/ ٥٥٤، نهاية الأرب ١٩/ ٢١٢، وفتوح البلدان ٣١٧ رقم ٦٤٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «ومن حول الفيل».

(٤) في إحدى النسخ «بشر بن أرقمة».

سَلَّ سيفه نفر الفرس، فجذبه المِقْوَد فقلبه عنه، وتبعه المسلم فقتله، وأخذ سلبه فباعه باثني عشر ألفاً^(١).

فلَمَّا رأى سعد الفيول قد فُرِّقَت بين الكتائب وعادت لِفعلها، أرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: اكفياني الأبيض، وكانت كلُّها ألفة له، وكان بإزائهما، وقال لحَمَّال والرَّبِيل^(٢): اكفياني الأجرب، وكان بإزائهما، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين، وتقدَّما في خيل ورَجُل، وفعل حَمَّال والرَّبِيل^(٣) مثل فعلهما، فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما في عين الفيل الأبيض، فنفض رأسه فطرح سائسه^(٤) ودلَّى مشفره، فضربه القعقاع فرمى به، ووقع لجنبه، وقتلوا مَنْ كان عليه، وحمل حَمَّال والرَّبِيل الأسدَيان على الفيل الآخر فطعنه حَمَّال في عينه، فألقى ثمَّ استوى، وضربه الرَّبِيل فأبان مشفره، وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بالطبرزين^(٥)، فأفلت الرَّبِيل جريحاً، فبقي الفيل جريحاً متحيراً بين الصَّفين، كُلُّما جاء صفَّ المسلمين وخزوه، وإذا أتى صفَّ المشركين نخسوه. وولَّى الفيل، وكان يُدعى الأجرب، وقد عَوَّر حَمَّال عينيَّه، فألقى نفسه في العتيق، فاتَّبعته الفيلة فخرقت صفَّ الأعاجم، فعبرت في أثره، فأتت المدائن في توايبتها، وهلك مَنْ فيها. فلَمَّا ذهبَت الفيلة وخلص المسلمون والفرس، ومال الظلُّ، تراحف المسلمون، فاجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء. فلَمَّا أمسى الناس اشتدَّ القتال، وصبر الفريقان فخرجا على السواء^(٦).

ذكر ليلة الهرير وقتل رستم

قيل: إنَّما سُمِّيت بذلك لتركهم الكلام، إنَّما كانوا يهرون هريراً، وأرسل سعد طليحة وعمراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر، ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلَمَّا أتياها قال طليحة: لو خُضْنَا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعبر أسفل. فافترقا، وأخذ طليحة وراء العسكر وكَبَّر ثلاث تكبيرات، ثمَّ ذهب وقد ارتاع أهل فارس وتعجَّب المسلمون، وطلبه الأعاجم فلم يُدرِكوه^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٥٥٤/٣، ٥٥٥.

(٢) في الطبعة الأوربية «الزبيل»، والمثبت يتفق مع الطبري، ونهاية الأرب.

(٣) في الطبعة الأوربية «ساسته».

(٤) الطبرزين، فارسية: الفأس من السلاح.

(٥) تاريخ الطبري ٥٥٥/٣ - ٥٥٧، نهاية الأرب ٢١٢/١٩، ٢١٣.

(٦) تاريخ الطبري ٥٥٧/٣، ٥٥٨.

وأما عمرو فإنه أغار أسفل المخاضة ورجع، وخرج مسعود بن مالك الأسدي، وعاصم بن عمرو، وابن ذي البردّين الهلالي، وابن ذي السهمين، وقيس بن هُبيرة الأسدي، وأشباههم، فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف، فقدّموا صفوفهم وزاحفهم الناس بغير إذن سعد، وكان أول من زاحفهم القعقاع، وقال سعد: اللهم اغفرها له وانصره، فقد أدنّت له إن لم يستأذني. ثم قال: أرى الأمر ما فيه هذا، فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا، وكبر واحدة فلحقهم أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت النخع فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت بكيلة فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت كندة فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدّم حظلة بن الربيع، وأمراء الأعشار، وطليحة، وغالب، وحمال، وأهل النجدات، ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً، وخالطوا القوم، واستقبلوا الليل استقبالاً بعدما صلّوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم إلى الصباح، وأفرغ الله الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح انتمى الناس، فاستدلّ بذلك على أنهم الأعلون، وكان أول شيء سمعه نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَرًا وَزَائِدًا أَرْبَعَةً وَخَمْسَةً وَوَاحِدًا
نُحَسِبُ فَوْقَ اللَّبْدِ وَالْأَسَاوِدَا حَتَّى إِذَا مَاتُوا دَعَوْتُ جَاهِدًا
اللَّهُ رَبِّي وَاحْتَرَزْتُ عَامِدًا^(١)

وقتل كندة تركاً الطبري، وكان مقدماً فيهم^(٢).

وأصبح الناس ليلة الهرير - وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي - وهم حَسَرَى، لم يُغْمِضُوا ليلتهم كلها. فسار القعقاع في الناس فقال: إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء^(٣)، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجداً في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفرس، أجراً على الموت منكم. فحملوا فيما يليهم، وخالطوا من بإزائهم، فاقتتلوا حتى

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٥٩ - ٥٦٢، وانظر نهاية الأرب ١٩/ ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) الطبري ٣/ ٥٦٣.

(٣) في النسخة (ب) زيادة «الغلبة».

قام قائم الظهيرة، فكان أول مَنْ زال الفَيْرُزَان والهَرْمُزَان، فتأخراً وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب، وركد عليهم النقع، وهبَّت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهَوَّت في العتيق، وهي دَبُور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع وَمَنْ معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين أطارَت الرِيحُ الطيارة إلى بغال قد قَدِمَتْ عليه بمالٍ، فهي واقفة، فاستظلَّ في ظلِّ بغلٍ وحملهُ، وضرب هلال بن عُلْفَةَ^(١) الجِمل الذي تحته رستم، فقطع جباله، ووقع عليه أحد العِدَلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فِقاراً، وضربه هلال ضربة فنفتحت مِسْكَاً. ومضى [رستم] نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ بِرِجْلَيْهِ، ثُمَّ خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثُمَّ ألقاه بين أرجل البغال، ثُمَّ صعد السرير وقال: قَتَلْتُ رُسْتَمَ وَرَبَّ الكعبة! إِلَيَّ إِلَيَّ! فأطافوا به وكَبَرُوا، فنقله سعد سَلْبَهُ، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بِقَلَنْسُوتِهِ، ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف^(٢).

وقيل: إِنَّ هلالاً لما قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله، ثُمَّ احتزَّ رأسه وعلقه ونادى: قَتَلْتُ رستم! فانهزم قلب المشركين.

وقام الجالينوس على الرِّدْم، ونادى الفرسَ إلى العبور، وأمّا المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم مُخْبِرٌ، وهم ثلاثون ألفاً. وأخذ ضرار بن الخطَّاب «دِرْقَش كايان»، وهو العَلَمُ الأكبر الذي كان للفرس، فعَوَّض منه ثلاثين ألفاً، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف^(٣). وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيام قبله، وقُتِل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقُتِل ليل الهرير ويوم القادسية ستة آلاف، فدُفِنوا في الخندق حيال مُشَرَّق، ودُفِن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرَّق، وجُمِعت الأسلاب والأموال فُجِّمَ منها^(٤) شيء لم يُجَمَّع قبله ولا بعده مثله.

وأرسل سعد إلى هلال فسأله عن رستم، فأحضره، فقال: جَرَّدَهُ إلّا^(٥) ما شئتَ.

(١) في الطبعة الأوربية «علقمة». والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٣/٣، ٥٦٤ و٥٦٦، نهاية الأرب ٢١٤/١٩، مروج الذهب ٢١٨/٢، الذخائر والتحف، للقاضي الرشيد بن الزبير - (ت): في القرن ٥ هـ. - تحقيق د. محمد حميد الله - الكويت ١٩٥٩ - ص ١٥٦، شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني - (ت ٦٥٦ هـ). - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ - ج ٩/٩٨، تنمّة المختصر في أخبار البشر، لابن الوردي ٢٢١/١، البداية والنهاية ٤٥/٧، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٨٨/٢ الاشتقاق ١٨٦.

(٣) أنظر في ذلك: البدء والتاريخ ١٧٤/٥، ١٧٥، ومروج الذهب ٣١٩/٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «منه».

(٥) في النسخة (ب) «إلى».

فأخذ سَلَبَهُ فلم يَدْعُ عليه شيئاً. وأمر القعقاع، وشَرْحَبِيلَ بِاتِّبَاعِهِمْ، حَتَّى بَلَغَا مَقْدَارَ الْخَرَّارَةِ مِنَ الْقَادِسيَّةِ، وَخَرَجَ زُهْرَةُ بْنُ الْحَوَيْةِ التِّمِيمِيُّ فِي آثَارِهِمْ، فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارَسٍ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ النَّاسُ فَلَحِقَ الْمَنْهَزِمِينَ وَالْجَالِينُوسَ يَجْمَعُهُمْ، فَقَتَلَهُ زُهْرَةُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ، وَقَتَلُوا مَا بَيْنَ الْخَرَّارَةِ إِلَى السَّيْلَحِينَ إِلَى النَّجَفِ، وَعَادُوا مِنْ أَثَرِ الْمَنْهَزِمِينَ وَمَعَهُمُ الْأَسْرَى^(١)، فَرُؤِي^(٢) شَابٌّ مِنَ النَّخَعِ وَهُوَ يَسُوقُ ثَمَانِينَ رَجُلًا أَسْرَى مِنَ الْفَرَسِ^(٣).

وَاسْتَكْثَرَ سَعْدُ سَلَبَ الْجَالِينُوسَ، فَكُتِبَ فِيهِ إِلَى عُمَرَ. فَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: تَعَمَّدْ إِلَى مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمِثْلِ مَا صَلَّى بِهِ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ حَرْبِكَ مَا بَقِيَ، تُفْسِدُ قَلْبَهُ، امْضِ لَهُ سَلَبَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ عَطَائِهِ بِخَمْسِمِائَةٍ^(٤).

وَلَمَّا اتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ الْفَرَسَ كَانَ الرَّجُلُ يَشِيرُ إِلَى الْفَارِسيِّ فَيَأْتِيهِ فَيَقْتُلُهُ، وَرَبَّمَا أَخَذَ سِلَاحَهُ فَقَتَلَهُ بِهِ، وَرَبَّمَا أَمَرَ رَجُلَيْنِ فَيَقْتُلُ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ^(٥).

وَلَحِقَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَبِيعَةَ بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ قَدْ نَصَبُوا رَايَةً وَقَالُوا: لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَمُوتَ، فَقَتَلَهُمْ سَلْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ. وَكَانَ قَدْ ثَبِتَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ بَضْعُ وَثَلَاثُونَ كِتَابَةً اسْتَحْيَا مِنَ الْفَرَارِ، وَقَصَدَهُمْ بَضْعَةُ وَثَلَاثُونَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لِكُلِّ كِتَابَةٍ مِنْهَا رَئِيسٌ. وَكَانَ قُتِلَ أَهْلُ الْكُتَائِبِ مِنَ الْفَرَسِ عَلَى وَجْهَيْنِ، مِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ ثَبِتَ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ مِمَّنْ هَرَبَ مِنْ أُمَرَاءِ الْكُتَائِبِ الْهَرْمُزَانُ، وَكَانَ بِلِزَاءِ عَطَارِدٍ، وَمِنْهُمْ أَهْودُ، وَكَانَ بِلِزَاءِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَهُوَ كَاتِبُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهُمْ زَادُ بْنُ بُهَيْشٍ^(٦)، وَكَانَ بِلِزَاءِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو، وَمِنْهُمْ قَارَنُ، وَكَانَ بِلِزَاءِ الْقَعْقَاعِ؛ وَكَانَ مِمَّنْ ثَبِتَ وَقُتِلَ شَهْرِيَارُ بْنُ كُنَارَا^(٧)، وَكَانَ بِلِزَاءِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَابْنُ الْهَرْمُزِ^(٨)، وَكَانَ بِلِزَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْفَرْخَانَ الْأَهْوَازِيَّ، وَكَانَ بِلِزَاءِ بُسْرِ بْنِ أَبِي رُحْمٍ الْجُهَنِيِّ، وَمِنْهُمْ خُشْدَسُومُ^(٩) الْهَمْدَانِيُّ، وَكَانَ بِلِزَاءِ ابْنِ الْهُذَيْلِ الْكَاهِلِيِّ^(١٠).

(١) تاريخ الطبري ٥٦٤/٣ - ٥٦٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «فرأه».

(٣) نهاية الأرب ٢١٨/١٩.

(٤) تاريخ الطبري ٥٦٨/٣.

(٥) الطبري ٥٦٩/٣.

(٦) في إحدى النسخ «رادان نهيش».

(٧) عند الطبري ٥٧٠/٣ «كنار».

(٨) في النسخة (ب): «ابن الهديد».

(٩) عند الطبري «خُسْرَ وَشُوم».

(١٠) تاريخ الطبري ٥٦٩/٣، ٥٧٠.

وتراجع الناس من طلب المنهزمين، وقد قُتل مؤذّنهم، فتشاج المسلمون في الأذان حتى كادوا يقتتلون، وأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل، فأذّن.

وفُضِّل أهل البلاء من أهل القادسيّة عند العطاء بخمسمائة خمسمائة، وهم خمسة وعشرون رجلاً، منهم: زُهرة، وعصمة الضبيّ، والكلج^(١)؛ وأمّا أهل الأيام قبلها فإنهم فُرض لهم على ثلاثة آلاف، فُضِّلوا على أهل القادسيّة، فقليل لعمر: لو ألحقت بهم أهل القادسيّة. فقال: لم أكن لألحق بهم مَنْ لم يدركهم. وقيل له: لو فضّلت مَنْ بَعُدَتْ دارُهُ على مَنْ قاتلهم بفنائهِ. قال: كيف أفضّل عليهم وهم شَجَن العدو! فهلاً فعل المهاجرون بالأنصار هذا^(٢).

وكانت العرب تتوقّع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسيّة، فيما بين العُدَيْب إلى عدن أبين، وفيما^(٣) بين الأُبُلّة وأيلة، يرون أن ثبات مُلكهم وزواله بها؛ وكانت في كلّ بلد مُصَيِّخة^(٤) إليها، تنظر ما يكون من أمرها. فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ، فأُتت بها أناساً من الإنس، فسبقت أخبار الإنس [إليهم]^(٥).

وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وبعده من قُتلوا، وبعده مَنْ أُصيب من المسلمين، وسَمَى من يعرف مع سعد بن عُمَيْلَة الفزاريّ. وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسيّة، ثمّ يرجع إلى أهله ومنزله، قال: فلمّا لقي البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدّثني. قال: هزم الله المشركين. وعمر يخبّ معه يسأله، والآخر يسير على ناقته، لا يعرفه حتى دخل المدينة، وإذا الناسُ يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، قال البشير: هلاً أخبرتني، رَحِمَكَ الله، إنَّكَ أمير المؤمنين! فقال عمر: لا بأس عليك يا أخي^(٦).

وأقام المسلمون بالقادسيّة في انتظار قدوم البشير، وأمر عمر الناس أن يقوموا^(٧) على أقباضهم، ويصلحوا أحوالهم، ويتابع إليهم أهل الشام ممّن شهد اليرموك ودمشق ممدّين لهم، وجاء أولهم يوم أغواث، وآخرهم بعد الغد يوم الفتح، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه

(١) في الطبعة الأوربية «الكلج» والمثبت يتفق مع الطبري ٥٦٨/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٨/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «وفيما».

(٤) في الطبعة الأوربية «مُصَيِّخة»، وفي نسخة المتحف البريطاني «مصيخة».

(٥) الطبري ٥٨٢/٣.

(٦) الأخبار الطوال ١٢٣، ١٢٤، الطبري ٥٨٣/٣.

(٧) في النسخة (ب): «يقيموا».

عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يشار فِيهِ مَعَ نَذِيرِ بْنِ عَمْرٍو^(١).

وقيل: كانت وقعة القادسية سنة ست عشرة، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنها كانت سنة خمس عشرة، وقد تقدّم أنها كانت سنة أربع عشرة^(٢).

(حُمَيْضَةُ بْنُ النُّعْمَانِ: بَضَمَ الحاء المهملة، وفتح الميم، وبالضاد المعجمة. بُسْرُ بْنُ أَبِي رُفْمٍ: بَضَمَ الباء الموحدة، وسكون السين المهملة. والحوية: بفتح الحاء المهملة، وكسر الواو، وقيل بالجيم المضمومة، وفتح الواو؛ والأول أصح. وحمّال: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم. والمُعَنَى: بَضَمَ الميم، وفتح العين المهملة، والنون المشددة^(٣). وحُصَيْنُ بْنُ نَمِيرٍ: بَضَمَ الحاء، وفتح الصاد. ومعاوية بْنُ حُذَيْجٍ: بَضَمَ الحاء، وفتح الدال المهملتين، وآخره جيم. والمُعْتَمَ: بَضَمَ الميم، وسكون العين المهملة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وآخره ميم مشددة^(٤). وصِرَار: بكسر الصاد المهملة، وبالرأيتين المهملتين بينهما ألف: موضع عند المدينة. وصنين: بكسر الصاد المهملة، والنون المشددة بعدها ياء ساكنة معجمة بالثنتين من تحتها، وآخره نون: موضع من ناحية الكوفة).

انتهى خبر القادسية.

ذكر ولاية عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ البصرة

قيل: في هذه السنة بعث عمر عُتْبَةَ بْنُ غَزْوَانَ إِلَى البصرة، وكان بها قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ السَّدُوسِيَّ يَغْيِرُ بِتِلْكَ الناحية، كما كان يَغْيِرُ المثنى بناحية الحيرة، فكتب إلى عمر يعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عددٌ يسيرٌ ظفر بمن كان قبْلَه من العجم، فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر، ووجه إليه شُرَيْحُ بْنُ عَامِرٍ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فأقبل إلى البصرة، وترك بها قُطْبَةَ، ومضى إلى الأهواز، حتى انتهى إلى دارس^(٥)، وفيها مَسْلَحَةُ الْأَعَاجِمِ، فقتلوه، فبعث عمر عُتْبَةَ بْنُ غَزْوَانَ، [و] قال له حين وجهه:

يا عُتْبَةُ، إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَرْضِ الْهِنْدِ، وَهِيَ حَوْمَةٌ مِنْ حَوْمَةِ الْعَدُوِّ، وَأَرْجُو

(١) تاريخ الطبري ٥٨٤/٣، وانظر مروج الذهب ٣١٣/٢، وشرح نهج البلاغة ٢٩٧/٩، والمختصر في أخبار البشر ١٦١/١، ونهاية الأرب ٢١٩/١٩، والعبر للذهبي ١٩/١، ومراة الجنان ٧١/١.

(٢) الطبري ٥٩٠/٣.

(٣) زاد في النسخة (ب) «عبد بن الطبيب».

(٤) «مشددة» ساقطة من النسخة (ب).

(٥) في النسخة (ب): «دارين».

أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قديم عليك فاستشره، وادعُ إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالحزبية وإلا فالسيف، وأتق الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبرٍ مما يُفسد عليك إخوانك، وقد صحبت رسول الله، ﷺ، فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملياً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيا لها نعمة، إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك، واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حين^(١) رُفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، وأتق مصارع الظالمين^(٢). انطلق أنت ومن معك، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا^(٣).

فسار عتبة ومن معه، حتى إذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا جبال الجسر الصغير فنزلوا. فبلغ صاحب الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف فالتقوا، فقاتلهم عتبة بعد الزوال، وكان في خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبق إلا صاحب الفرات، فأخذه أسيراً، ثم خطب عتبة أصحابه وقال: إن الدنيا قد تصرمت وولت حذاء^(٤)، ولم يبق منها إلا صُبابة^(٥) كصُبابة الإناء، ألا وإنكم متقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم^(٦)، وقد ذكر لي: لو أن صخرة أقيت من شفير جهنم لهوت^(٧) سبعين خريفاً، ولثملأنه؛ أوعجبتهم! ولقد ذكر لي أن ما بين مصرعين من مصاريع^(٨) الجنة مسيرة أربعين خريفاً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٩)، [بزحام]^(١٠)، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي، ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتى تقرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققها بيني وبين سعد، فما منا [من] أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار،

(١) في طبعة صادر ٤٨٦/٢ «حتى»، والمثبت يتفق مع الطبعة الأوربية، وتاريخ الطبري ٥٩٤/٣.

(٢) هنا ينتهي النص عند الطبري ٥٩٣/٣، ٥٩٤.

(٣) العبارة في تاريخ الطبري ٥٩١/٣.

(٤) حذاء: أي مسرعة.

(٥) الصُبابة: البقية.

(٦) في الطبعة الأوربية «يحضركم».

(٧) عند الطبري ٥٩٢/٣ «هوت».

(٨) عند الطبري «مصانع».

(٩) الكظيظ: الممتلئ.

(١٠) إضافة من الطبري.

وسيجربون النَّاسَ بعدنا^(١).

وكان نزوله البصرة في ربيع الأول أو الآخر سنة أربع عشرة^(٢).

وقيل: إن البصرة مُصِّرَتْ سنة ستَّ عشرة بعد جَلولاء وتَكْرِيت، أرسله سعد إليها بأمر عمر^(٣). وإنَّ عُتْبَةَ لما نزل البصرة أقام نحو شهر، فخرج إليه أهلُ الأُبُلَّة، وكان بها خمسمائة أسوار يحمونها، وكانت مرفأ^(٤) السفن من الصَّين، فقاتلهم عُتْبَةُ فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عُتْبَةُ إلى عسكره، وألقى الله الرعبَ في قلوب الفرس، فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خَفَّ وعبروا الماء^(٥)، وأخلوا المدينة، ودخلها المسلمون، فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسيياً، فاقتسموه، وأخرج الخُمُس منه، وكان المسلمون ثلاثمائة. وكان فتحها في رجب أو في شعبان^(٦).

ثم نزل موضع مدينة الرزق، وخطَّ موضع المسجد وبناه بالقصب.

وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما وُلد ذبح أبوه جُزوراً، فكفّتهم لقلَّة النَّاس.

وجمع لهم أهل دَسْتَمِيسَان، فلقِيهم عُتْبَةُ فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً، وأخذ قتادة منطقتَه، فبعث بها مع أنس بن حنْجَة^(٧) إلى عمر، فقال له عمر: كيف النَّاس؟ فقال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يَهيلون الذهب والفضَّة. فرغب النَّاس في البصرة فاتوها^(٨).

واستعمل عُتْبَةُ مُجَاشِعَ بن مسعود على جماعة وسيرهم إلى الفرات، واستخلف المغيرة بن شُعْبَة على الصلاة إلى أن يقدِّم مجاشع بن مسعود، فإذا قَدِم فهو الأمير، وسار عُتْبَةُ إلى عمر. فظفر مجاشع بأهل الفرات وجمع الفليكان^(٩)، عظيم من الفرس، للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شُعْبَة، فلقِيهم بالمرْغَاب فاقتتلوا. فقال نساء المسلمين: لو لحِقنا بهم فكنا معهم، فاتَّخَذت من خُمُرهنَّ رايات وُسُرْنَ إلى المسلمين.

(١) الطبري ٥٩١/٣، ٥٩٢.

(٢) الطبري ٥٩٠/٣.

(٣) الطبري ٥٩٠/٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «مرقى».

(٥) في النسخة (ب): «وعز من المال».

(٦) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣.

(٧) في تاريخ الطبري ٥٩٥/٣ «حُجْبَة».

(٨) الطبري ٥٩٥/٣.

(٩) في تاريخ الطبري ٥٩٥/٣ «الفيلكان»، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ١٤٥/٢.

فلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ الرِّايَاتِ ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِّلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ، فَانْهَزَمُوا وَظَفَرُ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ^(١).

وكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لُعْتَبَة : مَنْ اسْتَعْمَلَتْ عَلَى الْبَصْرَةِ ؟ فقال : مجاشع بن مسعود . قال : أَتَسْتَعْمَلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ عَلَى أَهْلِ الْمَدَرِّ ؟ وأخبره بما كان من المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات في الطريق^(٢) ، وقيل في موته غير ذلك ، وسيرد ذكره سنة سبع عشرة .

وكان مِنْ سَبِيٍّ مَيْسَانَ يَسَارُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَأَرْطَبَانَ جَدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنِ بْنِ أَرْطَبَانَ^(٣) .

وقيل : إِنَّ إِمَارَةَ عَتَبَةِ الْبَصْرَةِ كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ : سِتَّ عَشْرَةَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، فَكَانَتْ إِمَارَتُهُ عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ^(٤) .

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة ، فبقي سنتين ، ثُمَّ رُمِيَ بِمَا رُمِيَ ، واستعمل أبا موسى ، وقيل : استعمل بعد عَتَبَةِ أَبِي مُوسَى ، وبعده المغيرة^(٥) .

وفيهما ، أعني سنة أربع عشرة ، ضرب عمر ابنه عُبيد الله وأصحابه في شراب شربوه ، وَأَبَا مُحْجَنٍ^(٦) .

وفيهما أمر عمر بالقيام في شهر رمضان في المساجد بالمدينة ، وجمعهم على أَبِي بَنٍ كَعْبٍ ، وكتب إلى الأمصار بذلك^(٧) .

وحجَّ بالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ فِي قَوْلٍ ، وَعَلَى الْيَمَنِ يَعْلى بْنُ مُنِيَّةٍ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ سَعْدٌ ، وَعَلَى الشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَقِيلَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَعَلَى عُمان حُدَيْفَةُ بْنُ مِخْصَنٍ^(٨) .

(١) تاريخ الطبري ٥٩٥/٣ ، ٥٩٦ ، وأنظر فتوح البلدان ٤٢٠ رقم ٨٤٩ .

(٢) الخبر في فتوح البلدان ٤٢١ رقم ٨٥٠ ، وتاريخ يعقوبي ١٤٥/٢ ، ١٤٦ ، والبدء والتاريخ ١٧٥/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٩٦/٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٥٩٧/٣ وأنظر عنه : المعرفة والتاريخ ٣٠٥/٣ ، وتاريخ بغداد ١٥٦/١ .

(٥) الطبري ٥٩٧/٣ .

(٦) الطبري ٥٩٧/٣ .

(٧) الخبر في تاريخ يعقوبي ١٤٠/٢ ، وتاريخ خليفة ١٢٩ .

(٨) تاريخ الطبري ٥٩٧/٣ .

[الوفيات]

وفي هذه السنة مات أبو قحافة والد أبي بكر الصديق بعد موت ابنه^(١).
وفيها مات سعد بن عبادة الأنصاري، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة^(٢).

وفيها قُتل سَلِيط بن عمرو بن عامر بن لُؤَيٍّ^(٣).
وفيها ماتت هند بنت عُتْبَةَ بن ربيعة أمّ معاوية، وكان إسلامها يوم الفتح^(٤).

(١) تاريخ خليفة ١٢٩ . .

(٢) أنظر عنه سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١ ففيه مصادر ترجمته .

(٣) أسد الغابة ٣٤٤/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٣٥/٩ - ٢٣٧ .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

وقيل: إنَّ الكوفة مَصَّرَها سعد بن أبي وقاص في هذه السنة، دلَّهم على موضعها ابن بُقَيْلَة، قال لسعد: أدلَّك على أرض لله ارتفعت من البقِّ وانحدرت عن الفلاة! فدله على موضعها^(١)، وقيل غير ذلك، ويأتي ذكره.

ذكر الوقعة بمرج الروم

في هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان من ذلك أن أبا عُبيدة وخالد بن الوليد سارا بمن معهما من فِجْل قاصدين حمص، فتزلا على ذي الكَلْع، وبلغ الخبرُ هرقَل. فبعث توذَر^(٢) البطريق، حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عُبيدة بمرج الروم أيضاً، ونازله يوم نزوله شَنْش^(٣) الرومي في مثل خيل توذر، إمداداً لتوذر وردءاً لأهل حمص. فلما نزل أصبحت الأرض من توذر بلاقع، وكان خالد بإزائه، وأبو عُبيدة بإزاء شَنْش^(٤)، وسار توذَر يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة^(٥)، وبلغ يزيد بن أبي سفيان فعلُ توذَر، فاستقبله فاقتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم إلا الشريد، وغنم المسلمون ما معهم، فقسمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق، ورجع خالد إلى أبي عُبيدة وقد قُتل توذر. وقاتل أبو عُبيدة بعد مسير خالد شَنْش^(٦)، فاقتلوا بمرج الروم، فقتلت الروم مقتلة عظيمة، وقُتل شَنْش^(٧)، وتبعهم المسلمون إلى حمص، فلما بلغ هرقَل ذلك أمر بطريق حمص بالمسير إليها، وسار هو إلى الرُّهاء، وسار أبو عُبيدة إلى حمص.

(١) تاريخ الطبري ٥٩٨/٣.

(٢) عند الطبري «توذرا».

(٣) عند الطبري «شنس».

(٤) جريدة: أي جرد الخيل جريدة لا رجالة فيها. (لسان العرب - مادة جرد).

(٥) عند الطبري «شنس». وكذلك عند النويري في نهاية الأرب ١٦١/١٩، ١٦٢.

ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرها

فلما فرغ أبو عبيدة من دمشق سار إلى حمص، فسلك طريق بعلبك^(١) فحصرها، فطلب أهلها الأمان فأمنهم وصالحهم، وسار عنهم فنزل على حمص ومعه خالد.

وقيل: إنما سار المسلمون إلى حمص من مرج الروم، وقد تقدّم ذكره. فلما نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم في كل يوم بارد، ولقي المسلمون برداً شديداً، والروم حصاراً طويلاً، فصر المسلمون والروم، وكان هرقل قد أرسل إلى أهل حمص يبعدهم المدد، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز إلى حمص، فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين. فسير سعد بن أبي وقاص السرايا من العراق إلى هيت وحصروها، وسار بعضهم إلى قرقيسيا، فترق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حمص، فكان أهلها يقولون: تمسكوا بمديتكم فإنهم خفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم. فكانت أقدام الروم تسقط، ولا يسقط للمسلمين إصبع.

فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم إلى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه، وقام آخر فلم يجيبوه، فهاهم^(٢) المسلمون فكبروا تكبيرة، فانهدم كثير من دور حمص، وزلزلت حيطانهم فتصدعت، فكبروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك، فخرج أهلها إليهم يطلبون الصلح، ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق، وأنزلها أبو عبيدة السَّمط بن الأسود الكِندي في بني معاوية، والأشعث بن مينا^(٣) في السكون، والمقداد في بلي، وأنزلها غيرهم، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود، وكتب عمر إلى أبي عبيدة: أن أقم بمديتك وادع أهل القوة من عرب الشام، فإنني غير تارك البعثة إليك^(٤).

ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت، وسار إلى حماة، فتلّقاه أهلها مدعين، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤوسهم، والخراج على أرضهم،

(١) أنظر حول فتح بعلبك البحث الذي قدّمناه إلى مؤتمر تاريخ بلاد الشام، في الجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان: الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق لبنان - ص ٦، ففيه مصادر التحقيق، ومنها: فتوح البلدان ١٣٢/١، فتوح الشام للأزدي ٧٨، تاريخ يعقوبي ١٤١/٢، تاريخ خليفة ١٢٧٠، تاريخ دمشق ٥٢٦/١، البدء والتاريخ ١٨٤/٥، فتوح الشام للواقدي ٧٥/١، المعرفة والتاريخ ٢٩٨/٣ ويلاحظ أن الطبري لا يذكر بعلبك في الفتوح، وانظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ١٧٥/١، والخراج لقدامة ٢٩٦، ونهاية الأرب ١٦٢/١٩.

(٢) في النسخ (ب): «فأخذهم».

(٣) في النسخة (ب): «مساس».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٥٩٩/٣ - ٦٠١، وانظر: فتوح البلدان ١٥٥.

ومضى نحو شيزر، فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة، وسار أبو عبيدة إلى مَعْرَةَ حمص، وهي مَعْرَةُ النعمان، نسبت بعدُ إلى النعمان بن بشير الأنصاري، فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص^(١).

ثم أتى اللاذقية^(٢) فقاتله أهلها، وكان لها باب عظيم يفتحه جمعٌ من الناس، فعسكر المسلمون على بُعد منها، ثم أمر فحُفِرَ حُفائرٌ عظيمة، تستر الحُفرة منها الفارس ركباً، ثم أظهروا أنهم عائدون عنها ورحلوا، فلما جنَّهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحُفائر، وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم، فأخرجوا سَرَحهم وانتشروا بظاهر البلد، فلم يرُعْهم إلا والمسلمون يصيحون بهم، ودخلوا معهم المدينة، ومَلَكَتِ عُنوةً، وهرب قوم من النصاري، ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم، فقوطعوا على خراج يؤدونه قَلْوا أو كَثَروا، وترك لهم كنيسَهم، وبني المسلمون بها مسجداً جامعاً، بناء عُبادة بن الصامت، ثم وُسِعَ فيه بعدُ^(٣).

ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا أهلُ جبلة من الروم عنها، فلما كان زمن معاوية بنى حصناً خارج الحصن الرومي وشحنه بالرجال^(٤).

وفتح المسلمون مع عُبادة بن الصامت أنطربوس، وكان حصيناً، فجلا عنه أهله، فبنى معاوية مدينة أنطربوس ومَصْرَها، وأقطع بها القُطائع للمقاتلة، وكذلك فعل بانياس^(٥).

وفُتِحَت سَلَمِيَّةُ أيضاً، وقيل: إنما سُمِّيَت سلمية لأنه كان بقربها مدينة تُدعى المؤتفكة انقلبت بأهلها ولم يسلم منهم غير مائة نفس، فبنوا لهم مائة منزل، وسُمِّيَت سلم مائة، ثم حَرَّفَ النَّاسُ فقالوا سَلَمِيَّةُ^(٦)، وهذا يتمشى لقائله لو كان أهلها عرباً ولسانهم عربياً، وأما إذا كان لسانهم أعجمياً فلا يسوغ هذا القول^(٧). ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس اتخذها داراً وبني [و] ولده فيها ومَصَرُوها، ونزلها مَنْ نزلها من ولده، فهي وأرضوها لهم^(٨).

(١) الخبر في فتوح البلدان ١٥٦، والخراج لقدامة ٢٩٧، ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٦٣/١٩.

(٢) في الأصل «لاذقية».

(٣) الخبر في فتوح البلدان ١٥٧، والخراج ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٦٣/١٩.

(٤) فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٥٨، الخراج ٢٩٨.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٦٠ وفيه «وكذلك فعل بَمَرْقِيَّةَ وبُلَيْيَاس»، والخراج لقدامة ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٦٤/١٩.

(٦) فتوح البلدان ١٥٨، ١٥٩ رقم ٣٦٢.

(٧) القول للمؤلف رحمه الله.

(٨) فتوح البلدان ١٥٩.

ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية

ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين. فلما نزل الحاضر زحف إليهم الروم وعليهم مينا^(١)، وكان من أعظم الروم بعد هرقل، فاقتتلوا فقتل مينا^(٢) ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها، فماتوا على دم واحد. وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه، فقالوا: لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. فنظروا في أمرهم ورأوا ما لقي أهل حمص فصالحوهم على صلح حمص^(٣)، فأبى خالد إلا على إخراج المدينة فأخربها. فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية؛ وسببه: أن خالدًا وعياضًا أدربا إلى هرقل من الشام، وأدرب عمرو بن مالك من الكوفة، فخرج من ناحية قرقيسيا، وأدرب عبد الله بن المعتم من ناحية الموصل، ثم رجعوا، فعندها دخل هرقل القسطنطينية، وكانت هذه أول مذبحة في الإسلام سنة خمس عشرة، وقيل ست^(٤) عشرة^(٥).

فلما بلغ عمر صنيع خالد قال: أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني! وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال: إني لم أعزلهما عن ريبة، ولكن الناس عظموهما، فخشيت أن يوكلا إليهما.

فأما المثنى فإنه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبي عبيدة، ورجع عن خالد بعد قنسرين. وأما هرقل فإنه خرج من الرهاء؛ وكان أول من أنبج كلابها ونقر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وسار هرقل فنزل بشمشاط، ثم أدرب منها نحو القسطنطينية. فلما أراد المسير منها علا على نسر ثم التفت إلى الشام فقال: السلام عليك يا سورية، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، ويا ليت لا يولد! فما أحلى فعله وأمر فتنته^(٦) على الروم^(٧). ثم سار فدخل القسطنطينية، وأخذ أهل الحصون التي بين إسكندرية^(٨) وطرسوس معه، لثلاً يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم، وشعث الحصون، فكان المسلمون لا

(١) في النسخة (ب) «ميناس».

(٢) فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩٠، الخراج لقدامة ٣٠٣.

(٣) في النسخة (ب): «تسع».

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٢/٣، ٦٠٣.

(٥) عند الطبري ٦٠٣/٣ «عاقبته».

(٦) تاريخ الطبري ٦٠٢/٣، ٦٠٣، وانظر: البدء والتاريخ ١٨٥/٥، ونهاية الأرب ١٦٤/١٩، ١٦٥، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٧) المراد: إسكندرية.

يجدون بها أحداً، وربما كَمَن عندها الروم، فأصابوا غِرَّة المتخلفين، فاحتاط المسلمون لذلك^(١).

ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرهما من العواصم

لما فرغ أبو عُبَيْدة من قَتْسرين سار إلى حلب، فبلغه أَنَّ أَهْلَ قَتْسرين نقضوا وغدروا، فوجَّه إليهم السَّمُط الكِنْدِيّ فحصرهم وفتحها^(٢)، وأصاب فيها بقرّاً وغنماً، فقسَّم بعضه في جيشه، وجعل بقيَّته في المغنم. ووصل أبو عُبَيْدة إلى حاضر حلب وهو قريب منها، فجمع أصنافاً من العرب، فصالحهم أبو عُبَيْدة على الجزية، ثمَّ أسلموا بعد ذلك^(٣)، وأتى حلبَ وعلى مقدَّمته عِياض بن غَنَم الفِهْرِيّ، فتحصَّن أهلها وحصرهم المسلمون، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك، واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عِياض، فأجاز أبو عُبَيْدة ذلك.

وقيل: صلحوها على أن يُقاسموا منازلهم وكنائسهم.

وقيل: إنَّ أبا عُبَيْدة لم يصادف بحلب أحداً، لأنَّ أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وراسلوا في الصلح، فلَمَّا تَمَّ ذلك رجعوا إليها^(٤).

وسار أبو عُبَيْدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصَّن بها كثير من الخلق من قَتْسرين وغيرها. فلَمَّا فارقتها لقيَه جمعُ العدو، فهزمهم فالتجأهم إلى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها، ثمَّ إنَّهم صالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعض وأقام بعض فأمَّنهم، ثمَّ نقضوا، فوجَّه أبو عُبَيْدة إليهم عِياض بن غَنَم وَحْبِيب بن مَسْلَمَة، ففتحها على الصلح الأوَّل^(٥).

وكانت أنطاكية عظيمة الذِّكر عند المسلمين، فلَمَّا فُتحت كتب عمرُ إلى أبي عُبَيْدة أن رَتَّب بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء^(٦). وبلغ أبا عُبَيْدة أَنَّ جمعاً من الروم بين معرَّة مَضْرِين وحلب، فسار إليهم فلقَّيهم

(١) تاريخ الطبري ٦٠٣/٣، نهاية الأرب ١٦٥/١٩.

(٢) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩١، والخراج لقدامة ٣٠٣.

(٣) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢، ١٧٣ رقم ٣٩٢، والخراج ٣٠٣.

(٤) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٤، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٦٥/١٩، ١٦٦.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٥، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٦٦/١٩.

(٦) فتوح البلدان ١٧٥ رقم ٣٩٦، نهاية الأرب ١٦٦/١٩.

فهزّمهم، وقتل عدّة بطارقة، وسبى وغنم، وفتح معرّة مَضْرَيْن على مثل صلح حلب، وجالت خيوله فبلغت بُوقا، وفتحت قرى الجُومة^(١) وسَرْمَيْن وتيزين، وغلبوا على جميع أرض قنّسرين وأنطاكية^(٢).

ثمّ أتى أبو عُبيدة حلب وقد التاث أهلها، فلم يزل بهم حتى أذعنوا وفتحوا المدينة^(٣).

وسار أبو عُبيدة يريد قُورُس وعلى مقدّمته عياض، فلقّيه راهب من رهبانها يسأله الصلح، فبعث به إلى أبي عُبيدة فصالحه على صلح أنطاكية، وبثّ خيله فغلب على جميع أرض قُورُس وفتح تلّ عزاز، وكان سلمان بن ربيعة الباهليّ في جيش أبي عُبيدة، فنزل في حصن بقورُس، فنسب إليه، فهو يُعرف بحصن سلمان^(٤).

ثمّ سار أبو عُبيدة إلى مَنبج وعلى مقدّمته عياض، فلحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية، وسير عياضاً إلى ناحية دُلُوك ورَعْبَان فصالحه أهلها على مثل [صلح] مَنبج، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم. وولّى أبو عُبيدة كلّ كورة فتحها عاملاً، وضمّ إليه جماعة، وشحن النواحي المخوفة^(٥).

وسار إلى بالس، وبعث جيشاً مع حبيب بن مَسْلَمَة إلى قاصرين، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر مَنبج، ولم يكن الجسر يومئذٍ، وإنّما اتُّخذ في خلافة عثمان للصوائف، وقيل: بل كان له رسم قديم^(٦).

واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات، وعاد أبو عُبيدة إلى فلسطين^(٧).

وكان بجبل اللُكّام مدينة يقال لها جُرْجُومة^(٨)، وأهلها يقال لهم الجراجمة، فسار حبيب بن مَسْلَمَة إليها من أنطاكية، فافتتحها صلحاً، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين^(٩).

(١) في النسخة (ب) «الحوية».

(٢) فتوح البلدان ١٧٦ رقم ٤٠١، الخراج ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) الخبر في كتاب الخراج لقدامة ٣٠٥، نهاية الأرب ١٦٦/١٩.

(٤) الخبر في فتوح البلدان ١٧٦، ١٧٧ رقم ٤٠٣ و ٤٠٤، والخراج لقدامة ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٦٧/١٩.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧ رقم ٤٠٤، والخراج ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٦٧/١٩٠.

(٦) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧، ١٧٨ رقم ٤٠٦.

(٧) نهاية الأرب ١٦٧/١٩.

(٨) في طبعة صادر ٤٩٦/٢ «جرجومة»، والصحيح ما أثبتناه.

(٩) أنظر عن الجرجومة والجراجمة: فتوح البلدان ١٨٩.

وفيها سَيرَ أبو عُبيدة بن الجراح جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي، فسلكوا درب بَغْرَاس من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم، وهو أول مَنْ سلك ذلك الدرب، فلقي جمعاً للروم معهم عرب من غسان وتنوخ^(١) وإياد يريدون اللّحاق بهرقل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم لحق به مالك الأشتر النخعي مدداً من قبل أبي عُبيدة وهو بأنطاكية^(٢)، فسلموا وعادوا. وسير جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد، ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخربها^(٣). وسير جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحدث، وإنما سمي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حدثاً فقاتلهم في أصحابه، فقبل درب الحدث، وقيل: لأن المسلمين أصيبوا به فقبل درب الحدث، وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى^(٤).

ذكر فتح قيسارية وحصر عزة

في هذه السنة فتحت قيسارية^(٥)، وقيل: سنة تسع عشرة^(٦)، وقيل: سنة عشرين^(٧). وكان سببها: أن عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يرسل معاوية إلى قيسارية، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاوية إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم. ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين، وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً، وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها، وكان علقمة بن مُجَزَّز قد حصر القيقار^(٨) بغزة وجعل يرأسله، فلم يُشِفِه^(٩) أحد بما يريد، فأتاه كأنه رسول علقمة، فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق، فإذا مرَّ به قتله، ففطن علقمة فقال: إنَّ معي نفراً يشركوني في الرأي، فأطلق فأتيك بهم، فبعث القيقار إلى ذلك الرجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده فلم يعد، وفعل كما فعل عمرو بالأرطوبون^(١٠).

(مُجَزَّز: بجيم وزاين الأولى مكسورة [مشددة]).

(١) ساقط من النسخة (ب).

(٢) فتوح البلدان ١٩٤ رقم ٤٣٢، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٣) فتوح البلدان ٢٢٤ رقم ٤٩٥، الخراج ٣١٩، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٤) فتوح البلدان ٢٢٥، ٢٢٦، الخراج ٣٢٠، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٥) فتوح البلدان ١٦٦ رقم ٣٧٤.

(٦) فتوح البلدان ١٦٧ رقم ٣٧٦ و١٦٩ رقم ٣٨٠.

(٧) فتوح البلدان ١٦٩ رقم ٣٨١.

(٨) في تاريخ الطبري «القيقار».

(٩) في النسخة (ب): «يسيقه».

(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٦٠٤/٣.

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص نزل عمرو وشُرْحِيل على أهل بيسان، فاقتحاما وصالحا أهل الأردن، واجتمع عسكر الروم بغزة وأجنادين وبيسان، وسار عمرو وشُرْحِيل إلى الأرطوبون ومن معه وهو بأجنادين، واستخلف علي الأردن أبا الأعور، فنزل بالأرطوبون ومعه الروم. وكان الأرطوبون أدهى الروم وأبعدها غوراً، وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً. فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال: قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب، فانظروا عم تنفرج^(١).

وكان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو، وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفارسي ومسروق بن فلان العكي على قتال إيلياء، فشغلوا من به عنه، وجعل أيضاً أبا أيوب المالكي على من بالرملة من الروم، فشغلهم عنه، وتتابع الأمداد من عند عمر إلى عمرو، وأقام عمرو على أجنادين، لا يقدر من الأرطوبون على شيء، ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، ففطن به الأرطوبون وقال: لا شك أن هذا هو الأمير أو من يأخذ الأمير برأيه، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقه ليقته إذا مر به، وفطن عمرو لفعله فقال له: قد سمعت مني وسمعت منك، وقد وقع قولك مني موقعاً، وأنا واحد من عشرة، بعثنا عمر إلى هذا الوالي لنكافئه^(٢)، فأرجع فأتيتك بهم الآن، فإن رأوا الذي عرضت علي الآن فقد رآه الأمير وأهل العسكر، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم. فقال: نعم، ورد الرجل الذي أمر بقتله. فخرج عمرو من عنده، وعلم الرومي أنها خدعة اختدعه بها فقال: هذا أدهى الخلق!

وبلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال: لله در عمرو! وعرف عمرو مأخذه فلقه، فاقتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم^(٣).

وانهزم أرطوبون إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين، وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لأرطوبون، فدخل إيلياء وأزاح المسلمين عنه إلى عمرو.

وقد تقدّم ذكر وقعة أجنادين على قول من يجعلها قبل اليرموك، وسياقها على غير هذه السياقة، فلهذا ذكرناها هنالك وهاهنا.

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٦٠٥/٣، ونهاية الأرب ١٦٩/١٩ وفيهما «تنفرج».

(٢) لنكافئه: أي لنعاونه. وفي النسخة (ب): «لنكايته».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٦٠٥/٣، ٦٠٦.

ذكر فتح بيت المقدس وهو إيلياء^(١)

في هذه السنة فُتح بيت المقدس، وقيل: سنة ست عشرة في ربيع الأول.

وسبب ذلك أنه لما دخل أرطبون إيلياء، فتح عمرو غزّة، وقيل: كان فتحها في خلافة أبي بكر، ثم فتح سَبَسْطِيّة، وفيها قبر يحيى بن زكرياء، عليه السلام، وفتح نابلس بأمان على الجزية، وفتح مدينة لُد، ثم فتح يُونَى وَعَمَواس وبيت جبرين، وفتح يافا، وقيل: فتحها معاوية، وفتح عمرو رَفَح^(٢).

فلما تم له ذلك^(٣) أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلم بالرومية وقال له: اسمع ما يقول، وكتب معه كتاباً، فوصل الرسول ودفع الكتاب إلى أرطبون وعنده وزراؤه، فقال أرطبون: لا يفتح، والله، عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين. فقالوا له: من أين علمت هذا؟ فقال: صاحبها رجل صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر. فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره الخبر، فكتب إلى عمر بن الخطاب يقول: إنني أعالج عدواً شديداً وبلاداً، قد أذخرت لك، فرأيتك. فعلم عمر أن عمراً لم يقل ذلك إلا بشيء سمعه، فسار عمر عن المدينة^(٤).

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة^(٥) واستخلف عليها علي بن أبي طالب، فقال له علي: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدواً كلياً. فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض [أول]^(٦) الحبل. فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالناس الشر.

وسار عمر فقدم الجابية على فرس، وجميع ما قدم الشام أربع مرات: الأولى على

(١) تاريخ خليفة ١٣٥، فتوح البلدان للبلاذري ٢٨٩، تاريخ يعقوبي ١٤٦/٢، فتوح الشام للأزدي ٢٤٤ وما بعدها، الخراج لقدامة ٢٩٩، المعرفة والتاريخ ٣٠٥/٣، البدء والتاريخ ١٨٥/٥، تاريخ الطبري ٦٠٧/٣، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٧١/١٩، البداية والنهاية ٥٥/٧.

(٢) في طبعة صادر ٤٩٩/٢ «مرج عيون» وقد وضعت «عيون» بين حاصرتين، وهذا وهم. وفي نسخة مكتبة بولديان «رمح»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان، والخبر فيه ١٦٤ رقم ٣٦٩، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٣) إضافة من النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٦/٣، ٦٠٧، نهاية الأرب ١٧١/١٩.

(٥) من أول الفقرة حتى هنا من النسخة (ب).

(٦) إضافة من الطبري ٦٠٨/٣، وانظر فتوح البلدان ١٦٤.

فَرَس، الثانية على بعير، والثالثة على بغل، رجع لأجل الطاعون، والرابعة على حمار^(١). وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سَمَاه لهم في المجردة، ويستخلفوا على أعمالهم، فلقوه حيث رُفعت لهم الجابية، فكان أول مَنْ لقيه يزيد وأبو عبيدة ثم خالد على الخيول، عليهم الديباج والحريز، فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعت عن رأيكم! إِيَّاي^(٢) تستقبلون في هذا الزي وإنما شعبتم، مذ ستين^(٣)! وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنها يلامقة^(٤)، وإن علينا السلاح. قال: فنعم إذن. وركب حتى دخل الجابية وعمره وشرَّحيل كأنهما لم يتحرَّكا^(٥).

فلما قديم عمر الجابية قال له رجل من اليهود: يا أمير المؤمنين، إنك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، وكانوا قد شجوا عمراً وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة. فبينما عمر معسكر بالجابية فرغ الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى إلى الخيل والسيوف؟ فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف. فقال عمر: مستأمنة فلا تراعوا، فأمنوهم، وإذا أهل إيلياء وحيزها^(٦)، فصالحهم على الجزية وفتحوها له^(٧). وكان الذي صالحه العوام، لأنَّ أرطبون والتذارق دخلا مصر لما وصل عمر إلى الشام، وأخذ كتابه على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها، فشهد ذلك اليهودي الصلح. فسأله عمر عن الدجال، وكان كثير السؤال عنه. فقال له: وما سألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ أنتم والله تقتلونهم دون باب لُد بوضع عشرة ذراعاً^(٨). وأرسل عمر إليهم بالأمان، وجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة، وجعل علقمة بن مُجَزَّز على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء. وضَمَّ عمراً وشرَّحيل إليه بالجابية. فلقياه راكباً فقبلاً ركبتيه، وضَمَّ [عُمراً] كل واحد منهما محتضنهما^(٩).

ثم سار إلى بيت المقدس من الجابية، فركب فرسه فرأى به عرجاً، فنزل عنه وأتى

(١) تاريخ الطبري ٦٠٧/٣.

(٢) في النسخة (ب): «المن».

(٣) في طبعة صادر ٥٠٠/٢ «ستان» وهو غلط.

(٤) في نسخة بودليان «بلا معدان»، وفي الطبعة الأوربية «بلامعة»، واليلمق: فارسي، وهو القباء المحشو.

(٥) تاريخ الطبري ٦٠٧/٣، نهاية الأرب ١٧١/١٩، ١٧٢، البداية والنهاية ٥٦/٧.

(٦) في إحدى النسخ «والرملة وحيزها».

(٧) تاريخ الطبري ٦٠٧/٣.

(٨) تاريخ الطبري ٦٠٨/٣.

(٩) تاريخ الطبري ٦١٠/٣، وفي نهاية الأرب ١٧٢/١٩ «محتضناً»، البداية والنهاية ٥٧/٧.

بِرْذُونُ فَرَكِبِهِ، فَجَعَلَ يَتَجَلَجَلُ بِهِ^(١)، فَنَزَلَ وَضَرَبَ وَجْهَهُ وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ مِنْ عِلْمِكَ هَذِهِ الْخِيَلَاءُ! ثُمَّ لَمْ يَرْكَبْ بِرْذُونًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ.

وَفُتِحَتْ إِيلِيَاءُ وَأَهْلُهَا^(٢) عَلَى يَدَيْهِ. وَقِيلَ: كَانَ فَتْحُهَا سَنَةً سِتَّ عَشْرَةَ، وَلِجَقِ أَرْطَبُونَ وَمَنْ أَبِي الصَّلْحِ مِنَ الرُّومِ بِمَصْرٍ، فَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ مَصْرَ قُتِلَ، وَقِيلَ: بَلْ لَجِقَ بِالرُّومِ، فَكَانَ يَكُونُ عَلَى صَوَائِفِهِمْ، وَالتَّقَى هُوَ صَاحِبُ صَائِفَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ يُقَالُ لَهُ ضُرَيْسٌ، فَقَطَعَ يَدَ الْقَيْسِيِّ وَقَتْلَهُ الْقَيْسِيُّ، فَقَالَ فِيهِ:

فَإِنْ يَكُنْ أَرْطَبُونَ الرُّومِ أَفْسَدَهَا فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَّفَعَا^(٣)
وَأَنْ يَكُنْ أَرْطَبُونَ الرُّومِ قَطَعَهَا فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعَا^(٤)

ذِكْرُ فَرَضِ الْعَطَاءِ وَعَمَلِ الدِّيَّانِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ فَرَضَ عَمْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْفُرُوضُ، وَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ، وَأَعْطَى الْعَطَايَا عَلَى السَّابِقَةِ، وَأَعْطَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَالْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ وَسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فِي أَهْلِ الْفَتْحِ أَقْلَ مَا أَخَذَ^(٥) مَنْ قَبْلَهُمْ، فَامْتَنَعُوا مِنْ أَخْذِهِ وَقَالُوا: لَا نَعْتَرِفُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَكْرَمَ مِنَّا. فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا أَعْطَيْتُكُمْ عَلَى السَّابِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ لَا عَلَى الْأَحْسَابِ. قَالُوا: فَنَعَمْ إِذَا، وَأَخَذُوا، وَخَرَجَ الْحَارِثُ وَسُهَيْلُ بِأَهْلِيهِمَا نَحْوَ الشَّامِ، فَلَمْ يَزَالَا مُجَاهِدِينَ حَتَّى أَصَابَا فِي بَعْضِ تِلْكَ الدَّرُوبِ، وَقِيلَ: مَا تَا فِي طَاعُونَ عَمَوَاسَ.

وَلَمَّا أَرَادَ عَمْرٌ وَضَعَ الدِّيَّانَ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: ابْدَأْ بِنَفْسِكَ. قَالَ: لَا بَلْ أَبْدَأُ بِعَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ بِالْأَقْرَبِ؛ فَفَرَضَ لِلْعَبَّاسِ وَبَدَأَ بِهِ، ثُمَّ فَرَضَ لِأَهْلِ بَدْرٍ خَمْسَةَ آلَافٍ خَمْسَةَ آلَافٍ، ثُمَّ فَرَضَ لِمَنْ بَعْدَ بَدْرٍ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثُمَّ فَرَضَ لِمَنْ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ إِلَى أَنْ أَقْلَعَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ؛ (فِي ذَلِكَ مَنْ شَهِدَ الْفَتْحَ وَقَاتَلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ وَلِيَ الْأَيَّامَ قَبْلَ الْقَادِسِيَّةِ، كُلٌّ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ)^(٦)، ثُمَّ فَرَضَ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ وَأَهْلِ الشَّامِ

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦١٠/٣ «يَتَخَلَّجُ»، وَالْمُثَبَّتُ يَتَّفَقُ مَعَ نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٧٢/١٩.

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «وَأَرْضُهَا كُلُّهَا». وَهُوَ أَصَحُّ (٦١٠/٣).

(٣) فِي النُّسَخَةِ (ب): «مُرْتَفَعَا».

(٤) الْبَيْتَانِ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦١٢/٣ مَعَ زِيَادَةِ بَيْتٍ بَيْنَهُمَا، وَهُمَا فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٧٣/١٩، وَالبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٥٧/٧.

(٥) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ٣٣٤/١٩ «مِمَّا أُعْطِيَ»، وَالْمُثَبَّتُ يَتَّفَقُ مَعَ الطَّبْرِيِّ ٦١٣/٣.

(٦) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ النُّسَخَةِ (ب).

أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ، وفرض لأهل البلاء النازع منهم أَلْفَيْنِ، وخمسمائة أَلْفَيْنِ وخمسمائة^(١).

فَقِيلَ لَهُ: لو أَلْحَقْتَ أَهْلَ الْقَادِسِيَّةِ بِأَهْلِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأَلْحِقْهُمْ بِدَرَجَةِ مَنْ لَمْ يَدْرِكُوا. وَقِيلَ لَهُ: قَدْ سَوِّتَ مَنْ بَعُدَتْ دَارُهُ بِمَنْ قَرُبَتْ دَارُهُ وَقَاتَلَهُمْ عَنْ فَنَائِهِ. فَقَالَ: مَنْ قَرُبَتْ دَارُهُ أَحَقُّ بِالزِّيَادَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رِذْءًا لِلْحَتُوفِ^(٢) وَشَجَىٍّ لِلْعُدُوقِ، فَهَلَا قَالَ الْمُهَاجِرُونَ مِثْلَ قَوْلِكُمْ حِينَ سَوَّيْنَا بَيْنَ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ! فَقَدْ كَانَتْ نَصْرَةُ الْأَنْصَارِ بِفَنَائِهِمْ وَهَاجَرُوا إِلَيْهِمْ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ بَعْدُ.

وفرض لَمَنْ بَعْدَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْيَرْمُوكِ أَلْفًا أَلْفًا، ثُمَّ فَرَضَ لِلرُّوَادِفِ الْمُثَنَّى خَمْسَمِائَةَ خَمْسَمِائَةَ، ثُمَّ لِلرُّوَادِفِ الثَّلَاثِ^(٣) بَعْدَهُمْ ثَلَاثَمِائَةَ، سَوَّى كُلَّ طَبَقَةٍ فِي الْعَطَاءِ قُوَّتَهُمْ وَضَعِيفَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، وَفَرَضَ لِلرُّوَادِفِ الرَّبِيعِ^(٤) عَلَى مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَفَرَضَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ هَجَرَ وَالْعِبَادِ، عَلَى مِائَتَيْنِ، وَأَلْحَقَ بِأَهْلِ بَدْرٍ أَرْبَعَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَبَا ذَرٍّ وَسَلْمَانَ. وَكَانَ فَرَضٌ لِلْعَبَّاسِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ: اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا، وَأَعْطَى نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، عَشْرَةَ أَلْفِ عَشْرَةِ أَلْفِ، إِلَّا مَنْ جَرَى عَلَيْهَا الْمَلِكُ. فَقَالَ نِسْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَفْضُلُنَا عَلَيْهِنَ فِي الْقِسْمَةِ، فَسَوَّيْنَاهُ؛ فَفَعَلَ وَفَضَّلَ عَائِشَةَ بِأَلْفَيْنِ لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِيَّاهَا، فَلَمْ تَأْخُذْ. وَجَعَلَ نِسَاءَ أَهْلِ بَدْرٍ فِي خَمْسَمِائَةِ خَمْسَمِائَةَ، وَنِسَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَمِائَةِ أَرْبَعَمِائَةَ، وَنِسَاءَ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْأَيَّامِ ثَلَاثَمِائَةَ ثَلَاثَمِائَةَ، وَنِسَاءَ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مِائَتَيْنِ مِائَتَيْنِ، ثُمَّ سَوَّى بَيْنَ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَجَعَلَ الصَّبِيَّانِ سَوَاءً عَلَى مِائَةِ مِائَةٍ، ثُمَّ جَمَعَ سِتِّينَ مَسْكِينًا وَأَطْعَمَهُمُ الْخُبْزَ، فَأَحْصَوْا مَا أَكَلُوا، فَوَجَدُوهُ يَخْرُجُ مِنْ جَرِيَّتَيْنِ^(٥)، فَفَرَضَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَلَعِيَالِهِ جَرِيَّتَيْنِ فِي الشَّهْرِ.

وَقَالَ عُمَرُ قَبْلَ مَوْتِهِ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْعَطَاءَ أَرْبَعَةَ أَلْفِ أَرْبَعَةَ أَلْفِ، أَلْفًا يَجْعَلُهَا الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ، وَأَلْفًا يَزُودُهَا^(٦) مَعَهُ، وَأَلْفًا يَتَجَهَّزُ بِهَا، وَأَلْفًا يَتَرَفَّقُ بِهَا. فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ^(٧).

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢، والطبقات الكبرى ٢٩٦/٣، ٢٩٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٦١٤/٣ «لِلْحَقِّ»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٣٣٥/١٩.

(٣) في الطبعة الأوربية «الليث».

(٤) الربيع هنا: الجزء من أربعة.

(٥) الجريب: مكيال يختلف مقداره باختلاف البلدان: ويأتي للمساحة، فيقال للأرض مساحتها كذا جريباً، والقمح والشعير مكياله كذا جريباً.

(٦) في نهاية الأرب ٣٣٦/١٩ «يَزُودُهَا»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٥/٣.

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٦١٣/٣ - ٦١٥، ونهاية الأرب ٣٣٤/١٩ - ٣٣٦.

وقال له قائل عند فرض المعطاء: يا أمير المؤمنين لو شركت^(١) في بيوت الأموال عدّة لكون إن دَان. فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرّها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعدّ لهم ما أعدّ الله ورسوله طاعة لله ورسوله، هما عدّتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دَيْن أحدكم هلكتم^(٢).

وقال عمر للمسلمين: إنّي كنت امرأ^(٣) تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنّه يحلّ لي في^(٤) هذا المال؟ وعليّ ساكت. فأكثر القوم، فقال: ما تقول يا عليّ؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم: القول ما قال عليّ. فأخذ قوته، واشتدّت حاجة عمر، فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعليّ وطلحة والزبير فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياه في رزقه. فقال عثمان: هلمّوا فلنستبرئ^(٥) ما عنده من وراء وراء، فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمر. فلقيت عمر في ذلك، فغضب وقال: مَنْ هؤلاء لأسوءهم؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم. قال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله، ﷺ، في بيتك^(٦) من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع. قال: فأني الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: حرقاً من خبز^(٧) شعير فصبنا عليه وهو حارّ أسفل عكّة لنا، فجعلتها دسمة حلوة، فأكل منها. قال: وأيّ مُبَسِّط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء ثخين كنّا نربّعه^(٨) في الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدنّرتنا بنصفه. قال: يا حفصة فأبلغنيهم أن رسول الله، ﷺ، قدّر فوضع الفضول مواضعها وتبلّغ بالترجية^(٩)، فوالله لأضعنّ الفضول مواضعها ولأتبلغنّ بالترجية، وإنّما مثلي ومثّل صاحبيّ ثلاثه سلكوا طريقاً، فمضى الأوّل وقد تزوّد فبلغ المنزل، ثمّ اتّبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثمّ اتّبعه الثالث فإنّ لزم طريقهما ورضي بزادهما الحقّ بهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما^(١٠).

(١) في تاريخ الطبري «لو تركت»، وفي نهاية الأرب «لو كنت تركت».

(٢) الطبري ٦١٥/٣، نهاية الأرب ٣٣٦/١٩.

(٣) في الأصل «أميراً».

(٤) عند الطبري «من».

(٥) في النسخة (ب) «فليشتري».

(٦) في النسخة (ب): «يدك».

(٧) في تاريخ الطبري ٦١٧/٣، ونهاية الأرب ٣٣٧/١٩ «خبزنا خبزة».

(٨) في النسخة (ب): «نرفعه».

(٩) في الطبعة الأوربية «بالترجية». والترجية: الاكتفاء.

(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٦٦٦/٣، ٦١٧، نهاية الأرب ٣٣٧/١٩، ٣٣٨.

ذكر الحروب إلى آخر السنة فمن ذلك يوم بُرْس وبابل وكُوثى

لما فرغ سعد من أمر القادسيّة أقام بها بعد الفتح شهرين، وكاتب عمرَ فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق^(١)، وأن يجعل معهم جنداً كثيفاً، وأن يشركهم في كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم. ففعل ذلك، وسار من القادسيّة لأيّام بقين من شوال، وكلّ الناس مؤدّ مذ^(٢) نقل الله إليهم ما كان في عسكر الفرس. فلمّا وصلت مقدّمة المسلمين بُرْس^(٣) وعليهم عبدُ الله بن المعتمّ وزُهرة بن حويّة وشُرْحَبِيل بن السَّمْط لقيهم بها بَصْبُهَا في جمعٍ من الفرس، فهزمه المسلمون ومنّ معه إلى بابل، وبها فالة القادسيّة، وبقايا رؤسائهم النخير خان^(٤)، ومهران الرازي، والهَرَمزان، وأشباههم، وقد استعملوا عليهم الفيرزان، وقدم بَصْبُهَا منهزماً من بُرْس، فوقع في النهر، ومات من طعنة كان طعنه زُهرة^(٥).

ولما هُزم بَصْبُهَا أقبل بِسْطام دِهقان بُرْس فصالح زُهرة، وعقد له الجسور، وأخبره بمن اجتمع ببابل، فأرسل زُهرة إلى سعد يُعرِّفه ذلك. فقدم عليه سعد بُرْس وسيّره في المقدّمة، وأتبعه عبدُ الله وشُرْحَبِيل وهاشم المِرْقَال، وأتبعهم، فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا: نقاتلهم قبل أن نفرق، فاقتتلوا فهزمهم المسلمون، فانطلقوا على وجهين، فسار الهرمزان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، وخرج الفيرزان نحو نهاوند، فأخذها فأكلها وبها كنوز كسرى، وأكل الماهين^(٦)، وسار النخيرخان ومهران إلى المدائن وقطعا الجسر.

وأقام سعد ببابل، فقدم زُهرة بين يديه بُكَيْر بن عبد الله اللَّيْثي وكثير بن شهاب السعديّ حتى عبرا الصّرة، فلحقا بأخريات القوم، وفيهم فيومان والفرخان، فقتل بُكَيْر الفرخان، وقتل كثير فيومان بسوراء، وجاء زُهرة فجاز سوراء^(٧) ونزل، وجاء سعد وهاشم

(١) في البداية والنهاية ٦٠/٧ «بالعتيق»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري ٦١٩/٣ «قد» بدل «مذ»، وفي نهاية الأرب ٢١٩/١٩ «وكل الناس فارس قد نقل».

(٣) في تاريخ خليفة ١٣٣ «بُرس»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٩/٣، ونهاية الأرب ٢١٩/١٩.

(٤) في النسخة (ب) «اليخرخان»، وفي نسخة بودليان «النخيرجان»، وفي تاريخ الطبري ٦٢٠/٣ ونهاية الأرب

٢٢٠/١٩ «النخيرجان»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان ٣٢٢ رقم ٦٤٨.

(٥) تاريخ الطبري ٦١٩/٣، ٦٢٠، نهاية الأرب ٢١٩/١٩، ٢٢٠، تاريخ خليفة ١٣٣، البداية والنهاية ٦٠/٧،

فتوح البلدان ٣٢٢.

(٦) الماهان: الدّينور، ونهاوند. إحداهما ماء البصرة والأخرى ماء الكوفة.

(٧) في الطبعة الأوربية «فحاز بسوراء». وسورا: موضع بالعراق من أرض بابل. ويقال موضع إلى جنب بغداد،

وقيل هو بغداد نفسها. (معجم البلدان ٢٧٨/٣).

والناس ونزلوا عليه، وتقدّم زهرة نحو الفرس، وكانوا قد نزلوا بين الدير وكُوَيْ، وقد استخلف التّخيرخان ومهران على جنودهما شهريار، فنازلهم زهرة، فبرزوا إلى قتاله، وخرج شهريار يطلب المبارزة، فأخرج زهرة إليه أبا نباتة نائل بن جَشْعَم^(١) الأعرجي، وكان من شجعان بني تميم، وكلاهما وثيق الخلق^(٢). فلمّا رأى شهريار نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى أبو نباتة رمحه ليعتنقه أيضاً، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا^(٣)، ثمّ اعتنقا فسقطا عن دابّتيهما، فوقع شهريار عليه كأنّه جمل^(٤)، فضغطة بفخذه، وأخذ الخنجر وأراد حلّ أزرار^(٥) درّعه، ف وقعت إصبعه في نائل فكسر عظمها، ورأى منه فتوراً فبادره وجلد به الأرض، ثمّ قعد على صدره وأخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه، وطعن به بطنه وجنبه حتى مات، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانهزم أصحابه فذهبوا في البلاد، وأقام زهرة بكُوَيْ حتى قدّم عليه سعد، فقدّم إليه نائلاً وألبسه سلاح شهريار وسواريه، وأركبه برّذونه، وغنمه الجميع، فكان أوّل أعرجي سُور بالعراق، وقام بها سعد أيّاماً وزار مجلس إبراهيم الخليل، عليه السلام^(٦).

وقيل: كانت هذه الوقعات سنة ستّ عشرة.

(نائل: بالنون، وبعد الألف ياء تحتها نقطتان، وآخره لام).

ذكر بهرّسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب

ثمّ إنّ سعد قدّم زهرة إلى بهرّسير^(٧) فمضى في المقدّمات، فتلّقاه شيرازاد دهقان ساباط بالصّلح، فأرسله إلى سعد، فصالحه على تأدية الجزية^(٨).

ولقي زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون كلّ يوم أن لا يزول ملك فارس ما عشنا، فهزمهم وقتل هاشم بن عتبة، وهو ابن أخي سعد، المقرّط^(٩)، وهو

(١) في تاريخ الطبري ٦٢١/٣، ونهاية الأرب ٢٢٠/١٩ «جَشْعَم».

(٢) في الطبعة الأوربية «الجلوة»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «سيفهما فأجلدا».

(٤) في الطبعة الأوربية «حمل».

(٥) في الطبعة الأوربية «أزر».

(٦) تاريخ الطبري ٦٢٠/٣ - ٦٢٢، نهاية الأرب ٢٢٠/١٩، البداية والنهاية ٦٠/٧، ٦١.

(٧) بهرّسير: مدينة في شقّ الكوفة. (فتوح البلدان ٣٢٢) وفي البداية والنهاية ٦١/٧ «نهرشير»، وفي فتوح العجم والعراق للواقدي .. «نهمشير».

(٨) أنظر: فتوح البلدان ٦٢٢، والأخبار الطول ١٢٦، تاريخ الطبري ٥/٤، نهاية الأرب ٢٢١/١٩، الخراج لقدامة ٣٦٠، البداية والنهاية ٦١/٧.

(٩) في الأصل «المقرط»، وفي الطبعة الأوربية «القرط».

أسد كان لكسرى قد ألفه، فقبل سعد رأس هاشم، وقبل هاشم قدم سعد، وأرسله سعد في المقدمة إلى بهرسيير، فنزل إلى المظلم، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ رِوَالٍ﴾^(١)؛ ثم ارتحل فنزل على بهرسيير، ووصلها سعد والمسلمون فرأوا الإيوان، فقال ضرار بن الخطّاب: الله أكبر! أبيض كسرى! هذا ما وعد الله ورسوله. وكبر وكبر الناس معه، فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا، ثم نزلوا على المدينة، وكان نزولهم عليها في ذي الحجة^(٢).

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد في قول، وعلى الطوائف يعلى بن منية، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة^(٣).

[الوفيات]

وفيها مات سعد بن عبادة الأنصاري، وقيل: توفي في خلافة أبي بكر^(٤).
ونوفل بن الحارث^(٥) بن عبدالمطّب، وكان أسنّ من بني هاشم.

(١) سورة إبراهيم - الآية ٤٤.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، ٦٢٣ و٨/٤، ونهاية الأرب ٢٢١/١٩، والبداية والنهاية ٦١/٧.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٣/٣.

(٤) أنظر سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) تاريخ خليفة ١٣٤، البداية والنهاية ٦٢/٧.

ثم دخلت سنة ست عشرة

ذكر فتح المدائن الغربية وهي بهر سير

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بهر سير، وكان سعد محاصراً لها، وأرسل الخيول فأغارَت علي مَنْ ليس له عهد^(١)، فأصابوا مائة ألف فلاح، فأصاب كل واحد منهم فلاحاً، لأنَّ كلَّ المسلمين كان فارساً، فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه، فأجابه: إنَّ مَنْ جاءكم من الفلاحين ممَّن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم^(٢)، ومَنْ هرب فأدرِكموه فشانكم به. فخلَّى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة، فراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى، فلم يبقَ [في] غربي دجلة إلى أرض العرب سواديٍّ إلَّا أَمِنَ واغتبط بمُلْك الإسلام^(٣).

وأقاموا على بهر سير شهرين يرمونهم بالمجانيق، ويدبُّون^(٤) إليهم بالدبابات، ويقاتلونهم بكلَّ عُدَّة، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً فشغلوهم بها، وربَّما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم، وكان آخر ما خرجوا متجردين للحرب وتبايعوا^(٥) على الصبر، فقاتلهم المسلمون. وكان على زُهرة بن الحوية درع مفصومة^(٦)، ف قيل له: لو أمرت بهذا الفِصم فسُرد. فقال لهم: إني على الله لكريم، أن ترك^(٧) سهم فارس الجنْد كلَّهم، ثمَّ أتاني^(٨) من هذا الفِصم حتى يثبت^(٩) في! فكان أوَّل رجل أصيب من المسلمين يومئذٍ

(١) في تاريخ الطبري ٥/٤ «إلى من له عهد» وهو خطأ، والصحيح ما هو هنا، ويتفق مع نهاية الأرب ٢٢٢/١٩.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمانة»، وفي النسخة (ب): «أمنهم».

(٣) الطبري ٥/٤، نهاية الأرب ٢٢٢/١٩، البداية والنهاية ٦٣/٧.

(٤) في الطبعة الأوربية «ويدنون».

(٥) في الطبعة الأوربية «وتبايعوا».

(٦) في الطبعة الأوربية «مفصوم»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦/٤.

(٧) في الطبعة الأوربية «نزل».

(٨) في الطبعة الأوربية «لم يأمني».

(٩) في الطبعة الأوربية «ثبت».

هو، بُشَابَة من ذلك الْفَصْم. فقال بعضهم: انزعوها. فقال: دعوني فَإِنَّ نفسي معي ما دامت فيّ، لعلّي^(١) أَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ بِطَعْنَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ. فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار^(٢) من أهل إصطخر فقتله، وأحيط به فقتل وما انكشفوا^(٣).

وقيل: إِنَّ زُهْرَةَ عاش إلى أَيَّام الْحَجَّاج فقتله شبيب الخارجي، وسيرد ذكره.

واشتدَّ الحصار بأهل المدائن الغربيّة حتى أكلوا السنانير والكلاب^(٤)، وصبروا من شدّة الحصار على أمر عظيم، فبينما هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك، فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شيعتم لا أشبع الله بطونكم! فقال لهم أبو مُفَرِّز^(٥) الأسود بن قُطْبَة، وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه. فرجع الرَّجُلُ فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقيّة التي فيها الإيوان، فقال له مَنْ معه: يا أبا مُفَرِّز^(٦) ما قلتَ له؟ قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ ما أدري، وأنا أرجو أن أكون قد نطقتُ بالذي هو خيرٌ. وسأله سعد والنّاس عمّا قال فلم يعلم. فنادى سعد في النّاس، فنهّدوا إليهم، فما ظهر على المدينة أحد، ولا خرج رجل إلّا رجل ينادي بالأمان، فأمنوه، فقال لهم: ما بقي بالمدينة مَنْ يمنعكم. فدخلوا فما وجدوا فيها شيئاً ولا أحداً، إلّا أسارى وذلك الرجل، فسأله لأيّ شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه أنّه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريدون بأترجٍ كوثي. فقال الملك: يا ميلتيه^(٧)! إِنَّ الملائكة تتكلّم على السّنتهم تردُّ علينا.

فساروا إلى المدينة القصوى. فلمّا دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل، وأرادوا العبور إلى المدائن، فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن^(٨) وتكريت.

ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى

وكان فتحها في صفر أيضاً سنة ستّ عشرة، قيل: وأقام سعد بيهرسير أياماً من

(١) في الطبعة الأوربية «لعل».

(٢) في تاريخ الطبري «شهرباز».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٥/٤، ٦.

(٤) تاريخ خليفة ١٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «مقرن» وكذلك في البداية والنهاية ٦٣/٧، والمثبت يتفق مع الطبري ٧/٤، ونهاية الأرب ٢٢٢/١٩.

(٦) عند الطبري «واويله».

(٧) عند الطبري ٨/٤ والنسخة (ب): «البطائح».

صفر، فأتاه عِلْجٌ فدَلَّه على مخاضة تُخاض إلى صُلب الفرس، فأبى وتردّد عن ذلك، وقحمهم المدّة، وكانت السنة كثيرة المدود، ودجلة تقذف^(١) بالزبد، فأتاه عِلْجٌ فقال: ما يقيمك؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرّد بكلّ شيء في المدائن. فهبّجه ذلك على العبور، ورأوا رؤيا: أنّ خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت، فعزم سعد لتأويل الرؤيا، فجمع النّاس فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه ويخلصون إليكم إذا شاؤوا في سفنهم فيناوشونكم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤثّوا منه، قد كفاكم أهل الأيّام وعطلوا ثغورهم^(٢)، وقد رأيت من الرأي أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدهم^(٣) الدنيا، ألا إنّي قد عزمْتُ على قطع هذا البحر إليهم.

فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل: فندب النّاس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمي لنا الفِراض^(٤) حتى تتلاحق به النّاس لكيلا يمنعوهم من العبور؟ فاندب له عاصم بن عمرو ذو البأس، في ستمائة من أهل النّجدات، فاستعمل عليهم عاصماً، فقدمهم عاصم في ستين فارساً، وجعلهم على خيل ذكور وإناث ليكون أسلس لسباحة الخيل، ثمّ اقتحموا دجلة. فلمّا رأهم الأعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدّمت مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فلقوا عاصماً وقد دنا من الفِراض. فقال عاصم: الرماح الرماح! أشرعوها وتوخوا العيون. فالتقوا فاطعنوا، وتوخى المسلمون عيونهم فولّوا، ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن، وتلاحق الستمائة بالسّتين غير متعبين^(٥).

ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها، أذن للنّاس في الاقتحام وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكّل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه، وليُظهرنّ دينه، وليهزمنّ عدوّه، [لا حول] ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وتلاحق النّاس في دجلة، وإنّهم يتحدّثون كما يتحدّثون في البرّ، وطبّقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء^(٦). وكان الذي يساير سعداً سلّمان الفارسيّ، فعامت بهم خيولهم، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه وليُظهرنّ دينه وليهزمنّ عدوّه إن لم يكن في الجيش

(١) في الطبعة الأوربية «تقدّفت»؛ وفي الأصل «عدت».

(٢) في الأصل «بغورهم»، وفي النسخة (ب) «بعبورهم».

(٣) في تاريخ الطبري ٩/٤ «تحصركم».

(٤) في النسخة (ب) «المقراض».

(٥) في الأصل «مسعين»، وفي تاريخ الطبري ١٠/٤ «مقتعين».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١٠/٤، نهاية الأرب ٢٢٥.

بغِيّ أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال له سلمان: الإسلام جديد، دُلت لهم البحور كما دُلت لهم البرّ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجنّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً^(١)، إلّا أنّ مالك بن عامر العنبري سقط منه قذح فذهبت به جرية الماء، فقال له الذي يسايره مُعيراً له: أصابه القدر فطاح. فقال: والله إنّي لَعَلَى حالة^(٢) ما كان الله ليسلّيني قدحي من بين العسكرين. فلمّا عبروا ألقته الريح إلى الشاطئ، فتناوله بعضُ النَّاس وعرفه صاحبه فأخذه. ولم يغرق منهم أحد، غير أنّ رجلاً من بارق يُدعى عَرْقُدة^(٣) زال عن ظهر فرس له أشقر، فثنى القعقاع عِنان فرسه إليه، فأخذ بيده فأخرجه سالماً. وخرج النَّاس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها^(٤).

فلَمّا رأى الفرس ذلك، وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حُلوان، وكان يزدجِرْد قد قدّم عياله إلى حُلوان قبل ذلك، وخلف مهراّن الرازي والنخيرخان، وكان على بيت المال بالنهروان، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذراري، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص^(٥) والألطف ما لا يُدرى قيمته، وخلفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة^(٦). وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف^(٧)، ثلاث مرّات، أخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسيّة النصف وبقي النصف. وكان أوّل من دخل المدائن كتيبة الأهوال^(٨)، وهي كتيبة عاصم بن عمرو، ثمّ كتيبة الخرساء^(٩)، وهي كتيبة القعقاع بن عمرو، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً يخشونه إلّا مَنْ كان في القصر الأبيض، فأحاطوا بهم ودعّوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمّة، فترجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم، ليس في ذلك ما كان لال كسرى.

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١١/٤، ١٢.

(٢) في تاريخ الطبري ١٢/٤ «جديلة».

(٣) في الطبعة الأوربية «عرفدة».

(٤) تاريخ الطبري ١٢/٤، تاريخ خليفة ١٣٤، نهاية الأرب ٢٢٥/١٩، البداية والنهاية ٦٥/٧، الأخبار الطوال ١٢٦ وفيه أن الذي غرق من طيء يسمّى سُلَيْك بن عبد الله. وفي فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥١ «سليّ بن يزيد بن مالك السُنَيْسي».

(٥) في تاريخ الطبري ١٤/٤ وفي الأصل «الفضول».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١٣/٤، ١٤، ونهاية الأرب ٢٢٥/١٩، البداية والنهاية ١٦/٧، والبده والتاريخ ١٧٧/٥.

(٧) ساقطة من النسخة (ب). وفي نهاية الأرب ٢٢٥/١٩ «ثلاثة آلاف ألف». وانظر البداية والنهاية ٦٦/٧.

(٨) في النسخة (ب) «والأهواز».

(٩) في النسخة (ب) «الحربية»، وفي الطبعة الأوربية «الحرشاء».

ونزل سعد القصر الأبيض، وسرح سعد زهرة في آثارهم إلى النهر، ومقدار ذلك من كل جهة^(١).

وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وداعيتهم، دعا أهل بهرسير ثلاثاً وأهل القصر الأبيض ثلاثاً، واتخذ سعد إيوان كسرى مصلى، ولم يغير ما فيه^(٢) من التماثيل^(٣).

ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء، وكان يدعى يوم الجراثيم، لا ينبغي أحد إلا اشمخرت^(٤) له جرثومة من الأرض يستريح عليها، ما يبلغ الماء حزام فرسه، ولذلك يقول أبو بَجْد نافع بن الأسود:

وَأَسْلَمْنَا^(٥) عَلَى الْمَدَائِنِ خَيْلًا بحرُّها مثلُ برهنٍ أريضا^(٦)
فَانْتَلَنَّا خَزَائِنَ الْمَرْءِ كِسْرَى يَوْمَ وَلَّوْا وَخَاضَ مِنْهَا^(٧) جَرِيضًا

ولما دخل سعد الإيوان قرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٨)؛ وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات، لا يفصل بينهن ولا يصلي جماعة، وأتم الصلاة لأنه نوى الإقامة، وكانت أول جمعة بالعراق، وجمعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة^(٩).

ولما سار المسلمون وراءهم أدرك رجل من المسلمين فارسياً يحمي أصحابه، فضرب فرسه ليقدم على المسلم، فأحجم وأراد الفرار فتقاعس، فأدركه المسلم فقتله وأخذ سلبه^(١٠).

وأدرك رجل آخر من المسلمين جماعة من الفرس يتلاومون، وقد نصبوا لأحدهم كُرَّةً^(١١)، وهو يرميها لا يخطئها، فرجعوا فلقبهم المسلم، فتقدم إليه ذلك الفارسي فرماه بأقرب مما كانت الكُرَّة فلم يصبه، فوصل المسلم إليه فقتله وهرب أصحابه^(١٢).

(١) تاريخ الطبري ١٤/٤، نهاية الأرب ٢٢٥/١٩، ٢٢٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «فيها».

(٣) تاريخ الطبري ١٤/٤، ١٥، نهاية الأرب ٢٢٦/١٩.

(٤) في الطبعة الأوربية «انشخرت».

(٥) في الطبعة الأوربية «وأملنا».

(٦) أريضا: معجبة للعين.

(٧) في تاريخ الطبري ١٠/٤ «وحاص منا». وكذلك في البداية والنهاية ٦٨/٧، ٦٩.

(٨) سورة الدخان - الآيات ٢٥ - ٢٨.

(٩) تاريخ الطبري ١٦/٤، نهاية الأرب ٢٢٦/١٩، البداية والنهاية ٦٦/٧.

(١٠) تاريخ الطبري ١٥/٤.

(١١) في الطبعة الأوربية «كربة».

(١٢) تاريخ الطبري ١٥/٤، ١٦.

(أبو بُجَيْد: بضمّ الباء الموحّدة: وفتح الجيم، وبعدها ياء تحتها نقطتان، ودال مهمة).

ذكر ما جُمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مُقَرَّن، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهليّ، فجمع ما في القصر والإيوان والدُّور، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوا عند الهزيمة، وهربوا في كلّ وجه، فما أفلت أحد منهم بشيء إلاّ أدركهم الطلب، فأخذوا ما معهم، ورأوا بالمدائن قباباً^(١) تركيّة مملوءة سلالاً مختومة برصاص فحسبوا^(٢) طعاماً، فإذا فيها آنية الذهب والفضّة، وكان الرجل يطوف لبيع الذهب بالفضّة متماثلين. ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً، فعجنوا به فوجدوه مرّاً^(٣).

وأدرك الطلب مع زُهرة جماعة من الفرس على جسر النهر، فازدحموا عليه، فوقع منهم بغل في الماء، فعجلوا وكبّوا^(٤) عليه، فقال بعض المسلمين: إنّ لهذا البغل لشأناً، فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه، وفيه حلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجواهر، وكان يجلس فيها للمباهاة. ولحق الكَلَجُ^(٥) بغلّين معهما فارسيّان، فقتلها وأخذ البغلين، فأبلغهما صاحب الأقباض، وهو يكتب ما يأتيه به الرجال، فقال له: قفّ حتى ننظر ما معك. فحطّ عنهما فإذا سَفْطان فيهما تاج كسرى مرصّعاً^(٦)، وكان لا يحمله إلاّ أسطوانتان^(٧) وفيه الجواهر، وعلى البغل الآخر سَفْطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً^(٨).

وأدرك القعقاع بن عمرو فارسيّاً فقتله: وأخذ منه عيبتين في إحداهما خمسة

(١) في النسخة (ب) «حبابا».

(٢) في الطبعة الأوربية «فحسبوه».

(٣) الأخبار الطوال ١٢٧، تاريخ خليفة ١٣٣، فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥٢، تاريخ الطبري ١٦/٤، ١٧، نهاية الأرب ٢٢٧/١٩، البداية والنهاية ٦٧/٧.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/٤ «كلبوا».

(٥) في النسخة (ب): «الحكم»، وفي الطبعة الأوربية «الكَلَج».

(٦) في تاريخ الطبري ١٨/٤ «مفسّخا».

(٧) في الطبعة الأوربية «الأسطوانيان»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٨) تاريخ الطبري ١٧/٤، ١٨، نهاية الأرب ٢٢٧/١٩.

أسياف، وفي الأخرى ستة أسياف وأدراع، منها درع كسرى ومغافره، ودرع هرقل، ودرع خاقان ملك الترك، ودرع داهر ملك الهند، ودرع بهرام جوبين^(١)، ودرع سياوخش، ودرع النعمان، استلبها^(٢) الفرس أيام غزاهم خاقان وهرقل وداهر، وأما النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى، والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقباز وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان؛ فأحضر القعقاع الجميع عند سعد، فخيره بين الأسياف فاختر سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام، ونقل سائرهما في الخرساء^(٣)، إلا سيف كسرى والنعمان، بعث بهما إلى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك، وحسبوهما^(٤) في الأخماس، وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه المسلمون^(٥).

وأدرك عِصْمَةُ بن خالد^(٦) الضبيّ رجلين معهما حماران، فقتل أحدهما وهرب الآخر، وأخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الأقباض، فإذا على أحدهما سَفْطَان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة مكمل بالجواهر، وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل^(٧) من ذهب، وبطان من ذهب، ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم باللياقوت، وعليها رجل من ذهب مكمل بالجواهر، كان كسرى يضعهما على أسطوانتي التاج^(٨).

وأقبل رجل بحق إلى صاحب الأقباض، فقال هو والذين معه: ما رأينا مثل هذا [خطأ]، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: والله لولا الله ما أتيتكم به. فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم فتحمدوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس. وقال سعد: والله إن الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت إنهم^(٩) على فضل أهل بدر، لقد تتبعت منه هنات ما أحسبها من هؤلاء^(١٠).

وقال جابر بن عبد الله: والذي لا إله إلا هو، ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية

(١) في النسخة (ب)، وتاريخ الطبري ١٨/٤ «شوبين».

(٢) في الطبعة الأوربية «أسلبها».

(٣) في الطبعة الأوربية «الحرشا»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٤) في تاريخ الطبري «حسبوهما»، وفي نهاية الأرب ٢٢٨/١٩ «حسبهما»، وفي الطبعة الأوربية «حسبوها».

(٥) تاريخ الطبري ١٨/٤، نهاية الأرب ٢٢٨/١٩، البداية والنهاية ٦٧/٧.

(٦) في تاريخ الطبري ١٨/٤ «الحارث»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٢٢٨/١٩.

(٧) الشليل: مسح من صوف أو شعر يُجعل على عجز البعير.

(٨) تاريخ الطبري ١٨/٤، ١٩، نهاية الأرب ٢٢٨/١٩.

(٩) في تاريخ الطبري «وايم الله بدل «انهم»».

(١٠) الطبري ١٩/٤.

أنه يريد الدنيا مع الآخرة، فلقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كآماتهم وزُهدهم، وهم: طليحة، وعمرو بن معدي كرب، وقيس بن المكشوح^(١).

وقال عمر لما قُدِمَ عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزبرجه^(٢): إن قوماً أدوا هذا لذوو أمانة. فقال علي: إنك عفت فعت الرعية^(٣).

فلما جُمعت الغنائم قَسَمَ سعد الفَيء بين النَّاس بعد ما خَمَسه، وكانوا سِتِينَ ألفاً، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً، وكلَّهم كان فارساً ليس فيهم راجل، ونَقَلَ من الأُخماس في أهل البلاء، وقَسَم المنازل بين النَّاس، وأحضر العيالات فأنزلهم الدُّور، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحُلوان وتكريت والموصل، ثمَّ تحوَّلوا إلى الكوفة. وأرسل سعد في الخمس كلَّ شيء أراد أن يعجب منه العرب، وما كان يُعجبهم أن يقع، وأراد إخراج خمس القُطف^(٤)، فلم تعتدل قسمته، وهو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن أربعة أُخماسه فنبعث^(٥) به إلى عمر يضعه حيث يشاء، فإننا لا نراه ينقسم، وهو بيننا قليل، وهو يقع من أهل المدينة موقعاً؟ فقالوا: نعم. فبعثه إلى عمر. والقُطف بَساط واحد طولُه ستون^(٦) ذراعاً، وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب، كانت الأكاسرة تُعدُّه للشتاء إذا ذهب الرياحين شربوا عليه، فكأنهم في رياض، فيه طُرُق كالصُّور، وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهب، وخلال ذلك فصوص كالذُّر، وفي حافاتِه كالأرض المزروعة والأرض المُبَقلة بالنبات في الربيع، والورق من الحرير على قضبان الذهب، وزهره الذهب والفضة، وثمره الجوهر وأشباه ذلك، وكانت العرب تسميه القُطف.

فلما قَدِمَت الأُخماس على عمر ثَقُلَ منها مَنْ غاب ومن شهد من أهل البلاء، ثمَّ قسم الخمس في مواضعه، ثمَّ قال: أشيروا عليَّ في هذا القُطف: فمن بين مشير بقبضه، وآخر مفوض إليه. فقال له علي: لم يجعل الله علمك جهلاً ويقينك شكاً، إنه ليس لك من الدنيا إلَّا ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فألبيت، أو أكلت فأنيت، وإنك إن تبقه على هذا اليوم لم تعدم في غدٍ من يستحقَّ به ما ليس له. فقال: صدقتني

(١) الطبري ١٩/٤، ٢٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «بزبرجده» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) تاريخ الطبري ٢٠/٤.

(٤) في النسخة (ب) «القُطف».

(٥) في طبعة صادر ٥١٨/٢ «ينبعث»، وما أثبتناه عن الطبري ٢١/٤ ونهاية الأرب ٢٢٩/١٩.

(٦) في النسخة (ب) «سبعون»، والمثبت يتفق مع الطبري، والنويري.

ونصحتني، فقطعه بينهم، فأصاب علياً قطعةً منه، فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع^(١).

وكان الذي سار بالأخماس بشير بن الخصاصية، وأثنى الناس على أهل القادسية، فقال عمر: أولئك أعيان العرب^(٢).

ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جُبَيْر بن مُطْعَم عن نسب النعمان، فقال جبیر: كانت العرب تنسبه إلى أشلاء قَنْص^(٣)، وكان أحد بني عجم بن قنص^(٤)، فجهل الناس عجم فقالوا لخم، فنقله سيفه^(٥).

وولى عمرُ بن الخطاب سعدَ بن أبي وقاص صلاة ما غلب عليه وحزبه، وولى الخراج النعمانَ وسويداً ابني مُقَرَّن، سُوَيْدٌ علي ما سقت الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة، ثم استعفيا، فولى عملهما حُذَيْفَةُ بن أسيد وجابر بن عمرو المزني، ثم ولى عملهما بعدُ حُذَيْفَةُ بن اليمان^(٦) وعثمان بن حنيف^(٧).

(حُذَيْفَةُ بن أسيد: بفتح الهمزة، وكسر السين).

ذِكْرُ وَقْعَةِ جَلُولَاءَ وَفَتْحِ حُلُوانَ

وفي هذه السنة كانت وقعة جَلُولَاءَ.

وسببها أنَّ الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جَلُولَاءَ، وافتרכת الطرق بأهل أَذْرَبَيْجَانِ والباب وأهل الجبال وفارس قالوا: لو افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرق بيننا، فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نحب، وإن كانت الأخرى كنّا قد قضينا الذي علينا، وأبلىنا عذراً. فاحتفروا خندقاً، واجتمعوا فيه على مهران الرازي، وتقدّم يزدجَرْدُ إلى حُلُوانَ، وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلّا طُرُقَهُمْ. فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر، فكتب إليه عمر: أنْ سَرَّحْ هاشم بن عُتْبَةَ إلى جَلُولَاءَ، واجعل على مقدّمته القعقاعَ بن عمرو، وإنْ هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين

(١) تاريخ الطبري ٢١/٤، ٢٢، نهاية الأرب ٢٢٩/١٩، البداية والنهاية ٦٧/٧.

(٢) الطبري ٢٢/٤.

(٣) في النسخة (ب): «أسلا قبص»، وفي نسخة بودليان «أشلا قبص»، وفي الطبعة الأوربية «أسلا قبص».

(٤) في الطبعة الأوربية «قبص».

(٥) تاريخ الطبري ٢٣/٤.

(٦) في الطبعة الأوربية «النعمان».

(٧) الطبري ٢٣/٤.

السواد والجبل، وليكن الجند اثني عشر ألفاً.

ففعل سعد ذلك، وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتدّ ومن لم يرتدّ، فسار من المدائن فمرّ بيبابل مهروذ، فصالحه دهقانها على أن يفرش له جريب الأرض دراهم، ففعل وصالحه، ثم مضى حتى قدّم جلولاء، فحاصره في خنادقهم وأحاط بهم، وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون إلا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً، كلّ ذلك يُنصر المسلمون عليهم، وجعلت الأمداد ترد من يزدجرد إلى مهران، وأمدّ سعد المسلمين، وخرجت الفرس وقد احتفلوا^(١)، فاقتتلوا، فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد، فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق، فجعلوا فيه طرقاتاً ممّا يليهم يصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم. وبلغ ذلك المسلمين فهضوا إليهم، وقتلوه^(٢) قتالاً شديداً لم يقتلوا مثله ولا ليلة الهرير، إلا أنه كان أعجل. وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به وأمر منادياً فنادى: يا معاشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق وأخذ به، فأقبلوا إليه ولا يمنكم من بينكم وبينه من دخوله. وإنما أمر بذلك ليقوّي المسلمين. فحملوا ولا يشكون بأنّ هاشماً في الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذ به، فانهزم المشركون عن المجال^(٣) يمّة ويسرة، فهلكوا فيما أعدّوا من الحسك، فعُقرت دوابهم وعادوا رجالة، واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يُعدّ، وقُتل يومئذٍ منهم مائة ألف، فحُلّت القتلى المجال وما بين يديه^(٤) وما خلفه، فسُميت جلولاء بما جَلَّلها من قتلاهم، فهي جلولاء الواقعة. فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين^(٥).

ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حُلوان نحو الريّ، وقُدِم القعقاع حُلوان فنزلها في جُند من الأَفناء^(٦) والحمراء^(٧).

وكان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ست عشرة.

(١) في الطبعة الأوربية «اختلفوا».

(٢) في الطبعة الأوربية «وقاتلهم».

(٣) في النسخة (ب): «المحاربة».

(٤) في النسخة (ب): «أيدبهم».

(٥) تاريخ الطبري ٢٤/٢٦ - نهاية الأرب ٢٣٠/١٩، ٢٣١، الأخبار الطوال ١٢٧، البدء والتاريخ ١٧٨/٥،

فتوح البلدان ٣٢٤، البداية والنهاية ٦٩/٧، تاريخ خليفة ١٣٧.

(٦) في الطبعة الأوربية «الأمناء».

(٧) تاريخ الطبري ٢٨/٤.

ولما سار يزدجُرد عن حُلوان استخلف عليها خشرشنوم، فلما وصل القعقاع قصر
شيرين خرج عليه خشرشنوم^(١) وقدم إليه الزينبي^(٢) دِهقان حُلوان، فلقية القعقاع، فقتل
الزينبي، وهرب خشرشنوم، واستولى المسلمون على حُلوان، وبقي القعقاع بها إلى أن
تحول سعد إلى الكوفة، فليحه القعقاع، واستخلف على حُلوان قُباد، وكان أصله
خراسانياً.

وكتبوا إلى عمر بالفتح وينزل القعقاع حُلوان، واستأذنه في اتباعهم، فأبى وقال:
لوددتُ أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلُصون إلينا ولا نخلُصُ إليهم، حسبنا من
الريف^(٣) السواد، إنَّ أثرتُ سلامة المسلمين على الأنفال. وأدرك القعقاع في اتباعه
الفرس مهران بخانقين فقتله، وأدرك الفيرزان فتزل وتوغل في الجبل فتحامي^(٤)، وأصاب
القعقاعُ سبايا، فأرسلهنَّ إلى هاشم فقسمنَّ، فاتخذن فولدن، وممن يُنسب إلى ذلك
السيبي أمُّ الشعبي^(٥).

وقسّمت الغنيمة، وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسع من الدواب^(٦).

وقيل: إنَّ الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف، فقسّمها سلمان بن ربيعة، وبعث سعدُ
بالأخماس إلى عمر، وبعث الحساب مع زياد بن أبيه، فكلّم عمرَ فيما جاء له ووصف
له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في النَّاس بمثل ما كلّمتني به؟ فقال: والله ما على
الأرض أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في النَّاس بما
أصابوا وما صنعوا، وبما يستأنفون من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب
المِصْقَع. فقال: إنَّ جندنا أطلقوا ألسنتنا^(٧).

فلما قدّم الخُمس على عمر قال: والله لا يُجنّه^(٨) سقف حتى أقسّمه. فبات عبد
الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد، فلما أصبح جاء في النَّاس
فكشف عنه، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف:
ما يُيكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إنَّ هذا لَموطن شُكر. فقال عمر: والله ما ذلك يُيكيني،

(١) في النسخة (ب): «حرسوم»، وفي نهاية الأرب ٢٣١/١٩ «خشرشنوم».

(٢) في الأصل، والنسخة (ب) وبودليان «الزيتي».

(٣) في النسخة (ب): «الريق».

(٤) في الأصل «فنجا».

(٥) تاريخ الطبري ٢٨/٤، تاريخ خليفة ١٣٨.

(٦) الطبري ٢٩/٤، نهاية الأرب ٢٣٢/١٩.

(٧) الطبري ٢٩/٤، ٣٠، نهاية الأرب ٢٣٢/١٩.

(٨) في النسخة (ب) «يحويه».

وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم. ومنع عمرٌ من قسمة السواد، لتعذر ذلك بسبب الأجسام والغياض ومغيض^(١) المياه، وما كان لبيوت النار ولسكك^(٢) البرد، وما كان لكسرى ومن جامع^(٣)، وما كان لمن قُتل، والأرحاء^(٤)؛ وخاف أيضاً الفتنة بين المسلمين، فلم يقسمه، ومنع من بيعه لأنه لم يُقسم، وأقروها حبساً يولونها مَنْ أجمعوا عليه بالرضا، وكانوا لا يُجمعون إلا على الأمراء، فلا يحل بيع شيء من أرض السواد ما بين حُلوان والقادسية، واشترى جرير أرضاً^(٥) على شاطئ الفرات، فردَّ عمر ذلك الشراء وكرهه^(٦).

ذَكَرَ تَكْرِيتَ وَالْمَوْصِلَ

وفي هذه السنة فُتحت تَكْرِيتَ في جمادى.

وسبب ذلك أَنَّ الأنطاق^(٧) سار من الموصل إلى تَكْرِيتَ، وخندق عليه ليحمي أرضه ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر والشهارجة، فبلغ ذلك سعداً فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أَنْ سَرَّحَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِّ، واستعمل على مقدّمته رُبْعِيَّ بْنَ الْأَفْكَلِ، وعلى الخيل عرفة بن هزيمة. فسار عبد الله إلى تَكْرِيتَ ونزل على الأنطاق، فحصره ومن معه أربعين يوماً، فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً، وكانوا أهون شوكة من أهل جَلُولَاءَ، وأرسل عبد الله بن الْمُعْتَمِّ إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نُصْرَتِهِ، وكانوا لا يُخْفُونَ عليه شيئاً. ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسلت تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بالخبر، وسألوه الأمان وأعلموه أَنَّهُمْ معه، فأرسل إليهم: إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَسْلَمُوا. فَأَجَابُوهُ وَأَسْلَمُوا. فأرسل إليهم عبد الله: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فاعلموا أَنَّا أَخَذْنَا^(٨) أبواب الخندق، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة وكبروا، واقتلوا مَنْ قدرتم عليه.

ونهد عبد الله والمسلمون وكبروا، وكبرت تغلب وإياد والنمر، وأخذوا الأبواب،

(١) في الطبعة الأوربية «تبعيض»، وفي نهاية الأرب ٢٣٣/١٩ «مغيض».

(٢) في النسخة (ب) «سكنات».

(٣) في النسخة (ب) «خازنه».

(٤) في الطبعة الأوربية «الأرجاء».

والخبر في تاريخ الطبري ٣٠/٤، ٣١، ونهاية الأرب ٢٣٣/١٩.

(٥) في النسخة (ب): «الرحاء».

(٦) تاريخ الطبري ٣٣/٤، نهاية الأرب ٢٣٣/١٩.

(٧) في النسخة (ب): «لأنطاق».

(٨) في الأصل «على».

فَظَنَّ الروم أَنَّ المسلمين قد أتوهم من خلفهم ممَّا يلي دجلة، فقصَدوا الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم^(١) سيوف المسلمين وسيوف الربيعيين الذين أسلموا تلك اللَّيلة، فلم يُفْلِت من أهل الخندق إلَّا مَنْ أسلم من تغلب وإياد والنمر. وأرسل عبدُ الله بن المعتَمَ ربيعِي بن الأفكل إلى الحصنين، وهما نينوى والموصل، تسمَّى نينوى الحصن الشرقي، وتسمَّى الموصل الحصن الغربي، وقال: اسبقِ الخبر، وسرِّح معه تغلب وإياد والنمر. فقدمهم ابن الأفكل إلى الحصنين، فسبقوا الخبر، وأظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالأبواب، وأقبل ابنُ الأفكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا أبوابهما، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، وصاروا ذمَّة. وقسموا الغنيمة، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف درهم، وبعثوا بالأخماس إلى عمر؛ وولَّى حربَ الموصل ربيعِي بن الأفكل، والخراجَ عَرْفَجَةَ بن هرثمة^(٢).

وقيل: إنَّ عمر بن الخطاب استعمل عُتْبَةَ بن فَرْقَدَ على قُصْدِ الموصل، وفتحها سنة عشرين، فأتاها فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها، وهو الشرقي، عَنوة، وعبر دجلة، فصالحه أهل الحصن الغربي، وهو الموصل، على الجزية، ثم فتح المرج وبانهذرا^(٣) وباعذرا وداسن^(٤) وجميع معاقل الأكراد^(٥). وقَرَدَى وبازْبُدَى وجميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين^(٦).

وقيل: إنَّ عِيَاضَ بن غَنَمَ لما فتح بَلَدًا، على ما نذكره، أتى المَوْصِلَ ففتح أحد الحصنين^(٧)، وبعث عُتْبَةَ بن فرقد إلى الحصن الآخر، ففتحته على الجزية والخراج^(٨)، والله أعلم.

(المُعْتَمَ: بضم الميم، وسكون العين المهملة، وآخره ميم مشددة).

(١) في الطبعة الأوربية «وأخذ بهم».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣٥/٤ - ٣٧، ونهاية الأرب ٢٣٦/١٩، ٢٣٧، والبداية والنهاية ٧١/٧، ٧٢.

(٣) في نسخة بودليان «بانهدار»، وفي فتوح البلدان «باهذري».

(٤) في فتوح البلدان «دامير»، وكذا في الخراج ٣٨١.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢٠، والخراج لقدامة ٣٨١.

(٦) نهاية الأرب ٢٣٧/١٩.

(٧) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٩ رقم ٨٢٩.

(٨) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢١، ونهاية الأرب ٢٣٧/١٩.

ذكر فتح ماسبذان

ولما رجع هاشم من جُلُولاء إلى المدائن بلغ سعداً أنَّ آذِينَ^(١) بن الهُرْمَزَان قد جمع جمعاً، وخرج بهم إلى السهل، فأرسل إليهم ضرار بن الخطّاب في جيش، فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار آذِينَ^(٢) أسيراً فضرب رقبتَه. ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان^(٣)، فأخذ ماسبذان عنوةً، فهرب أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة، فأرسل إليه فنزل الكوفة، واستخلف على ماسبذان بن الهذيل الأسديّ، فكانت أحد فروع الكوفة^(٤).

وقيل: إن فتحها كان بعد وقعة نهاوند^(٥).

ذكر فتح قرقيسيا

ولما رجع هاشم من جُلُولاء إلى المدائن، وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدّوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جنداً إلى أهل هيت، أرسل سعد عمر بن مالك بن عُتبة بن نوفل بن عبد مناف في جُند، وجعل على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ، فخرج عمر بن مالك في جُنده نحو هيت، فنازل من بها وقد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الأخبية على حالها، وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم^(٦)، وخرج في نصف النَّاس، فجاء قرقيسيا على غرّة، فأخذها عنوةً، فأجابوا إلى الجزية، وكتب إلى الحارث بن يزيد: إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخندق على خندقهم خندقاً بأبوابه، ممّا يليك، حتى أرى رأيي. فراسلهم الحارث، فأجابوا إلى العود إلى بلادهم، فتركهم وسار الحارث إلى عمر بن مالك^(٧).

* * *

(١) في الأصل «ادمر»، وفي النسخة (ب): «ارس».

(٢) سيروان: بكسر أوله، هي كورة ماسبذان، وقيل بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان. (معجم البلدان ٢٩٧/٣).

(٣) تاريخ الطبري ٣٧/٤، نهاية الأرب ٢٣٨/١٩، البداية والنهاية ٧٢/٧، وأنظر فتوح البلدان ٣٧٧ رقم ٧٧١.

(٤) أنظر فتوح البلدان ٣٧٧.

(٥) في تاريخ الطبري «محاصرهم».

(٦) تاريخ الطبري ٣٧/٤، ٣٨، نهاية الأرب ٢٣٨/١٩، ٢٣٩، البداية والنهاية ٧٣/٧.

وفيهَا غَرَّبَ عمرُ بنَ الخطَّابِ أبا مِحنَ الثَّقَفِيَّ إلى باضِع^(١).
وفيهَا تزَوَّجَ ابنُ عمرَ صَفِيَّةَ بنتَ أبي عبيد^(٢) أختَ المختار.
وفيهَا حمى عمرُ الرِّبْدَةَ لَخيلَ المسلمين^(٣).

وفيهَا ماتت مارية أمُّ إبراهيمَ ابنَ رسولِ الله، ﷺ، وصَلَّى عَلَيْهَا عمرُ ودفنَهَا بالبقيعِ
في المحَرَّمِ^(٤).

وفيهَا كُتِبَ عمرُ التاريخِ بمشورةِ عليِّ بنِ أبي طالب^(٥).

وحجَّ بالنَّاسِ في هذه السَّنة عمرُ بنَ الخطَّابِ، واستخلفَ على المدينة زيدُ بنُ
ثابت. وكان عُماله على البلاد الذين كانوا في السَّنة قبلَهَا، وكان على حربِ الموصلِ
رَبِيعيُّ بنُ الأَفْكلِ، وعلى خراجِهَا عَرْفَجَةُ بنُ هرثمة، وقيل: كان على الحربِ والخراجِ بِهَا
عُتْبَةُ بنُ فرقد، وقيل: كان ذلك كُلُّهُ إلى عبدِ الله بنِ المعتم. وعلى الجزيرةِ عِيَاضُ بنُ
غنم^(٦).

(١) في طبعة صادر ٥٢٦/٢ «ناضع» وهو تحريف، وما أثبتناه يتفق مع الطبري وياقوت في معجم البلدان ٣٢٤/١ حيث قال: باضع: الضاد معجمة، والعين مهملة - جزيرة في بحر اليمن. وانظر البداية والنهاية ٧٣/٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٣٨/٤ «عبيدة» وهو وهم، والصحيح ما أثبتناه. أنظر عنها: الطبقات الكبرى ٤٧٢/٨.

(٣) البداية والنهاية ٧٣/٧، ونهاية الأرب ٣٣٨/١٩.

(٤) تاريخ خليفة ١٣٥، تاريخ الطبري ٣٨/٤، مرآة الجنان ٧٢/١، البداية والنهاية ٧٤/٧، المعرفة والتاريخ ٣٠٥/٣، نهاية الأرب ٣٣٨/١٩.

(٥) الطبري ٣٨/٤، تاريخ يعقوبي ١٤٥/٢، البداية والنهاية ٧٣/٧، نهاية الأرب ٣٣٨/١٩.

(٦) في تاريخ الطبري ٣٩/٤ «عياض بن عمرو الأشعري».

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر بناء الكوفة والبصرة

في هذه السنة اختُطَّت الكوفة^(١) وتحول سعد إليها من المدائن.

وكان سبب ذلك أنَّ سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيَّرتنا. فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس، وكان قد حضر مع الوفد نفر من بني تغلب، ليعاقدوا عمرَ على قومهم، فقال لهم عمر: أعاقدهم على أنَّ مَنْ أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومَنْ أبى فعلية الجزية. فقالوا: إذن يهربون ويصيرون عجماء، وبذلوا له الصدقة، فأبى، فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم، فأجابهم على أن لا ينصروا وليداً، فهاجر هؤلاء التغلبيون ومَنْ أطاعهم من النمر وإياد إلى سعد بالمدائن، ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعدُ بالكوفة^(٢).

وقيل: بل كتب حذيفة إلى عمر: إنَّ العرب قد رقت^(٣) بطونها، وجفت^(٤) أعضادها^(٥)، وتغيرت ألوانها. وكان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه سعد: إنَّ الذي غيرهم وخومة البلاد، وإنَّ العرب لا يوافقها إلَّا ما وافق إبلها من البلدان. فكتب إليه عمر: أن ابعث سلمان وحذيفة راثنين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار

(١) تاريخ يعقوبي ١٥٠/٢، تاريخ الطبري ٤٠/٤، نهاية الأرب ٣٣٩/١٩، البداية والنهاية ٧٤/٧، فتح البلدان ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤٠/٤، نهاية الأرب ٣٣٩/١٩.

(٣) في تاريخ الطبري «أترفت»، وفي نهاية الأرب «نفت»..

(٤) عند الطبري ٤١/٤ «جفت»، وكذا عند النويري.

(٥) في نهاية الأرب «أعضاؤها»، والمثبت يتفق مع الطبري.

حُذيفة في شرقيّ الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكلّ رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة^(٩)، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرمة^(١٠)، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما، البقعة فنزلا فصلّيا ودعّوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات^(١١). فلمّا رجعا إلى سعد بالخبر وقدم كتاب عمر إليه أيضاً كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتّم أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا. فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة؛ وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية^(١٢) سنة وشهران، وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر^(١٣).

ولما نزلها سعد كتب إلى عمر: إنّي قد نزلت بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً بنبت الحلفاء^(١٤) والنّصي^(١٥)، وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقروا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً^(١٦)، واستقرّ منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها^(١٧).

فكتب إليهم: إنّ العسكر^(١٨) أشدّ^(١٩) لحربكم وأذكر^(٢٠) لكم، وما أحبّ أن أخالفكم. فابتنى أهل المصرين بالقصب.

ثمّ إنّ الحريق وقع في الكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشدّ حريقاً في سؤال، فبعث سعد نفرأ منهم إلى عمر يستأذنه^(٢١) في البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر الحريق

(٩) فتوح البلدان ٣٣٨ رقم ٦٩٩.

(١٠) في تاريخ الطبري ٤١/٤ «دير حرقة»، وكذلك في نهاية الأرب ٣٣٩/١٩.

(١١) تاريخ الطبري ٤١/٤، نهاية الأرب ٣٣٩/١٩، ٣٤٠.

(١٢) في تاريخ الطبري «وقعة المدائن».

(١٣) تاريخ الطبري ٤٢/٤.

(١٤) في تاريخ الطبري ٤٣/٤ «الجلي»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب. وانظر فتوح البلدان ٣٤١.

(١٥) النّصي: نبت سبط ناعم أبيض من أفضل المرعى.

(١٦) الطبري ٤٣/٤.

(١٧) نهاية الأرب ٣٤٠/١٩ وانظر في بناء الكوفة، تاريخ خليفة ١٣٨.

(١٨) في النسخة (ب): «أما أهل العسكر».

(١٩) عند الطبري ٤٣/٤ «أجد».

(٢٠) عند الطبري «أذكي».

(٢١) في الطبعة الأوربية «يستأذنه».

واستئذانه أيضاً، فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى البصرة بمثل ذلك.

وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك^(١)، وعلى تنزيل البصرة عاصم بن ذُلف أبو الجرباء^(٢)، وقدر المناهج أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقة سبع أذرع، والقطنع ستين ذراعاً، وأول شيء خُطَّ فيهما وبني مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع، فرمى في كل جهة بسهم، وأمر أن يُبنى ما وراء ذلك، وبني ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لثلاً يقتحمه أحد بنيان، وبنوا لسعد داراً بحياله، وهي قصر الكوفة اليوم، بناه روزبه من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل الأسواق على شبه^(٣) المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه^(٤).

وبلغ عمر أن سعداً قال وقد سمع أصوات الناس من الأسواق: سَكَنُوا^(٥) عني الصُّوَيْت^(٦)؛ وأنَّ الناس يسمونه قصر سعد، فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأمره أن يخرق^(٧) باب القصر ثم يرجع، ففعل، فبلغ سعداً ذلك فقال: هذا رسول أرسِلَ لهذا، فاستدعاه سعد، فأبى أن يدخل إليه، فخرج إليه سعد وعرض عليه نفقة، فلم يأخذ، وأبلغه كتاب عمر إليه: بلغني أنك اتخذت قصراً جعلته حصناً، ويسمى قصر سعد، بينك وبين الناس باب، فليس بقصرك، ولكنه قصر الخبال، انزل منه [منزلاً] ممّا يلي بيوت الأموال وأغلقة، ولا تجعل^(٨) على القصر باباً يمنع الناس من دخوله. فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، فرجع محمد فأبلغ عمر قول سعد، فصدّقه^(٩).

وكانت ثغور الكوفة أربعة: حُلوان وعليها القعقاع، وماسبذان وعليها ضرار بن

(●) فتوح البلدان ٣٣٩.

- (١) في الطبعة الأوربية «أبو الحرباء».
- (٢) عند الطبري ٤٥/٤ «سنة» وكذلك في نهاية الأرب ٣٤١/١٩.
- (٣) العبارة في الطبعة الأوربية: «حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه»، والخبر في تاريخ الطبري ٤٣/٤ - ٤٦، ونهاية الأرب ٣٤٠/١٩، ٣٤١، والبداية والنهاية ٧٥/٧، وفتوح البلدان ٣٣٩.
- (٤) عند الطبري ٤٧/٤ «سكن»، وفي النسخة (ب)، ونهاية الأرب ٣٤١/١٩ «سكنوا».
- (٥) في الطبعة الأوربية «السويط»، وفي نهاية الأرب «التصويت». وفي النسخة (ب): «الصوت».
- (٦) عند الطبري والنويري «يخرق»، وانظر: فتوح البلدان ٣٤١ رقم ٧٠٤.
- (٧) في طبعة صادر ٥٣٠/٢ «ولاً نجعل»، والتصحيح من الطبري ٧٤/٤، ونهاية الأرب ٣٤٢/١٩.
- (٨) الطبري ٤٧/٤، نهاية الأرب ٣٤٢/١٩، البداية والنهاية ٧٥/٧.

الخطّاب، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك، أو عمرو بن عُتبة بن نوفل، والموصل وعليها عبد الله بن المعتّم، وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها^(١).

وولي سعد الكوفة بعدما اختطّت ثلاث سنين ونصفاً، سوى ما كان بالمدائن قبلها^(٢).

ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين

وفي هذه السنة قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص، وكان المهيج للروم أهل الجزيرة، فإنهم أرسلوا إلى ملكهم ويعثوه على إرسال الجنود إلى الشام، ووعدوا من أنفسهم المعاونة، ففعل ذلك. فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضمّ أبو عبيدة إليه مسالحهم، وعسكر بفياء مدينة حمص، وأقبل خالد من قنسرين إليهم، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغياث، فأشار خالد بالمناجزة، وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر، فاطاعهم وكتب إلى عمر بذلك، وكان عمر قد اتخذ في كلّ مصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عُدةً لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس^(٣)، وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة، وفي كلّ مصر من الأمصار الثمانية على قدره، فإن تأتهم آتية^(٤) ركبها الناس وساروا إلى أن يتجهّز الناس.

فلما سمع عمر الخبر كتب إلى سعد: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وصرّحهم من يومهم، فإن أبا عبيدة قد أحيط به. وكتب إليه أيضاً: سرّح سهيل بن عدي إلى الرقة، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وأمره أن يسرّح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، ثم ليقتصد^(٥) حرّان والرّهاء، وأن يسرّح الوليد بن عُقبة^(٦) على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأن يسرّح عياض بن غنم، فإن كان قتال فأمّرهم إلى عياض.

فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم إلى حمص، وخرج عياض بن غنم

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤٩/٤، نهاية الأرب ٣٤٢/١٩.

(٢) الطبري ٥٠/٤، تاريخ اليعقوبي ١٥١/٢، الأخبار الطوال ١٢٩، نهاية الأرب ٣٤٢/١٩، البداية والنهاية ٧٥/٧.

(٣) الطبري ٥٠/٤، ٥١، نهاية الأرب ١٧٣/١٩، البداية والنهاية ٧٥/٧.

(٤) في النسخة (ب): «نايبة»، وفي نهاية الأرب ١٧٤/١٩ «ثابتة».

(٥) في تاريخ الطبري ٥١/٤ «لينفضا».

(٦) في الأصل «عتبة».

وأمرأء الجزيرة، وأخذوا طريق الجزيرة، وتوجّه كلٌّ أمير إلى الكورة^(١) التي أُمر عليها، وخرج عمر من المدينة، فأَتى الجابية لأبي عُبيدة مغياً يريد حمص.

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص، وهم معهم، خبرَ الجنود الإسلامية تفرّقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، فلَمَّا فارقوهم استشار أبو عُبيدة خالداً في الخروج إلى الروم، فأشار به، فخرج إليهم فقاتلهم، ففتح الله عليه، وقَدِم القعقاع بن عمرو بعد الواقعة بثلاثة أيّام، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحُكم في ذلك، فكتب إليهم: أن اشرِكُوهم فإنّهم نفروا إليكم وانفرد لهم عدوكم، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيراً، يكفون حوزتهم ويُمِدّون أهل الأمصار. فلَمَّا فرغوا رجعوا^(٢).

ذكر فتح الجزيرة وأرمينية

وفي هذه السنة فُتحت الجزيرة.

قد ذكرنا إرسال سعد العساكر إلى الجزيرة، فخرج عِياض بن غَنَم ومن معه، فأرسل سُهيلَ بن عديّ إلى الرّقة وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم، حين سمعوا بأهل^(٣) الكوفة، فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا في ذلك إلى عِياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة، فقبل منهم وصالحهم، وصاروا ذمّةً، وخرج عبد الله بن عَتبان على الموصل إلى نصيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كصنع أهل الرّقة، فكتبوا إلى عِياض فقبل منهم وعقد لهم. وخرج الوليد بن عُقبة فقدم على عرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم، إلّا إياد بن نزار، فإنّهم دخلوا أرض الروم، فكتب الوليدُ بذلك إلى عمر^(٤).

ولما أخذوا الرّقة ونصيبين ضمّ عِياض إليه سُهيلاً وعبد الله، وسار بالناس إلى حَرّان، فلَمَّا وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم. ثم إنَّ عِياضاً سَرَح سُهيلاً وعبد الله إلى الرّهاء فأجابوهما إلى الجزية، وأجروا كلٌّ ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمّة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً^(٥).

ورجع سُهيل وعبد الله إلى الكوفة. وكتب أبو عُبيدة إلى عمر بعد انصرافه من

(١) في الطبعة الأوربية «كورة».

(٢) تاريخ الطبري ٥١/٤، ٥٢، نهاية الأرب ١٩/١٧٤، البداية والنهاية ٧/٧٥، ٧٦.

(٣) في الأصل «سمعوا به أهل».

(٤) تاريخ الطبري ٥٣/٤، ٥٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥، البداية والنهاية ٧/٧٦، وانظر فتوح البلدان ٢٠٥.

(٥) الطبري ٥٤/٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥.

الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذا أخذ خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه، فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها، والوليد بن عقبة على عربها^(١).

فلما قديم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: بلغني أنّ حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتخرجنه إلينا أو لتخرجن النصارى إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم في ما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكل إبادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف. وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من تغلب إلا الإسلام، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم [فيها] إلا الإسلام، فدعهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام. وكان في تغلب عزّ وامتناع، فهم بهم الوليد، فخاف عمر أن يسطو عليهم فعزله، وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملي^(٢).

وقال ابن إسحاق: إنّ فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة، وقال: إنّ عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إذا فتح الله الشام والعراق فابعث جنداً إلى الجزيرة وأمر عليه خالد ابن عرفة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم. قال سعد: ما^(٣) آخر أمير المؤمنين عياضاً إلا لأن له فيه هوى وأنا موليه؛ فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعري، وابنه عمر ابن سعد ليس له من الأمر شيء، فسار عياض ونزل بجنده على الرهاء، فصالحه أهله مصالحة حرّان، وبعث أبا موسى إلى نصيبين فافتتحها، وسار عياض بنفسه إلى دارا فافتتحها، ووجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان بن المعطل، وصالح أهلها عثمان على الجزية. ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل^(٤).

فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، والأكثر على أنها من فتوح أهل الشام، فإن أبا عبيدة سار عياض بن غنم إلى الجزيرة.

وقيل: إنّ أبا عبيدة لما توفي استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص وقنسرين والجزيرة، فسار إلى الجزيرة سنة ثمان عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى ميمته سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن

(١) الطبري ٥٥/٤.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٥٥/٤، ٥٦، وبعضه في نهاية الأرب ١٩/١٧٦.

(٣) في الطبعة الأوروبية ولاه.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٥٣/٤، ونهاية الأرب ١٩/١٧٦، والبداية والنهاية ٧/٧٦.

المعطل، وعلى مقدمته هُبيرة بن مسروق^(١)، فانتَهت طليعة عِياض إلى الرِّقَّة، فأغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة، وبثَّ عِياض السَّرايا فاتوه بالأسرى والأطعمة، وكان حصرها ستَّة أيَّام، فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عِياض: الأرض لنا قد وطئناها وملكنها، فأقرَّها في أيديهم على الخراج ووضع الجزيرة. ثمَّ سار إلى حرَّان فجعل عليها عسكرياً يحصرها عليهم صفوان بن المعطل وحبیب بن مُسلمة، وسار هو إلى الرُّهاء، فقاتله أهلها، ثمَّ انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم، فطلب أهلها الصلح فصالحهم، وعاد إلى حرَّان فوجد صفوان وحبیباً قد غلبا على حصون وقُرى من أعمال حرَّان، فصالحه أهلها على مثل صلح الرُّهاء^(٢).

وكان عِياض يغزو ويعود إلى الرُّهاء، وفتح سُميساط، وأتى سَروج ورأس كيفا والأرض البيضاء، فصالحه أهلها على صلح الرُّهاء. ثمَّ إنَّ أهل سُميساط غدروا، فرجع إليهم عِياض فحاصرهم حتى فتحها، ثمَّ أتى قُريَّات على الفرات، وهي جسر منبج وما يليها، ففتحها وسار إلى رأس عين، وهي عين الوردية، فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تلٍّ موزن، ففتحها على صلح الرُّهاء سنة تسع عشرة، وسار إلى آمِد فحصرها، فقاتله أهلها، ثمَّ صالحوه على صلح الرُّهاء، وفتح مَيَّافارقين على مثل ذلك، وكفرتوثا، فسار إلى نصيبين فقاتله أهلها، ثمَّ صالحوه على مثل صلح الرُّهاء، وفتح طور عبدين وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد الحصنين، وقيل: لم يصل إليها، وأتاه بطريق الزَّوزان فصالحه، ثمَّ سار إلى أرَّزن ففتحها، ودخل الدرب فأجازه بدليس، وبلغ خِلاط فصالحه بطريقها، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثمَّ عاد إلى الرِّقَّة، ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين.

واستعمل عمر سعيد بن عامر بن جَذِيم، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات، فاستعمل عُمير بن سعد الأنصاري، ففتح رأس عين^(٣) بعد قتال شديد^(٤).

وقيل: إنَّ عِياضاً أرسل عُمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتدَّ قتاله عليها^(٥).

(١) في فتوح البلدان «وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي».

(٢) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٥، ٢٠٦، والخراج لقدامة ٣١٣، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.

(٣) في فتوح البلدان «عين الوردية».

(٤) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٨، ٢٠٩، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٢، والخراج لقدامة ٣١٣،

٣١٤، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.

(٥) فتوح البلدان ٢٠٩ رقم ٤٦٥.

وقيل: إنَّ عمر أرسل أبا موسى الأشعريَّ إلى رأس عين^(١) بعد وفاة عِياض^(٢).

وقيل: إنَّ خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عِياض، ودخل حمَّاماً بآمِد فاطَّلى بشيء فيه خمر فعزله عمر^(٣).

وقيل: إنَّ خالداً لم يسر تحت لواء أحد غير أبي عُبيدة. والله أعلم.

ولما فتح عِياض سُمَيْسَاط بعث حَبِيب بن مَسْلَمَة إلى مَلْطِيَة ففتحها عَنوةً، ثمَّ نقض أهلها الصلح، فلمَّا ولي معاوية الشام والجزيرة وجَّه إليها حَبِيب بن مسلمة أيضاً، ففتحها عَنوةً ورتَّب فيها جُنُداً من المسلمين مع عاملها^(٤).

ذكر عزل خالد بن الوليد

في هذه السنة، وهي سنة سبع عشرة، عُزل خالد بن الوليد عمَّا كان عليه من التقدُّم على الجيوش والسرايا.

وسبب ذلك أنَّه كان أدرب هو وعِياض بن غَنَم، فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجَّها من الجابية مرجعَ عمر إلى المدينة، وعلى حمص أبو عُبيدة، وخالد تحت يده^(٥) على قَنَسرين، وعلى دمشق يزيد، وعلى الأردنَّ معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مُجَرِّز، وعلى الساحل عبد الله بن قيس، فبلغ النَّاس ما أصاب خالد فانتجعهم رجال، وكان منهم الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف^(٦).

ودخل خالد الحَمَّام، فتدلَّك بغسل فيه خمر، فكتب إليه عمر: بلغني أنَّك تدلَّكت بخمر، وإنَّ الله قد حرَّم ظاهر الخمر وباطنه ومَسَّه، فلا تُمَسِّسوها^(٧) أجسادكم. فكتب إليه خالد: إِنَّا قتلناها فعدت غَسولاً غير حمر. فكتب إليه عمر: إنَّ آل المُغيرة ابتلوا بالجفاء، فلا أَمَاتكم الله عليه^(٨).

فلمَّا فرَّق خالد في الذين انتجعوه الأموال سمع بذلك عمر بن الخطَّاب، وكان لا

(١) في فتوح البلدان «عين الوردية».

(٢) فتوح البلدان ٢١٠، الخراج لقدامة ١٧٨.

(٣) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٦٨.

(٤) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٩٠، الخراج لقدامة ٣١٧.

(٥) في النسخة (ب): «لوايه».

(٦) تاريخ الطبري ٦٦/٤، ٦٧، نهاية الأرب ٣٤٢/١٩، ٣٤٣، البداية والنهاية ٨٠/٧.

(٧) في الطبعة الأوربية «يمسوها».

(٨) تاريخ الطبري ٦٦/٤، نهاية الأرب ٣٤٣/١٩.

يخفي عليه شيء من عمله، فدعا عمرُ البريدَ، فكتب معه إلى أبي عُبَيْدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، ويتزعم عنه قُلُوسُته حتى يُعلمكم من أين أجاز الأشعث، أمين ماله أم من مال إصابة أصابها، فإن زعم أنه فرقه من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانه، وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف، واعزله على كل حال واضمم إليك عمله. فكتب أبو عُبَيْدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالداً من أين أجاز الأشعث، فلم يُجبه، وأبو عُبَيْدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ونزع عمامته، فلم يمنعه سمعاً وطاعة، ووضع قُلُوسُته، ثم أقامه فعقله بعمامته وقال: بل من مالي؛ فأطلقه وأعاد قُلُوسُته، ثم عممه بيده ثم قال: نسعم ونطيع لولائنا، ونفخّم ونخدم موالينا.

قال: وأقام خالد متحيراً لا يدري أمعزول أم غير معزول، ولا يُعلمه أبو عُبَيْدة بذلك تكربة وتفخمة. فلما تأخر قدومه على عمر ظنّ الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه، فرجع إلى قُتَيْسرين، فخطب الناس وودّعهم، ورجع إلى حمص، فخطبهم ثم سار إلى المدينة، فلما قدم على عمر شكاه وقال: قد شكوتك إلى المسلمين، فبالله إنك في أمري لغير مجمل. فقال له عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهْمان، ما زاد على ستين ألفاً فللك^(١)، فقوم عمر ماله، فزاد عشرين ألفاً، فجعلها في بيت المال، ثم قال: يا خالد والله إنك عليّ لكریم، وإنك إليّ لحبيب. وكتب إلى الأمصار: إنني لم أعزل خالداً عن سُخْطِهِ ولا خيانة، ولكنّ الناس فخموه وفتنوا به، فخفت أن يوكّلوا إليه، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض^(٢) فتنة. وعوّضه عما أخذ منه^(٣).

ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفيها، أعني سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطاب، وبنى المسجد الحرام ووسّع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دُورهم في بيت المال حتى أخذوها^(٤)، وكانت عُمرته في رجب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مَحْرَمَة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف

(١) في النسخة (ب): «ذلك».

(٢) في النسخة (ب): «لعرض».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٦٧/٤، ٦٨، نهاية الأرب ٣٤٣/١٩، ٣٤٤، البداية والنهاية ٨٠/٧.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ٦٩/٢، تاريخ الطبري ٦٩/٤، نهاية الأرب ٣٤٥/١٩، شفاء الغرام للقاضي الفاسي (بتحقيقنا) ٣٥٩/١، تاريخ البعقوبي ١٤٩/٢.

وَحُوَيْطَب بن عبد العُزَّى وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهل المياه في أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة، فأذن لهم، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء^(١).

وفيهما تزوج عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة^(٢).

ذكر غزوة فارس من البحرين

قيل: كان عمر يقول لما أخذت الأهواز وما يليها: وددت أن بيننا وبين فارس حبلاً^(٣) من نار لا فصل إليهم منه ولا يصلون إلينا^(٤).

وقد كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر، فعزله عمر وجعل موضعه قدامة بن مظعون، ثم عزل قدامة وأعاد العلاء يناوي سعد بن أبي وقاص، ففاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بأهل القادسية وأزاح الأكاسرة جاء بأعظم مما فعله العلاء، فأراد العلاء أن يصنع في الفرس شيئاً، ولم ينظر في الطاعة والمعصية، وقد كان عمر نهاه عن الغزو في البحر^(٥)، ونهى غيره أيضاً أتباعاً لرسول الله ﷺ، وأبي بكر وخوف الغر^(٦). فندب العلاء الناس إلى فارس فأجابوه، وفرقهم أجناداً، على أحدها الجارود بن المعلّى، وعلى الآخر سوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوي، وخليد على جميع الناس، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا إلى إصطخر، وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهرير، فجالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فخطبهم ثم قال: أما بعد فإن القوم لم يدعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين^(٧). فأجابوه إلى ذلك، ثم صلوا الظهر، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً

(١) تاريخ الطبري ٦٩/٤، نهاية الأرب ٣٤٥/١٩.

(٢) تاريخ يعقوبي ١٤٩/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٣/٨، تاريخ الطبري ٦٩/٤، نهاية الأرب ٣٤٧/١٩، مرآة الجنان ٧٣/١، البداية والنهاية ٨١/٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٧٩/٤، ونهاية الأرب ٢٤٩/١٩ «جبل».

(٤) وفي تاريخ يعقوبي ١٥٥/٢ قول لعمر عن الروم يشبه ما هنا: «إذا ذكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم، لنا ما دونه وللروم ما وراءه».

(٥) في الأصل «عن البحرين».

(٦) في النسخة (ب): «الغزو».

(٧) سورة البقرة - الآية ٤٥.

بمكان يُدعى طاووس فُقتل سَوَّار والجارود^(١).

وكان خُليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجالةً ففعلوا، فُقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة، ثم خرجوا يريدون البصرة، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، وأخذت الفرسُ منهم طُرُقهم فعسكروا وامتنعوا.

ولما بلغ عمرَ صَنِيعِ العلاء أرسل إلى عُتْبَةَ بنِ غزوان يأمره بإنفاذ جُنْدٍ كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: فإنني قد ألقى في رُوعي كذا وكذا نحو الذي كان، وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه، تأمير سعد عليه.

فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عُتْبَةَ جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعَرْفَجَةُ بن هرثمة، والأحنف بن قيس، وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سَبْرَةَ بن أبي رُهم أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ، فسار بالناس وساحلَ بهم، لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سَبْرَةَ وخُليد، بحيث أخذ عليهم الطريق عُقَيْبُ وقعة طاووس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطَخرَ وحدهم، ومن شدَّ من غيرهم، وكان أهل إصطَخرَ حيث أخذوا الطريق على المسلمين، فجمعوا أهل فارس عليهم، فجاءوا من كلِّ جهة، فالتقوا هم وأبو سَبْرَةَ بعد طاووس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم، وعلى المشركين سَهْرُكٌ^(٢)، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة^(٣) البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثم انكفأوا بما أصابوا، وكان عُتْبَةَ كتب إليهم بالحثِّ وقلة العُرْجة^(٤)، فرجعوا إلى البصرة سالمين^(٥).

ولما أحرز عُتْبَةُ الأهواز وأوطأ فارس استأذن عمرَ في الحجِّ فأذن له، فلما قضى حَجَّه استعفاه، فأبى أن يُعْفِيه، وعزم عليه ليرجعنَّ إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات في بطن نخلة فُدفن، وبلغ عمرَ موته، فمرَّ به زائراً لقبره وقال: أنا قتلْتُكَ لولا أنَّه أَجَلٌ معلوم. وأثنى عليه خيراً ولم يختطَّ فيمن اختطَّ من المهاجرين، وإنما ورث ولدُة منزلهم من فاختة بنت غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفَّان، وكان حُباب مولاه قد لزم شيمته فلم يختطَّ، ومات عُتْبَةَ بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد، وذلك

(١) تاريخ الطبري ٧٩/٤، ٨٠، نهاية الأرب ٢٤٩/١٩، ٢٥٠.

(٢) في تاريخ الطبري ٨٢/٤ «شهرك».

(٣) النابتة: النشاء الصغار.

(٤) العُرْجة: المقام.

(٥) تاريخ الطبري ٨١/٤، ٨٢، نهاية الأرب ٢٥٠/١٩، البداية والنهاية ٨٤/٧.

بعد أن استنفذ الجند الذين بفارس ونزولهم البصرة، واستخلف على الناس أبا سبرة ابن أبي رهم بالبصرة، فأقره عمر بقیة السنة، ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها، فلم ينتقض عليه أحد، ولم يحدث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبي بكر. ثم استعمل أبا موسى على البصرة، ثم صُرف إلى الكوفة، ثم استعمل عمر ابن سُرَاقَة، ثم صُرف ابن سُرَاقَة إلى الكوفة من البصرة، وصُرف أبو موسى من الكوفة إلى البصرة، فعمل عليها ثانية^(١).

وقد تقدّم ذكر ولاية عُتبة بن غزوان البصرة، والاختلاف فيها سنة أربع عشرة.

ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

في هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة، واستعمل عليها أبا موسى، وأمره أن يُشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول؛ قاله الواقدي^(٢).

وكان سبب عزله أنه كان بين أبي بكر والمغيرة بن شعبة منافرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشرتين^(٣) في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشربته^(٤)، فهبّ الريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكر ليسده، فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلَي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا، وهم أبو بكر ونافع بن كَلْدَة وزياد بن أبيه، وهو أخو أبي بكر لأمه، وشبّل بن مَعبد البجلي، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: ومنّ هذه؟ قال: أم جميل بن الأفقم، وكانت من بني عامر بن صَعصعة، وكانت تُغشي المغيرة والأمراء، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها، فلما قامت عرفوها. فلما خرج المغيرة إلى الصلاة منعه أبو بكر وكتب إلى عمر، فبعث عمر أبا موسى أميراً على البصرة وأمره بلزوم السنة، فقال: أعني بعدة من أصحاب رسول الله، ﷺ، فإنهم في هذه الأمة كالملح. قال له: خذ من أحببت. فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً، منهم: أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر، وخرج معهم فقدم البصرة، فدفع الكتاب بإمارته إلى المغيرة، وهو أوجز كتاب وأبلغه: أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلم إليه ما في يدك والعجل. فأهدى إليه المغيرة وليلة تسمى عقيلة.

ورحل المغيرة ومعه أبو بكر والشهود، فقدموا على عمر، فقال له المغيرة: سل

(١) في الطبعة الأوربية «بابنه». والمخير في تاريخ الطبري ٨٢/٤، ٨٣. والبداية والنهاية ٨٥/٧.

(٢) الطبري ٦٩/٤.

(٣) في النسخة (ب) «مشرتين».

(٤) في النسخة (ب) «مشرفته».

هؤلاء الأعبُد كيف رأوني أمستقبلهم أم مستدبرهم، وكيف رأوا المرأة أو عرفوها، فإن كانوا مستقبلِي فكيف لم أستتر، أو مستدبرِي فبأي شيء استحلّوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيتُ إلا امرأتي! وكانت تشبهها. فشهد أبو بكر أنه رآه على أم جميل يُدخِلُه كالميل في المكحلة، وأنه رآهما مستدبرين، وشهد شبل ونافع مثل ذلك. وأمّا زياد فإنه قال: رأيته جالساً بين رجلَي امرأة، فرأيتُ قدمين مخضوبتين تخفقان، واستنّ مكشوفتين، وسمعتُ حفراً^(١) شديداً. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا. قال: هل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكن أشبهها. قال: فتنحّ. وأمر بالثلاثة فجلدوا الحدّ. فقال المغيرة: اشفني من الأعبُد. قال: اسكتْ أسكتْ الله نامتْك، أمّا والله لو نمت الشهادة لرجمتْك بأحجارك!^(٢)

ذكر الخبر عن فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى^(٣)

وفي هذه السنة فتحت الأهواز ومناذر ونهر تيرى، وقيل: كانت ست عشرة^(٤).

وكان السبب في هذا الفتح أنه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمته منهم مهرجانقدق وكور الأهواز، فلما انهزم قصد خوزستان فملكها وقاتل بها من أرادهم، فكان الهرمزان يُغير على أهل ميسان ودستيميسان من مناذر^(٥) ونهر تيرى^(٦). فاستمدّ عتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستيميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى، ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريظة^(٧)، وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة، فنزلا على حدود ميسان ودستيميسان بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم، فخرج إليهم^(٨) غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي،

(١) في تاريخ الطبري ٧٢/٤ «حفزاناً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٩/٤ - ٧٢، ونهاية الأرب ٣٤٥/١٩ - ٣٤٧، والأغاني ٩٥/١٦ - ٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧٢/٤، فتوح البلدان ٤٦٤، تاريخ خليفة ١٣٤ و ١٣٥، نهاية الأرب ٢٣٩/١٩، البداية والنهاية ٨٢/٧، الخراج لقدامة ٣٨٣.

(٤) في طبعة صادر ٥٤٢/٢ «سنة عشرين»، وما أثبتناه بالاعتماد على الطبري ٧٢/٤، وتاريخ خليفة ١٣٤ والنسخة (ب).

(٥) مناذر: بالفتح، والذال معجمة مكسورة. بلدتان بنواحي خوزستان. مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى. (معجم البلدان ١٩٩/٥).

(٦) نهر تيرى: بكسر التاء. بلد من نواحي الأهواز. (معجم البلدان ٣١٩/٥).

(٧) في النسخة (ب): «ريظة».

(٨) في الأصل «إليه».

فتركان نُعَيْماً [وَنُعَيْماً^(١)]، وأتيا سُلمى وحرملة وقالوا: أنتما من العشيرة وليس لكما منزل، فإذا كان يوم كذا وكذا فأنهدا للهَرْمَزَانَ، فَإِنْ أَحَدُنَا يَثُورُ بِمَنَازِرٍ، وَالْآخَرُ بِنَهْرِ تَيْرَى، فَنَقْتُلِ الْمُقَاتِلَةَ، ثُمَّ يَكُونُ وَجْهَنَا إِلَيْكُمْ، فَلَيْسَ دُونَ الْهَرْمَزَانِ شَيْءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَرَجَعَا وَقَدْ اسْتَجَابَا، وَاسْتَجَابَ قَوْمُهُمَا بَنُو الْعَمِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ خَوْزِسْتَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَأَهْلُ الْبِلَادِ يَأْمُنُونَهُمْ. فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ الْمَوْعِدِ بَيْنَ سُلمى وَحَرْمَلَةَ وَكُليبٍ، وَكَانَ الْهَرْمَزَانُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ نَهْرِ تَيْرَى وَبَيْنَ دُلْث^(٢)، وَخَرَجَ سُلمى وَحَرْمَلَةُ صَبِيحَتَهُمَا فِي تَعَبَةٍ، وَأَنْهَضَا نُعَيْماً وَمَنْ مَعَهُ، فَالْتَقَوْا هُمُ وَالْهَرْمَزَانُ بَيْنَ دُلْث^(٣) وَنَهْرِ تَيْرَى، وَسُلمى بْنُ الْقَيْنِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَنُعَيْمُ بْنُ مَقْرَنٍ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَاقْتَتَلُوا.

فَبَيْنَا هُمُ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ مَدَدٌ مِنْ قِبَلِ غَالِبٍ وَكُليبٍ، وَأَتَى الْهَرْمَزَانَ الْخَبْرُ بِأَنَّ مَنَازِرَ وَنَهْرَ تَيْرَى قَدْ أَخَذَا، فَكَسَرَ ذَلِكَ قَلْبَ الْهَرْمَزَانِ وَمَنْ مَعَهُ، وَهَزَمَهُ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ مَا شَاؤُوا وَأَصَابُوا مَا شَاؤُوا، وَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى شَاطِئِ دُجَيْلٍ، وَأَخَذُوا مَا دُونَهُ، وَعَسَكُرُوا بِحِيَالِ سَوَاقِ الْأَهْوَازِ، وَعَبَرَ الْهَرْمَزَانُ جِسْرَ سَوَاقِ الْأَهْوَازِ وَأَقَامَ، وَصَارَ دُجَيْلٌ بَيْنَ الْهَرْمَزَانِ وَالْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْهَرْمَزَانُ مَا لَا طَاقَةَ [لَهُ] بِهِ طَلَبَ الصَّلْحَ، فَاسْتَأْمَرُوا عُتْبَةَ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ عَلَى الْأَهْوَازِ كُلِّهَا وَمِهْرَجَانَقْدُقَ، مَا خِلَا نَهْرَ تَيْرَى وَمَنَازِرَ، وَمَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ سَوَاقِ الْأَهْوَازِ، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ سُلمى عَلَى مَنَازِرَ مَسْلُحَةً وَأَمَرَهَا إِلَى غَالِبٍ، وَحَرْمَلَةَ عَلَى نَهْرِ تَيْرَى وَأَمَرَهَا إِلَى كُليبٍ، فَكَانَا عَلَى مَسَالِحِ الْبَصْرَةِ. وَهَاجَرَتْ طَوَائِفٌ مِنْ بَنِي الْعَمِ فَتَزَلُّوا الْبَصْرَةَ.

وَوَقَدْ عُتْبَةُ وَفَدَّ إِلَى عَمْرِ، مِنْهُمْ: سُلمى وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَأَمَرَهُمْ عَمْرُ أَنْ يَرْفَعُوا حَوَائِجَهُمْ، فَكَلَّمَهُمْ قَالَ: أَمَّا الْعَامَّةُ فَأَنْتِ صَاحِبُهَا، وَطَلَبُوا لَأَنْفُسِهِمْ، [إِلَّا مَا كَانَ مِنْ] الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ كَمَا ذَكَرُوا، وَلَقَدْ يَعِزُّبُ^(٤) عَنْكَ مَا يَحِقُّ عَلَيْنَا لِإِنْهَازِهِ إِلَيْكَ مِمَّا فِيهِ صِلَاحُ الْعَامَّةِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْوَالِي فِيْمَا غَابَ عَنْهُ بِأَعْيُنِ أَهْلِ الْخَبْرِ، وَيَسْمَعُ بِأَذَانِهِمْ، فَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ نَزَلُوا فِي مِثْلِ حَذَقَةِ الْبَعِيرِ الْغَاسِقَةِ مِنَ الْعَيُونِ الْعِذَابِ وَالْجِنَانِ الْخَصَابِ، فَتَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ وَلَمْ يَحْصِدُوا، وَإِنَّا مَعَشَرَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ نَزَلْنَا سَبْحَةً^(٥)، زَعَقَةً^(٦) نَشَاشَةً^(٧)، طَرَفٌ لَهَا فِي الْفَلَاةِ وَطَرَفٌ لَهَا فِي الْبَحْرِ

(١) أَيِ نُعَيْمِ بْنِ مَقْرَنٍ وَنُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ.

(٢) نِي النِّسْخَةِ (ب) «ذُلْتُ». وَدُلْتُ أَوْ دُلْتُ. مَوْضِعُ بَنَوَاحِي الْأَهْوَازِ. أَنْظَرُ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢/٤٦٠ ذُلْتُ.

(٣) فِي النِّسْخَةِ (ب): «تَعَرَّفَ»، وَفِي الطَّبْعَةِ الْأُورُوبِيَّةِ «تَغَرَّبَ».

(٤) الْمَسْبَحَةُ: أَرْضُ ذَاتِ مَلَحٍ.

(٥) فِي طَبْعَةِ صَادِرِ ٥٤٤/٢ «وَعَقَّةٌ»، وَمَا أُثْبِتَتْهُ عَنِ الطَّبْرِ ٧٥/٤.

زَعَقَةٌ: أَيِ مَاؤُهَا مُرٌّ.

(٦) نَشَاشَةٌ أَوْ نَشَاشَةٌ: لَا يَجِفُّ ثَرَاها وَلَا يَنْبِتُ مَرْعَاها.

الأجاج، يجري^(١) إليها ما جرى^(٢) في مثل مريء النعامة، دارنا فَعَمَة، ووظيفتنا ضَيِّقَة^(٣)، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، درهمنا كبير، وقفيزنا صغير، وقد وسَّع الله علينا وزادنا في أرضنا، فوسَّع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة توظف^(٤) علينا ونعيش بها، فلما سمع عمر قوله أحسن إليهم وأقطعهم مما كان فيئاً لأهل كسرى وزادهم، ثم قال: هذا الفتى سيّد أهل البصرة. وكتب إلى عُتْبة فيه بأن يسمع منه ويرجع إلى رأيه، وردّهم إلى بلدهم.

وبينا الناس على ذلك من ذمّتهم مع الهرمزان، وقع بين الهرمزان وغالب وكُلب في حدود الأرضين اختلاف، فحضر سُلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وكُلباً محقّقين والهرمزان مبطلًا، فحالا بينهما وبينه، فكفر الهرمزان ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد وكفّ جنده، وكتب سُلمى ومن معه إلى عُتْبة بذلك، فكتب عُتْبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحُرْقُوص بن زُهَيْر السعديّ، كانت له ضُحْبة من رسول الله ﷺ، وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه. وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه: إمّا أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم. فقال: اعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر، فاقتتلوا ممّا يلي سوق الأهواز، فانهزم الهرمزان، وسار إلى رامهرمز، وفتح حُرْقُوص سوق الأهواز، ونزل بها واتَّسَعَتْ^(٥) له بلادها إلى تُسْتَر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر وأرسل إليه الأخماس^(٦).

ذكر صلح الهرمزان وأهل تُسْتَر مع المسلمين

وفي هذه السنة فُتِحَتْ تُسْتَر، وقيل: سنة ستّ عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة.

قيل: ولما انهزم الهُرمزان يوم سوق الأهواز وافتتحها المسلمون بعث حُرْقُوص جَزء بن معاوية في أثره^(٧) بأمر عمر إلى سوق الأهواز، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشَّعْر^(٨) ويعجزه الهرمزان، فمال جَزء إلى دُورق^(٩)، وهي مدينة سُرق، فأخذها

(١) في الطبعة الأوربية «يجر».

(٢) في الطبعة الأوربية «جر».

(٣) في الطبعة الأوربية «وطبقتنا ضيقة».

(٤) في الطبعة الأوربية «طبقة تطوف».

(٥) في النسخة (ب) «اتبعت»، وفي تاريخ الطبري ٧٦/٤ «اتسقت».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٧٢/٤ - ٧٦، ونهاية الأرب ٢٣٩/١٩ - ٢٤١.

(٧) في النسخة (ب) «عقبه».

(٨) في طبعة صادر ٥٤٥/٢ «الشعر»، وما أثبتناه عن الطبري ٧٧/٤، ونهاية الأرب ٢٤١/١٩.

(٩) دُورق: بفتح أوله، وسكون ثانيه. بلد بخوزستان، وهو قصبة كورة سُرق يقال لها دورق الفُرس. (معجم =

صافيةً، ودعا مَنْ هرب إلى الجزية، فأجابوه، وكتب إلى عمر وعُتْبة بذلك، فكتب عمر إلى حُرْقُوص وإليه بالمقام فيما غلبا عليه، حتى يأمرهما بأمره، فعمر جزء البلاد، وشقَّ الأنهار، وأحيا الموات. وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك، وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، ثم اصطَلَحوا على ذلك، وأقام الهرمزان والمسلمون بمنعونه إذا قصده الأكراد ويجيء إليهم. ونزل حُرْقُوص جبل^(١) الأهواز، وكان يشقُّ على الناس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه يأمره بنزول السهل، وأن لا يشقَّ على مسلم ولا معاهد، ولا تدرك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك وتذهب آخرتك. وبقي حُرْقُوص إلى يوم صَفِين، وصار حَرُورِيًّا، وشهد النهروان مع الخوارج^(٢).

ذكر فتح رامهرمُز وتُسْتَر وأسر الهرمُزان^(٣)

قيل: كان فتح رامهرمُز وتُسْتَر والسُّوس في سنة سبع عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين.

وكان سبب فتحها أن يزجَرْد لم يزل وهو بمرو يُثير^(٤) أهل فارس أسفاً على ما خرج من مُلكهم، فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز، وتعاقدوا على النصر، فجاءت الأخبار حُرْقُوص بن زُهَيْر وَجَزَاءً وسُلْمَى وَحَرْمَلَةَ، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز جُنْدًا كَثِيفًا مع النعمان بن مقرن، وعَجَلْ فليَنزِلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره. وكتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جُنْدًا كَثِيفًا، وأمر عليهم سهل^(٥) بن عديّ أcha سَهْلِيل، وابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم.

فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، ف خلف حُرْقُوصاً وسُلْمَى وَحَرْمَلَةَ، وسار نحو الهرمزان، وهو برامهرمُز. فلما سمع الهرمُزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة^(٦) ورجا أن يقتطعه^(٧) ومعه أهل فارس، فالتقى

= البلدان ٤٨٣/٢.

(١) في النسخة (ب): «قبل».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٧٧/٤ - ٧٩، نهاية الأرب ٢٤١/١٩، ٢٤٢، البداية والنهاية ٨٣/٧.

(٣) الفتوح لابن أعمش ٩/٢، فتوح البلدان ٤٦٧، تاريخ خليفة ١٤٠ و ١٤٤، الأخبار الطوال ١٣٠، تاريخ الطبري ٨٣/٤، الخراج لقدامة ٣٨٥، البدء والتاريخ ١٧٩/٥، نهاية الأرب ٢٤٢/١٩، البداية والنهاية ٨٣/٧.

(٤) في النسخة (ب): «يذكر سيرة».

(٥) في الطبعة الأوربية «وسعد».

(٦) في الطبعة الأوربية «بالشدة».

(٧) في الطبعة الأوربية «والرجاء أن يقتطفه».

النعمان والهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إنَّ الله، عزَّ وجلَّ، هزم الهرمزان، فترك رامهرمز ولحق بتُستر، وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها وصعد إلى إيذج، فصالحه تيرويه على إيذج، ورجع إلى رامهرمز فأقام بها. ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرمز، فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أنَّ الهرمزان قد لحق بتُستر، فساروا نحوه، وسار النعمان أيضاً، وسار حرقوص وسُلَيمى وحرملة وجزء، فاجتمعوا على تُستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجبال والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى، وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة، فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل، وقتل البراء بن مالك، وهو أخو أنس بن مالك، في ذلك الحصار إلى الفتح مائة مبارزة، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مثله مجزأة بن ثور وكعب بن ثور وعدة من أهل البصرة وأهل الكوفة، وزاحفهم المشركون أيام تُستر ثمانين زحفاً، يكون لهم مرة ومرة عليهم. فلما كان في آخر زحفٍ منها واشتدَّ القتال قال المسلمون: يا براء أقسم على ربك ليهزمهم^(١) [لنا]. قال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، وكان مُجاب الدعوة، فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، ثم دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون.

فبينما هم على ذلك، وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم، خرج رجل إلى النعمان يستأمنه، على أن يدلَّه على مدخل يدخلون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم: إنَّ آمتموني دلتكم على مكانٍ تأتون المدينة منه. فآمنوه في نشابة. فرمى إليهم بأخرى وقال: انهذوا من قِبَل مخرج الماء فإنكم تقتحمونها^(٢). فندب النَّاس إليه، فانتدب له عامر بن عبد^(٣) قيس وبشر كثير، ونهذوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلُّهم على المدخل إلى المدينة، فانتدب له بشر كثير، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، فدخلوا في السرب والنَّاس من خارج. فلما دخلوا المدينة كبروا فيها، وكبر المسلمون من خارج، وفتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها فأناموا كلَّ مقاتل، وقصد الهرمزانُ القلعة فتحصَّن بها، وأطاف به الذين دخلوا، فنزل إليهم على حكم عمر، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الرّاجل ألفاً، وجاء صاحب الرميّة والرجل الذي خرج بنفسه فأمنوهما ومن أغلق بابه معهما.

(١) في النسخة (ب) «لنهزمهم».

(٢) في النسخة (ب): «تستفتحونها»، وفي تاريخ الطبري ٨٥/٤ «ستفتحونها».

(٣) في إحدى النسخ «عبيد».

وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ، وَمِمَّنْ قَتَلَ الْهَرَمْزَانَ بِنَفْسِهِ مَجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ
وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ. وَخَرَجَ أَبُو سَبْرَةَ بِنَفْسِهِ فِي أَثَرِ الْمَنْهَزَمِينَ إِلَى السُّوسِ، وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَمَعَهُ
النَّعْمَانُ بْنُ مَقْرَنٍ وَأَبُو مُوسَى، وَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ فَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى بِرَدِّهِ إِلَى الْبَصْرَةِ،
وَهِيَ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةُ، فَانْصَرَفَ إِلَيْهَا مِنْ عَلَى السُّوسِ.

وَسَارَ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُلَيْبٍ الْفُقَيْمِيُّ إِلَى جُنْدِيسَابُورَ فَنَزَلَ عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنَ
الصَّحَابَةِ، وَأَمَرَ عُمَرُ عَلَى جُنْدِ الْبَصْرَةِ الْمُقْتَرِبِ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ رَبِيعَةَ أَحَدِ بَنِي رَبِيعَةَ وَهُوَ
صَحَابِيٌّ أَيْضًا، وَكَانَا مُهَاجِرَيْنِ، وَكَانَ الْأَسْوَدُ قَدْ وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: جِئْتُ
لَأَقْتَرِبَ إِلَى اللَّهِ بِصَحْبَتِكَ، فَسَمَّاهُ الْمُقْتَرِبَ.

وَأَرْسَلَ أَبُو سَبْرَةَ وَفَدَّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَيُفْهِمُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ
وَمَعَهُمُ الْهَرَمْزَانُ، فَقَدِمُوا بِهِ الْمَدِينَةَ، وَالْبَسُوهُ كَسُوته مِنَ الدِّبَاجِ الَّذِي فِيهِ الذَّهَبُ وَتَاجُهُ،
وَكَانَ مَكْلَلًا بِالْيَاقُوتِ، وَحَلِيته لِيَرَاهُ عُمَرُ وَالْمُسْلِمُونَ، فَطَلَبُوا عُمَرَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ
فَقِيلَ: جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ لَوْفَدَ مِنَ الْكُوفَةِ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ مُتَوَسِّدًا بُرْنُسَهُ، وَكَانَ قَدْ
لَبَسَهُ لِلْوَفْدِ، فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ تَوَسَّدَهُ وَنَامَ، فَجَلَسُوا دُونَهُ وَهُوَ نَائِمٌ وَالْذَّرَّةُ فِي يَدِهِ، فَقَالَ
الْهَرَمْزَانُ: أَيْنَ عُمَرُ؟ قَالُوا: هُوَ ذَا. فَقَالَ: أَيْنَ حَرَسُهُ وَحِجَابُهُ؟ قَالُوا: لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلَا
حَاجِبٌ وَلَا كَاتِبٌ. قَالَ: فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا. قَالُوا: بَلْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ. فَاسْتَيْقِظَ
عُمَرُ بِجَلْبَةِ النَّاسِ، فَاسْتَوَى جَالِسًا^(١)، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْهَرَمْزَانِ، فَقَالَ: الْهَرَمْزَانُ؟ قَالُوا:
نَعَمْ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ بِالْإِسْلَامِ هَذَا وَغَيْرَهُ أَشْبَاهَهُ! فَأَمَرَ بَنْزَعَ مَا عَلَيْهِ، فَزَعَوْهُ
وَالْبَسُوهُ ثَوْبًا صَفِيْقًا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا هَرَمْزَانُ، كَيْفَ رَأَيْتَ عَاقِبَةَ الْغَدْرِ وَعَاقِبَةَ أَمْرِ اللَّهِ؟
فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَعَلَبْنَاكُمْ، فَلَمَّا كَانَ
الْآنَ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا حُجَّتُكَ وَمَا عَذْرُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى؟
فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنِي قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكَ. قَالَ: لَا تَخَفْ ذَلِكَ، وَاسْتَسْقَى مَاءً فَاتَى بِهِ فِي
قَدَحٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ: لَوْ مِتُّ عَطْشًا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرِبَ فِي مِثْلِ هَذَا! فَاتَى بِهِ فِي إِنَاءٍ
يَرْضَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَقْتُلَ وَأَنَا أَشْرِبُ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرِبَهُ،
فَأَكْفَأَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعِيدُوا عَلَيْهِ وَلَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْعَطَشِ. فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي
فِي الْمَاءِ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ بِهِ. فَقَالَ عُمَرُ لَهُ: إِنِّي قَاتِلُكَ. فَقَالَ: قَدْ آمَنْتَنِي. فَقَالَ:
كَذِبْتَ. قَالَ أَنَسُ: صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ آمَنْتَهُ. قَالَ عُمَرُ: يَا أَنَسُ، أَنَا أَوْمَنْ قَاتِلَ
مَجْزَأَةَ بْنِ ثَوْرٍ وَالْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ! وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَّ بِمَخْرَجٍ أَوْ لَأَعَابِنُكَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ حَتَّى تَخْبِرَنِي وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرِبَهُ. وَقَالَ لَهُ مَنْ حَوْلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَقْبَلَ عَلَى

(١) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «جَالِسٌ».

الهرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تُسلم. فأسلم، ففرض له في الفين وأنزله المدينة؛ وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة، وكان يفقه [شيئاً من] الفارسية، إلى أن جاء المترجم.

وقال عمر للوفد: لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة، فلهذا ينتقضون بكم؟ قالوا: ما نعلم إلا وفاء. قال: فكيف هذا؟ فلم يشفه^(١) أحد منهم، إلا أن الأحنف قال له: يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وإن ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يُخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أننا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال: صدقتني والله! ونظر في حوائجهم وسرحهم. وأتى عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند، فأذن في الانسياح في بلاد الفرس^(٢).

(وقُتل محمد بن جعفر^(٣) بن أبي طالب شهيداً على تُستر، في قول بعضهم)^(٤).
(أُربك: بفتح الهمزة، وسكون الراء، وضَمّ الباء الموحدة، وفي آخره كاف: موضع عند الأهواز).

ذكر فتح السوس^(٥)

قيل: ولما نزل أبو سبرة على السوس، وبها شهريار أخو الهرمزان، أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد إلينا علمائنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان فيكم فستفتحونها.

وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس، وصار مكانه على أهل البصرة بالسوس المقرب بن ربيعة^(٦)، واجتمع الأعاجم بنهاوند، والنعمان على أهل الكوفة محاصراً أهل

(١) في الطبعة الأوروبية «أفلك يسفه».

(٢) تاريخ الطبري ٨٣/٤ - ٨٩، نهاية الأرب ٢٤١/١٩ - ٢٤٦، البداية والنهاية ٨٥/٧ - ٨٨.

(٣) أنظر عنه في: الوافي بالوفيات ٢٨٧/٢ رقم ٧٢١، وجمهرة أنساب العرب ٣٨ و٦٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٥) فتوح البلدان ٤٥٩ وما بعدها، الفتوح لابن أعمش ٦/٢، الخراج لقدامة ٣٨٤، تاريخ خليفة ١٤٠، تاريخ الطبري ٨٩/٤، نهاية الأرب ٢٤٦/١٩، البداية والنهاية ٨٨/٧.

(٦) في النسخة (ب): «فلان».

السوس مع أبي سبرة، وزرّ محاصراً أهل جُنْدَيْسابور. فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند من وجهه ذلك، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغازوهم، وكان صافي^(١) بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان، فأَتَى صافي^(٢) باب السوس، فدَقَّه برجله فقال: انفتح بظار^(٣)! وهو غضبان، فتَقَطَّعت السلاسل وتكسَّرت الأغلاق وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم ونادوا: الصلح الصلح. فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعدما دخلوها عَنوةً، واقتسموا ما أصابوا.

ثم افترقوا، فسار النُّعمان حتى أَتَى^(٤) نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على جُنْدَيْسابور مع زرّ.

وقيل لأبي سبرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما عليّ^(٥) بذلك! فأقرَّه في أيديهم.

وكان دانيال قد لَزِمَ نواحي فارس بعد بُخْت نَصْر. فلَمَّا حضرته الوفاة ولم يَرِ أحداً على الإسلام أكرم كتاب الله عَمَّنْ لم يجبه، فقال لابنه: ائت ساحل البحر فاقدِفْ بهذا الكتاب فيه، فأخذَه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له: قد فعلتُ. قال: ما صنع البحر؟ قال: ما صنع شيئاً. فغضب وقال: والله ما فعلتُ الذي أمرتُك به! فخرج من عنده وفعل فعلته الأولى. فقال: كيف رأيتَ البحر صنع؟ قال: ماج واصطفق. فغضب أشدَّ من الأول وقال: والله ما فعلتُ الذي أمرتُك به. فعاد إلى البحر وألقاه فيه، فانفلق البحرُ عن الأرض، وانفجرت له الأرض عن مثل التَّنور، فهوى فيها، ثم انطبقت عليه واختلط الماء، فلَمَّا رجع إليه وأخبره بما رأى قال: الآن صدقت. ومات دانيال بالسوس، وكان هناك يُستسقى بجسده، فاستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه^(٦).

وقيل في أمر السوس: إنَّ يزدجَرْد سار بعد وقعة جَلُولاء فنزل إِصْطَخْر، ومعه سياه^(٧) في سبعين من عظماء الفرس، فوجَّهه إلى السوس والهرمزان إلى تُسْتَر، فنزل سياه الكلثانية^(٨)، وبلغ أهل السوس أمرُ جَلُولاء ونزول يزدجَرْد إِصْطَخْر، فسألوا أبا موسى

(١) في الطبعة الأوربية «مناف». وفي تاريخ الطبري ٩٢/٤ «صارف».

(٢) في تاريخ الطبري «فطار».

(٣) في الأصل زيادة «أهل».

(٤) في الأصل «علمي».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٩١/٤ - ٩٣، وبعضه في نهاية الأرب ٢٤٦/١٩، ٢٤٧، وانظر كتاب الفتوح لابن

أعثم ٧/٢ - ٩، والبدء والتاريخ ١٨٧/٥.

(٦) في النسخة (ب): «سياه».

(٧) في فتوح البلدان «الكلبانية».

الصلح، وكان محاصراً لهم، فصالحهم وسار إلى رامهرمز، ثم سار إلى تَستَر، ونزل سياه بين رامهرمز وتَستَر، ودعا مَنْ معه من عظماء الفرس وقال لهم: قد علمتم أننا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر، ويشدون خيولهم في شجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك. قال: أرى أن تدخلوا في دينهم. ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى، فشرط عليهم أن يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب، وإن قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم، وينزلوا حيث شاؤوا، ويلحقوا بأشرف العطاء، ويعقد^(١) لهم ذلك عمر على أن يسلموا، فأعطاهم عمر ما سألوا، فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تَستَر^(٢). ومضى سياه إلى حصن قد حاصره المسلمون في زِيّ العجم، فألقى نفسه إلى جانب الحصن، ونضح ثيابه بالدم، فرآه أهل الحصن صريعاً، فظنوه رجلاً منهم، ففتحو باب الحصن ليدخلوه إليهم، فوثب وقاتلهم حتى خلّوا عن الحصن وهربوا، فملكه وحده^(٣).
وقيل: إن هذا الفعل كان منه بتَستَر.

ذكر مصالحة جُنْدِيسَابُور

وفي هذه السنة سار المسلمون عن السُّوس فنزلوا بجُنْدِيسَابُور، وزر بن عبد الله محاصره، فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرمى إلى مَنْ بها من عسكر المسلمين بالأمان، فلم يفجأ المسلمين إلا وقد فتحت أبوابها وأخرجوا أسواقهم، وخرج أهلها، فسألهم المسلمون، فقالوا: رميت بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية. فقالوا: ما فعلنا! وسأل المسلمون فإذا عبد يُدعى مكثف^(٤) كان أصله منها فعل هذا، فقالوا: هو عبد. فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحرّ، وقد قبلنا الجزية وما بدّلنا^(٥)، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم، فأمنوهم وانصرفوا عنهم^(٦).

ذكر مسير المسلمين إلى كرمان وغيرها

قيل: في سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، وانتهى

(١) في النسخة (ب): «يعهد».

(٢) الخبر إلى هنا في فتوح البلدان ٤٦١ رقم ٩٣٠، وانظر الفتوح لابن أعثم ٦/٢، ٧.

(٣) البداية والنهاية ٨٩/٧.

(٤) في النسخة (ب) «مكثف»، وفي تاريخ الطبري، ونهاية الأرب «مكثف».

(٥) في النسخة (ب): «بدلنا».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٩٣/٤، ٩٤، ونهاية الأرب ٢٤٧/١٩.

في ذلك إلى رأي الأحنف، فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة، فيكون هناك حتى يأتيه أمره، وبعث بالوية مَنْ وَلَّى مع سهيل بن عديّ، فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير خُره وسابور إلى مُجاشع بن مسعود السُّلَميّ، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفيّ، ولواء فُسا ودارابجرد إلى سارية بن زُئيم الكِنانيّ، ولواء كُرمان إلى سُهَيْل بن عديّ، ولواء سَجِسْتان إلى عاصم بن عمرو، وكان من الصحابة، ولواء مُكران إلى الحَكَم بن عُمر التُّغَلبيّ، فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم إلى سنة ثمانى عشرة، وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة، فأمدَّ سهيل بن عديّ بعبد الله بن عَتْبان، وأمَدَّ الأحنف بعلقمة بن النضر، وبعبد^(١) الله بن أبي عَقِيل، وِبرُئعيّ بن عامر، وأمَدَّ عاصم بن عمرو بعبد الله بن عُمير الأشجعيّ، وأمَدَّ الحَكَم بن عُمير بشهاب بن المخارق في جموع^(٢).

وقيل: كان ذلك سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وسنذكر كيفية فتحها هناك وذكر أسبابها إن شاء الله تعالى.

* * *

وكان على مكّة هذه السنة عَتَاب بن أُسيد في قول، وعلى اليمن يَغْلِي بن مُنية^(٣)، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حُذَيْفَة بن مِحْصَن، وعلى الشام مَنْ ذُكِرَ قَبْلُ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قُرّة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى، وعلى القضاء أبو مريم الحنفيّ، وقد ذُكِرَ مَنْ كان على الجزيرة والموصل قبل^(٤).

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب^(٥).

(١) في النسخة (ب): «وبعبد».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٩٣/٤، ٩٤، ونهاية الأرب ٢٤٨/١٩، ٢٤٩.

(٣) في تاريخ الطبري ٩٤/٣ «يعلى بن أمية» وهو غلط.

(٤) تاريخ الطبري ٩٤/٤، ٩٥.

(٥) تاريخ الطبري ٩٤/٤.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرمادة

في سنة ثمانى عشرة أصاب النَّاسَ مجاعة شديدة وجذب وقحط، وهو عام الرمادة^(١)، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد فسُمِّي عام الرمادة، واشتدَّ الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها^(٢). وفيه أيضاً كان طاعون عَمَواس^(٣).

وفيه ورد كتاب أبي عُبَيْدة على عمر يذكر فيه أنَّ نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم: ضِرار وأبو جندل، فسألناهم فتأولوا^(٤)، وقالوا: خَيْرنا فاخترنا. قال: فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم، فكتب إليه عمر: إِنَّمَا منعناه^(٥)، فانتهوا، وقال له: ادعهم على رؤوس النَّاس وسلِّهم أحلالَ الخمر أم حرام، فإن قالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا: بل حرام، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث، فحدث عام الرمادة^(٦). وأقسم عمر أن لا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحماً حتى يحيا النَّاس^(٧). فقدِّمت السوق

(١) تاريخ خليفة ١٣٨، تاريخ اليعقوبي ١٥٠/٢، البدء والتاريخ ١٨٦/٥، تاريخ الطبري ٩٦/٤، نهاية الأرب ٣٥١/١٩، البداية والنهاية ٩٠/٧، مآثر الإنافة للقلقشندي ٩١/١، الطبقات الكبرى ٣١٠/٣، المعرفة والتاريخ ٣٠٦/٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٩٨/٤ «قبحها».

(٣) تاريخ خليفة ١٣٨، البدء والتاريخ ١٨٦/٥، المعرفة والتاريخ ٣٠٦/٣، تاريخ دمشق ٥٥٥/١. تاريخ اليعقوبي ١٥٠/٢، مرآة الجنان ٧٣/١، تاريخ الطبري ٩٦/٤، مآثر الإنافة ٩١/١، نهاية الأرب ٣٥٣/١٩، البداية والنهاية ٩٠/٧.

(٤) في طبعة صادر ٥٥٥/٢ «فتابوا»، وما أثبتناه عن الطبري ٩٦/٤.

(٥) في نسختي المتحف البريطاني وبودليان «معناه».

(٦) حتى هنا ينقل المؤلف - رحمه الله - عن الطبري ٩٦/٤، ٩٧.

(٧) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٣/٣.

عُكَّةُ سمن ووطب من لبن، فاشتراها غلام لعمر بأربعين درهماً، ثم أتى عمرَ فقال: يا أمير المؤمنين قد أبرَّ الله يمينك وعظَّم أجرك، قدِم السوق وطب من لبن وعُكَّة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً. فقال عمر: أغلِيتُ^(١) بهما فتصدَّق بهما فإنِّي أكره أن أكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني شأن الرعيَّة إذا لم يصبني ما أصابهم!^(٢).

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدِّهم، فكان أوَّل مَنْ قدِم عليه أبو عُبَيْدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولَّاه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله، وتتابع النَّاس واستغنى أهل الحجاز^(٣).

وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم، وأرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ولم يرَ أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حُبِس عنهم البحر مع مقتل عثمان، فذلَّوا وتقاصروا، وكان النَّاس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار^(٤).

فقال أهل بيتٍ من مُزيَّنة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبح لنا شاة. قال: ليس فيهنَّ شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح فسليخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمَّداه! فأري في المنام أنَّ رسول الله، ﷺ، أتاه فقال: ابشِّر بالحيا^(٥)، إيتِ عمرَ فأقرئه منِّي السلام وقلْ له إنِّي عهدتُك وأنت وفي^(٦) العهد شديد العقد، فالكيسَ الكيسَ يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله، ﷺ، فأتى عمرَ فأخبره، ففرح وقال: رأيتُ به مسأ؟ قال: لا، فأدخله، وأخبره الخبر، فخرج فنادى في النَّاس وصعد المنبر فقال: نشدتُكم الله الذي هداكم هل رأيتم [منِّي] شيئاً تكرهون؟ قالوا: اللهم لا، ولم ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفتن عمر، فقالوا: إنَّما استبطأك في الاستسقاء، فاستسقى بنا. فنادى في النَّاس، وخرج معه العباس ماشياً، فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال: اللهم عجزتُ عنا وأنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزتُ عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بك، اللهم فاسقنا وأخي العبادَ والبلاد^(٧)! وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عمَّ رسول الله، ﷺ، وإنَّ دموع العباس لتتحدَّر على لحيته،

(١) في النسخة (ب): «أغلِيتُ»، وفي الطبعة الأوربية «اعلِيتُ».

(٢) تاريخ الطبري ٩٨/٤.

(٣) تاريخ الطبري ١٠٠/٤.

(٤) تاريخ الطبري ١٠٠/٤ وانظر الطبقات الكبرى ٣١٠/٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «الحياة». والحيا: المطر.

(٦) في الطبعة الأوربية «في».

(٧) النص حتى هنا عند الطبري ٩٩/٤، ١٠٠، والبداية والنهاية ٩١/٧.

فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك^(١)، وبقية آباءه وكبر رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(٢) فحفظتهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهم نبيك، ﷺ، في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين. ثم أقبل على الناس فقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً^(٣).

وكان العباس قد طال عمره، وعينه تذر فان، ولحيته تجول على صدره وهو يقول: اللهم أنت الراعي فلا تُهمل الضالّة، ولا تدع الكسير بدار مضية، فقد صرخ الصغير، ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرّ وأخفى، اللهم فأغنيهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا يئأس إلا القوم الكافرون. فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون ترون! ثم التأمّت ومشّت فيها ريح ثم هدأت ودرّت، فوالله ما تروّحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلّصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسخون أركانه ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين! فقال الفضل بن^(٤) العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيئته عُمُرُ
توجه بالعباس في الجذب راغباً^(٥) إليه فما^(٦) إن رام حتى أتى المطرُ
ومنا رسول الله فينا ثرائه فهل فوق هذا للمفاخر مُفتخر^(٧)

ذكر طاعون عمّواس

في هذه السنة كان طاعون عمّواس بالشام، فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، مات وأبوه حي، وتفانى الناس منه.

قال طارق بن شهاب: أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدّث عنده فقال: لا عليكم أن تخفّوا^(٨)، فقد أصيب في الدار إنسان، ولا عليكم أن تنزّوها من هذه القرية، فتخرجوا في فسح^(٩) بلادكم ونزّوها حتى يُرفع هذا الوباء، وسأخبركم بما يُكره ويُتقى،

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ٣/٣٢١، وسير أعلام النبلاء ٩٣/٢.

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٣) نهاية الأرب ١٩/٣٥١، ٣٥٢.

(٤) القول في سير أعلام النبلاء ٩٤/٢ للعباس بن عتبة.

(٥) في النسخة (ب): «راعي».

(٦) في الطبعة الأوربية «مما».

(٧) سير أعلام النبلاء ٩٤/٢، نهاية الأرب ١٩/٣٥٣.

(٨) في الطبعة الأوربية «تخفّوا».

(٩) في تاريخ الطبري ٤/٦٠ «فسيح».

من ذلك أن يظنَّ مَنْ خرج أنه لو أقام مات، ويظنَّ مَنْ أقام فأصابه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظنَّ المسلم هذا فلا عليه أن يخرج؛ إني كنت مع أبي عُبيدة بالشام عام طاعون عَمَواس، فلَمَّا اشتعل الوجد، وبلغ ذلك عمرَ كتب إلى أبي عُبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد فقد عَرَضْتُ لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمتُ عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تُقبل. فعرف أبو عُبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد عرفتُ حاجتك إليّ، وإني في جُندٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضائه، فحللني^(١) من عزيمتك. فلَمَّا قرأ عمر الكتاب بكى، فقال النَّاس: يا أمير المؤمنين، أमत أبو عُبيدة؟ فقال: لا، وكأنَّ قد.

وكتب إليه عمر ليرفعنَّ بالمسلمين من تلك الأرض، فدعا أبا موسى فقال له: ارتدَّ للمسلمين منزلاً. قال: فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل، فوجدتُ صاحبتي قد أُصيبت. فرجعتُ إليه فقلتُ له: والله لقد كان في أهلي حَدَثٌ. فقال: لعلَّ صاحبتك أُصيبت؟ قلتُ: نعم. قال: فأمر ببيعيره فُرِحِل له. فلَمَّا وضع رجله في عَرْزهِ طُعن، فقال: والله لقد أُصِبتُ! ثم سار بالنَّاس حتى نزل الجابية.

وكان أبو عُبيدة قد قام في النَّاس فقال: أيها النَّاس، إنَّ هذا الوجد رحمة ربِّكم ودعوة نبيِّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنَّ أبا عُبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظُّه، فطعن فمات. واستُخِلَف على النَّاس مُعَاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيها النَّاس، إنَّ هذا الوجد رحمة ربِّكم ودعوة نبيِّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنَّ مُعَاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعَاذ حظُّهم. فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته، فلقد كان يقبلُها ثم يقول: ما أحبُّ أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلَمَّا مات استُخِلَف على النَّاس عمرو بن العاص، فخرج بالنَّاس إلى الجبال، ورفع الله عنهم، فلم يكره عمر ذلك من عمرو^(٢).

وقد قيل: إنَّ عمر بن الخطَّاب قدِم الشام، فلَمَّا كان بسَرْع^(٣) لقيه أمراء الأجناد، فيهم أبو عُبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدَّته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين الأولين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل:

(١) في الطبعة الأوربية «فحليني».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٠/٤ - ٦٢.

(٣) سَرْع: بفتح أوله، وسكون ثانيه. أول الحجاز وآخر الشام بين المُعَيَّة وتبوك من منازل حاج الشام. (معجم البلدان ٣/٢١١، ٢١٢).

خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا، ومنهم القائل: إنه بلاء، وفناء، فلا نرى أن تقدّم عليه. فقال لهم: قوموا، ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود، فنادى عمر في الناس: إني مُصَبِّحٌ على ظَهْر. فقال أبو عُبَيْدَة: أفراراً من قَدَرِ الله؟ فقال: نعم نفرّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله، أرايت لو كان لك إبل فهيّطت وادياً له عُذْوَتان، إحداهما مخضبة والأخرى جذبة، أليس إن رعيت الخضبة رعيتها بقَدَرِ الله، وإن رعيت الجذبة رعيتها بقَدَرِ الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال: إن النبي، ﷺ، قال: «إذا سمعتم بهذا البلاء ببلد فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه». فانصرف عمر بالناس إلى المدينة.

وهذه الرواية أصحّ، فإن البخاري ومسلماً^(١) أخرجاها في صحيحيهما^(٢)، (ولأنّ أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام، لكن هكذا ذكره وإنما أوردناه لننبّه عليه)^(٣).

(عمّواس: بفتح العين المهملة والميم والواو، وبعد الألف سين مهملة. وسرغ^(٤): بفتح السين المهملة، وسكون الراء المهملة، وآخره غين معجمة).

ومعنى قوله: دعوة نبيكم، حين جاءه جبرائيل فقال: فناء أمتك بالطعن أو الطاعون. فقال رسول الله، ﷺ: «فبالطاعون»^(٥).

* * *

ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها، واستعمل شرحبيل بن حسنّة على جُند الأردنّ وخراجها. وأصاب الناس من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ٢١/٧ باب ما يُذكر في الطاعون، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس. ولفظه: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». وأخرجه مسلم في كتاب السلام ٢٢١٩/٩٨، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. (١٧٤٠/٤) وانظر: البدء والتاريخ ١٨٦/٥، وتاريخ الطبري ٥٧/٤، ٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «صحيحهما».

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٤) في طبعة صادر ٥٦٠/٢ «سرغ» بالعين المهملة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨١/٥ عن عبد الله، عن أبيه، عن يزيد، عن مسلم بن عبيد أبي نصير، قال: سمعت أبا عسيب مولى رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام بالحُمى والطاعون، فأمسكت الحُمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين».

الموت ما لم يروا مثله قط، وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه، مكث شهوراً، وأصاب الناس بالبصرة مثله، وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفاً^(١).

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك الناس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من الموارث، فجمع الناس واستشارهم وقال لهم: قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وفي القوم كعب الأحبار، وفي تلك السنة أسلم، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، بأيها تريد أن تبدأ؟ قال: بالعراق. قال: فلا تفعل فإن الشر عشرة أجزاء، تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب، والخير عشرة أجزاء، تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق، وبها قرن الشيطان وكلّ داء عضال. فقال عليّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنّها لقبة الإسلام، ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلّا وحنّ إليها، ليتصرنّ بأهلها^(٢) كما انتصر بالحجارة من قوم لوط. فقال عمر: إنّ موارث أهل عمّواس قد ضاعت، أبدأ بالشام فأقسم الموارث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثم أرجع فأقلب^(٣) في البلاد، وأبدي^(٤) إليهم أمري^(٥).

فسار عن المدينة، واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، واتخذ أيلة طريقاً، فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله^(٦) فرو مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه الناس قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم، يعني نفسه، فساروا أمامهم، وانتهى هو إلى أيلة فنزلها، وقيل للمتلقين^(٧): قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها، فرجعوا [إليه]. وأعطى عمر الأسقف^(٨) بها قميصه، وقد تحرق ظهره، ليغسله ويرقعه، ففعل، وأخذه ولبسه، وخاط^(٩) له الأسقف قميصاً غيره فلم يأخذه^(١٠). فلما قديم الشام قسّم الأرزاق، وسَمي الشواتي

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٠/٢، تاريخ الطبري ٦٢/٤، ٦٣ و ١٠١.

(٢) في الطبعة الأوربية «لنصرنّ أهلها».

(٣) في الطبعة الأوربية «فأقلب».

(٤) في الطبعة الأوربية «وأبتدي». وفي الطبري «أنبذ».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٥٨/٤، ٥٩.

(٦) في الطبعة الأوربية «رجله» وهو تحريف.

(٧) في الطبعة الأوربية «للملتقين».

(٨) الأسقف عند النصارى: القسيس، وهو دون المطران.

(٩) في الطبعة الأوربية «وأخاط».

(١٠) روى أغاباوس بن قسطنطين المنبجي أسقف منبج في تاريخه أن بطريرك أورشليم رأى لباس عمر وسخا - =

والصوائف، وسدّ فروج الشام ومسالحها، وأخذ يدورها^(١)، واستعمل عبد الله بن قيس^(٢) على السواحل من كل كورة، واستعمل معاوية، وعزل شُرْحِبِيلَ بن حَسَنَةَ وقام بعذره^(٣) في الناس وقال: إني لم أعزله عن سخطة، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل. واستعمل عمرو بن عُتْبَةَ^(٤) على الأهراء. وقسم موارث أهل عَمَواس، فورث بعض الورثة من بعض، وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم. وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلا أربعة^(٥).

ورجع عمر إلى المدينة في ذي القعدة^(٦).

ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذن، فأمره فأذن، فما بقي أحد أدرك النبي، ﷺ، وبلال يؤذن إلا وبكى حتى بلّ لحيته، وعمر أشدهم بكاءً، وبكى من لم يدرکه ببيكائهم ولذكرهم رسول الله، ﷺ^(٧).

قال الواقدي^(٨): إن الرُّهاء وحرّان والرّقة فتحت هذه السنة على يد عياض بن غنم، وإن عين الوردية، وهي رأس عين، فتحت فيها على يد عُمَيْر بن سعد، وقد تقدّم شرح فتحها.

في هذه السنة في ذي الحجة حوّل عمر المقام إلى موضعه اليوم، وكان مُلصَقاً بالبيت^(٩).

= وكان صوّفاً - فسأله أن يقبل منه كسوة، فأبى عليه، ولجّ البطريق، فقال له عمر: إفعل بي خلة. خذ ثيابي هذه فادفعها إلى من يغسلها، وأعزني هذه الثياب التي جئتني بها لألبسها إلى أن تغسل ثيابي وأردّها إليك. ففعل البطريق بها ذلك، وأخذ ثياب عمر فدفعها إلى غَسّال، فلما فرغ منها أتاه بها، فلبسها وردّ عليه ثيابه. (المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) - ٥٠) والخبر في تاريخ الطبري ٦٤/٤، ونهاية الأرب ٣٦١/١٩.

(١) في تاريخ الطبري «يدور بها».

(٢) أنظر عنه في: تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٣٠٢/٦، سير أعلام النبلاء ٥٩٤/٤، وفي نهاية الأرب ٣٦١/١٩ «عبد الله بن قيس».

(٣) في النسخة (ب): «يعرفه».

(٤) في تاريخ الطبري ٦٥/٤ «عَبَسَة»، وفي نهاية الأرب ٣٦٢/١٩ «عَبَسَة».

(٥) تاريخ الطبري ٦٤/٤، ٦٥، نهاية الأرب ٣٦١/١٩ - ٣٦٣.

(٦) في تاريخ الطبري ٦٥/٤ «في ذي الحجة». والمثبت يتفق مع النويري ٣٦٣/١٩.

(٧) تاريخ الطبري ٦٦/٤، أسد الغابة ١/٢٤٤، ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ٣٥٧/١ و٣٥٨، نهاية الأرب ٣٦٣/١٩.

(٨) تاريخ الطبري ١٠١/٤، البداية والنهاية ٩٣/٧.

(٩) الطبري ١٠١/٤، البداية والنهاية ٩٣/٧.

وفيها استقضى عمرُ شُرَيْحَ بن الحارث الكِنْدِيَّ على الكوفة، وعلى البصرة
كعب بن سُور الأزدي. وكانت الولاية^(١) على الأمصار الولاية [الذين كانوا عليها] في السنة
قبلها^(٢).

وحجَّ بالناس عمر بن الخطاب^(٣).

(١) في الطبعة الأوربية «ولاية».

(٢) تاريخ الطبري ١٠١/٤، البداية والنهاية ٩٣/٧.

(٣) تاريخ الطبري ١٠١/٤، نهاية الأرب ٣٦٣/١٩، البداية والنهاية ٩٣/٧، مروج الذهب ٣٩٧/٤.

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال بعضهم: إن فتح جَلولاء والمدائن كان [في] هذه السنة [على يد سعد]، وكذلك فتح الجزيرة^(١)، وقد تقدّم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه.

وقيل: فيها كان فتح قيسارية على يد معاوية، وقيل: سنة عشرين، وقد تقدّم أيضاً ذكر ذلك سنة ست عشرة^(٢).

وفي هذه السنة سالت حرّة ليلي^(٣)، وهي قريب المدينة، ناراً، فأمر عمر بالصدقة، فتصدّق الناس فانطفأت^(٤).

وحجّ بالناس هذه السنة عمر^(٥). وكان عمّاله فيها من تقدّم ذكرهم.

[الوفيات]

وفيهما قُتل صفوان بن المُعَظَّل السُّلَمي^(٦)، وقيل: بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية.

وفيهما مات أبيّ بن كعب^(٧)، وقيل: بل مات سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل: اثنتين وثلاثين^(٨)، والله أعلم.

(١) تاريخ الطبري ١٠٢/٤، تاريخ يعقوبي ١٥١/٢.

(٢) الطبري ١٠٢/٤.

(٣) حرّة ليلي: لبني مُرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. قيل هي من وراء وادي القرى من جهة المدينة، فيها نخل وعيون، وقيل هي في بلاد بني كلاب. (معجم البلدان ٢/٢٤٧، ٢٤٨).

(٤) تاريخ الطبري ١٠٢/٤، نهاية الأرب ٣٦٣/١٩، البداية والنهاية ٩٦/٧.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٣/٤، نهاية الأرب ٣٦٣/١٩، مروج الذهب ٣٩٧/٤.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٤٤٤/٦، ٤٤٥.

(٧) نهاية الأرب ٣٦٣/١٩.

(٨) أنظر الأقوال في تاريخ وفاته، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ١٩١ - ١٩٥.

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر فتح مِصْرَ

قيل: في هذه السنة فُتحت مصر، في قول بعضهم، على يد عمرو بن العاص والإسكندرية أيضاً.

وقيل: فُتحت الإسكندرية سنة خمس وعشرين، وقيل: فُتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الأول^(١)، وبالجملة فينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة، لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة^(٢)، والله أعلم، وقيل غير ذلك.

وأما فتحها، فإنه لما فتح عمرُ بيت المقدس وأقام به أياماً، وأمضى عمرو بن العاص إلى مصر، وأتبعه الزبير بن العوام، فأخذ المسلمون باب اليون، وساروا إلى مصر، فلقِيهم هناك أبو مريم، جاثليق^(٣) مصر، ومعه الأسقفُ بعثه المقوقس لمنع بلادهم، فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلونا حتى نُعذِر إليكم، وليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فكفّوا، وخرجوا إليه، فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية، وأخبرهما بوصية النبي ﷺ، بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل، عليه السلام، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلّا^(٤) الأنبياء، آمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلي لا يُخدع، ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتتنظرا. فقالا: زدنا، فزادهما يوماً، فرجعا إلى المقوقس. فأبى أرطوبون أن يجييهما وأمر بمناهدتهم. فقال لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم. فلم يفجأ عمراً إلّا البيات وهو على عُدّة^(٥)، فلقوه فقتل أرطوبون وكثير ممن معه وانهزم الباقون، وسار عمرو والزبير إلى عين الشمس وبها جمعهم، وبعث إلى فرما أبرهة بن

(١) تاريخ الطبري ١٠٤/٤.

(٢) نهاية الأرب ٢٨٤/١٩.

(٣) الجاثليق: رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

(٤) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٥) في النسخة (ب): «حده».

الصُّبْح، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل عليها. قيل: وكان الإسكندر وفرما أخوين، ونزل عمرو بعين الشمس، فقال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى^(١) قتال قوم هزموا كسرى وقَيصر، وغلبوهم على بلادهم! فلا تُعرض لهم ولا تُعرضنا [لهم] - وذلك في اليوم الرابع - [فأبى] وناهذوهم وقتلوهم^(٢).

فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون، فذمرهم^(٣) عمرو، فقال له رجل من اليمن: إنا لم نُخلِّق من حديد. فقال له عمرو: اسكت، إنما أنت كلب. قال: فأنت أمير الكلاب. فنادى عمرو بأصحاب النبي ﷺ، فأجابوه، فقال: تقدّموا فبكم ينصر الله، فتقدّموا وفيهم أبو بردة وأبو برة وتبعهم الناس، وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين، فارتقى الزبير بن العوام سورها، فلما أحسّوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مُصالحين، فقبل منهم^(٤).

ونزل الزبير عليهم عَنوةً، حتى خرج إلى عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا صلحاً بعدما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذوا عَنوةً مجرى الصلح، فصاروا ذمةً، وأجروا مَنْ دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر، ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه^(٥).

واجتمعت خيول المسلمين بمصر، وبنوا الفسطاط ونزلوه، وجاء أبو مريم وأبو مريم إلى عمرو، وطلبا منه السبايا التي أصيبت بعد المعركة، فطردهما، فقالا: كل شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أن رجعنا إليكم ففي ذمة. فقال عمرو لهما: أغيرون علينا وتكونون في ذمة؟ قالوا: نعم. فقسم عمرو بن العاص السبي على الناس، وتفرّق في بلدان العرب. وبعث بالأخماس إلى عمر بن الخطّاب ومعها وفد، فأخبروا عمر بن الخطّاب بحالهم كلّه وبما قال أبو مريم، فردّ عمر عليهم سبي مَنْ لم يقاتلهم في تلك الأيام الأربعة، وترك سبي مَنْ قاتلهم فردّوهم.

وحضرت القبطُ باب عمرو، وبلغ عمراً أنّهم يقولون: ما أرتّ العرب! ما رأينا مثلنا دان لهم. فخاف أن يطعمهم ذلك، فأمر بجزر فطُبخت، ودعا أمراء الأجناد فأعلموا أصحابهم، فحضرُوا عنده، وأكلوا أكلاً عريياً، انتشلوا وحسّوا^(٦) وهم في العباء بغير

(١) في الطبعة الأوربية «إلا».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١٠٧/٤، ١٠٨.

(٣) في تاريخ الطبري ١١١/٤ «فدّمهم».

(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ١١٠/٤، ١١١.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٩/٤.

(٦) في الأوربية: «ابشلوا وحسّوا».

سلاح، فازداد طمعهم، وأمر المسلمين [أن] (يحضروا الغد في ثياب [أهل] مصر وأحذيتهم^(١))، ففعلوا، وأذن لأهل مصر، فأروا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القوام^(٢) باللوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، فارتاب القبط، وبعث أيضاً إلى المسلمين: تسلّحوا للعرض غداً، [وغدا على العرض]^(٣)، وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم: علمتُ حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب، فخشيتُ أن تهلكوا، فأحببتُ أن أريكم حالهم في أرضهم كيف كانت، ثمّ حالهم في أرضكم، ثمّ حالهم في الحرب، فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم، وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني، فأردتُ أن تعلموا أنّ ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجع إلى عيش اليوم الأوّل.

فتفرّقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم^(٤).

ويبلغ عمر ذلك فقال: والله إنّ حربته لَلينة^(٥) ما لها سطوة ولا سَورة كسورات الحروب من غيره^(٦).

ثمّ إنّ عمرو سار إلى الإسكندرية، وكان من بين الإسكندرية والفسطاط من الروم والقبط قد تجمّعوا له وقالوا: نغزوه قبل أن يغزونا ويروم الإسكندرية. فالتقوا واقتتلوا، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار حتى بلغ الإسكندرية، فوجد أهلها مُعدّين لقتاله. فأرسل المقوقس إلى عمرو يسأله الهدنة إلى مدّة، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لقد لقينا ملككم الأكبر هرقل فكان منه ما بلغكم. فقال المقوقس لأصحابه: صدق فنحن أولى بالإذعان. فأغلظوا له في القول وامتنعوا، فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عمرو عَنوةً، وغنم ما فيها وجعلهم ذمّةً.

وقيل: إنّ المقوقس صالح عمرو^(٧) على اثني عشر ألف دينار، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام، وجعل فيها عمرو جُنُداً.

ولما فُتحت مصر غزوا النوبة، فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحَدَق لجودة

(١) في الأوربية: «فحضروا الغد في باب مصر واحذيتهم».

(٢) في الأوربية: «العوام».

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ١١٠/٤.

(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ١٠٩/٤، ١١٠.

(٥) في الطبعة الأوربية «للينة».

(٦) تاريخ الطبري ١١٠/٤.

(٧) فتوح البلدان ٢٥٢ رقم ٥٣٥، تاريخ خليفة ١٤٣، ١٤٤.

رميهم، فسَمَّوهم رُمَاةَ الحدق.

فلَمَّا وُلِّيَ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْحَ مصرَ أَيَّامَ عثمانَ صالحهم على هديةِ عِدَّةِ رؤوس في كلِّ سنة، ويهدي إليهم المسلمون كلَّ سنة طعاماً مَسْمَى وكُسوة، وأمضى ذلك الصلحَ عثمانُ ومَن بعده من وُلاةِ الأمور^(١).

وقيل: إِنَّ المسلمين لما انتهوا إلى بَلْهَب^(٢)، وقد بلغت سباياهم إلى اليمن، أرسل صاحبهم إلى عمرو: إِنِّي كُنْتُ أَخْرَجْتُ الجزيةَ إلى مَنْ هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكُمْ: فارس والروم، فَإِنْ أَحْبَبْتَ الجزيةَ على أَنْ تَرُدَّ مَا سَبَيْتُمْ مِنْ أَرْضِي فَعَلْتُ. فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك، ورفعوا الحربَ إلى أَنْ يَرِدَ كتابُ عمر. فورد الجوابُ من عمر: لَعَمْرِي جزية قائمة أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنِيمةٍ تُقَسَّمُ، ثُمَّ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَأَمَّا السَّبْيُ فَإِنْ أَعْطَاكَ ملكهم الجزيةَ على أَنْ تَخَيِّرُوا مَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْهُمْ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَدِينِ قَوْمِهِ، فَمَنْ اخْتَارَ الْإِسْلَامَ فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ اخْتَارَ دِينَ قَوْمِهِ فَضَعَّ عَلَيْهِ الجزيةَ، وَأَمَّا مَنْ تَفَرَّقَ فِي الْبُلْدَانِ فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِمْ. فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندرية، فأجاب إليه، فجمعوا السَّبْيَ، واجتمعت النصارى وخيروهم واحداً واحداً، فمَنْ اخْتَارَ الْمُسْلِمِينَ كَبُرُوا، وَمَنْ اخْتَارَ النَّصَارَى نَخَرُوا^(٣) وصار عليه جزية، حتى فرغوا^(٤).

وكان من السَّبْيِ أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن، فاختر الإسلام وصار عريفَ رَبيد^(٥).

وكان ملوك بني أمية يقولون: إِنَّ مِصرَ دُخِلَتْ عَنوةً وأهلها عبيدنا نزيد^(٦) عليهم كيف شئنا^(٧). ولم يكن كذلك.

ذَكَرَ عِدَّةُ حَوَادِثَ

وفي هذه السنة، أعني سنة عشرين، غزا أبو بحريَّة عبد الله بن قيس أرضَ الروم،

(١) تاريخ الطبري ٢٢/٤.

(٢) ضبطها في طبعة صادر ٥٦٧/٢ «بلهيب» بكسر أولها. والصحيح بالفتح كما في معجم البلدان ٤٩٢/١ وهي من قرى مصر.

(٣) في الطبعة الأوربية «تجزوا».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ١٠٥/٤، ١٠٦.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٦/٤.

(٦) في الطبعة الأوربية «نريد».

(٧) تاريخ الطبري ١٠٦/٤.

وهو أول من دخلها فيما قيل، وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي فسبى وغنم^(١).

وقيل: فيها عزل عمر قدامة بن مظعون من البحرين، وحده في الخمر، واستعمل أبا بكر^(٢) على البحرين واليمامة^(٣).

وفيه تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٤).

وفيه عزل عمر سعد بن أبي وقاص عن الكوفة لشكايتهم إياه وقالوا: لا يُحسن يصلي^(٥).

وفيه قسّم عمر خيبر بين المسلمين، وأجلى اليهود عنها، وقسّم وادي القرى^(٦).

وفيه أجلى يهود نجران إلى الكوفة^(٧).

وفيه بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة، وكانت تطرقت بلاد الإسلام فاصيب المسلمون، فجعل عمر على نفسه أن لا يحمل في البحر أحداً أبداً، يعني للغزو، وقيل سنة إحدى وثلاثين^(٨).

(مُجَزَّز: بجيم وزاين الأولى مكسورة مشددة).

[الوَفَيَات]

وفيه مات أسيد بن حُضَيْر^(٩)؛ أسيد: تصغير أسد. وحُضَيْر: بالحاء المهملة

(١) تاريخ الطبري ١١٢/٤، تاريخ اليعقوبي ١٥٥/٢، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٢) في تاريخ الطبري «أبا هريرة»، وفي نهاية الأرب ٣٦٤/١٩ «استعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة، وقيل استعمل أبا بكر...». وفي فتوح البلدان ١٠٠ رقم ٢٥٥ أن أبا هريرة ولي البحرين بعد قدامة.

(٣) تاريخ الطبري ١١٢/٤، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٤) تاريخ الطبري ١١٢/٤، نهاية الأرب ٣٦٨/١٩، تاريخ اليعقوبي ١٥٥/٢، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي ١٥٥/٢، تاريخ الطبري ١١٢/٤، نهاية الأرب ٣٦٦/١٩، البداية والنهاية ١٠١/٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٢.

(٦) تاريخ الطبري ١١٢/٤، نهاية الأرب ٣٦٨/١٩، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٧) تاريخ اليعقوبي ١٥٥/٢، ١٥٦، تاريخ الطبري ١١٢/٤ و ١١٣، نهاية الأرب ٣٦٨/١٩، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٨) تاريخ الطبري ١١٣/٤، البداية والنهاية ١٠١/٧، وانظر عنه في: مسند أحمد ٢٢٦/٤ و ٣٥١ و ٣٥٢، الطبقات الكبرى ٦٠٣/٣، طبقات خليفة ٧٧، تاريخ خليفة ١٤٩، التاريخ الكبير ٤٧/٢، التاريخ الصغير ٤٦/١، الجرح والتعديل ٣١٠/٢، مشاهير علماء الأمصار (الترجمة) ٣٦، الاستبصار ٢١٣ - ٢١٦، الاستيعاب ١٧٥/١ - ١٧٩، تهذيب تاريخ دمشق ٥٣/٣ - ٦١، أسد الغابة ١١١/١ - ١١٣، تهذيب الكمال ١١٥، العبر ٢٤/١، تاريخ الإسلام ٢٠٦، سير أعلام النبلاء ٣٤٠/١ - ٣٤٣، مجمع الزوائد ٣١٠/٩، تهذيب التهذيب ٣٤٧/١، الإصابة ٧٥/١، خلاصة تهذيب الكمال ٣٨، كنز العمال =

المضمومة، والضاد المفتوحة، والراء.

وفيه مات هرقل وملك ابنه قسطنطين^(١).

وفيه ماتت زَيْنَب بنت جَحْش، ونزل في قبرها أُسامَة بن زيد وابن أخيها مُحَمَّد بن عبد الله بن جحش^(٢).

وحجَّ بالنَّاس عمر. وكان عُمَّاله على الأَمصار مَنْ كان قبل هذه السنة إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُ أَنَّهُ عزله. وكان قُضاته فيها القضاة في السنة قبلها^(٣).

وفيه مات عِيَّاض بن غَنَم^(٤)، وهو الذي فتح الجزيرة، وهو أوَّل مَنْ أجاز الدرب إلى الروم.

وفيه مات بلال بن رباح^(٥) مؤذَن النبي ﷺ، بدمشق، وقيل بحلب.

= ٢٧٧/١٣ - ٢٨٠، شذرات الذهب ٣١/١، الوافي بالوفيات ٢٥٨/٩، ٢٥٩ رقم (٤١٧٤)، الإكمال ٦٧/١، المعجم الكبير للطبراني ٢٠٣/١ - ٢٠٩ رقم ١٨، مرآة الجنان ٧٦/١.

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٣، مرآة الجنان ٧٦/١.

(٢) الطبقات الكبرى ١٠١/٨ - ١١٥، تاريخ الطبري ١١٣/٤، البداية والنهاية ١٠١/٧، مرآة الجنان ٧٦/١، الاستيعاب ١٨٤٩/٤ رقم ٣٣٥٥، الوافي بالوفيات ٦١/١٥ رقم ٧٢، شذرات الذهب ١٠/١ و ٣١، أسد الغابة ٤٩٣/٥ - ٤٩٥، الإصابة ٣١٣/٤، ٣١٤ رقم ٤٧٠. تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ١١٣/٤، مروج الذهب ٣٩٧/٤، نهاية الأرب ٣٧٠/١٩، البداية والنهاية ١٠١/٧.

(٤) طبقات خليفة ٢٨ و ٣٠٠، تاريخ خليفة ١٤٧، التاريخ الكبير ١٨/٧، ١٩، المعرفة والتاريخ ٣٠٧/٣، المستدرك للحاكم ٢٨٩/٣ - ٢٩١، الاستبصار ٢٩٨، الاستيعاب ١٢٣٥/٣، أسد الغابة ٣٢٧/٤، تاريخ الإسلام ٢١٦، العبر ٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٣٥٤/٢، ٣٥٥ رقم ٦٩، مجمع الزوائد ٤٠٤/٩، الإصابة ١٨٩/٧، شذرات الذهب ٣١/١، البداية والنهاية ١٠٣/٧، مرآة الجنان ٧٦/١.

(٥) مسند أحمد ١٢/٦ - ١٥، الطبقات الكبرى ١٦٥/٣، نسب قريش ٢٠٨، طبقات خليفة ١٩ و ٢٩٨،

تاريخ خليفة ٩٩ و ١٤٩، التاريخ الكبير ١٠٦/٢، التاريخ الصغير ٥٣/١، الجرح والتعديل ٣٩٥/٢، مشاهير علماء الأمصار (الترجمة) ٣٢٣، الأغاني ١٢٠/٣، ١٢١، المعرفة والتاريخ ٣٠٦/٣، تاريخ الطبري ١١٢/٤، حلية الأولياء ١٤٧/١ - ١٥١، الاستيعاب ٢٦/٢، تاريخ دمشق ٣٥٣/١٠، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠٤/٣، ٣١٨، أسد الغابة ٢٤٣/١، تهذيب الأسماء ١٣٦/١، ١٣٧، تهذيب الكمال ٢٨٨/٤ - ٢٩١ رقم ٧٨٢، تاريخ واسط ٤٨ و ٥٧ و ٦٦ و ٧٧ و ٢٢٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٥١ و ٢٧٤، الثقات لابن حبان ٢٨/٣، المعجم الكبير للطبراني ٣١٨/١ - ٣٥٣، الجمع بين رجال الصحيحين ٦٠/١، دول الإسلام ١٦/١، تاريخ الإسلام ٢٠١، العبر ٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/١ - ٣٦٠ رقم ٧٦، الكاشف ١٦٥/١، مجم الزوائد ٢٩٩/٩، ٣٠٠، الوافي بالوفيات ٢٧٦/١٠، ٢٧٧ رقم ٤٧٧٦، الوفيات لابن قنفذ ٤٨، المعارف لابن قتيبة ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٦ و ٢٦٤ و ٢٩٠، العقد الثمين ٣٧٨/٣ - ٣٨٠، مرآة الجنان ٧٥/١، ٧٦، البداية والنهاية ١٠٢/٧، ١٠٣، تهذيب التهذيب ٥٠٢/١، ٥٠٣، الإصابة ١٦٥/١، خلاصة تهذيب الكمال ٥٣، كنز العمال ٣٠٥/١٣ - ٣٠٨، شذرات الذهب ٣١/١ =

وفيها مات أنيس بن مرثد^(١) بن أبي مرثد الغنوي، وله ولأبيه ولجده صحبة، وقُتل أبوه في غزوة الرجيع.

وفيها مات سعيد بن عامر بن جذيم الجُمحي^(٢)، شهد فتح خيبر، وكان فاضلاً، وكان على جُمص حتى مات، وقيل: مات سنة تسع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين وعمره أربعون سنة.

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب^(٣).

وفيها ماتت صفية بنت عبد المطلب^(٤) عمة النبي، ﷺ.

وفيها قُتل المُظَهَّر بن رافع الأنصاري، قديم من الشام ومعه من غُلوج الشام، فلمّا كان بخيبر أمرهم قومٌ من اليهود فقتلوهم، فأجلاهم عمر.

(المُظَهَّر: بضم الميم، وفتح الظاء المعجمة، وتشديد الهاء، وآخره راء مهملة).

* * *

= تحفة الأشراف ١٠٤/١ - ١١٤.

(١) المستدرك على الصحيحين ٢٨٧/٣ وفيه «أنس»، المعجم الكبير للطبراني ٢٦٥/١ رقم ٤٦ وفيه «أنس»، أسد الغابة ١٣٥/١، ١٣٦، الوافي بالوفيات ٩/٤٣٤، ٤٣٥، رقم ٤٣٧٠، الاستيعاب رقم ٩٤، البداية والنهاية ١٠٢/٧، تاريخ الإسلام ٢٠٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢٨٦/٣، الطبقات الكبرى ١٣/٤، الاستيعاب ٦٢٤/٢ رقم ٩٨٨، الوافي بالوفيات ٢٣٠/١٥ رقم ٣٢٠، تاريخ خليفة ١٣٠ والتاريخ ٢٩٣/١، تهذيب تاريخ دمشق ١٤٧/٦ - ١٤٩، تهذيب التهذيب ٥١/٤ رقم ٨٠، الإصابة ٤٨/٢، ٤٩ رقم ٣٢٧٠، تاريخ الإسلام ٢١٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٣٤/٤، طبقات خليفة ٦، الاستيعاب ١١، ٢٨٧، أسد الغابة ١٤٤/٦، العبر ٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١ - ٢٠٥ رقم ٣٢، مجمع الزوائد ٢٧٤/٩، البداية والنهاية ١٠٣/٧، ١٠٤، العقد الثمين ٢٥٣/٧، الإصابة ١١/١٦٩، المعرفة والتاريخ ٣٢٧/١، ٢٦٩/٢ و ٢٦١/٣، تاريخ الإسلام ٢١٧.

(٤) تاريخ خليفة ١٤٧، الطبقات ٣٣١، الطبقات الكبرى ٤١/٨، المعارف ١٢٨ و ٢١٩ و ٢٢٠، المستدرك ٥٠/٤، ٥١، الاستيعاب ١٨٧٣/٤، أسد الغابة ١٧٣/٧، البداية والنهاية ١٠٤/٧، ١٠٥، مجمع الزوائد ٢٥٥/٩، تاريخ الإسلام ٢٢٠، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٢ - ٢٧١ رقم ٤١، كنز العمال ٦٣١/١٣.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ذكر وقعة نهاوند^(١)

قيل: فيها كانت وقعت نهاوند، وقيل: كانت سنة ثمانى عشرة، وقيل سنة تسع عشرة.

وكان الذي هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جندَ العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بمرو فحرّكوه، وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا إلى نهاوند، ولما وصلها أوائلهم بلغ سعداً الخبر، فكتب إلى عمر، وثار بسعد قوم سعا به وألبوا عليه، ولم يشغلهم ما نزل بالناس؛ وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدي في نفر. فقال لهم عمر: والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم. فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس، وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكا^(٢) زمان عمر، فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه، فما سأل عنه جماعة إلا أنثوا عليه خيراً سوى من مالا الجراح الأسدي، فإنهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم، حتى انتهى^(٣) إلى بني

(١) أنظر عن وقعة نهاوند في: الأخبار الطوال لابن قتيبة ١٣٣، ١٣٨، والفتوح لابن أعمش الكوفي ٣١/٢ - ٦٢، وتاريخ يعقوبي ١٥٦/٢، وتاريخ خليفة ١٤٧ - ١٤٩، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٧١ - ٣٧٦، وتاريخ الطبري ١١٤/٤ - ١٣٧، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٧٠، ٣٧١، والبداية والتاريخ للمقدسي ١٨٠/٥ - ١٨٢، ومروج الذهب للمسعودي ٣٣١/٢ - ٣٣٣، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١٦٤/١، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٢، ومعجم البلدان ٣١٣/٥، ونهاية الأرب للنويري ٢٥٠/١٩ - ٢٦٠، ودول الإسلام للذهبي ١٧/١، ومرآة الجنان لليافعي ٧٧/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠٥/٧ - ١١٢، وتتممة المختصر لابن الوردي ١٤٩/١، وتاريخ ابن خلدون ١١٥/٢ - ١١٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٢، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ٩٠/١، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري ٢٧٠/٢، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٢٢٤/٣.

(٢) في النسخة (ب): «يبلى».

(٣) في تاريخ الطبري ١٢١/٤، وفي الطبعة الأوربية من الكامل «انتهاوا».

عَبَسَ فَسَأَلَهُمْ، فَقَالَ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَقْسَمُ بِالسُّوْيَةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ^(١)، وَلَا يَغْزُو فِي السَّرِيَّةِ. فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَالَهَا رِيَاءً وَكَذِبًا^(٢) وَسَمْعَةً فَأَعْمِ بَصْرَهُ، وَأَكْثِرْ عِيَالَهُ، وَعَرِّضْهُ لِمُضَلَّاتِ الْفِتَنِ. فَعَمِيَ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ بِالْمَرْأَةِ فَيَأْتِيهَا حَتَّى يَجْسَّهَا، فَإِذَا عُثِرَ عَلَيْهِ^(٣) قَالَ: دَعْوَةُ سَعْدِ الرَّجُلِ الْمُبَارِكِ. ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانُوا خَرَجُوا أَشْرًا وَبَطْرًا وَرِيَاءً^(٤) فَاجْهَدْ بِلَادَهُمْ^(٥). فَجُهِدُوا، وَقُطِعَ^(٦) الْجَرَّاحُ بِالسِّيُوفِ يَوْمَ بَادَرِ^(٧) الْحَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيُغْتَالَه^(٨) بِسَابَاطٍ، وَشُدْخَ قَبِيصَةٍ بِالْحَجَارَةِ، وَقُتِلَ أَرْبَدٌ بِالْوَجِّ^(٩) وَنَعَالِ^(١٠) السِّيُوفِ.

وقال سعد: إِنِّي أَوَّلُ رَجُلٍ أَهْرَاقَ دَمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١١)، وَلَقَدْ جُمِعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَبُوهُ وَمَا جُمِعَ لِمَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي خُمُسَ الْإِسْلَامِ، وَبَنُو أَسَدٍ تَزْعُمُ أَنِّي لَا أَحْسَنَ أَصْلِي وَأَنْ الصَّيْدَ يُلْهِنِي^(١٢).

وخرج محمد بسعد وبهم معه إلى المدينة، فقدموا على عمر فأخبروه الخبر فقال: كيف تصلي يا سعد؟ قال: أطيل الأوليين وأحذف الآخرين^(١٣). فقال: هكذا الظن بك يا أبا إسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيننا^(١٤). وقال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟

(١) في تاريخ الطبري «الرعيّة».

(٢) في تاريخ الطبري «كاذباً».

(٣) في الطبعة الأوربية «عبر عليها».

(٤) في تاريخ الطبري «كذباً».

(٥) في تاريخ الطبري «بلاءهم».

(٦) في الطبعة الأوربية «فجهد واقتطع».

(٧) في تاريخ الطبري «ثاور».

(٨) في النسخة (ب) «ليقاله».

(٩) في نسخة باريس «بالوحي» وفي الطبعة الأوربية «وقيل ارتدّ بالوحي».

والمثبت يتفق مع الطبري ١٢١/٤.

(١٠) في النسخة (ب)، ونسخة باريس: «نقل» و«تعال».

(١١) يشير إلى رمي المشركين له بسهم في بعث عبدة بن الحارث. (أنظر: سيرة ابن هشام ١٨/٣، الطبقات

الكبرى لابن سعد ٧/٢، تاريخ الإسلام (المغازي - بتحقيقنا) ٤٦، عيون الأثر ٢٢٥/١، الروض الأنف

٢٥/٣، ٢٦، وغيره).

(١٢) تاريخ الطبري ١٢١/٤، ١٢٢.

(١٣) في الأصل «الأولتين» . . الآخرين.

(١٤) أنظر نحوه ما أخرجه أحمد في المسند ١٧٥/١، والبخاري (٧٧٠) في الأذان، باب: يطول في الأوليين،

ويحذف في الآخرين. ومسلم في الصلاة (٤٥٣) باب: تخفيف الآخرين، والنسائي في الافتتاح ١٧٤/٢

باب الركود في الركعتين الأوليين وكلّهم من طريق: شعبة، عن أبي عون، عن جابر. وأخرجه البخاري =

فقال: عبد الله [بن عبد الله] بن عَتَبَانَ. فَأَقْرَهُ. فكان سبب نهائهم وبعثها^(١) زمن سعد.

وأما الوقعة فهي زمن عبد الله، فنفرت الأعاجم بكتاب يَزْدَجِرْد، فاجتمعوا بنهائهم على الفيرزان في خمسين ألفاً ومائة ألف مقاتل، وكان سعد كتب إلى عمر بالخبر ثم شافه به لما قديم عليه وقال له: إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسحاب وأن يبدؤوهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم^(٢).

فجمع عمر الناس واستشارهم، وقال لهم: هذا يوم له ما بعده، وقد هممت أن أسير فيمن قبلي^(٣) ومن قدرت عليه فأنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين ثم أستفرهم وأكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب، فإن فتح الله عليهم صبتهم في بلدانهم^(٤).

فقال طلحة بن عبيد الله: يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الأمور، وعجمتك^(٥) البلبال^(٦)، واحتكتك التجارب، وأنت وشأنك ورأيك، لا ننبو في يدك ولا نكل عليك^(٧)، إليك هذا الأمر، فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، وقُدنا ننقذ، فإنك إولي هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واحتربت^(٨) فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيارهم^(٩). ثم جلس.

فعاد عمر، فقام عثمان فقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعزّ عزاً وأكثر. يا أمير المؤمنين، إنك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز. إن هذا يوم له ما

= (٧٥٨) ومسلم (٤٥٣) (١٥٩) وأحمد ١/١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٠، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٠) من طرق عن جابر، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٩٤.

(١) في تاريخ الطبري ١٢٢/٤ «بعثها».

(٢) تاريخ الطبري ١٢٢/٤ و ١٢٣.

(٣) في الطبعة الأوروبية «قبل لي».

(٤) قارن بتاريخ الطبري ١٢٣/٤.

(٥) في النسخة (ب): «عجتك».

(٦) في تاريخ الطبري ١٢٤/٤ «البلايا».

(٧) في الطبعة الأوروبية: «ولا ينبو في يدك ولا يكل عليك».

(٨) في النسخة (ب) وتاريخ الطبري «اختبرت».

(٩) في النسخة (ب): «أخبارهم». وفي تاريخ الطبري «خيار».

بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغيب عنه. وجلس^(١).

فعاد [عمر]، فقام إليه علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يَمَنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب^(٢) من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات^(٣)، أقرّر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق: فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم؛ إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير المؤمنين أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشدّ لكلبهم عليك. وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر^(٤).

فقال عمر: هذا هو الرأي، كنت أحب أن أتابع عليه، فأشيروا عليّ برجل أوليه.

وقيل: إن طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام. والله أعلم.

فلما قال عمر: أشيروا عليّ برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً، قالوا^(٥): أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك. فقال: والله لأولين أمرهم رجلاً يكون أول الأئمة^(٦) إذا لقى غداً. فقيل: من هو؟ فقال: هو النعمان بن مقرن المُرَني. فقالوا: هولاء.

وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جنديسابور والسُوس. فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماه لتجتمع الجيوش عليه، فإذا اجتمعوا إليه سار بهم إلى الفيرزان ومن معه. وقيل: بل كان النعمان بكسكّر^(٧). فكتب إلى عمر يسأله أن يعزله ويبعثه إلى جيش من المسلمين. فكتب إليه عمر يأمره بنهاوند، فسار.

فكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبّان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا

(١) قارن بتاريخ الطبري ١٢٤/٤، ١٢٥.

(٢) في تاريخ الطبري «الأرض».

(٣) في طبعة صادر ٨/٣ «الغيالات»، (بالغين المعجمة) والتصويب من الطبري.

(٤) قارن بتاريخ الطبري ١٢٥/٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «فقالوا».

(٦) في الأوربية: ليكون أولي الأئمة. وفي تاريخ الطبري ١٢٦/٤: «أول الأئمة».

(٧) كسكّر: بالفتح ثم السكون. كورة واسعة يُنسب إليها الفراريج العسكرية. قصبها واسط التي بين الكوفة والبصرة. (معجم البلدان ٤/٤٦١).

ويجتمعوا عليه بماه. فتدب الناس، فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف^(١) ليبلّوا في الدّين وليدركوا حظاً.

فخرج الناس منها وعليهم حُذيفةُ بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قَدِموا على النُّعمان، وتقدّم عمر إلى الجُند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارساً عن المسلمين وعليهم المقترب وحرّمة وزرّ، فأقاموا بتُخوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن أهل نهاوند، واجتمع الناس على النُّعمان وفيهم حُذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجريز بن عبد الله البجليّ، والمُغيرة بن شُعبة، وغيرهم، فأرسل النُّعمان طليحة بن خُوَيْلد، وعمر بن معديكرب، وعمر بن نُثَيّ^(٢)، وهو ابن أبي سُلمى، ليأتوه بخبرهم. وخرجوا وساروا يوماً إلى الليل؛ فرجع إليه عمرو بن نُثَيّ^(٣)، فقالوا: ما رجعت؟ فقال: لم أكن في أرض العجم، وقتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها^(٤). ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب. فلمّا كان آخر الليل رجع عمرو، فقال: ما رجعت؟ قال: سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً فرجعت. ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند. وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً. فقال الناس: ارتدّ طليحة الثانية. فعلم كلام^(٥) القوم ورجع. فلمّا رأوه كبروا. فقال: ما شأنكم؟ فأعلموه بالذي خافوا عليه. فقال: والله لو لم يكن دين إلّا العربيّ^(٦) ما كنت لأجزر^(٧) العُجم الطماطم هذه العرب العاربة^(٨). فأعلم النُّعمان أنّه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد.

فرحل النُّعمان وعبّى أصحابه، وهم ثلاثون ألفاً، فجعل على مقدّمته نعيم بن مقرن، وعلى مُجَنَّبِيهِ حُذيفة بن اليمان وسُوَيْد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود. وقد توافت إليه أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شُعبة، فانتهوا إلى إسيذهان^(٩) والفرس وقوف على تعبيتهم^(١٠)، وأميرهم الفيرزان وعلى

-
- (١) في الطبعة الأوربية «الروادف».
 - (٢) في تاريخ الطبري ١٣٠/٤ «نُثَيّ» بالباء.
 - (٣) في الطبعة الأوربية. وردت العبارة: «وقتلت أرض جاهلها وقيل أرض عالمها». وانظر القول في تاريخ الطبري ١٢٨/٤.
 - (٤) في الأصل، وتاريخ الطبري ١٢٨/٤ «علم».
 - (٥) في تاريخ الطبري «العربية».
 - (٦) في طبعة المنيرية من الكامل «الأحزر»، وكذا في الطبعة الأوربية.
 - (٧) في نسخة باريس «العربية»، وفي الطبعة الأوربية «العادية».
 - (٨) إسيذهان: موضع قرب نهاوند. (معجم البلدان ١٧٣/١) وإسيذ: لفظ فارسي بمعنى: نهر.
 - (٩) في تاريخ الطبري ١٢٨/٤ «وقوف دون واي خُرد على تعبيتهم». و«وايه خُرد»: وإد قرب نهاوند. (معجم البلدان ٣٥٦/٥).

مُجَنَّبِيهِ الزَّرْدُقُ^(١) وَبَهُمْ جَاذَوِيهِ الَّذِي جُعِلَ مَكَانَ ذِي الْحَاجِبِ. وَقَدْ تَوَافَى إِلَيْهِمُ الْأَمْدَادُ بِنَهَاوَنْدَ كُلِّ مَنْ غَابَ عَنِ الْقَادِسِيَّةِ لَيْسُوا بِدُونِهِمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ النُّعْمَانُ كَبَّرَ وَكَبَّرَ مَعَهُ النَّاسُ، فَتَزَلَزَلَتِ الْأَعَاجِمُ، وَحَطَّتِ الْعَرَبُ الْأَثْقَالُ، وَضُرِبَ فُسْطَاطُ النُّعْمَانِ، فَابْتَدَرَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ فَضْرِبُوهُ، مِنْهُمْ: حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَبُشَيْرُ بْنُ الْخِصَاصِيَّةِ، وَحَنْظَلَةُ الْكَاتِبُ^(٢)، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ، وَغَيْرُهُمْ. فَلَمْ يُرْبَنَاءُ فُسْطَاطُ بِالْعِرَاقِ كَهَؤُلَاءِ.

وَأَنْشَبَ النُّعْمَانُ الْقِتَالَ بَعْدَ حَطِّ الْأَثْقَالِ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ سِجَالٌ، وَإِنَّهُمْ أَنْجَحُوا^(٣) فِي خِنَادِقِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَقَامُوا عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَالْفُرسُ بِالْخِيَارِ لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ، فَخَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَطُولَ أَمْرُهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي جُمُعَةٍ مِنَ الْجُمُعِ تَجَمُّعَ^(٤) أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: نَرَاهُمْ عَلَيْنَا بِالْخِيَارِ. وَأَتَوْا النُّعْمَانَ فِي ذَلِكَ فَوَافَقُوهُ^(٥) وَهُوَ يُرَوِّي فِي الَّذِي رَوَّوْا فِيهِ فَأَخْبَرُوهُ، فَبَعَثَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ النُّجَدَاتِ وَالرَّأْيِ فَأَحْضَرَهُمْ، فَتَكَلَّمَ النُّعْمَانُ فَقَالَ: قَدْ تَرَوْنَ الْمَشْرِكِينَ وَاعْتَصَمَ بِهِمْ بِخِنَادِقِهِمْ وَمُدُنِهِمْ، وَأَنْتُمْ لَا يَخْرُجُونَ إِلَيْنَا إِلَّا إِذَا شَاؤُوا، وَلَا يَقْدِرُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ، وَقَدْ تَرَوْنَ الَّذِي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ التَّضَاقُيقِ، فَمَا الرَّأْيُ الَّذِي بِهِ نَسْتَخْرِجُهُمْ إِلَى الْمَنَاجِزَةِ وَتَرْكِ التَّطْوِيلِ؟

فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ نُثْنٍ^(٦)، وَكَانَ أَكْبَرَ النَّاسِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ، فَقَالَ: التَّحَصَّنَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ عَلَيْهِمْ، فَدَعَهُمْ وَقَاتَلَ مَنْ أَتَاكَ مِنْهُمْ. فَرَدَّوْا عَلَيْهِ رَأْيَهُ. وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ فَقَالَ: نَاهِذْهُمْ وَكَايَرْهُمْ^(٧) وَلَا تَخَفْهُمْ، فَرَدَّوْا جَمِيعاً عَلَيْهِ رَأْيَهُ وَقَالُوا: إِنَّمَا يُنَاطِحُ بَنَا الْجُدْرَانِ وَهِيَ أَعْوَانُ عَلَيْنَا.

وَقَالَ طُلَيْحَةُ: أَرَى أَنْ نَبْعَثَ خَيْلاً لِيُنْشِبُوا الْقِتَالَ، فَإِذَا اخْتَلَطُوا بِهِمْ رَجَعُوا إِلَيْنَا اسْتَطْرَاداً، فَإِنَّا لَمْ نَسْتَطِرِدْ لَهُمْ فِي طَوْلِ مَا قَاتَلْنَاهُمْ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ طَمَعُوا وَخَرَجُوا

(١) فِي النُّسَخَةِ (ب) «الزَّرْقُ».

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٢٩/٤: «وَحَنْظَلَةُ الْكَاتِبُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَابْنُ الْهَوَيْرِ، وَرَبِيعُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَامِرُ بْنُ مَطَرٍ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيُّ، وَالْأَفْرَعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيِّ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ».

(٣) فِي الْأَوْرِبِيَّةِ: أَنْجَحُوا.

(٤) فِي الْأَوْرِبِيَّةِ: يَجْتَمِعُ.

(٥) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٢٩/٤ «فَوَافَقُوهُ».

(٦) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٣٠/٤ «ثُبِي».

(٧) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «كَاتَرَهُمْ».

فقاتلناهم حتى يقضيَ اللهَ فيهم وفيما ما أحب^(١).

فأمّر [النعمان] القعقاعَ بن عمرو، وكان على المجردة، فأنشب القتال، فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد توائفوا أن لا يفروا، وقد قرن بعضهم بعضاً كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا^(٢). فلمّا خرجوا نكص ثم نكص، واغتنمها الأعاجم ففعلوا كما ظنّ طليحة وقالوا: هي هي، فلم يبقَ أحد إلاّ من يقوم على الأبواب وركبهم. ولحق القعقاع بالناس، وانقطع الفرسُ عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبئة في يوم جمعة صُدّر النهار، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفسوا فيهم الجراح.

وشكا بعض الناس^(٣) وقالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم. فقال: رويداً رويداً. وانتظر النعمان بالقتال أحبّ الساعات كانت إلى رسول الله ﷺ، أن يلقي العدو فيها وذلك عند الزوال، فلمّا كان قريباً من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس، ووقف على كل راية يذكّره ويحرّضهم ويمنيهم الظفر، وقال لهم: إني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل فاحملوا، وإن قُلت فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتل ففلان، حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة. ثمّ قال: اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أوّل شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك^(٤).

وقيل: بل قال: اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليومَ بفتح يكون فيه عزّ الإسلام واقبضني شهيداً. فبكى الناس. ورجع إلى موقفه فكبر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال، وحمل النعمان والناس معه، وانقضّت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلّم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشدّ منها، وما كان يُسمع إلاّ وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم وقُتل منهم ما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يُزلق الناس والدواب.

(١) قارن بالطبري ١٣٠/٤، وانظر الأخبار الطوال ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أنظر الفتوح لابن أعمش ٤٥/٢، والبدء والتاريخ للمقدسي ١٨١/٥.

(٣) في الطبعة الأوربية «وشكا الناس».

(٤) أنظر خطبته كاملة في تاريخ الطبري ١٣١/٤، ١٣٢، وقارن بمروج الذهب ٣٣٢/٢، وفتوح البلدان

٣٧٢، والأخبار الطوال ١٣٦، والبدء والتاريخ ١٨٢/٥، والفتوح لابن أعمش ٤٦/٢، ٤٧، وتاريخ خليفة،

١٤٨، ونهاية الأرب ٢٥٦/١٩، والبدية والنهاية ١١٠/٧.

فلَمَّا أقرَّ الله عَيْنَ النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً، رَلَقَ به فرسه فصرع. وقيل: بل رُمي بسهمٍ في خاصرته فقتله، فسجَّاه أخوه نعيم بثوب، وأخذ الراية وناولها حُذيفة، فأخذها وتقدَّم إلى موضع النعمان وترك نعيمًا مكانه. وقال لهم المغيرة: اكنموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلاَّ يَهِنَ الناسُ. فاقتتلوا. فلَمَّا أظلم^(١) الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا، ولزَمهم المسلمون وعُمِّيَ عليهم قصدُهم فتركوه وأخذوا نحو اللَّهَب الذي كانوا دونه بأسبيذهان فوقعوا^(٢) فيه، فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم في قياد واحد فيُقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حسك الحديد، فمات منهم في اللَّهَب مائة ألف أو يزيدون سوى من قُتل في المعركة.

وقيل: قُتل في اللَّهَب ثمانون ألفاً، وفي المعركة ثلاثون ألفاً، سوى من قُتل في الطُّلب، ولم يفلت إلَّا الشريد، ونجا الفيرزان من بين الصَّرعى^(٣) فهرب نحو همدان، فاتبعه نعيم بن مقرن، وقَدَّم القعقاع قُدَّامه فأدركه بثنية همدان، وهي إذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسه الدواب على أجله. فلَمَّا لم يجد طريقاً نزل عن دابته وصعد في الجبل، فتبعه القعقاع راجلاً فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا: إنَّ الله جنوداً من عَسَل. واستاقوا العَسَل وما معه من الأحمال. وسُمِّيَت الثنية ثنية العسل^(٤).

ودخل المشركون همدان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها. فلَمَّا رأى ذلك خُسروُشْنوم^(٥) استأمنهم، ولما تمَّ الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن، فقال لهم أخوه معقل: هذا أميركم قد أقرَّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة.

ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتوا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث وجمعوا إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع. وانتظر من نهاوند ما يأتيهم من إخوانهم الذين على همدان مع القعقاع ونيعيم، فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حذيفة، فقال: أتؤمنني ومن شئت على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان؟ قال: نعم. فأحضر جوهرًا نفيساً في سَفْطَيْن، فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر. وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقي مع السائب بن

(١) في تاريخ الطبري ١٣٢/٤ «أظلمهم».

(٢) في الأوربية: كانوا دونه فوقعوا.

(٣) في الأوربية: من الصرعى.

(٤) تاريخ الطبري ١٣٢/٤، ١٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربية: «خسرشوم».

الأقرع الثقفي، وكان كاتباً حاسباً، أرسله عمر إليهم وقال له: إن فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين وأحضر الفارسي السفطين اللذين أودعهما عنده النخيزجان^(١) فإذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فلما فرغت من القسمة احتملتها معي وقدمت على عمر، وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار، فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلاً، فمر به راكب فسأله: من أين أقبل؟ فقال: من نهاوند، وأخبره بالفتح وقتل النعمان، فلما أصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة، فبلغ الخبر عمر فسأله فأخبره، فقال: ذلك بريد الجن^(٢).

ثم قديم البريد بعد ذلك فأخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان. قال السائب: فخرج عمر من الغد يتوقع الأخبار. قال: فأتيته فقال: ما وراءك؟ فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك وأعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم بكى فنشج حتى بانث فروع كتفيه فوق كتفه^(٣). قال: فلما رأيت ذلك وما لقي قلت: يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه. فقال: أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر! ثم أخبرته بالسفطين فقال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك. قال: ففعلت وخرجت سريعاً إلى الكوفة.

وبات عمر، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً، فما أدركني حتى دخلت الكوفة فأنخت بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال: الحق بأمر المؤمنين، فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك إلا الآن. قال: فركبت معه فقدمت على عمر، فلما رأيته قال: إلي وما لي وللسائب! قلت: ولماذا؟ قال: ويحك والله ما هو إلا أن نمث^(٤) الليلة التي خرجت فيها، فباتت الملائكة تستحبني إلى السفطين يشتعلان ناراً فيقولون: لنكوينك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين. فخذهما عني فيئهما في أعطية المسلمين

(١) في نسخة المتحف البريطاني «التخيزجان» و«النخيزجان». وفي الفتوح لابن أعمش ٤٦/٢ «البحيرجان».

وفي فتوح البلدان ٣٧٣ «النخيزخان». والمثبت يتفق مع الطبري ١٣٣/٤.

(٢) أنظر تاريخ الطبري ١٣٤/٤.

(٣) في الأوربية: فروع كنفه فوق كبد. (الكند: مجتمع الكتفين من الإنسان).

(٤) في نسخة المتحف البريطاني «الان أنمت».

وأرزاقهم. قال: فخرجتُ بهما فوضعتُهما في مسجد الكوفة، فابتاعهما مِنِّي عمرو بن حُرَيْث المَخْزُومِي بِأَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ^(١)، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا إِلَى أَرْضِ الْأَعَاجِمِ فَبَاعَهُمَا بِأَرْبَعَةِ آلَافِ أَلْفٍ^(٢)، فَمَا زَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَالًا. وَكَانَ سَهْمُ الْفَارِسِ بِنَهَاوَنْد سِتَّةَ آلَافٍ، وَسَهْمُ الرَّاجِلِ أَلْفَيْنِ.

وَلَمَّا قَدِمَ سُبَيْ نِهَاوَنْدَ الْمَدِينَةَ جَعَلَ أَبُو لَوْلُؤَةَ غِلَامُ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لَا يَلْقَى مِنْهُمْ صَغِيرًا إِلَّا مَسَحَ رَأْسَهُ وَبَكَى وَقَالَ لَهُ: أَكَلْتُ عَمْرُكَ كَبْدِي! وَكَانَ مِنْ نِهَاوَنْدَ فَأَسْرَتْهُ الرُّومُ وَأَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الرُّومِ فَنُسِبَ إِلَى حَيْثُ سُبَيْ^(٣).

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْمَوْنَ فَتْحَ نِهَاوَنْدَ فَتْحَ الْفَتْوحِ^(٤) لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْفُرسِ بَعْدَهُ اجْتِمَاعٌ. وَمَلَكَ الْمُسْلِمُونَ بِلَادَهُمْ.

ذَكَرَ فَتْحَ الدِّينُورَ وَالصَّيْمِرَةَ وَغَيْرَهُمَا

لَمَّا انصَرَفَ أَبُو مُوسَى مِنْ نِهَاوَنْدَ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ مَدَدًا عَلَى بَعْثِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَمَرَّ بِالْدِّينُورَ فَأَقَامَ عَلَيْهَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى الْجِزْيَةِ وَمَضَى، فَصَالَحَهُ أَهْلُ سِيرَوَانَ^(٥) عَلَى مِثْلِ صَلَاحِهِمْ، وَبَعَثَ السَّائِبَ بْنَ الْأَقْرَعِ الثَّقَفِيَّ إِلَى الصَّيْمِرَةِ^(٦) مَدِينَةَ مَهْرَجَانَ قَدَقَ^(٧) فَفَتَحَهَا صَلَاحًا. وَقِيلَ: إِنَّهُ وَجَّهَ السَّائِبَ مِنَ الْأَهْوَازِ فَفَتَحَ وَلايَةَ مَهْرَجَانَ قَدَقَ^(٨).

ذَكَرَ فَتْحَ هَمْدَانَ وَالْمَاهِئِينَ وَغَيْرَهُمَا

لَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ دَخَلَ مِنْ سَلِيمٍ مِنْهُمْ هَمْدَانُ، وَحَاصَرَهُمْ نَعِيمُ بْنُ مَقْرَنَ

(١) أَنْظَرَ كِتَابَ الْفَتْوحِ لِابْنِ أَعْنَمَ ٦١/٢، ٦٢، وَفَتْوحَ الْبِلْدَانِ لِلْبَلَاذُورِيِّ ٣٧٤.

(٢) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٣٥/٤.

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٣٦/٤.

(٤) فَتْحُ الْبِلْدَانِ ٣٧٤.

(٥) سِيرَوَانَ: بَلَدٌ بِالْجَبَلِ، وَقِيلَ: هِيَ كُورَةُ مَاسِبْدَانَ، وَقِيلَ: بَلَدٌ هِيَ كُورَةُ بِرَاسِهَا مَلَاصِقَةٌ لِمَاسِبْدَانَ. (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٢٢/٣).

(٦) الصَّيْمِرَةُ: بِالْفَتْحِ ثُمَّ السَّكُونِ. بَلَدٌ بَيْنَ دِيَارِ الْجَبَلِ وَدِيَارِ خَوْزِسْتَانَ، وَهِيَ لِلْقَاصِدِ مِنْ هَمْدَانَ إِلَى بَغْدَادَ عَنْ يَسَارِهِ. (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤٣٩/٣).

(٧) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «مَهْرَجَانُ نَقْذَفَ»، وَكَذَا فِي فَتُوحِ الْبِلْدَانِ ٣٧٧ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ يَتَّفَقُ مَعَ مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ ٢٣٣/٥.

(٨) الْخَبَرُ فِي فَتُوحِ الْبِلْدَانِ ٣٧٧ رَقْمُ ٧٧١.

والقعقاع بن عمرو. فلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خُسِرَ وَشُنُومٌ^(١) استأمنهم وقبل منهم الجزية على أن يضمن منهم همذان وَدَسْتَبِي^(٢) وَأَلَّا يُوْتَى المسلمون منهم، فأجابوه إلى ذلك وأمنوه ومن معه من الفرس، وأقبل كل من كان هرب، وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها، فاقتدوا بخسروشنوم^(٣) فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا وأجمعوا على القبول وأجمعوا على إتيان حذيفة؛ فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك، وكان أشرفهم قارن، وقال: لا تَلْقَوْهُمْ فِي جَمَالِكُمْ، ففعلوا، وخالفهم فأتاهم في الديباج والحُلِيّ فأعطاهم حاجتهم، واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم، ولم يجد الآخرون بُدًّا من متابعتة والدخول في أمره، فقبل «ماه دينار» لذلك. وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهراذان^(٤) على مثل ذلك فنسب إلى بهراذان^(٥)، وكان قد وكَّل النُسير بن ثور بقلعة قد لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنُسبت إلى النُسير وهو تصغير نسر^(٦).

قيل: دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال: يا أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان، ثم تغيّرتم وفشت فيكم خصال أربع: بُخل، وخبّ، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهنّ، وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم، فعلمت من أين أتيتم، فإذا الخبّ من قبل النبط، والبُخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز^(٧).

ذكر دخول المسلمين بالبلاد الأعاجم

وفيها أمر عمرُ المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس أين كانوا، وقيل: كان ذلك سنة ثمانٍ عشرة^(٨)، وقد تقدّم ذكره. وسبب ذلك ما كان من يَزْدَجِرْد وبُعْثه الجنود مرّة بعد أخرى، فوجّه الأمراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند، وكان بين عمل سعد وعمل عمّار أميران، أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبّان، وفي زمانه كانت وقعة نهاوند، والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قُصَيّ، وفي زمانه أمر بالانسياح وعُزل عبد الله وبُعْث في وجه آخر، ووُلّي زياد، وكان من المهاجرين، فعمل

-
- (١) في الطبعة الأوربية «خسروشنوم».
 - (٢) دَسْتَبِي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يُسمّى دسْتَبِي الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمّى همذان وهو عدّة قرى. (معجم البلدان ٢/٤٥٤).
 - (٣) في الطبعة الأوربية «بهراذان».
 - (٤) الخبر في تاريخ الطبري ١٣٣/٤، ١٣٤، وانظر فتوح البلدان ٣٨٠.
 - (٥) تاريخ الطبري ١٣٦/٤.
 - (٦) تاريخ الطبري ١٣٧/٤.

قليلاً وألح في الاستعفاء فأعفاه عمر، وولى عَمَّار بن ياسر وكتب معه إلى أهل الكوفة: إِنِّي بعثت عَمَّاراً أميراً وجعلتُ معه ابن مسعود معلماً. وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمرُ إلى الكوفة، وأمدَّ أهلَ البصرة بعبد الله بن عبد الله، وأمدَّ أهلَ الكوفة بأبي موسى. وكان أهل همدان قد كفروا بعد الصلح، فبعث عمر لواءً إلى نُعيم بن مُقرن وأمره بقصد همدان، فإذا فتحها سار إلى ما وراء ذلك إلى خُراسان، وبعث عُتبة بن فرقد وبُكير بن عبد الله إلى أذَرَبِيجَان، يدخل أحدهما من حُلوان والآخر من المَوْصل، وبعث عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان، وأمر عمرُ سُرَاقَةَ على البصرة^(١).

ذكر فتح أصبهان^(٢)

وفيها بعث عمر إليها عبد الله بن عبد الله بن عَتْبَان، وكان شجاعاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبني الحُبَلِي^(٣)، وأمدَّه بأبي موسى، وجعل على مُجَنَّبِيَّه عبد الله بن ورقاء الرياحيَّ وعصمة بن عبد الله، فساروا إلى نهاوند، ورجع حذيفة إلى عمله على ما سَقَتْ دجلة وما وراءها، وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جُند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها الأسيدان^(٤)، وعلى مقدّمته شهریار بن جاذوِيَه^(٥)، شيخ كبير، في جمع عظيم، ومقدّمة المشركين بُرُستاق لأصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودعا الشيخُ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحيَّ فقتله، وانهزم أهل أصبهان، فسُمِّي ذلك الرُستاق رُستاق الشيخ إلى اليوم، وصالحهم الأسيدان^(٦) على رُستاق الشيخ، وهو أوّل رُستاق أخذ من أصبهان.

ثم سار عبد الله إلى مدينة جَيّ وهي مدينة أصبهان، فانتهى إليها والملك بأصبهان الفاذوسفان^(٧)، فنزل بالناس على جَيّ وحاصرها وقتلها، ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وأنّ على من أقام الجزية وأقام على ماله وأن يُجرى من أخذت أرضه عُنوة مجراهم، ومن أبى وذهب كان لكم أرضه. وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية

(١) تاريخ الطبري ١٣٨/٤.

(٢) أنظر عن فتح أصبهان في: فتوح البلدان ٣٨٣، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٦٨/٢، وتاريخ اليعقوبي ١٥٧/٢ والخراج لقدامة ٣٧٣، وتاريخ الطبري ١٣٩/٤، والبدایة والنهاية ١١٢/٧، ونهاية الأرب ٢٦٢/١٩، وتاريخ ابن خلدون ١١٨/٢، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٢.

(٣) الحُبَلِي: بضم الحاء المهملة. منسوب إلى حيّ من اليمن من الأنصار. (اللباب ٣٣٧/١).

(٤) ورد في تاريخ الطبري ١٤٠/٤ «الاستندار». والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٢٦٢/١٩.

(٥) ورد في تاريخ الطبري «شهربراز جاذوِيَه».

(٦) في كتاب الفتوح لابن أعثم ٧٢/٢ «الفاذوسفان ابن ساسب».

الأهواز وقد صالح، فخرج القوم من جَيٍّ ودخلوا في الدَّمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان لحقوا بكرَّمان. ودخل عبد الله وأبو موسى جَيًّا، وكتب بذلك إلى عمر. فقدم كتاب عمر إلى عبد الله: أن سِرَّ حتى تَقْدَم على سُهيل بن عدي فتكون معه على قتال مَنْ بكرَّمان، فسار واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع، ولحق بسُهيل قبل أن يصل إلى كَرمان^(١).

قيل: وقد رُوي عن معقل بن يسار أنَّ الأمير كان على الجُند الذين فتحوا أصبهان النُعمان بن مقرن، وأنَّ عمر أرسله من المدينة إلى أصبهان وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدَّوه، فسار إلى أصبهان وبها ملكها ذو الحَاجِبين، فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة وعاد من عنده فقاتلهم، وقُتِل النُعمان، ووقع ذو الحَاجِبين^(٢) عن دابَّته فانشقَّت بطنه وانهزم أصحابه. قال معقل: فأتيت النُعمان وهو صريع فجعلت عليه علماً. فلما انهزم المشركون أتيته، ومعِي إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب فقال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم. قال: الحمد لله! ومات^(٣).

هكذا في هذه الرواية، والصحيح أنَّ النُعمان قُتل بنهاوند، وافتتح أبو موسى قُمْ وقاشان^(٤).

ذكر ولاية المُغيرة بن شُعبة على الكوفة

وفيهما وُلِّيَ عمرُ عَمَّارَ بن ياسر على الكوفة، وابن مسعود على بيت المال. فشكا أهل الكوفة عَمَّاراً، فاستعفى عَمَّارُ عمرَ بن الخطاب، فولَّى عمرُ جبير بن مُطِعم الكوفة، وقال له: لا تذكره لأحد. فسمع المغيرة بن شُعبة أنَّ عمر خلا بجبير، فأرسل امرأته إلى امرأة جبير بن مُطِعم لتعرض عليها طعام السفر، ففعلت، فقالت: نعم ما حييتني به^(٥). فلما علم المغيرة جاء إلى عمر فقال له: بارك الله لك فيمن وليت! وأخبره الخبر فعزله وولَّى المغيرة بن شُعبة الكوفة، فلم يزل عليها حتى مات عمر^(٦). وقيل: إنَّ عَمَّاراً عُزل سنة اثنتين وعشرين وولَّى بعده أبو موسى. وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) تاريخ الطبري ١٣٩/٤ - ١٤١، وانظر فتوح البلدان ٣٨٤ رقم ٧٨٤.

(٢) عند المسعودي في مروج الذهب ٣٣٢/٢ «ذو الجناحين». وفي البدء والتاريخ ١٨٢/٥ «ذو الحاجب».

(٣) تاريخ الطبري ١٤٣/٤، مروج الذهب ٣٣٢/٢، ٣٣٣، البدء والتاريخ ١٨٢/٥.

(٤) فتوح البلدان ٣٨٤ رقم ٧٨٧ وص ٣٨٥.

(٥) في الطبعة الأوربية: نعم حييتني به. وفي تاريخ الطبري: فحييتني به.

(٦) تاريخ الطبري ١٤٤/٤، وانظر تاريخ خليفة ١٤٩.

ذكر عدة حوادث

قيل: وفيها بعث عمرو بن العاص عُقْبَةَ بن نافع الفِهْرِيَّ، فافتتح زُوَيْلَةَ صلحاً، وما بين بَرْقَة وزُوَيْلَة سلم للمسلمين^(١). وقيل: سنة عشرين.

كان الأمراء في هذه السنة: عُمَيْر بن سعد على دمشق وَخَوْران وحمص وقنسرين والجزيرة؛ ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية وقلقيّة ومَعْرَة مَصْرِين، وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عُتْبَة بن ربيعة على قِلْقِيّة وأنطاكية ومَعْرَة مَصْرِين^(٢).

وفيها وُلد الحَسَن البَصْرِيّ والشَّعْبِيّ^(٣).

وحجّ بالناس عمر بن الخطّاب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت. وكان عامله على مكّة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك، وكان على الكوفة عَمَّار بن ياسر، وشُريح على القضاء^(٤).

وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدى، فقتل الجارود بَعْقَة تعرف بعقبة الجارود^(٥). وقيل: بل قتل بنهاوند مع النعمان.

[الوفيات]

وفيها مات حممة^(٦)، وهو من الصحابة، بأصبهان بعد فتحها. والعلاء بن الحضرمي وهو على البحرين، فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة. وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطّاب^(٧)، وقيل: مات سنة ثلاث وعشرين، وقيل: مات بالمدينة. والأوّل أصح.

(١) تاريخ الطبري ١٤٤/٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٤/٤، ١٤٥.

(٣) تاريخ خليفة ١٤٩، الطبري ١٤٥/٤.

(٤) تاريخ الطبري ١٤٥/٤.

(٥) تاريخ خليفة ١٤٩، تاريخ الإسلام ٢٢٣.

(٦) أنظر عنه في كتاب الزهد لأحمد (أخبار هرم بن حيّان) ٢٨٢، والاستيعاب لابن عبد البر ٣٩٢/١، ٣٩٣، وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ٧١/١، وأسد الغابة لابن الأثير ٥٣/٢، والوافي بالوفيات للصفدي ١٩٣، ١٩٢/١٣، والإصابة لابن حجر ٣٥٥/١ رقم ١٨٣٢.

(٧) تاريخ البعقوبي ١٥٧/٢، مسند أحمد ٨٨/٤، ٨٩، السير والمغازي لابن إسحاق ١٩٣ و٣٢٧، المغازي للواقدي (راجع فهرس الأعلام)، سيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢/ تهذيب سيرة ابن هشام ١٥٩ و٢٢١ و٢٤١ و٢٤٢ و٢٦٩ و٢٩٢ و٢٩٣ و٣٢٠ و٣٢١، فتوح الشام للأزدي (راجع فهرس الأعلام ٢٨٩)، فتوح الشام المنسوب للواقدي ١٣ و٤٦ و٥٤ و٦٥ و١١٤ وغيرها، الفتوح لابن أعثم ٧/١ و١٦ و٢٦ =

١٣٧ و ٢١٥ و ١٩٣ و ١٩١ و ١٧٦ و ١٧٥ و ١٥٧ و ١٤٩ و ١٣٢ و ٩١ و ٩٠ و ٤٣ و ٣٨ و ٣٧ و ٢٣٩ و ٢٧٠، طبقات ابن سعد ٢٥٢/٤، ٢٥٣ و ٣٩٤/٧ و ٣٩٨، نسب قریش لمصعب ٤٢ و ٢٥١ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٢٤ و ٣٣٠ و ٣٥٧ و ٤٠٩ و ٤١٢، المحرر لابن حبيب ١٠٨ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٩٠ و ٣١٥ و ٣٦١ و ٤٠٩ و ٤٧٩، الأخبار الموقفات للزبير ٥٨١ و ٦٢٩ و ٦٣٠، طبقات خليفة ١٩، ٢٠ و ٢٩٩، تاريخ خليفة ٨٦ و ٨٨ و ٩٢ و ١٥٠، التاريخ الصغير للبخاري ٢٣/١ و ٤٠، والتاريخ الكبير له ١٣٦/٣ رقم ٤٦١، البرصان والعرجان للجاحظ ٣٠٥ و ٣٤٤، التاريخ لابن معين ١٤٦/٢، أخبار مكة للأزرقي ١٢٦ و ١٣١ و ٢٦٧، المعارف لابن قتيبة ٦٦ و ١٦٣ و ١٦٥ و ١٨٢ و ٢١٠ و ٢٦٧ و ٢٨٢ و ٢٨٦ و ٣٠٣ و ٣٣٣ و ٤٣٥ و ٤٩١ و ٥٦٩، تاريخ أبي زرعة ١٧١/١ - ١٧٣، مقدمة مسند بقي بن مخلد ٩٢ رقم ١٣٣، فتوح البلدان للبلاذري (راجع فهرس الأعلام ٦١٦)، أنساب الأشراف ١/١ و ٢٤٤ و ٣٠٢ و ٣١٦ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٣ و ٣٣٤ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٦١ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٤ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

في هذه السنة افتتحت أذربيجان، وقيل: سنة ثمانى عشرة بعد فتح همذان والريّ وجرجان، فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر أذربيجان بعدها.

ذكر فتح همذان ثانياً

قد تقدّم مسير نعيم بن مقرّن إلى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو، فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خُشروشنوم^(١)، فلما قدّم عهد نعيم من عند عمر ودّع حذيفة وسار يريد همذان، وعاد حذيفة إلى الكوفة، فخرج نعيم بن مقرّن على تعبئة إلى همذان فاستولى على بلادها جميعاً وحاصرها، فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية. وقد قيل: إنّ فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر. فبينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفاً من الجند كاتب الدّيلم وأهل الريّ وأذربيجان، إذ خرج موتا^(٢) في الدّيلم حتى نزل بواج رُوذ^(٣)، وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الريّ، وأقبل أسفنديار أخورستم في أهل أذربيجان، فاجتمعوا وتحصّن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس الهمدانيّ وخرج إليهم، فاقتتلوا بواج رُوذ^(٤) قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة تعدل بنهاوند، فانهزم الفرس هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحصّون، فأرسلوا إلى عمر مبشراً، فأمر عمر نعيماً بقصد الريّ وقاتل من بها والمقام بها بعد فتحها. وقيل: إنّ المغيرة بن شعبه، وهو عامل على الكوفة،

(١) في الطبعة الأوربية «خشرشنوم».

(٢) في نهاية الأرب ٢٦١/١٩ «موتى»، وفي معجم البلدان ٣٤١/٥ «موتا».

(٣) واج رُوذ: موضع بين همذان وقزوين. (معجم البلدان ٣٤١/٥) وفيه أن الوقعة كانت سنة ٢٩ هـ. وهذا وهم من النسخ. وورد في الأصل «بواج بوذ».

(٤) في الأصل «بواج الروذ».

أرسل جرير بن عبد الله إلى همدان، فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم، فقال: احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله^(١). ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسراً. وقيل: كان فتحها على يد المغيرة بنفسه، وكان جرير على مقدمته. وقيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري^(٢).

ذكر فتح قزوين وزنجان

لما سار المغيرة جريراً إلى همدان ففتحها سائر البراء بن عازب في جيش إلى قزوين، وأمره أن يسير إليها، فإن فتحها غزا الديلم منها، وإنما كان مغزاهم قبل من دسّتي. فسار البراء حتى أتى أبهر^(٣)، وهو حصن، فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان فآمنهم وصالحهم، ثم غزا قزوين، فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا إلى الديلم يطلبون النصرة فوعدهم، ووصل المسلمون إليهم فخرجوا لقتالهم، والديلم وقوف على الجبل لا يمدّون يداً، فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر؛ وقال بعض المسلمين:

قَدْ عَلِمَ الدَّيْلَمُ إِذْ تَحَارَبَ حِينَ أَتَى فِي جَيْشِهِ ابْنُ عَازِبٍ
بَأَنَّ ظَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَاذِبٌ فَكَمْ قَطَعْنَا فِي دُجَى الْغِيَاهِبِ
مِنْ جَبَلٍ وَعَرٍ وَمِنْ سَبَاسِبٍ^(٤)

وغزا البراء الديلم حتى أدوا إليه الإتاوة، وغزا جيلان^(٥)، والطّيلسان^(٦)، وفتح زنجان^(٧) عنوة. ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم، وجيلان، وموقان^(٨)، والبيبر^(٩)،

- (١) لم أجد هذا الخبر في المصادر التي ترجمت لجرير بن عبد الله. وهو في فتوح البلدان ٣٨٠ رقم ٧٧٦.
- (٢) تاريخ الطبري ١٤٨/٤، وفتوح البلدان ٣٨٥.
- (٣) أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل. والعجم يسمونها أُوهر. (معجم البلدان ٨٢/١).
- (٤) فتوح البلدان ٣٩٥.
- (٥) جيلان: بالكسر. اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. (معجم البلدان ٢٠١/٢).
- (٦) الطيلسان: بفتح أوله وسكون ثانيه. إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر. (معجم البلدان ٥٦/٤).
- (٧) زنجان: بفتح أوله وسكون ثانيه. بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قرية من أبهر وقزوين. والعجم يقولون زكان بالكاف. (معجم البلدان ١٥٢/٣).
- (٨) موقان: بالضم ثم السكون. ولاية فيها قرى ومروج كثيرة، وهي بأذربيجان يمر القاصد من أربيل إلى تبريز في الجبال. (معجم البلدان ٢٢٥/٥).
- (٩) لم يذكرها ياقوت في معجمه. بل ذكر «بَيْر». (٣٣٣/١).

والطيلسان، ثمَّ انصرف^(١).

ذكر فتح الرِّيِّ^(٢)

ثمَّ انصرف نُعيم من واج رُود حتى قَدِم الرِّيِّ، وخرج الزَّينبيُّ أبو الفَرَّخان من الرِّيِّ فلقى نُعيماً طالباً الصِّلح ومسالماً له ومخالفاً لملك الرِّيِّ، وهو سِيَاوُخْش بن مهران بن بَهْرَام جوبين^(٣)، فاستمدَّ سِيَاوُخْش أهل دُنْبَاوَنَد وطبرستان وقُومِس وجُرْجان، فأمدَّوه خوفاً من المسلمين، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الرِّيِّ إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به، وكان الزَّينبيُّ قال لنُعيم: إنَّ القوم كثير وأنت في قَلَّة، فابعثْ معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهضهم أنت، فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك. فبعث معه نُعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزَّينبيُّ المدينة، ولا يشعر القوم، وبيتهم نُعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهمزموا، فقتلوا مقتلةً عُدُّوا بالقصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالرِّيِّ نحواً ممَّا في المدائن، وصالحه الزَّينبيُّ على الرِّيِّ، ومَرْزَبَه^(٤) عليهم نُعيم، فلم يزل شرف الرِّيِّ في أهل الزَّينبيِّ، وأخرب نُعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها العتيقة، وأمر الزَّينبيُّ فبنى مدينة الرِّيِّ الحُدثى. وكتب نُعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس، وكان البشير المضارب العجليّ. وراسله المصمغان في الصِّلح على شيء يفتدي به منه على دُنْبَاوَنَد، فأجابه إلى ذلك^(٥).

وقد قيل: إنَّ فتح الرِّيِّ كان على يد قَرْظَة بن كعب، وقيل: كان فتحها سنة إحدى وعشرين. وقيل غير ذلك^(٦). والله أعلم.

ذكر فتح قُومِس وجُرْجان وطبرستان

لما أرسل نُعيم إلى عمر بالبشارة وأخماس الرِّيِّ كتب إليه عمر يأمره بإرسال أخيه

-
- (١) فتوح البلدان ٣٩٤، ٣٩٥، الخراج لقدامة ٣٧٦، ٣٧٧، نهاية الأرب ٢٦٣/١٩.
 - (٢) أنظر عن فتح الرِّيِّ في: تاريخ اليعقوبي ١٥٧/٢، وتاريخ خليفة ١٥١، وفتوح البلدان ٣٨٩، وتاريخ الطبري ١٥٠/٤، والخراج لقدامة ٣٧٤، ونهاية الأرب ٢٦٤/١٩ والبدية والنهاية ١٢١/٧، ١٢٢، وتاريخ ابن خلدون ١١٨/٢، ١١٩.
 - (٣) في تاريخ الطبري «شوبين».
 - (٤) مَرْزَبَه عليهم: أي جعله مرزباناً عليهم. والمرزبان: رئيس الفرس.
 - (٥) الخبر في تاريخ الطبري ١٥٠/٤، ١٥١.
 - (٦) الطبري ١٤٨/٤.

سُوَيْد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملي وغيره إلى قُومس، فسار سُوَيْد نحو قُومس، فلم يَقم له أحد، فأخذها سَلماً وعسكر بها، وكاتبه الذين لجأوا إلى طَبْرِستان منهم والذين أخذوا المفاوز، فأجابهم إلى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك. ثم سار سُوَيْد إلى جُرْجان فعسكر بها بِسِطام وكتب إلى ملك جُرْجان، وهو زُرْنان صول^(١)، وكاتبه زُرْنان صول وصالحه على جُرْجان على الجزية وكفاية حرب جُرْجان، وأن يُعينه سُوَيْد إن غلب، فأجابه سُوَيْد إلى ذلك، وتلقاه زُرْنان صول قبل دخوله جُرْجان، فدخل معه وعسكر بها حتى جَبَى الخراج وسمّى فروجها، فسَدّها بترك دِهستان، ورفع الجزية عَمَّن قام بمنعها^(٢) وأخذها من الباقين.

وقيل: كان فتحها سنة ثمانين عشرة^(٣). وقيل: سنة ثلاثين زمن عثمان^(٤).

قيل: وراسل الإصبهني صاحب طبرستان سُوَيْداً في الصلح، على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه وكتب له كتاباً^(٥).

ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة^(٦)

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه. فلما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقها، فخرج رجل من بني مُدَلج يتصيد في سبعة نفر، وسلكوا غرب المدينة، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر، ولم يكن السور متصلاً بالبحر، وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم، فرأى المُدَلجي وأصحابه مسلماً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا، فلم يكن للروم ملجأ إلاّ سفنهم، لأنهم ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد، ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في

(١) وردت في الأصول «زرنان» و «زرنان» و «زرنان» وفي تاريخ الطبري ١٥٢/٤ «زُربان».

(٢) عبارة الطبري ١٥٢/٤ «فرغ الجزاء عَمَّن أقام يمنعها».

(٣) الطبري ١٥٢/٤.

(٤) الطبري ١٥٣/٤.

(٥) الخبر ونصّ الكتاب في تاريخ الطبري ١٥٣/٤.

(٦) أنظر عن فتح طرابلس الغرب وبرقة في: تاريخ خليفة ١٥٢، وتاريخ يعقوبي ١٥٦/٢، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٠ وما بعدها، وفتوح البلدان ٢٦٤ و ٢٦٦، والخراج لقدامة ٣٤٢، والوَلَاة والقضاة للكندي ١٠، ووَلَاة مصر له ٣٣، ونهاية الأرب ٣٣٠/١٩، والنجوم الزاهرة ٧٦/١، وتاريخ الخميس ٢٧١/٢، والمختصر في أخبار البشر ١٦٤، وتتممة المختصر ١٤٩/١، وتاريخ ابن خلدون ١٢٨/٢، ومروءة الجنان لليافعي ٧٧/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - بتحقيقنا - ٢٤٢/٣.

المدينة وسمعوا الصباح، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد، فلم يفلت الروم إلا بما خف معهم في مراكبهم.

وكان أهل حصن سَبْرَة^(١) قد تحصّنوا لما نزل عمرو على طرابلس، فلمّا امتنعوا عليه بطرابلس أمّنوا واطمأنّوا، فلمّا فُتحت طرابلس جند عمرو عسكرياً كثيفاً وسيّره إلى سَبْرَة، فصبّحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح، لأنّهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس، فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرةً وغنموا ما فيه وعادوا إلى عمرو. ثمّ سار عمرو بن العاص إلى برقة وبها لُواتة، وهم من البربر.

وكان سبب مسير البربر إليها وإلى غيرها من الغرب أنّهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام، وكان ملكهم جالوت، فلمّا قُتل سارت البرابر وطلبوا الغرب، حتى إذا انتهوا إلى لُوبية ومِراقية، وهما كورتان من كُور مصر الغربيّة، تفرّقوا فسارت زناتة ومغيلة، وهما قبيلتان من البربر، إلى الغرب فسكنوا الجبال، وسكنت لُواتة أرض برقة، وتعرّف قديماً بأنطابُلُس، وانتشروا فيها حتى بلغوا السُوس، ونزلت هواره مدينة لَبْدَة^(٢)، ونزلت نفوسة إلى مدينة سَبْرَة، وجلا من كان بها من الروم لذلك، وقام الأفارق، وهم خدّم الروم، على صلح يؤدّونه إلى من غلب على بلادهم. وسار عمرو بن العاص، كما ذكرنا، فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدّونها جزيةً، وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم.

ذكر فتح أذربيجان^(٣)

قال: فلمّا افتتح نعيم الرّبيّ بعث سِمَاك بن خَرْشَة الأنصاريّ، وليس بأبي دُجّانة، مُمِداً لُبْكير بن عبد الله بأذربيجان، أمره عمر بذلك، فسار سِمَاك نحو بُكير، وكان بُكير حين بُعث إليها سار حتى إذا طلع بجبال جَرْمِيْدان طلع عليهم اسفنديار^(٤) بن فرخزاد مهزوماً من واج رُود، فكان أوّل قتالٍ لقيه بأذربيجان، فاقتلوا، فهزم الفرس وأخذ بُكير اسفنديار^(٤) أسيراً. فقال له اسفنديار: الصلح أحبّ إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح.

(١) سَبْرَة: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلفظ المرّة الواحدة. (معجم البلدان ٣/١٨٤) وهي صبراته الآن.

(٢) لَبْدَة: مدينة بين برقة وإفريقية. (معجم البلدان ١٠/٥).

(٣) أنظر عن فتح أذربيجان في: فتوح البلدان ٤٠٠، وتاريخ الطبري ٤/١٥٣، وتاريخ خليفة ١٥١، والخراج

لقدامة ٣٧٨، ونهاية الأرب ١٩/٢٦٦، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٢٤١، والمختصر في أخبار البشر

١/١٦٤، وتتمّة المختصر ١/١٤٩، ومرآة الجنان ١/٧٧، والبداية والنهاية ٧/١٢٢، وتاريخ ابن خلدون

٢/١١٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٥٦.

(٤) في تاريخ الطبري ٤/١٥٤ «إسفنديار».

قال: أَمْسِكْنِي عِنْدَكَ فَإِنَّ أَهْلَ أَذْرَبِيجَانَ إِن لَمْ أَصَالِحْ عَلَيْهِمْ أَوْ أَجِءْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَقُومُوا لَكَ، وَجَلُّوا إِلَى الْجِبَالِ الَّتِي حَوْلَهَا، وَمَنْ كَانَ عَلَى التَّحَصُّنِ تَحَصَّنَ إِلَى يَوْمٍ مَا. فَأَمْسَكَهُ عِنْدَهُ، وَصَارَتِ الْبِلَادُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَصْنٍ. وَقَدِمَ عَلَيْهِ سِمَاكُ بْنُ خَرَّشَةَ مُمِدًّا، وَاسْفَنْدِيَارُ فِي إِسَارِهِ وَقَدْ افْتَتَحَ مَا يَلِيهِ، وَافْتَتَحَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدَ مَا يَلِيهِ.

وكتب بُكَيْرُ إِلَى عَمْرِو يَسْتَأْذِنُهُ فِي التَّقَدُّمِ، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْبَابِ، وَأَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى مَا افْتَتَحَهُ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدَ، فَأَقْرَعَ عُتْبَةُ سِمَاكُ بْنُ خَرَّشَةَ عَلَى عَمَلِ بُكَيْرِ الَّذِي كَانَ افْتَتَحَهُ، وَجَمَعَ عَمْرُ أَذْرَبِيجَانَ كُلَّهَا لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدَ.

وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عُتْبَةَ، وَأَقَامَ بِهِ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ، فَاقْتَتَلُوا، فَانْهَزَمَ بَهْرَامُ، فَلَمَّا بَلَغَ خَبْرَهُ اسْفَنْدِيَارُ وَهُوَ فِي الْأَسْرِ عِنْدَ بُكَيْرٍ قَالَ: الْآنَ تَمَّ الصِّلْحُ وَطَفَّتِ الْحَرْبُ. فَصَالَحَهُ وَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ أَهْلُ أَذْرَبِيجَانَ كُلَّهُمْ، وَعَادَتِ أَذْرَبِيجَانَ سَلَامًا. وَكَتَبَ بِذَلِكَ بُكَيْرُ وَعُتْبَةُ إِلَى عَمْرِو وَبَعَثَا بِمَا خَمَّسَا. وَلَمَّا جَمَعَ عَمْرُ لِعُتْبَةَ عَمَلَ بُكَيْرِ كَتَبَ لِأَهْلِ أَذْرَبِيجَانَ كِتَابًا بِالصِّلْحِ^(١).

وفيهما قَدِمَ عُتْبَةُ عَلَى عَمْرِو بِالْخَبِيرِ الَّذِي كَانَ أَهْدَى لَهُ. وَكَانَ عَمْرُ يَأْخُذُ عَمَّالَهُ بِمَوَافَاةِ الْمَوْسَمِ كُلِّ سَنَةٍ، يَمْنَعُهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الظُّلْمِ^(٢).

ذِكْرُ فَتْحِ الْبَابِ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ فَتْحُ الْبَابِ، وَكَانَ عَمْرُ رَدَّ أَبَا مُوسَى إِلَى الْبَصْرَةِ وَبَعَثَ سُرَاقَةَ بْنَ عَمْرِو، وَكَانَ يُدْعَى ذَا النُّورِ، إِلَى الْبَابِ، وَجَعَلَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَيْضًا يُدْعَى ذَا النُّورِ، وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى مُجَنَّبَتَيْهِ حُذَيْفَةَ بْنَ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ، وَعَلَى الْأُخْرَى بُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ، وَكَانَ بُكَيْرُ سَبْقَهُ إِلَى الْبَابِ. وَجَعَلَ عَلَى الْمَقَاسِمِ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ. فَسَارَ سُرَاقَةُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ قَدِمَ بُكَيْرُ إِلَى الْبَابِ، وَكَانَ عَمْرُ قَدْ أَمَدَّ سُرَاقَةَ بِحَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَجَعَلَ مَكَانَهُ زِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ. وَلَمَّا أَطَّلَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى الْبَابِ، وَالْمَلِكُ بِهَا يَوْمُئِذٍ شَهْرِيَارُ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ شَهْرِيَارِ^(٣) الَّذِي أَفْسَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَغْرَى الشَّامَ بِهِمْ، فَكَاتَبَهُ شَهْرِيَارُ وَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُ، فَفَعَلَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي بِإِزَاءِ عَدُوِّ كَلْبٍ وَأُمَمٍ مُخْتَلِفَةٍ لَيْسَتْ لَهُمْ أَحْسَابُ، وَلَا يَنْبَغِي لَذِي الْحَسَبِ

(١) الخبير في تاريخ الطبري ١٥٣/٤، ١٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٥٥/٤.

(٣) في تاريخ الطبري ١٥٦/٤ «شهربراز».

والعقل أن يعينهم^(١) على ذي الحسب، ولست من القبح^(٢) ولا الأرمن في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادتي وأمتي، فأنا منكم ويدي مع أيديكم، وجزيتي إليكم والنصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم.

قال: فسيره عبد الرحمن إلى سُرَاقَة، فلقّيه بمثل ذلك، فقيل منه سُرَاقَة ذلك، وقال: لا بدّ من الجزية ممّن يقيم ولا يحارب العدو. فأجابه إلى ذلك. وكتب سُرَاقَة في ذلك إلى عمر، فأجازه عمر واستحسنه^(٣).

ذكر فتح موقان

لما فرغ سُرَاقَة من الباب أرسل بُكَيْرَ بن عبد الله، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بُكَيْراً إلى موقان، وحبيباً إلى تَفْلَيْس، وحذيفة إلى جبال اللان، وسلمان إلى الوجه الآخر. وكتب سُرَاقَة بالفتح إلى عمر، وبارسال هؤلاء نفر إلى الجهات المذكورة، فأتى عمر أمر لم يظنّ أن يتمّ له بغير مؤونة، لأنّه فرج عظيم وجُند عظيم، فلمّا استوسقوا واستحلّوا الإسلام وعدّله مات سُرَاقَة، واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة. ولم يفتتح أحد من أولئك القوَاد إلا بُكَيْر، فإنّه فضّ أهل موقان، ثمّ تراجعوا على الجزية، عن كلّ حالمٍ دينار.

وكان فتحها سنة إحدى وعشرين. ولما بلغ عمر موت سُرَاقَة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك^(٤).

(أسيد في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين. والنور في الموضعين بالراء).

ذكر غزو الترك

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب. فقال له شهریار^(٥): ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غزو بَلَنْجَرِ والترك. قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال عبد الرحمن: لكنّا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وبالله

(١) في نسخة باريس «يعينهم»، وفي نسخة بودليان «يعينهم».

(٢) في الطبعة الأوربية «الفتح».

(٣) تاريخ الطبري ١٥٥/٤، ١٥٦.

(٤) تاريخ الطبري ١٥٧/٤، ١٥٨.

(٥) في تاريخ الطبري «شهربراز».

إِنَّ معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم^(١). قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسولَ الله ﷺ، ودخلوا في هذا الأمر بنية، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يُلْقُوا عن حالهم. فغزا بَلَنْجَرُ غزاةً في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بَلَنْجَر، وعادوا ولم يُقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات، فظفر كما كان يظفر، حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحاً لهم فزادهم فساداً، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك، فتذامرت الترك، واجتمعوا في الغياض، فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا واشتد قتالهم، ونادى منادٍ من الجوّ: صبراً عبد الرحمن وموعدكم الجنة! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادى منادٍ من الجوّ: صبراً آل سلمان! فقال سلمان: أوترى جزعاً؟ وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدؤسي على جيلان، فقطعوها إلى جرجان، ولم يمنعهم ذلك من إنجاء جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به إلى الآن^(٢).

ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

في هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم.

وسبب ذلك أن عمر بن سُراقَة كتب إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجز خراجهم عنهم، وسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان، وبلغ أهل الكوفة ذلك، وقالوا لعمار بن ياسر، وكان على الكوفة أميراً سنة وبعض أخرى: اكتب إلى عمر أن رامهرمز وإيذج لنا دونهم، لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما، فلم يفعل عمار، فقال له عطار: أيها العبدُ الأجدع فعلام تدع فيئنا^(٣)؟ فقال: لقد سببت أحب أذني إلي! فأبغضوه لذلك. واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة، وأدعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان، أيام أمد به عمر بن الخطاب أهل الكوفة. فقال لهم

(١) في تاريخ الطبري «الردم».

(٢) تاريخ الطبري ١٥٨/٤، ١٥٩.

(٣) في الطبعة الأوربية «فيئنا».

أهل الكوفة: أتيتمونا مدداً، وقد افتتحنا البلاد فأنشيناكم^(١) في المغانم، والذمة ذمتنا، والأرض أرضنا. فقال عمر: صدقوا. فقال أهل الأيام والقادسية ممن سكن البصرة: فلتعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم. فأعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة، أخذها من شهد الأيام والقادسية.

ولما ولي معاوية، وكان هو الذي جند قنشرين ممن أتاه من أهل العراقيين أيام علي، وإنما كان قنشرين رُستاقاً من رساتيق حمص، فأخذ لهم معاوية حين ولي بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب، لأنه من فتوح أهل الكوفة. وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقله^(٢)، انتقل إليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام علي، فأعطاهم معاوية من ذلك نصيباً.

وكفر أهل أرمينية أيام معاوية، وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب، وحبيب يومئذ بجُرْزان، وكاتب أهل تَفْلِيس وتلك الجبال من جُرْزان فاستجابوا له^(٣).

ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمُغيرة بن شُعبة

وفيها عزل عمرُ بن الخطاب عمارَ بن ياسر عن الكوفة، واستعمل أبا موسى. وسبب ذلك أن أهل الكوفة شكّوه وقالوا له: إنه لا يحتمل ما هو فيه، وإنه ليس بأمين، ونزاه^(٤) أهل الكوفة. فدعاه عمر، فخرج معه وفد يريد أنهم معه، فكانوا أشدَّ عليه ممن تخلف عنه^(٥)، وقالوا: إنه غير كافٍ وعالم بالسياسة، ولا يدري على ما استعملته. وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار، وجري بن عبد الله، فسعى به، فعزله عمر. وقال عمر لعمار: أساءك العزل؟ قال: ما سرّني حين استعملتُ ولقد ساءني حين عزلتُ. فقال له: قد علمتُ ما أنت بصاحب عمل، ولكنني تأولتُ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»^(٦).

(١) في تاريخ الطبري ١٦١/٤ «فأسيناكم».

(٢) في الأوربية «نافلة» والناقلة من الناس الذين دأبهم الانتقال من مكان إلى آخر.

(٣) تاريخ الطبري ١٦٠/٤ - ١٦٢.

(٤) في الطبعة الأوربية: ويرابه.

(٥) في الطبعة الأوربية: فكانوا أشدَّ عليه من يخلف عنه.

(٦) سورة القصص - الآية ٥.

ثم أقبل عمر على أهل الكوفة فقال: من تريدون؟ قالوا: أبا موسى. فأمره عليهم بعد عمار. فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف، فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا: إن غلامه يتجر في جسرنا، فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة. وصرف عمر ابن سراقاة إلى الجزيرة.

وخلا عمر في ناحية المسجد فنام، فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ، فقال: ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم. فقال: وأي شيء أعظم من مائة ألف لا يرصون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير؟ وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل. وأتاه أصحابه فقالوا: ما شأنك؟ فقال: إن أهل الكوفة قد عضلوني^(١). واستشارهم فيمن يوليّه. وقال: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم، أو رجل قويّ مسدّد؟ فقال المغيرة: أمّا الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأمّا القويّ المسدّد^(٢) فإن سداًه لنفسه وقوّته للمسلمين. فولّى المغيرة الكوفة، فبقي عليها حتى مات عمر، وذلك نحو سنتين وزيادة. وقال له حين بعثه: يا مغيرة ليأمنك الأبرار، وليخفك الفجار. ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة، فقتل عمر قبل ذلك فأوصى^(٣) به^(٤).

ذكر فتح خراسان

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خراسان، في قول بعضهم. وقيل: سنة ثمان عشرة.

وسبب ذلك أن يزيدجرد لما سار إلى الريّ بعد هزيمة أهل جلولاء، وانتهى إليها وعليها أبان جاذويه وثب عليه فأخذه. فقال يزيدجرد: يا أبان تغدرني! قال: لا ولكن قد تركت مُلكك، فصار في يد غيرك، فأحببت أن أكتب على ما كان لي من شيء. وأخذ خاتم يزيدجرد، واكتب الصّكّاء بكل ما أعجبه، ثم ختم عليها وردّ الخاتم، ثم أتى بعد سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه^(٥).

(١) في تاريخ الطبري ١٦٥/٤ «عضلوا بي». أي ضاق بي أمرهم.

(٢) في تاريخ الطبري ١٦٥/٤ «المسدّد».

(٣) في الطبعة الأوربية «فأرضى».

(٤) تاريخ الطبري ١٦٣/٤ - ١٦٥.

(٥) تاريخ الطبري ١٦٦/٤.

وسار يزدجرد من الريّ إلى أصبهان، ثمّ منها إلى كرمان والنار معه، ثمّ قصد خراسان فأتى مرو فنزّلها، وبنى للنار بيتاً، واطمأنّ وأمن من أن يؤتى، ودان له من بقي من الأعاجم. وكاتب الهُرمُزان وأثار أهل فارس، فنكثوا، وأثار أهل الجبال والفيروزان، فنكثوا، فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس، فسار الأحنف إلى خراسان، فدخلها من الطَّبَسِين، فافتتح هَراة عنوةً، واستخلف عليها صُحار بن فلان العبديّ، ثمّ سار نحو مَرو الشاهجان، فأرسل إلى نيسابور مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِير، وإلى سَرَخَس الحارث بن حسان، فلمّا دنا الأحنف من مَرو الشاهجان خرج منها يزدجرد إلى مَرو الرُود حتى نزّلها، ونزل الأحنف مَرو الشاهجان، وكتب يزدجرد، وهو بمَرو الرُود، إلى خاقان وإلى ملك الصُّغد وإلى ملك الصين يستمدّهم. وخرج الأحنف من مَرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهليّ بعدما لحقت به أمداد أهل الكوفة، وسار نحو مَرو الرُود.

فلما سمع يزدجرد سار عنها إلى بلخ، ونزل الأحنف مَرو الرُود. وقدم أهل الكوفة إلى يزدجرد واتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فانهزم يزدجرد وعبر النهر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم؛ فبلخ من فتوحهم.

وتتابع أهل خراسان من هرب وشذّ على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان، وعاد الأحنف إلى مَرو الرُود فنزّلها، واستخلف على طخارستان ربّعيّ بن عامر، وكتب الأحنف إلى عمر بالفتح، فقال عمر: وددتُ أن بيننا وبينها بحراً من نار. فقال عليّ: ولمّ يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنّ أهلها سينقضّون منها ثلاث مرات فيجتاحون^(١) في الثالثة، فكان ذلك بأهلها أحبّ إليّ من أن يكون بالمسلمين^(٢).

وكتب عمر إلى الأحنف أن يقتصر على ما دون النهر ولا يجوز.

ولما عبر يزدجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصُّغد، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فنزلا بلخ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمَرو الرُود، ونزل المشركون عليه بمرو أيضاً.

وكان الأحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر إليه خرج ليلاً يتسمع هل يسمع برأي ينتفع به، فمرّ برجلين ينفّيان علفاً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أسندنا الأمير إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا

(١) في الأوربية «سينقضّون». فيجتاحون. (يجتاحون أي يهلكون).

(٢) تاريخ الطبري ١٦٨/٤.

من خلفنا، وكان قتالنا من وجهٍ واحدٍ رجوتُ أن ينصرنا الله. فرجع، فلمّا أصبح جمع الناسَ ورحل بهم إلى سفح الجبل، وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحوَ منهم، وأقبلت الترك ومن معها، فزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراهونهم، وفي الليل يتنحون عنهم.

فخرج الأحنف ليلةً طليعةً لأصحابه، حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان وقف، فلمّا كان وجه الصبح خرج فارس [من] الترك بطوّقه، فضرب بطله، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا، فطعنه الأحنف فقتله وأخذ طوق التركي ووقف، فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبهِ، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا، فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف، ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعلَ الرجلين، فحمل عليه الأحنف فقتله، ثم انصرف الأحنف إلى عسكره.

وكانت عادة الترك أنّهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء، كلّهم يضرب بطله، ثم يخرجون بعد خروج الثالث. فلمّا خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال: قد طال مقامنا وقد أصيب فرساننا، ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير؛ فرجعوا. وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم أحداً، وأتاهم الخبرُ بانصراف خاقان والترك إلى بلخ، وقد كان يزدجرد ترك خاقانَ مقابل المسلمين بمرو الرُود، وانصرف إلى مرو الشاهجان، فتحصّن حارثةُ بن النعمان ومن معه، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها، وخاقان مقيم ببلخ.

فلمّا جمع يزدجرد خزائنه، وكانت كبيرة عظيمة، وأراد أن يلحق بخاقان قال له أهل فارس: أي شيء تريد أن تصنع؟ قال: أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصّين. قالوا له: إنّ هذا رأي سوء، إرجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وهم أهل دين، وإنّ عدوّاً يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكةً من عدوّ يلينا في بلاده ولا دين لهم، ولا ندري ما وفائهم. فأبى عليهم. فقالوا: دع خزائننا نردّها إلى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا. فأبى، فاعتزلوه وقتلوه فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها، وانهزم منهم ولحق بخاقان، وعبر النهر من بلخ إلى فرغانة، وأقام يزدجرد ببلد الترك، فلم يزل مقيماً زمن عمر كلّهُ إلى أن كفر أهل خراسان زمن عثمان، وكان يكتبهم ويكاتبونه. وسيرد ذكر ذلك في موضعه.

ثم أقبل أهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الأحنف، فصالحوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة، واغتبطوا بملك المسلمين. وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية.

وسار الأحنف إلى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها، ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع. ثم رجع إلى مَرَو الرُّوذ فنزلها، وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر.

ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقيَا رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين، فأخبرهما^(١) أَنَّ ملك الصين قال له: صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فَإِنِّي أراك تذكر قَلَّةَ منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم، إِلَّا بخير عندهم وشرٌّ فيكم. فقلت: سَلْنِي عَمَّا أَحْبَبْتَ. فقال: أَيُؤْفُونَ بالعهد؟ قلت: نعم. قال: وما يقولون لكم قبل القتال؟ قال قلت: يدعوننا إلى واحدةٍ من ثلاث: إمَّا دينهم، فَإِنْ أَجَبْنَا أَجْرُونَا مجراهم، أو الجزية والمَنعة، أو المُنابذة. قال: فكيف طاعتم أمراءهم؟ قلت: أَطَوَّعَ قوم وأرشدهم. قال: فما يُحَلِّون وما يُحَرِّمون؟ فأخبرته. قال: هل يُحَلِّون ما حَرَّمَ عليهم أو يُحَرِّمون ما حُلِّلَ لهم؟ قلت: لا. قال: فَإِنَّ هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يُحَلِّوا حرامهم أو يُحَرِّموا حلالهم. ثم قال: أَخْبِرْنِي عن لباسهم؟ فأخبرته، وعن مَطَايَاهم؟ فقلت: الخيلُ العِراب، ووصفتها له. فقال: نِعِمَّتِ الحصون! ووصفت له الإبل وبروكها وقيامها بحملها. فقال: هذه صفة دوابِّ طوال الأعناق. وكتب معه إلى يزدجرد: إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أبعث إليك بجُنْدٍ أَوَّلِهِ بَمَرُو وآخره بالصِّين الجِهالَةُ بما يحقُّ عليّ، ولكنَّ هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدُّوها، ولو خلا لهم سربهم^(٢) أَزالوني ما داموا على [ما] وصف، فسألتهم وأرض منهم بالمساكنة^(٣)، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك. فأقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهدٍ من خاقان.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر بن الخطَّاب جمع الناس، وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح، وحمد الله في خطبته على إنجازه وعده، ثم قال: أَلَا وَإِنَّ ملكَ المجوسِيَّةِ قد هلك، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرَّ بمسلم. أَلَا وَإِنَّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فلا تبدُّلوا فيستبدل اللهُ بكم غيركم، فَإِنِّي لا أخاف على هذه الأُمَّة أَنْ توتى إِلَّا من قِبَلِكُمْ^(٤).

وقيل: إِنَّ فتح خراسان كان زمن عثمان، وسيرد هناك.

(١) في نسخة الأصل «فأخبرهم».

(٢) في نسخة بودليان «شعرهم».

(٣) في الطبعة الأوربية «بالمسالمة».

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ١٦٦/٤ - ١٧٣.

ذكر فتح شَهْرزُور والصامغان

لما استعمل عمرُ عَزْرَةَ بن قيس على حُلوان حاول فتح شَهْرزُور^(١)، فلم يقدر عليها، فغزاها عُتْبَةُ بن فرقد، ففتحها بعد قتالٍ على مثل صُلح حُلوان، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت. وصالح أهل الصَّامغان^(٢) وداراباذ^(٣) على الجزية والخراج، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد. وكتب إلى عمر: إِنَّ فتوحِي قد بلغت أذْرَبِيجان. فولاه إياها وولِّي هرثمة بن عَرْفَجة الموصل. ولم تزل شَهْرزُور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد^(٤).

ذكر عدَّة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين. وفيها وُلد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطَّاب؛ وكان عمَّاله على الأمصار فيها عمَّاله في السنة قبلها إلَّا الكوفة، فإنَّ عامله كان عليها المغيرة بن شُعبة، وإلَّا البصرة فإنَّ عامله عليها صار أبا موسى الأشعري^(٥).

-
- (١) شَهْرزُور: بالفتح ثم السكون، كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زُور بن الضَّحَّاك، ومعنى شهر بالفارسية: المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٧٥).
 - (٢) الصَّامغان: بفتح الميم والغين المعجمة. كورة من كور الجبل في حدود طبرستان. (معجم البلدان ٣/٣٩٠).
 - (٣) داراباذ: قلعة حصينة في جبال طبرستان. (معجم البلدان ٢/٤١٨).
 - (٤) الخبر في فتوح البلدان ٤١٠، والخراج لقدامة ٣٨٣.
 - (٥) تاريخ الطبري ١٧٣/٤.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

قال بعضهم: كان فتح إصطخر سنة ثلاث وعشرين. وقيل: كان فتحها بعد تَوَجُّج الآخرة^(١).

ذكر الخبر عن فتح تَوَجُّج

لما خرج أهل البصرة الذين توجَّهوا إلى فارس أمراء عليها، وكان معهم^(٢) سارية بن زَنْيَمَ الْكِنَانِيَّ، فساروا وأهل فارس مجتمعون بتَوَجُّج^(٣) فلم يقصدهم المسلمون، بل توجَّه [كل] أمير إلى الجهة التي أمر بها. وبلغ ذلك أهل فارس، فافترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون، فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم. فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُره، فالتقى هو والفرس بتَوَجُّج، فاقتتلوا ما شاء الله، ثم انهزم الفرس، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا كل قِتلة، وغنموا ما في عسكرهم، وحاصروا تَوَجُّج فافتتحوها، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا ما فيها، وهذه تَوَجُّج الآخرة، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء^(٤) بن الحضرمي أيام طاووس. ثم دُعوا إلى الجزية، فرجعوا وأقروا بها. وأرسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب^(٥).

(١) تاريخ الطبري ١٧٤/٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «معها».

(٣) تَوَجُّج: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه أيضاً. وهي تَوَز بالزاي، مدينة بفارس قريبة من كازرون. (معجم البلدان ٥٦/٢).

(٤) العبارة في تاريخ الطبري: «والأولى التي تُنْقَذ فيها جنود العلاء».

(٥) تاريخ الطبري ١٧٤/٤، ١٧٥.

ذكر فتح إصطخر وجور وغيرهما^(١)

وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لإصطخر، فالتقى هو وأهل إصطخر بجور، فاقتتلوا وانهمز الفرس، وفتح المسلمون جور^(٢) ثم إصطخر، وقتلوا ما شاء الله، ثم فر منهم من فر، فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمة، فأجابه الهريذ إليها، فتراجعوا، وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم، فبعث بخمسة إلى عمر وقسم الباقي في الناس.

وفتح عثمان كازرون^(٣) والثوبندجان^(٤) وغلب على أرضها؛ وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرجان، وفتح سينيذ^(٥) على الجزية والخراج. وقصد عثمان أيضاً جنابا^(٦) ففتحها، ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم^(٧) فهزمهم وفتحها.

ثم إن شريك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان. فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية^(٨) وأتته الأمداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد، فالتقوا بأرض فارس. فقال شريك لابنه وهما في المعركة، وبينهما وبين قرية لهما^(٩) تدعى ريشهر^(١٠) ثلاثة فراسخ: يا بني أين يكون غداؤنا ههنا أم بريشهر^(١١)؟ قال له: يا أبة، إن تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بريشهر^(١٢)، ولا نكون إلا في المنزل، [ولكن والله] ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون الحرب، فاقتتلوا قتالاً

- (١) انظر عن فتح إصطخر في: تاريخ خليفة ١٥٢، وفتوح البلدان ٤٧٨ وما بعدها، والخراج لقدامة ٣٨٩، وتاريخ الطبري ١٧٥/٤، ونهاية الأرب ٢٧٧/١٩، والبدة والتاريخ ١٨٣/٥، والفتوح لابن أعثم ٧١/٢، وتاريخ ابن خلدون ١٢٢/٢.
- (٢) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. (معجم البلدان ١٨١/٢).
- (٣) كازرون: بتقديم الزاي. مدينة بفارس بين البحر وشيراز. (معجم البلدان ٤٢٩/٤).
- (٤) الثوبندجان: بالضم ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مفتوحة، مدينة من أرض فارس من كورة سابور قرية من شعب بوان، وبينها وبين أرجان ٢٦ فرسخاً، وبينها وبين شيراز قريب من ذلك. (معجم البلدان ٣٠٧/٥) وانظر عنها وعن كازرون في فتوح البلدان ٤٧٨.
- (٥) سينيذ: بكسر أوله وسكون ثانيه. بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيراف وتقرب من جنابة. (معجم البلدان ٣٠٠/٣).
- (٦) جنابة: بالفتح ثم التشديد. بلدة صغيرة من سواحل فارس. (معجم البلدان ١٦٥/٢) وانظر فتوح البلدان ٤٧٨.
- (٧) جهرم: بالفتح ثم السكون، وفتح الراء. مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة (معجم البلدان ١٩٤/٢).
- (٨) وانظر عنها في فتوح البلدان ٤٧٨.
- (٩) في الطبعة الأوربية «ابنه».
- (١٠) في نسخة الأصل: «وبينهم لهم، وهم».
- (١١) في الطبعة الأوربية، شريك. والصحيح ما أثبتناه كما في الطبري. وريشهر: ناحية من كورة أرجان. (معجم البلدان ١١٢/٣).

شديداً، وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم. والذي قتل شهرك الحَكَم بن أبي العاص أخو عثمان. وقيل: قتله سَوَّار بن همام العبيدي حمل عليه فطعنه فقتله. وحمل ابن شهرك على سَوَّار فقتله.

وقيل: إِنَّ إِصْطَخْر كانت سنة ثمانٍ وعشرين، وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين^(١).

وقيل: إِنَّ عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحَكَم من البحرين في ألفين إلى فارس، ففتح جزيرة بَرْكَاوان^(٢) في طريقه ثُمَّ سار إلى تَوَّج، وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك، وكان الجارود وأبو صُفْرة على مجنبتَي المسلمين فهزموهم. فقال الجارود: أَيُّهَا الأمير ذهب^(٣) الجند. فقال: سترى أمرك. قال: فما لبثوا حتى رجعت خيلُ لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فَثَرَّتِ الرُّؤُوسُ فرأى المُكْعَبِرُ^(٤) رأساً ضخماً فقال: أَيُّهَا الأمير هذا رأس الازدهاق، يعني شهرك. وحوصر الفرس بمدينة سابور، فصالح عليها ملكها أَرْزَنْبَان^(٥)، فاستعان به الحَكَم على قتال أهل إِصْطَخْر. ومات عمر. وبعث عثمانُ بن عَفَّانَ عبيدَ الله بن مَعْمَرٍ مكانه، فبلغ عبيدَ الله أَنَّ أَرْزَنْبَانَ^(٦) يريد الغدر به، فقال له: أَحَبُّ أَنْ تَتَّخِذَ لِأَصْحَابِي طَعَاماً وَتَذْبِجَ لَهُمْ بَقَرَةً وَتَجْعَلَ عِظَامَهَا فِي الْجَفْنَةِ الَّتِي تَلِينِي فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَتَمَشَّشَ الْعِظَامَ^(٧)، ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لَا يُكْسِرُ إِلَّا بِالْفَوْوسِ، فيكسره بيده ويأخذ مُخَّهُ، وكان من أَشَدِّ النَّاسِ، فقام أَرْزَنْبَانُ فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ! فَأَعْطَاهُ^(٨) عهداً. وَأَصَابَ عبيدَ الله منجنيقاً فَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فاقتلوهم بي^(٩) ساعة فيها، ففعلوا، فقتلوا منهم بشراً كثيراً^(١٠)، ومات عبيد الله بن مَعْمَرٍ.

وقيل: إِنَّ قَتْلَهُ كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ.

- (١) تاريخ الطبري ١٧٦/٤.
- (٢) في نسخة المتحف البريطاني «ابن كلوار»، وفي نسخة بودليان «ابن كلوان». وقال ياقوت: ناحية بفارس.
- (٣) معجم البلدان ٣٩٩/١.
- (٤) في الأوربية: فرد.
- (٥) هو أحد ملوك الفرس، غارق جيش كسرى والتحق بالعرب.
- (٦) في الطبري ١٧٧/٤ أَذْرَبِيَّان.
- (٧) تمشش العظم: مصه واستخرج منه المخ.
- (٨) في الطبعة الأوربية «وأعطاه».
- (٩) في الطبعة الأوربية: لي.
- (١٠) الخبر في تاريخ الطبري ١٧٥/٤ - ١٧٧.

ذکر فتح فسّا ودارابجُرد

وقصد سارية بن زُنيَم الدثلي فسّا^(١) ودارابجُرد^(٢) حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم استمدّوا وتجمّعوا، وتجمّعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير، وأتاهم الفرس من كلّ جانب، فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان ابن زُنيَم والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها أحيط بهم، وإن استندوا إلى جبلٍ من خلفهم لم يؤتوا إلّا من وجهٍ واحد. فقام فقال: يا أيّها الناس، إنّي رأيت هذين الجمعين، وأخبر بحالهما، وصاح عمر وهو يخطب: يا سارية بن زُنيَم، الجبل الجبل! ثم أقبل عليهم وقال: إنّ الله جنوداً، ولعلّ بعضها أن يبلغهم^(٣). فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم، فهزمهم الله وأصاب المسلمون مغانمهم، وأصابوا في الغنائم سَفْطاً فيه جوهر، فاستوهبه منهم^(٤) سارية وبعث به وبالفتح مع رجل إلى عمر. فقدم على عمر وهو يطعم الطعام، فأمره فجلس وأكل، فلمّا انصرف عمر اتّبعه الرسول، فظنّ عمر أنّه لم يشبع، فأمره فدخل بيته، فلمّا جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا. فلمّا فرغا قال الرجل: أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين. قال: مرحباً وأهلاً. ثمّ أدناه حتى مسّت ركبته ركبته^(٥) وسأله عن المسلمين، فأخبره بقصة الدُرج^(٦)، فنظر إليه وصاح به: لا ولا كرامة حتى يقدّم على ذلك الجُند فيقسمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قد أنضيت جملي واستقرضت في جائزتي، فأعطني ما أتبلغ به. فما زال به حتى أبدله بغيراً من إبل الصدقة، وجعل بغيره في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً. وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيئاً يوم الواقعة؟ قال: نعم سمعنا: يا سارية، الجبل الجبل، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا^(٧).

- (١) فسّا: بالفتح والقصر. مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما قيل، بينها وبين شیراز أربع مراحل. (معجم البلدان ٢٦٠/٤).
- (٢) دارابجُرد: ولاية بفارس. قرية من كورة إصطخر. وموضع بنيسابور. (معجم البلدان ٤١٩/٢).
- (٣) في الطبعة الأوربية «تبلغهم».
- (٤) إضافة من النسخة (ب).
- (٥) في الأوربية: حتى مس ركبته.
- (٦) الدُرج: سفيط صغير.
- (٧) الخبر في تاريخ الطبري ١٧٨/٤، ١٧٩، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٦/٢ أن قول عمر: يا سارية الجبل الجبل، كان في جيش نهاوند وغزوتها سنة ٢١ هـ. وهذا الخبر أخرجه ابن الجوزي في مناقب عمر ١٧٢، ١٧٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٢٤٤/٢، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤٦/٦، وابن=

ذكر فتح كرمان^(١)

ثم قصد سهيل بن عدي كرمان^(٢)، ولحقه أيضاً عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقُفص، فاقتتلوا في أداني أرضهم، ففضَّ الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق. وقتل النسير بن عمرو العجلي مَرزُبَانَهَا، فدخل سهيل^(٣) من قِبَل طريق القرى اليوم إلى جِيرَفَت^(٤)، وعبد الله بن عبد الله من مفازة سِير^(٥)، فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء، فقوموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعظم البُخت على العِراب^(٦)، وكرهوا أن يزيدوا، وكتبوا إلى عمر بذلك، فأجابهم: إذا رأيتم أن في البُخت فضلاً فزيدوا^(٧).

وقيل: إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بُذَيْل بن ورقاء الخُزاعي في خلافة عمر: ثم أتى الطَّبْسِينَ من كرمان، ثم قَدِم على عمر فقال: أقطِني الطَّبْسِينَ، فأراد أن يفعل، فقيل: إنهما رُستاقان، فامتنع عمر من ذلك^(٨).

ذكر فتح سِجِسْتان^(٩)

وقصد عاصم بن عمرو سِجِسْتان، ولحقه عبد الله بن عُمير، فاستقبلهم أهلها، فالتقوا هم وأهل سِجِسْتان في أداني أرضهم، فهزمهم المسلمون، ثم اتبعوهم حتى

-
- = حجر في الإصابة ٣/٢، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٤٩/٣.
- (١) أنظر عنها في: فتوح البلدان ٤٨٢، والخراج لقدامة ٣٩٠، وتاريخ الطبري ١٨٠/٤، ونهاية الأرب ٢٧٩/١٩، وتاريخ ابن خلدون ٢٧٣/٢، والبداية والنهاية ١٣٢/٧، تاريخ الإسلام ٢٥٠/٣.
- (٢) كرمان: بالفتح ثم السكون، وربما كُسيرت والفتح أشهر بالصحة. ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (معجم البلدان ٤٥٤/٤).
- (٣) في الأصل: النسير. وهو غلط. والتصحيح من الطبري.
- (٤) جِيرَفَت: بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء. مدينة بكرمان، كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان. (معجم البلدان ١٩٨/٢).
- (٥) في طبعة صادر ٤٣/٣ «سير». وما أثبتناه عن النسخة (ب)، والطبري ١٨٠/٤، وهي شيرجان على الأرجح، ويقال: شيرجان قصبه كرمان. (أنظر معجم البلدان ٣٨١/٣).
- (٦) في الأوربية: العرب.
- (٧) تاريخ الطبري ١٨٠/٤.
- (٨) تاريخ الطبري ١٨٠/٤.
- (٩) أنظر عن فتح سجستان: فتوح البلدان ٤٨٤، والخراج لقدامة ٣٩٢، وتاريخ الطبري ١٨٠/٤، ونهاية الأرب ٢٨٠/١٩، والبداية والنهاية ١٣٢/٧، وتاريخ ابن خلدون ١٢٣/٢ (بقية الجزء الثاني)، وتاريخ الإسلام - بتحقيقنا - ٢٥٠/٣.

حصروهم بِزَرْج^(١)، ومُخروا أرض سِجِسْتان ماه، ثُمَّ إِنَّهُمْ طلبوا الصلح على زَرْج وما احتازوا من الأرضين فاعطوا، وكانوا قد اشترطوا في صلحهم أن فداها جَمِيًّا، فكان المسلمون يتجنبونها خشيةً أن يصيبوا منها شيئاً فيُخفروا، وأقيم^(٢) أهل سِجِسْتان على الخراج، وكانت سِجِسْتان أعظم من خراسان وأبعد فروعاً، يقاتلون القُنْدَهَار والترك وأمماً كثيرة، فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية، فهرب الشاه من أخيه رُتْبِيل^(٣) إلى بلد فيها يدعى آمل، ودان لِسَلْم بن زياد، وهو يومئذ على سجستان، [ففرح بذلك] وعقد لهم وأنزلهم البلاد، وكتب إلى معاوية بذلك يُري أنه فُتِح عليه. فقال معاوية: إِنَّ ابن أخي ليفرح بأمرٍ إنَّه^(٤) ليحزني [وينبغي له أن يحزنه]. قال: وَلِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: إِنَّ آمل بلدةٌ بينها وبين زَرْج صعوبة وتضايق، وهؤلاء قوم غُدُر، فإذا اضطرب الجبل غداً^(٥) فأهون ما يجيء منهم أنهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها. وأقرهم على عهد سَلْم بن زياد. فلَمَّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رُتْبِيل بمكانه، ولم يُرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زَرْج فغزاها وحصر من بها، حتى أتهم الأمداد من البصرة، وصار رُتْبِيل والذين معه غُصبة، وكانت تلك البلاد مذلةً إلى أن مات معاوية^(٦).

وقيل في فتح سجستان غير هذا، وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر فتح مُكران^(٧)

وقصد الحَكَم بن عمرو التغلبي مُكران حتى انتهى إليها، ولحق به شهاب بن المخارق وسُهَيْل بن عديّ وعبد الله بن عبد الله بن عَتْبان، فانتهوا إلى دُوَيْن النهر، وأهل مُكران على شاطئه، فاستمدّ ملكُهم ملكَ السند، فأمدّه بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين فانهزموا، وقُتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم

(١) زَرْج: يفتح أوله وثانيه، مدينة هي قصبة سجستان. (معجم البلدان ٣/١٣٨).

(٢) في الطبعة الأوروبية «قِيم».

(٣) في النسخة (ب): «رسل». ووردت مصحفة إلى: زنبيل ورتبيل.

(٤) في الأوربية: ليفرح بإمارته.

(٥) في الأوربية: الجبل غداً.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٨٠، ١٨١.

(٧) أنظر عن فتح مكران في: فتوح البلدان ٥٣٢، وفيه أن فاتحها هو: حُكَيْم بن جبلة العبدي، والخراج

لقدامة ٤١٤ وفيه أن فاتحها هو: معاوية بن سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، وتاريخ الطبري ٤/١٨١

والفاتح هو الحكم بن عمرو التغلبي، كما في نهاية الأرب ١٩/٢٨٠، والبداءة والنهاية ٧/١٣٢، وتاريخ

ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٣، وتاريخ الإسلام ٣/٢٥٠.

أياماً حتى انتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون إلى مُكران فأقاموا بها. وكتب الحَكَم إلى عمرَ بالفتح، وبعث إليه بالأخماس مع صُحار العبدى. فلَمَّا قَدِمَ المدينة سألَه عمر عن مُكران، فقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشَلٌّ، وتمرها دَقْلٌ^(١)، وعدوها بطل؛ وخيرُها قَلِيلٌ، وشرُّها طَوِيلٌ، والكثير فيها قليلٌ، والقليل فيها ضائع، وما وراءها شرٌّ منها. فقال: أَسْجَاعُ أَنْتَ أَمْ مَخْبِرٌ؟ لا والله لا يغزوها جيش لي أبداً. وكتب إلى سهيل والحَكَم بن عمرو: أن لا يجوزنَ مُكران أحد من جنودكما. وأمرهما ببيع الفِيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الإسلام (وقسم أثمانها على الغانمين)^(٢).

(مُكران بضم الميم وسكون الكاف)^(٣).

ذكر خبر بَيروذ من الأهواز^(٤)

ولما فَصَلَت الخيولُ إلى الكُور، اجتمع بَيروذ^(٥) جمعٌ عظيمٌ من الأكراد وغيرهم. وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى دَمَةِ البصرة، حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يُخَلَّفوا في أعقابهم، فاجتمع الأكراد بَيروذ، وأبطأ أبو موسى حتى تَجَمَّعُوا، ثم سار^(٦) فنزل بهم بَيروذ، فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر، فقام المهاجر بن زياد وقد تحنَّط واستقتل^(٧)، وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا، وتقدَّم المهاجر فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتل. ووهن الله المشركين حتى تحصَّنوا في قَلَّةٍ وذَلَّةٍ، واشتدَّ جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر، وعظَّم عليه فقْدُهُ، فرقَّ له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جُند، وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جَيًّا، فلَمَّا فُتحت رجع أبو موسى إلى البصرة، وفتح الربيع بن زياد الحارثي بَيروذ من نهر تيرى وغنمَ ما معهم.

ووفد أبو موسى وفداً معهم الأخماس، فطلب ضَبَّةُ بن مِخْصَن العَنَزِيُّ أن يكون في

(١) الوشل: الماء القليل. الدقل: أردأ التمر.

(٢) العبارة بين القوسين من النسخة (ب). والخبر في الطبري ١٨١/٤، ١٨٢.

(٣) العبارة بين القوسين من النسخة (ب).

(٤) أنظر عنها في: نهاية الأرب ٢٨١/١٩، والبداية والنهاية ١٣٢/٧ (بعنوان غزوة الأكراد)، وكذلك في تاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٤.

(٥) بَيروذ: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب. وهي كبيرة بها نخل كثير حتى إنهم يسمونها البصرة الصغرى. (معجم البلدان ٥٢٦/١).

(٦) في نسخة الأصل «ساروا».

(٧) في الطبعة الأوربية «واستقبل».

الوفد، فلم يُجِبْهُ أَبُو مُوسَى، وكان أَبُو مُوسَى قد اختار من سبي بَيْرُودَ سَتَيْنَ غَلاماً، فانطلقَ ضَبَّةً إلى عمر شاكياً، وكتب أَبُو مُوسَى إلى عمر يخبره، فلَمَّا قَدِمَ ضَبَّةً على عمر سَلَّمَ عليه. فقال: من أنت؟ فأخبره. فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! فقال: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل. ثم سألَه عمر عن حاله فقال: إنَّ أبَا مُوسَى انتقى سَتَيْنَ غَلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تُغَدِّي جَفَنَةً وتُعَشِّي جَفَنَةً تدعى عَقِيلَةَ، وله قفيزان وله خاتمان، وفَوَّضَ إلى زياد بن أبي سفيان أمورَ البصرة، وأجاز الحطيئةَ بِألف.

فاستدعى عمر أبَا مُوسَى. فلَمَّا قَدِمَ عليه حَجَبَهُ أَيَّاماً، ثم استدعاه فسألَ عمرُ ضَبَّةً عَمَّا قال فقال: أخذ سَتَيْنَ غَلاماً لنفسه. فقال أَبُو مُوسَى: دُلْتُ عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين. فقال ضَبَّةُ: ما كذب ولا كذبتُ. فقال: له قفيزان. فقال أَبُو مُوسَى: قفيزٌ لأهلي أقوتُهُم به، وقفيزٌ للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم. فقال ضَبَّةُ: ما كذب ولا كذبتُ. فلَمَّا ذكرَ عَقِيلَةَ سكتَ أَبُو مُوسَى ولم يعتذر. فعلم أنَّ ضَبَّةً قد صدقه، قال: وولَّى زياداً. قال: رأيتُ له رأياً ونُبلاً فأسندتُ إليه عملي. قال: وأجاز الحطيئةَ بِألف. قال: سددتُ فمه بمالي أن يشتمني. فردَّه عمر وأمره أن يُرسلَ إليه زياداً وعَقِيلَةَ، ففعل. فلَمَّا قَدِمَ عليه زياد سألَه عن حاله وعطائه والفرائض والسَّنين والقرآن، فرآه فقيهاً، فردَّه وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه، وحبس عَقِيلَةَ بالمدينة.

وقال عمر: ألا إنَّ ضَبَّةً غَضِبَ على أبي موسى وفارقه مراغماً أنَّ فاتَه أمر من أمور^(١) الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبه صدقه، فإياكم والكذب فإنه يهدي إلى النار^(٢).

(بَيْرُودُ: بفتح الباء الموحدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وضم الراء، وسكون الواو، وآخره ذال معجمة).

ذكر خبر سَلَمَةَ بن قيس الأشجعيِّ والأكراد

كان عمر إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين أَمَرَ عليهم أميراً من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش من المسلمين، فبعث عليهم سَلَمَةَ بن قيس الأشجعيِّ. فقال: سِرْ بِاسْمِ اللَّهِ، قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، فإذا لقيتم عدوكم فادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة، وليس لهم من الفَيء نصيب، وإن ساروا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم، وإن أبوا فادعوهم إلى الجزية، فإن أجابوا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم، وإن تحصنوا منكم وسألوكم أن ينزلوا على حكم

(١) في الطبعة الأوربية: أمر.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١٨٣/٤ - ١٨٥.

الله ورسوله (أو ذمة الله ورسوله)^(١) فلا تجيئوهم، فإنكم لا تدرُونَ أتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهم أم لا؛ ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا تمثلوا.

قال: فساروا حتى لقوا عدواً من الأكراد المشركين، فدعوههم إلى الإسلام أو الجزية، فلم يجيبوا، فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية، فقسمه بينهم، ورأى سلمة جوهراً في سَفَط، فاسترضى عنه المسلمين وبعث به إلى عمر. فقدم الرسول بالبشارة وبالسَفَط على عمر، فسأله عن أمور الناس وهو يخبره، حتى أخبره بالسَفَط، فغضب غضباً شديداً وأمر به فوجيء به في عنقه، ثم إنه قال: إن تفرق الناس قبل أن تقدّم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لأسوءتك. فسار حتى قدّم على سلمة^(٢) فباعه وقسمه في الناس. وكان الفَصّ يباع بخمسة دراهم، وقيمته عشرون ألفاً^(٣).

وحجّ بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب، وحجّ معه أزواج النبي ﷺ، وهي آخر حجة حجّها^(٤). وفيها قُتل عمر، رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن مقتل عمر، رضي الله عنه

قال المسور بن مخرمة: خرج عمر بن الخطاب يطوف يوماً في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وكان نصرانياً، فقال: يا أمير المؤمنين، أعديني^(٥) على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً. قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان كل يوم. قال: وأيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حدّاد. قال: فما أرى خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو أردتُ أن أصنع رحي تطحن بالريح^(٦) لفعلت! قال: نعم. قال: فاعمل لي رحي. قال: لئن سلمت لأعملنّ لك رحيّ يتحدث بها من بالمشرق والمغرب! ثم انصرف عنه. فقال عمر: لقد أوعدني العبدُ الآن.

ثم انصرف عمر إلى منزله، فلمّا كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال. قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب التوراة. قال عمر: [اللّه! إنك] لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا ولكني

(١) العبارة من النسخة (ب).

(٢) في الطبعة الأوربية «السلمة».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ١٨٦/٤ - ١٨٩، ونهاية الأرب ٢٨٣/١٩، ٢٨٤، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٤، والبدية والنهاية ١٣٣/٧.

(٤) تاريخ الطبري ١٩٠/٤، تاريخ يعقوبي ١٥٧/٢، طبقات ابن سعد ٢٨٣/٣.

(٥) أعديني: أعني وانصريني.

(٦) في النسخة (ب): بالهوا.

أجد حليتك وصفتك وأنتك قد فني أجلك. قال: وعمر لا يحسّ وجعاً! فلما كان الغد جاءه كعب فقال: بقي يومان. فلما كان الغد جاءه كعب فقال: مضي يومان وبقي يوم. فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ويده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سُرته وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه^(١)، وقتل جماعة غيره.

فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط، وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس، وعمر طريق، فاحتمل فأدخل بيته، ودعا عبد الرحمن فقال له: إني أريد أن أعهد إليك. قال: أنشبر عليّ بذلك؟ قال: اللهم لا. قال: والله لا أدخل فيه أبداً. قال: فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض. ثم دعا علياً، وعثمان، والزبير، وسعداً فقال: انتظروا أحاكم طلحة ثلاثاً، فإن جاء وإلاً فاقضوا أمركم؛ أنشدك الله يا عليّ إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيّب^(٢).

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري، فقال: قم على بابهم فلا تدع أحداً يدخل إليهم. وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان، أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصي الخليفة بالعرب، فإنهم مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة بدمّة رسول الله ﷺ، أن يوفي^(٣) لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت؟ لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى^(٤) من الراحة؛ يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلي.

قال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة! يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة فسألها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ، وأبي بكر. يا عبد الله، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، يا

(١) في الطبعة الأوروبية: وهو حليفه.

(٢) أنظر التنبيه والإشراف للمسعودي ٢٥٢.

(٣) في الأوروبية: أن يوفوا.

(٤) في الأوروبية: أبقي.

عبد الله، إذن للناس. فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم: أهذا عن ملائمتكم؟ فيقولون: معاذ الله! قال: ودخل كعب الأبحار مع الناس فلما رآه عمر قال:

توعدني^(١) كعب ثلاثاً أعدّها ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت، إنني لميت، ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب^(٢)

ودخل عليه عليّ يعوده، فقعده عند رأسه، وجاء ابن عباس فأثنى عليه، فقال له عمر: أنت لي بهذا يا ابن عباس؟ فأوماً إليه^(٣) عليّ أن قل نعم. فقال ابن عباس: نعم. فقال عمر: لاتغرني أنت وأصحابك. ثم قال: يا عبد الله، خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب^(٤) لعل الله، جلّ ذكره، ينظر إليّ فيرحمني، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المظلم.

ودُعي له طبيب من بني الحارث بن كعب، فسقاه نبذاً فخرج غير^(٥) متغير، فسقاه لبناً فخرج كذلك أيضاً، فقال له: اعهد يا أمير المؤمنين. قال: قد فرغت^(٦).

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال:

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسَلِّمٌ أَصْلِي الصَّلَاةَ كُلَّهَا وَأَصُومُ^(٧)

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى أن توفّي ليلة الأربعاء، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين^(٨). وقيل: طعن يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، ودُفن يوم الأحد هلال محرم سنة أربع وعشرين^(٩).

وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، وبُويع عثمان لثلاث مضيّن من المحرم^(١٠). وقيل: كانت وفاته لأربع بقين من ذي الحجة، وبُويع عثمان لليلة بقيت من

(١) في الأوربية: فوعدني. وفي تاريخ الطبري ١٩٢/٤ «فأوعدني».

(٢) في الأوربية: ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب. والبيتان في تاريخ الطبري، ونهاية الأرب ٣٧٤/١٩.

(٣) في الأوربية: إلى.

(٤) عن حاشية النسخة (ب).

(٥) من نسخة باريس.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١٩٠/٤ - ١٩٣.

(٧) البيت في أسد الغابة ٧٦/٤، والاستيعاب ٤٧٣/٢.

(٨) تاريخ الطبري ١٩٣/٤، طبقات ابن سعد ٣٦٥/٣.

(٩) تاريخ الطبري ١٩٣/٤، أسد الغابة ٧٧/٤، طبقات ابن سعد ٣٦٥/٣، المنتخب من ذيل المذيّل ٥٠٤.

(١٠) تاريخ الطبري ١٩٣/٤.

ذي الحجة، واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين^(١). وكانت خلافة عمر على هذا القول: عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام^(٢). وصلى عليه صُهيْب، وحُمِل إلى بيت عائشة، ودُفِن عند النبي ﷺ، وأبي بكر، ونزل في قبره عثمان، وعلي، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وعبد الله بن عمر^(٣).

ذكر نسب عمر وصفته وعمره

فأمّا نسبه فهو عمر بن الخطّاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عديّ بن كعب بن لُؤَيّ، وكنيته أبو حفص، وأمّه حَتَمَة بنت هشام^(٤) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهي ابنة عمّ أبي جهل، وقد زعم من لا معرفة له أنّها أخت أبي جهل، وليس بشيء^(٥).

وسمّاه النبي ﷺ، الفاروق، وقيل: بل سمّاه أهل الكتاب^(٦).

وأما صفته فكان طويلاً آدمّ أصلع أعسر يسراً، يعني يعمل بيديه، وكان لطوله كأنه راكب. وقيل: كان أبيض أبهق، يعني شديد البياض، تعلوه حمرة، طوالاً أصلع أشيب، وكان يصفرّ لحيته ويرجل رأسه^(٧). وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين^(٨)، وكان عمره

-
- (١) تاريخ الطبري ١٩٤/٤، ابن سعد ٣٦٥/٣.
 - (٢) تاريخ الطبري ١٩٤/٤، أسد الغابة ٧٧/٤.
 - (٣) تاريخ الطبري ١٩٣/٤، طبقات ابن سعد ٣٦٧/٣، أسد الغابة ٧٧/٤.
 - (٤) كذا في الأصول، والمطبوع، وفي طبقات ابن سعد ٣٦٥/٣، وتاريخ الطبري ١٩٥/٤، وأسد الغابة ٥٢/٤، ونسب قريش ٣٠١، وجمهرة أنساب العرب ١٤٤، وغيره «هاشم».
 - (٥) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤٥٨/٢، ٤٥٩: «وقالت طائفة في أم عمر حتمّة بنت هشام بن المغيرة، ومن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام والحارث بن هشام بن المغيرة، وليس كذلك، وإنما هي ابنة عمّهما، فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان، فهاشم والد حتمّة أم عمر، وهشام والد الحارث وأبي جهل. وهاشم بن المغيرة هذا جدّ عمر لأمّه كان يقال له ذو الرمحين».
 - ويقول محقق هذا الكتاب الفقير إلى ربّه تعالى خادم العلم «عمر بن عبد السلام التدمري الطرابلسي»: لقد نقل المؤلف «ابن الأثير» - رحمه الله - هذا القول لابن عبد البر في كتابه «أسد الغابة» (٥٣/٤)، فكيف يذكر هنا أنّ أم عمر هي حتمّة بنت هشام؟ وكان الأخرى أن يصحّح ذلك إلى «هاشم»، إلا أن يكون وهماً من النسخ.

- (٦) تاريخ الطبري ١٩٥/٤، المنتخب من ذيل المذيل للطبري ٥٠٤.
- (٧) تاريخ الطبري ١٩٦/٤، وانظر المعرفة والتاريخ ٣٠٨/٣، وطبقات ابن سعد ٣٢٤/٣ و٣٢٧.
- (٨) تاريخ الطبري ١٩٧/٤ وفي أسد الغابة للمؤلف ٥٣/٤: قال: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين.

خمساً وخمسين سنة^(١)، وقيل: ابن ستين سنة^(٢)، وقيل: ابن ثلاث وستين سنة وأشهر، وهو الصحيح، وقيل: ابن إحدى وستين سنة^(٣).
(رياح: بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان).

ذكر أسماء ولده ونسائه

تزوج عمر في الجاهلية: زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة. وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية، فولدت له عبيد الله بن عمر، ففارقها في الهدنة، فخلف عليها أبو جهم بن حذيفة، وقتل عبيد الله بصفيين مع معاوية، وقيل: كانت أمه أم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرول الخزاعي، وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر. وتزوج: قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية، ففارقها في الهدنة أيضاً، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فكانا سلفي رسول الله ﷺ، لأن قريبة أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ. وتزوج: أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي في الإسلام، فولدت له فاطمة فطلقها^(٤)، وقيل لم يطلقها. وتزوج جميلة أخت^(٥) عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح^(٦) الأوسي الأنصاري في الإسلام، فولدت له عاصماً فطلقها. ثم تزوج: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأصدقها أربعين ألفاً، فولدت له رقية وزيداً. وتزوج: لُهيّة^(٧) امرأة من اليمن، فولدت له عبد الرحمن الأوسط، وقيل الأصغر، وقيل: كانت أم ولد، وكانت عنده فكيهة أم ولد فولدت له زينب، وهي أصغر ولد عمر. وتزوج: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر الصديق، فقتل عنها، فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام^(٨)، فقتل عنها أيضاً، فخطبها علي، فقالت: لا أفعل، إني أضن^(٩) بك عن القتل فإنك بقيّة الناس. فتركها.

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٦٥/٣ وقال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل عندنا.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٦٥/٣، تاريخ الطبري ١٩٨/٤.

(٤) في الأوربية «فاطلقها».

(٥) في الأوربية «بنت».

(٦) في الأوربية «الأفلح».

(٧) في الأوربية «فكيهة».

(٨) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ١٩٨/٤، ١٩٩.

(٩) في النسخة (ب): «أخشي».

وخطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق إلى عائشة، فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه، إنه خشن العيش شديد على النساء. فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أكفيك. فأتى عمر فقال: بلغني خبر أعيذك بالله منه. قال: ما هو؟ قال: خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر. قال: نعم، أفرغت بي عنها أم رغبت بها عني؟ قال: ولا واحدة، ولكنها حدثت نساء تحت كنف أمير المؤمنين في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك. وقال: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا لك بها وأدلك على خير منها، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ.

وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، فكرهته وقالت: يغلق بابي، ويمنع خيرته، ويدخل عابساً ويخرج عابساً^(١).

ذكر بعض سيرته، رضي الله عنه

قال عمر: إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق^(٢)! قال نافع العيشي^(٣): دخلت خير^(٤) الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، قال: فجلس عثمان في الظل يكتب، وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردان أسودان، اتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه، يعدد إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها. فقال علي لعثمان: في كتاب الله: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٥) ثم أشار علي بيده إلى عمر وقال: هذا القوي الأمين^(٦).

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عمر أخذ بتينة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التينة، يا ليتني لم أك شيئاً، يا ليت أُمِّي لم تلدني، يا ليتني كنت نسياً منسياً^(٧). وقال

(١) تاريخ الطبري ١٩٩/٤، ٢٠٠.

(٢) الطبري ٢٠١/٤.

(٣) في تاريخ الطبري: (حدثنا عمر بن نافع، عن أبي بكر العسي) وهو الصحيح. وفي النسخة هنا سقط.

(٤) في نسختي باريس والمتحف البريطاني «خير»، وفي نسخة بودليان «جبر» وفي الطبعة الأوربية «سر». و«الحير»: شبه الحظيرة.

(٥) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٦) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، أسد الغابة ٧٢/٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٣/٣٦٠، مناقب عمر لابن الجوزي ١٦٢.

الحسن: قال عمر: لئن عشتُ إن شاء الله لأسيرنَ في الرعيّة حولا، فإنّي أعلم أنّ للناس حوائج تُقطع دوني، أمّا عمّالهم فلا يرفعونها إليّ، وأمّا هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم شهرين، وبالجزيرة شهرين، وبمصر شهرين، وبالبحرين شهرين، وبالكوفة شهرين، وبالبصرة شهرين، والله لنعم الحول هذا^(١)! وقيل لعمر: إنّ ههنا رجلاً من الأنبار له بصر بالديوان لو اتّخذته كاتباً. فقال: لقد اتّخذتُ إذن بطانةً من دون المؤمنين^(٢).

قيل: خطب عمرُ الناسَ فقال: والذي بعث محمداً ﷺ، بالحقّ لو أنّ جملاً هلك ضياعاً بشطّ الفرات لخشيتُ أن يسألني الله عنه^(٣).

وقال أبو فراس: خطب عمرُ الناسَ فقال: أيّها الناس، إنّي ما أرسل إليكم عمّالاً ليضربوا أبشاركم^(٤) ولا ليأخذوا أموالكم، وإنّما أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وستّكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسُ عمر بيده لأقصّنه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرايتك إن كان رجل من [أمرء] المسلمين على رعيّة، فأدب بعض رعيّته إنك لتقصّنه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصّنه منه، وكيف لا أقصّنه منه وقد رأيتُ النبيّ ﷺ، يقصّ من نفسه! ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تحمدوهم فتفتنّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفّروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم^(٥).

قال بكر بن عبد الله: جاء عمر بن الخطّاب إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلاً، فقال له عبد الرحمن: ما جاء بك في هذه الساعة؟ قال: رُفّةٌ نزلت في ناحية السوق خشيتُ عليهم سُراق المدينة، فانطلق فلنحرسهم. فأتيا السوق فقعدا على نَشْرٍ من الأرض يتحدّثان، فُرفِعَ لهما مصباحٌ فقال عمر: ألم أنه عن المصابيح بعد النوم؟ فانطلقا فإذا قوم على شرابٍ لهم. قال: انطلق فقد عرفته. فلمّا أصبح أرسل إليه قال: يا فلان كنتُ وأصحابك البارحة على شراب! قال: وما أعلمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته. قال: أولم ينهك الله عن التجلّس؟ فتجاوز عنه^(٦).

وإنّما نهى عمر عن المصابيح لأنّ الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت

(١) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، ٢٠٢.

(٢) الطبري ٢٠٢/٤.

(٣) الطبري ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

(٤) في النسخة (ب): «نساءكم».

(٥) الطبري ٢٠٤/٤.

(٦) تاريخ الطبري ٢٠٥/٤.

فتحرقة، وكانت السقوف من جريد^(١)، وقد كان رسول الله ﷺ. نهى عن ذلك قبله.

وقال أسلم: وخرج عمر إلى حرة واقم وأنا معه، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تسعر. فقال: انطلق بنا إليهم. فهُرولنا حتى دَنَوْنَا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون^(٢). فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء. وكره أن يقول: يا أصحاب النار. قالت: وعليك السلام. قال: أدنو؟ قالت: ادنُ بخير أو دَع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قَصُر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: [من] الجوع. قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ما لي ما أسكتهم حتى يناموا، فأنا أعلمهم وأوهمهم أنني أصلح لهم شيئاً حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أي رَحِمَكَ الله، ما يُدري بكم عمر؟ قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا. فأقبل علي وقال: انطلق بنا. فخرجنا نهول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً فيه كبة شحم فقال: احمله على ظهري. قال أسلم: فقلت: أنا أحمله عنك، مرتين أو ثلاثاً. فقال آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهول حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها: ذُري علي وأنا أحرك^(٣) لك، وجعل ينفخ تحت القدر، وكان ذا لحية عظيمة، فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته، حتى أنضج ثم أنزل القدر، فأنته بصحفة^(٤) فأفرغها [فيها] ثم قال: أطعميهم وأنا أسطح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلّى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيراً، فإنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدّتي^(٥) هناك، إن شاء الله! ثم تنحى ناحية، ثم استقبلها وربض لا يكلمني حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون، ثم ناموا وهدأوا، فقام وهو يحمد الله، فقال: يا أسلم، الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم^(٦).

(صِرار: بكسر الصاد المهملة وراءين).

قال سالم بن عبد الله بن عمر: كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم

(١) الطبري ٢٠٥/٤.

(٢) يتضاغون: يتضوّرون من الجوع.

(٣) في الأوربية «أحسن».

(٤) في الأوربية «بصحفها».

(٥) في الأوربية «وجدتني».

(٦) تاريخ الطبري ٢٠٥/٤، ٢٠٦، مناقب عمر لابن الجوزي ٦٩، ٧٠.

بالله لا أجد أحداً [منكم] فعله إلا أضعفتُ عليه العقوبة^(١). قال سلام بن مسكين: وكان عمر إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه، فيلزمه فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه^(٢).

قال: وهو أول من دُعي بأمير المؤمنين، وذلك أنه لما ولي قالوا له: يا خليفة خليفة رسول الله. فقال عمر: هذا أمر يطول، كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسُمي أمير المؤمنين^(٣). وهو أول من كتب التاريخ^(٤)، وقد تقدّم.

وهو أول من اتخذ بيت مال، وأول من عسّ الليل^(٥)، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات، وكانوا قبل ذلك يصلّون أربعاً وخمساً وستاً.

قال الواقدي: وهو أول من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به إلى البلدان وأمرهم به^(٦)، وهو أول من حمل الدرة وضرب بها^(٧)، وأول من دُون في الإسلام^(٨).

قال زاذان: قال عمر لسلمان: أملك أنا أم خليفة؟ قال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعت في غير حقّه، فأنت ملك غير خليفة. فبكى عمر^(٩).

وقال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنّمة! لقد رأيته عام الرمادة وإنّه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده، وإنّه ليعتقب^(١٠) هو وأسلم، فلما رأي قال: من أين يا أبا

(١) الطبري ٢٠٦/٤، ٢٠٧.

(٢) الطبري ٢٠٨/٤.

(٣) الطبري ٢٠٨/٤، مناقب عمر لابن الجوزي ٥٩، طبقات ابن سعد ٢٨١/٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨١/٣، الطبري ٢٠٩/٤.

(٥) الطبقات لابن سعد ٢٨٢/٣.

(٦) الطبقات لابن سعد ٢٨١/٣.

(٧) ابن سعد ٢٨٢/٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٧.

(٨) ابن سعد ٢٨٢/٣، الطبري ٢٠٩/٤.

(٩) الطبري ٢١١/٤، السيوطي ١٤٠.

(١٠) في طبعة صادر ٥٩/٣ «ليتعب» والتصحيح من نسخة باريس، والطبري ٢١١/٤.

هريرة؟ قلت: قريباً، فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار، فإذا نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال لهم: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، وأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يستفونها، فرأيتُ عمر طرح رداءه ثم أترز، فما زال يطبخ حتى أشبعهم، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاءنا بأبصرة، فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك^(١).

قال أبو خيثمة: رأت الشفاء بنت عبد الله فتباناً يقصدون في المشي ويتكلمون رؤوداً، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نُسّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقاً^(٢).

قال الحسن: خطب عمرُ الناسَ وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة منها آدم^(٣). قال أبو عثمان النهدي: رأيتُ عمرَ يرمي الجمرة وعليه إزار مرقّع بقطعة جراب^(٤). وقال علي: رأيتُ عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة فيها من آدم.

وقال الحسن: كان عمر يمرّ بالآية من ورده^(٥) فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض. وقيل: إنه سمع قارئاً يقرأ ﴿وَالطُّور﴾، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾^(٦)، سقط ثم تحامل إلى منزله فمرض شهراً من ذلك. قال الشعبي: كان عمر يطوف في الأسواق ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم^(٧).

قال موسى بن عتبة: أتى رهط إلى عمر فقالوا له: كثر العيال واشتدت المؤونة فزدنا في عطائنا. قال: فعلتموها، جمعت بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله، لوددتُ أني وإياكم في سفينة^(٨) في لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولّوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جَنَفَ قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإن تعوّج عزلوه؟ قال: لا، القتل أنكل لمن بعده، احذروا فتى ابن قريش وابن كريمها

(١) الطبري ٢١١/٤، ٢١٢، ابن سعد ٣/٣١٤.

(٢) الطبري ٢١٢/٤ وفيه: «الناسك حقاً».

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٢٨، مناقب عمر لابن الجوزي ١٢٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/٣٢٨ ولفظه: أخبرني من رأى عمر يرمي الجمرة عليه إزار قطري مرقوع برقعة من آدم.

(٥) في الطبعة الأوربية «بالآية من وردة».

(٦) سورة الطور، الأيتان: ٧ و ٨.

(٧) تاريخ الطبري ٢١٣/٤.

(٨) في الطبعة الأوربية «سفيتين».

الذي لا ينام إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته^(١).

قال مجالد: ذكر رجل عند عمر فقيل: يا أمير المؤمنين، فاضل لا يعرف من الشر شيئاً. قال: ذاك أوقع له فيه^(٢). قال صالح بن كيسان: قال المغيرة بن شعبة: لما دُفن عمر أتيت علياً، وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفذ رأسه ولحيته، وقد اغتسل وهو ملتجف بثوب لا يشك أن الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي حثمة^(٣)، ذهب بخيرها ونجا من شرها، أما^(٤) والله ما قالت ولكن قولت^(٥). وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو في عمر:

فَجَعَنِي فَيَرُورُ لَا دَرَّ دَرُّهُ بَأَبْيَضَ تَالٍ لِلْكِتَابِ نَجِيبٍ
رُؤُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا أَخِي ثَقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُنِيبٍ^(٦)
مَتَى مَا يَقْلُ لَا يُكْذِبُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبٍ^(٧)
وقالت أيضاً:

عَيْنِ جُودِي بَعْبَرَةٍ وَنَحِيبٍ لَا تَمْلِي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَتْنِي^(٨) الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعْ لِمِ يَوْمِ الْهَيَاجِ وَالتَّلْبِيبِ
عَصْمَةِ النَّاسِ وَالْمَعِينِ عَلَى الذَّهْ رِ وَغَيْثِ الْمُنتَابِ وَالْمَحْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الثَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مُوتُوا قَدْ سَقَتُهُ الْمَنُونُ كَأَسَّ شُعُوبٍ^(٩)

قال ابن المسيب: وحي عمر فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العظيم العليُّ المُعْطِي ما شاء من شاء، كنت أرى إيل الخطاب في هذا الوادي في مِذْرَعَةٍ صُوفٍ، وكان فظاً يُعْبِنِي إِذَا عَمَلْتُ، ويضربني إِذَا قَصَّرْتُ، وقد أَمْسَيْتُ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ؛ ثُمَّ تَمَثَّلَ:

-
- (١) تاريخ الطبري ٢١٣/٤.
 - (٢) تاريخ الطبري ٢١٤/٤.
 - (٣) في الطبعة الأوربية «حتمة» وهو غلط.
 - (٤) في الطبعة الأوربية «أم».
 - (٥) تاريخ الطبري ٢١٨/٤.
 - (٦) في تاريخ الطبري «مجب».
 - (٧) الأبيات في تاريخ الطبري ٢١٩/٤، والمستدرک للحاكم ٩٥/٣.
 - (٨) في البداية والنهاية «فجعتنا».
 - (٩) في البداية والنهاية ١٤٠/٧ «سغوب»، والأبيات في تاريخ الطبري. وفي أسد الغابة ٣٨/٤ ثلاثة أبيات. وتاريخ الخلفاء باختلاف بعض الألفاظ - ١٤٦، والمستدرک على الصحيحين للحاكم ٩٤/٣، وتلخيص المستدرک للذهبي ٩٤/٣، وفيها اختلاف الألفاظ بالقوافي للأبيات الثلاثة: الصليب، والتأنيب، والمكروب.

لا شيء فيما^(١) تَرَى تَبْقَى بِشَاشْتُهُ
لم تُغْنِ عن هُرْمَزٍ يوماً خَزَائِنُهُ
ولا سليمان إذ تجري الرِّياحُ به
أين الملوك التي كانت نوافلها^(٢)
حَوْضاً هنالك موروداً بلا كَذِبٍ

يبقى الإله ويودي المال والولَدُ
والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
والإنسُ والجنُّ فيما بينها يردُّ^(٣)
من كلٍّ أَوْبٌ إليها راكبٌ^(٤) يَفِدُ
لا بدَّ من وَرْدِهِ يوماً كما وَرَدوا^(٥)

قال أسلم: إنَّ هند بنت عُتْبَةَ استقرضت عمرَ من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها، فأقرضها، فخرجت فيها إلى بلاد كلب، فاشترت وباعت، فبلغها أن أبا سفيان وابنه عمرأً أتيا معاوية، فعدلت إليه، وكان أبو سفيان قد طلقها، فقال لها معاوية: ما أقدمك أي أمه؟ قالت: النظر إليك أي بُني، إنه عمر، وإنما يعمل الله وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كل شيء وأهل ذلك هو، ولا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبوك ويؤنبك^(٦) عمر فلا يستقيلها^(٧) أبداً. فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما، فتسخطها^(٨) عمرو، فقال أبو سفيان: لا تسخطها فإن هذا عطاء لم تغب عنه هند؛ ورجعوا جميعاً، فقال أبو سفيان لهند: أربحت؟ قالت: الله أعلم. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك، ولكنه مال المسلمين. وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ قال: بمائة دينار^(٩).

قال ابن عباس: بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذكرون الشعر فقال بعضهم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، من أشعر الشعراء؟ قال: قلت: زهير بن أبي سلمى. فقال: هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت. فقلت: امتدح قوماً من غطفان فقال:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ لَأَوَّلَهُمْ يَوْمًا إِذَا قَعَدُوا^(١٠)

(١) في الاستيعاب «مما».

(٢) في الاستيعاب، وتاريخ الطبري «ترد».

(٣) في الاستيعاب «لعزتها».

(٤) في الاستيعاب «وافد».

(٥) الآيات في: الاستيعاب ٤٧٢/٢، ٤٧٣، وتاريخ الطبري ٢١٩/٤، ٢٢٠.

(٦) في النسخة (ب): «فيأتونك ويأتيك».

(٧) في الطبعة الأوربية: «تستقيلهما».

(٨) في الطبعة الأوربية «وحملها فيسخطها»، وفي تاريخ الطبري «فتعظمها».

(٩) تاريخ الطبري ٢٢١/٤.

(١٠) عند الطبري «قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا».

قَوْمٌ أَبَوْهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
جِنٌّ إِذَا فَرَزَعُوا إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا مُمَرَّدُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا جَهَدُوا^(١)
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

فقال عمر: أحسن والله، وما أعلم أحداً أُولَى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم، لفضل رسول الله ﷺ، وقرابتهم منه. فقلت: وُفِّقْتَ يا أمير المؤمنين ولم تزل موثقاً! فقال^(٢): يا ابن عباس، أتدري ما منع قومكم منهم^(٣) بعد محمد ﷺ؟ فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يُدريني! فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم ببجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتبسط عني الغضب تكلمت. قال: تكلم. قلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن^(٤) الله عز وجل، وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٥). فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرَّك عليها، فتزيل^(٦) منزلتك مني. فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أمارط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنك حسداً وبغياً وظلماً. فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإن آدم حسد، ونحن ولده المحسدون. فقال عمر: هيهات هيهات! أبت والله قلوبكم^(٧) يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً بالحسد^(٨) والغش، فإن قلب رسول الله ﷺ، من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني

(١) عند الطبري:

(١) «إنسٌ إذا أمنوا، جنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّأُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا حَشَدُوا»

(٢) في الأوربية «وقعت... موقعاً».

(٣) في حاشية نسخة باريس وردت العبارة التالية: «من قوله: فقال يا ابن عباس إلى آخر الصحيفة الثانية غلط زايد دس لم نجده في سائر النسخ، قاتل الله تعالى واضعه».

(٤) في الطبعة الأوربية «منكم»، والتصويب من تاريخ الطبري ٢٢٣/٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «قال».

(٦) سورة محمد، الآية: ٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «لتزيل».

(٨) في الطبعة الأوربية «قلوبهم».

(٩) في الطبعة الأوربية «عن الحسد».

يا ابن عباس. فقلت: أفعل. فلما ذهب لأقوم^(١) استحيا مني فقال: يا ابن عباس، مكانك! فوالله إنني لراع لحقك محب لما سرك. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى^(٢).

ذكر قصة الشورى^(٣)

قال عمر بن ميمون الأودي: إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت. فقال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، وقلت لربي إن سألني: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة»^(٤). ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته وقلت لربي إن سألني: سمعت نبيك يقول: «إن سالمًا شديد الحب لله تعالى». فقال له رجل: أدلك على عبد الله بن عمر. فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا! ويحك! كيف استخلف^(٥) رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم، فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فقد صُرف^(٦) عنا، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويُسأل عن أمر أمة محمد، أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إنني لسعيد؛ وأنظر فإن استخلفت فقد استخلفت من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، ولن يضيع الله دينه. فخرجوا ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً. فقال: قد كنت

(١) في الطبعة الأوربية «أقوم».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢٢٢/٤ - ٢٢٤.

(٣) أنظر عن الشورى في: طبقات ابن سعد ٦١/٣، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٣، وتاريخ يعقوبي ١٦٠/٢، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) بتحقيق سكيئة الشهابي ١٨٠ - ١٩٢. والبدء والتاريخ ١٨٩/٥ - ١٩١، وتاريخ الطبري ٢٢٧/٤، ونهاية الأرب ٣٧٨/١٩، والبدية والنهاية ١٤٤/٧، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٤، والتنبيه والإشراف ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) حديث: «إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» أخرجه أحمد في المسند ١٣٣/٣ و ١٨٩ و ٢٤٥ و ٢٨١. والبخاري في فضائل القرآن (٣٧٤٤) وفي المغازي (٤٣٨٢) وفي أخبار الأحاد (٧٢٥٥). ومسلم في الفضائل (٢٤١٩). والترمذي في المناقب (٣٧٥٩). وابن ماجه في المقدمة (١٣٥). وابن سعد في طبقاته ٢٩٩/١/٣، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢٩٣/٥، والحاكم في المستدرک ٢٦٧/٣، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ١٠١/١، والذهبي في تلخيص المستدرک ٢٦٧/٣، وابن حجر في الإصابة ٢٨٥/٥، وغيرهم من طرق.

(٥) في الطبعة الأوربية «استخلفت».

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٥.

(٧) في نسخة المتحف البريطاني «ضرب».

أجمعت بعد مقاتلي أن أنظر، فأولي رجلاً أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق، وأشار إلى علي، فرهقني غشينة، فرأيت رجلاً دخل الجنة، فجعل يقطف كل غضة ويانعة، فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب [على] أمره، فما أردت أن أتحمّلها حياً وميتاً، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: إنهم من أهل الجنة، وهم: علي، وعثمان، وعبد الرحمن، وسعد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً فأحسنوا موازرتة وأعينوه.

فخرجوا، فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم. قال: إنني أكره الخلاف. قال: إذن ترى ما تكره. فلما أصبح عمر دعا علياً، وعثمان، وسعداً، وعبد الرحمن، والزبير، فقال لهم: إنني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ، وهو عنكم راضٍ، وإنني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنني أخافكم فيما بينكم، فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها. ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد. فسمعه عمر فانتبه وقال: [ألا] أعرضوا عن هذا، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليُصل بالناس صهيّب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم^(١)، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قديم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم، ومن لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله تعالى. فقال عمر: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله، وما أظن يلي إلا أحد هذين الرجلين: علي أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دُعاة^(٢)، وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق، وإن تولّوا سعداً فأهله هو، وإلا فليستعن به الوالي، فإنني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، فاسمعوا منه وأطيعوا.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله طالما أعزّ بكم الإسلام، فاختر خمسین رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتُموني في حُفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً.

(١) «منكم» من نسخة بودليان.

(٢) أنظر تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٣.

وقال لصُهيّب: صلّ بالناس ثلاثة أيّام، وأدخِل هؤلاء الرهط بيتاً، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحداً فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكّموا عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عمّا اجتمع فيه الناس.

فخرجوا، فقال عليّ لقومٍ معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمّروا أبداً، وتلقّاه عمّه العباس فقال: عدلتُ عنّا! فقال: وما علمك؟ قال: قُرَن بني عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمّه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليّها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني. فقال له العباس: لم أرفعك^(١) في شيء إلا رجعت إليّ مستأخراً لما أكره، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ، أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت، فأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرتُ عليك حين سمّك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت، احفظ عني واحدة: كلّما عرض عليك القوم فقل: لا، إلا أن يولّوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتّى يقوم به لنا غيرنا، وإيم الله لا يناله إلا بشرٌ لا ينفع معه خير! فقال عليّ: أمّا لئن بقي عثمان لأذكرنّه ما أتى، ولئن مات ليتداولنّها بينهم، ولئن فعلونا لتجدنّي حيث يكرهون؛ ثمّ تمثّل:

حلفتُ برَبِّ الرّاقصاتِ^(٢) عشيّةً غَدُونُ خِفافاً فابْتَدَرْنَ^(٣) المُحْصِبَا
لِيَخْتَلِينَ رَهْطُ ابْنِ يَعْمرَ قارناً^(٤) نجيعاً بنو الشُّدَاخِ وَرِداً مُصْلِبَا

والتفتَ فرأى أبا طلحة فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لن تُراع^(٥) أبا الحسن.

فلما مات عمر وأُخرجت جنازته صلّى عليه صُهيّب، فلما دُفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المِسْور بن مَخْرَمَة، وقيل: في بيت المال، وقيل: في حجرة عائشة بإذنها، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولاً: حضرنا وكنا في

(١) في النسخة (ب) «لم أدفعك».

(٢) في الطبعة الأوربية «الرافضات».

(٣) في نسخة المتحف البريطاني «فايتدزن».

(٤) في النسخة (ب) «قارساً». وفي تاريخ الطبري ٢٣٠/٤ «مارثاً».

(٥) في نسخة بودليان «ندع»، وفي تاريخ الطبري «لم تُرع».

أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر، وكثر فيهم الكلام، فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها، والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر، ثم أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد. فقال: فأنا أنخلع منها. فقال عثمان: أنا أول من رضي. فقال القوم: قد رضينا. وعليّ ساكت. فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقاً لتوثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخصّ ذا رجم ولا تألو الأمة [نصحا]. فقال: أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغير، وأن ترضوا من اخترت لكم، وعليّ ميثاق الله أن لا أخصّ ذا رجم لرحمه، ولا آلو المسلمين، فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعليّ: تقول إنني أحقّ من حضر بهذا الأمر، لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدّين ولم تبع، ولكن أرايت لو صُرف هذا الأمر عنك، فلم تحضر، من كنت ترى من هؤلاء الرّهط أحقّ به؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان فقال: تقول^(١) شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ، وابن عمّه، ولي سابقة وفضل، فأين يُصرف هذا الأمر عني؟ ولكن لو لم تحضر^(٢) أي هؤلاء الرّهط تراه أحقّ به؟ قال: عليّ.

ولقي عليّ سعداً فقال له: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٣)، أسألك برجم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرجم عمّي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً^(٤). ودار عبد الرحمن ليلاليه يلقي أصحاب رسول الله ﷺ، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس يشاورهم، حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل، أتى منزل المسورين مخزّمة، فأيقظه وقال له: لم أدقّ في هذه الليلة كبير غمض، انطلق فادع الزبير وسعداً. فدعاهما. فبدأ بالزبير فقال له: خلّ بني عبد مناف وهذا الأمر. قال: نصيبي لعليّ. وقال لسعد: اجعل نصيبك لي. فقال: إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعليّ أحبّ إليّ؛ أيها الرجل، بايع لنفسك وأرخنا وارفع رؤوسنا. فقال له: قد خلعت نفسي عليّ أن أختار، ولو لم أفعل لم أردّها، إنني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب، فدخل فعل ما رأيت أكرم منه فمرّ كأنه سهم، لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها لم يعرج، ودخل بعير يتلوه فاتّبع أثره حتى خرج منها، ثم

(١) في الطبعة الأوربية «يقول».

(٢) في الطبعة الأوربية «يحضر» والتصحيح من الطبري ٢٣١/٤.

(٣) سورة النساء، الآية ١.

(٤) في نسختي باريس و«ب»: «ظهر».

دخل فحلّ عبقرِيّ يجزّ خطامه، ومضى قصْد الأولَيْن، ثم دخل بعيرٌ رابع فرتع^(١) في الروضة، ولا والله لا أكون الرابع، ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه.

قال: وأرسل المِسْور فاستدعى عليّاً، فناهجه طويلاً وهو لا يشكّ أنّه صاحب الأمر، ثمّ نهض، ثمّ أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح.

قال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: من أخبرك أنّه يعلم ما كلّم به عبدُ الرحمن بن عوف عليّاً وعثمان، فقد قال بغير علم، فوقع قضاء ربّك على عثمان. فلمّا صلّوا الصبح جمع الرّهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التّج^(٢) المسجد بأهله، فقال: أيّها الناس، إنّ الناس قد أجمعوا^(٣) أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم، فأشيروا عليّ. فقال عمّار: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً. فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار، إن بايعت عليّاً قلنا: سمعنا وأطعنا. قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدقت إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتّم^(٤) عمّار ابن أبي سرح وقال^(٥): متى كنت تنصح المسلمين؟ فتكلّم بنو هاشم وبنو أميّة، فقال عمّار: أيّها الناس، إنّ الله أكرمنا بنيّه وأعزّنا بدينه، فأنتي تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟ فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سُميّة، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها! فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن، افرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال عبد الرحمن: إنّي قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيّها الرّهط على أنفسكم سبيلاً؛ ودعا عليّاً وقال: عليك عهدُ الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفيتين من بعده. قال: أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي؛ ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلّي، فقال: نعم نعمل^(٦). فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم اسمع واشهد اللهم أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فبايعه.

-
- (١) في الأوربية «فوقع».
 - (٢) في الأوربية «التحم». وفي النسخة (ب): «ارتج».
 - (٣) في نسخة باريس «أحبوا».
 - (٤) في الطبعة الأوربية «فشتّم».
 - (٥) في الطبعة الأوربية «فقال».
 - (٦) «نعمل» ساقطة من نسختي المتحف البريطاني وبودليان.

فقال عليّ: ليس هذا أوّل يوم^(١) تظاهرتم فيه علينا، ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(٢)، والله ما وليت عثمان إلّا ليردّ^(٣) الأمر إليك، والله كلّ يوم في شأن! فقال عبد الرحمن: يا عليّ، لا تجعل على نفسك حجة وسبيلاً. فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد، والله لقد اجتهدت للمسلمين. قال: إن كنت أردت الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم، إنّي لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه، أما والله لو أجد أعواناً عليه! فقال عبد الرحمن: يا مقداد اتقِ الله فإنّي خائف عليك الفتنة. فقال رجل للمقداد: رحّمك الله، من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب. فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر^(٤) بينها فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم.

وقدّم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقبل له: بايعوا لعثمان. فقال: كلّ قريش راضٍ به؟ قالوا: نعم. فأتى عثمان، فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك وإن أبيت رددتها. قال: أتردّها؟ قال: نعم. قال: أكلّ الناس بايعوك؟ قال: نعم. قال: قد رضيت لا أرغب عمّا أجمعوا عليه. وبايعه.

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان. وقال لعثمان: ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا. فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور، لو بايعت غيره لبايعته، ولقلت هذه المقالة. قال: وكان المسور يقول: ما رأيت أحداً بذّ قوماً فيما دخلوا فيه بمثل ما بذّهم عبد الرحمن^(٥).

قلت: قوله: إنّ عبد الرحمن صهر عثمان، يعني أنّ عبد الرحمن تزوّج أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وهي أخت عثمان لأمّه، خلف عليها عُقبة بعد عثمان^(٦).

وقد ذكر أبو جعفر رواية أخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة، وهي تمام

(١) في نسخة باريس (أمر).

(٢) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٣) في نسخة باريس «ليعد».

(٤) في الطبعة الأوربية «تتنظر».

(٥) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٧ - ٢٣٤.

(٦) في نسخة بودليان «عفان».

حديث مقتل عمر، وقد تقدّم، والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدّم آنفاً، غير أنّه قال: لما دُفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم، وأمرهم بالاجتماع وترك التفرّق، فتكلّم عثمان فقال: الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً، وبعثه رسولا، وصدّقه وعده، ووهب له نصره على كلّ من بعد نسباً أو قرّب رَجماً، جعلنا الله له تابعين، وبأمره مهتدين، فهو لنا نور، ونحن بأمره نقوم عند تفرّق الأهواء ومجادلة الأعداء، جعلنا الله بفضلله أئمة، وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منّا، ولا يدخل علينا غيرنا، إلّا من سِفِه الحقّ، ونكّل عن القصد، وأُحر بها^(١) يا ابن عوف أن تترك، وأجدر بها أن تكون^(٢) إن خولف أمرُك وترك دعاؤك، فأنا أوّل مجيب [لك] وداعٍ إليك وكفيل بما أقول زعيم؛ وأستغفر الله لي ولكم.

ثمّ تكلم الزبير بعده فقال: أمّا بعد فإنّ داعي الله لا يُجهل، ومجيبه لا يُخذل عند تفرّق الأهواء ولّي الأعناق، ولن يقصّر عمّا قلت إلّا غويّ، ولن يترك ما دعوت إليه إلّا شقيّ، ولولا حدود الله فُرضت، (وفرائض الله حُدّت، تُراح على أهلها وتحيا ولا تموت)^(٣)، لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة، ولكن الله علينا إجابة الدعوة وإظهار السنّة، لئلاّ نموت مَوتة عميّة، ولا نعمى عمى الجاهليّة، فأنا مُجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، وأستغفر الله لي ولكم.

ثمّ تكلم سعد فقال بعد حمد الله: وبمحمد ﷺ، أنارت الطُّرق^(٤) واستقامت السُّبل، وظهر كلّ حقّ، ومات كلّ باطل، إياكم أيّها النفر وقول الزُّور، وأمنيّة أهل الغرور، وقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم، ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتهم^(٥) فاتخذهم الله عدوّاً، ولعنهم لعناً كبيراً. قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٦)، إِنِّي نَكَبْتُ قُرْنِي^(٧) وأخذت سهمي الفالَج^(٨) وأخذت لطلحة بن عبّيد الله ما ارتضيت لنفسي، فأنا به كفيل وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النُصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم.

(١) في الأوربية «واحرماها».

(٢) في الأوربية «واحذر بها أن يكون».

(٣) في الأوربية «وفرائض الله حُدّت تُراح على الله أهلها ويحيا ولا يموت».

(٤) في الأوربية «الطريق».

(٥) في النسخة (ب): «وقالوا ما قلتم».

(٦) سورة المائدة، الآيتان ٧٨ و ٧٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «إِنِّي مُكْتَب قُرْبِي» (والقَرَن هنا: الجعبة، أي أنّه نثر ما في القَرَن من السهام).

(٨) في الطبعة الأوربية «الفالَج».

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منّا نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نُعطه نأخذُه، وإن نُمنعه نركبُ أعجاز الإبل ولو طال السُرى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ، عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصلة رَحِم، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، اسمعوا كلامي وعوا منطقي، عسى أن تروا (هذا الأمر)^(١) بعد هذا المجمع تُتضى فيه السيوف، وتُخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم^(٢) أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، ثم قال:

فإن تك جاسم^(٣) هلكت فإنّي بما فعلت بنو عبد بن ضُجَم^(٤)
مطيع في الهواجر كلّ غي^(٥) بصير بالنوى من كلّ نجم

فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفساً أن يُخرج نفسه من هذا الأمر؟ وذكر قريباً ممّا تقدّم^(٦).

ثم جلس عثمان في جانب المسجد بعد بيعته، ودعا عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان قتل [قاتل] أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جُفينة^(٧) رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة، كان ظهيراً لسعد بن مالك، وقتل الهرمزان، فلما ضربه بالسيف قال: لا إله إلّا الله! فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره، وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان، وكان عُبيد الله يقول: والله لأقتلن رجلاً ممّن شرك في دم أبي، يعرض بالمهاجرين والأنصار، وإنّما قتل هؤلاء النفر لأنّ عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة قتل عمر: رأيت عشيّة أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة، وجُفينة^(٨) وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فقتلهم عُبيد الله. فلما أحضره عثمان قال: أشيروا عليّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فقال عليّ: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويُقتل ابنه اليوم! فقال

(١) في النسخة (ب): «كلامي».

(٢) في الطبعة الأوربية «بعضهم».

(٣) في الطبعة الأوربية «جاشم».

(٤) في تاريخ الطبري ٢٣٧/٤ «ضخم».

(٥) في تاريخ الطبري «عيّ» بالعين المهملة.

(٦) تاريخ الطبري ٢٣٥/٤ - ٢٣٧.

(٧) في الطبعة الأوربية «حفية».

عمرو بن العاص: إِنَّ الله قد أعفأك أن يكون هذا الحَدَث ولك على المسلمين سلطان.
فقال عثمان: أنا وليه، وقد جعلتها دية، وأحتملها في مالي. وكان زياد بن لبيد البياضي
الأنصاري إذا رأى عُبيد الله يقول:

ألا يا عُبيدَ الله مالِكَ مَهْرَبٍ ولا مَلْجأً منِ ابنِ أروى ولا خَفَرٍ
أصَبْتَ دَمًا والله في غَيْرِ حِلِّهِ حراماً وقَتْلُ الهَرْمُزَانِ لَهُ خَطَرُ
على غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أنْ قالَ قائلٌ اتَّهَمُونَ الهَرْمُزَانَ على عَمَرٍ
فقال سَفِيهٌ، والحوادثُ جَمَّةٌ: نَعَمْ اتَّهَمُهُ قد أَشارَ وقد أَمَرَ
وكان سِلاحُ العبدِ في جَوْفِ بيته يَقلِّبُها والأمرُ بالأمرِ يُعْتَبَرُ
فشكا عُبيدُ الله إلى عثمان زيادَ بنَ لبيد، فنَهى عثمانُ زياداً، فقال في عثمان:

أبا عمرو عُبيدُ اللَّهِ رَهْنٌ فلا تَشْكُكْ^(١) بقتلِ الهَرْمُزَانِ
فإِنَّكَ إنْ غَفَرْتَ^(٢) الجَرْمَ عَنْهُ وأسبابُ الخَطَا فَرَساً رِهانِ
أتَعَفَوْا إذ عَفَوْتَ بغيرِ حَقٍّ فما لَكَ بالذي تحكي يَدانِ
فدعا عثمان زياداً فنهاه وشذَّبه^(٣).

وقيل في فداء عُبيد الله غير ذلك، قال الغمازيان^(٤) بن الهرمزان: كانت العجم
بالمدينة يستروحُ بعضها إلى بعض، (فمرَّ فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر)^(٥) له
رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع به؟ قال: أسنَّ^(٦) به. فرآه رجل، فلمَّا أصيب عمر
قال: رأيتُ الهَرْمُزَانَ دفعه إلى فيروز، فأقبل عُبيد الله فقتله، فلمَّا ولي عثمان أمكنني
منه، فخرجتُ به وما في الأرض أحدٌ إلَّا معي، إلَّا أَنَّهُمْ يطلبون إليَّ فيه، فقلتُ لهم:
أليَّ^(٧) قتله؟ قالوا: نعم، وسبَّوا عُبيد الله، قلتُ لهم: أفلَكم مَنَعَةٌ؟ قالوا: لا، وسبَّوه،
فتركته لله ولهم، فحملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلَّا على رؤوس الناس.

والأوَّلُ أصَحُّ في إطلاق عُبيد الله، لأنَّ عليًّا لما ولي الخلافة أراد قتله، فهرب منه
إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر وليِّ الدم لم يتعرَّض له عليٌّ.

(١) في الطبعة الأوربية «تشكل». والبيت في تاريخ يعقوبي ١٦٤/٢ والطبري.

(٢) في الطبعة الأوربية «عفوت».

(٣) تاريخ الطبري ٢٣٩/٤، ٢٤٠.

(٤) في نسخة باريس «العمادنان»، وفي نسخة المتحف البريطاني «القمازيان».

(٥) العبارة في الطبعة الأوربية «فمرَّ فيروز بأبي لؤلؤة ومعه خنجر».

(٦) في نسخة المتحف البريطاني «أسن»، وفي نسخة بودليان «ايس».

(٧) في نسخة باريس «أبي».

ذكر عدة حوادث

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحارث الخُزاعي، وعلى الطائف سُفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن مُنية، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص عُمر بن سعد، وعلى دمشق معاوية، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفي^(١).

وفيها غزا معاوية الصائفة^(٢)، ومعه عبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر، وشداد بن أوس.

وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح^(٣). وكان على قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة كعب بن سور، وقيل: إن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض^(٤).

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفي قتادة^(٥) بن النعمان الأنصاري، وهو الذي ردّ رسول الله ﷺ،

- (١) تاريخ الطبري ٢٤١/٤، وانظر تاريخ خليفة ١٥٣، ١٥٤، وتاريخ يعقوبي ١٦١/٢.
- (٢) حتى بلغ عمورية. (الطبري ٢٤١/٤)، النجوم الزاهرة ٧٧/١.
- (٣) فتوح البلدان ١٦٩ رقم ٣٨٢، تاريخ يعقوبي ١٥٧/٢، البدء والتاريخ ١٨٦/٥، تاريخ مختصر الدول لابن العري ١٠٢، تاريخ الطبري ٢٤١/٤.
- (٤) تاريخ الطبري ٢٤١/٤، وانظر تاريخ خليفة ١٥٤، والتنبيه والإشراف ٢٥٤.
- (٥) انظر عن قتادة في: مسند أحمد ١٥/٤ و ٣٨٤/٦، والمغازي للواقدي ٥٠ و ١٥٨ و ٢٢٤ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٣٣٤ و ٤٠٥ و ٤٩٨ و ٥١٦ و ٥٨٥ و ٨٠٠ و ٨٩٦ و ١٠٠٩ و ١١١٨، وطبقات ابن سعد ١٨٧/١ و ١٩٠/٢ و ١٩٠/٣ و ٤٥٣، وتاريخ خليفة ١٥٣، وطبقاته ٨١ و ٩٦، ومقدمة مُسند بقي بن مخلد ١٠٠ رقم ٢٣٤، المحرر ٢٩٨ و ٤١٥ و ٤٢٩، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٨، وبيع الأبرار للزمخشري ١٢٩/٤، والتاريخ الكبير ١٨٤/٧، ١٨٥ رقم ٨٢٣، والمعارف ٢٦٨ و ٤٦٦ و ٥٨٨، والبرصان والعرجان ٣٦٢، والمعرفة والتاريخ ٣٢٠/١، والجرح والتعديل ١٣٢/٧ رقم ٧٥٣، وثمار القلوب ٢٨٨، والمستدرک ٢٩٥/٣ و ٢٩٦، والاستبصار ٢٥٤ - ٢٥٧، والاستيعاب ٢٤٨/٣ - ٢٥١، وأنساب الأشراف ٢٤١/١ و ٢٢٣ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٥٢٣، وتاريخ الطبري ٥١٦/٢ و ٢٤١/٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٧ رقم ١٢٦، وجمهرة أنساب العرب ٣٤٣، وأسد الغابة ١٩٥/٤ - ١٩٧، وصفة الصفوة ٤٦٣/١، ٤٦٤ رقم ٣٥، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ٥٨/٢، ٥٩ رقم ٦٧، وتهذيب الكمال ١١٢٣/٣، والعيبر ٢٧/١، والكاشف ٣٤١/٢ رقم ٤٦٢٤، والمعين في طبقات المحدثين ٢٥ رقم ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ٣٣١ - ٣٣٣ رقم ٦٦، وتاريخ الإسلام ٢٥١/٣، ومراة الجنان ٨٢/١، والوفيات لابن قنفذ ٥٠ رقم ٢٣، ومجمع الزوائد ٢١٨/٩، وتهذيب التهذيب ٣٥٧/٨، ٣٥٨ رقم ٦٣٨، وتقريب التهذيب ١٢٣/٢ رقم ٨٤، والإصابة ٢٢٥/٣، ٢٢٦ رقم ٧٠٧٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣١٥، وكنز العمال ٥٧٤/١٣، وشذرات الذهب ٣٤/١، والمعجم الكبير للطبراني ٣/١٩ - ١٤.

عينه، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وهو بذرّي، وقيل: تُوفي سنة أربع وعشرين. وفي خلافة عمر تُوفي الحُباب^(١) بن المنذر بن الجُمُوح الأنصاري، وهو بذرّي. وربيعة بن الحارث^(٢) بن عبد المطلب، وهو أسنّ من العباس. وعُمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو، وهو بذرّي. وعُمير بن وهب^(٣) بن خَلَف الجُمُحي، شهد أحدًا. (وعُتَبة بن مسعود^(٤) أخو عبد الله بن مسعود، وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدًا^(٥)). وعديّ بن أبي

(١) أنظر عن الحباب في: المغازي للواقدي ٥٣ و ٥٤ و ٥٨ و ٨٣ و ٨٥ و ١٤٢ و ١٥٠ و ١٦٩ و ٢٠٧ و ٢١٥ و ٢٣٤ و ٢٤٠ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٣٣٤ و ٣٨٧ و ٤٠٥ و ٤٩٨ و ٥١٥ و ٥٧٤ و ٦٤٣ و ٦٤٩ و ٦٥٩ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٧ و ٧١٠ و ٨٩٥ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٨٥ و ٩٩٦، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا)، وطبقات ابن سعد ٣/٥٦٧، ٥٦٨، والتاريخ الكبير ٣/١٠٩ رقم ٣٦٨، وأنساب الأشراف ٩/١٣٨ و ١٩١ و ٢٩٣ و ٢٩٩ و ٣٠٣ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٤، والجرح والتعديل ٣/٣٠١ رقم ١٣٤٠، والعقد الفريد ٤/١٨٦ و ٢٥٧/٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٥٩ والاستيعاب ١/٣٥٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١١٢، وتاريخ الطبري ٢/٤٤٠ و ٣/٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٣، وثمار القلوب ٢٨٨، والمستدرك على الصحيحين ٣/٤٢٦، ٤٢٧، وأسَد الغابة ١/٣٦٤، ٣٦٥، وتلخيص المستدرك ٣/٤٢٦ - ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٢٨٦، والبداية والنهاية ٧/١٤٢، والوافي بالوفيات ١١/٢٨٢، ٢٨٣ رقم ٤١٣، والإكمال ٢/١٤٠، والإصابة ١/٣٠٢، ٣٠٣ رقم ١٥٥٢.

(٢) في نسخة باريس «حرب»، وانظر عن ربعة في: المغازي للواقدي ٥٠٦ و ٦٩٤ و ٦٩٦ و ٩٠٠، وطبقات ابن سعد ٤/٤٧، ٤٨، وتاريخ خليفة ١٥٣ و ٣٤٨، وطبقات خليفة ٥، والسير والمغازي ١٠٨، والمجتبى ٦٤ و ٤٤٥، والتاريخ الكبير ٣/٢٨٣، ٢٨٤ رقم ٩٧٢، والمعارف ١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٦٤، وأنساب الأشراف ١/٧٩، وق ٣/٢٠ و ٢٥ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٣٠١، وق ٤ ج ١/٥٢٨، وتاريخ الطبري ٣/٧٤ و ١٣٩ و ١٥٠ و ٤٠٤/٤، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥٠، والاستيعاب ١/٥٠٥، ٥٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٦٣، وجمهرة أنساب العرب ٧٠، وأسَد الغابة ٢/١٦٦، ١٦٧، وتهذيب الكمال ١/٤٠٩، والكاشف ١/٢٣٧ رقم ١٥٥٦، وسير أعلام النبلاء ٢٥٧/٢٥٩ - ٢٥٩ رقم ٤٦، وتاريخ الإسلام ٣/٢٨٧، والمعجم الكبير للطبراني ٥/٤٧ - ٥٠ رقم ٤٤٤، والبداية والنهاية ٧/١٤٢، والوافي بالوفيات ١٤/٨٧، ٨٨ رقم ١٠٦ وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/١٥٦، وتهذيب التهذيب ٣/٢٥٣، ٢٥٤ رقم ٤٨٣، وتقريب التهذيب ١/٢٤٦ رقم ٥٢، والإصابة ١/٥٠٦ رقم ٢٥٩٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١١٧.

(٣) أسَد الغابة ٤/١٤٨ - ١٥٠.

(٤) أنظر عن عتبة في السير والمغازي ٢٢٥ و ٢٢٨ والمغازي للواقدي ٢٣٣ و ٣٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، وطبقات ابن سعد ٤/١٢٦، ١٢٧، والمجتبى ٢٩٨، والتاريخ الكبير ٦/٥٢٢ رقم ٣١٨٨، وتاريخ أبي زرعة ١/٤١٩، والمعارف ٢٥٠، ٢٥١، وعيون الأخبار ٣/٥٧، والمعرفة والتاريخ ٢/٥٥١، وأنساب الأشراف ١/٢٠٤ و ٣٢٢ و ٣٢٩، والجرح والتعديل ٦/٣٧٣ رقم ٢٠٦٣، وجمهرة أنساب العرب ١٩٧، ومشاهير علماء الأمصار ٤٨ رقم ٣٠٧، والتاريخ الصغير ١/٤٧ و ٢١٣، والاستيعاب ٣/١٢٠، ١٢١، والمستدرك ٣/٢٥٧ - ٢٥٩، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٣١٩، ٣٢٠ رقم ٣٨٩، والزيارات للهروي ٥١، وأسَد الغابة ٣/٥٦٩، وتاريخ الإسلام ٣/٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ١/٥٠٠ رقم ٨٨، ومجمع الزوائد ٩/٢٩١، والعقد الثمين ٦/١٣، ١٤، وتلخيص المستدرك ٣/٢٥٧ - ٢٥٩، والإصابة ٢/٥٥٦ رقم ٥٤١٤.

(٥) «أحدًا» ساقطة من (ب).

الرَّغْبَاءُ الْجُهَنِيَّةُ، وهو عين رسول الله ﷺ، يوم بدر وشهد غيرها أيضاً.

وفيها مات عُويم^(١) بن ساعدة الأنصاري، وهو عَقْبِيٌّ^(٢) بُدْرِيٌّ، وقيل: إنه من بَلِيٍّ، وله حلف في الأنصار. وفيها مات سُهيل بن رافع الأنصاري، شهد بدرًا. ومسعود بن أوس بن زيد الأنصاري، وقيل: بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع عليٍّ. وفيها تُوْفِّي واقِد^(٣) بن عبد الله التميمي حليف الخطاب، وهو أول من قاتل في سبيل الله في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ، دار الأرقم. وفيها مات أبو جندل^(٤) بن سُهيل بن عمرو، وأخوه عبد الله، وكان عبد الله بدريةً، ولم يشهدها أبو جندل، لأنَّ أباه سجنه بمكة ومنعه من الهجرة إلى يوم الحُدَيْبِيَّةِ، وقد تقدَّم كيف خُلِّص. وفيها مات أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد، وكان أصابه جرح

(١) أنظر عن عويم في: مسند أحمد ٤٢٢/٣، والمغازي للواقدي ١٠٢ و ١٥٩ و ١٧٨ و ٣٠٥ و ٤٠٥ و ٤٩٨ و ٥١٦ و ١٠٤٨ و ١٠٧٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧ و ٣٤٧ وطبقات ابن سعد ٤٥٩/٣، ٤٦٠، والأخبار الموقَّعات ٥٨٧ و ٥٨٩، والتاريخ الصغير ٤٤/١ و ٧٤، والمحجَّب ٨٣، و ٤١٩، ومقدمة مُسَنِّد بَقِيٍّ بن مَخْلَد ١٠٠ رقم ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٣٥٦/٢ و ٢٠٦/٣ و ٢١٩، وأنساب الأشراف ٢٣٩/١ و ٢٤١ و ٢٥٣ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٣٣٣ و ٣٨١ و ٤٤٨، والعقد الفريد ٢٥٧/٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٤ رقم ١٠٧، وحلية الأولياء ١١/٢، ١٢ رقم ١٠٠، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٤، والاستيعاب ١٧١/٣ - ١٧٣، وأسَد الغابة ١٥٨/٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٤١/٢ رقم ٣٩، وتهذيب الكمال ١٠٦٨/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٠٣/١، ٥٠٤ رقم ٩٠، والكاشف ٣٠٨/٢ رقم ٤٣٨٩، وتاريخ الإسلام ٢٩١/٣، والبداية والنهاية ١٤٣/٧، والمستدرک ٦٣١/٣، ٦٣٢، وتلخيصه ٦٣١/٣، ٦٣٢. والإصابة ٤٤/٣، ٤٥ رقم ٦١١٢، وتهذيب التهذيب ١٧٤/٨، ١٧٥ رقم ٢١٣، وتقريب التهذيب ٩٠/٢ رقم ٨٠٤، وخلاصة التهذيب ٣٠٦.

(٢) في نسخة باريس «عيسي».

(٣) أنظر عن واقِد: طبقات خليفة ٢٣، والمغازي للواقدي ١٤ و ١٦ و ١٩ و ١٤٠ و ١٥٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و ١٣٤، والمحجَّب ٧٣، وتاريخ الطبري ٤١٢/٢ و ٤١٤ و ٤٢٠ و ٤٢١، وأنساب الأشراف ٣٠٢/١ و ٣٧٢، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٤، والاستيعاب ٦٣٨/٣، ٦٣٩، وأسَد الغابة ٨٠/٥، وتاريخ الإسلام ١٣٦/٣ و ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٤٣/٧، ١٤٤، والإصابة ٦٢٨/٣ رقم ٩٠٩٧، وتعجيل المنفعة ٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) أنظر عن أبي جندل: طبقات ابن سعد ٤٠٥/٧، والمغازي للواقدي ٦٠٧ - ٦٠٩ و ٦٣٠، وطبقات خليفة ٢٦ و ٣٠٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٢٧، ٢٢٨، والروض الأنف ٣٩/٤، وتاريخ الطبري ٦٣٥/٢ و ٦٣٦ و ٦٣٩ و ٤٠٣/٣ و ٩٦/٤ و ٩٧، والتاريخ الصغير ٥٠/١، وتاريخ خليفة ١١٣، والاستيعاب ٣٣/٤ - ٣٥، وجمهرة أنساب العرب ١٧١، وأسَد الغابة ١٦٠/٥ - ١٦٢، والمستدرک ٢٧٧/٣، وصفة الصفوة ٦٦٧/١ و ٦٦٨ رقم ٨٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٠٥/٢، ٢٠٦ رقم ٣١٢، والعبر ٢٢/١، وسير أعلام النبلاء ١٩٢/١، ١٩٣ رقم ٢٣، وتلخيص المستدرک ٢٧٧/٣، وتاريخ الإسلام ١٨٤/٣، ومرآة الجنان ٧٤/١، والبداية والنهاية ٩٦/٧، والعقد الثمين ٣٣/٨، ٣٤، وتهذيب تاريخ دمشق ١٣٤/٧ - ١٣٧، والإصابة ٣٤/٤ رقم ٢٠٣، شذرات الذهب ٣٠/١.

باليَمَامَة فاندمل، ثم انتقض عليه فمات منه، وهو عَقَبِيٌّ بِذُرِّيٍّ.

وفيهَا مات أَبُو خِرَاشٍ ^(١) الْهُذَلِيُّ الشَّاعِرُ، وَخَبِرَ مَوْتُهُ مَشْهُورٌ.

وفيهَا تُوُفِّيَ غِيلَانٌ ^(٢) بَنُ سَلِيمَةَ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ.

وفيهَا فِي آخِرِهَا مَاتَ الصَّعْبُ ^(٣) بَنُ جَثَامَةَ ^(٤) بَنُ قَيْسِ اللَّيْثِيِّ.

(١) أنظر عن أبي خراش: طبقات خليفة ٥٢، والأخبار الموقّعات ١٦٢ و ٣٨٦، والبرصان والعرجان ١٣٩ و ٢٢٤، والمعارف ٦١٨، والشعر والشعراء ٥٥٤، ٥٥٥، والكمال في الأدب للمبرد ٥٠/٢ و ١٨٢، وأمالِي الْقَالِي ٢٧١/١، وتاريخ الطبري ٦١٧/١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٤٣/٢ - ١٤٥، وشرح أشعار مُذِيلٍ لِلْسُكْرِيِّ ١١٨٩/٣ - ١٢٤٥، وديوان الهذليين ١١٦/٢ - ١٧٢، طبعة دار الكتب، وجمهرة أنساب العرب ١٩٨، والاستيعاب ٥٦/٤ - ٥٨، وثمار القلوب ٣٧٣ و ٤٢٤، وزهر الآداب ٧٣٩/٢ - ٧٤١، وشعر الهذليين ٣٦١ - ٣٨٠، والأغاني ٢٠٥/٢١ - ٢٢٨، وأمالِي الْمُرْتَضَى ١٩٨/١، ١٩٩، وأسد الغابة ١٧٨/٥، ١٧٩، وتاريخ الإسلام ٢٩٩/٣، ٣٠٠، والبداية والنهاية ١٤٤/٧، وسبط اللّالي ٦٠١/١، والوافي بالوفيات ٤٣٩/١٣، ٤٤٠ رقم ٥٣٣، والإصابة ٤٦٤/١، ٤٦٥ رقم ٢٣٤٥، وخزانة الأدب للبغدادي ٢١١/١ - ٢١٣.

(٢) أنظر عن غيلان في: المغازي للواقدي ٩٢٤ و ٩٣١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٧١، والمحبّر ٣٥ و ٣٥٧ و ٤٧٥، وتاريخ الطبري ٨١/٣ و ١٠٧/٦، وفتوح البلدان ٥٧٩، والعقد الفريد ٣٧٧/٢ و ٣٧٩، ٣٨٠ و ٤١٨/٣، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨، والمعجم الكبير ٢٦٣/١٨، ٢٦٤، والاستيعاب ١٨٩/٣ - ١٩٢، وربيع الأبرار ٢٩٥/٤، وثمار القلوب ١٣٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٤٩/٢، والبداية والنهاية ١٤٣/٧، وتاريخ الإسلام ٢٩٣/٣، والإصابة ١٨٩/٣ - ١٩٢ رقم ٦٩٢٤.

(٣) أنظر عن الصعْب في: طبقات خليفة ٢٩، والمعرفة والتاريخ ٣٢٥/١ و ٣٠٩/٣، وأنساب الأشراف ٣٨٦/١، وجمهرة أنساب العرب ١٨١، والاستيعاب ١٩٨/٢، ومشاهير علماء الأمصار ٥٧ رقم ٣٩٨، والتاريخ الكبير ٣٢٣/٤، والجرح والتعديل ٤٥٠/٤، والمعجم الكبير ٩٣/٨، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٢٦/١، وأسد الغابة ١٩/٣، وتاريخ الإسلام ٧٦/٣، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ٢٤٩/١، والوافي بالوفيات ٣١٠/١٦، ٣١١ رقم ٣٣٩، وتهذيب التهذيب ٤٢١/٤، والإصابة ١٨٤/٢ رقم ٤٠٦٥.

(٤) في النسخة (ب): «وسهام».

ثم دخلت سنة أربع وعشرين^(١)

ذكربيعة عثمان بن عفّان بالخلافة

في المحرّم منها ثلاث مَضَيّن منه ببيع عثمان بن عفّان، وقيل غير ذلك على ما تقدّم، وكان هذا العام يسمّى عام الرُّعاف لكثرت فيه بالناس. واجتمع أهل الشورى عليه، وقد دخل وقت العصر، فأذن مؤذن ضُهيّب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلّى بالناس وزادهم مائة مائة، ووفّد^(٢) أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك^(٣)، وقصد المنبر وهو أشدهم كآبة، فخطب الناس ووعظهم وأقبلوا يبايعونه^(٤).

ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، واستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصيّة عمر، فإنّه قال: أوصي الخليفة بعدي أن يستعمل سعداً، فإنّي لم أعزله عن سوء ولا خيانة^(٥)، فكان أول عامل بعثه عثمان، فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى^(٦). وقيل: بل أقرّ عثمان عمّال عمر جميعهم سنة، لأنّ عمر أوصى بذلك، ثمّ عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعداً؛ فعلى هذا القول تكون إمارة سعد سنة خمس وعشرين^(٧).

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، وقيل: عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان^(٨).

(١) العنوان ليس في نسخة (س).

(٢) في نسختي باريس و (ب): «وفد إليه».

(٣) تاريخ الطبري ٢٤٢/٤.

(٤) الخطبة في تاريخ الطبري ٢٤٣/٤.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم ٣٢٠.

(٦) تاريخ الطبري ٢٤٤/٤.

(٧) تاريخ الطبري ٢٤٤/٤.

(٨) تاريخ الطبري ٢٤٩/٤، وانظر: تاريخ خليفة ١٥٧، وتاريخ الإسلام - بتحقيقنا - ٣٠٧/٣.

وقد تقدّم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء أنها كانت زمن عثمان وذكرُت
الخلاف هنالك.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الأنصاري، وهو بذريّ، وهو أحد
البكّائين في غزوة تبوك.

وسُرّاقة^(١) بن مالك بن جُعْشُم المُدَلْجِي، وقيل: مات بعد ذلك، وهو الذي
أدرك النبي ﷺ، في هجرته.

(١) أنظر عن سُرّاقة في: المغازي للواقدي ٣١ و ٣٨ و ٣٩ و ٧١ و ٧٥ و ١٣٥ و ٩٤١، وتهذيب سيرة ابن
هشام ١١٦، ١١٧ و ١٣٨، وطبقات خليفة ٣٤، وتاريخ خليفة ١٥٧، والبرصان والعرجان ٧٧، ٧٨،
وتاريخ الطبري ٤٣١/٢، والمعرفة والتاريخ ١/٢٤٠ و ٣٩٥ و ٦٢٧/٢، والكنى والأسماء ٧١/١ و ٧٣،
والتاريخ الكبير ٢٠٨/٣، ٢٠٩ رقم ٢٥٢٣، وأنساب الأشراف ١/٢٦٣ و ٢٩٥، ومقدمة مُسْنَد بَقِي بن
مُخَلَّد ٩١ رقم ١٣٠، والجرح والتعديل ٣٠٨/٤ رقم ١٣٤٢، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٧٠،
والاستيعاب ١١٩/٢ - ١٢١، وثمار القلوب ٦٦ و ١٣٠، وجمهرة أنساب العرب ١٨٧، والمستدرك على
الصحيحين ٦١٩/٣، ٦٢٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٠٩، ٢١٠، وتحفة الأشراف
٢٦٨/١ - ٢٧٠ رقم ١٧٩، وتهذيب الكمال ١/٤٦٦، والكاشف ١/٢٧٥ رقم ١٨٢٥، وتلخيص
المستدرك ٦١٩/٣، ٦٢٠، وتاريخ الإسلام ٣/٣٠٨، ٣٠٩ و ٦٦١، ومروءة الجنان ١/٨٢، والوافي
بالوفيات ١٥/١٣٠، ١٣١ رقم ١٨٥، والأسامي والكنى للحاكم (مخطوط دار الكتب المصرية) ١/٢٥٥،
٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٣/٤٥٦ رقم ٨٥٤، وتقريب التهذيب ١/٢٨٤ رقم ٦٠، والإصابة ٢/١٩ رقم
٣١١٦.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر خلاف أهل الإسكندرية^(١)

في هذه السنة خالف أهل الإسكندرية ونقضوا صلحهم.

وكان سبب ذلك أن الروم عظم عليهم فتح المسلمين الإسكندرية، وظنّوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلانهم بعد خروج الإسكندرية عن ملكهم، فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعّوهم إلى نقض الصلح، فأجابوهم إلى ذلك. فسار إليهم من القسطنطينية جيش كثير، وعليهم منوّل الخصي، فأرسوا بها، واتفق معهم من بها من الروم، ولم يوافقهم الموقّس بل ثبت على صلحه. فلمّا بلغ الخبر إلى عمرو بن العاص سار إليهم، وسار الروم إليه، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الروم وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية، وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة، منهم منوّل الخصي. وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم. فلمّا ظفر بهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص إن الروم أخذوا دوابنا وأموالنا، ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة. فردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البينة. وهدم عمرو سور الإسكندرية وتركها بغير سور^(٢).

وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن أهل الرّي عزم على نقض الهدنة والغدر، فأرسل إليهم وأصلحهم، وغزا الدّيلم، ثمّ انصرف^(٣).

(١) أنظر عن الإسكندرية: تاريخ خليفة ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ١٦٤/٢، وفتوح البلدان ٢٥٩، والخراج لقدامه ٣٤٠، والبدء والتاريخ ١٩٨/٥، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٥، وتاريخ الطبري ٢٥٠/٤، ونهاية الأرب ٤٠٧/١٩، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٥، والولاة والقضاة للكندي ١١، وخطط المقرئ ١٩٩/١، وولاة مصر ٣٥، ودول الإسلام للذهبي ٢٠/١، والبداية والنهاية ١٥١/٧، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٧، وتاريخ الإسلام ٣١٢/٣.

(٢) فتوح البلدان ٢٦٠.

(٣) الخبر في فتوح البلدان ٣٩١.

ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عُقبة

في هذه السنة^(١) عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم، واستعمل الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، واسم أبي مُعيط أبان بن أبي عمرو، واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس، وهو أخو عثمان لأمه، (أمهما أروى بنت كُريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب)^(٢).

وسبب ذلك أن سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً، فلمّا تقاضاه ابن مسعود لم يتيسّر له قضاؤه، فارتفع بينهما الكلام، فقال له سعد: ما أراك إلّا ستلقى شراً، هل أنت إلّا ابن مسعود، عبدٌ من هُذيل؟ فقال: أجل والله إنّي لابن مسعود، وإنك لابن حُمينة. وكان هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص حاضراً فقال: إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ، يُنظر إليكما. فرفع سعدُ يده ليدعو على ابن مسعود، وكان فيه حدّة، فقال: اللهم ربّ السموات والأرض. فقال ابن مسعود: ويلك قل خيراً ولا تلعن. فقال سعد عند ذلك: أما^(٣) والله لولا اتّقاء الله لدَعَوْتُ عليك دعوة لا تخطئك. فولى عبد الله سريعاً حتى خرج^(٤)، ثم استعان عبدُ الله بأناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس على إنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً، وهؤلاء عبد الله، فكان أول ما نُزِعَ به بين أهل الكوفة، وأول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة. وبلغ الخبرُ عثمان، فغضب عليهما، فعزل سعداً وأقرّ عبد الله، واستعمل الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط مكان سعد، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطّاب، وعثمان بن عفان بعده، فقدم الكوفة والياً عليها، (وأقام عليها خمس سنين، وهو من أحبّ الناس إلى أهلها)^(٥). فلمّا قدّم قال له سعد: أكستَ بعدنا أم حمقنا بعدك؟ فقال: لا تجزغنّ يا أبا إسحق، كلّ ذلك لم يكن، وإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم جعلتموها ملكاً^(٦)! وقال له ابن مسعود: ما أدري أصلحتَ بعدنا أم فسد الناس!.

-
- (١) ذكر الطبري هذا الخبر في حوادث سنة ٢٦ هـ. (٢٥١/٤) وكذلك فعل اليعقوبي في تاريخه ١٦٥، بينما ذكره خليفة في سنة ٢٥ هـ. (ص ١٥٧) وهكذا فعل الذهبي في دول الإسلام ٢٠/١.
- (٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).
- (٣) في الطبعة الأوروبية «أم».
- (٤) حتى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٢٥١/٤، ٢٥٢.
- (٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة باريس. والخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٢٥٢/٤.
- (٦) الأغاني ١٢٤/٥، تاريخ الإسلام ٣١١/٣.

ذكر صلح أهل أرمينية وأذربيجان^(١)

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان، فنقضوا، فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين، وعلى مقدمته عبد الله بن شبيب الأحمسي، فأغار على أهل موقان والبيبر والطيلسان ففتح وغنم وسبى، فطلب أهل كور أذربيجان الصلح، فصالحهم على صلح حذيفة^(٢)، وهو ثمانمائة ألف درهم، وقبض المال^(٣). ثم بث سراياه، وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً، فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم، وجعل طريقه على الموصل، ثم أتى الحديثة فزّلها، فأناه بها كتاب عثمان فيه أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة^(٤)، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فابعث إليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام.

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال، وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي، فانتدب معه ثمانية آلاف، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاؤوا، وافتتحوا حصوناً كثيرة^(٥).

وقيل: إن الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وكان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية، فوجهه إليها، فأتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها، فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً^(٦).

وإنما سُميت قاليقلا لأن امرأة بطريق أرميناكس كان اسمها قالي بنت هذه المدينة، فسَمَّتها قالي قلّه، تعني إحسان قالي، فعربتها العرب فقالت: قاليقلا^(٧).

ثم بلغه أن بطريق أرميناكس^(٨) - وهي البلاد التي هي الآن بيد أولاد السلطان قُلُج

(١) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري.

(٢) الخبر في فتوح البلدان ٤٠١، ٤٠٢.

(٣) فتوح البلدان ٤٠٠ رقم ٨١١ و ٤٠٢ رقم ٨١٦.

(٤) فتوح البلدان ٢٣٥ رقم ٥٠٨.

(٥) فتوح البلدان ٢٣٥ رقم ٥٠٨.

(٦) الخبر في فتوح البلدان ٢٣٤ رقم ٥٠٧.

(٧) فتوح البلدان ٢٣٤ رقم ٥٠٦.

(٨) في فتوح البلدان «أرميناكس».

رسالان^(١) - وهي مَلْطِيَّة و سِيَوَاس وأَقْصَرَا^(٢) وقونية، وما والاها من البلاد إلى خليج لقسطنطينية، واسمه المَورِيان، قد توجّه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم. فكتب حبيب لى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب، فأمدّه بسلّمان في ستة آلاف، وأجمع حبيب على تبّيت الروم، فسمّعه مرأته أمّ عبد الله بنت يزيد الكلبيّة فقالت: أين موعذك؟ فقال: سُرَاق المَورِيان^(٣). ثمّ يَتّهم فقتل مَنْ وقف له، ثمّ أتى السراق فوجد امرأته قد سبقته إليه، فكانت أوّل امرأة من العرب ضُرب عليها حجاب سُرَاق. ومات عنها حبيب، فخلف عليها الضحّاك بن قيس، فهي أم ولده.

ولما انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقلا، ثمّ سار منها فنزل مربالا^(٤)، فأناه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بأمانه، فأجراه عليه، وحمل إليه البَطْرِيقُ ما عليه من المال، ونزل حبيب خلاط، ثمّ سار منها فلقّيه صاحب مُكْس^(٥)، وهي من البُسْفُرْجان^(٦)، فقاطعه على بلاده، ثمّ سار منها إلى أَرْدِشَاط^(٧)، وهي القرية التي يكون بها القرمز الذي يُصبغ به، فنزل على نهر^(٨) دَبِيل، وسرّح^(٩) الخيول إليها فحصرها، فتحصّن أهلها، فنصب عليهم منجنيقاً، فطلبوا الأمان، فأجابهم إليه وبثّ السرايا، فبلغت خيلُه ذات اللُجْم؛ وإنّما سُمّيت ذات اللُجْم لأنّ المسلمين أخذوا لُجْمَ خيولهم، فكبسهم الروم قبل أن يُلجموها، ثمّ ألجموها وقتلوهم فظفروا بهم؛ ووجّه سريةً إلى سِراج طَيْر^(١٠) وبَغْرُونْد^(١١)، فصالحه بطريقها على إتاوة. وقدم عليه بطريق البُسْفُرْجان فصالحه على جميع بلاده^(١٢).

وأتى السيسْجان^(١٣) فحاربه أهلها، فهزّمهم وغلب على حصونهم، وسار إلى

(١) هذا في الوقت الذي كتب المؤلّف - رحمه الله - هذا الكتاب.

(٢) من النسخة (س).

(٣) فتوح البلدان ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) مربالا: ناحية قرب خلاط. (معجم البلدان ٩٧/٥).

(٥) مُكْس: موضع بأرمينية من ناحية البُسْفُرْجان قرب قاليقلا. (معجم البلدان ١٨٠/٥).

(٦) بُسْفُرْجان: بضم الفاء وسكون الراء. كورة بأرض أَران، ومدّيتها النشوى، وهي نقجوان. (معجم البلدان ٤٢٢/١).

(٧) لم يذكرها ياقوت في معجمه. وفي فتوح البلدان ٢٣٧ رقم ٥١٢، «أردساط». بالسین المهملة.

(٨) في فتوح البلدان «مرج دبيل».

(٩) في فتوح البلدان «سرب».

(١٠) سِراج طير: كورة في أرمينية الثالثة. (معجم البلدان ٢٠٣/٣).

(١١) بَغْرُونْد: بفتح الواو وسكون النون. بلد في أرمينية الثالثة (معجم البلدان ٤٦٧/١).

(١٢) فتوح البلدان ٢٣٧ وفيه كتاب الصلح، والخراج لقدامة ٣٢٧.

(١٣) سِيسْجان: بكسر أوله ويُفتح. بلدة بعد أَران. (معجم البلدان ٢٩٧/٣).

جُرْزَان^(١)، فأتاه رسولٌ بطريقها يطلب الصلح فصالحه. وسار إلى تفليس فصالحه أهلها، وهي من جُرْزَان^(٢)، وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها صلحاً. وسار سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أَرَان^(٣)، ففتح البَيْلْقَان صلحاً على أن آمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم، واشترط عليهم الجزية والخراج^(٤).

ثم أتى سلمان مدينة بَرْدَعَة، فعسكر على الثُّرُور، نهر بينه وبينها نحو فرسخ، فقاتله أهلها أياماً^(٥)، وشنّ الغارات في قراها، فصالحوه على مثل صلح البَيْلْقَان ودخلها؛ ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية، ودعا أكراد البلاشجان^(٦) إلى الإسلام، فقاتلوه فظفر بهم، فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة، وهم قليل. ووجه سرية إلى شَمْكَور^(٧) ففتحوها، وهي مدينة قديمة، ولم تزل معمورة حتى أخرجها السَّاوردية^(٨)، وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسيد عن أرمينية، فعظم أمرهم، فعمرها بُغا سنة أربعين ومائتين، وسمّاها المتوكّلية نسبة إلى المتوكّل.

وسار سلمان إلى مجمع أرس والكرّ ففتح قَبْلَة^(٩)، وصالحه صاحب سكر^(١٠) وغيرها على الإتاوة، وصالحه ملك شَرَّوَان وسائر ملوك الجبال، وأهل مَسْقَط والشَّابَرَان ومدينة الباب. ثم امتنعت بعده^(١١).

ذكر غزوة معاوية الروم

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية، فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته، ثم

-
- (١) في النسختين (ب) و(س): «خزران»، وهو تحريف، والتصويب من نسختي بنارس وبودليان. و«جُرْزَان»: بالضم ثم السكون. اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس. (معجم البلدان ١٢٥/٢).
 - (٢) أَرَان: بالفتح وتشديد الراء. اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها جزرة، وهي التي تسميها العامة كَنْجَة، وبردعة، وشَمْكَور، وبيلقان. (معجم البلدان ١٣٦/١).
 - (٣) فتوح البلدان ٢٣٧ و ٢٣٨ وفيه كتاب الصلح.
 - (٤) في النسخة (ب): «زماناً».
 - (٥) في فتوح البلدان «البلاشجان» بالسين المهملة.
 - (٦) شَمْكَور: بفتح أوله وسكون ثانيه. قلعة بناحي أَرَان. (معجم البلدان ٣٦٤/٣).
 - (٧) في النسختين (ب) وبودليان «السَّاوردية»، وفي فتوح البلدان ٢٤٠ الساوردية. والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٣٦٤/٣.
 - (٨) في النسخة (س): «قبلة».
 - (٩) في فتوح البلدان «شَكْن».
 - (١٠) الخبر في فتوح البلدان ٢٤٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ١٦٨/٢.

أغزى بعد ذلك يزيد بن الحرّ العبسيّ الصائفة، وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية^(١).

ذكر غزوة إفريقية

في هذه السنة سيّر عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر عثمان، وكان عبد الله من جند مصر، فلما سار إليها أمده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده، فلما عاد عبد الله كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية، فأذن له في ذلك^(٢).

ذكر عدّة حوادث

وفيها أرسل عثمان عبد الله بن عامر إلى كابل، وهي عمالة سجستان، فبلغها في قول، فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها^(٣).
وفيها ولد يزيد بن معاوية^(٤).

وفيها كانت [غزوة] سابور الأولى، وقيل: سنة ست وعشرين، وقد تقدّم ذلك. وحجّ بالناس عثمان.

-
- (١) فتوح البلدان ١٩٥ رقم ٤٣٣، وانظر تاريخ الطبري ٢٥٠/٤.
 - (٢) تاريخ الطبري ٢٥٠/٤، وانظر تاريخ يعقوبي ١٦٥/٢ وفيه أن غزو إفريقية سنة ٢٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٥، والبدء والتاريخ ٦٩٩/٥، وتاريخ الإسلام ٣١٢/٣.
 - (٣) انظر فتوح البلدان ٤٨٨.
 - (٤) هذا الخبر وبعده في تاريخ الطبري ٢٥٠/٤.

ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر الزيادة في الحرم

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم^(١). وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم، فأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال. فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحو به. فكلّمه فيهم^(٢) عبدُ الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم^(٣).
(أسيد: بفتح الهمزة وكسر السين).

(١) تاريخ الطبري ٢٥١/٤ وانظر شفاء الغرام للقاضي الفاسي (بتحقيقنا) ٨٦/١.

(٢) في الطبعة الأوروبية «فيه».

(٣) تاريخ الطبري ٢٥١/٤، تاريخ اليعقوبي ١٦٤/٢، ١٦٥ و ١٦٦، شفاء الغرام ٤٦/١، تاريخ خليفة ١٥٩، تاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣١٥/٣.

[ثم دخلت سنة سبع وعشرين^(١)]

ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح إفريقية^(٢)

في هذه السنة عُزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاعة، فتباغيا^(٣)، فكتب عبد الله إلى عثمان يقول: إنَّ عَمراً كسر على الخراج. وكتب عمرو يقول: إنَّ عبد الله قد كسر على مكيدة الحرب. فعزل عثمانُ عَمراً واستقدمه، واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها، فقدم عمرو مُغضباً، فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة [قُطناً]، فقال له: ما حشؤُ جَبَّتِكَ؟ قال: عمرو. قال: قد علمت [أَنَّ حشوها عمرو] ولم أرد هذا، [إنما سألتُ أقطنَ هو أم غيره؟].

وكان عبد الله من جُند مصر، وكان قد أمره عثمان بغزو إفريقية سنة خمس وعشرين، وقال له عثمان: إن فتح الله عليك فلك من الفَيء خمس الخمس نَفْلاً. وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحارث على جُند، وسرحهما [إلى الأندلس]، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، ثم يقيم

(١) ما بين الحاصرتين ليس في الأصول.

(٢) أنظر عن فتح إفريقية في: تاريخ خليفة ١٥٩، ١٦٠، وتاريخ اليعقوبي ١٦٥/٢، وفتوح البلدان ٢٦٥، وتاريخ الطبري ٢٥٣/٤، والخراج لقدامة ٣٤٣، والولاة والقضاة ١٢، والبدء والتاريخ ١٩٩/٥، ودول الإسلام ٢٠/١، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٨، والمختصر في أخبار البشر ١٦٧/١، ومروءة الجنان ٨٣/١، ونهاية الأرب ٤١٢/١٩، وولاة مصر ٣٥، وتاريخ الخلفاء ١٥٥، وتاريخ الإسلام ٣١٨/٣، وانظر: نهاية الأرب ١٣/٢٤ - ١٧، والبيان المغرب ١٠/١ - ١٢، والتذكرة الحمدونية ٤١٦/٢، ٤١٧ رقم ١٠٧٤، والعقد الثمين ١٥٤/٥، ١٥٥.

(٣) في النسخة (ب): «فتباغبا».

عبد الله في عمله. فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض إفريقية، وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين، فصالحهم أهلها على مال يؤدونه، ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها.

ثم إن عبد الله بن سعد لما وُلِّي أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية، والاستكثار من الجموع عليها وفتحها، فاستشار عثمان من عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بذلك، فجهز إليه العساكر من المدينة، وفيهم جماعة من أعيان الصحابة، منهم عبد الله بن عباس وغيره، فسار بهم عبد الله بن سعد إلى إفريقية. فلما وصلوا إلى برقة لقيهم عُبَبة بن نافع فيمن معه من المسلمين، وكانوا بها، وساروا إلى طرابلس الغرب، فنهبوا من عندها من الروم. وسار^(١) نحو إفريقية وبث السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم اسمه جرجير، وملكه من طرابلس إلى طنجة، وكان هرقل ملك الروم قد ولّاه إفريقية، فهو يحمل إليه الخراج كل سنة. فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد، فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس، والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطة يوم ليلة، وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم، وراسله عبد الله بن سعد يدعو إلى الإسلام أو الجزية، فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما.

وانقطع خبر المسلمين عن عثمان، فسير عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم، فسار مجداً ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر فقبل قد أتاهم عسكر، ففت ذلك في عضده. ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر، فإذا أذن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم ير ابن أبي سرح معهم، فسأل عنه، فقبل إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده. ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله.

ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضحجروا ويملأوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان

(١) في النسختين (ب) وباريس وفساروا.

في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غيرة، ففعل الله ينصرنا عليهم^(١) فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم، فوافقوه على ذلك.

فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخیولهم عندهم مُسَرَّجَة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً. فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة، فلم يَمَكِّنْهم ابنُ الزُّبير، وألحَّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، فكلَّ من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجل واحد وكَبَرُوا، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم، حتى غَشِيَهُم المسلمون وقُتِلَ جُرجير، قتله ابنُ الزبير، وانهزم الروم، وقُتِلَ منهم مقتل عظيمة، وأخذت ابنة الملك جُرجير سيِّئة. ونازل عبدُ الله بن سعد المدينة، فحصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار.

ولما فتح عبد الله مدينة سُبَيْطِلَة^(٢) بثَّ جيوشه في البلاد فبلغت قَفْصَة^(٣)، فسبوا وغنموا، وسير عسكراً إلى حصن الأَجَم^(٤)، وقد احتفى به أهل تلك البلاد، فحصره وفتحها بالأمان، فصالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار، ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك، وأرسله إلى عثمان بالبشارة بفتح إفريقية. وقيل: إن ابنة الملك وقعت لرجل من الأنصار فأركبها بعيراً وارتجز بها يقول:

يا ابنة جُرجيرِ تمشي عُقْبَتِكَ إنَّ عليك بالحجاز ربَّيكِ
لتحملن من قباء قربيكِ

ثم إن عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر، وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر، ولم يفقد من المسلمين إلا ثلاثة نفر، قُتِلَ منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر، فدُفِنَ هناك، وحُمِلَ خمس إفريقية إلى المدينة، فاشتراه مروان بن الحَكَمَ بخمسمائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممَّا أخذ عليه.

(١) في النسخة (ب) «عليهم ينصرنا».

(٢) سُبَيْطِلَة: بضم أوله وفتح ثانيه. مدينة من مدن إفريقية. بينها وبين القيروان سبعون ميلاً. (معجم البلدان ١٨٧/٣).

(٣) قَفْصَة: بالفتح ثم السكون. بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير. (معجم البلدان ٣٨٢/٤).

(٤) في النسخة (ب) «الأعاجم».

وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية، فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبد الله بن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحَكَم. وظهر بهذا أنه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية، والله أعلم.

ذكر انتفاض إفريقية وفتحها ثانية

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي إليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج، فهم من مصر وإفريقية والأندلس وغير ذلك، فلما صالح أهل إفريقية عبد الله بن سعد أرسل هرقل إلى أهلها بطريقاً له، وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون، فنزل البطريق في قرطاجنة، وجمع أهل إفريقية وأخبرهم بما أمره الملك، فأبوا عليه، وقالوا: نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا، وقد كان ينبغي له أن يسامحنا لما ناله المسلمون منا. وكان قد قام بأمر إفريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم، فطرده البطريق بعد فتنة كثيرة^(١) فسار إلى الشام وبه معاوية، وقد استقر له الأمر بعد قتل علي، فوصف له إفريقية وطلب أن يرسل معه جيشاً، فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حُديج السكوني. فلما وصلوا إلى الإسكندرية هلك الرومي، ومضى ابن حُديج فوصل إلى إفريقية وهي نار تضطرم، وكان معه عسكر عظيم، فنزل عند قمونية^(٢)، وأرسل البطريق إليه ثلاثين ألف مقاتل. فلما سمع بهم معاوية سير إليهم جيشاً من المسلمين، فقاتلوهم، فانهزمت الروم، وحصر حصن جلولا، فلم يقدر عليه، فانهدم سور الحصن، فملكه المسلمون وغنموا ما فيه، وبث السرايا، فسكن الناس وأطاعوا، وعاد إلى مصر.

(حُديج: بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم).

ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم، إلى زمان هشام بن عبد الملك، حتى دب إليهم أهل العراق واستشاروهم، فشققوا^(٣) العصا، وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال. فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتى نخبرهم، فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً، فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا

(١) كثيرة ساقطة من النسخة (س).

(٢) قمونية: مدينة كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان. وقيل: هي المعروفة بسوس المغرب.

(معجم البلدان ٣٩٩/٤).

(٣) في النسخة (ب): «فشققوا عليه العصا».

وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم، ويقول: هذا أخلص لجهادنا، وإذا حاصرنا مدينةً قدّمنا وأخرهم، ويقول: هذا ازدياد في الأجر، ومثلنا كفى إخوانه؛ ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلونا يبقرون بطونها عن سخالها، يطلبون الفراء البيض لأمر المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟ فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم، فكتبوا أسماءهم ودفعوها إلى وزرائه وقالوا: إن سأل عنا أمير المؤمنين فأخبروه. ثم رجعوا إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه واستولوا على إفريقية، وبلغ الخبر هشاماً، فسأل عن النفر، فعرف أسماءهم، فإذا هم الذين صنعوا ذلك^(١).

ذكر غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرا إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما: أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس.

فخرجوا ومعهم البربر^(٢)، ففتح الله على المسلمين، وزاد في سلطان المسلمين مثل إفريقية. ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن إفريقية ترك في عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس، فكان عليها، ورجع عبد الله إلى مصر^(٣). وبعث عبد الله إلى عثمان مالا قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان فقال له: يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك؟ قال عمرو: إن فصالها قد هلك^(٤).

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة عثمان^(٥). وفيها كان فتح إصطخر الثاني، على يد عثمان بن أبي العاص^(٦). وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان قيسرين^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٢٥٤/٤، ٢٥٥.

(٢) في نسختي: باريس و(ب): «البريد».

(٣) تاريخ الطبري ٢٥٥/٤.

(٤) الطبري ٢٥٧/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٢٥٧/٤، تاريخ الإسلام ٣٢٢/٣.

(٦) الطبري ٢٥٧/٤.

(٧) الطبري ٢٥٧/٤.

[الوفيات]

وفيها مات أبو ذؤيب^(١) الهذلي الشاعر بمصر منصرفاً من إفريقية، وقيل: بل مات بطريق مكة في البادية، وقيل: مات ببلاد الروم، وكلهم قالوا: مات في خلافة عثمان.

وفيها مات أبو رمثة البلوي بإفريقية، له صُحبة.

وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ، وقيل: ماتت سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة خمس وأربعين^(٢).

- (١) أنظر عن أبي ذؤيب في: البرصان والعرجان ٢٣٢، والشعر والشعراء ٥٤٧/٢ - ٥٥١ رقم ١٣٢، وعبون الأخبار ١٨٠/١ و ١٩١/٢ و ١٨٥/٣ و ١٠٩/٤، والتعليقات والنوادر لأبي علي هارون الهجري ٢٦٥/٢ رقم ١٠٦٢، والمفضليات ١٩/٢، وديوان الهذليين ١/١ (الملاحق ٩٣)، والزاهر للأنباري ١١٤/١ و ١٥٦ و ٢٤١ و ٢٩٦ و ٣٠٧ و ٣٧٦، و ٤٠٧ و ٤٤١ و ٤٥٩ و ٤٦٩ و ٥٣٠ و ٥٧٥ و ٥٨٣ و ٦٠٥ و ٦٠٧ و ٦٥/٢ و ٣٥ و ٥٣ و ٨٧ و ١٦٢ و ١٧٤ و ٢٣٨ و ٢٦٨ و ٣٤٤، والأغاني ٢٦٤/٦ - ٢٧٩، وثمار القلوب ٥٦ و ٥٦١، والأمالي للقالبي ٧٦/١ و ١٠٣ و ١٦٨ و ٢٣٣ و ٢٣/٢ و ١١٤ و ١٨٦ و ٢١٧ و ٢٥٥ و ٣١٠ و ٣٢٠، وذيل الأمالي ٨ و ١٢٩، وأمالي المرتضى ٢١٧/١ و ٢٥٩ و ٢٩٣ و ٤٩٢ و ٦١٦ و لباب الآداب ٢٠٠ و ٤٢٥، والمنازل والديار ٢٤١/٢ و ٢٦٨ و ٢٧٠، وأسد الغابة ١٨٨/٥ - ١٩٠، ومعجم الأدباء ٨٣/١١ - ٨٩ رقم ٢٠، ووفيات الأعيان ١٥٥/٦، ١٥٦، والاستيعاب ٦٥/٤ - ٦٧، وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٠، وحياة الحيوان للدميري ٤٧/٢، والمؤتلف والمختلف للأمدي ١١٩، وسمط اللآلي ٩٨، وشرح الشواهد للعيني ٩٥/١ - ٢٩٨، وشرح شواهد المغني ١٦٥/٢، ومعاهد التنصيص ١٦٥/٢ - ١٧٠، وشرح المفضليات رقم ١٢٦، والإصابة ٦٥/٤ - ٦٧ رقم ٣٨٨، وخزانة الأدب للبغداد ٢٠٣/١ و ٣٢٠/٢ و ٥٩٧/٣، والبداية والنهاية ٢٢٢/٧، ومعجم الشعراء في لسان العرب ١٦٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - بتحقيقنا - ٣٥٨/٣، ٣٥٩.
- (٢) ورد في حاشية نسخة باريس: «إهمال سنة سبع وعشرين وحوادثها ويحرر العرفي حالها».

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر فتح قبرس^(١)

قيل: في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: إنما غُزيت سنة ثلاثٍ وثلاثين، لأن أهلها غدرُوا، على ما نذكره، فغزاها المسلمون. ولما غزاها معاوية هذه السنة، غزا معه جماعة من الصحابة فيهم أبو ذرٍّ، وعُبادَةُ بن الصامت ومعه زوجته أم حَرام، وأبو الدرداء وشَدَّاد بن أوس، وكان معاوية قد لَجَّ على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن قرية من قرى حمص لَيَسْمَعُ أهلُها نُبَاحَ كلابهم وصياح دجاجهم. فكتب عمرُ إلى عمرو بن العاص: صِف لي البحر وراكبه. فكتب إليه عمرو بن العاص: إني رأيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد خَرَقَ القلوب، وإن تحرَّك أزاغ العقول، يزداد^(٢) فيه اليقين قلَّةً، والشكُّ كثرةً، هم فيه كدود على عود، إن مال غَرِقَ، وإن نجا بَرِقَ. فلَمَّا قرأه كتب إلى معاوية: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يُغرِقَ الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا

- (١) أنظر عن فتح قبرس في: فتوح البلدان ١٨١، وتاريخ خليفة ١٦٠، والفتوح لابن أعمش ١١٧/٢ وما بعدها، والخراج القدامة ٣٠٦، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٥، وتاريخ الطبري ٢٥٩/٤، ودول الإسلام ٢٠/١، ونهاية الأرب ٤١٤/١٩، وتاريخ الخلفاء ١٥٥، والمختصر في أخبار البشر ١٦٧/١، ومراة الجنان ٨٣/١، والنجوم الزاهرة ٨٥/١، وتاريخ الخميس ٢٨٥/٢، والبداية والنهاية ١٥٣/٧، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٣٠، تاريخ أبي زرعة ١٨٤/١، تاريخ اليعقوبي ١٦٦/٢، وكتاب الأموال لابن سلام ٢٥٣، ٢٥٤، وشرح كتاب السير الكبير ٢١٦٦/٥، تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ١٩٦/٣٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٣٠٧/٧، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (الطبعة الثانية) ٩٧ - ٩٩، والأخبار الطوال ١٣٩، وتاريخ الإسلام ٣١٧/٣ و٣٢٣.
- (٢) في الطبعة الأوربية «يزاد».

الكافرا! وبالله لمُسلم أحب إليّ ممّا حوتِ الروم. وإياك أن تعرّض إليّ، فقد علمت ما لقي العلاء مني.

قال: وترك ملكُ الروم الغزوَ وكاتبَ عمرَ وقاربه^(١). وبعثت أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، زوج عمر بن الخطّاب، إلى امرأة ملك الروم بطيب وشيء يصلح للنساء مع البريد، فأبلغه إليها، فأهدت امرأة الملك إليها هديّة، منها عقد فاخر. فلَمّا رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، وأعلمهم الخبر، فقال القائلون: هو لها بالذي كان لها، وليست امرأة الملك بذمّة فتصانعك. وقال آخرون: قد كنّا نُهدى لنسْتَيْب^(٢). فقال عمر: لكنّ الرسولَ رسولُ المسلمين والبريدُ بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها، فأمر بردها إلى بيت المال، وأعطاهما بقدر نفقتها^(٣).

فلَمّا كان زمن عثمان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مراراً، فأجابه عثمان بأخْرة إلى ذلك، وقال له: لا تتخب الناس ولا تُقرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه. ففعل، واستعمل عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة، وسار المسلمون من الشام إلى قُبْرُس، وسار إليها عبد الله بن سعد من مصر، فاجتمعوا عليها، فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كلّ سنة، يؤدّون إلى الروم مثلها، لا يمنعهم المسلمون عن ذلك، وليس على المسلمين منهم ممّن أرادهم ممّن وراءهم، وعليهم أن يؤذّنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم، ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم^(٤).

قال جبير بن نفير: ولما فُتحت قبرس ونهب منها السبي، نظرتُ إلى أبي الدرداء يبكي فقلت: ما يُبكيك في يومٍ أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: فُضرب منكبي بيده وقال: ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما^(٥) هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذا تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، فسَلَطَ عليهم السباء، وإذا سَلَطَ^(٦) السباء على قوم فليس له فيهم حاجة^(٧).

(١) في النسخة (ب): «فاواه».

(٢) في نسخة باريس «لنستثبت»، وفي نسخة بودليان «لتسبيب».

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد، بنحوه، والطبري في تاريخه ٢٦٠/٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢٦٢/٤ والعبارة فيه: «على أن يبطر إمام المسلمين عليهم منهم».

(٥) في النسخة (ب) «بيسما».

(٦) في نسخة باريس «أظهر».

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد - ج ٢ من المجلد ٣/٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٢٦٦٠، وأبو نعيم

الأصبهاني في حلية الأولياء ٢٠٨/١، والطبري في تاريخه ٢٦٢/٤.

وفي هذه الغزاة ماتت أم حَرام بنت ملحان الأنصارية، ألقته بغلته بحزيرة قبرس^(١) فاندقت عنقها فماتت، تصديقاً للنبي ﷺ، حيث أخبرها أنها في أول من يغزو في البحر^(٢).

وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البر^(٣) والبحر، لم يفرق أحد ولم يُنكب، فكان يدعو الله أن يعافيه في جُنده، فأجابه، فلما أراد الله أن يصيبه في جسده خرج في قاربٍ طليعة، فانتهى إلى المرفأ^(٤) من أرض الروم وعليه مساكين يسألون، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة منهم إلى قريتها فقالت للرجال: هذا عبد الله بن قيس في المرفأ^(٥)؛ فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه^(٦) بعد أن قاتلهم، فأصيب وحده، ونجا الملاح حتى أتى أصحابه، فأعلمهم فجاؤوا حتى أرسوا بالمرفأ^(٧)، والخليفة عليهم سُفيان بن عوف الأزدي، فخرج إليهم فقاتلهم فضجر، فجعل يشتم أصحابه. فقالت جارية عبد الله: ما هكذا^(٨) كان يقول حين يقاتل! فقال سُفيان: فكيف كان يقول؟ قالت:

«الغمرات ثم ينجلينا»^(٩)

فلزمها بقولها، وأصيب في المسلمين يومئذ. وقيل لتلك المرأة بعد^(١٠): بأي شيء عرفته^(١١)؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالملك، فعرفته بهذا^(١٢). وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم^(١٣).

(١) ينفرد «صالح بن يحيى» في تاريخ بيروت - ص ١٤ بقوله إن أم حرام ماتت في بيروت بعد عودتها من قبرس. والصحيح ما ذكره المؤلف، وخليفة بن خياط في تاريخه ١٦٠، والزمخشري في ربيع الأبرار ٢٤٠/١، وابن سعد في الطبقات ٣١٨/٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تراجم النساء) - تحقيق سكيئة الشهابي، دمشق ١٤٠٣ هـ. / ١٩٨٢ م. - ص ٤٨٦ - ٤٩٦، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣١٧/٢.

(٢) حديث أن أم حرام أول من يغزو في البحر، أخرجه البخاري في كتاب التعبير ٣٤٥/١٢، ٣٤٦ باب رؤيا النهار، ومسلم في الإمارة (١٩١٢) باب فضل الغزو في البحر، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥)، والنسائي ٤٠/٦، وابن ماجه (٢٧٧٦)، والدارمي ٢١٠/٢، وابن سعد ٤٣٥/٨.

(٣) البر. ساقطة من نسخة باريس.

(٤) في تاريخ الطبري ٢٦١/٤ «المرقى».

(٥) في طبعة صادر ٩٧/٣ «فقتلوه»، وهذا غلط، والتصويب من الطبري.

(٦) في الطبعة الأوربية «هذا».

(٧) القول للأغلب العجلي. أنظر مجمع الأمثال للميداني ٥٨/٢.

(٨) «بعد» ساقطة من النسخة (س).

(٩) في الطبعة الأوربية «عرفته».

(١٠) تاريخ الطبري ٢٦٠/٤، ٢٦١.

(١١) تاريخ الطبري ٢٦٣/٤، تاريخ الإسلام ٣٢٤/٣ (حوادث سنة ٢٨ هـ).

وفيها تزوّج عثمان نائلة بنت الفرافصة^(١)، وكانت نصرانيةً فأسلمت^(٢) قبل أن يدخل بها.

وفيها بنى عثمان الزّوراء^(٣).

وحجّ بالناس عثمان هذه السنة^(٤).

(حرام: بالحاء المهملة والراء. والجاسي: بالجيم والسين المهملة. والفرافصة: بفتح الفاء، إلّا الفرافصة بن الأحوص الكلبي الذي من ولده نائلة زوج عثمان)^(٥).

-
- (١) تاريخ خليفة ١٦٠، طبقات ابن سعد ٨/٤٨٣، المحبر ٢٩٤، ٣٩٦، نسب قريش ١٠٥، تاريخ الطبري ٤/٢٦٣، الإكمال ٧/٦٤، بلاغات النساء ٧٠ (لابن طيفور) القاهرة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م، الأغاني ١٦/٣٢٢، أنساب الأشراف ٥/٦٩، تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٠٧، تاريخ الإسلام ٣/٣٢٤.
 - (٢) في تاريخ الطبري «فتحتت».
 - (٣) هي داره كما في معجم البلدان ٣/١٥٦، والخبر في تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦.
 - (٤) تاريخ الطبري ٤/٢٦٣.
 - (٥) ما بين القوسين ساقط من النسختين (ب) و(س). والعبارة مضطربة، والصحيح ما جاء في التاج: (كلّ ما في العرب فرافصة، مضموم الفاء، إلّا الفرافصة بن الأحوص الكلبي فإنّه مفتوح الفاء).

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها

قيل: في هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، واستعمل عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، (وهو ابن خال عثمان)^(١)، وقيل: كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان^(٢).

وكان سبب عزله أن أهل إِيَذَج والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان، فنَادَى أبو موسى في الناس وحَضَّهُمْ^(٣) على الجهاد، وذكر من فَضَّل الجهاد ماشياً، فحمل نفر على دوابِّهم وأجمعوا على أن يخرجوا رَجَالَةً. وقال آخرون: لا نعجل بشيء حتى ننظر ما يصنع، فَإِنْ أَشْبِهَ قَوْلُهُ فَعَلَهُ فَعَلْنَا كما يفعل.

فلَمَّا خَرَجَ أخرج ثَقْلَهُ من قصره على أربعين بغلاً، فتعلَّقوا بعنانه وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب في المشي كما رَغَبْنَا. فضرب القوم بسوطه، فتركوا دابَّته، فمضى. وأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا: ما كُلَّ ما نعلم نَحْبُ^(٤) أن تسألنا عنه، فأبدلنا به^(٥). فقال: من تحبُّون؟ فقال^(٦) غيلان بن خَرْشَةَ: في كُلِّ أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا! أما منكم خسيس فترفعوه؟ أما منكم فقير فتجبروه^(٧)؟ يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد؟ فانتبه لها عثمان، فعزل أبا موسى وولَّى عبد الله بن عامر بن كُرَيْز^(٨). فلَمَّا سمع أبو موسى قال: يَأْتِيكُمْ غلام خَرَّاج

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة (س).

(٢) تاريخ الطبري ٢٦٤/٤، تاريخ الإسلام ٣٢٥/٣.

(٣) في نسخة باريس «فخطبهم»، وفي النسخة (ر) «فحرضهم».

(٤) في النسخة (ب): «يجب»، وفي نسخة بودليان «تجيب».

(٥) في نسخة باريس «سواء».

(٦) في الطبعة الأوربية «فقالوا».

(٧) في الطبعة الأوربية: فترفعونه... فتجبرونه

(٨) في النسخة (س) زيادة «وهو ابن خال عثمان». (أنظر الأخبار الطوال ١٣٩).

ولَاج، كريم الجَدَّات والخالات والعَمَّات، يُجمع له^(١) الجُنْدَان^(٢). (وكان عُمر ابن عامر خمساً وعشرين سنة)^(٣)، وَجُمع له جُنْد أبي موسى وَجُنْد عثمان بن أبي العاص الثقفي من عُمان والبحرين^(٤)، واستعمل على خراسان عُمر بن عثمان بن سعد؛ وعلى سِجِسْتَان عبد الله بن عُمر الليثي، وهو من ثعلبة، فأُتِخَن فيها إلى كابل، وأُتِخَن عُمر في خراسان، حتى بلغ فرغانة، لم يدع دونها كورة إلا أصلحها؛ وبعث إلى مُكران عُبيد الله بن مَعْمَر، فأُتِخَن فيها حتى بلغ النهر؛ وبعث على كَرْمَان عبد الرحمن بن عُبيس؛ وبعث إلى الأهواز وفارس نفراً؛ ثُمَّ عزل عبد الله بن عُمر، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثُمَّ عزله؛ واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عُبيس؛ وأعاد عدي بن سُهيل بن عدي، وصرف عُبيد الله بن مَعْمَر إلى فارس، واستعمل مكانه عُمر بن عثمان؛ واستعمل على خراسان أُمير بن أحمر^(٥) اليشكري؛ واستعمل على سِجِسْتَان سنة أربعِ عِمْران بن الفضيل البُرْجُمي. ومات عاصم بن عمرو بكرمان^(٦).

(عُبيس: بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثُمَّ الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة. وأُمير بضم الهمزة [وفتح الميم وآخره راء. وَكُرَيْز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء]^(٧)).

ذكر انتفاض أهل فارس

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ فَارِسِ انتفضوا ونكثوا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، فسار إليهم، فالتقوا على بابِ إِصْطَخَر، فقتل عُبيد الله وانهمز المسلمون، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن عامر، فاستنفر أهلَ البصرة وسار بالناس إلى فارس، فالتقوا بِإِصْطَخَر، وكان على ميمته أبو بَرَزَةَ^(٨) الأسلمي، وعلى ميسرته مَعْقِل بن يسار، وعلى الخيلِ عِمْران بن الحُصَيْن، ولكلهم صُحبة، واشتد القتال، فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحت إِصْطَخَر عَنوة، وأتى دارابجرد وقد غدر أهلها ففتحها، وسار إلى مدينة جُور، وهي أردشير خُرَّه،

- (١) في النسخة (ب): «بها».
- (٢) في الطبعة الأوربية «الجندين»، والتصحيح من الطبري وخليفة.
- (٣) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري.
- (٤) تاريخ الطبري ٢٦٤/٤ - ٢٦٦، وانظر تاريخ خليفة ١٦١، وتاريخ اليعقوبي ١٦٦/٢.
- (٥) في تاريخ الطبري ٢٦٦/٤ «أُمير بن أحمد» وما أثبتناه يتفق مع تاريخ خليفة ١٦٤ و ١٨٠ وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٧/٢ «أُمير بن أحمد». وكذا في فتوح البلدان ٤٨٦ و ٤٩٩ و ٥٠٤ و ٥٠٦.
- (٦) تاريخ الطبري ٢٦٦/٤، تاريخ اليعقوبي ١٦٧/٢.
- (٧) ما بين الحاصرتين ليس في النسخة (س).
- (٨) في النسخة (ب): «بريرة».

فانتقضت إصطخّر فلم يرجع، وتمّ السير إلى جُور وحاصرها، وكان هَرم بن حَيّان محاصراً لها، وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون إصطخّر ويغزون نواحي كانت تنتقض عليهم، فلما نزل ابن عامر عليها فتحها.

وكان سبب فتحها أنّ بعض المسلمين قام يصليّ ذات ليلة، وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم، فجاء كلب فجرّه وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفيّ، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة.

فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلى إصطخّر ففتحها عنوة بعد أن حاصرها واشتدّ القتال عليها، ورُميت بالمجانيق، وقتل بها خلقاً كثيراً من الأعاجم، وأُفنى أكثر أهل البيوتات ووجوه الأساورة، وكانوا قد لجأوا إليها^(١). وقيل: إن أهل إصطخّر لما نكثوا عاد إليها ابن عامر قبل وصوله إلى جُور، فملكها عنوة، وعاد إلى جُور فأتى دارابجرد فملكها، وكانت منتقضة أيضاً، ووطىء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في دُلّ، وكتب إلى عثمان بالخبر، فكتب إليه أن يستعمل عليّ بلاد فارس هَرم بن حَيّان الشكري، وهَرم بن حَيّان العبديّ، والخريّ بن راشد، والمِنْجاب بن راشد، والترْجُمان الهُجيمي، وأمره أن يفرّق كُور خُراسان على جماعة، فيجعل الأحنف على المروّين، وحبيب بن قُرة اليربوعيّ على بَلخ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هَراة، وأمير بن أحمر^(٢) على طُوس، وقيس بن هُبيرة السُلَميّ على نيسابور، وبه تخرّج عبد الله بن خازم، وهو ابن عمّه، ثمّ جمعها عثمان قبل موته لقيس، واستعمل أمير بن أحمر^(٣) على سِجستان، ثمّ جعل عليها عبد الرحمن بن سُمرة، وهو من آل حبيب بن عبد شمس، فمات عثمان وهو عليها، ومات وعمران على مُكران^(٤)، وعُمير بن عثمان بن سعد على فارس، وابن كِندير القُشيري على كَرمان^(٥).

ثمّ وقد قيسُ بن الهيثم^(٦) عبد الله بن خازم إلى ابن عامر في زمن عثمان، وكان ابن عامر يكرمه، فقال لابن عامر: اكتب لي على خُراسان عهداً إن خرج عنها قيس. ففعل، فرجع إلى خُراسان، فلما قُتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس: الرأي أن تخلفني وتمضي حتى تنظر فيما ينظرون فيه، ففعل، فأخرج ابن خازم بعده عهداً

(١) أنظر: تاريخ خليفة ١٦١، ١٦٢، وفتوح البلدان ٣٨٧ و٤٧٨، والبدء والتاريخ ١٩٤/٥، ١٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٢٦٦/٤ «أمين بن أحمد»، وفي صفحة ٢٦٥ «أحمر».

(٣) في تاريخ الطبري ٢٦٦/٤ «كرمان».

(٤) في نسختي باريس و(ب)، وتاريخ الطبري «مُكران».

(٥) في طبعة صادر ١٠٢/٣ «هُبيرة». والتصويب من فتوح البلدان ٥٠٥ وتاريخ خليفة ١٦٦.

بخلافته، وثبت على خراسان إلى أن قام عليّ بن أبي طالب. وغضب قيس من صنيع ابن خازم^(١).

(الخريّت: بكسر الخاء المعجمة والراء المشدّدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)^(٢).

ذكر الزيادة في مسجد النبي ﷺ

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبي ﷺ، في ربيع الأوّل، وكان ينقل الجصّ من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمّده من حجارة فيها رصاص، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب^(٣).

ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمعٍ وأول ما تكلم الناس فيه

حجّ بالناس هذه السنة عثمان، وضرب فسطاطه بمنى، وكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتم الصلاة بها وبعرّفة، فكان أوّل ما تكلم به الناس في عثمان ظاهراً حين أتم الصلاة بمنى، فعاب ذلك غير واحد من الصحابة، وقال له عليّ: ما حدث أمرٌ ولا قدّم عهد، ولقد عهدت النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر يصلّون ركعتين وأنت صدرًا من خلافتك، فما أدري ما ترجع^(٤) إليه. فقال: رأي رأيته. وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه، فجاءه وقال له: ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر ركعتين، وصلّيتها أنت ركعتين؟ قال: بلى ولكنّي أخبرت أنّ بعض من حجّ من اليمن وجُفأة الناس قالوا: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجّوا بصلاتي، وقد اتخذت بمكة أهلاً، وليّ بالطائف مال. فقال عبد الرحمن: ما في هذا عُذر، أمّا قولك: اتخذت بها أهلاً، فإنّ زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وإنما تسكن بسكنائك، وأمّا مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال، وأمّا قولك عن حاجّ اليمن وغيرهم، فقد كان رسول الله ﷺ، ينزل عليه الوحي والإسلام قليل، ثمّ أبو بكر وعمر، فصلّوا ركعتين وقد ضرب الإسلام بجراحه. فقال عثمان: هذا رأي رأيته.

(١) تاريخ الطبري ٢٦٦/٤، ٢٦٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).

(٣) تاريخ الطبري ٢٦٧/٤، تاريخ خليفة ١٦٣، تاريخ يعقوبي ١٦٦/٢، تاريخ الإسلام ٣٢٧/٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «يرجع».

فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال: أبا محمد، غَيَّرَ ما تعلم. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل بما ترى وتعلم. فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ وقد صَلَّيتُ بأصحابي أربعاً. فقال عبد الرحمن: قد صَلَّيتُ بأصحابي ركعتين وأما الآن فسوف أصلي أربعاً^(١).
وقيل: كان ذلك سنة ثلاثين.

(١) تاريخ الطبري ٢٦٧/٤، ٢٦٨، تاريخ الإسلام ٣٢٨/٣.

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد

في هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عُقبة عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص، وقد تقدّم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان، وأنّه كان محبوباً إلى الناس، فبقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب، ثمّ إنّ شباباً من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحِيسْمَان الخُزَاعِيّ وكاثروه، فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ، فأشرف عليهم أبو شُرَيْح الخُزَاعِيّ، وكان قد انتقل من المدينة إلى الكوفة للقرب من الجهاد، فصاح بهم أبو شُرَيْح، فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحِيسْمَان، وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جُنْدَب الأزديّ، ومورّع بن أبي مورّع الأسديّ، وشُبَيْل بن أبيّ الأزديّ، وغيرهم، فشهد عليهم أبو شُرَيْح وابنه، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان، فكتب عثمان بقتلهم، فقتلهم على باب القصر، ولهذا السبب أخذ في القَسَامَة بقول وليّ المقتول عن ملاّ من الناس ليفطم^(١) الناس عن القتل^(٢).

وكان أبو زُبَيْد الشاعر في الجاهليّة والإسلام في بني تَغْلِب، وكانوا أخواله، فظلموه ديناً له، فأخذ له الوليد حقّه إذ كان عاملاً عليهم، فشكر أبو زُبَيْد ذلك له، وانقطع إليه وغشيه بالمدينة والكوفة، وكان نصرانياً، فأسلم عند الوليد وحسّن إسلامه، فبينما هو عنده أتى آتٍ أبا زينب وأبا مورّع وجُنْدَباً، وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون، فقال لهم: إنّ الوليد وأبا زُبَيْد يشربان الخمر، فثاروا وأخذوا معهم نفرّاً من أهل الكوفة، فاقتحموا عليه فلم يروا، فأقبلوا يتلاومون وسبّهم الناس، وكنتم الوليد ذلك عن عثمان.

وجاء جُنْدَب ورهط معه إلى ابن مسعود فقالوا له: إنّ الوليد يعتكف على الخمر،

(١) في النسخة (ب): «ليفطم».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٢٧١، ٢٧٢.

وأذاعوا ذلك. فقال ابن مسعود: من استتر عنا لم نتبع عورته. فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا. ثم أتى الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه، واعترف الساحر عند ابن مسعود، وكان يخيّل إلى الناس أنّه يدخل في دُبُر الحمار ويخرج من فيه، فأمره ابن مسعود بقتله. فلمّا أراد الوليد قتله أقبل الناس ومعهم جندب، فغضب الساحر فقتله، فحبسه الوليد وكتب إلى عثمان فيه، وأمره بإطلاقه وتأديبه، فغضب لجُندب أصحابه، وخرجوا إلى عثمان يستعفون من الوليد، فردّهم خائبين. فلمّا رجعوا أتاهم كلّ متور فاجتمعوا معهم على رأيهم، ودخل أبو زينب وأبو مُورّع وغيرهما على الوليد فتحدّثوا عنده، فنام فأخذوا خاتمه وسارا إلى المدينة، واستيقظ الوليد فلم يرَ خاتمه، فسأل نساءه عن ذلك، فأخبرنه أنّ آخر من بقي عنده رجلاَن صفتهما كذا وكذا. فاتّهمهما وقال: هما أبو زينب، وأبو مُورّع، وأرسل يطلبهما، فلم يوجدا.

فقدما على عثمان ومعهما غيرهما، وأخبراه أنّه شرب الخمر، فأرسل إلى الوليد، فقدم المدينة، ودعا بهما عثمان فقال: أتشهدان أنّكما رأيتماه يشرب؟ فقالا: لا. قال: فكيف؟ قالوا: اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر. فأمر سعيد بن العاص فجلبه، فأورث ذلك عداوة بين أهليهما، فكان على الوليد خميسة، فأمر عليّ بن أبي طالب بنزعهما لما جُلدا.

هكذا في هذه الرواية^(١)، والصحيح أنّ الذي جلده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، لأنّ عليّاً أمر ابنه الحسن أن يجلبه، فقال الحسن: ولّ حارّها من تولّى قارّها! فأمر عبد الله بن جعفر فجلبه أربعين. فقال عليّ: أمسك، جلد رسول الله ﷺ، وأبو بكر أربعين، وجلد عثمان ثمانين، وكلّ سنة، وهذا أحبّ إليّ^(٢).

وقيل: إنّ الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً، ثمّ التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم، وشهدوا عليه عند عثمان، فأمر عليّاً بجلبه، فأمر عليّ عبد الله بن جعفر فجلبه، وقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أنّ الوليد أحقّ بالعُذر
نادى وقد تَمّت صلاتهم: أزيدكم؟ - سُكراً - وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفّع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري^(٣)

(١) رواها الطبري مطوّلة في تاريخه ٢٧١/٤ - ٢٧٧ عن السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة. وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٢٩/٥، ١٣٠.

(٢) الأغاني ١٣٢/٥، ١٣٣.

(٣) الأبيات والخبر في الأغاني ١٢٥/٥ و ١٢٦ و ١٢٧، ومروج الذهب ٣٤٤/٢ وفيه اختلاف بالألفاظ.

فلَمَّا علم عثمان من الوليد شُرْبَ الخمر عزله، وولّى سعيدَ بن العاص بن أمّية، وكان سعيد قد رُبّي في حجر عمر، فلَمَّا فتح الشام قدّمه، فأقام مع معاوية، فذكر عمر يوماً قريشاً، فسأل عنه، فأخبر أنه بالشام، فاستقدمه، فقدم عليه، فقال له: قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازدّد يَزِدُّكَ اللَّهُ خيراً. وقال له: هل لك من زوجة؟ قال: لا. وجاء عمر بناتُ سفيان بن عُوفٍ ومعهنّ أمهّن، فقالت أمهّن: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهنّ في أكفائهنّ. فزوّج سعيداً إحداهنّ، وزوّج عبد الرحمن بن عوف أخرى. وأتاه بناتُ مسعود بن نعيم النهشليّ فقلن له: قد هلك رجالنا وبقي الصبيان، فضعنا في أكفائنا؛ فزوّج سعيداً إحداهنّ، وجبّير بن مُطعم الأخرى. وكان عمومته ذوي بلاء في الإسلام وسابقة، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش. فلَمَّا استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميراً، ورجع معه الأشر، وأبو خشة الغفاريّ، وجندب بن عبدالله، [وجثامة] بن صعب^(١) بن جثامة، وكانوا ممّن شخص مع الوليد يعينونه^(٢) فصاروا عليه، فقال بعض شعراء الكوفة:

فررتُ من الوليدِ إلى سعيدٍ كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا^(٣)
يلينا^(٤) من قريش كلّ عامٍ أميرٌ محدثٌ أو مُستشارٌ
لنا نارٌ نخوفُها^(٥) فنخشى وليس لهم، فلا يخشون، نارٌ^(٦)

فلَمَّا وصل سعيد الكوفة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره، ولكني لم أجدُ بداً إذا أمرتُ أن أتمرّ، ألا إنّ الفتنة قد أطلعتْ خَطَمَها وعينها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تُعيني^(٧)، وإني لرائد نفسي اليوم^(٨).

ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها، فكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهلُ الشرف منهم والبيوتات والسابقة، والغالب على تلك البلاد روادف قدّمت، وأعرابٌ لحقت، حتى لا يُنظر إلى ذي شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها.

(١) في تاريخ الطبري ٢٧٩/٤ «أبو مصعب بن جثامة»، وفي نسخة باريس: «أبو صعب بن مصعب».

(٢) في تاريخ الطبري «يعينونه».

(٣) في نسخة بودليان «فثاروا».

(٤) في الطبعة الأوروبية «يلينا».

(٥) في الأغاني «تحرّقنا».

(٦) الأبيات في الأغاني ١٤٥/٥.

(٧) في الطبعة الأوروبية «تغيني»، وفي تاريخ الطبري «تعيني».

(٨) تاريخ الطبري ٢٧٩/٤.

فكتب إليه عثمان: أما بعد ففضل أهل السابقة والقُدْمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل.

فأرسل سعيد إلى أهل الأيَّام والقادسيَّة فقال: أنتم وجوه الناس، والوجه يُنبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة. وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف. وجعل القراء في سمره، ففشت القالة في أهل الكوفة، فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه. فقالوا له: أصبت، لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس بأهل لها لم يحتملها وأفسدها. فقال عثمان: يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا، فقد دبت إليكم الفتن، وإني والله لأتخلصن لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم، حتى يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه، فيقيم معه في بلاده. فقالوا: كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرضين؟ فقال: يبيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد. ففرحوا وفتح الله لهم أمراً لم يكن في حسابهم، وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة، وجاز لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق^(١).

ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان

في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان، فإنها لم يغزها أحد إلى هذه السنة. وقد تقدّم في أيَّام عمر الخلاف في ذلك، وأن إصْبَهْبذها صالح^(٢) سُوَيْد بن مُقَرَّن أيَّام عمر على مالٍ بذله. وأما على هذا القول فإن سعيداً غزاها من الكوفة سنة ثلاثين، ومعه الحُسن والحسين وابن عباس وابن عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبي ﷺ، وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل نيسابور، ونزل سعيد قُومِس، وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جُرْجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طُمَيْسَة، وهي كلّها من طبرستان متاخمة جُرْجان، على البحر، فقاتله أهلها، فصلى صلاة الخوف، أعلمه حذيفة كيفيَّتها، وهم يقتتلون. وضرب سعيد يومئذ رجلاً بالسيف على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مِرْفقه، وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم

(١) تاريخ الطبري ٢٧٩/٤، ٢٨٠.

(٢) في نسختي باريس و(ب): «صالح بن».

رجلاً واحداً، (ففتحوا الحصن فقتلوا جميعاً إلا رجلاً واحداً)^(١)؛ وحوى ما في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سَفْطاً عليه قفل، فظن أن فيه جوهراً، وبلغ سعيداً فبعث إلى النّهديّ فاتاه بالسَّفْط، فكسروا قفله فوجدوا فيه سَفْطاً، ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فشرّوها، فإذا خرقة صفراء وفيها أيران كميّت وورد. فقال شاعر يهجو بني نهد:

أَبَ الْكِرامِ بالسَّبايا غنيمةً^(٢) وَأَبَ بنو نَهدٍ بأَيَرينِ في سَفْطِ
كُميّتٍ وورْدٍ وإفَرينِ^(٣) كلاهما فظنّوهما غنماً فناهيك من غَلْطِ

وفتح سعيدُ نامية^(٤)، وليست بمدينة، هي صحارى^(٥).

ومات مع سعيد محمد بن الحَكَم بن أبي عَقيل جَدّ يوسف بن عمر. ثم رجع سعيد، فمدحه كعب بن جُعيل فقال:

فَنِعَمَ الْفتى إذا حَال^(٦) جِلانُ دَوْنَه وإذْ هَبَطُوا من دَسْتَبى ثم أبَهَرَا^(٧)

في أبيات. ولما صالح سعيد أهل جُرْجان، كانوا يجيئون أحياناً مائة ألف، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف، ويقولون: هذا صلح صلحنا، وربما منعه، ثم امتنعوا وكفروا، فانقطع طريق خراسان من ناحية قُومس، إلا على خوف شديد منهم. كان الطريق إلى خُراسان من فارس إلى كَرْمان إلى خُراسان، وأول من صَيّر الطريق من قُومس قُتيبة بن مسلم حين وُلّي خُراسان. وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صُولاً^(٨)، وفتح البحيرة وديَهستان، وصالح أهل جُرْجان على صلح سعيد^(٩).

ذكر غزو حُدَيْفَة الباب وأمر المصاحف

وفيها صُرف حُدَيْفَة عن غزو الرّيّ إلى غزو الباب مَدَدًا لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أَذْرَبيجان، وكانوا يجعلون الناس رِدْءًا، فأقام حتى

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س). والخبر في تاريخ خليفة ١٦٥، وتاريخ الإسلام ٣٢٩/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية: وغنمه.

(٣) في نسخة باريس «نافرين».

(٤) في الطبعة الأوربية: نامنة.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٢٦٩/٤، ٢٧٠.

(٦) في تاريخ الطبري ٢٧٠/٤ «جال».

(٧) في الطبعة الأوربية: وإذ هبطوا من دسْتَبى وأبْهَرَا. والقصيدة من أربعة أبيات في تاريخ الطبري.

(٨) صُول: بالضم ثم السكون، مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند. (معجم البلدان

٤٣٥/٣).

(٩) تاريخ الطبري ٢٧١/٤.

عاد^(١) حُذيفة ثم رجعا^(٢). فلما عاد حُذيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمراً، لئن ترك الناس ليخْتَلَفْنَ في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً. قال: وما ذاك؟ قال: رأيتُ أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيتُ أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيتُ أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على أبي موسى، ويسمُّون مصحفه بَابِ القلوب. فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حُذيفة الناس بذلك وحذَّروهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ، وكثير من التابعين. وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تُنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حُذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب، فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حُذيفة: والله لئن عشتُ لآتينَ أمير المؤمنين، ولأشيرنَّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرَّق الناس، وغضب حُذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الأمة. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حُذيفة.

فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر: أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها. وكانت هذه الصحف هي التي كُتبت في أيام أبي بكر، فإنَّ القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: إن القتل قد كثر واستحَرَّ بقرء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستحَرَّ القتل بالقرء فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن؛ فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرِّقاع والعُشب وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر، فلما توفِّي عمر أخذتها حفصة فكانت عندها.

فأرسل عثمان إليها [مَنْ] أخذها منها، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. فلما نسخوا الصحف ردّها عثمان إلى حفصة، وأرسل إلى كلِّ أفق بمصحف، وحرَّق ما سوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك. فكلَّ الناس عرف فضلَ هذا الفعل، إلّا ما كان من أهل الكوفة، فإنَّ المصحف لما قَدِم عليهم فرح به أصحاب النبي ﷺ، وإنَّ أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس، فقام فيهم ابن مسعود وقال: ولا كلَّ ذلك، فإنكم والله قد سُبِقتم سبقاً بيّناً، فاربِعوا على ظِلِّكم^(٣). ولما قَدِم عليٌّ

(١) في نسختي باريس و(ب): «أتى».

(٢) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٢٨١/٤.

(٣) اربِعوا على ظلمكم: أي اربِقوا على أنفسكم في أمركم.

الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمانَ بجمع الناس على المصحف، فصاح به وقال: اسكتُ فغن ملاً منا فعل ذلك، فلو وليتُ منه ما ولي عثمانُ لسلكتُ سبيله^(١).

ذكر سقوط خاتم النبي ﷺ في بئر أريس

وفيها وقع خاتم النبي ﷺ، من يد عثمان في بئر أريس، وهي على ميلين من المدينة، وكانت قليلة الماء، فما أدرك قعرها بعد.

وكان رسول الله ﷺ، اتّخذَه لما أراد أن يكتب الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى، فقليل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلاّ مختوماً، فأمر رسول الله ﷺ، أن يعمل له خاتم من حديد، فلما عمل جعله في إصبعه، فأثاه جبرائيل فنياه عنه، فنبذه، وأمر فعمل له خاتم من نحاس وجعله في إصبعه، فقال [له] جبرائيل: انبذه، فنبذه، وأمر رسول الله ﷺ بخاتم من فضة، فصنع له، فجعله في إصبعه، فأمره جبرائيل أن يُقرّه، فأقرّه. وكان نقشه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر؛ فتختم به رسول الله ﷺ، حتى تُوفي، ثم تختم به أبو بكر حتى توفي، ثم عمر حتى تُوفي، ثم تختم به عثمان ست سنين. فحفروا بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين، فقعده على رأس البئر، فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر، فطلبوه فيها، ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالا عظيماً لمن جاء به، واغتم لذلك غمّاً شديداً. فلما يش منه صنع خاتماً آخر على مثاله ونقشه، فبقي في إصبعه حتى هلك، فلما قُتل ذهب الخاتم فلم يُدر من أخذه^(٢).

ذكر تسيير أبي ذرٍّ إلى الرّبذة

وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذرٍّ، وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، من سبب معاوية إيّاه وتهديده بالقتل، وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء، ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع، لا يصحّ النقل به، ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيته، وغير ذلك من

= والخبر في: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، لمحمد بن يحيى - تحقيق الدكتور محمود يوسف زايد - ص ٥٠ - طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤، وكتاب المصاحف لابن أبي داود - طبعة المطبعة الرحمانية - ص ١٣ - مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة عثمان بن عفان) - تحقيق سكيّنة الشهابي - ص ٢٣٤ - ٢٣٦ بشيء من الاختلاف.

(١) أخرج ابن عساكر نحوه في تاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) - ص ٢٣٧.
(٢) تاريخ الطبري ٢٨١/٤ - ٢٨٣ - طبقات ابن سعد ٤٧٤/١ و ٤٧٦ و ٤٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية - بتحقيقنا) ٥٠٦.

الأعذار، لا أن يُجعل ذلك سبباً للطعن عليه، كرهت ذكرها.

وأما العاذرون فإنهم قالوا: لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول: المال مال الله! ألا إن كل شيء لله، كأنه يريد أن يحتج به دون الناس، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله الساعة؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر! ألسنا عباد الله والمال ماله؟ قال: فلا تقله. قال: سأقول مال المسلمين. وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك. فقال: أظنك [والله] يهودياً! فأتى عبادة بن الصامت، فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر.

وكان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته، أو شيء ينفقه في سبيل الله، أو يُعده لكریم^(١)، ويأخذ بظاهر القرآن: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢). فكان يقوم بالشام ويقول: يا معشر الأغنياء وأسوا الفقراء، بئس الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء، وشكا الأغنياء ما يلقون منهم^(٣). فأرسل معاوية إليه بألف دينار في جُحج الليل فأنفقها. فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه فقال: اذهب إلى أبي ذر فقل له: أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنه أرسلني إلى غيرك وإني أخطأت بك. ففعل ذلك. فقال له أبو ذر: يا بني قل له: والله ما أصبح عندنا من دنائرك دينار، ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها. فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان: إن أبا ذر قد ضيق عليّ، وقد كان كذا وكذا، للذي يقوله الفقراء. فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها^(٤)، ولم يبق إلا أن تثب، فلا تنكأ القرح^(٥)، وجهز أبا ذر إليّ، وابعث معه دليلاً وكفكف الناس ونفسك ما استطعت. وبعث إليه بأبي ذر.

فلما قدم المدينة، ورأى المجالس في أصل جبل سلع قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكّار. ودخل على عثمان فقال له: ما لأهل الشام يشكون ذر بلسانك؟

(١) في نسختي باريس و(ب): «لغريم».

(٢) سورة التوبة - الآية ٣٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢٨٣/٤.

(٤) في نسخة باريس «عقبها».

(٥) في نسخة (س): «القوح».

فأخبره. فقال: يا أبا ذرٍّ، عليّ أن أقضي ما عليّ، وأن أدعو الرعيّة إلى الاجتهاد والاقتصاد، وما عليّ أن أجبرهم على الزهد. فقال أبو ذرٍّ: لا ترضوا من الأغنياء حتى يبدّلوا المعروف، ويحسنوا إلى الجيران والإخوان، ويصلّوا القربابات. فقال كعب الأحبار، وكان حاضراً: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فضربه أبو ذرٍّ فشجّه، وقال له: يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا؟ فاستوهب عثمانُ كعباً شجّه، فوهبه. فقال أبو ذرٍّ لعثمان: تأذن لي في الخروج من المدينة؛ فإنّ رسول الله ﷺ، أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلْعاً. فأذن له، فنزل الرّبذة^(١) وبنى بها مسجداً، وأقطعه عثمان صرمةً من الإبل، وأعطاه مملوكين^(٢) وأجرى عليه كلّ يوم عطاء، وكذلك على رافع بن خديج، وكان قد خرج أيضاً عن المدينة لشيء سمعه.

وكان أبو ذرٍّ يتعاهد المدينة مخافة أن يعود أعرابياً، وأخرج معاوية إليه أهله، فخرجوا ومعهم جراب مثقل يد الرجل، فقال: انظروا إلي هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده؟ فقالت امرأته: والله ما هو دينار ولا درهم، ولكنّها فلوس، كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا. ولما نزل الرّبذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة، فقال: تقدّم يا أبا ذرٍّ. فقال: لا، تقدّم أنت، فإنّ رسول الله ﷺ، قال لي: اسمع وأطع، وإن كان عليك عبد مجدّع، فأنت عبد ولست بأجدع؛ وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع^(٣).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزّوّراء^(٤).

[الوفيات]

وفيهما مات حاطب^(٥) بن أبي بلتعة اللخميّ وهو من أهل بدر.

- (١) الرّبذة: بفتح أوله وثانيه. من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة. (معجم البلدان ٢٤/٣).
- (٢) تاريخ الطبري ٢٨٣/٤، ٢٨٤.
- (٣) تاريخ الطبري ٢٨٤/٤، ٢٨٥، وقد روى هشام، عن ابن سيرين: إن رسول الله ﷺ قال لأبي ذرٍّ: «إذا بلغ البناء سلْعاً فاخرج منها، - ونحا بيده نحو الشام - ولا أرى أمراءك يدعونك!» قال: «أولا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك؟ قال: «لا». قال: «فما تأمرني؟ قال: «اسمع وأطع، ولو لعبيد حبشي». (سير أعلام النبلاء ٦٣/٢).
- (٤) تاريخ الطبري ٢٨٧/٤.
- (٥) أنظر عن حاطب في: المغازي للواقدي ١٠٥ و ١٤٠ و ١٥٤ و ٢٤٣ و ٤٢٥ و ٦٠٣ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٩٠٩، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣٢٨، والطبقات لابن سعد ١١٤/٣، ١١٥، والطبقات لخليفة ٧٠، وتاريخ خليفة ٧٩ و ٨٦ و ٩٨ و ١٤٣ و ١٦٦، والمعارف ٣١٧ و ٣١٨، وتاريخ أبي زرعة =

(حاطب: بالحاء المهملة. وبلتعة: بالباء الموحدة، ثم التاء المثناة من فوق، بوزن مَقْرعة).

وفيهما مات عمرو بن أبي سرح^(١) الفهري، وكان بذرياً. وفيها مات مسعود^(٢) بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة بن عمرو القاري، من القارة، أسلم قبل دخول النبي ﷺ، دار الأرقم، وشهد بدرًا، وكان عمره قد جاوز الستين. وفيها مات عبد الله بن كعب^(٣) بن عمرو الأنصاري، شهد بدرًا، وكان على غنائم النبي ﷺ، فيها وفي غيرها. وفيها مات عبد الله بن مظعون^(٤) أخو عثمان، وكان بذرياً. وجبار^(٥) بن صخر^(٦)، وهو بدرى أيضاً.

= ٥٧٥/١، والمحبّر ٧٢ و٧٦ و٢٧٦ و٢٨٨، وتاريخ الطبري ٦٤٤/٢ و٦٤٥ و٢١/٣ و٤٨ و٤٩، وأنساب الأشراف ٢٠٢/١ و٣٠٢ و٣٢٣ و٣٢٨ و٣٥٤ و٣٦٠ و٤٣١ و٤٤٨ و٤٤٩ و٤٧٩ و٥٣١، والجرح والتعديل ٣٠٣/٣ رقم ١٣٥٢، وجمهرة أنساب العرب ١٤ و٩٤ و٤٢٣، والمعجم الكبير ٢٠٥/٣، رقم ٢٠٦، والاستيعاب ٣٤٨/١ - ٣٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٢١ رقم ٨٢، والمستدرك على الصحيحين ٣٠٠/٣ - ٣٠٢، وأسد الغابة ٣٦٠/١ - ٣٦٢، وجامع الأصول ٧٩/٩، والزيارات للهروي ٩٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١٥١/١، رقم ١١٠، وسير أعلام النبلاء ٤٣/٢ - ٤٥ رقم ٩، وتاريخ الإسلام ٣٣٣/٣، ٣٣٤، وتلخيص المستدرك ٣٠٠/٣ - ٣٠٢، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، ومعجم البلدان ٣٨٥/٢، والوافي بالوفيات ٢٧٢/١١، رقم ٢٧٣، ومروءة الجنان ٨٤/١، ومجمع الزوائد ٣٠٣/٩، وتهذيب التهذيب ١٦٨/٢، والإصابة ٣٠٠/١ رقم ١٥٣٨، وشفاء الغرام ١٣٨/١ و١٧٩/٢ و١٨٠ و٢٠٠ و٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٢٧ و٢٣٢، والنجوم الزاهرة ٨٧/١، وحسن المحاضرة ١٨٩/١، وشذرات الذهب ٣٧/١، وتاج العروس ٢٩٢/٢.

(١) هو: مَعْمَر بن أبي سرح: أنظر عنه في: المغازي للواقدي ١٥٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤١٧/٣، وأنساب الأشراف ٢٢٦/١، والاستيعاب ٤٤٠/٣، وأسد الغابة ٤٠٠/٤، وتاريخ الإسلام ٣٣٥/٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والإصابة ٤٤٨/٣ رقم ٨١٤٩.

(٥) أنظر عن مسعود في: المغازي للواقدي ٢٤ و١٥٥، وطبقات ابن سعد ١٦٨/٣، ١٦٩، والمحبّر ٧٢، وجمهرة أنساب العرب ١٩٠، والاستيعاب ٤٤٨/٣، وأسد الغابة ٣٥٧/٤، وتاريخ الإسلام ٣٣٦/٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والإصابة ٤١٠/٣ رقم ٧٩٤٢.

(٣) أنظر عن ابن كعب في: السير والمغازي لابن إسحاق ٣٣٠، والمغازي للواقدي ٢٤ و٥٠ و١٠٠ و١١٢ و١٦٤ و٢٥١ و٢٧٠، وطبقات ابن سعد ٥١٨/٣، والمحبّر ٢٨٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٠١ و١٤٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٥٢، والاستيعاب ٣١٤/٢، وتاريخ الإسلام ٣٣٥/٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوافي بالوفيات ٤١٢/١٧ رقم ٣٦٢/٢، والإصابة ٣٦٢/٢ رقم ٤٩١٥.

(٤) أنظر عن ابن مظعون في: طبقات ابن سعد ٤٠٠/٣، والمحبّر ٧٤ و٢٧٨، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦، وطبقات خليفة ٢٥، وأنساب الأشراف ٢١٣/١، والاستيعاب ٩٩٥/٣، والمغازي للواقدي ٢٤ و١٥٦، والسير والمغازي ١٤٣، ونسب قريش ٣٩٣، وأسد الغابة ٢٦٢/٣، وتاريخ الإسلام ٣٣٥/٣، وسير أعلام النبلاء ١١٧/١ رقم ١٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوافي بالوفيات ٦٢٢/١٧ رقم ٥٢٦، والإصابة ٣٧١/٢ رقم ٤٩٦٤.

(٥) أنظر عن جبار في: مسند أحمد ٤٢١/٣، والمغازي للواقدي ٩١ و٩٢ و١٣٨ و١٧٠ و٢٣٤ و٣٧٥ =

(جَبَّار: بالمجيم وآخره راء).

= و ٦٩١ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٩٨٥، و ٩٩٣، وطبقات خليفة ١٠٢، وطبقات ابن سعد ٥٧٦/٣، وتاريخ الطبري ٢٠/٣، والمجبر ٧٣، وأنساب الأشراف ٢٠٥/١ و ٢٤٦ و ٣٠١، والجرح والتعديل ٥٤٢/٣، ٥٤٣ رقم ٢٢٥٣، والمعجم الكبير ٢٧٠/٢ رقم ٢٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١٠٩، والاستيعاب ٢٢٧/١، ٢٢٨، والمستدرک ٢٢٢/٣، ٢٢٣، والإكمال ٣٧/٢، وأسد الغابة ٢٦٥/١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١ ١٤٣/١ رقم ١٠١، وتاريخ الإسلام ٣٣٣/٣، وتلخيص المستدرک ٢٢٢/٣، ٢٢٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوفائي بالوفيات ٤٢/١١ رقم ٧٩، والإصابة ٢٢٠/١ رقم ١٠٥٦، وتعجيل المنفعة ٦٦ رقم ١٢٤.

(٦) في نسخة (ب) «صخرة».

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر غزوة الصّواري^(١)

قيل: وفي هذه السنة كانت غزوة الصّواري، وقيل: كانت سنة أربع وثلاثين، وقيل: في سنة إحدى وثلاثين كانت غزوة الأساورة، وقيل: كانتا معاً سنة إحدى وثلاثين، وكان على المسلمين معاوية، وكان قد جُمع الشام له أيام عثمان.

وسبب جمعه له أنّ أبا عبيدة بن الجراح لما حُضِرَ استخلف على عمله عياض بن غنم، وكان خاله وابن عمّه، وكان جواداً مشهوراً، وقيل: استخلف مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، على ما تقدّم، فمات عياض، واستخلف عمرُ بعده سعيد بن حذيم الجُمحي، ومات سعيد وأمر عمرُ مكانه عُمر بن سعد الأنصاري، ومات عمر وعُمير على حمص وقنسرين، ومات يزيد بن أبي سفيان، فجعل عمرُ مكانه أخاه معاوية، فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق، ومرض عُمر بن سعد فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع إلى أهله، فأذن له، وضمّ عثمان حمص وقنسرين إلى معاوية، ومات عبد الرحمن بن علقمة، وكان على فلسطين، فضمّ عثمان عمله إلى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لستين من إمارة عثمان، فهذا كان سبب اجتماع الشام له^(٢).

وأما سبب هذه الغزوة، فإنّ المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبّوهم، خرج قسطنطين بن هرقل في جُمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الإسلام، فخرجوا في

- (١) أنظر عن غزوة الصواري في: كتاب الفتوح لابن أعمش ١٢٨/٢، وتاريخ خليفة ١٦٨، والتنبيه والإشراف ١٣٥، وفتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ١٩٢، وولاة مصر للكندي ٣٦ و٣٧، وفتوح البلدان ١٨١، وتاريخ الطبري ٢٨٨/٤، وأنساب الأشراف ٥٠/٥، وفتوح الشام ومصر للواقدي (المكتبة الصقلية) ١٩٨ و ١٩٩، والولاة والقضاء ١٣، والمنتخب من تاريخ المنجي (بتحقيقنا) ٥٩ - ٦١، ونهاية الأرب ٤١٩/١٩، والبداية والنهاية ١٥٧/٧، ودول الإسلام ٢٤/١، والنجوم الزاهرة ٨٠/١، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري - الطبعة الثانية ١٠٠/١ - ١٠٧ وتاريخ الإسلام - بتحقيقنا - ٤٢٠/٣.
- (٢) تاريخ الطبري ٢٨٩/٤.

خمسمائة مركب أو ستمائة^(١)، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسل المسلمون والروم وسكنت الرياح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم؛ فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلّون ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقربوا من الغد سفنهم، وقرب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها مع بعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وقتل من المسلمين بشرٌ كثير، وقتل من الروم ما لا يُحصى، وصبروا يومئذٍ صبراً لم يصبروا في موطن قطّ مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فانهزم قسطنطين جريحاً، ولم ينجُ من الروم إلا الشريد. وأقام عبد الله بن سعد بذات الصّواري^(٢) بعد الهزيمة أياماً ورجع. فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة، وأظهرها عييه، وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر، ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلاً كان رسول الله ﷺ، قد أباح دمه، ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسول الله ﷺ، قوماً أدخلهم، ونزع^(٣) أصحاب رسول الله ﷺ، واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال: لا تركبنا معنا، فركبنا في مركب ما معهما إلا القبط، فلقوا العدو، فكانا أقلّ المسلمين نكايَةً وفتلاً، فليل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد؟ استعمله عثمان، وعثمان فعل كذا وكذا. فأرسل إليهما عبد الله ينهما وما يتهدّدهما، ففسد الناس بقولهما، وتكلّما ما لم يكونوا ينطقون به^(٤).

وأما قسطنطين، فإنه سار في مركبه إلى صقلية، فسأله أهلها عن حاله، فأخبرهم. فقالوا: أهلك النصرانية وأفنيت رجالها! لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم. ثم

(١) يجعلها المسعودي والكِندي (١٠٠٠ سفينة) وقيل (٧٠٠ سفينة) أنظر: التنبيه والإشراف ١٣٥، وولاية مصر ٣٦.

(٢) اشتهرت هذه الموقعة باسم «ذات الصواري»، و«ذات السواري»، وقيل إنها سُميت كذلك لكثرة صواري السفن التي ظهرت فيها وهي الأذقال: (التنبيه والإشراف للمسعودي ١٣٥)، كما سُميت «ذا الصواري» (بحذف التاء). واستدل بعضهم من هذه التسمية على أنها نسبة إلى المكان الذي جرت الموقعة عنده لأنه كان مكتظاً بأشجار السرو. ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر العربية القديمة لم تحدّد المكان الذي دارت عنده الموقعة، مع أن المؤرّخ «ابن عبد الحكم» انفرد بالقول إن جيش المسلمين انقسم إلى قسمين، حيث نزل قسم منه إلى البر، وبقي قسم آخر في السفن. (فتوح مصر وأخبارها ١٩٢)، وولاية مصر ٣٦ و٣٧، وانظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين د. فيليب حتي ٢٦/٢، والبحرية الإسلامية في مصر والشام للدكتورين أحمد مختار العبادي، وسيد عبد العزيز سالم - ص ٣٠، بيروت ١٩٧٢.

(٣) في النسخة (ب) «وترك».

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٠/٤ - ٢٩٢.

أدخلوه الحُمَامَ وقتلوه^(١)، وتركوا من كان معه في المركب (وأذنوا لهم في المسير إلى القسطنطينية)^(٢).

(وقيل: في هذه السنة فتحت أرمينية على يد حبيب بن مسلمة، وقد تقدّم ذكر ذلك)^(٣).

ذكر مقتل يزدجرد بن شهریار^(٤)

في هذه السنة هرب يَزْدَجَرْد من فارس إلى خُراسان، في قول بعضهم، وقد تقدّم الخلاف فيه، وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها إلى فارس فافتتحها، وهرب يزدجرد من جُور، وهي أردشير خُره، في سنة ثلاثين، فوجّه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود، وقيل: هَرِم بن حَيَّان العبدي، وقيل: هَرِم بن حَيَّان اليشكري، فاتّبعه إلى كَرْمَان، فهرب يزدجرد إلى خُراسان. وأصاب مُجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمَق^(٥) واشتدّ البرد، وكان الثلج قيد^(٦) رمح، فهلك الجُند، وسَلِم مُجاشع ورجل معه جارية، فشقّ بطن بعير فأدخلها فيه وهرب. فلَمَّا كان الغد جاء فوجدها حيّة فحملها. فسُمّي ذلك القصر قصر مجاشع، لأنّ جيشه هلكوا فيه، وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السَّيرجان من أعمال كَرْمَان.

هذا على قول من يقول: إنّ هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة.

وأما سبب قتله، على ما تقدّم ذكره من (فتح فارس وخراسان)^(٧)، فقد اختلف الناس في سبب قتله، فقيل: إنّ هرب من كرمان في جماعة إلى مَرُو، ومعه خُرَزَاد أخو رُستم، فرجع عنه إلى العراق، ووَصّى به ماهويه مرزبان مرو، فسأله يزدجرد مالاً فمنعه،

-
- (١) تاريخ الطبري ٤/٤٤١، والتنبيه والإشراف ١٣٥، وفتوح مصر وأخبارها ١٩٠ و ١٩١، والمكتبة الصقلية ١٩٨ و ١٩٩، والفتوح لابن أعثم ١٣١، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٦١.
 - (٢) ما بين القوسين ليس في النسخة (س).
 - (٣) ما بين القوسين ليس في النسخة (س).
 - (٤) أنظر عن مقتل يزدجرد في: فتوح البلدان ٣٨٨، والأخبار الطوال ١٣٩، ١٤٠، والبدء والتاريخ ١٩٦/٥، ١٩٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٧، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٤، وتاريخ الطبري ٤/٢٩٣، ونهاية الأرب ١٩/٤٢٠، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦٨، ودول الإسلام ١/٢٢، والبداية والنهاية ٧/١٥٨، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٣٦، ١٣٧.
 - (٥) الدَّمَق: الريح الشديدة يصحبها ثلج، وهي فارسية.
 - (٦) في نسختي باريس و(ب): «قدر».
 - (٧) ما بين القوسين ورد في نسختي باريس و(ب): من أن فارس وخراسان كان فتحهما متقدماً.

فخافه أهل مرو على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه، فأتوه فبيّتوه، فقتلوا أصحابه، فهرب يزدجرد ماشياً إلى شطّ المَرغاب، فأوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء، فلمّا نام قتله^(١). وقيل: بل بيّته أهل مرو، ولم يستنصروا بالترك، فقتلوا أصحابه وهرب منهم، فقتله النّقار، وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء، فأخذوه وضربوه، فأقرّ بقتله فقتلوه وأهله.

وكان يزدجرد قد وطىء امرأة بها، فولدت له غلاماً ذاهب الشّوق، ولدته بعد قتله، فسُمّي المُخَدّج، فولد له أولاد بخراسان، فوجد قُتيبة بن مسلم حين افتتح الصُّغد وغيرها جارين من ولد المخدّج، فبعث بهما أو بإحدهما إلى الحجاج، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص. وأخرج يزدجرد من النهر، وجعل في تابوت وحمل إلى إصطخر، فوضع في ناووس هناك^(٢).

وقيل: إنّ يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان، وبها رجل يقال له مطيار^(٣) كان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً، فصار له بها محلّ كبير، فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم، فحجبه بوابه ليستأذن له، فضربه وشجّه، فدخل البواب على يزدجرد مُدْمِئاً، فرحل عن أصبهان من ساعته فأتى الريّ، فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها، فلم يجبه^(٤).

وقيل: مضى من فوره ذلك إلى سجستان، ثمّ سار إلى مرو في ألف^(٥) فارس، وقيل: بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين، ثمّ أتى كرمان فأقام بها ستين أو ثلاثاً، فطلب إليه دهقانه شيئاً، فلم يجبه، فجرّه برجله وطرده عن بلاده، فسار إلى سجستان فأقام بها نحواً من خمسين سنة، ثمّ عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم إلى العرب، فسار إلى مرو ومعه الرُّهن من أولاد الدهاقين ومعه فرخزاد. فلمّا قدِمَ مَرَو كاتب ملوك الصّين وملك قرغانة وملك كابل وملك الخزر^(٦) يستمدّهم، وكان الدهقان يومئذ بمرّو ماهويه أبو براز^(٧)، فوكل ماهويه بمرّو ابنه براز ليحفظها، ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره، فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة، وأراد دخولها من بعض أبوابها، فمنعه براز، فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل، وأومأ إليه أبوه أن لا يفعل، ففطن له

(١) تاريخ الطبري ٢٩٣/٤.

(٢) الطبري ٢٩٣/٤.

(٣) في نسخة باريس «الميطار» وكتب على الهامش بحذائها «بطيارص».

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٥/٤.

(٥) في النسخة (ب) «ألفي».

(٦) في نسخة باريس «الجزيرة».

(٧) ورد في الأصول: «بزاز، براز، بران، ونزار».

رجل من أصحاب يزدجرد، فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله، فلم يأذن له^(١).

وقيل: أراد يزدجرد صرف الذهبنة عن ماهويه إلى سَنجان^(٢) ابن أخيه، فبلغ ذلك ماهويه، فعمل في هلاك يزدجرد؛ فكتب إلى نيزك طرخان يدعوه إلى القدوم عليه، ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه، وضمن له إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم. فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب، وأنه يقدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه. فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سَنجان: لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرخزاد. وقال أبو براز: أرى أن تتألف نيزك وتجيئه إلى ما سأل. فقبل رأيه وفرق عنه جنده، فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال: أظنكم قاتلي هذا! ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده أنه آمن، وأنه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه، وأشهد بذلك. وأقبل نيزك فلقبه يزدجرد بالمزامير والملاهي، أشار عليه بذلك أبو براز، فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشياً، فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه، فركبها، فلما توسط عسكره تواقفا، فقال له نيزك فيما يقول: زوجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك. فسبه يزدجرد، فضربه نيزك بمقرعته، وصاح يزدجرد، وركض منهزماً. وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد، وانتهى يزدجرد إلى بيت طحان، فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاماً. فقال له الطحان: اخرج أيها الشقي فكل طعاماً فقد جعت! فقال: لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة، وكان عند الطحان رجل يزمزم، فكلّمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل. فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد، فسأل عن حليته فوصفوه له، فأخبرهم به وبحليته، فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة، وأمره بخنقه وإلقائه في النهر، وأتى الطحان فضربه ليدله عليه، فلم يفعل وجحده. فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه: إني لأجد ريح مسك؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فجذبه فإذا هو يزدجرد، فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه، وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره. فقال له: أعطني أربعة دراهم وأخلي عنك؛ فلم يكن معه وقال: إن خاتمي لا يحصى ثمنه فخذ، فأبى عليه، فقال له يزدجرد: قد كنت أخبرني سأحتاج إلى أربعة دراهم فقد رأيت ذلك، ثم نزع أحد قرطيه، فأعطاه الطحان ليستر عليه، وأرادوا قتله، فقال: ويحكم! إنا نجد في كتبنا أنه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا، فلا تقتلوني واحملوني إلى الذهبقان أو إلى العرب، فإنهم يستبقون^(٣) مثلي! فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس وألقوه في الماء، فأخذه أسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه. وسأل أبو

(١) تاريخ الطبري ٢٩٥/٤، ٢٩٦.

(٢) ورد في الأصول: «صَبْجان، سَبْجان، سَنجان، سَنحان، وفسنجان».

(٣) في تاريخ الطبري ٢٩٨/٤ «يستحيون».

براز عن أحد القرطين، وأخذ الذي دلّ عليه فضربه حتى أتى على نفسه^(١).

وقيل: بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطّبيين وقوهستان في أربعة آلاف، فلما قارب مرو لقيه قائدان، يقال لأحدهما براز، وللآخر سَنجان^(٢) وكانا متباغضين، فسعى براز بسَنجان حتى همّ يزدجرد بقتله، وأفشى ذلك إلى امرأة من نسائه، ففشأ الحديث، فجمع سَنجان أصحابه، وقصد قصر يزدجرد، فهرب براز وخاف يزدجرد، فهرب أيضاً إلى رحي على فرسخين من مرو، فدخل بيت نقار الرّحى، فأطعمه الطّحّان، فطلب منه شيئاً فأعطاه منطقته، فقال: إنّما يكفيني أربعة دراهم، فلم يكن معه، ثمّ نام يزدجرد فقتله الطّحّان بفأس كانت معه، وأخذ ما عليه وألقى جثته^(٣) في الماء وشقّ بطنه وثقله.

وسمع بقتله مطران كان بمرو، فجمع النصاري وقال: قُتل ابن شهریار، وإنّما شهریار ابن شیرین المؤمنة التي قد عرفتم حقّها وإحسانها إلى أهل ملّتنا، مع ما نال النصاري في ملك جدّه أنوشروان من الشرف، فينبغي أن نحزن لقتله ونبني له ناووساً، فأجابوه إلى ذلك وبنوا له ناووساً وأخرجوا جثته وكفّنها ودفنوها في الناووس.

وكان ملكه عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة، وست عشرة سنة في تعبٍ من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه، وكان آخر من ملك من آل أردشير بن بابك، وصفا الملك بعده للعرب^(٤).

ذكر مسير ابن عامر إلى خراسان وفتحها

لما قُتل عمر بن الخطّاب نقض أهل خراسان وغدروا. فلما افتتح ابن عامر فارس قام^(٥) إليه حبيب بن أوس التميمي فقال له: أيّها الأمير إنّ الأرض بين يديك، ولم يُفتح منها إلّا القليل، فسرّ فإنّ الله ناصرُك. قال: أولم تأمر بالمسير؟ وكره أن يُظهر أنّه قبل رأيه. وقيل: إنّ ابن عامر لما فتح فارس عاد إلى البصرة، واستخلف على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر. فلما دخل البصرة أتاه الأحنف بن قيس، وقيل غيره، فقال له: إنّ عدوك منك هارب، ولك هائب، والبلاد

(١) تاريخ الطبري ٢٩٦/٤ - ٢٩٨.

(٢) في نسخة باريس «سنجان».

(٣) في الطبعة الأوربية «جفته».

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٩/٤، ٣٠٠.

(٥) في نسخة (ب): «قدم».

واسعة، فسيرَ فإنَّ الله ناصرُك ومعزُّ دينه. فتجهَّز وسار، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كرمان، فاستعمل عليها مُجاشع بن مسعود السُّلَميَّ، وله صُحبة، وأمره بمحاربة أهلها، وكانوا قد نكثوا أيضاً، واستعمل على سِجستان الربيع بن زياد الحارثيَّ، وكانوا أيضاً قد غدروا ونقضوا الصلح. وسار ابن عامر إلى نيسابور، وجعل على مقدَّمته الأحنف بن قيس، فأتى الطُّبَّسِين، وهما حصنان، وهما بابا خراسان، فصالحه أهلها، وسار إلى قوهستان فلقية أهلها، وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم، وقدم عليها ابن عامر، فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم^(١). وقيل: كان المتوجَّه إلى قوهستان أمير^(٢) بن أحمر اليشكريَّ، وهي بلاد بكر بن وائل؛ وبعث ابن عامر سريةً إلى رُستاق زام^(٣) من أعمال نيسابور، ففتحه عنوةً، وفتح باخرز من أعمال نيسابور أيضاً، وفتح جوين من أعمال نيسابور أيضاً^(٤).

ووجَّه ابنُ عامر الأسود بن كلثوم العدويَّ من عديِّ الرِّباب، وكان ناسكاً، إلى بيَّهق، من أعمالهما أيضاً، فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلثة كانت فيه، ودخلت معه طائفة من المسلمين، فأخذ العدوَّ عليهم تلك الثُّلثة، فقاتل الأسود حتى قُتل هو وطائفة ممَّن معه، وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم، فظفر وفتح بيَّهق، وكان الأسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطيور، فلم يواره أخوه، ودفن من استشهد من أصحابه. وفتح ابنُ عامر بُشت من نيسابور^(٥).

(وهذه بُشت: بالشين المعجمة، وليست بُشت التي بالسين المهملة، تلك من بلاد الداؤن، وهذه من خراسان من نيسابور).

وافتح خَواف وأسفرايين وأرغيان، ثم قصد نيسابور بعدما استولى على أعمالها وافتتحها، فحصر أهلها أشهراً، وكان على كلِّ ريع منها مَرزُبَان للفرس يحفظه، فطلب صاحب ريع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة، فأجيب إلى ذلك، فأدخلهم ليلاً ففتحوا الباب، وتحصَّن مرزبانها الأكبر في حصنها، ومعه جماعة، وطلب الأمان والصلح على جميع نيسابور، فصالحه على ألف ألف درهم، وولَّى نيسابور قيس بن الهيثم السُّلَميَّ، وسير جيشاً إلى نسا وأبوزرد، فافتحوها صلحاً؛ وسير سريةً

(١) فتوح البلدان ٤٩٩ رقم ٩٨٢.

(٢) في تاريخ الطبري «أمين».

(٣) في النسختين (س) و (ب) «رام»، وفي نسخة باريس «تارم».

(٤) تاريخ يعقوبي ١٦٧/٢.

(٥) فتوح البلدان ٤٩٩، ٥٠٠.

أخرى إلى سَرْخَس (مع عبد الله بن خازم السلمي)^(١)، فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الأمان والصلح على أمان مائة رجل، فأجيبوا إلى ذلك، فصالحهم مرزبانها على ذلك، وسمي مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله، ودخل سَرْخَس عنوة^(٢).

وأتى مرزبان طوس إلى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم؛ وسير جيشاً إلى هَرَاة عليهم عبد الله بن خازم، وقيل غيره، فبلغ مرزبان هَرَاة ذلك، فسار إلى ابن عامر فصالحه عن هَرَاة وبَادَغِيس وبُوشَنج^(٣). وقيل: بل سار ابن عامر في الجيش إلى هَرَاة، فقاتله أهلها، ثم صالحه مرزبانها على ألف ألف درهم، ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل إليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم، وقيل غير ذلك^(٤)؛ وأرسل ابن عامر جاتم بن النعمان الباهلي إلى مرزبانها، وكانت مرو كلها صلحاً إلا قرية منها يقال لها سِنَج، فإنها أخذت عنوة. (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم). ووجه ابن عامر الأحنف بن قيس إلى طَخَارِسْتَان، فمر برُستاق يُعرف برُستاق الأحنف، ويدعى سوانجرد^(٥)، فحصر أهلها، فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم، فقال الأحنف: أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه، ويقيم فيكم حتى ينصرف^(٦). فرضوا بذلك، ومضى الأحنف إلى مَرُو الرُود، فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم، وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن، فكتب إلى الأحنف: إنه دعاني إلى الصلح إسلام باذان^(٧)، فصالحه على ستمائة ألف^(٨)، وسير الأحنف سريةً، فاستولت على رُستاق بَغ^(٩) واستاقت منه مواشي، ثم صالحوا أهله^(١٠). وجمع له أهل طَخَارِسْتَان، فاجتمع أهل الجُوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير، فالتقوا واقتتلوا، وحمل ملك الصغانيان على الأحنف، فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً كيف شاؤوا، وعاد إلى مَرُو الرُود، ولحق بعض العدو بالجُوزجان، فوجه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في

(١) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٢) فتوح البلدان ٥٠٠، ٥٠١.

(٣) فتوح البلدان ٥٠١ وفيه كتاب الصلح.

(٤) أنظر فتوح البلدان ٥٠١، ٥٠٢، تاريخ يعقوبي ١٦٧/٢، الطبري ٣٠٢/٤، ٣٠٣.

(٥) في فتوح البلدان ٥٠٢ «شَقَّ الجُرْد».

(٦) في فتوح البلدان ٥٠٢ «أنصرف».

(٧) في فتوح البلدان «بإدام».

(٨) وقيل: ستين ألفاً. (فتوح البلدان).

(٩) في نسختي (ب) وباريس «سنج».

(١٠) فتوح البلدان ٥٠٢.

خيل وقال: يا بني تميم تحابوا وتبادلوا تعدلُ أموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم.

فسار الأقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة، ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان غنوة، فقال ابن الغريزة النهشلي:

سقى صوبُ السحاب إذا استهلَّتْ مصارعٌ^(١) فتيةً بالجوزجان
إلى القصرين من رُستاق خوتٍ^(٢) أقادهم هناك الأقرعان

وفتح الأحنف الطالِقان صلحاً، وفتح الفارياب، وقيل: بل فتحها أمير بن أحمر، ثم سار الأحنف إلى بلخ، وهي مدينة طخارستان، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، وقيل: سبعمئة ألف؛ واستعمل على بلخ أسيد بن المتشمس، ثم سار إلى خوارزم^(٣)، وهي على نهر جيحون، فلم يقدر عليها، فاستشار أصحابه، فقال له حُصين بن المنذر: قال عمرو بن معديكرب:

إذا لم تَسْتَطِعْ أمراً فدَعْه وجاوزهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ

فعاد إلى بلخ وقد قبض أسيد صلحها، ووافق وهو يجيهم المهرجان، فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأواني وثياب وغير ذلك^(٤)، فقال لهم: ما صالحناهم على هذا! فقالوا: لا، ولكن هذا شيء نفعله في هذا اليوم بأمرائنا. فقال: ما أدري ما هذا ولعله من حقي، ولكن أقبضه حتى أنظر، فقبضه حتى قدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا ما قالوا لأسيد، فحملة إلى ابن عامر وأخبره عنه، فقال: خذه يا أبا بحر. قال: لا حاجة لي فيه. فأخذه ابن عامر. قال الحسن البصري: فضمه القرشي، وكان مضماً.

ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس: ما فُتِح لأحد ما فُتِح عليك، فارس وكرمان وسجستان وخراسان. فقال: لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك، أن أخرج مُحَرِّماً من موقفي هذا. فأحرم بعمرة من نيسابور^(٥)، وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم، فسار قيس بعد شخوصه في أرض طخارستان، فلم يأت بلداً

(١) في نسخة باريس «م صالح».

(٢) في النسخة (ب) «خوف»، وفي فتوح البلدان «خوف».

(٣) في فتوح البلدان «خارزم».

(٤) فتوح البلدان ٥٠٣، ٥٠٤.

(٥) تاريخ خليفة ١٦٦، فتوح البلدان ٥٠٤ رقم ٩٨٨، تاريخ الإسلام ٣/٣٦٤، البدء والتاريخ ١٩٨/٥.

منها إلا صالحه أهله وأذعنوا له، حتى أتى سِمْجَان فامتنعوا عليه، فحصرهم حتى فتحها عَنوة.

(أُسَيد: بفتح الهمزة وكسر السين. وحُضَيْن بن المنذر: بالضاد المعجمة).

ذكر فتح كَرْمَان

لما سار ابن عامر عن كَرْمَان إلى خُرَاسَان واستعمل مجاشعَ بن مسعود السُّلَمي على كَرْمَان، على ما ذكرناه قبل، أمره أن يفتحها، وكان أهلها قد نكثوا وغدروا، ففتح هَمِيد عَنوةً واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً، وبنى بها قصراً يُعرف بقصر مجاشع، وأتى السَّيرجَان، وهي مدينة كَرْمَان، فأقام عليها أياماً يسيرة وأهلها متحصِّنون، فقاتلهم وفتحها عَنوةً، فجلا كثير من أهلها عنها، وفتح جِيرْفَت عَنوةً، وسار في كَرْمَان فدَوَّخ أهلها، وأتى القُفص وقد تجمَّع له خلق كثير من الأعاجم الذين جلوا، فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم، وهرب كثير من أهل كَرْمَان فركبوا البحر، ولحق بعضهم بمُكرَان وبعضهم بسِجِسْتَان، فاقطعت العرب منازلهم وأراضيتهم فعمروها، واحترفوا لها القني في مواضع منها، وأدوا العشر منها^(١).

ذكر فتح سِجِسْتَان وكابل وغيرهما

قد تقدَّم ذكر فتح سِجِسْتَان أيامَ عمر بن الخطَّاب، ثم إنَّ أهلها نقضوا بعده. فلمَّا توجَّه ابن عامر إلى خُرَاسَان سَيرَ إليها من كَرْمَان الربيعَ بن زياد الحارثي، فقطع المفازة حتى أتى حصن زَالِق، فأغار على أهله يومَ مهرجان وأخذ الدَّهْقَان، فافتدى نفسه بأن غرز عَنزةً وغمرها ذهباً وفضَّةً، وصالحه على صلح فارس. ثمَّ أتى بلدةً يقال لها كَرْكُوبَة، فصالحه أهلها، وسار إلى زَرْنج فنزل على مدينة رُوشْت بقرب زَرْنج، فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين. ثمَّ انهزم المشركون وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأتى الربيعُ ناشِروذ ففتحها، ثمَّ أتى شَرواذ فغلب عليها، وسار منها إلى زَرْنج فنالها وقاتله أهلها، فهزمهم وحصرهم، فأرسل إليه مرزُبَانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه، وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتكأ على آخر، وأمر أصحابه ففعلوا مثله، فلمَّا رآهم المرزُبَان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كلِّ وصيف جامٍ من ذهب، ودخل المسلمون المدينة. ثمَّ سار منها إلى سَناروذ، وهي واد، فعبره وأتى القرية التي بها

(١) فتوح البلدان ٤٨٢.

مربط فرس رُستم الشديد، فقاتله أهلها، فظفر بهم ثم عاد إلى زرنج وأقام بها نحو سنة^(١)؛ وعاد إلى ابن عامر، واستخلف عليها عاملاً، فأخرج أهلها العامل وامتنعوا.

فكانت ولاية الربيع سنة^(٢) ونصفاً. وسبى فيها أربعين ألف رأس. وكان كاتبه الحسن البصري. فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سُمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان، فسار إليها فحصر زرنج، فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف. وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند، وغلب من ناحية الرُخج على ما بينه وبين الداور^(٣). فلما انتهى إلى بلد الداور^(٣) حصرهم في جبل الزور^(٤)، ثم صالحهم ودخل على الزور^(٤)، وهو صنم من ذهب، عيناه ياقوتتان، فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع. وفتح كابل وزابلستان، وهي ولاية غزنة^(٥)، ثم عاد إلى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان، فاستخلف عليها أمير بن أحمر اليشكري وانصرف، فأخرج أهلها أمير بن أحمر وامتنعوا. ولأمير يقول زياد بن^(٦) الأعجم:

لولا أُميرُ هلكَتِ يَشْكُرُ ويشْكُرُ هلكى على كلِّ حال^(٧)

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عثمان.^(٨)

[الوفيات]

وفيها مات أبو الدرداء^(٩) الأنصاري، وهو بذري، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين: وفيها

(١) في فتوح البلدان ٤٨٥ «فأقام بها ستين».

(٢) في فتوح البلدان «ستين ونصفاً».

(٣) في طبعة صادر ١٢٩/٣ «الداور»، وهو غلط، والتصحيح من فتوح البلدان ٤٨٦ ومعجم البلدان ٤٣٤/٢ قال ياقوت: وأهل تلك الناحية يسمونها زَمِنْدَاور ومعناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رُخج وبُست والغور. وقال الإصطخري: الداور اسم إقليم خصيب وهو ثغر الغور من ناحية سجستان ومدينة الداورتل ودرغور.

(٤) في طبعة صادر ١٢٩/٣ «الزور»، والصحيح من معجم البلدان ١٥٧/٣ حيث قال: والزور صنم كان في بلاد الداور من أرض السند من ذهب مرصع بالجواهر.

وقد حُرف في نسخة باريس إلى «الرو»، وفي نسخة المتحف البريطاني إلى «الروذ».

(٥) في نسختي باريس و(ب) زيادة «بعهد».

(٦) «بن» ساقطة من (س) وفتوح البلدان.

(٧) الخبر بطوله في فتوح البلدان ٤٨٤ - ٤٨٦.

(٨) تاريخ الطبري ٣٠٣/٤.

(٩) أنظر عن أبي الدرداء في: المغازي للواقدي ٢٥٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧، والتاريخ لابن معين =

مات أبو طلحة الأنصاري^(١)، وهو بذري، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين^(٢)، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

= ٧٠٣/٢، وطبقات خليفة ٩٥ و٣٠٣، والزهد لأحمد بن حنبل ١٦٧ - ١٧٨، ومقدمة مُسنَد بقي بن مخلد ٢١، ومسنَد أحمد ١٩٤/٥ و٤٤٠/٦ و٤٤٥، وأنساب الأشراف ٢٧١/١ و٤٤٨، وفتوح البلدان ١٤٤ و١٦٦ و١٦٧ و١٨٢، وتاريخ أبي زرعة ١٩٨/١ - ٢٠٠ و٦٤٧ - ٦٤٩، والمعرفة والتاريخ ٣٢٧/٢ - ٣٣٠، والخراج وصناعة الكتابة ٢٩١ و٣٠٠، والمعارف ٢٥٩ و٢٦٨، والمحبر لابن حبيب ٧٥ و٢٨٦ و٣٩٧، وعمون الأخبار (راجع فهرس الأعلام ١٨٥/٤)، وتاريخ الطبري ٣٩٧/٣ و٢٥٨/٤ و٢٦٢ و٢٨٣ و٤٢١ و٨٩/٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢٧/١ و٦٩، والعقد الفريد (راجع فهرس الأعلام ٩٢/٧)، والاستيعاب ٥٩/٤، ٦٠، والتاريخ الكبير ٧٦/٧ رقم ٣٤٨، والجرح والتعديل ٢٦/٧ - ٢٨ رقم ١٤٦، وحلية الأولياء ٢٠٨/١ - ٢٢٧ رقم ٣٥، وطبقات ابن سعد ٣٩١/٧ - ٣٩٣، والمستدرك ٣٣٦/٣، والاستبصار ١٢٥ و١٢٧، ومشاهير علماء الأمصار ٥٠ رقم ٣٢٢، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٢، والزهد لابن المبارك (أنظر فهرس الأعلام - ص ٤)، وفتوح الشام للأزدي ٢٧٥، ٢٧٥، والزاهر للأنباري ٦٩/٢ و٣٣٢، وتهذيب الكمال ١٠٦٨/٢، وتحفة الأشراف ٢١٨/٨ - ٢٤٧ رقم ٤٢٦، والتذكرة الحمدونية ١٣٠/١ و١٣٩ و١٤٥ و١٨٧، ولباب الآداب ١٦ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٨ و٣٠٠ و٣٠٣ و٣١٧ و٣٣١، وصفة الصفوة ١٢٧/١ - ٦٤٣ رقم ٧٧، والزيارات للهروي ٩ و١٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٢٨/٢، ٢٢٩ رقم ٣٤٠، والعبر ١/٣٣، وتذكرة الحفاظ ٢٤/١، ٢٥ رقم ١١، والكاشف ٣٠٨/٢ رقم ٤٣٩١، والمعين في طبقات المحدثين ٢٥ رقم ١٠١، ودول الإسلام ٢٥/١، وتاريخ الإسلام ٣٩٨/٣ - ٤٠٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣٥/٢ - ٣٥٣ رقم ٦٨، ومعرفة القراء الكبار ٤٠/١ - ٤٢ رقم ٧، والثقات لابن حبان ٢٨٥/٣، ٢٨٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٤٧، وتلخيص المستدرك ٣٣٦/٣، ٣٣٧، ومروءة الجنان ٨٨/١، ومجمع الزوائد ٢٦٧/٩، وغاية النهاية ١٢٦/١، ٦٠٧، وشفاء الغرام ١٢٦/١ و١٢٨ و١٢٩، والإصابة ٤٥/٣، ٤٦ رقم ٦١١٧، والنكت الظراف ٢١٩/٨، ٢٤٠، وتهذيب التهذيب ١٧٥/٨ - ١٧٧ رقم ٣١٥، وتقريب التهذيب ٩١/٢ رقم ٨٠٦، والنجوم الزاهرة ٨٩/١، وحسن المحاضرة ٢٤٤/١، ٢٤٥، وطبقات الحفاظ ٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٩٨، ٢٩٩، وكنز العمال ١٣/٥٥٠ - ٥٥٣، وشذرات الذهب ٣٩/١، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ١/١٨٥).

(١) أنظر عن أبي طلحة في: مسند أحمد ٢٨/٤، ٣١، وطبقات ابن سعد ٥٠٤/٣ - ٥٠٧، والمغازي للواقدي ١٦٣ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٦٤ و٢٩٦ و٧٢١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٠ و٢٦٧ و٣٥٠، وتاريخ خليفة ١٦٦، وطبقات خليفة ٨٨، والزهد لابن المبارك ١٨٥، ومقدمة مُسنَد بقي بن مخلد ٨٩ رقم ١٠٦، وأتاريخ لابن معين ١٨٣/٢، وأنساب الأشراف ٢٤٢/١، ٢٧١، ق ٤ ج ١/٥٠٤ و٥٠٦ و٥٠٧، والمعرفة والتاريخ ٣٠٠/١، والمعارف ١٦٦ و٣٠٨، وتاريخ أبي زرعة ٤٧٦/١ و٥٦٢، وتاريخ الطبري ٦١٩/٢ و١٢٤/٣ و١٨١ و٢١٣ و١٩٢/٤ و٢٣٠ و٣٠٨، والكنى والأسماء للدولابي ٤٠/١، والاستيعاب ١١٣/٤ - ١١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٥ رقم ٤٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٤٧، والمحبر لابن حبيب ٧٣، وأنساب الأشراف ١٨/٥ و٢٠ و٢١، والبدء والتاريخ ١١٦/٥، ١١٧، والعقد الفريد ٢٧٥/٤، ٢٧٦، والمستدرك ٣٥١/٣ - ٣٥٤، والمعجم الكبير ٩١/٥ - ١١١ رقم ٤٨٠، والاستبصار ٥٠، والأسامي والكنى للحاكم ١ (ورقة ٢٩٣، ٢٩٤)، وأسد الغابة ٢/٢٨٩، وجامع الأصول ٧٣/٩ - ٧٧، ولباب الآداب ١٧٥ و٣٠٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١/٢ ج ١/٢٤٥، ٢٤٦، رقم =

وفيهما مات أبو أسيد الساعدي^(١)، وقيل: مات سنة ستين، وهو على هذا القول آخر من مات من البذريين.

(أسيد: بضم الهمزة).

وفيهما مات أبو سفيان بن الحارث^(٢) بن عبد المطلّب بن هاشم، (وأخوه

٣٦٩، وتهذيب الكمال ٤٥٧/١، والمعين في طبقات المحدثين ٢١ رقم ٤٤، وتلخيص المستدرک ٣٥١/٣ - ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٧/٢ - ٣٤ رقم ٥، والعبر ١/٣٥، وتاريخ الإسلام ٣/٤٢٥ - ٤٢٧، ومجمع الزوائد ٩/٣١٢، ومرآة الجنان ١/٨٩، والوفيات لابن قنفذ ٦٥ رقم ٥١، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/١٢ - ١٥، والوفائي بالوفيات ٣١/١٥، ٣٢ رقم ٣٤، والإصابة ١/٥٦٦، ٥٦٧ رقم ٢٩٠٥، وتهذيب التهذيب ٣/٤١٤، ٤١٥، وتقريب التهذيب ١/٢٧٥ رقم ١٨٤، والنكت الظرف ٣/٢٤٦، ٢٤٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٢٨، وشذرات الذهب ١/٤٠).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (س).

(١) أنظر عن أبي أسيد في: المغازي للواقدي ٧٦ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٦٨ و ٢٧٤ و ٢٩٥ و ٤٢٦ و ٨٠٠ و ٨٧٧ و ٨٩٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، وطبقات ابن سعد ٣/٥٥٧، ٥٥٨، وتاريخ خليفة ١٦٦، وطبقات خليفة ٩٧، والمحبر لابن حبيب ٩٥ و ٢٩٨، والتاريخ لابن معين ٢/٥٤٧، والبرصان والعرجان ٣٦٢، وترتيب الثقات للعجلي ٤٨٩ رقم ١٨٩٣، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٩ رقم ١٠٠، والمعارف ٢٧٢ و ٥٨٨، ومسند أحمد ٣/٤٩٦ - ٤٩٨، والمعرفة والتاريخ ١/٣٤٤ و ٤٤٢ و ٤٦٧/٢ و ٣/٢٥، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٩١، وتاريخ الطبري ٣/١٦٧ و ٤/٣٣٧ و ٣/٣٥٩، وأنساب الأشراف ٤ ج ٤٤٩/١ و ٥٥١ و ٥٨٥ و ٥٨٩ و ٦٠/٥، ٦١ ومشاهير علماء الأمصار ٢٢ رقم ٩٤، والمستدرک ٣/٥١٥، ٥١٦، والاستبصار ١٠٦، والاستيعاب ٤/٨، ٩، والعقد الفريد ٢/٤٠٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٦، وأسد الغابة ٤/٢٧٩ و ٥/١٣٧، وتحفة الأشراف ٨/٣٤٠ - ٣٤٥ رقم ٤٧٦، وتهذيب الكمال ٣/١٢٩٨، والمعين في طبقات المحدثين ٢٦ رقم ١١٦، والكاشف ٣/١٠٠ رقم ٥٣٤٣، وتلخيص المستدرک ٣/٥١٥، ٥١٦، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٣٨ - ٥٤٠ رقم ١١٠، والعبر ١/٤٦٦، وتاريخ الإسلام ٣/٦٥٥ - ٦٥٧، ومرآة الجنان ١/١٠٧، وتهذيب التهذيب ١٠/١٥، ١٦ رقم ٦٦، وتقريب التهذيب ٢/٣٩٢ رقم ٦٠، والنكت الظرف ٨/٣٤٠ - ٣٤٣، والإصابة ٣/٣٤٤ رقم ٧٦٢٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٧، والكنى والأسماء للدولابي ١/١١٥، والأسامي والكنى للحاكم (مخطوط) الورقة ٥٢.

(٢) أنظر عن أبي سفيان بن الحارث في: المغازي للواقدي ٣٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٥٠ و ٢٦٧، وطبقات ابن سعد ٤/٤٩ - ٥٤، وطبقات خليفة ٦، وتاريخ خليفة ٧٠ و ٨٤، والتاريخ لابن معين ٢/٧٠٧، والمحبر ٤٦ و ٦٤ و ١٧٧ و ٤٣٩ و ٤٧٣، والمعارف ١٢٦ و ١٦٤ و ٥٨٧، وتاريخ أبي زرعة ١/٦٤٥، وفتوح البلدان ٢٠، والمعرفة والتاريخ ١/٣٢٧ و ٢/٦٢٩، و٣/٢٦١، وتاريخ الطبري ٢/٤٦٢ و ٣/٥٠ و ٧٤ و ٧٥ و ٦٢٢/٧، ومشاهير علماء ٢٢ رقم ٩١، والاستيعاب ٤/٨٣ - ٨٥، والمستدرک ٣/٢٥٤ - ٢٥٧، والزيارات للهروي ٩٤، وأسد الغابة ٥/٣١٥، وصفة الصفوة ١/٥١٩ - ٥٢١ رقم ٥٧، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ٢/٢٣٩ رقم ٣٥٧، والعبر ١/٢٤، وتاريخ الإسلام ٣/٢١٧ - ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١/٢٠٢ - ٢٠٥ رقم ٣٢، وتلخيص المستدرک ٣/٢٥٤ - ٢٥٦، ومرآة الجنان ١/٧٦، والبداية والنهاية ٧/١٠٣، ١٠٤، ومجمع الزوائد ٩/٢٧٤، والعقد الثمين ٧/٢٥٣، والإصابة ٤/٩٠، ٩١ رقم ٥٣٨.

الطفيل^(١) (٢). (وأبو سفيان بن حرب^(٣) بن أمية، وهو ابن ثمان وثمانين سنة)^(٤).

- (١) أنظر عن الطفيل في: السير والمغازي ٢٥٨، والمغازي للواقدي ٢٤ و١٥٣، وطبقات ابن سعد ٥٢/٣، ونسب قريش ٩٣ و٩٥، وطبقات خليفة ١١٥ و١٣٨، والمحرر ٧١ و٨٣ و١٠٨ و٤٥٩، وتاريخ الطبري ٥٤٥/٢ و١٦٧/٣، وأنساب الأشراف ٢٨٩/١ و٣٠٨ و٤٢٩ و٤٤٧، وحذف من نسب قريش ١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٢، والاستيعاب ٢٢٨/٢، والجرح والتعديل ٤٨٨/٤، ٤٨٩ رقم ٢١٤٧، وتاريخ الإسلام ٣٣٤ و٣٧١، وأسد الغابة ٥٢/٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوفاي بالوفيات ٤٥٨/١٦، ٤٥٩ رقم ٤٩٥، والعقد الثمين ٦٦/٥، والإصابة ٢٢٤/٢ رقم ٤٢٤٧، وتعجيل المنفعة ١٩٧، ١٩٨ رقم ٤٨٨.
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
- (٣) أنظر عن أبي سفيان بن حرب في: السير والمغازي لابن إسحاق ١١٨ و١٤٤ و١٨٩ و١٩٠ و١٩٧ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٢ و٣٢٣ و٣٣٢ و٣٣٤، والمغازي للواقدي (انظر فهرس الأعلام ١١٧٨/٣)، وتهذيب سيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام ٣٧٨)، وفتوح الشام للأزدي ٢١٩، ٢٢٠، والأخبار الموقّعات للزبير بن بكار ٣٣٣ و٣٨٨ و٥٧٧ و٥٧٨ و٥٨٤، ونسب قريش لمصعب ١٢١ و١٢٢ و١٢٦، ١٢٧ و١٥٣ و٢٤٤ و٣٢٣، وحذف من نسب قريش ٣٠، والمحرر لابن حبيب ٨٩ و١١١ و١١٢ و١١٩ و١٢٦ و١٣٢ و١٦١ و١٧٥ و٢٤٦ و٢٦١ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٩٦ و٣٠٢ و٣١٥ و٣٣٨ و٤١٠ و٤٣٤ و٤٣٧ و٤٤٩ و٤٧٣، والبرصان والعرجان للجاحظ ٥٣ و٧٨ و١٠٢ و٢٦٢، ومقدمة مُسنَد بقي بن مخلد ١٤١ رقم ٦٧٠، والمعرفة والتاريخ ١٦٧/٣، وتاريخ أبي زرعة ٢١٨/١ و٥٩٣، والتاريخ لابن معين ٢٦٨/٢، وطبقات خليفة ١٠، وتاريخ خليفة ١٦٦، والتاريخ الكبير ٣١٠/٤ رقم ٢٩٤٢، والمعارف ٣ و٧٤ و١٢٥ و٣٤٤ و٥٥٣ و٥٧٥ و٥٨٦ و٥٨٨، وعيون الأخبار ٨٣/١ و١٠١/٤، وتاريخ اليعقوبي ١٦٩/٢، والجرح والتعديل ٤٢٦/٤ رقم ١٨٦٩، وفتوح البلدان ٤٢ و٤٣ و٤٥ و٦٦ و٧١ و٧٨ و٨٣ و١٢٣ و١٥٣ و١٦٠، وأنساب الأشراف ١٩/٣ و٢١، ٤ ق ج ٤/١ - ١٤ و١٣٦ - ١٣٩، ٢/٥ و٩١، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ٢٦٨/١٠)، والكنى والأسماء للدولابي ٣٣/١، والزاهر للأنباري ٢٩٣/١، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٦٩، والمعجم الكبير للطبراني ٥/٨ - ٢٨ رقم ٧١١، والعقد الفريد (راجع فهرس الأعلام ٩٣/٧)، والاستيعاب ٨٥/٤ - ٨٨، والبدء والتاريخ للمقدسي ١٠٧/٥، ١٠٨، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ٢٥٥/١)، وثمار القلوب للشمالي ١٢٠، ١٢١، ٣٩٥ و٥١٩ و٦٧٠، وأمالى المرتضى ٢٧٦/١، وجمهرة أنساب العرب ٧٠ و٨٠ و١١١ و٢٧٤ و٣٨٦ و٤٢٩، والخراج لقدامة ٢٦٢ - ٢٦٥ و٢٦٩ و٢٧٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٣٩٠/٦ - ٤٠٩، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ٣٤٤ و٣٥٠ و٣٥١ و٣٩٩ و٣٩٣، وأسد الغابة ٢١٦/٥، ووفيات الأعيان ٢٥٥/٢ و٢٦٦ و٣٦٤ و٣٤٨/٦ و٣٥٠ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٨ - ٣٦١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢، ٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٣٥٨، وتحفة الأشراف ١٥٧/٤ - ١٥٩ رقم ٢٣٣، ونهاية الأرب ٤٤٩/١٩، والمعين في طبقات المحدثين ٢٨ رقم ١٤٦، والكاشف ٢٤/٢ رقم ٢٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٠٥/٢ - ١٠٧ رقم ١٣، والعبر ٣١/١، وتجريد أسماء الصحابة ١٦/٢، وتاريخ الإسلام ٣٦٨/٣ - ٣٧٠ و٤٢٥، ودول الإسلام ٢٥/١، ومراة الجنان ٨٤/١، ٨٥، والوفاي بالوفيات ٢٨٤/١٦ - ٢٨٦ رقم ٣١٤، ونكت الهميان ١٧٢، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٢٤/١، والوفيات لابن قنفذ ٥٣، وشفاء الغرام - بتحقيقنا - (أنظر فهرس الأعلام ٥١٠/٢)، والعقد الثمين ٣٢/٥، والنكت الظرف ١٥٨/٤، وتهذيب التهذيب ٤١١/٤، ٤١٢ رقم ٧٠٨، وتقريب التهذيب ٣٦٥/١ رقم ٧٥، والإصابة =

.....

= ١٧٨/٢ - ١٨٠ رقم ٤٠٤٦ ، وأمالي القالي ٢٢٢/١ و ١٠٥/٢ ، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٧٢ ، وكنز العمال ٦١٢/١٣ ، وشذرات الذهب ٣٠/١ و ٣٧ .
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب) .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

(قيل: في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظ، وقيل فاخنة^(١))^(٢).

ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين.

وسببه أن الغزوات لما تتابعت عليهم تداموا وقالوا: كنا [أمة] لا يُقرن^(٣) بنا أحد، حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها. فقال بعضهم: إن هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم أحد في غزوهم. وقد كان المسلمون غزّوهم قبل ذلك فلم يُقتل منهم أحد، فلهذا ظنوا أنهم لا يموتون. فقال بعضهم: أفلا تجربون؟ فكمنوا لهم في الغياض، فمرّ بالكمين نفرٌ من الجند فرموهم منها فقتلوهم، فتواعد رؤوسهم إلى حربهم ثم اتعدوا يوماً. وكان عثمان قد كتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إن الرعية قد أبطرها البطنة، فلا تقتحم بالمسلمين فإني أخشى أن يُقتلوا. فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده، فغزا نحو بلنجر^(٤)، وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وقتل عبد الرحمن، وكان يقال له ذو النور^(٥)، وهو اسم سيفه، فأخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به، فلما قُتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين: فرقة نحو الباب، فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن، كان قد سيره سعيد بن العاص مدداً

(١) تاريخ الطبري ٣٠٤/٤، وتاريخ اليعقوبي ١٦٩/٢، وتاريخ خليفة ١٦٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٩، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣٧١/٣، ودول الإسلام ٢٤/١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) في نسخة (ب) «يقوم»، وفي نسخة باريس «يقر».

(٤) بلنجر: بفتح الحاء: وسكون النون. مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب (١/٤٨٩).

(٥) في الطبعة الأوربية «ذو النون».

للمسلمين بأمر عثمان، فلمّا لقوه نجّوا معه، وفرقة نحو جيلان وجرجان، فيهم سلمان
 الفارسي وأبو هريرة، وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي، وعلقمة بن قيس،
 ومِعْضَدُ الشيباني، وأبو مفرز التميمي في خباء واحد، وعمرو بن عُتْبة، وخالد بن ربيعة،
 والحلحال^(١) بن ذري والقرْثَع^(٢) في خباء، فكانوا متجاورين في ذلك العسكر، وكان
 القرثع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب! وكان عمرو بن عُتْبة يقول لقباء عليه: ما
 أحسن حُمرة الدماء على بياضك!

ورأى يزيد بن معاوية أنّ غزاه جيء به لم يُرَ أحسن منه فُلُفَ في ملحفة، ثم دُفِنَ
 في قبرٍ لم يُرَ أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود، فلمّا استيقظ واقتل الناس رُمي بحجر فهشم
 رأسه فمات، فكانما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطّيح، فدُفِنَ في قبرٍ على الصورة التي
 رأى.

وقال مِعْضَدُ لَعَلْقَمَة: أعزني بُردك أعصب به رأسي، ففعل، فأتى برج بَلَنْجَر الذي
 أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم، وأتاه حجر عرّادة ففضخ هامته، فأخذه أصحابه فدفنوه
 إلى جنب يزيد، وأخذ علقمة البُرْد، فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه، وكان يشهد فيه
 الجمعة ويقول: يحملني على هذا أنّ دم مِعْضَدٍ فيه. وأصاب عمرو بن عُتْبة جراحة فرأى
 قبّاه كما انتهى ثم قُتِل. وأمّا القرثع فإنه قاتل حتى خُرق بالحراّب، فبلغ الخبر بذلك
 عثمان فقال: إنا لله، انتكث^(٣) أهل الكوفة، اللهم تب عليهم وأقبل بهم!^(٤).

وكان عثمان قد كتب إلى سعيد بن العاص أن يُنفذ سلمان إلى الباب للغزو، فسيّره
 فلقي المهزومين، على ما تقدّم، فنجاهم الله به. فلمّا أصيب عبد الرحمن استعمل
 سعيد سلمان بن ربيعة على الباب، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حُذيفة بن اليمان،
 وأمّدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مَسْلَمَة، فتأمّر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى
 قال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان. فقال الكوفيون: إذن والله نضرب حبيباً
 ونحبسه، وإن أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم؛ وقال أوس بن مغراء في ذلك:

إن تضربوا سلماناً نضرب حبيبكم وإن ترخلوا نحو ابن عفان نرحل
 وإن تُقسطوا فالثغرُ ثغرُ أميرنا وهذا أميرُ في الكتائب مُقبل

(١) في نسختي باريس و(ب) «الخلخال».

(٢) في (ب) «القرع».

(٣) في نسخة باريس «ينتكث» وفي نسختي (ب) والمتحف البريطاني «اسكت»، وفي الحاشية «اينكب».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٠٤ - ٣٠٦.

ونحنُ ولاهُ الأمرِ^(١) كُنَّا حُمَاتِهِ لِيَالِي نَرْمِي كُلَّ ثَغِيرٍ وَنَعْكِلُ^(٢)

وأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فكان ذلك أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام. وغزا حذيفة ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيهم^(٣) مقتل عثمان، فقال حذيفة بن اليمان: اللهم العن قَتْلَتَهُ وشَتَامَتَهُ! اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، فاتخذوا ذلك سُلْماً إلى الفتنة! اللهم لا تُمتهم إلا بالسيوف!^(٤)

ذكر وفاة أبي ذرٍّ

وفيها مات أبو ذرٍّ^(٥)، وكان قد قال لابنته: استشرفي يا بنية هل ترين أحداً؟ قالت:

- (١) في تاريخ الطبري: «الثغر».
- (٢) في تاريخ الطبري: «نُكِل».
- (٣) في النسخة (ب): «وأغمهم».
- (٤) تاريخ الطبري ٣٠٧/٤.
- (٥) أنظر عن أبي ذر في: السير والمغازي لابن إسحاق ١٣٨ و١٤١، والمغازي للواقدي ٥٣٨ و٥٣٩ و٥٤٨ و٥٧١ و٦٣٧ و٨١٩ و٨٤٩ و٨٥٠ و٨٩٦ و١٠٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧ و١٨٤ و٢٩١، والتاريخ لابن معين ٧٠٤/٢، وطبقات خليفة ٣١، وتاريخ خليفة ١٦٦، ومسند أحمد ١٤٤/٥، وطبقات ابن سعد ٢١٩/٤ - ٢٣٧، والتاريخ الكبير ٢٢١/٢ رقم ٢٢٦٥، والزهد لابن حنبل ١٨٢ - ١٨٥، والبرصان والعرجان للجاحظ ٦٥، والأخبار الموقّيات ٤١، والمحبر لابن حبيب ١٣٩ و٢٣٧، والمعارف ٢ و٦٧ و١٥٢ و١٩٥ و٢٥٢ و٢٥٣، وعيون الأخبار ١٥٤/١ و٢١١ و٣٥٦/٢ و١٥٨/٣ و١٨٠، وأنساب الأشراف ٢٧٢/١ و٣٥٣ و٣٦٢ وق ٤ ج ١/٥١٢ و٥١٣ و٥٤١ و٥٤٦ و٥٥٧ و٢٦/٥ و٥٢ - ٥٦ و٥٧ و٦٨، وتاريخ الطبري ٢٨٣/٤، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٣٣، والجرح والتعديل ٥١٠/٢ رقم ٢١٠١، والزاهر للأنباري ٤٤٥/١، وثمار القلوب ٤ و٨٥ و٨٧ و١٤٥، والخراج وصناعة الكتابة ٢٣٥، والمعرفة والتاريخ (أنظر فهرس الأعلام ٥٢٤/٣)، وحلية الأولياء ١٥٦/١ - ١٧٠ رقم ٢٦، وأمالي المرتضى ٣٩٦/٢، والكنى والأسماء للدولابي ٢٨/١، والعقد الفريد ٢٢٨/١ و٢٧٦/٢ و١٥٧/٤ و٢٨٣ و٢٨٧ و٢٨٩ و٣٠٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٤٧/٢ - ١٥٨ رقم ١٨٢، ربيع الأبرار للزمخشري ٧ و١٢٤ و١٣٥ و١٧٩ و٢٢٦ و٣٧٠ و٣٨١، ومشاهير علماء الأمصار ١١، ١٢ رقم ٢٨، الزهد لابن المبارك ١٥ و٢١ و٨٨ و١٠٨ و١٩٥ و٢٠٨ و٢٢٨ و٤٢٦ و٤٤٠، وجمهرة أنساب العرب ١٨٦، ومقدمة مُسْنَد بَقِيّ بن مَخْلَد ٨١ رقم ١٥، والمستدرک ٣٣٧/٣ - ٣٤٦، والاستبصار ١٢٥، والاستيعاب ٢١٣/١ - ٢١٧، وأسد الغابة ٣٠١/١ - ٣٠٣ و١٨٦/٥ - ١٨٨، وجامع الأصول ٥٠/٩ - ٥٩، والبدء والتاريخ ٩٣/٥ - ٩٥، ولباب الآداب ٢٦٠ و٢٧١ و٣٠٥، والزيارات للهروي ٩ و٨٤، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١/٢٢٩، ٢٣٠ رقم ٣٤١، وصفة الصفوة ١/٥٨٤ - ٦٠٠ رقم ٦٤، وتهذيب الكمال ١٦٠٢/٣، وتحفة الأشراف ١٥٤/٩ - ١٩٨ رقم ٦١٦، والكاشف ٢٩٣/٣ رقم ١٤٦، والمعين في طبقات المحدثين ٢٠ رقم ٢٦، ودول الإسلام ٢٧/١، وتذكرة الحفاظ ١٧/١ - ١٩ رقم ٧، وتاريخ الإسلام ٤٠٥/٣ - ٤١٣، وسير أعلام النبلاء ٤٦/٢ - ٧٨ رقم ١٠، والعبر ٣٣/١، وتلخيص =

لا. قال: فما جاءت ساعتي بعدُ. ثم أمرها فذبحت شاةً ثم طبختها ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فإنه سيشهدني قوم صالحون فقول لي لهم: يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا. فلما نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحداً؟ قالت: نعم هؤلاء ركب. قال: استقبلي بي الكعبة، ففعلت. فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ، ثم مات، فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت: رحمكم الله، اشهدوا أبا ذر. قالوا: وأين هو؟ فأشارت إليه، قالوا: نعم ونعمة عين! لقد أكرمنا الله بذلك. وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال: صدق رسول الله ﷺ، يموت وحده ويُبعث وحده^(١). فغسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه. وقالت لهم ابنته: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام، وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا؛ ففعلوا وحملوا أهله معهم حتى أقدموهم مكة ونعوه إلى عثمان، فضمّ ابنته إلى عياله وقال: يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الرُبذة^(٢).

ولما حضروا شُموا من الخباء ريح مسك، فسألوها عنه فقالت: إنه لما حضر قال: إن الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون، فدوفي لهم مسكاً بماء ورُشي به الخباء.

وكان نفر الذين شهدوه: ابن مسعود، وأبا مفرز^(٣) وبكر بن عبد الله التميميّ، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، (ومالك الأشتر^(٤) النخعيّ، والحلحال^(٥) الضبيّ، والحرث بن سويد التميميّ، وعمرو بن عُتبة السلميّ، وابن ربيعة السلميّ، وأبا رافع المُرّني، وسويد بن شعبة التميميّ، وزباد بن معاوية النخعيّ، وأخا القرّث الضبيّ، وأخا معضد الشيباني^(٦)). وقيل: كان موته سنة إحدى وثلاثين.

= المستدرك ٣/٣٣٧ - ٣٤٦، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٧، والوفيات لابن قنفذ ٥١ رقم ٣١، والوفيات بالوفيات ١١/١٩٣ رقم ٢٨٥، والإكمال ٣/٣٣٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٧٥، وطبقات المعتزلة ٩، ومروءة الجنان ١/٨٨، والأسامي والكنى للحاكم ١ (ورقة ١٨٨)، وتهذيب التهذيب ١٢/٩٠، ٩١ رقم ٤٠١، وتقريب التهذيب ٢/٤٢٠ رقم ٢، والإصابة ٤/٦٢ - ٦٤ رقم ٣٨٤، والنكت الظراف ٩/١٥٥ - ١٩٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩، وكنز العمال ١٣/٣١١، والنجوم الزاهرة ١/٨٩، وحسن المحاضرة ١/٢٤٥ و ٣٤٥، وشذرات الذهب ١/٢٤ و ٥٦ و ٦٣، والبداية والنهاية ٧/١٦٤، ١٦٥، وتاريخ يعقوبي ٢/١٧١ - ١٧٣.

- (١) سير أعلام النبلاء ٢/٥٧، الإصابة ٤/٦٣، أسد الغابة ٥/١٨٨.
- (٢) تاريخ الطبري ٤/٣٠٨، ٣٠٩، تاريخ يعقوبي ٢/١٧٣.
- (٣) في تاريخ الطبري ٤/٣٠٩ «أبو مفرز». وهو تحريف، وما أثبتناه يتفق مع الإصابة ٤/١٩١ رقم ١١٢١.
- (٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (ب).
- (٥) في نسختي (ب) وباريس «الخلخال».
- (٦) تاريخ الطبري ٤/٣٠٩.

وقيل: إن ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذر معه إنما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فأعلمه بموته، فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه.

ذكر خروج قارن

ثم جمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطَّبَسِينَ^(١) وأهل باذغيس وهرة وقوهستان، وأقبل في أربعين ألفاً^(٢)، فقال قيس لابن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تُخلي البلاد، فإنني أميرها ومعني عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها؛ وأخرج كتاباً كان قد افتعله عمداً، فكره قيس منازعته وخلاؤه والبلاد، وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر وقال: قد تركت البلاد خراباً وأقبلت! قال: جاءني بعهد منك. قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف، وأمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من قارن أمر الناس أن يدرج كل رجل منهم على رُج رمحه خرقاً أو قطناً، ثم يكتروا دهنه، ثم سار حتى أمسى، فقدم مقدمته ستمائة، ثم اتبعهم وأمر الناس، فأشعلوا النيران في أطراف الرماح، فانتهت مقدمته إلى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم، وهاج الناس على دَهَش وكانوا آمنين من البيات، ودنا ابن خازم منهم فأروا النيران يميناً ويسرةً تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع، فهاهم ذلك، ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم، ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن، فانهزم المشركون واتبعوهم يقتلوهم كيف شاؤوا، وأصابوا سبياً كثيراً. وكتب ابن خازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي وأقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، وأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي، وكان معه في دار سنبل.

وقيل: لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله بن خازم فيما يصنع، فقال: أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتاننا، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة العدو، ونقيم نحن في الحصون ونطاولهم ويأتينا مددكم. فخرج قيس، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً وقال: قد ولّاني ابن عامر خراسان، وسار إلى قارن فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان؛ ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالحاً من أهل خراسان، فإذا عادوا تركوا أربعة آلاف نجدة^(٣).

(١) الطَّبَسَان: بفتح أوله وثانيه. قسبة ناحية بين نيسابور وأصبهان تسمى قَهستان قاين. (معجم البلدان ٢٠/٤).

(٢) تاريخ خليفة ١٦٧.

(٣) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري، ولا في المصادر المتداولة، وقد ورد أوله فقط في تاريخ خليفة.

ذكر عدة حوادث

[الوفيات]

وفي هذه السنة مات العباس^(١) عم النبي ﷺ، وكان عمره يوم مات ثمانياً وثمانين

- (١) أنظر عن العباس في: السير والمغازي لابن إسحاق ٣٢ و٣٤ و٦٨ و٧٩ و١٣٨ و١٤٦، والمغازي للواقدي (أنظر فهرس الأعلام ١١٩٣/٣)، ونسب قرشي ١٨ و٢٢٠ و٢٤٠ و٢٦٦، ومسند أحمد ١/٢٠٦ - ٢١٠، والتاريخ لابن معين ٢/٢٩٤، والمحبر لابن حبيب ١٦ و٤٦ و٦٣ و٦٤ و٩١ و١٠٦ و١٠٨ و١٦٢، وطبقات ابن سعد ٤/٥ - ٣٣، والبرصان والعرجان ٢٠٣ و٢١٩ و٣٠٩ و٣٦٢، وفتوح الشام للأزدي ٢٥٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٠ و٥٥ و٩٥ و١٠٤ و١٠٥ و٣٦ و١٣٧ و١٤٧ و٢٣٧ و٢٤٣ و٢٥٠ و٢٥٣ و٢٦٦ و٣١٦ و٣٢٦ و٣٣٤ و٣٣٨ و٣٤٩ و٣٥٠، وتاريخ خليفة ٨٦ و١٣٨ و١٦٨، وطبقات خليفة ٣، والأخبار الموقّيات للزبير ٢٨٥ و٥٦٧ و٥٧٨، وأخبار مكة للأزرقي ١/١١١ و١١٤ و١٢٢ و٤٧/٢ و٥٨ و١٠٦ و٢٣٣، والتاريخ الكبير ٢/٧ رقم ١، والمعارف ١١٨ و١١٩ و١٢١ و١٢٧ و١٣٧ و١٤٥ و١٥٤ - ١٥٦، و١٦٤ و١٦٦ و٢٠٣ و٢١١ و٢٦٧ و٣٢٧ و٤٦٧ و٥٦٣ و٥٦٩ و٥٨٩ و٥٩٠ و٥٩٢، وعيون الأخبار ١/٥ و٦ و١٨٦ و٢١٥ و٢٦٩ و٣٤٢ و١٥٠/٢ و١٦٨ و٢٧٩ و٩٢/٣، والمعرفة والتاريخ ١/٤٩٩ - ٥٠٣ و٥٠٧ - ٥١١، ومقدمة مُسند بقي بن مخلد ٨٧ رقم ٨٧، وتاريخ أبي زرعة ١/١٥٧ و٥٨٦ و٥٩٣، وأنساب الأشراف ١/٥٣ و٥٧ و٦٦ و٧٢ و٨٨ و٨٩ و٩١ و١٠٠ و١٢٦ و٢٣٥ و٢٤٠ و٢٥٣ و٢٥٤ و٣٠١ و٣١٢ و٣١٤ و٣٥٥ و٣٦١ و٣٦٥ و٤٠٢ و٤٠٣ و٤١٤ و٤٢٩ و٤٤٥ - ٤٤٧ و٤٥١ و٤٦٢ و٤٦٣ و٤٧٧ و٥١٩ و٥٢٠ و٥٢٥ و٥٤٥ و٥٤٦ و٥٦٩ و٥٧٠ و٥٧٣ و٥٨١ - ٥٨٣ و٥٨٦، ق ١/٣ - ٢٤ و٢٥ و٥١ و٥٦ و٦٥ و٦٧ و٦٨ و١٤٥ و١٦٠ و١٨٥ و٢٠٢ و٢٨٢ و٢٨٤ و٢٩٤ و٢٩٦ و٣٠١ و٣١٢ ق ٤ ج ١/٣٣٠ و٤٩٩ و٥٠٥ و٥٠٨، وفتوح البلدان ٣١ و٤٣ و٤٨ و٦٦ و٩٨ و٣١٣، وتاريخ الطبري (أنظر فهرس الأعلام ١٠/٣٠٢)، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٤٨، والخراج وصناعة الكتابة ٢٦٤ و٢٦٧، والزاهر للأنباري ١٥٦/٦، وثمار القلوب ٨٩ و٦٧٧، والجرح والتعديل ٦/٢١٠ رقم ١٦٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٩ رقم ٦٦، وجمهرة أنساب العرب ١٧ - ٣٧، وأنساب الأشراف ٥/١٣ و١٤ و١٩ و٢٣ و١٩٩، والعقد الفريد ١/٨٢ و٢/٢٨٩ و٤١٢ و٤٢٤ و٤٦٢/٣ و١٨٢ و٧/٤ و٥٧ و٦٤ و٢٥٧ - ٢٥٩، و٢٧٥ و٢٧٦ و٤٨٥ و١١/٥ و٨٤ و٨٥ و٩٨ و٢٨٢ و٢٦٧/٦ و٣٦٧، والكنى والأسماء للدولابي ١/٤٨، وأمالى المرتضى ١/٢٩٣، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٠٤، و١٠٥، وبيع الأبرار ٤/١٩٥ و٣٣٣، والاستيعاب ٢/٨١٠، والمستدرک ٣/٣٢٠ - ٣٣٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/٢٢٩ - ٢٥٣، ولباب الآداب ١٥ و٢٧٠، والزيارات ٨٧ و٩٢، و٩٣، ومعجم الشعراء للمرزباني ١٠١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٣٦٠، وصفة الصفوة ١/٢٠٣، وأسد الغابة ٣/١٠٩، والاستبصار ١٦٤، والتذكرة الحمدونية ١/١٠٣ و١٠٧/٢ و٢٤١ و٤١١، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٢٥٧ - ٢٥٩ رقم ٢٨١، وتحفة الأشراف ٤/٢٦٤ - ٢٧١ رقم ٢٦٧، وتهذيب الكمال ٢/٦٥٨، والمعين في طبقات المحذّثين ٢٣ رقم ٦٨، والكاشف ٢/٥٩، رقم ٦٠ و٢٦٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٧٨ - ١٠٣ رقم ١١، وتاريخ الإسلام ٣/٣٧٣ - ٣٧٨، والعبر ١/٣٣، وتلخيص المستدرک ٣/٣٢٠ - ٣٣٤، ووفيات الأعيان ١/٢٢٥ و٣٥٣ و٤٦٧/٢ و٦٤/٣ و٢٦٩ و٢٧١ و٢٧٧ و١٧٤/٤ و١٨٧ و١٥١/٥ و١٥٢ و٣٤٠ و٣٦٩ و٣٩٤ و٣٠/٦ و٦٠ و١٠٦ و١٢٦ و٣٦٧، ودول الإسلام ١/٢٦١، ونهاية الأرب ١٩/٤٤٩، ومروءة الجنة ١/٨٥، والوافي بالوفيات ١٦/٦٢٩ - ٦٣٣ رقم ٦٧٩، والوفيات لابن قنفذ ٥٢ رقم ٣٢، ونكت الهميان ١٧٥، والبدایة والنهایة ٧/١٦١ - ١٦٢، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) (أنظر فهرس =

سنة، كان أسن من رسول الله ﷺ، بثلاث سنين. وفيها مات عبد الرحمن بن عوف^(١) وعمره خمس وسبعون سنة. وعبد الله بن مسعود^(٢) وصلى عليه عمار بن ياسر، وقيل

= (الأعلام ٥٣٥/٢)، والعقد الثمين ٩٣/٥، ومجمع الرجال ٢٤٧/٣، ومجمع الزوائد ٢٦٨/٩ - ٢٧١، وتهذيب التهذيب ١٢٢/٥، ١٢٣ رقم ٢١٤، وتقريب التهذيب ٣٩٧/١، ٣٩٨ رقم ١٤٩، والنكت الظراف ٢٦٥/٤ - ٢٧٠، والأمالى للقالى ١١٥/٢، والإصابة ٢٧١/٢ رقم ٤٥٠٧، وأخبار العباس وولده (في مواضع كثيرة)، وشذرات الذهب ٣٨/١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٨٩، وتاريخ الخميس للديار بكري ١٦٥/١، وكنز العمال ٥٠٢/١٣.

(١) انظر عن عبد الرحمن بن عوف في: السير والمغازي ١٤٠ و ١٧٦ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٧٠، والمغازي للواقدي (انظر فهرس الأعلام ١٢٠٢/٣)، ونسب قريش ٢٦٥ و ٤٤٨، والأخبار الموقفات ٥٧٨، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و ١٢٧ و ١٣٨ و ٢١٣ و ٢٢٨ و ٣٤٤، والمحبر لابن حبيب ١٣ و ١٥ و ٦٥ و ٦٧ و ٧١ و ٧٢ و ١٠١ و ١٠٣ و ١١٠ و ١٢٠ و ١٥٠ و ١٧٥ و ٣٥٦ و ٤٠٨ و ٤٤٦ و ٤٥٣ و ٤٧٤، والمعرفة والتاريخ (انظر فهرس الأعلام ٦١٩/٣)، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٤ رقم ٥٣، وعيون الأخبار ١٢/١ و ٢٥٧، وطبقات ابن سعد ١٢٤/٣ - ١٣٧، ومسند أحمد ١٩٠/١ - ١٩٥، وطبقات خليفة ٦٥، وتاريخ خليفة ١٦٦، والتاريخ الكبير ٢٣٩/٥، ٢٤٠ رقم ٧٩٠، والتاريخ الصغير ٥٠/١، ٥١ و ٦٠ و ٦١، والمعارف ٢٣٥ - ٢٤٠، والجرح والتعديل ٢٤٧٧٥ رقم ١١٧٩، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥٦، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام ٣٢١/١)، وأخبار القضاة لوكيع ٤٧/١ و ١٦٥، وأنساب الأشراف (انظر فهرس الأعلام ٦٦٢/١) وق ٢٨٦/٣ و ٣١٠ وق ٤ ج ٤٨٣/١ - ٥٠٠ و ٥١٠ و ٥١٥ و ٥٢١ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٢/٥ و ١٥ و ١٩ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٤ و ٣٩، وفتوح البلدان ٨ و ١٨ و ٣٢٧، والزهد لابن المبارك ١٨٢/١ و ١٨٣/٢ و ٤٤٣، وحلية الأولياء ٩٨/١ - ١٠٠ رقم ٩، ومشاهير علماء الأمصار ٨ رقم ١٢، والكنى والأسماء للدولابي ١٠/١ و ٥٢، وتاريخ يعقوبي ١٦٩/٢، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام ١٢٤/٧)، وترتيب الثقات للعجلي ٢٩٧ رقم ٩٧٢، وجمهرة أنساب العرب ١٣١، ١٣٢، والبدة والتاريخ ٨٦/٥، والمعجم الكبير للطبراني ٨٨/١ - ٩٩، والمستدرک ٣٠٦/٣ - ٣١٢، والاستيعاب ٣٩٣/٢ - ٣٩٨، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٨١، وصفة الصفوة ٣٤٩/١ - ٣٥٥ رقم ٨، وجامع الأصول ١٩/٩، وأسد الغابة ٤٨٠/٣ - ٤٨٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٣٠٠/١ - ٣٠٢ رقم ٣٥٧، ولباب الآداب ٩٥ و ٣٠٥، والزيارات للهروي ٣٧ و ٩٣ و ٩٤، والتذكرة الحمدونية ١١٨/١ و ١٢٤ و ١٣٧ و ٤٠١، ونهاية الأرب ٤٤٩/١٩، والرياض النضرة ٢٨١/٢، وتحفة الأشراف ٢٠٥/٧ - ٢١٦ رقم ٣٣٩، وتهذيب الكمال ٨١٠/٢، ودول الإسلام ١٦/١، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣٩٠/٣ - ٣٩٦، وسير أعلام النبلاء ٦٨/١ - ٩٢ رقم ٤، وتلخيص المستدرک ٣٠٦/٣ - ٣١٢، والعبر ٣٣/١، والكاشف ١٥٩/٢ رقم ٣٣٢٦، وتلقيح فهم أهل الأثر ٣٦٥، ومرة الجنان ٨٦/١، والبدایة والنهایة ١٦٣/٧، ١٦٤، والوفیات لابن قنفذ ٣٠ رقم ٣٢، وریع الأبرار ٣٩/٤ و ٥١ و ٢٩٧ و ٣٨١، والعقد الثمين ٣٩٦/٥ - ٣٩٨، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢٤١/١ و ١٠٤/٢ و ٢١٧ و ٣٣٨، وتهذيب التهذيب ٢٤٤/٦ - ٢٤٦ رقم ٤٩٠، وتقريب التهذيب ٤٩٤/١ رقم ١٠٧٠، والنكت الظراف ٢٠٦/٧ - ٢١٦، والإصابة ٤١٦/٢، ٤١٧ رقم ٥١٧٩، وخلاصة التذهيب ٢٣٢، وتاريخ الخميس ٢٥٧/٢، وكنز العمال ٢٢٠/١٣ - ٢٣٠، وشذرات الذهب ٣٨/١٥.

(٢) انظر عن ابن مسعود في: السير والمغازي ١٤٣ و ١٧٦ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢١١ و ٢٢٥ و ٢٩٩، والمغازي لسواقدي ٢٤ و ٥٤ و ٥٥ و ٨٠ و ٩٠ و ٩١ و ١٠٠ و ١١٠ و ١٥٠ و ١٥٥ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٤٧٣ و ٩٤٩ و ١٠٠١ و ١٠١٤ و ١١٠٧، ومسند أحمد ٣٧٤/١ - ٤٦٦، والتاريخ لابن معين ٣٣٠/٢ - ٣٣٢، والزهد =

عثمان. وتوفي عبد الله بن زيد بن عبد ربّه الذي أُرِيَ الأذان.

= لابن المبارك ٣٦ و ١٨٥ و ٣٥٣ و ٣٦٤ و ٣٦٨ و ٤٢٤ و ٤٧٨ و ٥١٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٥٠ - ١٦١، وطبقات خليفة ١٦ و ١٢٦ و ١٢٨، وتاريخ خليفة ١٠١ و ١٢٢ و ١٤٩ و ١٦٦ و ٢٦٤، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و ٧٧ و ٩٠ و ١٤٨ و ٢٩١ و ٢٩٢، والمجسّر ٧١ و ٧٢ و ١٦١ و ٢٧٨، والأخبار الموفّيات ١١٤، وأخبار مكة للأزرقي ١١٧ و ١٣٦، وترتيب الثقات للمعجلي ٢٧٨ و ٢٧٩ رقم ٨٨٦، وعيون الأخبار ٣/ ١ و ١٤١ و ١٥٩ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و ٣٠٣ و ٣٠٧ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٠/ ٢ و ١٢٥ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٤٠ و ١٧٩ و ٣٣٠ و ٢١/ ٣، والمعارف ٦٥ و ١٥٧ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٤٢٧ و ٤٣١ و ٤٩٤ و ٥٢٩ و ٥٨٣ و ٥٩٣، ومقدمة مُسنَد بقي بن مخلد ٨٠ رقم ٨، والمعرفة والتاريخ ١/ ٤٣٩ - ٤٤١ و ٤٤٠/ ٢ - ٥٥٩، وفتوح البلدان ١٠٥ و ١١٣ و ٣٣٥ و ٣٧٥ و ٥٥٢ و ٥٦٥ و ٥٧٦، وأنساب الأشراف ١/ ١١٦ و ١٣٨ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٨ و ٢٠٤ و ٢٢٥ و ٢٣٨ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٩٩، ق ٣/ ٣٠، ق ٤ ج ١/ ١٣٠ و ٢٣٥ و ٣٨٠ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١٢ و ٥١٨ و ٥٢٤ و ٥٢٦ و ٥٣٩ و ٥٤٥ و ٥٥٧، ق ٢٣/ ٥ و ٢٦ و ٣٠ و ٣١ و ٣٦ - ٣٨ و ٤٩ و ٥٦ و ٦٨ و ٢٦٦، وتاريخ أبي زرعة ٢/ ٦٤٧ - ٦٥٢، وأخبار القضاة لوكيع ٥/ ١ و ١٩ و ٣٥ و ٤٠ و ٥٠ - ٥٣ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٨٤/ ٢ - ١٨٦ و ١٨٨ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٤ و ٢٧٥ و ٣٠٦ و ٤٠٢ و ٤٢/ ٣ و ٤٣ و ٥٥ و ٧١ و ١٤٤ و ١٨٣، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ١٠/ ٣١٤، ٣١٥)، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥٨، والخراج وصناعة الكتابة ٢٨٢ و ٣٦٧، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام ١٢٧/ ٧، ١٢٨)، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٠، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ٧٩، والاستيعاب ٢/ ٣١٦ - ٣٢٤، والمعجم الكبير للطبراني ٩/ ٥٦ - ٤٢١ و ٥/ ١٠ - ٢٨٦ رقم ٧٧٢، ومشاهير علماء الأمصار ١٠ رقم ٢١، والثقات لابن حبان ٣/ ٢٠٨، والبدة والتاريخ للمقدسي ٥/ ٩٧، ٩٨، وجمهرة أنساب العرب ١٩٧، وأمثالي المرتضى ١/ ٣٤٢ و ٣٥٤ و ٧٥/ ٢ و ١٨٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٤٧ - ١٥٠ رقم ٥، وحلية الأولياء ١/ ١٢٤ - ١٣٩ رقم ٢١ وصفحة ٣٧٥، وصفة الصفوة ١/ ٣٩٥ - ٤٢٢ رقم ١٩، والمستدرک ٣/ ٣١٢ - ٣٢١، ولباب الآداب ١٦٤ و ٢٥٤ و ٢٦١ و ٢٧٣ و ٢٨٢ و ٢٩٢ و ٣٣٢ و ٣٣٣، والزيارات للهروي ١٤ و ٩٤، وأسد الغابة ٣/ ٣٨٤، والتاريخ الكبير ٥/ ٢٠ رقم ٣، والتاريخ الصغير ٦٠، والجرح والتعديل ٥/ ١٤٩ رقم ٦٨٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٤٣، ٤٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ٢٨٨ - ٢٩٠ رقم ٣٣٣، وتحفة الأشراف ٧/ ٣ - ١٧٠ رقم ٣١٨، وتهذيب الكمال ٢/ ٧٤٠، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/ ٣٧٩ - ٣٨٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٣ - ١٦ رقم ٥، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١ - ٥٠٠ رقم ٨٧، والعبر ١/ ٣٣، والمعين في طبقات المحدثين ٢٤ رقم ٨٢، والكاشف ٢/ ١١٦ رقم ٣٠١٧، ودول الإسلام ١/ ٢٦، ٢٧، وتلخيص المستدرک ٣/ ٣١٢ - ٣٢٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧١ و ٤٧٦ و ١١٥/ ٣ و ٣١٧/ ٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٣١ و ١٣٥ و ١٣٧ و ٢٣٦ و ٢٥١ و ١٧٥/ ٢ و ١٨٥ و ٢٢٦، ونهاية الأرب ١٩/ ٤٤٩، ومرآة الجنان ١/ ٨٧، ٨٨، والبداية والنهاية ٧/ ١٦٢، ١٦٣، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٠٤ - ٦٠٦ رقم ٥١٥، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٢ - ٣٦ رقم ٤، ومجمع الزوائد ٩/ ٢٨٦ - ٢٩١، وحياة الحيوان للدميري ١/ ١٦٢، والوفيات لابن قنفذ ٥٢، والعقد الثمين ٥/ ٢٨٣، ٢٨٤، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/ ١٠٩ و ١١٠ و ١٢٦ و ٢٩٧ و ٤٤٢ و ٤٤٥ و ٤٥٢ و ٤٥٤ و ١٧/ ٢ و ١٩، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٧، ٢٨ رقم ٤٢، وتقريب التهذيب ١/ ٤٥٠ رقم ٦٣٠، والنكت الطراف ٧/ ٤ - ١٦٧، والإصابة ٢/ ٣٦٨ - ٣٧٠ رقم ٤٩٥٤، والنجوم الزاهرة ١/ ٨٩، والتحفة اللطيفة ٣/ ٤٨، ٤٩، وطبقات الحفاظ ٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢١٤، وغاية النهاية ١/ ٤٥٨، ٤٥٩ رقم ١٩١٤، وطبقات الشعراني ١/ ٢٢، وكنز العمال ١٣/ ٤٦٠ - ٤٦٩، وشذرات الذهب ١/ ٣٨.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المبرأة من أرض الروم بناحية مَلْطِيَّة^(١). وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد إفريقية الثانية حتى نقض أهلها العهد^(٢). وفيها كان مسير الأحنف إلى خراسان وفتح المَرَوِّين، ومسير ابن عامر إلى^(٣) نيسابور وفتحها^(٤)، في قول بعضهم، وقد تقدّم ذكر ذلك. وفيها كانت غزوة قبرس، في قول بعضهم^(٥)، وقد تقدّم ذكرها مُستوفًى، وقيل إن فتحها كان سنة ثمانٍ وعشرين، فلمّا كان سنة اثنتين وثلاثين أعان أهلها الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها، فغزاهم معاوية سنة ثلاثٍ وثلاثين ففتحها غنوة فقتل وسبى، ثمّ أقرهم على صلحهم وبعث إليهم اثني عشر ألفاً، فبنوا المساجد وبنى مدينة. وقيل: كانت غزوته الثانية سنة خمسٍ وثلاثين.

ذكر تسيير مَنْ سَيَّرَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى الشَّامِ

وفي هذه السنة سَيَّرَ عثمان نفراً من أهل الكوفة إلى الشام. وكان السبب في ذلك أنّ سعيد بن العاص لما ولّاه عثمان الكوفة حين شُهد على الوليد بشرب الخمر، أمره أن يسير الوليد إليه، فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر، فنهاء رجالاً من بني أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك، فلم يُجبههم، واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسيّة وقرأ أهل الكوفة، فكان هؤلاء دَخَلَتْهُ إِذَا خَلَا^(٦)، وأمّا إذا خرج فكلّ الناس يدخل عليه،

(١) تاريخ خليفة ١٦٧، تاريخ الطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.

(٢) تاريخ خليفة ١٦٨، تاريخ انطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.

(٣) في نسختي باريس و (ب) زيادة «أطراف».

(٤) تاريخ الطبري ٣١٧/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.

(٦) في الطبعة الأوربية «داخلا».

فدخلوا عليه يوماً، فبينما هم^(١) يتحدثون قال حُبَيْش^(٢) بن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عبيد الله! فقال سعيد: إن من له مثل النشاستج^(٣) لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أن لي مثله لأعاشكم^(٤) الله به عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن حُبَيْش، وهو حدث: والله لوددت أن هذا المَلَطاط لك، يعني لسعيد، وهو ما كان للأكاسرة على جانب الفرات^(٥) الذي يلي الكوفة. قالوا: فض الله فاك! والله لقد هممنا بك! فقال أبوه: غلام فلا تجازوه. فقالوا: يتمنى له سوادنا. قال: ويتمنى لكم أضعافه، فثار به الأشر، وجُنْدَب، وابن ذي الحنكة^(٦)، وصعصعة، وابن الكواء، وكَمَيْل، وعُمير بن ضابئة فأخذوه، فثار أبوه ليمنع عنه، فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً. فسمعت بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم طليحة، فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل فعادوا بسعيد، فخرج سعيد إلى الناس فقال: أيها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية، فردّهم فتراجعوا. وأفاق الرجلان فقالا: قاتلنا غاشيتك^(٧). فقال: لا يغشوني أبداً، فكفّا ألسنتكما ولا تحزّبا^(٨) الناس. ففعل^(٩)، وقعد أولئك النفر في بيوتهم وأقبلوا يقعون في عثمان.

وقيل: بل كان السبب في ذلك أنه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة، منهم: مالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس النخعيان، ومالك الأشر، وغيرهم، فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان قريش. فقال الأشر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيا فنا بستان لك ولقومك؟ وتكلم القوم معه، فقال عبد الرحمن الأسدي، وكان على شرطة سعيد: أتردّون على الأمير مقالته؟ وأغلظ لهم. فقال الأشر: مَنْ ههنا؟ لا يفوتنكم الرجل! فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديداً حتى غشي عليه، ثم جُرَّ^(١٠) برجله، فنُضح بماء فأفاق فقال: قتلني من انتخب^(١١). فقال: والله لا يسمر عندي

-
- (١) في الطبعة الأوربية «فيينهم».
 - (٢) في تاريخ الطبري ٣١٨/٤ «حُبَيْش» وقال المحقق في الحاشية: هو: حنيس بن حُبَيْش.
 - (٣) ضبعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي وكانت عظيمة الدخل.
 - (٤) في الطبعة الأوربية «لأعاشكم».
 - (٥) في النسخة (س): «الفرات».
 - (٦) في تاريخ الطبري ٣١٨/٤ «الحبكة».
 - (٧) في النسخة (ب) «حاشيتك». وفي تاريخ الطبري «قتلنا غاشيتك».
 - (٨) في نسختي باريس و(ب): «تحزبا». وفي تاريخ الطبري «تجرنا علي الناس».
 - (٩) الخبر في تاريخ الطبري ٣١٧/٤، ٣١٨.
 - (١٠) في الطبعة الأوربية «جرّوا».
 - (١١) في الطبعة الأوربية «انتجيت».

أحد أبداً. فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيداً، واجتمع إليهم الناس حتى كثروا، فكتب سعيد وأشراف أهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم، فكتب إليهم أن يلحقوهم بمعاوية، وكتب إلى معاوية: إن نقرأ قد خلقوا للفتنة فأقم عليهم وأنهم، فإن أنست منهم رَشداً فاقبل، وإن أعيوك فارددهم عليّ.

فلما قَدِموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم، وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان، وكان يتغذى ويتعشى معهم، فقال لهم يوماً:

إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً، وغلبتم الأمم وحويتهم موارثهم، وقد بلغني أنكم نَقِمْتُمْ قريشاً، ولولم تكن قريش كنتم أذلة، إن أثمتكم لكم جنة فلا تفرقوا عن جنتكم، وإن أثمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون منكم المؤونة، والله لتتَهَنَّ أو ليتلينكم الله بمن^(١) يسومكم السوء ولا يحمداكم على الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية^(٢) في حياتكم وبعد وفاتكم.

فقال رجل منهم، وهو صعصعة: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أضعفها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة، فإن الجنة إذا احترقت^(٣) خلص إلينا.

فقال معاوية: عرفتكم الآن وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيهم ولا أرى لك عقلاً، أعظم عليك أمر الإسلام وتذكرني بالجاهلية! أخزى الله قوماً عظّموا أمرهم! افقهوا عني، ولا أظنكم^(٤) تفقهون، أن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله تعالى، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمضهم أنساباً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية، والناس يأكل بعضهم بعضاً، إلا بالله، فبؤاهم حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم! هل تعرفون عربياً أو عجمياً أو أسود أو أحمر إلا وقد أصابه الدهر في بلده وحرّمته إلا ما كان من قريش، فإنهم لم يُردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خذه الأسفل، حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم وأتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم، ونجعل هذه الخلافة فيهم، فلا

(١) في النسخة (س) «من».

(٢) في نسخة (ب) زيادة «أسار».

(٣) في الطبعة الأوربية «احترقت».

(٤) في نسخة باريس «أراكم».

يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه؟ أف لك ولأصحابك!

أما أنت يا صمصعة فإن قرينك شرّ القرى! أنتنها بيتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشرّ، وألمها جيراناً! لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سُبّ بها، ثم كانوا ألام العرب ألقاباً وأصهاراً، نَزاع^(١) الأُمم، وأنتم جيران الخط، وفَعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شرّ قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عَوْجاً، وتنزع إلى الذلّة، ولا يضرّ ذلك قريشاً ولا يضعهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنّ الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشرّ فأغرى بكم الناس، وهو صارِعكم، ولا تدركون بالشرّ أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شرّاً منه وأخزى.

ثمّ قام وتركهم فتقاصرت إليهم أنفسهم، فلمّا كان بعد ذلك أتاهم فقال: إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرّه، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطركم الإنعام، فإنّ البطر لا يعترى الخيار، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلما خرجوا دعاهم وقال لهم: إني معيد عليكم أنّ رسول الله ﷺ، كان معصوماً فولّاني وأدخلني في أمره، ثمّ استخلف أبو بكر فولّاني، ثمّ استخلف عمر فولّاني، ثمّ استخلف عثمان فولّاني، ولم يولّني أحداً إلا وهو عني راضٍ، وإنما طلب رسول الله ﷺ، للأعمال أهل الجزاء عن^(٢) المسلمين والغناء، وإنّ الله ذو سطوات ونقعات يملك بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون، فإنّ الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيد للناس سرائركم.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنّهُ قديم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلّمون بحجّة، إنّما همهم الفتنة وأموال أهل الذمّة، والله مبتليهم ومختبرهم ثمّ فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين يكون^(٣) أحداً إلا مع غيرهم، فأنّه سعيداً ومن عنده عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير.

فخرجوا من دمشق فقالوا: لا ترجعوا بنا إلى الكوفة فإنهم يشمتون بنا، ولكن ميلوا

(١) نَزاع: جمع نزيع، وهو الغريب.

(٢) في الطبعة الأوربية «من».

(٣) في النسخة (ب) «يلون».

إلى الجزيرة، فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان على حمص، فدعاهم فقال: يا آله الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نشاط، خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم، يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم، لا تقولوا لي ما بلغني أنكم قلتم لمعاوية؛ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقىء^(١) الردّة! والله لئن بلغني يا صعصعة أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك^(٢) لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى! فأقامهم شهراً كلماً ركب أمشاهم، فإذا مرّ به صعصعة قال: يا ابن الحطيئة، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر؟ ما لك لا تقول كما بلغني أنك قلت لسعيد ومعاوية؟ فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله. فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم. وسرّح الأشر إلى عثمان، فقدم إليه ثانياً، فقال له عثمان: احلل حيث شئت. فقال: مع عبد الرحمن بن خالد. فقال: ذلك إليك، فرجع إليه^(٣).

قيل: وقد روي أيضاً نحو ما تقدّم، وزادوا فيه أن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكّرهم كان ممّا قال لهم: وإني والله لا آمركم بشيء إلّا وقد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي، وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلّا ما جعل الله لنبيه ﷺ، فإنه انتخبه وأكرمهم، وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلّا حازماً. قال صعصعة: قد كذبت! قد ولدهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، وكان فيهم البرّ والفاجر، والأحقم والكيس. فخرج تلك الليلة من عندهم، ثم أتاهم القابلة فتحدّث عندهم طويلاً، ثم قال: أيها القوم ردّوا خيراً أو اسكتوا وتفكّروا، وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهاليكم والمسلمين فاطلبوه. فقال صعصعة: لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. فقال: ليس أوّل من ابتدأكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا؟ قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي ﷺ. فقال: إني آمركم الآن إن كنتم فعلت^(٤) فأتوب إلى الله وأمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ﷺ، ولزوم الجماعة وأن توقّروا أثمتكم وتدلوهم على أحسن ما قدرتم عليه. فقال صعصعة: فإنّا نأمرك أن تعتزل عملك، فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك، من كان أبوه أحسن قدماً في الاسلام من أبيك وهو أحسن في الاسلام قدماً منك. فقال: والله إن لي في الاسلام قدماً، ولغيري كان أحسن قدماً

(١) في نسخة باريس «عافي».

(٢) في النسخة (ب) «مضك»، وفي الطبعة الأوربية «مضك».

(٣) تاريخ الطبري ٣١٩/٤ - ٣٢٢.

(٤) في النسخة (ب) زيادة «فتوبوا».

مَنِّي، ولكنه^(١) ليس في زمانِي أحد أقوى على ما أنا فيه مَنِّي، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مَنِّي لم تكن عمر هواده لي ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ فاعتزلت عمله، فمهلاً فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى^(٢) الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم وأمانيتكم^(٣) ما استقامت لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، فعادوا الخير وقولوه، وإنَّ الله لَسَطَوَات، وإنِّي لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن، فيُجلِّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل. فوثبوا عليه وأخذوا رأسه ولحيته، فقال: مه إنَّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتُم بي ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إنَّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً!

ثمَّ قام من عندهم، وكتب إلى عثمان نحو الكتاب المتقدِّم، فكتب إليه عثمان يأمره أن يردَّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردَّهم فأطلقوا ألسنتهم، فضجَّ سعيد منهم إلى عثمان، فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بحمص، فسيرهم إليها، فأنزلهم عبد الرحمن وأجرى عليهم رزقاً، وكانوا: الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني، وكُمَيْل بن زياد، وزيد بن صُوحان، وأخاه صعصعة، وجُنْدَب بن زهير الغامدي، وجُنْدَب بن كعب الأزدي، وعُروة بن الجعد، وعمرو بن الحِمْق الخزاعي، وابن الكواء^(٤).

قيل: سأل معاوية ابن الكواء عن نفسه قال: أنت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان الإسلام، سُدَّت بك فرجة مخوفة. قال: فأخبرني عن أهل الأحداث من الأمصار فإنك أعقل أصحابك. قال: أمَّا أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشرِّ وأعجزهم عنه، وأمَّا أهل الكوفة فإنهم يردون جميعاً ويصدرون شتًى، وأمَّا أهل مصر فهم أوفى الناس بشرٍّ وأسرعهم ندامة، وأمَّا أهل الشام فهم أطوع الناس لمرشدهم وأعصاهم لمغويهم.

ذكر تسيير مَن سِير من أهل البصرة إلى الشام

ولما مضت ثلاث سنين من إمارة عبد الله بن عامر بلغه أن [في عبد القيس] رجلاً

(١) في النسخة (ب) «ولكني».

(٢) في الطبعة الأوربية «ينهى».

(٣) في الطبعة الأوربية «وأمانتكم».

(٤) تاريخ الطبري ٣٢٦/٤ وليس فيه «ابن الكواء».

نازلاً على حُكَيْم بن جَبَلَة العبدى، وكان عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء، هو الرجل النازل عليه، واجتمع إليه نفر فطرح إليهم ابن السوداء ولم يصْرَح^(١)، فقبلوا منه. فأرسل إليه ابن عامر فسأله: من أنت؟ فقال: رجل من أهل الكتاب رغبْتُ في الإسلام وفي جوارك. فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها، فقصده مصر فاستقرَّ بها وجعل يكاثرهم ويكاثبونهم وتختلف الرجال بينهم^(٢).

وكان حُمران بن أبان قد تزوج امرأة في عدَّتْها، ففرَّق عثمان بينهما وضربه وسيَّره إلى البصرة، فلزم ابنَ عامر، فتذاكروا يوماً المروءة بعامر بن عبد القيس، فقال حُمران: ألا أسبقكم فأخبره؟ فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال: الأمير يريد المرور بك فأحببت أن أعلمك؛ فلم يقطع قراءته، فقام من عنده، فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر فقال: [جئتُك من عند امرئ] لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً؛ ودخل عليه ابن عامر فأطبق المصحف وحَدَّثه، فقال له ابن عامر: ألا تغشانا؟ فقال: سعد بن أبي القرحاء^(٣) يحبُّ الشرف. فقال: ألا نستعملك؟ فقال: حُصَيْن بن الحُرِّ يحبُّ العمل. فقال: ألا نزوجك؟ فقال: ربيعة بن عَسَل يعجبه النساء. فقال: إنَّ هذا يزعم أنَّك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً! فنصفَح المصحف، فكان أول ما وقع عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

فسعى^(٥) به حُمران، وأقام حُمران بالبصرة ما شاء الله، وأذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم، فسعوا بعامر بن عبد القيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة، فالحقه بمعاوية، فلما قدم عليه رأى عنده ثريداً، فأكل أكلاً عربياً، فعرف أنَّ الرجل مكذوب عليه، فعرفه معاوية سبب إخراجه، فقال: أما الجمعة فإني أشهداها في مؤخر^(٦) المجلس ثم أرجع في أوائل الناس، وأما التزويج فإني خرجت وأنا يُخطب عليّ، وأما اللحم فقد رأيت ولكني لا أكل ذبائح القصَّابين منذ رأيت قصَّاباً يجرّ شاة إلى مذبحها، ثم وضع السكِّين على حلقها فما زال يقول: النَّفاق النَّفاق، حتى ذبحها. قال: فارجع. قال: لا أرجع إلى بلد استحلَّ أهله مني ما استحلَّوا؛ (فكان يكون)^(٧) في السواحل، فكان يلقي معاوية فيكثر معاوية أن يقول: ما حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي. فلما أكثر

(١) في النسخة (ب) «يسرح».

(٢) تاريخ الطبري ٣٢٦/٤، ٣٢٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٣٢٧/٤ «الرجاء».

(٤) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٥) في النسخة (س) «فشقي».

(٦) في نسخة باريس «وأخراً».

(٧) العبارة في نسخة باريس «فأقام».

عليه قال: تردُّ عليَّ من حرِّ البصرة شيئاً لعلَّ الصوم أن يشتدَّ عليَّ فإنَّه يخفُّ عليَّ في بلادكم.

ذكر عدَّة حوادث

وحجَّ بالناس عثمان^(١).

[الوفيات]

وفيها مات المقداد^(٢) بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود صاحب رسول الله ﷺ، وأوصى أن يصلِّي عليه الزبير. وفيها توفي الطفيل^(٣) والحُصَيْن^(٤) ابنا الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، وشهدا بذراً وأُحدًا، (وقيل: ماتا سنة إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين)^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٣٢٩/٤.

(٢) انظر عن المقداد في: السير والمغازي لابن إسحاق ١٧٦ و ٢٢٥، والمغازي للواقدي ٥٣٨ - ٥٤٩، وتاريخ خليفة ١٦٨، وأنساب الأشراف ١٤٣/١ و ٢٠٥ وق ٤ ج ١/٣٤٣، والمحبّر لابن حبيب ٦٤ و ٧٣، والأخبار الموقّيات ٣٢١، والمعارف ١٢٠ و ٢٦٢ و ٣٤١، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٠٦، ومسند أحمد ٧٩/٤ و ٢/٦ و ٨، والمعرفة والتاريخ ١٦١/٢ و ٤٠١ و ١٦٧/٣ و ٣٦٨، ومشاهير علماء الأمصار ٢٤ رقم ١٠٥، والعقد الفريد ٢٧٥/٤ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٢٨٠/٤ و ٢٧٤/٥ و ١٣٠/٦ و ١٣٦، والمستدرک ٣٤٨/٣ - ٣٥١، والاستيعاب ٤٧٢/٣ - ٤٧٦، وحلية الأولياء ١٧٢/١ - ١٧٦ رقم ٢٨، والتاريخ الكبير ٥٤/٨ رقم ٢١٢٦، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ٤٢٣/١٠، ٤٢٤)، وترتيب الثقات للعجلي ٤٣٨ رقم ١٦٢٦، والجرح والتعديل ٤٢٦/٨ رقم ١٩٤٢، وطبقات ابن سعد ١٦١/٣ - ١٦٣، ومقدمة مُسنَد بقي بن مخلد ٨٦ رقم ٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٤١، والتاريخ الصغير ٦٠، ٦١، وأسَد الغابة ٤٠٩/٤، ٤١٠، ولباب الأدب ٢٦٣ و ٢٨٤، والزيارات للهروي ٤٧ و ٦٣ و ٩٤، وصفة الصفوة ٤٢٣/١ - ٤٢٦ رقم ٢٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١١١، ١١٢ رقم ١٦٣، وتختف الأشراف ٤٩٩/٨ - ٥٠٥ رقم ٥٣٩، ونهاية الأرب ٤٦١/١٩، والكاشف ١٥٢/٣ رقم ٥٧١٤، وتاريخ الإسلام ٤١٧/٣ - ٤١٩، والمعين في طبقات المحدثين ٢٧ رقم ١٣٥، ودول الإسلام ٢٧/١، وسير أعلام النبلاء ٣٨٥/١ - ٣٨٩ رقم ٨١، وتلخيص المستدرک ٣٤٨/٣ - ٣٥٠، ومعالم الإيمان ٧١/١ - ٧٦، وتهذيب الكمال ١٣٦٧/٣، والعقد الثمين ٢٦٨/٧ - ٢٧٢، وشفاء الغرام ٢٠٣/٢، ٢٠٤، والنكت الظراف ٥٠٠/٨ - ٥٠٥، وتهذيب التهذيب ٢٨٥/١٠، وتقريب التهذيب ٢٨٢/٢ رقم ١٣٤٨، والإصابة ٤٥٤/٣، ٤٥٥ رقم ٨١٨٣، ومراة الجنان ٨٩/١، وشذرات الذهب ٣٩/١، والمختصر في أخبار البشر ١٦٩/١، والتمتة ١٥٣/١.

(٣) انظر عن الطفيل في: السير والمغازي ٢٥٨، والمغازي للواقدي ٢٤ و ١٥٣، وطبقات ابن سعد ٥٢/٣، ونسب قريش ٩٣ و ٩٥، وطبقات خليفة ١١٥ و ١٣٨، والمحبّر ٧١ و ٨٣ و ١٠٨ و ٤٥٩، وتاريخ الطبري ٥٤٥/٢ و ١٦٧/٣، وأنساب الأشراف ٢٨٩/١ و ٣٠٨ و ٤٢٩ و ٤٤٧، وحذف من نسب قريش ١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٢، والجرح والتعديل ٤٨٨/٤، ٤٨٩ رقم ٢١٤٧، والاستيعاب ٢٢٨/٢، وتاريخ الإسلام ٣٣٤/٣ و ٣٧١، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوافي بالوفيات ١٦/٤٥٨، ٤٥٩ رقم ٤٩٥، وأسَد الغابة ٥٢/٣ والعقد الثمين ٦٦/٥، والإصابة ٢٢٤/٢ رقم ٤٢٤٧، وتمجيل المنفعة ١٩٧، ١٩٨ رقم ٤٨٨.

(٤) انظر عن الحصين في مصادر ترجمة أخيه الطفيل.

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قيل: فيها كانت غزوة الصّواري، في قول بعضهم، وقد تقدّم ذكرها^(١).
وفيهما تكتاب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم
نقموا عليه^(٢).

ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة

قد ذكرنا خبر المسيّرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد،
ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان سنة إحدى عشرة من خلافة عثمان، وكان سعيد قد ولّي
قبل مخرجه إلى عثمان بسنة وبعض أخرى الأشعث بن قيس أذربيجان، وسعيد بن قيس
الريّ، والنُسَيْر العَجَلِيّ همذان، والسائب بن الأقرع أصبهان، ومالك بن حبيب ماء،
وحكيم بن سلام^(٣) الحزامي^(٤) الموصل، وجريز بن عبد الله قرقيسيا، وسلمان بن ربيعة
الباب، وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب، وعلى حُلوان عُتَيْبَة بن النّهّاس، وخَلّت
الكوفة من الرؤساء. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، ومعه الذين كان ابن
السوداء يكتابهم، فأخذ القعقاع بن عمرو فقال: إنّما نستعفي من سعيد. فقال: أمّا هذا
فنعم، فتركه وكتب يزيد المسيّرين في القدوم عليه، فسار الأشر والذين عند عبد
الرحمن بن خالد، فسبقهم الأشر، فلم يفجأ الناس يوم الجمعة إلّا والأشر على باب
المسجد يقول: جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيداً يريد على نقصان
نسائكم على مائة درهم، وردّ أولي البلاء منكم إلى ألفين، ويزعم أنّ فيكم بستان
قريش. فاستخفّ الناس وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يُسمع منهم.

(١) أنظر حوادث سنة ٣١ هـ.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٣٣٠.

(٣) في نسختي (ب) وباريس: «سلامة».

(٤) في نسخة (ب) «الحزامي».

فخرج يزيد وأمر منادياً ينادي: من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل، فبقي أشراف الناس وحلماؤهم في المسجد. وعمر بن حُرَيْث^(١) يومئذ خليفة سعيد، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمرهم بالاجتماع والطاعة، فقال له القعقاع: أتردّ السيل عن أدراجه؟ هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء إلا المشرفيّة، ويوشك أن تُنتضى ويعجّون عجيج العدّان^(٢)، ويتمنون ما هم فيه اليوم فلا يردّه الله عليهم أبداً، فاصبر. قال: أصبر. وتحول إلى منزله، وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة، وهي قريب من القادسية، ومعه الأشر، فوصل إليهم سعيد بن العاص، فقالوا: لا حاجة لنا بك. قال: إنّما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وإليّ رجلاً، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل واحد؟ ثمّ انصرف عنهم، وتحسّوا^(٣) بمولّى له على بعير قد حُسِر فقال: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع. فقتله الأشر. ومضى سعيد حتى قدّم على عثمان، فأخبره بما فعلوا وأنهم يريدون البدل وأنهم يختارون أبا موسى^(٤)، فجعل أبا موسى الأشعريّ أميراً، وكتب إليهم:

أما بعد فقد أمرتُ عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، والله لأقرضنكم عرضي ولأبدلنّ لكم^(٥) صبري ولأستصلحنكم بجهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلّا سألتهم، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلّا ما استعفيتهم منه، أنزل فيه عندما أحببتهم حتى لا يكون لكم على الله حُجّة^(٦)، ولنصبرنّ كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون. ورجع من الأمراء من قرب من الكوفة، فرجع جرير من قرقيسيا، وعُتَيْبَةُ بن النّهاس من حلوان، وخطبهم أبو موسى وأمرهم بلزوم الجماعة (وطاعة عثمان)^(٧)، فأجابوا إلى ذلك وقالوا: صلّ بنا. فقال: لا إلّا على السمع والطاعة لعثمان. قالوا: نعم. فصلّى بهم وأتاه ولايته فولّاهم^(٨).

وقيل: سبب يوم الجرعة أنّه كان قد اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان فأجمع رأيهم، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثمّ العنبري، وهو الذي

(١) في نسخة باريس «خريت».

(٢) في تاريخ الطبري ٣٣٢/٤ «العدّان». والعتود: الجدّي الذي استكرش. وقيل: الحولي من أولاد المعز، وجمعه عدّان.

(٣) في النسخة (ب) «وتجسّوا».

(٤) تاريخ الطبري ٣٣٠/٤ - ٣٣٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «ولأبدلنكم».

(٦) حتى هنا تنتهي الخطبة في تاريخ الطبري ٣٣٦/٤.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٨) تاريخ الطبري ٣٣٢/٤.

يُدعى عامر بن عبد القيس، فأتاه فدخل عليه فقال له: إِنَّ ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبْتَ أموراً عظماً، فاتَّقِ الله وتُبَّ إليه. فقال عثمان: انظروا إلى هذا فإنَّ الناس يزعمون أنَّه قارىء، ثمَّ هو يجيء يكلمني في المحقرات، والله ما يدري أين الله! فقال عامر: بلى والله إنِّي لأدري أنَّ الله لِبالمِصاد!

فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن سعد وإلى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم: إِنَّ لكلِّ امرئٍ وزراء ونُصحاء، وإنَّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليَّ أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبُّون، فاجتهدوا رأيكم. فقال له ابن عامر: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذُلُّوا لك ولا يكون همَّة أحدهم إلَّا في نفسه وما هو فيه من دبر دابَّته وقمل فروته. وقال سعيد: احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف، إِنَّ لكلِّ قوم قاعدة متى تهلك يتفرَّقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إِنَّ هذا هو الرأي لولا ما فيه. وقال معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كلُّ رجل منهم ما قبَّله وأكفيك أنا أهل الشام. وقال عبد الله بن سعد: إِنَّ الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف^(١) عليك قلوبهم. ثمَّ قام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنَّك قد ركبْتَ الناس بمثل بني أمية، فقلتُ وقالوا وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإنَّ أبيت فاعتزم عزماً واقدم^(٢) قدماً. فقال له عثمان: ما لك قَمِلَ فَرُّوك؟ أهذا الجَدُّ منك؟ فسكت عمرو حتى تفرَّقوا فقال: والله يا أمير المؤمنين لأنَّ أكرم عليَّ من ذلك، ولكني علمتُ أنَّ بالباب من يُبلغ الناس قول كلِّ رجل منَّا، فأردتُ أن يبلغهم قلوبي فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً وأدفع عنك شراً.

فردَّ عثمان عماله إلى أعمالهم، وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث، وعزم على تحريم إعطياتهم ليطيعوه^(٣)، وردَّ سعيداً إلى الكوفة، فلقيه الناس من الجرعة وردَّوه، كما سبق ذكره. قال أبو ثور الحداني^(٤): جلستُ إلى حُذيفة، وأبي مسعود الأنصاريَّ بمسجد الكوفة يوم الجرعة، فقال أبو مسعود: ما أرى أن تُردَّ على عقبيها حتى يكون فيها دماء. فقال حُذيفة: والله لتُردَّنَّ على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم، وما أرى اليوم شيئاً إلَّا وقد علمته والنبي ﷺ، حيَّ. فرجع سعيد إلى عثمان ولم يُسفك دم، وجاء أبو موسى

(١) في النسخة (ب) «لتعطف».

(٢) في النسخة (س) «وامض».

(٣) في النسخة (ب) «ليقطعوه».

(٤) في تاريخ الطبري ٣٣٥/٤ «الحداني».

أميراً، وأمر عثمان حذيفة بن اليمان أن يغزو الباب فصار نحوه^(١).

ذكر ابتداء قتل عثمان

في هذه السنة تَكَاتَبَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَغَيْرِهِمْ^(٢) بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: أَنْ أَقْدَمُوا فَإِنَّ الْجِهَادَ عِنْدَنَا، وَعَظَّمُ النَّاسُ عَلَى عِثْمَانَ وَنَالُوا مِنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَنْهَى وَلَا يَذُبُّ إِلَّا نَفَرٌ، مِنْهُمْ: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَكَلَّمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلَ عَلَى عِثْمَانَ فَقَالَ لَهُ: النَّاسُ وَرَائِي وَقَدْ كَلَّمُونِي فِيكَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ وَلَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدْلِكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا أَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَتُخْبِرُكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهَ، وَمَا خُصَّصْنَا بِأَمْرٍ دُونَكَ، وَقَدْ رَأَيْتُ وَصَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ وَلَيْتَ صَهْرَهُ، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ^(٣)، وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَحِمَاً، وَلَقَدْ نَلَيْتَ مِنْ صَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَمْ يَنَالَاهُ، وَمَا سَبَقَاكَ إِلَى شَيْءٍ، فَاللَّهِ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تَبْصُرُ مِنْ عَمِّي، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جِهَالَةٍ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحٌ بَيْنَ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ. اعْلَمْ يَا عِثْمَانُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ وَأَمَاتَ بَدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ، فَوَاللَّهِ إِنَّ كُلاًَّ لَبِينٌ، وَإِنَّ السُّنَنَ لِقَائِمَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لِقَائِمَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَأَضَلَّ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ وَأَحْيَا بَدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ، وَإِنِّي أَحْذَرُكَ اللَّهُ وَسُطُوتَاهُ وَنَقِمَاتُهُ، فَإِنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ، وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي يُقْتَلُ فَيُفْتَحَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسَ أُمُورُهَا عَلَيْهَا وَيَتْرَكُهَا شَيْعاً لَا يَبْصُرُونَ الْحَقَّ لَعَلَّوْا الْبَاطِلَ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرَجُونَ فِيهَا مَرْجاً.

فَقَالَ عِثْمَانُ: قَدْ عَلِمْتُ وَاللَّهِ لَيَقُولَنَّ الَّذِي قُلْتُ، أَمَا^(٤) وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي مَا عَنَّفْتُكَ وَلَا أَسْلَمْتُكَ وَلَا عِيبُ عَلَيْكَ وَلَا جِئْتُ مُنْكَرًا، أَنْ وَصَلْتَ رَحِمًا وَسَدَدْتَ خَلَّةً وَأَوَيْتَ ضَائِعًا، وَوَلَّيْتَ شَبِيهًا بِمَنْ كَانَ عَمْرُ يُولِي. أُنْشِدُكَ اللَّهُ يَا عَلِيُّ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ لَيْسَ هُنَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَعْلَمُ أَنَّ عَمْرَ وَلَّاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي أَنْ وَلَّيْتُ ابْنَ عَامِرٍ فِي رَحِمِهِ وَقَرَابَتِهِ؟ قَالَ عَلِيُّ: إِنَّ عَمْرَ كَانَ يَطَأُ عَلَى صِمَاخٍ مِّنْ وَلِيِّ إِنْ

(١) تاريخ الطبري ٣٣٣/٤ - ٣٣٦.

(٢) «وغيرهم» ساقط من النسخة (س).

(٣) في الأوربية: بأولى بالعمل منك بالحق.

(٤) في الأوربية: أم.

بلغه عنه حرف جلبيه، ثم بلغ به أقصى العقوبة وأنت لا تفعل، ضعفت^(١) ورققت على أقربائك. قال عثمان: وهم أقرباؤك أيضاً! قال: أجل، إن رجمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولي معاوية؟ فقد وليته. فقال علي: أنشدك الله، هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ، غلام عمر، له؟ قال: نعم. قال علي: فإن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه.

ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال: أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون^(٢) طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم إليهم البعيد، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً، [لا] يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور^(٣)، ألا فقد والله عبت علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه، فديتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم وأوطأتمكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي. أما^(٤) والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأحرى، إن قلت هلتم أتي إلي، ولقد عددت لكم أقراناً، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به، فكفوا عني ألسنتكم وعيبيكم وطعنكم على ولاتكم، فإني كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حَقِّكم؟ والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي، ولم تكونوا تختلفون عليه.

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حكماًنا والله ما بيننا وبينكم السيف، نحن وأنتم والله كما قال الشاعر:

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنَا فَنَبَتْ بَكُمْ مَعَارِسُكُمْ^(٥) تَبْنُونَ فِي دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان: اسكت لا سكت، دعني وأصحابي، ما منطقتك في هذا! ألم أتقدم إليك أن لا تنطق؟ فسكت مروان ونزل عثمان (عن المنبر، فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألّبهم عليه^(٦)).

(١) «ضعفت» ساقطة من (س).

(٢) في نسخة باريس «عتابون».

(٣) «الأمور» ساقطة من نسخة باريس.

(٤) في الطبعة الأوربية «أم».

(٥) في الأوربية: مغارسكم.

(٦) ما بين القوسين من النسخة (س) والخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٣٣٦ - ٣٣٩.

ذكر عدة حوادث

[الوفيات]

وحجّ هذه السنة بالناس عثمان^(١). وفي هذه السنة تُوفّي كعب الأخبار^(٢)، وهو كعب بن ماته، وأسلم أيام عمر. وفيها مات أبو عبس^(٣) عبد الرحمن بن جبر الأنصاري، شهد بدرًا. وفيها مات مسطح^(٤) بن أثانة المطليبي، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل:

(١) تاريخ الطبري ٣٣٩/٤.

(٢) انظر عن كعب الأخبار في: السير والمغازي ٦٦ و٩٥ و١٤١، والمغازي للواقدي ١٠٨٢، ١٠٨٣، والزهد لابن المبارك (انظر فهرس الأعلام - ص: ش)، والتاريخ لابن معين ٤٩٦/٢، وطبقات ابن سعد ٤٤٥/٧، ٤٤٦، وأخبار مكة للأزرقي ٣١/١ و٤/٢ و٥٢، والتاريخ الكبير ٢٢٣/٧، ٢٢٤ رقم ٩٦٢، والتاريخ الصغير ٦٢/١، وطبقات خليفة ٣٠٨، والمحبر لابن حبيب ١٣١، والمعارف ٤٣٠ و٤٣٩، وعيون الأخبار ١٤٦/١ و١١٧/٢ و٢٧٧، والمعرفة والتاريخ ٧٥١/١، وفتوح البلدان ١٨٢، وأنساب الأشراف ٧/٣ و١٧ و٣٨ و٤٣ و٨٦، وق ٤ ج ٤ ٤٩٥/١ و٥٤٢، وق ١١/٥ و٥٢، وتاريخ أبي زرعة ٣٧٤، ٣٧٣/١، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام ٣٧٩/١٠)، والكنى والأسماء للدولابي ٩٩/١، والجرح والتعديل ١٦١/٦ رقم ٩٠٦، والزاهر للأنباري ٢٠٢/١ و٣٩٢ و٦١٠ و١٢٧/٢ و٢٥٤، وثمار القلوب للثعالبي ٤٧٠، والعقد الفريد ٨/١ و٤٠٦/٤ و٢٧٤/٥ و٢٧٦ و٢٣٩/٦، وريبع الأبرار ٣٦٠/٤، ومشاهير علماء الأمصار ١١٨ رقم ٩١١، وجمهرة أنساب العرب ٤٣٤، وأسد الغابة ٤٨٧/٤، ولباب الآداب ١٥ و٢٣٣ و٤٢٤، والزيارات للهروي ٩ و١٤، وتهذيب الأسماء واللغات ١ ج ٢ ٦٨/٢، رقم ٦٩، والتذكرة الحمدونية ١٠٥/١ و١٣٧/٢، وتهذيب الكمال ١١٤٦/٣، وتذكرة الحفاظ ٤٩/١، وتاريخ الإسلام ٣٩٧/٣، ٣٩٨، والعبر ٣٥/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ - ٤٩٤ رقم ١١١، وشفاء الغرام ٣٢٠/١ و٤٠٠ و١٧/٢ و١٩، والإصابة ٣١٥/٣، ٣١٦ رقم ٧٤٩٦، وتهذيب التهذيب ٤٣٨/٨، وتقريب التهذيب ١٣٥/٢ رقم ٥٣، والنجوم الزاهرة ٩٠/١، وشذرات الذهب ٤٠/١، وخلاصة تهذيب التهذيب ٢٧٣.

(٣) في النسخة (ب): «عبس».

وانظر عن أبي عبس: تاريخ الطبري ٣٣٩/٤، ومسند أحمد ٤٧٩/٣، والمغازي للواقدي ١٥٨ و١٨٧ و٣٤١ و٣٧٥ و٤٠٥ و٦٣٦ و٧٢١، والتاريخ لابن معين ٧١٤/٢، وطبقات ابن سعد ٤٥٠/٣، ٤٥١، والمحبر لابن حبيب ٧٤ و٢٨٢ و٤١٢، وطبقات خليفة ٧٩، والمعارف ٣٢٦، ومقدمة مُسند بقي بن مخلد ١٠٦ رقم ٣٠٠، وأنساب الأشراف ٢٧١/١، والكنى والأسماء للدولابي ٤٣/١، والجرح والتعديل ٢٢٠/٥ رقم ١٠٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١١٥، والاستيعاب ١٢٢/٤، ١٢٣، وأسد الغابة ٢٤٧/٥، ٢٤٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٥ و٣٤١، والكاشف ٣١٤/٣ رقم ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٤٢٨/٣، وتهذيب الكمال ١٦٢١/٣، والإصابة ١٣٠/٤ رقم ٧٣٤، وتهذيب التهذيب ١٥٦/١٢، ١٥٧ رقم ٧٤٥، وتقريب التهذيب ٤٤٧/٢ رقم ٧٠، وخلاصة تهذيب التهذيب ٤٥٤.

(٤) انظر عن مسطح في: المغازي للواقدي ٢٤ و١٥٣ و٤٢٩ و٤٣٤ و٦٩٤، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢١٦ و٢٤٨ و٢٤٩، وطبقات ابن سعد ٥٣/٣، وطبقات خليفة ٩، ونسب قريش ٩٥، وأنساب الأشراف ٢٨٩/١ و٣٤٣، وتاريخ الطبري ٣٣٩/٤ وانظر ٤٠٢/٢ و٦١٣ و٦١٤ و٦١٧، والمعارف ٣٢٨، والجرح والتعديل ٤٢٥/٨ رقم ١٩٣٦، وجمهرة أنساب العرب ٧٣، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٣٣، والاستيعاب ٤٩٤/٣، ٤٩٥، وأسد الغابة ٣٥٤/٤، ٣٥٥، وحلية الأولياء ٢٠/٢، ٢١ رقم ١١٧، وتهذيب الأسماء في ج ١ ٨٩/٢ رقم ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٨٧/١، ١٨٨ رقم ٢٠، والعبر ٣٥/١ =

بل عاش وشهد صَفِين مع عليّ، وهو الأكثر، وكان بدرياً.

وفيهما تُوفّي عبادة بن^(١) الصّامت الأنصاريّ، وهو ممتن شهد العقبة، وكان نقيباً بدرياً.

(وعاقل بن^(٢) البكير، وهو بذريّ أيضاً)^(٣).

= وتاريخ الإسلام ٤٢٤/٣، ٤٢٥، ومرآة الجنان ٨٩/١، والعقد الثمين ٤٤٣/٦ - ٤٤٥، و١٧٩/٧، والإصابة ٤٠٨/٣، ٤٠٩ رقم ٧٩٣٥.

(١) انظر عن عبادة في: المغازي للواقدي ٩ و ٩٩ و ١٦٧ و ١٧٩ و ٣١٨ و ٤٠٨ و ٤١٦ و ٤٢٠ و ٤٢٣ و ٨٦١ و ١٠٥٩، والمحبر لابن حبيب ٧١ و ٢٧٠ و ٢٧٢ و ٤٢٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٠٣ و ١٠٨ و ١٥٥ و ٢١٠، ومقدمة مُسنَد بقيّ بن مخلّد ٨١ رقم ١٩، وطبقات ابن سعد ٥٤٦/٣، والمعارف ٢٥٥ و ٣٢٧، والتاريخ الكبير ٩٢/٦ رقم ١٨٠٩، والزهد لابن المبارك ١٩٢ و ٤٠٩، وتاريخ خليفة ١٥٥ و ١٦٠ و ١٦٨، وطبقات خليفة ٩٩ و ٣٠٢، وأنساب الأشراف ٢٣٩/١ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٧٠، وفتوح البلدان ١٥٦ - ١٥٨، و١٦١ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٨١ و ١٨٢، وتاريخ الطبري ٣٢/١ و ٣٥٥/٢ و ٣٥٦ و ٣٦٨ و ٤٥٨ و ٤٨١ و ٦٠٤ و ٤٠١/٣ و ٢٤١/٤ و ٢٥٨ و ٢٨٣ و ٣٥٦، ومسنَد أحمد ٢٠١/٤ و ٣١٣/٥، وفتوح الشام ٢٧٤ و ٢٨١، والمعرفة والتاريخ ٣٢٣/٢ - ٣٢٥ و ٣٦٠ - ٣٦٢، والعقد الفريد ٣٤٥/٤، وتاريخ أبي زرعة ٢٢٤/١ - ٢٢٦، والجرح والتعديل ٩٥/٦ رقم ٤٩٢، ومشاهير علماء الأمصار ٥١ رقم ٣٣٤، والبدء والتاريخ ١١٥/٥، والكنى والأسماء للدولابي ٩١/١ وجمهرة أنساب العرب ٣١٨ و ٣٥١ و ٣٥٤، والخراج وصناعة الكتابة ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٣٠٠ و ٣٠٦، والمستدرك ٣٥٤/٣ - ٣٥٧، والاستيعاب ٤٤٩/٢ - ٤٥١، وأسد الغابة ١٦٠/٣، ولباب الآداب ١٧٥ و ٣٠٠، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٨١، وتهذيب الكمال ٦٥٥/٢، وتحفة الأشراف ٢٣٩/٤ - ٢٦٤ رقم ٢٦٦، والمعين في طبقات المحدثين ٢٣ رقم ٦٧، ودول الإسلام ٢٧/١، وتاريخ الإسلام ٤٢٢/٣ - ٤٢٤، والكشاف ٥٧/٢ رقم ٢٦٠٩، والعبر ٣٥/١، وسير أعلام النبلاء ٥/٢ - ١١ رقم ١، ومجمع الزوائد ٣٢٠/٩، وتلخيص المستدرك ٣٥٤/٣ - ٣٥٧، ومرآة الجنان ٨٩/١، والوافي بالوفيات ٦١٨/١٦، ٦١٩ رقم ٦٧٠، والجمع بين رجال الصحيحين ٣٣٤/١، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٠٩/٧، والزيارات للهروي ٣٣، وتهذيب التهذيب ١١١/٥، ١١٢ رقم ١٨٩، وتقريب التهذيب ٣٩٥/١ رقم ١٢٣، والإصابة ٢٦٨/٢، ٢٦٩ رقم ٤٤٩٧، والنكت الظراف ٢٤١/٤ - ٢٦٤، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٤، وحسن المحاضرة ٨٩/١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٥٩، وشذرات الذهب ٤٠/١، وكنز العمال ٥٥٤/١٣.

(٢) انظر عن عاقل في: السير والمغازي ١٤٤، والمغازي للواقدي ١٥٦، والبرصان والعرجان ٩٢، وطبقات ابن سعد ٣٨٩/٣، والمحبر لابن حبيب ٧٤ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٥٩، وطبقات خليفة ٢٣، والاستيعاب ١٠١/١ - ١٠٣، وأنساب الأشراف ٢٤٣/١ و ٢٩٦، وأسد الغابة ١٥٣/١، وتاريخ الإسلام ٤٢١/٣، ٤٢٢، والوافي بالوفيات ٤٦١/٩ رقم ٤٤١٧، والعقد الثمين ٣٣٩/٣، والإصابة ٨٩/١ رقم ٣٧٣، وتاريخ الطبري ٣٣٩/٤ وفيه عاقل بن أبي البكير.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان

قيل: في هذه السنة كان مسير من سار من أهل مصر إلى ذي خُشب، ومسير من سار من أهل العراق إلى ذي المروة.

وكان سبب ذلك أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً، وأسلم أيام عثمان، ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد إضلال الناس، فلم يقدر منهم على ذلك، فأخرجه أهل الشام، فأتى فأقام فيهم وقال لهم: العجب ممّن يصدق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمداً يرجع، فوضع لهم الرجعة، فقبلت منه، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان لكل نبي وصي، وعليّ وصي محمد، فمن أظلم ممّن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ، ووُثب على وصيته، وإن عثمان أخذها بغير حق، فانهضوا في هذا الأمر وابتدأوا بالظعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس.

وبث دُعائه، وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما هو عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، حتى تناولوا^(١) بذلك المدينة وأوسعوا بذلك الأرض إذاعة، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية ممّا ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنا لفي عافية ممّا فيه الناس. فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ فقال: ما جاءني إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممّن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة،

(١) في نسخة باريس «ملوا».

وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا: ما أنكرنا شيئاً أيّها الناس ولا أنكره^(١) أعلام المسلمين ولا عوامهم. وتأخر عمار حتى ظنوا أنّه قد اغتيل، فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر أنّ عماراً قد استماله قوم وانقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم^(٢)، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر.

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار: [أمّا بعد] فإنّي آخذ عمالي بموافاتي كلّ موسم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أنّ أقواماً يُشتمون ويضربون، فمن ادّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقّه حيث كان منّي أو من عمالي، أو تصدّقوا فإنّ الله يجزي المتصدّقين. فلمّا قرئ في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان. وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه في الموسم: عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد، ومعاوية، وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمر، فقال: ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة؟ إنّي والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصب^(٣) هذا إلّا بي! فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك الخبر عن العوام؟ ألم يرجع رسلك ولم يشافهم أحد بشيء؟ والله ما صدقوا ولا برّوا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، ولا يحلّ الأخذ بهذه الإذاعة! فقال: أشيروا عليّ. فقال سعيد: هذا أمر مصنوع يلقى في السرّ فيحدث به الناس، ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذي يخرج هذا من عنده. وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فإنّه خير من أن تدعهم. وقال معاوية: قد وليتني قوماً لا يأتيك عنهم إلّا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، والرأي حسن الأدب. وقال عمرو: أرى أنّك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشتدّ في موضع الشدّة، وتلين في موضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعت كلّ ما أشرت به عليّ، ولكلّ أمر باب يؤتى منه، إنّ هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإنّ بابه الذي يُغلق عليه ليفتح، فنكفكه باللين والمؤاتاة إلّا في حدود الله، فإن فُتح فلا يكون لأحد عليّ حُجة حقّ، وقد علم الله أنّي لم آلّ الناس خيراً، وإنّ رحي الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم، فإذا تُعوطيت حقوق الله فلا تُذهنوا فيها. فلمّا نفر عثمان وشخص معاوية والأمراء معه واستقلّ^(٤) على الطريق رجز به الحادي فقال:

(١) في نسخة باريس «أنكرنا».

(٢) «ملجم» كتبت بهامش (س).

(٣) في نسخة باريس «تعصب»، وفي نسخة (ب) «يقتضه»، وفي نسخة بودليان «يقضب».

(٤) في النسخة (ب) «واستقبل».

قد علمت ضوامر المطيِّ وضمرات^(١) عُوجِ القيسيِّ
أنَّ الأميرَ بعده عليٌّ وفي الزبير خَلْفٌ^(٢) رضي
[وطلحة الحامي لها ولي^(٣)]

فقال كعب: كذبت بل يلي بعده صاحب البغلة الشهباء، يعني معاوية؛ فطمع فيها من يومئذٍ.

فلما قَدِمَ عثمان المدينة دعا علياً وطلحة والزبير وعنده معاوية، فحمد الله معاوية ثم قال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ، وخيرته من خلفه وولاة أمر هذه الأمة، لا يطمع فيه أحد غيركم، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع، وقد كبر وولّى عمره، ولو انتظرتُم به الهرم لكان قريباً، مع أنني أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة خفتها عليكم^(٤) فما عتبتم^(٥) فيه من شيء، فهذه يدي لكم به، ولا تطمعوا الناس في أمركم، فوالله إن طمعوا فيه لا رأيتم منها أبداً إلا إداراً.

قال علي: ما لك ولذلك لا أم لك؟ قال: دع أُمِّي فإنها ليست بشر أمهاتكم، قد أسلمت وبأيعت النبي ﷺ، وأجبنني عما أقول لك. فقال عثمان: صدق ابن أخي، أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإن رسول الله ﷺ، كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه، فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه فأمرني لأمركم تبع. فقالوا: قد أصبت وأحسن، قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً. فأخذ منهما ذلك، فرضوا وخرجوا راضين.

وقال معاوية لعثمان: اخرج معي إلى الشام فإنهم على الطاعة قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به. فقال: لا أبيع جوار رسول الله ﷺ، بشيء، وإن كان فيه خيط عنقي. قال: فإن بعثت إليك جنداً منهم يقيم معك لئلا تبوء إن نابت؟ قال: لا أضيق على جيران رسول الله ﷺ. فقال: والله لتقتالن ولتغزَيْن! فقال: حسبي الله ونعم الوكيل!

ثم خرج معاوية فمرّ على نفر من المهاجرين فيهم علي وطلحة والزبير وعليه ثياب

(١) في تاريخ الطبري «وضامرات».

(٢) في نسختي باريس و(ب) «خلق»، وهو تحريف.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٣٤٣/٤، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٠٤.

(٤) في النسخة (ب) «خفتها عنكم».

(٥) في النسخة (ب) «غيبتم».

السفر، فقام عليهم وقال: إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى^(١) بعث الله نبيه ﷺ، وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك وردَّه الله إلى غيرهم، وإن الله على البذل لقادر، وإني قد خلَّفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك. ثم ودَّعهم ومضى. فقال عليٌّ: [ما] كنت أرى في هذا خيراً. فقال الزبير: والله ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم^(٢).

واتَّعد المنحرفون عن عثمان يوماً يخرجون فيه بالأمصار جميعاً إذا سار عنها الأمراء، فلم يتهياً لهم ذلك، ولما رجع الأمراء ولم يتمَّ لهم الوثوب [صاروا] يكتابون في القدوم إلى المدينة، لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن أشياء لتطير في الناس. وكان بمصر محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة يحرضان على عثمان.

فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِّي في خمسمائة، وقيل: في ألف، وفيهم كِنانة بن بِشْر الليثي، وسودان بن حُمران السَّكُونِي، وقُتَيْرة بن فلان السَّكُونِي، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العُكِّي؛ وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صُوحان العبدي، والأشتر النُخعي، وزيد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وهم في عداد أهل مصر؛ وخرج أهل البصرة فيهم حُكَيْم بن جَبَلَة العبدي، وذريح^(٣) بن عباد، وبِشْر بن شَرِيح القيسي، وابن المحترش^(٤)، وهم بعداد أهل مصر، وأميرهم حُرْقُوص بن زهير السعدي؛ فخرجوا جميعاً في شَوَّال، وأظهروا أنهم يريدون الحجَّ، فلما كانوا من المدينة على ثلاث، تقدَّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشْب، وكان هواهم في طلحة، وتقدَّم ناس من أهل الكوفة، وكان هواهم في الزُّبير، وتركوا^(٥) الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وكان هواهم في عليٍّ، ونزلوا عامتهم بذي المروة، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر، وعبد الله بن الأصم وقالوا لهم: لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم، فقد بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ عَسَكروا لنا، فوالله إن كان هذا حقاً واستحلُّوا قتالنا بعد علم حالنا إن أمرنا لباطل، وإن كان الذي بَلَّغْنَا باطلاً رجعنا إليكم بالخبر. قالوا: اذهب. فذهبوا فدخلوا المدينة فلقوا أزواج النبي ﷺ، وعلياً وطلحة والزُّبير، فقالوا: إننا نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمَّالنا، واستأذناهم في الدخول،

(١) في نسخة باريس «حين».

(٢) تاريخ دمشق (عثمان) ٣٠٥.

(٣) في نسخة باريس «ذريح»، وفي الطبعة الأوربية «وَزَرِيح».

(٤) في نسخة باريس «المحترش»، وفي نسخة (ب) «المحسن».

(٥) في الطبعة الأوربية «ونزلوا».

فكلّمهما أبَيّ ونهاهما، فرجعا إلى أصحابهما. فاجتمع نفر من أهل مصر فأتوا عليّاً، ونفر من أهل البصرة فأتوا طلحة، ونفر من أهل الكوفة فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعنا صاحبنا وإلاّ كذبناهم وفرّقنا جماعتهم، ثمّ رجعنا عليهم حتى نبغتهم^(١). فأَتى المصريون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت متقلّداً سيفه، وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فسلمّوا عليه وعرضوا عليه، فصاح بهم وطردهم وقال: لقد علم الصالحون أنّ جيش ذي المروة وجيش ذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فانصرفوا عنه. وأتى البصريّون طلحة فقال لهم مثل ذلك، وكان قد أرسل ابنه إلى عثمان؛ وأتى الكوفيّون الزبير فقال لهم مثل ذلك، وكان قد أرسل ابنه عبد الله إلى عثمان^(٢).

فرجعوا وتفرّقوا عن ذي خُشب وذي المروة والأعوص إلى عسكرهم ليتفرّق أهل المدينة ثمّ يرجعوا إليهم. فلمّا بلغوا عسكرهم تفرّق أهل المدينة، فرجعوا بهم، فلم يشعر أهل المدينة إلاّ والتكبير في نواحيها، ونزلوها وأحاطوا بعثمان وقالوا: مَنْ كَفَّ يده فهو آمن. وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه، وأتاهم أهل المدينة وفيهم عليّ فقال لهم: ما ردّكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا. وأتى طلحة الكوفيّين فسألهم عن عودهم، فقالوا مثل ذلك. وأتى الزبير البصريّين فقالوا مثل ذلك، وكلّ منهم يقول: نحن نمنع إخواننا وننصرهم، كأنما كانوا على ميعاد. فقال لهم عليّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة يا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل حتى رجعتم علينا؟ هذا والله أمر أبرم بليل^(٣)! فقالوا: ضِعوه^(٤) كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزل عنا. وعثمان يصليّ بهم وهم يصلّون خلفه، وهم أدقّ في عينه من التراب، وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع^(٥).

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم ويأمرهم بالحثّ للمنع عنه، ويعرّفهم ما الناس فيه. فخرج أهل الأمصار على الصَّعب والدُّلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهريّ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو، وقام بالكوفة نفر يحضُّون على إعانة أهل المدينة، منهم: عُقبة بن عامر، وعبد الله بن أبي أوفى، وحنظلة الكاتب، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، ومن التابعين: مسروق،

(١) في نسخة المتحف البريطاني «نبغتهم».

(٢) تاريخ دمشق (عثمان) ٣١٥ - ٣١٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٣٥١/٤ «أبرم بالمدينة». وكذلك في تاريخ دمشق (عثمان) ٣١٨.

(٤) في النسخة (ب) «ضِعوه».

(٥) تاريخ دمشق ٣١٨.

والأسود، وشريح، وعبد الله بن حكيم، وغيرهم، وقام بالبصرة: عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين: كعب بن سور، وهريم بن حيّان، وغيرهما، وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين^(١) وكذلك بمصر^(٢).

ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة، خرج عثمان فصلّى بالناس ثمّ قام على المنبر فقال: يا هؤلاء، الله الله! فوالله إنّ أهل المدينة ليعلمون أنّكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب. فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأقعده حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت، فأقعده محمد بن أبي قتيبة^(٣)، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صُرع عن المنبر مغشياً عليه، فأدخل داره. واستقتل^(٤) نفر من أهل المدينة مع عثمان، منهم: سعد بن أبي وقاص، والحسين بن عليّ، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة. فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وأقبل عليّ، وطلحة، والزبير، فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته، ويشكون إليه ما يجدون^(٥)، وكان عند عثمان نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحَكَم، فقالوا كلّهم لعليّ: أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع؛ والله لئن بلغت الذي تريد لتمرّن عليك الدنيا! فقام مغضباً وعاد هو والجماعة إلى منازلهم. وصلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثمّ منعوه الصلاة، وصلى بالناس أميرهم الغافقيّ، وتفرّق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج إلّا بسيفه ليتمنع^(٦) به، وكان الحصار أربعين يوماً، ومن تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح^(٧).

وقد قيل: إنّ محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان، وسار محمد بن أبي بكر مع من سار إلى عثمان، وأقام ابن أبي حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد، على ما يأتي. فلمّا خرج المصريّون إلى قصد عثمان أظهروا أنّهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس

(١) من الصحابة: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وغيرهم، ومن التابعين: شريك بن خباشة النميري، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم، وغيرهم.

(٢) منهم: خارجة بن زيد. (تاريخ دمشق ٣١٩ و ٣٢٠).

(٣) في نسخة (ب) «بصرة».

(٤) في الطبعة الأوربية «واستقبل».

(٥) تاريخ دمشق ٣٢٠.

(٦) في تاريخ الطبري «يتمنع».

(٧) تاريخ الطبري ٣٤٠/٤ - ٣٥٤.

البَلَوِيُّ، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً إلى عثمان يخبره بحالهم، وأنهم قد أظهروا العُمرَةَ وقصدهم خلعه أو قتله، فخطب عثمان الناس وأعلمهم حالهم، وقال لهم: إنهم قد أسرعوا إلى الفتنة واستطالوا عمري، والله لئن فارقتهم ليتمنون أن عمري كان عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحن والأثرة الظاهرة والأحكام المغيرة.

وكان عبد الله بن سعد قد خرج إلى عثمان في آثار المصريين بإذنه له، فلما كان بأيلة^(١) بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصره، وأن محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر واستجابوا له، فعاد عبد الله إلى مصر فمُنِع عنها، فأتى فلسطين فأقام بها حتى قُتل عثمان.

فلما نزل القوم ذا خُشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون، ولما رأى عثمان ذلك جاء إلى عليّ فدخل عليه بيته فقال له: يا ابن عم، إن قرابتي قريبة، ولي عليك حقّ عظيم، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي، ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأحبّ أن تركب إليهم فتردهم عني، فإن في دخولهم عليّ توهيناً لأمرِي وجراًة عليّ! فقال عليّ: على أيّ شيء أردّهم عنك؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيت لي. فقال عليّ: إني قد كلمتك مرّة بعد أخرى، فكلّ ذلك نخرج ونقول ثمّ ترجع عنه، وهذا من فعل مروان، وابن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، فإنك أطعتهم وعصيتني. قال عثمان: فأنا أعصيه وأطيعك.

فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً فيهم سعيد بن زيد، وأبو جهم العدويّ، وجُبَيْر بن مُطعم، وحكيم بن جِزام، ومروان وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عَتَاب بن أُسَيْد، ومن الأنصار أبو أسيد الساعديّ، وأبو حُمَيْد، وزيد بن ثابت، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومن العرب نيار^(٢) بن مِكرز، فأتوا المصريين فكلموهم، وكان الذي يكلمهم عليّ ومحمد بن مسلمة، فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر. فقال ابن عُدَيْس لمحمد بن مسلمة: أتوصينا بحاجة؟ قال: نعم، تتقي الله وتردّ من قبلك عن إمامهم، فإنه قد وعدنا أن يرجع وينزع. قال ابن عُدَيْس: أفعّل إن شاء الله. ورجع عليّ ومن معه إلى المدينة، فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم وكلمه بما في نفسه، ثمّ خرج من عنده، فمكث عثمان ذلك اليوم، وجاءه مروان بكرة الغد فقال له:

(١) أَيْلَة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ٢٩٢/١).

(٢) في نسخة (ب) «قباد».

تكلّم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه. ففعل عثمان، فلمّا خطب الناس قال له عمرو بن العاص: اتّق الله يا عثمان، فإنّك قد ركبتَ أموراً وركبناها معك، فتُب إلى الله تنب. فناداه عثمان: وإنّك هنالك يا ابن النابغة! قِمْلَتْ والله جُبْتُكَ منذ عزلتك عن العمل! فتودي من ناحية أخرى: تُب إلى الله. فرفع يديه وقال: اللهم إني أوّل تائب!.

وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إني كنتُ لألقى الراعي فأحرّضه على عثمان. وأتى عليّاً وطلحة والزبير فحرّضهم على عثمان^(١)، (فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابنه محمد وعبد الله^(٢))، وسلامة بن رَوْح الجذاميّ إذ مرّ به راكب من المدينة، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطرب العير والمكواة في النار^(٣). ثمّ مرّ راكب آخر فسأله فقال: قُتل عثمان. فقال عمرو: أنا أبو عبد الله، إذا حككتُ قرحةً نكأتها^(٤). فقال له سلامة بن رَوْح: يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه! فقال: أردنا أن نُخرج الحقّ من خاصرة الباطل ليكون الناس في الحقّ شرعاً سواء^(٥).

وقيل: إنّ عليّاً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم إلى عثمان قال له: تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن أن يجيء ركبٌ آخر من الكوفة والبصرة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعُ رحِمك واستخففتُ بحقّك. فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال: أنا أوّل من اتعظ، أستغفرُ الله ممّا فعلتُ وأتوبُ إليه، فمثلي نزع وتاب^(٦)، فإذا نزلتُ فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستننّ بسنة العبد ولأذلنّ ذلّ العبد، وما عن الله مذهب إلاّ إليه، فوالله لأعطينكم الرّضا، ولأنحينّ مروان وذويه، ولا أحتجب عنكم! فرق الناس وبكوا حتى أخضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً.

فلما نزل عثمان وجد مروان وسعيداً ونفراً من بني أمية في منزله لم يكونوا شهدوا

(١) تاريخ الطبري ٣٥٧/٤ - ٣٦٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «ومحمد بن عبد الله» وهو وهم.

(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢٤٨/٢.

(٤) مجمع الأمثال ٤٣/١.

(٥) العبارة من «فبينما هو في قصره» إلى هنا، ليست في تاريخ الطبري.

(٦) في النسخة (ب) «يرتاع يرتاب».

حطبتة، فلمّا جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: لا بل اصمّت فإنهم والله قاتلوه ومؤثّموه، إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فقال لها مروان: ما أنتِ وذاك! فوالله قد مات أبوك وما يحسن يتوصّأ! فقالت: مهلاً يا مروان عن ذكر (الآباء! تحبس)^(١) عن أبي وهو غائب تكذب عليه. وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه؟ أمّا^(٢) والله لولا أنّه عمه (وأنّه يناله غمّه^(٣)) لأخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه. قالت: فأعرض عنها مروان، فقال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت؟ قال: تكلّم. فقال مروان: بأبي أنت وأمي، والله لوددتُ^(٤) أنّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع فكنتُ أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطّبيين^(٥) وخلف السيل الرّبي^(٦)، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل؛ والله لإقامة على خطيئة يُستغفر منها أجمل من توبة يخوف عليها، وأنت إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرّ بالخطيئة؛ وقد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحيي أن أكلمهم. فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب؟ شأهت الوجوه! ألا^(٧) من أريد؟ جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنّا، واللّه لئن رتمونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم فإنّا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا. فرجع الناس وأتى بعضهم عليّاً فأخبره الخبر.

فأقبل عليّ على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قال: نعم. قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قال: نعم. فقال عليّ: أي عباد الله! يا للمسلمين! إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقي، وإنّي إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقاً له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ. وقام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يُقاد حيث يُسار به^(٨)؟

(١) في النسخة (ب) «إلا بالخير».

(٢) في الطبعة الأوربية «أم».

(٣) في الطبعة الأوربية «عمّه».

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (ب).

(٥) في الطبعة الأوربية «لو أردت».

(٦) مجمع الأمثال ٢٩٣/١ والطبي: موضع الثدي من الخيل.

(٧) مجمع الأمثال ١٥١/١.

(٨) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٩) في الطبعة الأوربية «يشاء ربه».

والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه! وإيّم الله إنّي لأراه يوردك ولا يصدرك! وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبَت شرفك وغلبَت على رأيك^(١).

(فلما خرج عليّ دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفرافصة فقالت: قد سمعتُ قول عليّ لك وليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وتتبع سنّة صاحبيك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنّما تركك الناس لمكانه، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابة وهو لا يُعصى. فأرسل عثمان إلى عليّ فلم يأتِه وقال: قد أعلمته أنّي غير عائد. فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، فجلس بين يدي عثمان فقال: يا ابنة الفرافصة! فقال عثمان: لا تذكرها بحرف^(٢) فأسود وجهك، فهي والله أنصح^(٣) لي! فكفّ مروان^(٤)).

وأتى عثمان إلى عليّ بمنزله ليلاً وقال له: إنّي غير عائد، وإنّي فاعل. فقال له عليّ: بعدما تكلمت على منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم. فخرج عثمان من عنده وهو يقول: خذلتني وجرأت الناس عليّ. فقال عليّ: والله إنّي لأكثر الناس ذباً عنك، ولكنّي كلّما جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعتُ قوله وتركتُ قولي.

ولم يعد عليّ يعمل ما كان يعمل إلى أن مُنع عثمان الماء. فقال عليّ لطلحة: (أريد أن)^(٥) تُدخل عليه الروايا، وغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان^(٦).

قال: وقد قيل إنّ عليّاً كان عند حصر عثمان بخير، فقديم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة، وكان ممّن له فيه أثر، فلما قديم عليّ أتاه عثمان وقال له: أمّا بعد فإنّ لي حقّ الإسلام وحقّ الإخاء والقرابة والصّهر، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في الجاهليّة لكان عاراً على بني عبد مناف أن يتزع أخو بني تميم^(٧)، يعني طلحة، أمرهم. فقال له عليّ: سيأتيك الخبر، ثمّ خرج إلى المسجد فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة، وهو [في] خلوة من الناس، فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟ فقال: يا أبا

(١) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٦٠ - ٣٦٤.

(٢) في نسخة (ب) «بسوء».

(٣) في نسخة بارس «اصلح صح».

(٤) الفقرة بين القوسين ليست في الطبري.

(٥) في الطبعة الأوربية «في أن».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٦٤.

(٧) في الطبعة الأوربية «بني تميم».

الحسن بعدما مَسَّ الحِزَامُ الطَّبِيبِينَ. فانصرف عليّ حتى أتى بيت المال فقال: افتحوه، فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب وأعطى الناس، فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، وسُرَّ بذلك عثمان، وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه! فقال عثمان: والله ما جئتُ تائباً، ولكن جئتُ مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة^(١)!

ذكر مقتل عثمان^(٢)

قد ذكرنا سبب مسير الناس إلى قتل عثمان. وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك، ونذكر الآن كيف قتل، وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله.

فكان من ذلك أنّ إبلاً من إبل الصدقة قُدم بها على عثمان، فوهبها لبعض بني الحَكَم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في الدار.

قيل: وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق^(٣) جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو في نادي قومه ويده جامعة، فسلم فردّ القوم، فقال جبلة: لِمَ تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك، أولت تركن بطنانك هذه الخبيثة: مروان وابن عامر وابن سعد، منهم من نزل القرآن بذهمه وأباح رسول الله ﷺ، دمه. فاجترأ الناس عليه^(٤)، وقد تقدّم قول عمرو بن العاص له في خطبته.

قيل: وخطب يوماً ويده عصا كان النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاه الغفاريّ من يده وكسرها على ركبته، فرُمي في ذلك المكان بأكلة^(٥).

(١) الخبر ليس في تاريخ الطبري.

(٢) انظر: تاريخ خليفة ١٦٨ وما بعدها، وتاريخ يعقوبي ١٧٣/٢ وما بعدها وطبقات ابن سعد ٧٢/٣ وما بعدها، وكتاب الفتوح لابن أعمش ٢١١/٢ وما بعدها، والمعرفة والتاريخ ٣١٠/٣، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٣٣٧ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣٦٥/٤ وما بعدها، ومروج الذهب ٣٥٢/٢ وما بعدها، والبدء والتاريخ ١٩٩/٥، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٤، ١٠٥، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٦٢، ونهاية الأرب ٤٨٥/١٩ وما بعدها، ومراة الجنان ٩٠/١، ٩١، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٤٢٩/٣ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١٦٩/١، ١٧٠، وتتمة المختصر ١٥٤/١، والبداية والنهاية ١٧٦/٧ وما بعدها، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٤٣ وتاريخ الخميس ٢٨٨/٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٣٦٥/٤ «بالمنطق السيء».

(٤) تاريخ الطبري ٣٦٥/٤، ٣٦٦.

(٥) تاريخ الطبري ٣٦٦/٤، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٣٣٢ و٣٣٣، تاريخ الإسلام ٤٤٤/٣.

وقيل: كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمد ﷺ قد أفسده خليفتمكم^(١) فأقيموه. فاختلفت قلوب الناس، على ما تقدّم ذكره، وجاء المصريون، كما ذكرنا، إلى المدينة، فخرج إليهم عليّ ومحمد بن مسلمة، كما تقدّم، فكلماهم فعادوا ثم رجعوا، فلما رجعوا انطلق إليهم محمد بن مسلمة فسألهم عن سبب عودهم، فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالبُويب على بعير من إبل الصدقة، ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عُدَيْس، وعمر بن الحَمِق، وعُروة بن الحَمِق، وعُروة بن البَيّاع^(٢) وحبسهم وحلّق رؤوسهم ولحاهم وصلّب بعضهم. وقيل: إن الذي أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السُّلَمي. فلما رآوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال: لا. فسألوه في أي شيء هو، فتغيّر كلامه، فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه، وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون. فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له: قد كلّمنا عليّاً ووعدنا أن يكلمه، وكلّمنا سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد فقالا: لا ندخل في أمركم. وقالوا لمحمد بن مسلمة ليحضر مع عليّ عند عثمان بعد الظهر، فوعدهم بذلك، فدخل عليّ ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه، وعنده مروان، فقال: دعني أكلّمهم. فقال عثمان: اسكت فضّ اللّهُ فاك! ما أنت وهذا الأمر؟ اخرج عني! فخرج مروان. وقال عليّ ومحمد لعثمان ما قال المصريون، فأقسم بالله: ما كتبتّه ولا علّم [لي] به. فقال محمد: صدق، هذا من عمل مروان.

ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة، فعرفوا الشرّ فيهم، وتكلّموا فذكر ابن عُدَيْس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الدّمة، والاستثثار في الغنائم، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين. وذكروا شيئاً ممّا أحدث بالمدينة، وقالوا له: وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك، فردّنا عليّ ومحمد بن مسلمة، وضمّنا لنا النزوع عن كلّ ما تكلّمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس.

فحلف عثمان أنّه ما كتب ولا أمر ولا علّم. فقال عليّ ومحمد: صدق عثمان. قال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قالوا: فيُجترأ عليك ويُبعث غلامك وجملاً من الصدقة، ويُنقش على خاتمك، ويُبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا: ما أنت إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحقت الخلع لما

(١) في الطبعة الأوربية «أفسد خلفكم».

(٢) هكذا في الأصول، وتاريخ دمشق ٣٢١، وفي تاريخ الطبري ٤/٣٧٣ و٣٨٩ «البّباع».

أمرت به من قتلنا بغير حقّ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر، وغفلتك وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تُقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك كما خلعتك الله! فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله، ولكنّي أتوب وأنزع. قالوا: لو كان هذا أوّل ذنب تبتّ منه قبلنا، ولكنّا رأيناك تتوب ثمّ تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص^(١) إليك. فقال: أمّا أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحبّ إليّ من ذلك، وأمّا قولكم تقتلون منّ منعني فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل، ولو أردت قتالكم لكُتبت إلى الأجناد فقدموا عليّ، أو لحقت ببعض أطرافي. وكثرت الأصوات واللغط^(٢).

فقام عليّ فخرج وأخرج المصريّين ومضى عليّ إلى منزله، وحصر المصريون عثمان، وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم، ويأمرهم بالعجل وإرسال الجنود إليه. فتربّص به معاوية، فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسريّ^(٣) جدّ خالد بن عبد الله القسريّ^(٤)، فتبعه خلق كثير، فسار بهم إلى عثمان، فلمّا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل: بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهريّ، وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلميّ، فلمّا وصلوا الرّبذة ونزلت مقدّمهم صرّاراً بناحية المدينة أتاها قتل عثمان فرجعوا.

وكان عثمان قد استشار نصحاء في أمره، فأشاروا عليه أن يُرسل إلى عليّ يطلب إليه أن يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطولهم حتى يأتيه إمداده. فقال: إنهم لا يقبلون التعلّل، وقد كان منّي في المرّة الأولى ما كان. فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك، فإنهم قوم بَعُوا عليك ولا عهد لهم. فدعا عليّاً فقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني فإنّي أعطيتهم ما يريدون من الحقّ من نفسي وغيري. فقال عليّ: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، ولا يرضون إلّا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم أوّلاً عهداً فلم تَف به فلا تغرّني^(٥) هذه المرّة، فإنّي معطيهم عليك الحقّ. فقال: أعطهم فوالله لأفّين لهم. فخرج عليّ إلى الناس فقال لهم: إنّما طلبتم الحقّ وقد أعطيتموه، وقد زعم أنّه منصفكم من نفسه. فقال الناس: قبلنا فاستوثق منه لنا، فإنّا لا نرضى بقول دون فعل. فدخل عليه عليّ فأعلمه فقال: اضرب بيني

(١) في نسخة (ب) «يخلصوك».

(٢) في الطبعة الأوربية «واللفظ».

(٣) في نسخة (ب) «القسيري».

(٤) في الطبعة الأوربية «تغرّني».

وبينهم أجلاً، فإنني لا أقدر على أن أرد ما كرهوا في يوم واحد. فقال عليّ: أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام. فأجابه إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه.

فكفّ الناس عنه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلح وأتخذ جنداً، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاريّ إلى المصريين فأعلمهم الحال، وهم بذئ خُشب، فقدموا المدينة، وطلبوا منه عزل عمّاله وردّ مظالمهم. فقال: إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فليست في شيء والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن. فأبى عليهم وقال: لا أنزع سرباً لا سربنيّه الله^(١). فحصره واشتدّ الحصار عليه، فأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا، فأشرف عليهم فقال: يا أيّها الناس اجلسوا. فجلسوا المحارب والمسالّم. فقال لهم: يا أهل المدينة أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم؟ أتقولون إنّ الله لم يستجب لكم وهتم عليه وأنتم أهل حقّه؟ أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولي والدين لم يتفرّق أهله يومئذ؟ أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة، إنّما كان مكابرة، فوكل الله الأمة إذا عصته ولم يشاوروا في الإمامة؟ أم تقولون: إنّ الله لم يعلم عاقبة أمري! وأنشدكم بالله أتعلمون لي من سابقة خير وقدم خير قدّمه الله لي ما يوجب^(٢) على كلّ من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها! فمهلاً لا تقتلونني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إيمانه، أو قتل نفساً بغير حقّ، فإنكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً^(٣).

قالوا: أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثمّ ولوك، فإنّ كلّ ما صنع الله خيرة، ولكنّ الله جعلك بليّة ابتلى بها عباده، وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله ﷺ، فقد كنت كذلك وكنت أهلاً للولاية، ولكن أحدث ما علمته، ولا نترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً، وأما قولك: إنّ لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة، فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت، قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من

(١) تاريخ خليفة ١٧٠، تاريخ الإسلام ٤٤٦/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية: ما يوجد.

(٣) تاريخ الطبري ٣٩٥/٤.

بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه، وقد تمسكت بالإمارة علينا، فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو خلعت نفسك لأنصرفوا عن القتال معك^(١)!

فسكت عثمان ولزم الدار، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن بن علي، وابن عباس^(٢)، ومحمد بن طلحة، وعبد الله بن الزبير، وأشباههم، واجتمع إليه ناس كثير، فكانت مدة الحصار أربعين يوماً، فلما مضت ثمانى عشرة ليلة قديم ركبنا من الأمصار، فأخبروا بخبر من تهيأ إليهم من الجنود وشجعوا الناس، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان، ومنعوه كل شيء حتى الماء. فأرسل عثمان إلى علي سرّاً وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي ﷺ أنهم قد منعوني الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا. فكان أولهم إجابة علي، وأم حبيبة زوج النبي ﷺ، فجاء علي في الغلس فقال: يا أيها الناس إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المأذة، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي! فقالوا: لا والله ولا نعمة عين! فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت ورجعت، وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة، فضربوا وجه بغلتها فقالت: إن وصايا بني أمية عند هذا الرجل، فأجبت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل. فقالوا: كاذبة؛ وقطعوا جبل البغلة بالسيف، فنفرت وكادت تسقط عنها، فتلقأها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها.

فأشرف عثمان يوماً فسلم عليهم ثم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنني اشتريت بشر رومة بمالي لئلا تستعذب بها، فجعلت رثائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: فلم تمنعوني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟ ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنني اشتريت أرض كذا فزديتها في المسجد؟ قيل: نعم. قال: فهل علمتم أن أحداً منع أن يصلي فيه قبلي؟ ثم قال: أنشدكم بالله أتعلمون أن النبي ﷺ، قال عني كذا وكذا؟ أشياء في شأنه. ففشا النهي في الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين. فقام الأشر فقال: لعلّه مكر به وبكم. وخرجت عائشة إلى الحج واستتبت أخاها محمداً فأبى، فقالت^(٣): والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن. فقال له حنظلة الكاتب: تستبئك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتتبع ذؤبان العرب إلى ما [لا] يحل؟ وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف. ثم رجع حنظلة إلى الكوفة وهو يقول:

(١) تاريخ الطبري ٣٩٦/٤.

(٢) «ابن عباس» ساقطة من نسخة باريس.

(٣) في الطبعة الأوربية «فقال».

عجبتُ لما يخوضُ النَّاسُ فيه يرومونُ الخلافةَ أنْ تَزُولَا
ولو زالتْ لزالَ الخَيْرُ عَنْهُمْ ولاقُوا بَعْدَهَا ذُلًّا ذَلِيلَا
وكانوا كاليهودِ وكالنصارَى سواءَ كلَّهم ضَلُّوا السَّبِيلَا^(١)

وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأمّ حبيبة، فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات. فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس، فأمره أن يحجّ بالناس، وكان ممّن لزم الباب، فقال: جهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحجّ. فأقسم عليه فانطلق.

قال عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة: دخلتُ على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على بابه، فمنهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع. قال: فيبينما نحن واقفون إذ مرّ طلحة فقال: أين ابن عُديس؟ فقام إليه فناجاه، ثم رجع ابن عُديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده. فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة، اللهم اكفني طلحة فإنه حمل عليّ هؤلاء وألبهم عليّ! والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفك دمه! قال: فأردتُ أن أخرج فمنعوني حتى أمرهم محمد بن أبي بكر فتركوني أخرج. وقيل: إنّ الزبير خرج من المدينة قبل أن يُقتل عثمان، وقيل: أدرك قتله.

ولما رأى المصريون أنّ أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن يجمعوا ذلك إلى حجّهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا: لا يخرجنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه إلّا قتل هذا الرجل، فيشتغل الناس عنّا بذلك. فراموا الباب فمنعهم الحسن، وابن الزبير ومحمد بن طلحة، ومروان وسعيد بن العاص، ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا، فزجرهم عثمان وقال: أنتم في حلٍّ من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب لمنعهم، فلمّا خرج ورآه المصريون رجعوا، فركبهم هؤلاء، وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلنّ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض، وكان من الصحابة، فنادى عثمان، فيينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكِنديّ بسهمٍ فقتله.

فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتله لنقتله به. قال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي. فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى الباب، فلم يمنهم أحد منه، والباب مغلق لا يقدرّون على الدخول منه، فجاءوا بنار فأحرقوه والسقيفة التي على الباب، وثار أهل

(١) تاريخ الطبري ٣٨٦/٤، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤٤٠.

الدار، وعثمان يصليّ قد افتتح ﴿طه﴾ فما شغله ما سمع، ما يخطيء وما يتتبع، حتى أتى عليها، فلما فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه، وقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١) فقال لمن عنده بالدار: إن رسول الله ﷺ، قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه، ولم يحرقوا الباب إلّا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأخرج^(٢) على رجل أن يستقتل أو يقاتل، وقال للحسن: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم من أمرك، فأقسمت عليك لما خرجت إليه. فتقدّموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله، فبرز المغيرة بن الأخنس بن شريق، وكان قد تعجّل من الحجّ، في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار، وارتجز يقول:

قد علمت ذات القرون الميلِ والحليّ والأنامل الطُفُولِ
لتصدّقن^(٣) بيّعتي خليلي بصارمٍ ذي روتقٍ مصقولِ^(٤)
لا أستقيّل إذ أقلت قيلي^(٥)

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمارٍ شمام^(٦)

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنا ابنٌ من حامى عليه بأحدٍ وردّ أحزاباً على رغم مَعَدّ^(٧)

وخرج^(٨) سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموت واقب^(٩) بأسيفنا دون ابن أروى نضارب

وكنا غداة الرّوع في الدار نُصرّة^(١٠) نشافهم بالضرب والموت نائب^(١١)

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «فأخرج».

(٣) في الطبعة الأوربية «لتصدفن».

(٤) هذا الشطر من الرجز ليس في نسخة (ب).

(٥) تاريخ الطبري ٣٨٩/٤، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤٤٣.

(٦) تاريخ الطبري ٣٨٨/٤، تاريخ دمشق ٤٤٢ وفيه «حتى يصير إلى الطمر».

(٧) المصدران السابقان. وفي الطبعة الأوربية «سعد». وفي نسخة (ب) وردت زيادة: «وقيل فقال هذا الشعر».

(٨) ساقطة من (ب).

(٩) كذا في تاريخ الطبري ٣٨٩/٤، وفي تاريخ دمشق ٤٤٣، والتمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ١٣٢ «واقف» كما في الطبعة الأوربية.

(١٠) في نسخة باريس، وتاريخ دمشق ٤٤٣ «فُصرة».

(١١) كذا في تاريخ دمشق، وفي التمهيد «ثابت»، وفي تاريخ الطبري «ثاقب».

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال: هذا يوم طاب فيه الضرب! ونادى: ﴿يَا قَوْمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾^(١) وبرز مروان وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل
والكف والأنامل الطُفُول
أنِّي أروغ أول الرّعيْل
بغارةٍ مثل القطا السَّليل^(٢)

فبرز إليه رجل من بني ليث يدعى البياح^(٣)، فضربه مروان وضرب هو مروان على رقبته فأثبتته وقطع إحدى علباويه، فعاش مروان بعد ذلك أوقص، وقام إليه عبيد بن رفاعة الزُرقيّ ليدفّف عليه، فقامت فاطمة أم إبراهيم بن عديّ، وكانت أرضعت مروان وأرضعت له، فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح! فتركه وأدخلته بيتها، فعرف لها بنوه ذلك، واستعملوا ابنها إبراهيم بعدد. ونزل إلى المغيرة بن الأخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة، قال: فلما سمع الناس يذكرونه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال له عبد الرحمن بن عديس: ما لك؟ فقال: رأيت فيما يرى النائم هاتفاً^(٤) يهتف فقال: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به.

واقترح الناس الدار من الدور التي حولها، ودخلوها من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان حتى ملأوها ولا يشعر من بالباب، وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلاً يقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت فقال: اخلعهما وندعك. فقال: ويحك! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغني^(٥) ولا تمنيت^(٦) ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست خالعا قميصا كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة! فخرج عنه، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: والله لا ينجيننا^(٧) من الناس إلا قتله ولا يحلّ لنا قتله. فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال له: لست بصاحبي لأن النبي ﷺ، دعا لك أن تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع. فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إن رسول الله ﷺ، استغفر لك يوم كذا وكذا

(١) سورة غافر، الآية ٤١.

(٢) الطبري ٤/٣٨٠ وفيه «بغاره».

(٣) عند الطبري «انباع».

(٤) في الطبعة الأوربية «هاتف».

(٥) في نسخة باريس «تعنيت» وفي (ب) «نغيت».

(٦) في (ب) «مهنّت».

(٧) هنا تنتهي العبارة في (س).

(٨) في الطبعة الأوربية «ينجيه».

فلن تقارف دماً حراماً. فرجع وفارق أصحابه. وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال: يا قوم لا تسلّوا سيف الله فيكم، فوالله إن سلّتموه لا تغمدوه! ويلكم! إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدّرة، فإن قتلتموه لا يقوم إلّا بالسيف. ويلكم! إنّ مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه ليتركّنها. فقالوا: يا ابن اليهودية ما أنت وهذا! فرجع عنهم. وكان آخر من دخل عليه ممّن رجّع محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جرم إلّا حقّه أخذته منك؟

فأخذ محمد لحيته وقال: قد أخزأك الله يا نعل! فقال: لست بنعل ولكني عثمان وأمير المؤمنين، وكانوا يلقبون به عثمان. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يا ابن أخي فما كان أبوك ليقبض عليها. فقال محمد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، والذي أريد بك أشدّ من قبضي عليها! فقال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به! فتركه وخرج.

وقيل: بل طعن جبينه بمشقص كان في يده^(١). والأوّل أصحّ.

قال: فلمّا خرج محمد وعرفوا انكساره ثار فتيرة^(٢)، وسودان بن حمران، والغافقي، فضربه الغافقي بحديدة^(٣) معه وضرب المصحف برجله، فاستدار المصحف واستقرّ بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان ليضربه، فأكبّت عليه امرأته واتّقت السيف بيدها، فنفخ أصابعها فاطن^(٤) أصابع يدها وولّت، فغمز أوراكها وقال: إنّها لكبيرة العجز! وضرب عثمان فقتله.

وقيل: الذي قتله كنانة بن بشر التّجبيّ^(٥). وكان عثمان رأى النبي ﷺ، تلك الليلة يقول له: إنّك تفطر الليلة عندنا. فلمّا قُتل سقط من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾^(٦). ودخل غلّة لعثمان مع القوم لينصروه، وكان عثمان قد أعتق من كفّ يده منهم، فلمّا ضربه سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله، ووثب فتيرة^(٧) على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت وخرجوا، ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلمّا خرجوا

(١) تاريخ خليفة ١٧٤، تاريخ دمشق ٤٠٩، تاريخ الإسلام ٤٥٤/٣، وانظر: طبقات ابن سعد ٧٣/٣، وتاريخ الطبري ٣٩٣/٤، وأنساب الأشراف ٤ ج ١/٥٧٤، ٥٧٥ رقم ١٤٧٠.

(٢) في النسخة (ب): «قنبرة».

(٣) في الطبعة الأوربية «بجريدة».

(٤) أطن: قطع.

(٥) تاريخ الطبري ٣٩٤/٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٣٧.

(٧) في نسخة (ب) «قنبرة».

وثب غلام لعثمان علي قُتيرة فقتله، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء، وأخذ كلشوم التجبيي ملاءً من على نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وتنادوا: أدركوا بيت المال ولا تُسبقوا إليه، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلا غرارتان، فقالوا: النجاء فإن القوم إنما يحاولون الدنيا! فهربوا، وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس.

وقيل: إنهم ندموا على قتله. وأما عمرو بن الحَمِق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، قال: فأما ثلاث منها فإنني طعنتهن إياه الله تعالى، وأما ست فلما كان في صدري عليه^(١). وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلة عليه وأم البنين، فصاحتا وضربتا^(٢) الوجوه. فقال ابن عُدَيْس: اتركوه. وأقبل عُمر بن ضابئ فوثب عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال: سجنَت أبي حتى مات في السجن.

وكان قتله لثمانى عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً^(٣)، وقيل: إلا ثمانية أيام، وقيل: بل كان قتله لثمانى عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين^(٤)، وقيل: بل قُتل أيام التشريق^(٥) وكان عمره اثنتين وثمانين سنة^(٦) وقيل: ثمانياً وثمانين سنة^(٧)، وقيل: تسعين سنة، وقيل: خمساً وسبعين سنة^(٨)، وقيل: ستاً وثمانين سنة^(٩).

ذكر الموضع الذي دُفن فيه ومن صُلِّي عليه

قيل: بقي عثمان ثلاثة أيام لا يُدفن، ثم إن حكيم بن حزام القرشي، وجُبَيْر بن مُطْعِم كلما علياً في أن يأذن في دفنه، ففعل، فلما سمع من قصده بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم، وفيهم الزبير، والحسن، وأبو جهم بن حذيفة ومروان، بين المغرب والعشاء، فأتوا به جائطاً من حيطان المدينة يسمي

- (١) طبقات ابن سعد ٧٣/٣، الطبري ٣٩٤/٤، تاريخ دمشق ٤١٣، أنساب الأشراف ٤ ج ١/٥٧٤، ٥٧٥ رقم ١٤٧، تاريخ الإسلام ٤٥٦/٣.
- (٢) في الطبعة الأوربية «فصحن وضربن».
- (٣) تاريخ دمشق ٥٢٥ و ٥٣٠.
- (٤) تاريخ دمشق ٥٢٨.
- (٥) تاريخ دمشق ٥٢٦، تاريخ خليفة ١٧٦.
- (٦) تاريخ دمشق ٥٢٨، تاريخ خليفة ١٧٧.
- (٧) تاريخ دمشق ٥٣٦، التنبيه والإشراف ٢٥٥، تاريخ الطبري ٤١٨/٤.
- (٨) تاريخ الطبري ٤١٨/٤ طبقات ابن سعد ٧٧/٣.
- (٩) تاريخ خليفة ١٧٧، تاريخ يعقوبي ١٧٦/٢.

حَشَّ كَوْكَبٌ^(١)، وهو خارج البقيع، فصلَّى عليه جُبَيْر بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: مروان، وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه، ثم تركوهم خوفاً من الفتنة. وأرسل عليّ إلى من أراد أن يرجم سريره ممّن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه، ودُفِنَ في حَشَّ كوكب. فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط، فهُدِمَ. وأدخل في البقيع، وأمر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتّصل الدفن بمقابر المسلمين^(٢). وقيل: إنّما دُفِنَ بالبقيع ممّا يلي حَشَّ كوكب^(٣). وقيل: شهد جنازته عليّ وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثمّ من أصحابه^(٤). قال: وقيل لم يُغسَل، وكُفِّنَ في ثيابه^(٥).

ذكر بعض سيرة عثمان

قال الحسن البصري: دخلتُ المسجد، فإذا أنا بعثمان متّكئاً على رداءه، فأتاه سقاءان يختصمان إليه، ففضى بينهما^(٦). وقال الشعبي: لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملّته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإن كان الرجل منهم ليستأذنه في الغزو فيقول: قد كان لك في غزوك مع رسول الله ﷺ، ما يبلغك، وخير لك من غزوك اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك. وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعل بغيرهم من أهل مكّة. فلمّا ولي عثمان خلّى عنهم فانتشروا في البلاد وانقطع إليهم الناس، وكان أحبّ إليهم من عمر^(٧). قيل: وحجّ عثمان بالناس سنوات خلافته كلّها، وحجّ بأزواج النبي ﷺ، كما كان يصنع عمر. وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في الموسم ومن يشكو منهم، وأن يأمرؤا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأنّه مع الضعيف على القويّ ما دام مظلوماً^(٨).

وقيل: كان أوّل منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا^(٩) طيران الحمام والرمي على

- (١) حَشَّ كوكب: بفتح أوله وتشديد ثانيه. وهو مخرج عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وزاده في البقيع. (معجم البلدان ٢/٢٦٢).
- (٢) تاريخ الطبري ٤/٤١٢.
- (٣) تاريخ الطبري ٤/٤١٤، طبقات ابن سعد ٣/٧٧.
- (٤) تاريخ الطبري ٤/٤١٤.
- (٥) تاريخ الطبري ٤/٤١٥.
- (٦) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ١٥ من طريق البغوي، عن زياد بن أيوب، عن هُشيم، عن أبي المقدام، عن الحسن بن أبي الحسن، والطبري في تاريخه ٤/٣٩٦.
- (٧) تاريخ الطبري ٤/٣٩٧.
- (٨) تاريخ الطبري ٤/٣٩٧.
- (٩) في نسخة باريس «صح الدماء».

الْجُلَاهِقَات، وهي قوس البندق، واستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمانٍ من خلافته، فَقَصَّ الطَّيُور^(١) وكسر الْجُلَاهِقَات^(٢).

قيل: وسأل رجل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حُذَيْفَةَ ما دعاه إلى الخروج على عثمان، فقال: كان يتيماً في جِجْرِ عثمان، وكان والي أيتام أهل بيته ومحملاً كَلَّهُمْ، فسأل عثمانَ العملَ، فقال: يا بني لو كنت رضاءً لاستعملتك. قال: فأذن لي فأخرج فأطلب الرزق. قال: اذهب حيث شئت، وجهّزه من عنده وحمله وأعطاه، فلمّا وقع إلى مصر كان فيمن أعان عليه حين منعه الإمارة. قال: وعمّار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عبّاس بن عُتْبَةَ بن أبي لهب كلام، فضربهما عثمان فأورث ذلك تعادياً بين أهل عمّار وأهل عبّاس، وكانا تقاذفاً^(٣).

قيل: سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر ما دعاه إلى ركوب عثمان. قال: الغضب والطمع، كان من الإسلام بمكان فغره أقوام فطمع، وكانت له دالة فلزمه حق، فأخذ عثمان من ظهره، فاجتمع هذا إلى ذلك فصار مذمّماً بعد أن كان محمّداً^(٤). قيل: واستخفّ رجل بالعباس بن عبد المطلب، فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك، فقال: أيفخّم رسولُ الله ﷺ، عمّه وأرخّص في الاستخفاف به! لقد خالف رسولُ الله ﷺ، من فعل ذلك ورضي به^(٥). قيل: وكان كعب بن ذي الحبكة^(٦) النّهديّ يلعب بالنارنجيات، فبلغ عثمان، فكتب إلى الوليد أن يوجعه ضرباً، فعزّره وأخبر الناس خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان، وفيه: إنّه قد جدّ بكم فجّدوا وإياكم والهزل. فغضب كعب وكان في الذين خرجوا عليه، وكان سيّره إلى دُنبَاوند، فقال في ذلك للوليد^(٧).

لعمري لئن طردتني ما إلى التي
رجوت رجوعي يا ابن أروى ورجعتي
فإن اغترابي في البلاد وجفوتني
طمعت بها من سقطتي لسييل^(٨)
إلى الحقّ دهرًا، غال ذلك غولُ
وشتمي في ذاتِ الإله قليلُ

(١) ساقطة من (س).

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٨/٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣٩٩/٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣٩٩/٤، ٤٠٠.

(٥) تاريخ الطبري ٤٠٠/٤.

(٦) في الطبعة الأوربية «الحنكة».

(٧) في الطبعة الأوربية «الوليد».

(٨) في الطبعة الأوربية «سييل».

وإن دعائي كل يومٍ وليلةٍ عليك بذنباؤنكُم لطويلٌ^(١)
 قال: وأما ضابئ بن الحارث البرجمي فإنه استعار في زمن الوليد بن عقبة من قوم
 من الأنصار كلباً يدعى قرحان^(٢) يصيد الظباء فحبسه عنهم، فانتزعه الأنصاريون منه^(٣)
 قهراً، فهجاهم وقال:

تجشّم دوني وفدٌ قرحانَ خطّةٍ تضلّ لها الوجناء^(٤) وهي حسيّرُ
 فباتوا شباعاً طاعمين^(٥) كأنما جباهم^(٦) بيت المرزبان أمير^(٧)
 فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم فإن عقوق الأمهات كبيرُ

فاستعدوا عليه عثمان، فعزّره وحبسه، فما زال في السجن حتى مات فيه. وقال في
 الفتك^(٨) معتذراً إلى أصحابه:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله^(٩)
 وقائلة قد مات في السجن ضابئٌ ألا من لخصم لم يجد من يجادله^(١٠)

فلذاك صار ابنه عمير سبئياً^(١١). قال: وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فإنهما
 سارا إلى المدينة لقتل عثمان، فأما عمير فإنه نكل عنه، وأما كميل فإنه جسر وثاوره^(١٢)،
 فوجأ عثمان وجهه فوق على استه فقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين! قال: أولست بفاتك؟
 قال: لا والله. فقال عثمان: فاستقدمني، وقال: دونك، فعفا عنه، وبقيا إلى أيام
 الحجاج فقتلها، وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى^(١٣).

وقيل: وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً، فقال له يوماً: قد تهياً

-
- (١) تاريخ الطبري ٤/٤٠٢.
 - (٢) في نسخة باريس «مرجان».
 - (٣) في الطبعة الأوربية «منهم».
 - (٤) في خزانة الأدب للبغداد ٤/٨٠.
 - (٥) في تاريخ الطبري «ناعمين».
 - (٦) في الطبعة الأوربية «خباهم».
 - (٧) في النسخة (ب) «مسير».
 - (٨) في نسخة (ب) «القتل».
 - (٩) في تاريخ الطبري ٤/٤٠٢، وخزانة الأدب ٤/٧٩: «فعلت ووليت البكاء حلائله».
 - (١٠) في الطبعة الأوربية «يحاوله». وفي تاريخ الطبري زيادة بيت ثالث.
 - (١١) في نسخة باريس «سعيّاً»، وفي الطبعة الأوربية «سبائياً».
 - (١٢) في نسخة (ب) «وبادره».
 - (١٣) تاريخ الطبري ٤/٤٠٣.

مالك فاقبضه. قال: هو لك معونة على مروءتك. قيل: فلما حُصر عثمان قال عليّ لطلحة: أنشدك الله ألا رددت الناس عن عثمان! قال: لا والله حتى تعطيني^(١) بنو أمية الحق من أنفسها^(٢).

وكان عثمان يلقَّب ذا التَّورين لأنَّه جمع بين ابنتي النبي ﷺ.

قال الأصمعيّ: استعمل عبدُ الله بن عامر قطنَ بن عبد عوف على كَرمَان، فأقبل جيش للمسلمين، فمنعهم سيل في وادٍ من العبور، وخشي قطن الفوت فقال: مَنْ عبر له ألف درهم. فحملوا أنفسهم وعبروا، وكانوا أربعة آلاف، فأعطاهم أربعة آلاف درهم، فأبى ابن عامر أن يُجري ذلك له وكتب إلى عثمان، فكتب عثمان: أن احسبها له فإنه إنما أعان بها في سبيل الله، فلذلك سُميت الجوائز لإجازة الوادي.

وقال حسان بن زيد: سمعتُ عليّاً وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته: يا أيُّها الناس إنكم تكثرُون فيّ وفي عثمان، فإنَّ مثلي ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٣). وقال أبو حميد الساعديّ، وهو بدريّ وكان مجانباً لعثمان، فلما قُتل عثمان قال: والله ما أردنا قتله، اللهم لك عليّ أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك.

ذكر نسبه وصفته وكنيته

أمّا نسبه فهو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّها أمّ حكيم بنت عبد المطلب^(٤).

وأما صفته فإنَّه كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، رقيق البشرة^(٥)، بوجهه أثر جُدريّ، كبير^(٦) اللحية عظيمها، أسمر اللون، أصلع، عظيم الكراديس، عظيم ما بين المنكبين، يصفرّ لحيته. وقيل: كان كثير شعر الرأس، أرواح الرجلين.

(١) في نسخة (س) «تعطي».

(٢) تاريخ الطبري ٤٠٥/٤.

(٣) سورة الحجر، الآية ٤٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٥٣/٣، تاريخ الطبري ٤٢٠/٤، تاريخ الإسلام ٤٦٧/٣ و٤٦٨، جمهرة أنساب العرب ٧٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٥٨/٣، تاريخ الإسلام ٤٦٨/٣، تاريخ يعقوبي ١٧٦/٢.

(٦) في الطبعة الأوربية «كثير».

وأما كنيته فإنه كان يُكنّى أبا عبد الله بولد جاءه من رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ، اسمه عبد الله، تُوفِّي وعمره ست سنين، نقره ديك في عينه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، وقيل: كان يُكنّى أبا عمرو^(١).

ذكر وقت إسلامه وهجرته

قيل: كان إسلامه قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ، دار الأرقم، وكان ممّن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية ومعه فيهما امرأته رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ^(٢).

ذكر أزواجه وأولاده

تزوَّج رُقِيَّة وأمّ كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، فولدت له رُقِيَّة عبد الله، وتزوَّج فاختة بنت غزوان، فولدت له عبد الله الأصغر، هلك، وتزوَّج أمّ عمرو بنت جندب بن عمرو بن حُمَمة^(٣) الدَّوسية، ولدت له عمراً وخالداً وأباناً وعمر ومريم؛ وتزوَّج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية، ولدت له الوليد وسعيداً وأمّ سعيد؛ وتزوَّج أمّ البنين بنت عُيَيْنَة بن حصن الفزاريّة، ولدت له عبد الملك، هلك؛ وتزوَّج رملة بنت شيبَة بن ربيعة، ولدت له عائشة وأمّ أبان وأمّ عمرو؛ وتزوَّج نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، ولدت له مريم بنت عثمان، وقيل: ولدت له أمّ البنين بنت عُيَيْنَة عبد الملك وعتبة، وولدت له نائلة عنيسة، وكان له منها أيضاً ابنة تدعى أمّ البنين، وكانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفیان؛ وقُتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبَة ونائلة وأمّ البنين ابنة عُيَيْنَة وفاختة بنت غزوان، غير أنّه طلق أمّ البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه في الجاهليّة والإسلام وأولاده^(٤).

ذكر أسماء عمّاله في هذه السنة

كان عماله هذه السنة على مكّة: عبد الله بن الحضرميّ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفيّ، وعلى صنعاء يعلى بن مُنيّة، وعلى الجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، خرج منها ولم يولّ عثمان عليها أحداً، وعلى الشام معاوية بن أبي

(١) تاريخ الطبري ٤/٤١٩، ٤٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/٥٥، الطبري ٤/٤١٩.

(٣) في نسخة باريس «جمّة».

(٤) طبقات ابن سعد ٤/٥٣، ٥٤، تاريخ الطبري ٤/٤٢٠، ٤٢١.

سفيان، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى الأردن أبو الأعور السلمي، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكِناني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري، وعلى القضاء أبو الدرداء في قول بعضهم، والصحيح أنه كان قد توفي قبل أن قُتل عثمان، وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة، وعلى خراج السواد جابر بن فلان المُرَني، وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة، وسماك الأنصاري، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس الكِندي، وعلى حلوان عُتبية بن النَّهَّاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى همذان النسير، وعلى الري سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسَبَذان خُنيس^(١)، وعلى بيت المال عُقبة بن عامر، وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت^(٢).

(عُتبية بن النَّهَّاس: بالتاء فوقها نقطتان، وبعدها ياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة. وعُيَّنة بن حصن: بالياء تحتها نقطتان، وياء ثانية، وآخره نون، تصغير عين. والنَّسير: بالنون، والسين المهملة، تصغير نسر)^(٣).

ذكر الخبر عَمَّنْ كان يصلي في مسجد النبي ﷺ حين حُصر عثمان

قيل: وجاء ذلك اليوم الذي مُنع فيه عثمان الصلاة سعدُ القَرظ، وهو المؤذن، إلى علي بن أبي طالب، فقال: من يصلي بالناس؟ فقال: ادعُ خالد بن زيد، فدعاه، فصلى بالناس، فهو أول يوم عُرف أن اسم أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد، فصلى أياماً ثم صلى بعد ذلك بالناس، وقيل: بل أمر عليُّ سهل بن حنيف فصلى بالناس من أول ذي الحجة إلى يوم العيد، ثم صلى علي بالناس العيد، ثم صلى بهم حتى قُتل عثمان^(٤). وقد تقدّم غير ذلك في ذكر قتله.

(١) في الطبري: حُبِيش.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٢١، ٤٢٢، وانظر تاريخ خليفة ١٧٨، وتاريخ اليعقوبي ١٧٦/٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٢٣.

ذكر ما قيل فيه من الشعر

قال حسان بن ثابت الأنصاري^(١):

وَعَزَّوْتُمُونَا عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ
وَلَيْشَ أَمْرُ الْفَاجِرِ الْمُتَعَمِّدِ^(٢)
حَوْلَ الْمَدِينَةِ كُلِّ لَيْلٍ^(٣) مِذْوَدٍ
وَلَمِثْلُ أَمْرِ أَمِيرِكُمْ لَمْ يَرْشُدِ
بُدْنُ تَذْبِخٍ^(٤) عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ
أَمْسَى ضَجِيعاً^(٥) فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ

أَتَرَكْتُمْ غَزْوَ الدَّرُوبِ وَرَاءَكُمْ
فَلَيْشَ هَذَا الْمُسْلِمِينَ هَدَيْتُمْ
إِنْ تَقْدُمُوا نَجْعَلُ قَرَى سَرَوَاتِكُمْ
أَوْ تَدْبِرُوا فَلَيْشَ مَا سَافَرْتُمْ
وَكَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةُ
أَبْكِي أَبَا عَمْرٍو لِحُسْنِ بِلَاثِهِ
وَقَالَ أَيْضاً^(٦):

بَابٌ صَرِيحٌ وَبَابٌ مُخْرَقٌ خَرِبُ
فِيهَا وَيَهْوِي إِلَيْهَا الذِّكْرُ وَالْحَسْبُ
لَا يَسْتَوِي الصَّدْقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
بَغَارَةٌ عُصَبٍ مِنْ خَلْفِهَا عُصَبُ
مُسْتَلْتَمًا^(٧) قَدْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ

إِنْ تُمْسِ دَارُ ابْنِ أَرْوَى الْيَوْمَ^(٨) خَاوِيَةً
فَقَدْ يَصَادَفُ بَاغِي الْخَيْرِ حَاجَتُهُ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبَدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ
قَوْمُوا بِحَقِّ مَلِكِ النَّاسِ تَعْتَرِفُوا
فِيهِمْ حَبِيبُ^(٩) شَهَابُ الْمَوْتِ يَقْدُمُهُمْ
وَقَالَ أَيْضاً^(١٠):

فَلِيَأْتِ مَأْسَدَةً^(١١) فِي دَارِ عُثْمَانَ
قَبْلَ الْمَخَاطِمِ^(١٢) بَيْضُ زَانَ أَبْدَانَا

مِنْ سَرَّةِ الْمَوْتِ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ
مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَازِي^(١٣) قَدْ شَفِعَتْ

(١) في ديوانه ١٠١، وتاريخ دمشق ٥٤٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «المعتمد».

(٣) في الديوان «كُلُّ لَيْلٍ».

(٤) في الديوان «تنحر».

(٥) في الطبعة الأوربية «مقيلاً»، وفي تاريخ الطبري ٤٢٤/٤ «مقيماً».

(٦) في ديوانه ٢٢.

(٧) في تاريخ الطبري ٤٢٤/٤ «أروى منه».

(٨) هو حبيب بن مسلمة الفهري.

(٩) في نسخة باريس «مسليماً».

(١٠) في ديوانه ٤٠٩، ٤١٠.

(١١) في الاستيعاب ٨١/٣ «مأدبة».

(١٢) الماذي: خالص الحديد.

(١٣) المخاطم: الأنوف.

صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ
فَقَدْ رَضِينَا بِأَهْلِ الشَّامِ نَافِرَةً
إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكَأً فِي دِيَارِهِمْ:
ضَحُّوا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السُّجُودِ بِهِ
قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أحياناً
وبالأمير وبالإخوان إخواناً
مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا سُمِّيتُ حَسَاناً
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ
يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقِرْآناً^(١)

قال أبو عمر بن عبد البر^(٢)، وقد ذكر بعض هذه الأبيات فقال: وقد زاد فيها أهل الشام، ولم أرَ لذكره وجهاً، يعني ما فيها من ذكر عليّ، وهو:

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَخْبِرُنِي مَا كَانَ بَيْنَ^(٣) عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا
وقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ يَحْرُضُ أَخَاهُ عُمَارَةَ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ
فَإِنْ يَكُ ظَنَّنِي بِابْنِ أُمِّي صَادِقاً
يَبِيتُ وَأَوْتَارُ ابْنِ عَفَّانٍ عِنْدَهُ
قَتِيلُ التَّجِييِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ
عُمَارَةَ لَا يُطْلَبُ بِذُحُلٍ وَلَا وَتَرٍ
مَخِيْمَةٌ بَيْنَ الْخَوَرَنَقِ وَالْقَصْرِ^(٤)

فأجابه الفضل بن العباس:

أَتَطْلُبُ ثَاراً لَسْتُ مِنْهُ وَلَا لَهُ
كَمَا اتَّصَلَتْ بِنْتُ الْحِمَارِ بِأُمِّهَا
أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ
وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى وَصَنُو نَبِيِّهِ
فَلَوْرَاتِ الْأَنْصَارِ ظَلَمَ ابْنُ أُمِّكُمْ
كَفَى^(٥) ذَلِكَ عِيّاً أَنْ يُشِيرُوا بِقَتْلِهِ
وَأَيْنَ ابْنُ ذَكْوَانَ الصَّفُورِيِّ مِنْ عَمْرٍو
وَتَنَسَّى أَبَاهَا إِذْ تُسَامِي أُولِي الْفَخْرِ
وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمِصْطَفِيِّ عِنْدَ ذِي الذِّكْرِ
وَأَوَّلُ مَنْ أَرْدَى الْغَوَاةَ^(٦) لَدَى بَدْرِ
بَزَعَمَكُمْ كَانُوا لَهُ حَاضِرِي النَّصْرِ
وَأَنْ يُسَلِّمُوهُ لِلْأَحَابِيْشِ مِنْ مِصْرٍ

قوله: وَأَيْنَ ابْنُ ذَكْوَانَ، فَإِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ بْنَ أَبِي عَمْرٍو اسْمُهُ ذَكْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَيَذَكُرُ جَمَاعَةً مِنَ النِّسَابِيِّينَ أَنَّ ذَكْوَانَ مَوْلَى لِأُمَيَّةَ، فَتَبْنَاهُ

(١) هذا البيت لم يذكره الطبري ٤/٤٢٥، وذكر المسعودي بيتين في مروج الذهب ٢/٣٥٦ وكذلك المقدسي في البدء والتاريخ ٥/٢٠٧ باختلاف في اللفظ.

(٢) في الاستيعاب ٣/٨١ قال: وهذا البيت يختلف فيه ينسب إلى غيره، وقال بعضهم هو لعمران بن حطّان.

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٤٢٥ «ما كان شأن».

(٤) الأبيات في تاريخ الطبري ٤/٤٢٦، وفي مروج الذهب ٢/٣٥٥ ورد البيت الأول وورد بيت ثان هو:

وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيَّبوا عني فضول أبي عمرو

(٥) في نسخة (ب) «الغزاة».

(٦) في نسخة باريس «لقي».

وكنّاه أبا عمرو، ويعني: إنك مولى لست من بني أمية حتى تكون ممن يطلب بثأر عثمان.

وقال غيرهم من الشعراء أيضاً بعد مقتله فمن بين مادح وهاج، ومن ناع وباك، ومن سارّ فرح، فممن مدحه حسان، كما تقدّم، وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك.

ذكربيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب^(١)

وفي هذه السنة بويح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وقد اختلفوا في كيفية بيعته، ف قيل: إنه لما قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا له: إنه لا بدّ للناس من إمام. قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيتُ به. فقالوا: ما نختار غيرك، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إننا لا نعلم أحداً أحقّ به منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب^(٢) قرابةً من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً. فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلّا في المسجد. وكان في بيته، وقيل: في حائط^(٣) لبني عمرو بن مبدول، فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق^(٤) وعِمامة خزّ ونعلاه في يده متوكّئاً على قوس، فبايعه الناس؛ وكان أوّل من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر! وبايعه الزبير. وقال لهما عليّ: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما. فقالا: بل نبايعك. وقال بعد ذلك: إنّما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا، وعرفنا أنّه لا يبايعنا. وهربا إلى مكّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر. وبايعه الناس، وجاؤوا بسعد بن أبي وقاص، فقال عليّ: بايع. فقال: لا، حتى يبايع الناس، والله ما عليك منّي بأس. فقال: خلّوا سبيله. وجاؤوا بابن عمر فقالوا:

(١) انظر فيبيعة علي: تاريخ خليفة ١٨٠، وتاريخ اليعقوبي ١٧٨/٢، والبدء والتاريخ ٢٠٨/٥، ومروج الذهب ٣٥٨/٢، والتنبيه والإشراف ٢٥٥، والفتوح لابن أعثم ٢٥٠/٢، والأخبار الطوال ١٤٠، وتاريخ الطبري ٤٢٧، ونهاية الأرب ١٠/٢٠، وتاريخ مختصر الدول ١٠٥، ودول الإسلام ٢٨/١، والمختصر في أخبار البشر ١٧٠/١، وتمّة المختصر ١٥٥/١، وتاريخ الخميس ٣٠٨/٢، والبداية والنهاية ٢٢٣/٧.

(٢) في نسخة باريس «أقدم».

(٣) حائط: بستان.

(٤) في نسختي باريس و(ب) «وقميص».

بايع. قال: لا، حتى يبايع الناس. قال: اتتني بكفيل. قال: لا أرى كفيلاً. قال الأشر: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ! قال عليُّ: دَعُوهُ أَنَا كَفِيلُهُ، إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ لَسِيَّءَ الْخُلُقِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا^(١).

وبايعت الأنصار إلّا نُفِيرًا يسيراً، منهم: حَسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مُخَلَّد، وأبو سعيد الخُدْرِيّ، ومحمد بن مَسْلَمَة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خَدِيج، وفَضَالَة بن عُبيد، وكعب بن عُجْرَة^(٢)، وكانوا عثمانيّة؛ فأما حَسَّان فكان شاعراً لا يبالي ما صنع، وأما زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حُصِرَ عثمان قال: يا معشرَ الأنصار كونوا أنصاراً لله، مرّتين، فقال له أبو أيّوب: ما تنصره إلّا لأنّه أكثر لك من العبدان. وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مُزينة وترك له ما أخذ منهم؛ ولم يبايعه عبد الله بن سلام، وصُهب بن سنان، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد، وقُدّامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة^(٣).

فأما النعمان بن بشير فإنّه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قُطعت وقميص عثمان الذي قُتل فيه، وهرب به فلقق بالشام، فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجداً في أمرهم، ثمّ رفعه، فإذا أحسّ منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرّك لها حُوارها تحنّ^(٤)، فيعلّقها.

وقد قيل: إنّ طلحة والزبير إنّما بايعا عليّاً كرهاً، (وقيل: لم يبايعه الزبير، ولا صُهب ولا سلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد).

فأما على قول من قال: إنّ طلحة والزبير بايعا كرهاً فقال^(٥): إنّ عثمان لما قُتل بقيت المدينة خمسة أيّام وأميرها الغافقيّ بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة، ووجدوا بني أميّة قد هربوا إلّا من لم يطق الهرب، وهرب سعيد والوليد ومروان إلى مكّة، وتبعهم غيرهم، فأتى المصريون عليّاً فباعدهم، وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم، وأتى البصريون طلحة فباعدهم، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن^(٦) يلي

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) في نسخة باريس «لحر»، وفي نسخة (ب) «عجدة».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٢٩، ٤٣٠.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١/٣٤٠.

(٥) ما بين القوسين ليس في (س)، وجاء بدله «فزعم قاتل هذا».

(٦) في نسخة (ر): «على من».

الخلافة. فأرسلوا إلى سعد يطلبونه، فقال: إني وابن عمر لا حاجة لنا فيها، فأتوا ابن عمر فلم يُجيبهم، فبقوا حيارى. وقال بعضهم لبعض: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة. فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم: يا أهل المدينة أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وحكمكم جائز على الأمة، فانظروا رجلاً تنصّبونه ونحن لكم تبع، وقد أجّلناكم^(١) يومكم، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً! فغشي الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى. فقال علي: دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم به^(٢) القلوب ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلّا أنني أسمعكم وأطوعمكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير حُكَيْم بن جَبَلَة وقالوا: احذر لا تُحابيه، ومعه نفر، فجاؤوا به يحدثونه بالسيف، فبايع، وبعثوا إلى طلحة الأشرّ ومعه نفر، فأتى طلحة، فقال: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه، فجاء به يتله تلاً عنيفاً، وصعد المنبر فبايع. وكان الزبير يقول: جاءني لصّ من لصوص عبد القيس فبايعتُ والسيف على عنقي، وأهل مصر فرحون بما^(٣) اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة والبصرة أن صاروا^(٤) أتباعاً لأهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.

ولما أصبحوا يوم البيعة، وهو يوم الجمعة، حضر الناس المسجد، وجاء عليّ فصعد المنبر وقال: أيّها الناس، عن ملاّ وإذن، إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقّ إلّا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتُم إلّا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي دونكم إلّا مفاتيح ما لكم معي، وليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم وإلّا فلا أجِدُ^(٥) على أحد^(٦). فقالوا: نحن على ما فارقتك عليه بالأمس.

(١) في نسخة (ر) «أخليناكم».

(٢) في نسخة باريس «له».

(٣) في الطبعة الأوربية «فلما».

(٤) في الطبعة الأوربية «كانوا».

(٥) في الطبعة الأوربية: «أحد».

(٦) في نسخة (ر) «فقالوا الحق».

فقال: اللهم اشهد. ولما جاؤوا بطلحة ليبائع قال: إِنَّمَا أَبَايَعُ كُرْهًا. فبائع، وكان به شلل، فقال رجل يعتاف: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، أَوَّلَ يَدِ بَايَعْتَ يَدَ شَلَاءٍ، لَا يَتِمُّ هَذَا الْأَمْرُ! ثُمَّ جِيءَ بِالزَّبِيرِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ وَبَايَعَ، وَفِي الزَّبِيرِ اخْتِلَافٌ، ثُمَّ جِيءَ بَعْدَهُ بِقَوْمٍ كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا فَقَالُوا: نَبَايَعَ عَلَى إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَالْعَزِيزِ وَالذَّلِيلِ، فَبَايَعَهُمْ، ثُمَّ قَامَ الْعَامَّةُ فَبَايَعُوا، وَصَارَ الْأَمْرُ أَمْرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَكَأَنَّهُمْ كَمَا كَانُوا فِيهِ وَتَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

وبويع يوم الجمعة لخمسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالنَّاسُ يَحْسِبُونَ بَيْعَتَهُ مِنْ [يَوْمِ] قَبْلِ^(١) عَثْمَانَ.

وَأَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عَلِيٌّ حِينَ اسْتَخْلَفَ حَمْدُ اللَّهِ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا يَبَيِّنُ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعَا الشَّرَّ، الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ أَدَّوْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُوَدِّعُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حُرْمَاتٍ غَيْرَ مَجْهُولَةٍ، وَفَضَّلَ حَرَمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ، فَالْمُسْلِمُ مِنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَةِ، وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ^(٢) الْمَوْتَ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَإِنْ مَا [مِنْ] خَلْفَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ آخِرَاهُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبَقَاعِ وَالْبَهَائِمِ. أَطِيعُوا اللَّهَ فَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخَذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَدَعَوْهُ، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣). وَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْخُطْبَةِ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ قَالَتِ السَّبْيَةُ:

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرْنِ أَبَا حَسَنٍ	إِنَّا ^(٤) نُمِرُّ الْأَمْرَ لِإِمْرَارِ الرَّسَنِ
صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَشْدَادِ ^(٥) السُّفَنِ	بِمَشْرِفِيَّاتٍ كَغُدْرَانِ اللَّبَنِ
وَنَطْعِنُ ^(٦) الْمَلِكَ بِلَيْنٍ كَالشَّطَنِ	حَتَّى يُمَرَّنَ ^(٧) عَلَى غَيْرِ عَنَنِ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَدِرُ سَوْفَ أَكْسِي بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ

(١) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيبَةِ «قَبْلَ».

(٢) فِي النُّسَخَةِ (ر): «إِذَا أَخَذَكُمْ».

(٣) سُورَةُ الْأَنْفَالِ، آيَةُ ٢٦.

(٤) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيبَةِ «إِنَّمَا».

(٥) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٤/٣٧ «كَأَسْدَاد».

(٦) فِي النُّسَخَةِ (ر): «يَتَقَطَّعُ».

(٧) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيبَةِ «يُمَرَّنُ».

إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ إِنْ تَتْرَكُونِي وَالسَّلَاحَ يَبْتَدِرُ

ورجع عليّ إلى بيته، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا: يا عليّ إنّنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم. فقال: يا إخوانه إنّني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلّاطكم^(١) يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء ممّا تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا والله لا أرى إلّا رأياً تروّنه أبداً إلّا أن يشاء الله. إنّ هذا الأمر أمر جاهلية، وإنّ لهؤلاء القوم مآدة، وذلك أنّ الشيطان لم يشرع شريعة قطّ، فيرح الأَرْضَ [مَنْ] أخذ بها أبداً. إنّ الناس من هذا الأمر إنّ حُرِّكَ على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدأوا عني، وانظروا ماذا يأتاكم ثمّ عودوا. واشتدّ على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها، وإنّما هيّجه على ذلك هربُ بني أميّة وتفرّق القوم، فبعضهم يقول ما قال عليّ، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا تؤخّره، والله إنّ عليّاً لمستغنٍ برأيه وليكوننّ أشدّ على قريش من غيره.

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنّه ليس له من سلطانهم (إلّا ذاك)^(٢) والأجر من الله عليه، ونادى: برئت الذمّة من عبد لا يرجع إلى مولاه. فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء. وقال: أيّها الناس أخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا بدياهم، فأبّت السبئية وأطاعهم الأعراب. فدخل عليّ بيته، ودخل عليه طلحة والزبير وعدّة من أصحاب النبي ﷺ، فقال: دونكم ثاركم فاقتلوه. فقالوا: (عشوا^(٣) عن ذلك)^(٤). فقال: هم والله بعد اليوم أعشى^(٥)! وقال:

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعْتَنِي سَرَاتِهِمْ أَمَرْتُهُمْ أَمْرًا يَدِيخُ الْأَعْدَايَا^(٦)

وقال طلحة: دعني آتِ البصرة فلا يفجأك إلّا وأنا في خيل. وقال الزبير: دعني آتِ الكوفة فلا يفجأك إلّا وأنا في خيل. فقال: حتى أنظر في ذلك.

(١) في نسخة باريس «جلايكم».

(٢) في نسخة (ر) «الأول».

(٣) في الطبعة الأوربية «عسوا».

(٤) في نسخة (ر) «عتوا عتوا».

(٥) في نسخة (ر) «اعتنى»، وفي الطبعة الأوربية «أعسى».

(٦) في الطبعة الأوربية «وبذبح الأعدايا». والبيت في تاريخ الطبري ٤/٤٣٨.

قيل: وقال ابن عباس: أتيتُ عليّاً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدتُ المغيرة بن شعبه مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرّته هذه: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وأنت بقية الناس، وإنّ الرأي اليوم تُحرز به ما في غد، وإنّ الضّياح اليوم يضيّع به ما في غد، أقرر^(١) معاوية وابن عامر وعمّال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك ببعتهم ويسكن الناس، ثمّ اعزل من شئت، فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري. قال: فإن كنت أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإنّ في معاوية جرأة، وهو في أهل الشام يُسمع منه، ولك حُجة في إثباته، كان عمر بن الخطّاب قد ولّاه الشام. فقلت: لا والله لا أستعمل معاوية يومين! ثمّ انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنّه يودّ أنّي مخطيء، ثمّ عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أوّل مرّة بالذي أشرت وخالفني فيه، ثمّ رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله وهم أهون شوكة ممّا كان. قال ابن عباس: فقلت لعليّ: أمّا المرّة الأولى فقد نصحك، وأمّا المرّة الثانية فقد غشّك. قال: ولمّ نصحني؟ قلت: لأنّ معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالوا من وليّ هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا^(٢): أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا؛ ويؤلّبون عليك، فتنقض عليك الشام وأهل العراق، مع أنّي لا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله، وقال عليّ: والله لا أعطيه إلّا السيف! ثمّ تمثّل:

وما ميتة إن متّها غير عاجز بعارٍ إذا غالت النفس غولها^(٣)

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحرب خدعة؟ فقال: بلى. فقلت: أمّا^(٤) والله لئن أطعني لأصدرنهم بعد ورد^(٥)، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إثم لك. فقال: يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء. قال ابن عباس: فقلت له: أطعني والحق بما لك بيني وأغلق بابك عليك، فإنّ العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنّك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً. فأبى عليّ فقال: تشير عليّ وأرى فإذا

(١) في نسخة (ر) «أقم».

(٢) في الأوربية: فمتى تثبتهم لا يبالون من وليّ هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولون.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤١.

(٤) في الطبعة الأوربية: «أم».

(٥) في نسختي باريس و(ر): «الورد».

عصيتك فأطعني. قال: فقلت: أفعل، إن أيسر ما لك عندي الطاعة. فقال له علي: تسير إلى الشام فقد وليتكها^(١). فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية رجل من بني أمية، وهو ابن عم عثمان وعامله، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، وإن أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم^(٢) علي لقرابتي منك، وإن كل ما حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فمعه وعده. فقال: لا والله، لا كان هذا أبداً^(٣)! وكان المغيرة يقول: نصحته فلما لم يقبل غشسته. وخرج فلحق بمكة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، أعني سنة خمس وثلاثين، سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين (قبل قتل عثمان)^(٤)، فسلط الله عليهم ريحاً عاصفاً فغرقهم، ونجا قسطنطين فأتى صقلية، فصنعوا له حماماً، فدخله فقتلوه فيه وقالوا: قتلنا رجلاً. هكذا قال أبو جعفر^(٥).

وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصواري سنة إحدى وثلاثين، وقتله أهل صقلية في الحمام، وإن كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الواقعة فيها، فلولاً قوله: إن المراكب غرقت، لكانت هذه الحادثة هي تلك، فإنها في قول بعضهم: كانت سنة خمس وثلاثين.

[الوفيات]

وفي خلافة عثمان مات أوس بن خولي^(٦) الأنصاري. وفي خلافة عثمان أيضاً مات الجلاس بن سويد الأنصاري، وكان من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، وحسنت توبته، وفيها مات الحارث بن نوفل^(٧) بن الحارث بن عبد المطلب، والد الملقب ببيته.

(١) في النسخة (ر): «أعطيتكها».

(٢) في النسخة (ر) «فيستحكم».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤٠.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٥) في تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٤١، وفي النسخة (س) زيادة «قيل».

(٦) انظر عن أوس في: المغازي للواقدي ٩ و ١٦٦ و ٣٣٤ و ٤١٧ و ٤٢٠ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٦٠٢ و ٦١٠ و ٧٣٥ و ١٠٥٩، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٤٩، وطبقات ابن سعد ٣/٥٤٢، ٥٤٣، والمجبر ٧٢ و ٤٢٤، وتاريخ الطبري ٣/٢١١ - ٢١٣، وأنساب الأشراف ١/٤٤٥ و ٥٦٩ و ٥٧٧، والمعجم الكبير ١/٢٢٩، ٢٣٠ رقم ٣٤، وأسد الغابة ١/١٤٤، ١٤٥، والاستيعاب ١/٧٧، ٧٨، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٣٣٨، والوافي بالوفيات ٩/٤٤٦ رقم ٤٣٩٣، والإصابة ١/٨٤ رقم ٣٣٤، والبداية والنهاية ٧/٢٢٠.

(٧) انظر عن الحارث بن نوفل في: طبقات ابن سعد ٤/٥٦، ٥٧، ١٤/٧، والمجبر ١٠٤، والتاريخ الكبير =

وفي آخرها مات الحَكَم بن أبي العاص^(١)، وهو والد مروان وعمّ عثمان. وفيها مات حَبَّان بن مُنْقِذ الأنصاري، وهو والد يحيى بن حَبَّان، بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة؛ وفيها مات عبد الله بن قيس^(٢) بن خالد الأنصاري، وقيل: بل قُتل بأحد شهيداً. وفي خلافته مات قُطْبَة^(٣) بن عامر الأنصاري، وهو عَقْبِي بَذْرِي. وفي خلافته مات زيد بن خارجة^(٤) بن زيد الأنصاري، وهو الذي تكلم بعد موته؛ وفيها قتل مَعْبِد^(٥) بن

= ٢٦٤/٢ رقم ٢٤٠٢ و ٢٨٣/٢ رقم ٢٤٧٧، وتاريخ خليفة ١٩٥ و ٤٠١، وأنساب الأشراف ٤٤٠/١، ق ٢٩٧/٣، ق ٤ ج ١/٦ و ١٦، ومقدمة مُسْنَد بقي بن مخلد ١٤٧ رقم ٧٤٣، والمعجم الكبير ٢٦٨/٣، ٢٦٩ رقم ٢٦٨، والعقد الفريد ١٣٣/٤، والاستيعاب ٢٩٧/١، ومشاهير علماء الأمصار ٣٥ رقم ٢٠٠، والجرح والتعديل ٩١/٣ رقم ٤٢٣، وجمهرة أنساب العرب ٧٠، وأسد الغابة ٣٥٠/١، ٣٥١، والزيارات للهروي ٨١، وتهذيب الكمال ٢٩٢/٥ - ٢٩٤ رقم ١٠٤٩، وتلقيح فهوم الأثر ١٧٨ و ٣٧٩، والكاشف ١٤١/١ رقم ٨٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٩٩/١ رقم ٢٨، وتاريخ الإسلام ٣٣٨/٣، ٣٣٩، وتجريد أسماء الصحابة، رقم ١٠٣٩، والوافي بالوفيات ٢٤٢/١١، ٢٤٣ رقم ٣٤٨، والعقد الثمين ٢٩/٤، وتهذيب التهذيب ١٦٠/٢، ١٦١ رقم ٢٧٩، وتقريب التهذيب ١٤٤/١ رقم ٧٢، والإصابة ٢٩٢/١، ٢٩٣ رقم ١٥٠٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ٦٩.

(١) انظر عن الحكم في: المغازي للواقدي ٥٩٤ و ٨٤٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٨٥، والسير والمغازي ١٤٤، والأخبار الموقفيات ٢٥٧ و ٤٠٣، والبرصان والعرجان ٦٩ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٦٢، والمحبّر لابن حبيب ٤٥١، والتاريخ لابن معين ١٢٤/٢، وطبقات ابن سعد ٤٤٧/٣ و ٥٠٩، وطبقات خليفة ١٩٧، وتاريخ خليفة ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢، والتاريخ الكبير ٣٣١/٢ رقم ٢٦٥١، والمعارف ٧٣ و ١٩٤ و ٣٥٣ و ٥٧٦، وفتوح البلدان ٤٣٣، وأنساب الأشراف ١٢٤/١ و ١٥١، ق ٣٠٤/٣، ق ٤ ج ١/٥٨ و ١١٧ و ٤٧٩ و ٤٨٢ و ٥١٣ - ٥١٥، ق ٢/٥ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٨ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٦٠ و ٢٠٤، وتاريخ الطبري ١٨٨/٣، ١٧٦/٤ و ٣٤٧ و ٣٩٩، و ٥٨/١٠، والجرح والتعديل ١٢٠/٣ رقم ٥٥٦، والاستيعاب ٣١٦/١، ٣١٧، وجمهرة أنساب العرب ٧٩ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٧ - ٨٩، والعقد الفريد ٣٦٤/٢ و ٣٩٤ و ٣٤/٤ و ٢٨٣، ومروج الذهب ٣٣٤/٢ و ١٨٠/٣، والخراج وصناعة الكتابة ٣٨٦، ٣٨٧، وأسد الغابة ٣٥/٢، والتذكرة الحمدونية ٧٦/٢، والعبر ٣٢/١، وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٢، ١٠٨ رقم ١٤، وتاريخ الإسلام ٣٦٥/٣ - ٣٦٨، ونكت الهميان ١٤٦، والوافي بالوفيات ١١٢/١٣ رقم ١٢٠، ومرآة الجنان ٨٥/١، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢٠٧/١ و ٢٤٦/٢، والإصابة ٣٤٥/١، ٣٤٦ رقم ١٧٨١، ووفيات الأعيان ٢٢٦/٢، وشذرات الذهب ٣٨/١.

(٢) انظر عن عبد الله بن قيس في: طبقات ابن سعد ٤٩٤/٣، ٤٩٥، والمحبّر ٢٨٠، والمغازي للواقدي ١٦٢ و ٩١٦، وأنساب الأشراف ٣٣٣/١، والاستيعاب ٣٧٠/٢، وتاريخ الإسلام ٣٤٤/٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والإصابة ٣٥٩/٢ رقم ٤٨٩٦.

(٣) انظر عن قطبة في: المغازي ٧ و ٩ و ٢٤ و ١٤٠ و ١٧٠ و ٢٤٣ و ٣٣٥ و ٤٩٨ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٦٣ و ٨٠٠ و ٩٨١، وطبقات ابن سعد ٥٧٨/٣، ٥٧٩، وأنساب الأشراف ٢٣٩/١ و ٢٤٧ و ٣٠٢ و ٣٢٣ و ٣٨٠، وتاريخ الطبري ٣٥٥/٢، ٣٥٦، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ٢٠٣/١)، والجرح والتعديل ١٤١/٧ رقم ٧٨٨، والاستيعاب ٢٥٦/٣، ٢٥٧، والمستدرک ٢٢٥/٣، وأسد الغابة ٢٥٥/٤، ٢٥٦، وتاريخ الإسلام ٣٤٧/٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والإصابة ٢٣٧/٣ رقم ٧١١٨.

(٤) انظر عن زيد بن خارجة في: مسند أحمد ١٩٩/١، والتاريخ الكبير ٣٨٣/٣، ٣٨٤ رقم ١٢٨١، والأخبار =

العباس بن عبد المطلب بإفريقية في آخر خلافة عثمان؛ وفيها مات مُعَيِّقِبٌ^(١) بن أبي فاطمة^(٢)، وكان من مهاجرة الحبشة، وكان على خاتم رسول الله ﷺ وقيل: بل مات سنة أربعين في خلافة عليٍّ؛ وفيها مات مطيع بن الأسود العدويّ، وكان إسلامه يوم الفتح. وفي خلافته مات نُعيم^(٣) بن مسعود الأشجعيّ، وقيل: بل قُتل في وقعة الجمل مع

= الموقّيات ٤٨٥ و ٤٨٧ و ٤٨٨، ومقدّمة مُسند بقيّ بن مخلّد ١٤٩ رقم ٧٦٧، والمعارف ١٧٣، والمعرفة والتاريخ ٣٠١/١ و ٣٨٣/٣، وأنساب الأشراف ٢٤٤/١، والجرح والتعديل ٥٦٢/٣ رقم ٢٥٤١، والمعجم الكبير ٢٤٨/٥ - ٢٥٠ رقم ٤٨٧، ومشاهير علماء الأمصار ١٧ رقم ٥٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٤، وأسد الغابة ٢٢٧/٢، والاستيعاب ٥٦١/١ - ٥٦٣، وتحفة الأشراف ٢٢٩/١ رقم ٦٦٦، وتهذيب الكمال ٤٥٢/١، ٤٥٣، والكاشف ٢٦٥/١ رقم ١٧٥٠، وتاريخ الإسلام ٣٤٠/٣، ٣٤١، والوافي بالوفيات ٤٢/١٥، ٤٣ رقم ٤٥، وتجريد أسماء الصحابة ١٩٨/١، وتهذيب التهذيب ٤٠٩/٣، ٤١٠ رقم ٧٤٧، وتقريب التهذيب ٢٧٤/١ رقم ١٧٩، والإصابة ٥٦٥/١ رقم ٢٨٩٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٢٧، ١٢٨.

(٥) انظر عن معبد في: طبقات خليفة ٢٣٠ و ٢٩١، والمحجّر ١٠٧ و ٤٠٩ و ٤٥٥، والمعارف ١٢١ و ١٢٢، وأنساب الأشراف ٤٤٧/١، ق ٢٢/٣ و ٢٣ و ٦٦ و ١٤٣، وفتوح البلدان ٢٦٧ و ٢٦٩، والخراج وصناعة الكتابة ٣٤٣ و ٣٥٦، والاستيعاب ٤٥٦/٣، ٤٥٧، ومقاتل الطالبين ٢٠، وجمهرة أنساب الأشراف ١٨ و ٤٣٥، وأسد الغابة ٣٩٢/٤، وتاريخ الإسلام ٣٥٦/٣، والبداية والنهاية ٢٢٢/٧، والإصابة ٤٧٩/٣ رقم ٨٣٢٨.

(١) في نسخة باريس «معتب».

(٢) انظر عن معيقب في: مسند أحمد ٤٢٦/٣ و ٤٢٥/٥، ٤٢٦، والسير والمغازي ٢٢٧، والمغازي للواقدي ٧٢١، وطبقات ابن سعد ١١٦/٤ - ١١٨، والتاريخ لابن معين ٥٧٨/٢، وتاريخ خليفة ٩٩ و ١٥٦ و ١٩٩ و ٢٠٢، وطبقات خليفة ١٣ و ١٢٣، والمحجّر لابن حبيب ١٢٧، ومقدّمة مُسند بقيّ بن مخلّد ٢٣٨، والمعارف ٣١٦ و ٥٨٤، والتاريخ الكبير ٥٢/٨، ٥٣ رقم ٢١٢٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، والمعرفة والتاريخ ٤٦٧/٢، وأنساب الأشراف ٢٠٠/١ و ق ٤ ج ٤٥٥/١ و ٥٤٨ و ٥٨/٥، والجرح والتعديل ٤٢٦/٨ رقم ١٩٣٨، وفتوح البلدان ٦ و ٤٣١، والاستيعاب ٤٧٦/٣، ٤٧٧، والمعجم الكبير ٣٤٩/٢٠ - ٣٥٢، ومشاهير علماء الأمصار ٢٨ رقم ١٣٥، والعقد الفريد ١٦١/٤ و ٢٧٣، وأسد الغابة ٤٠٢/٤، ٤٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١٠٨/٢ رقم ١٥٧، والتذكرة الحمدونية ١٤١/١، وتهذيب الكمال ١٣٥٨/٣، وتحفة الأشراف ٤٦٨/٨، ٤٦٩ رقم ٥٣٧، والكاشف ١٤٧/٣ رقم ٥٦٧٩، والعبر ٤٧/١، وتاريخ الإسلام ٣٥٦/٣، ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ٤٩١/٢ - ٤٩٣ رقم ١٠٢، وتهذيب التهذيب ٢٥٤/١٠ رقم ٤٥٦، وتقريب التهذيب ٢٦٨/٢ رقم ١٣٠٢، والبداية والنهاية ٢٢٢/٧، والإصابة ٤٥١/٣ رقم ٨١٦٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩٧، وشذرات الذهب ٤٨/١.

(٣) انظر عن نعيم في: المغازي للواقدي ١٩٨ و ٣٢٧ و ٣٧٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٤٨٠ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٥٣٠ و ٧٩٩ و ٨٢٠ و ٩٩٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٤ - ١٩٦ و ٣٢٥، وطبقات ابن سعد ٢٧٧/٤ - ٢٧٩، وتاريخ خليفة ١٨٢، وطبقات خليفة ٤٧ و ٣٢٩، وتاريخ الطبري ٥٦٠/٢ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ١٤٦/٣ و ١٨٧ و ٧٢/٤ - ٧٤، والجرح والتعديل ٤٥٩/٨ رقم ٢١٠٣، والاستيعاب ٥٥٧/٣، ٥٥٨، وأنساب الأشراف ٣٤٠/١ و ٣٤٥ و ٥٣٠، والتاريخ الكبير ٩٢/٨ رقم =

مُجاشع بن مسعود؛ وفي خلافته مات عبد الله بن حُذافة^(١) السهمي، وهو بُذري، وكان فيه دُعابة؛ وفيها مات عبد الله بن أبي ربيعة^(٢) المخزومي والد عمر الشاعر، وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حُصر فسقط عن راحلته فمات؛ وأبورافع^(٣) مولى

= ٢٣٠٦، وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠، وأسد الغابة ٣٣/٥، ٣٤، وتهذيب الأسماء في ج ١ ١٣١/٢ رقم ١٩٨، وتهذيب الكمال ١٤٢٢/٣، والكاشف ١٨٣/٣ رقم ٥٩٦٧، وتاريخ الإسلام ٣٥٨/٣، والبداية والنهاية ٢٢٢/٧، والإصابة ٥٦٨/٣ رقم ٨٧٧٩، وتهذيب التهذيب ٤٦٦/١٠ رقم ٨٣٩، وتقريب التهذيب ٣٠٥/٢ رقم ١٣٣.

(١) انظر عن عبد الله بن حذافة في: مسند أحمد ٤٢٠/٣، ٤٥١، والمغازي للواقدي ٦٠٣ و ٩٨٣ و ١١٠٩، وطبقات ابن سعد ٧١٩/٤، ١٩٠، وطبقات خليفة ٢٦، وتاريخ خليفة ٧٩ و ٩٨ و ١٤٢، والمحبّر ٧٧، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٢٨، والأسامي والكنى للحاكم (الورقة ١٦٣/١)، وأنساب الأشراف ٢١٥/١ و ٥٣١، والمعرفة والتاريخ ٢٥٢/١، والمعارف ١٣٥، وفتوح البلدان ٢٥٣ و ٢٦٠ و ٣٥٨، وتاريخ الطبري ٦٤٤/٢ و ٦٥٤ و ٦٨/٣، والمستدرك ٣٦٠/٣، ٣٦١، والخراج وصناعة الكتابة ١٦٨ و ٣٢٨، وأسد الغابة ١٤٢/٣ - ١٤٤، ومشاهير علماء الأمصار ٣٦ رقم ٢٠٥، وجمهرة أنساب العرب ١٦٥، وتحفة الأشراف ٣١٠/٤ - ٣١٢ رقم ٢٨٣، وتهذيب الكمال ٦٧٤/٢، وتلخيص المستدرك ٦٣٠/٣، ٦٣١، وسير أعلام النبلاء ١١/٢ - ١٦ رقم ٢، وتاريخ الإسلام ٣٤٢/٣، ٣٤٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والوافي بالوفيات ١٢٥/١٧، ١٢٦ رقم ١٠٩، وتهذيب التهذيب ١٨٥/٥ رقم ٣١٩، وتقريب التهذيب ٤٠٩/١ رقم ٢٥٢، والنكت الظراف ٣١١/٤، ٣٨٢، والإصابة ٢١٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٩٤.

(٢) انظر عن ابن أبي ربيعة في: المغازي للواقدي ٣٣ و ٨٩ و ١٣٠ و ١٤٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٢٠ و ٧٣٠ و ٧٨٥ و ٨٢٩ و ٨٦٣ و ٥٩٥، والسير والمغازي ١٥٩ و ١٦٩ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٣٢٢، والمحبّر ٦٦ و ٦٧، وتهذيب سيرة ابن هشام ٧٣ - ٧٦ و ٧٧ و ١٥٦، وتاريخ خليفة ١٥٤، وطبقات خليفة ٢١، والتاريخ الكبير ٩/٥، ١٠ رقم ١٦، والمعرفة والتاريخ ٢٤٨/١، وأنساب الأشراف ٢٣٢/١ - ٢٣٤ و ٢٩٨ و ٣٠٢ و ٣١٢ و ٣١٦ و ٣٦٣، ق ج ٤ ٥٠٤/١ و ٥٧٨، والجرح والتعديل ٥١/٥ رقم ٢٣٣، وتاريخ الطبري ٣٣٥/٢ و ٥٠٠ و ٢١٤/٤، ٢٤١ و ٤٢١، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٦١، وأسّد الغابة ١٥٥/٣، وتحفة الأشراف ٣١٨/٤ رقم ٢٩٠، وتهذيب الكمال ٦٨٠/٢، والكاشف ٧٦/٢ رقم ٢٧٤٢، والعبر ٣٦/١، وتاريخ الإسلام ٤٦٥/٣ - ٤٦٧، ومروءة الجنان ٨٩/١، ٩٠، ونسب قريش ٣١٧، وطبقات ابن سعد ٤٤٤/٥، وتهذيب التهذيب ٢٠٨/٥ رقم ٣٦١، وتقريب التهذيب ٤١٤/١ رقم ٢٩٤، والإصابة ٣٠٥/٢ رقم ٤٦٧١، وشذرات الذهب ٤٠/١.

(٣) انظر عن أبي رافع في: المغازي للواقدي ٢١٤ و ٣٧٨ و ٧٤٠ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٨٢ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١١١٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٨، ومسند أحمد ٨/٦ - ١٠ و ٣٩٠ - ٣٩٣، وطبقات ابن سعد ٧٣/٤ - ٧٥، والتاريخ لابن معين ٧٠٤/٢، وتاريخ خليفة ٢٢، والمحبّر لابن حبيب ٩٢، ١٢٨ و ٤٠٦، والمعارف ١٤٥، ١٤٦، ومقدمة مُسند بقي بن مخلّد ٨٤ رقم ٤٩، والمعرفة والتاريخ ٥١١/١، ٥١٢، وأنساب الأشراف ٢٦٩/١ و ٤١٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٩، ٤٧٧، ٤٧٨ و ٤٨٣ و ٥٤٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢٨/١ و ٧٠، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥١، وتاريخ الطبري ٤٠٠/٢ و ٤٦١ و ٤٦٢، و ١٣/٣ و ٢٥ و ٩٥ و ١٧٠ و ١٥٦/٤ و ١٨٠/٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٩ رقم ١٤٣، والجرح والتعديل ١٤٩/٢، والمعجم الكبير ٢٨٦/١، والمستدرك ٥٩٧/٣، ٥٩٨، والأسامي =

رسول الله ﷺ، وقيل: مات في خلافة عليّ، وهو أصحّ.

وفي خلافته تُوفّي أبو سبرة^(١) بن أبي رُهم العامريّ من عامر بن لُؤيّ، وهو بذريّ.

وفيهما مات هاشم بن عُتبة^(٢) بن ربيعة خال معاوية، أسلم يوم الفتح وكان صالحاً؛ وفيها مات أبو الدرداء^(٣)، وقيل: عاش بعده، والأوّل أصحّ.

- = والكنى للحاكم (ورقة ١/١٩٦)، والاستيعاب ٤/٦٨، وأسد الغابة ٥/١٩١، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ٢/٢٣٠ رقم ٣٤٢، وتحفة الأشراف ٩/١٩٨ - ٢٠٦ رقم ٦١٧، وتهذيب الكمال ٣/١٦٠٣، والمعين في طبقات المحدثين ٢٨ رقم ١٤٤، والكاشف ٣/٢٩٤ رقم ١٤٩، وتاريخ الإسلام ٣/٦٦٨، وتلخيص المستدرک ٣/٥٩٧، ٥٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢/١٦، ١٧ رقم ٣، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٥، وتهذيب التهذيب ١٢/٩٢، ٩٣ رقم ٤٠٧، وتقريب التهذيب ٢/٤٢١ رقم ٥، والنكت الطراف ٩/٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٥، والإصابة ٤/٦٧ رقم ٣٩١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩.
- (١) انظر عن أبي سبرة في: طبقات ابن سعد ٣/٤٠٣، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و ١٧٣، والسير والمغازي ٢٢٤، ٢٢٥، والمغازي للواقدي ١٥٦ و ٣٤١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٧٢، وطبقات خليفة ٢٦، والمعارف ١٢٨ و ١٣٧، وأنساب الأشراف ق ٣/٣١٢، والكنى والأسماء للدولابي ١/٣٦، وتاريخ الطبري ٢/٣٣٠، ٣٣١، ٥٠/٤ و ٨١ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٦ و ٩١ - ٩٣، والاستيعاب ٤/٨٢، ٨٣، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ١/٢٦٣)، وجمهرة أنساب العرب ١٦٩، وأسد الغابة ٥/٢٠٧، وتاريخ الإسلام ٣/٣٦٠، والبدایة والنهایة ٧/٢٢٣، والإصابة ٤/٨٤ رقم ٥٠٠.
- (٢) انظر عن هاشم بن عتبة في: المحبّر لابن حبيب ٦٩ و ٢٦١ و ٢٩١ و ٣٠٢، وفتوح الشام للأزدي ٢٧ و ٣٣ و ٩٦ و ١٢٣ و ١٨٩ و ٢١٧، وتاريخ خليفة ١٣٧ و ١٤٠ و ١٩٣ و ١٩٤، وطبقات خليفة ١٢٦، ونسب قريش ٢٦٣، ٢٦٤، والأخبار الطوال ١٢٠ و ١٢١ و ١٤٤ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤، وفتوح البلدان ١٦٠ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٧٠، وتاريخ الطبري ٣/٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤٩٧ و ٥٤٣ و ٥٤٩ و ٥٥١ و ٥٥٤ و ٥٧٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٢٤/٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٧ و ٥٣ و ٢٥٢ و ٤٩٩ و ٥٩٧ و ٥/١١ و ١٢ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ و ١١٠، والمتخب من ذيل المذيل ٥١١، ٥١٢، والخراج وصناعة الكتابة ٣٦٠، ٣٦١ و ٣٧٠، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٠، والتذكرة الحمدونية ٢/٤٥١ و ٤٧٨، ولباب الآداب ١٧٩، وأسد الغابة ٥/٤٩، ٥٠، ومروج الذهب ٣/١٣٠، والاستيعاب ٣/٦١٩ - ٦٢٢، والمستدرک ٣/٣٩٥، ٣٩٦، وتاريخ بغداد ١/١٩٦ رقم ٣٤، والعبر ١/٣٩، وتاريخ الإسلام ٣/٥٨٤، ٥٨٥، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٨٦ رقم ١٠٨، وتلخيص المستدرک ٣/٣٩٥، ٣٩٦، والعقد الثمين ٧/٣٥٩، ومرآة الجنان ١/١٠١، والإصابة ٣/٥٩٣ رقم ٨٩١٢، وشذرات الذهب ١/٤٦.
- (٣) مرّ في حوادث ووفيات سنة ٣١ هـ.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

ذكر تفريق^(١) عليّ عمّاله وخلاف معاوية

وفي هذه السنة فرّق عليّ عمّاله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام.

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ، فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: أمير. قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام. قالوا: إن كان بعثك عثمان فحيّ هلاً بك^(٢)، وإن كان بعثك غيره فارجع. قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى. فرجع إلى عليّ. وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيلٌ، فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: من فالة عثمان، فأنا أطلب من آوي إليه فأنتصر به لله. قالوا: مَنْ أنت؟ قال: قيس بن سعد. قالوا: امض. فمضى حتى دخل مصر. فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه، وفرقة اعتزلت بخربنا^(٣) وقالوا: إن قُتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نُحرّك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع عليّ ما لم يُقد من إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة. وكتب قيس إلى عليّ بذلك.

(١) في النسخة (ر): «استعمال».

(٢) في النسخة (ي): «فحيّ أهلاً بك».

(٣) خربنا: موضع من أرض مصر، قال ياقوت: وقد سألت عنه أهل مصر فلم يعرفوا إلا خربنا. (معجم البلدان ٣٦٢/٢) وخربنا: هكذا ضبط في كتاب ابن عبد الحكم. وقد ضبطه الحازمي خربنا بالنون ثم الباء، وهو خطأ. قال القضاعي: وهو يعدّ كور مصر ثم كور الحوف الغربي، وهو حوالي الإسكندرية: وخربنا، سألت عنه كتاب مصر فمنهم من قال يفتح الخاء، ومنهم من قال بكسرهما. . وهو الآن خراب لا يُعرف. (معجم البلدان ٣٥٥/٢).

وقد أثبتتها في تاريخ الطبري ٤٤٢/٤: «خربنا».

وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يردّه أحد عن دخول البصرة، ولم يجد لابن عامر في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب، وافترق الناسُ بها، فاتّبعَتْ فرقةُ القوم، ودخلت فرقةُ في الجماعة، وقالت فرقة: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا.

وأما عمارة بن شهاب، فلما بلغ رُبالة^(١) لقيه طليحة بن خويلد، وكان خرج يطلب بشأْر عثمان وهو يقول: لَهْفِي على أمر لم يسبقني ولم أدركه! وكان خروجه عند عود القعقاع من إغاثة عثمان، فلما لقي عمارة قال له: ارجع، فإنَّ القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً، فإنَّ أبيت ضربتُ عنقك. فرجع عمارة إلى عليّ بالخبر.

وانطلق عُبيد الله بن عباس إلى اليمن، فجمع يعلَى بن مُنية كلَّ شيء من الجباية وخرج به إلى مكة، فقَدِمها بالمال، ودخل عُبيد الله اليمن.

ولما رجع سهل بن حنيف من الشام، وأتت عليّاً الأخبارُ دعا طلحة والزُّبير فقال: إنّ الأمر الذي كنتُ أحذركم قد وقع، وإن الذي قد وقع لا يُدرِك إلّا بإماتته^(٢)، وإنّها فتنة كالنار، كلّما سُعرت ازدادت واستثارت. فقالا له: ائذن لنا نخرج من المدينة، فإنّما أن نكاثر وإمّا أن تدعنا. فقال: سَأَمْسِكُ الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدّاً فأخّر الدّاء الكي^(٣).

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى. فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبَيّن الكارّة منهم للذي كان، والراضي، ومَن بين ذلك، حتّى كان عليّ كأنه يشاهدهم. وكان رسولُ عليّ إلى أبي موسى معبّداً لأسلمي، وكان رسوله إلى معاوية سبرة الجُهني، فقدم عليه، فلم يُجِبْهُ معاوية بشيء، كلّما تنجّز^(٤) جوابه لم يَزِدْ على قوله:

أدِمَّ إِدَامَةَ حِصْنٍ ^(٥) أَوْ خُذْ ^(٦) بِيَدِي	حَرْباً ضَرْوْساً تَشُبُّ الْجَزْلَ وَالضَّرْمَا
فِي جَارِكُمْ وَابْنِكُمْ إِذْ كَانَ مَقْتَلُهُ	شَنْعَاءَ شَيْبَتِ الْأَصْدَاغِ وَاللَّمَمَا
أَعْيَا الْمَسُودُ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ	يُوجَدْ ^(٧) غَيْرُنَا مَوْلَى وَلَا حَكَمَا

(١) رُبالة: بضم أوله، منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية.

وقال أبو عبيد السكوني: رُبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق. (معجم البلدان ٣/١٢٩).

(٢) في الطبعة الأوربية «بأمانته»، وفي النسخة (ي): «بأمانيه».

(٣) الفتوح لابن أعمش - ج ٢/٢٧٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «يتجز».

(٥) في النسخة (ي): «حصر».

(٦) في تاريخ الطبري ٤٤٣/٤ «خدا».

(٧) في طبعة صادر ٢٠٣/٣ «لنا»، وما أثبتناه عن الأصل، والنسخة (ي) وتاريخ الطبري ٤٤٣/٤.

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية رجلاً من بني عبس، يدعى قبيصة، فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه^(١): من معاوية إلى عليّ، وقال له: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول، وأعاد رسول عليّ معه. فخرجاً فقيماً المدينة في ربيع الأول، فدخلها العباسيُّ كما أمره قد رفع الطومار، فتبعه الناس ينظرون إليه، وعلموا أن معاوية معترض، ودخل الرسول على عليّ فدفع إليه الطومار، ففَضَّ ختمه فلم يجد فيه كتاباً، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمِنُ أنا؟ قال: نعم، إنَّ الرسول لا يُقتل. قال: ورائي أني تركتُ قوماً لا يرضون إلا بالقود. قال: ممَّن؟ قال: من خيَطِ رقبتيك. وتركت ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق. قال: أمّني يطلبون دم عثمان، ألسمت موتوراً كثيراً عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان! نجا واللّه قتله عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج. قال: وأنا آمِنُ؟ قال: وأنت آمِن.

فخرج العباسي، وصاحت السبيّة^(٢) وقالت: هذا الكلب رسول الكلاب، اقتلوه! فنادى: يا آل مُضَر! يا آل قيس! الخيل والنبل! أقسم بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف حصي، فانظروا كم^(٣) الفُحول والركاب! وتعاونوا عليه، فمَنَعته مُضَر، فجعلوا يقولون له: اسكت، فيقول: لا والله لا يفلح هؤلاء أبداً، أتاهم ما يوعدون، لقد حلّ بهم ما يحذرون^(٤)، انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم، فوالله ما أمسوا حتى عُرف الذلّ فيهم. وأحب أهل المدينة أن يعلموا رأي عليّ في معاوية وقتاله^(٥) أهل القبلة، أيجسر عليه أم ينكل عنه؟ وقد بلغهم أن ابنه الحسن دعا إلى القعود وترك الناس، فدرسوا زياد بن حنظلة التميمي، وكان منقطعاً إلى عليّ، فجلس إليه ساعة، فقال له عليّ: يا زياد تيسّر^(٦)، فقال: لأيّ شيء؟ فقال: لغزو الشام. فقال زياد: الأناة والرّفق أمثل، وقال:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسِمٍ^(٧)
فَتَمَثَّلَ عَلَيٌّ وَكَأَنَّهُ لَا يَرِيدُهُ:

- (١) في النسخة (ر): «غير أنه».
- (٢) في الطبعة الأوربية «السبائية».
- (٣) في النسخة (ي): «كم تركوا».
- (٤) في النسخة الأوربية «يجدون»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٤٤٤.
- (٥) في النسخة (ي): «وقالت».
- (٦) في الأصل «نسير» وفي النسخة (ي): «تسير» والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٤٤٥.
- (٧) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ٢٩.

متى تجمع القلب الزكي^(١) وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك^(٢) المظالم^(٣)

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم. فعرفوا ما هو فاعل. واستأذنه طلحة والزبير في العمرة، فأذن لهما، فلحقا بمكة؛ ودعا عليّ محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء، وولى عبد الله بن عباس ميمته، وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ولآه ميسرته، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح فجعله عليّ مقدّمته، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يول ممّن خرج على عثمان أحداً.

وكتب إلى قيس بن سعد، وإلى عثمان بن حنيف، وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى أهل الشام، ودعا أهل المدينة إلى قتالهم، وقال لهم: إن في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوئية ولا مستكره بها، والله لتفعلنّ أو لينقلنّ الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم^(٤).

(خَرْنَبًا بفتح الخاء المعجمة، وسكون الراء، وفتح النون، والباء الموحدة، وآخره ألف)^(٥).

ذكر ابتداء وقعة الجمل^(٦)

فبينما هم كذلك على التجهّز لأهل الشام أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة

(١) في تاريخ الطبري ٤/٤٤٥: «الذكي».

(٢) في النسخة (ي): «يتقيك».

(٣) البيت لابن بركة الهمداني، وهو في الكامل في الأدب للمبرّد ٢٧/١ وقبله هذا البيت:

وكنّت إذا قوم رموني رميتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٤/٤٤٢ - ٤٤٦.

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر). وقد تقدّم التعريف بهذا الموضع قبل قليل.

(٦) انظر عن وقعة الجمل في:

كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/٢٦٩ وما بعدها، وتاريخ خليفة ١٨١ وما بعدها، والأخبار الطوال ١٤٤ وما بعدها، ومروج الذهب ٢/٣٦٦ وما بعدها، وأنساب الأشراف (الجزء الذي حقّقه الشيخ محمد باقر المحمودي) - ٢٢١ وما بعدها، والعقد الفريد (انظر فهرس الأيام) ٨٥، ١٨٦، وتاريخ يعقوبي ٢/١٨٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٤/٤٥٦ وما بعدها، وعيون الأخبار ١/١٠٨ و ٣/٨٨ و ٤/١٣٧، والبدء والتاريخ ٥/٢١١ وما بعدها، والتنبيه والإشراف ٢٥٥، والمعارف ٢٠١ و ٣٤٥ و ٥٣٥، والمعرفة والتاريخ =

وأهل (مكة بنحو آخر)^(١) وأنهم على الخلاف، فأعلم عليّ الناس ذلك، وأن عائشة، وطلحة، والزبير، قد سخطوا إمارته، ودعوا الناس إلى الإصلاح، وقال لهم: سأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، وأقتصر على ما بلغني.

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة، فسرّه ذلك وقال: إن الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم. فقال له ابن عباس: إن الذي سرك من ذلك ليسوءني، إن الكوفة فسطاط فيه [أعلام] من أعلام العرب، ولا يحملهم عدّة القوم، ولا يزال فيها من يسمو إلى أمرٍ لا يناله، فإذا كان كذلك شغب عليّ الذي قد نال ما يريد حتى تُكسر حدّته.

فقال عليّ: إن الأمر ليُشبه ما تقول، وتهيّا للخروج إليهم، فندب أهل المدينة للمسير معهم فتأقّلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُميلاً النخعي، فجاء به، فدعاه إلى الخروج معه، فقال: إنّما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم، فإن يخرجوا أخرج معهم، وإنّ يقعدوا أقعد. قال: فأعطني كفيلاً^(٢). قال: لا أفعل. فقال له عليّ: لولا ما أعرف من سوء خلُقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني^(٣)، دعوه فأنا كفيله. فرجع ابن عمر إلى المدينة وهم يقولون: والله ما ندري كيف نصنع، إن الأمر لمُشْتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء^(٤) لنا.

فخرج من تحت ليلته وأخبر أمّ كلثوم ابنة عليّ، وهي زوجة عمر، بالذي سمع، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة عليّ ما خلا النهوض. فأصبح عليّ فقيل له: حدث الليلة حَدثٌ هو أشدّ من طلحة، والزبير، وعائشة، ومعاوية. قال: وما ذاك؟ قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام فأتى السوق وأعدّ الظهر والرجال، وأخذ لكل طريق طُلاباً، وماج الناس. فسمعت أمّ كلثوم، فأتت عليّاً فأخبرته الخبر، فطابت نفسه وقال: انصرفوا، والله ما كذبت ولا كذب، والله إنه عندي ثقة. فانصرفوا^(٥).

وكان سبب اجتماعهم بمكة أنّ عائشة كانت خرجت إليها، وعثمان محصور، ثم

= ٣١١/٣ - ٣١٣، وتاريخ بغداد ٤٤٠/٨ في ترجمة (زيد بن صوحان)، ونهاية الأرب ٢٠/٢٦ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١٧٣/١ - ١٧٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - بتحقيقنا - ٤٨٣ - ٤٩٠، والبداءة والنهاية ٢٣٠/٧ وما بعدها، ومراة الجنان ٩٥/١ - ١٠٠، وتاريخ ابن خلدون ١٥٣/٢ (بقية الجزء الثاني)، ومآثر الإنافة ١٠١/١، ١٠٢.

(١) في النسخة (ي): «بخروجهم» بدل المثبت بين القوسين.

(٢) في تاريخ الطبري ٤٤٦/٤ «فأعطني زعيماً».

(٣) في النسخة (ي): «لا تكذبني».

(٤) في النسخة (ي): «يقضي».

(٥) تاريخ الطبري ٤٤٦/٤، ٤٤٧.

خرجت من مكة تريد المدينة. فلما كانت بسرف لقيها رجلٌ من أحوالها من بني ليث يقال له عُبيد بن أبي سَلَمَة، وهو ابن^(١) أمّ كلاب، فقالت له: مَهَيْم؟ قال: قُتل عثمان وبقوا ثمانياً. قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعة عليّ. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك! رُدُّوني رُدُّوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل واللّه عثمانٌ مظلوماً، واللّه لأطلينّ بدمه! فقال لها: ولم؟ واللّه إنّ أوّل من أمار حرّفه لأنّيت، ولقد كنتِ تقولين: اقتلوا نَعَثلاً فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأول. فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام	وقُلتِ لئنا إنه قد كفر
فهبنا ^(٢) أطعنالك في قتله	وقاتله ^(٣) عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناسُ ذا تُذراً ^(٤)	يُزيلُ الشبا ويُقيمُ الصعر ^(٥)
ويلبسُ للحربِ أثوابها	وما من وفي مثل من قد غدر ^(٦)

فانصرفت إلى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه، فاجتمع الناسُ حولها^(٧). فقالت: أيّها الناس، إنّ الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حدّث سِنه، وقد استعمل أمثالهم قبله، ومماضع من الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلما لم يجدوا حُجة ولا عُذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدّم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لأصيغُ من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم! وواللّه، لو أنّ الذي اعتدّوا به عليه كان ذنباً لخلّص منه كما يخلّص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصّوه^(٨) كما يماصُ الثوب بالماء، أي يُغسل.

(١) في الأصل، والنسخة (ي): «عم»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٥٨٨.

(٢) في الأصل «فنحن» والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري.

(٣) في النسخة (ي): «وعامله».

(٤) في النسخة (ب): «بدرة»، وذو تُذراً: أي ذو عِدّة وقوّة.

(٥) في الطبعة الأوربية «الصغر».

(٦) أورد المسعودي منها بيتين في مروج الذهب ٣٧١/٢ باختلاف ألفاظ. وراجع الأبيات في كتاب: الفتح،

لابن أعثم الكوفي ٢/٢٤٩ باختلاف بعض الألفاظ، وزاد في أولها:

إذا زرتماها فقولاً لها وحطّ القضاء بذاك القدر

(٧) إلى هنا في تاريخ الطبري ٤/٥٨٨، ٥٩٩ وفي نهاية الأرب ٢٠/٢٦: «فقصدت الحجر، فسمرت فيه».

(٨) في النهاية في غريب الحديث: «في حديث عائشة قالت عن عثمان: مصّمّوه كما يماصُ الثوب ثمّ عدوتم =

فقال عبد الله بن عمرو بن^(١) الحضرمي، وكان عامل عثمان على مكة: ها أنا أول طالب! فكان أول مجيب، وتبعه بنو أمية على ذلك، وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة ورفعوا رؤوسهم، وكان أول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص، والوليد بن عتبة، وسائر بني أمية، وقدم عليهم عبد الله بن عامر^(٢) من البصرة بمال كثير، ويعلى بن أمية، وهو ابن منية، من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، فأناخ بالأبطح.

وقدم طلحة، والزبير من المدينة، فلقيا عائشة، فقالت: ما وراءكما؟ فقال: إنا تحملنا هرباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم. فقالت: انهضوا إلى هذه الغوغاء. فقالوا: نأتي الشام. فقال ابن عامر: قد كفاكم الشام معاوية، فأتوا البصرة فإن لي بها صنائع، ولهم في طلحة هوى. قالوا: قبحك الله! فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب، فهلاً أقمت كما أقام معاوية فنكفي بك، ثم نأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب؟ فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً، فاستقام الرأي على البصرة، وقالوا لها: نترك المدينة فإننا^(٣) خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتي بلداً مضيعاً سيحتجون علينا ببيعة علي فتنهضينهم كما أنهض أهل مكة، فإن أصلح الله الأمر كان الذي أردنا، وإلا دفننا بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد^(٤).

فأجابتهم إلى ذلك. ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم، فأبى وقال: أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون. فتركوه.

وكان أزواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة، فلما تغير رأيها إلى البصرة تركن ذلك، وأجابتهم حفصة إلى المسير معهم، فمنعها أخوها عبد الله بن عمر. وجهّزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وجهّزهم ابن عامر بمال كثير، ونادى

= عليه فقتلتموه. الموص: الغسل بالأصابع يقال: مصته أموصه موصاً، أرادت أنهم استأبوه عما نعموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه». وانظر: العقد الفريد ٣١٩/٤.

(١) في طبعة صادر ٢٠٧/٣ «عبد الله بن عامر»، وهو وهم، والصواب ما أثبتناه اعتماداً على ما ذكره ابن حجر في الإصابة ٣٥١/٢ في أسماء عمال عثمان. وهو غير عبد الله بن عامر بن كرز القرشي والي البصرة. وهو في تاريخ الطبري ٤٤٩/٤ ابن عامر خطأ.

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كرز عامل عثمان على البصرة.

(٣) في الطبعة الأوربية «فإن».

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٩/٤ - ٤٥١، نهاية الأرب ٢٠/٢٦ - ٢٩.

مُنَادِيهَا: إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ شَاخِصُونَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَمَنْ أَرَادَ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَقِتَالَ الْمُجَلِّينَ^(١) وَالطَّلَبَ بَنَارَ عَثْمَانَ، وَلَيْسَ لَهُ مَرْكَبٌ وَجِهَازٌ فَلْيَأْتِ! فَحَمَلُوا سِتْمَاةَ عَلَى سِتْمَاةَ بَعِيرٍ، وَسَارُوا فِي أَلْفٍ^(٢). وَقِيلَ: فِي تِسْعِمَائَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَلِحَقِّهِمُ النَّاسُ، فَكَانُوا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ^(٣). وَبَعَثَتْ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ يُدْعَى ظَفَرًا^(٤)، فَاسْتَأْجَرَتْهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ عَلِيًّا بِالْخَبَرِ، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ بِكِتَابِهَا^(٥).

وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ وَمَنْ مَعَهَا مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهَا أَذَّنَ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَقَالَ: عَلَى أَيِّكُمَا أَسْلَمَ بِالْإِمْرَةِ وَأَوَّذَنَ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، يَعْنِي أَبَاهُ الزُّبَيْرَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ: عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ، يَعْنِي أَبَاهُ طَلْحَةَ. فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى مِرْوَانَ وَقَالَتْ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَفَرِّقَ أَمْرَنَا! لِيُصَلَّ بِالنَّاسِ ابْنُ أَخِي، تَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. وَقِيلَ: بَلْ صَلَّى بِالنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابٍ بْنُ أَسِيدٍ حَتَّى قُتِلَ، فَكَانَ مُعَاذُ بْنُ عُبَيْدٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ ظَفَرْنَا لَأَقْتَلْنَا، مَا كَانَ الزُّبَيْرُ يَتْرَكَ طَلْحَةَ وَالْأَمْرَ، وَلَا كَانَ طَلْحَةُ يَتْرَكَ الزُّبَيْرَ وَالْأَمْرَ.

وَتَبِعَهَا أَهْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ، فَبَكَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُرَ يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا وَبَاكِيًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكَانَ يَسْمَى يَوْمَ النَّحِيبِ^(٦). فَلَمَّا بَلَغُوا ذَاتَ عِرْقٍ^(٧) لَقِيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَأَصْحَابَهُ بِهَا فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُونَ وَتَتْرَكُونَ ثَارَكُمْ عَلَى أَعْجَازِ الْإِبِلِ وَرَاءَكُمْ؟ يَعْنِي عَائِشَةَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، أَقْتُلُوهُمْ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ. فَقَالُوا: نَسِيرُ^(٨) فَلَعَلْنَا نَقْتُلُ قَتْلَةَ عَثْمَانَ جَمِيعًا. فَخَلَا سَعِيدُ بَطْلَحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَقَالَ: إِنَّ ظَفَرْتُمَا لِمَنْ تَجْعَلَانِ الْأَمْرَ؟ أَصْدِقَانِي. قَالَا: نَجْعَلُهُ لِأَحَدِنَا أَيُّنَا اخْتَارَهُ النَّاسُ. قَالَ: بَلْ تَجْعَلُونَهُ لَوْلَدِ عَثْمَانَ، فَإِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ بَدْمَهُ. فَقَالَا: نَدْعُ شَيْوْخَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَجْعَلُهَا لِأَيَّتَامٍ^(٩)! قَالَ: فَلَا أَرَانِي أَسْعَى إِلَّا لِإِخْرَاجِهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ. فَارْجِعْ وَارْجِعْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) فِي النِّسْخَةِ (ي): «الْمُسْتَحْلِينَ».

وَيُرَادُ بِالْمُحْلِينَ: الَّذِينَ أَحْلَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَانْتَهَكُوا حُرْمَاتِهِ.

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤/٤٥١، وَانْظُرْ مَرْوَجُ الذَّهَبِ ٢/٣٦٦.

(٣) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤/٤٥٢.

(٤) فِي النِّسْخَةِ (ي): «خَفَرًا».

(٥) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤/٤٥١.

(٦) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤/٤٦٠.

(٧) ذَاتُ عِرْقٍ: لَمْ يُفَرَّدْ لَهَا يَاقُوتٌ وَلَا الْبَكْرِيُّ مَادَةٌ فِي مَعْجَمَيْهِمَا، وَهِيَ بِالْقُرْبِ مِنَ الرُّبْدَةِ عَلَى طَرِيقِ الْحِجَازِ. (انْظُرْ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/٢٤ - الرُّبْدَةُ).

(٨) فِي النِّسْخَةِ (ي): «أَبْشَرًا».

(٩) فِي الْأَصْلِ «لَوْلَدِهِمْ»، وَفِي النِّسْخَةِ (ي) وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤/٤٥٣ «لَأَبْنَائِهِمْ»، وَالْمَثْبُوتُ عَنْ بَقِيَّةِ النِّسْخِ، =

خالد بن أسيد، وقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما قال سعيد، من كان ههنا من ثقيف فليرجع. فرجع، ومضى القوم ومعهم أبان، والوليد ابنا عثمان^(١). وأعطى يعلى بن منية^(٢) عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه بثمانين ديناراً، فركبته. وقيل: بل كان جملاً لرجل من عُرينة^(٣).

قال العُرني: بينما أنا أسير على جمل إذ عَرَضَ لي راكب فقال: أتبيع جَمَلَكَ؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بألف درهم. قال: أمجنون أنت؟ قلت: ولم؟ واللّه، ما طلبتُ عليه أحداً إلا أدركته، ولا طلبني وأنا عليه أحدٌ إلا فُتّه. قال: لو تعلم لمن نريده! إنما نريده لأم المؤمنين عائشة! فقلت: خذه بغير ثمن. قال: بل ترجع معنا إلى الرَّحْل فنعطيك ناقة ودرهم. قال: فرجعت معه، فأعطوني ناقة مَهْرِيَّة وأربعمئة درهم أو ستمائة، وقالوا لي: يا أبا عُرينة هل لك دَلَالَةٌ بالطريق؟ قلت: أنا من أدل الناس. قالوا: فسير معنا. فسرت معهم، فلا أمرَ على وإد إلا سألوني عنه، حتى طرَقنا الحَوَاب، وهو ماء، فنبَحَثنا كلابه، فقالوا: أي ماء هذا؟ فقلت: هذا ماء الحَوَاب. فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهيئة، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري، أيتكنَّ تنبُّحها كلاب الحَوَاب!»^(٤) ثم ضربت عضدَ بغيرها فأناخته وقالت: ردوني، أنا واللّه صاحبة ماء الحَوَاب. فأناخوا حولها يوماً وليلة، فقال لها عبد الله بن الزبير: إنه كذب، ولم يزل بها وهي تمتنع، فقال لها: النجاء النجاء! قد أدرككم علي بن أبي طالب^(٥). فارتحلوا نحو البصرة، فلما كانوا بفنائها لقيهم عُمر بن عبد الله التميمي وقال: يا أم المؤمنين أنشدك الله أن تقدّمي اليوم علي قوم لم تراسلي منهم أحداً، فعجلني ابن عامر، فإن له بها صنائع، فليذهب إليهم ليلقوا الناس إلى أن تقدّمي ويسمعوا ما جئتم به. فأرسلته، فاندس إلى البصرة، فأتى القوم، وكتبت عائشة^(٦)

= وطبعة صادر ٢٠٩/٣.

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٥٣، نهاية الأرب ٢٠/٣١.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٥٢ «يعلى بن أمية».

(٣) الطبري ٤/٤٥٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق: يحيى القطان، عن اسماعيل، عن قيس، قال: لما أقبلت عائشة، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً، نبَحَث الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحَوَاب. قالت: ما أظنني إلا أنني راجعة. قال بعض من كان معها. بل تقدّمين فيراك المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «كيف بلأحدان تنبُّح عليها كلاب الحَوَاب». (المُسند ٥٢/٦ و ٩٧، وصحيح ابن حبان، رقم ١٨٣١، والمستدرك للحاكم ٣/١٢٠، وقد وافقه الذهبي في تلخيصه للمستدرك ٣/١٢٠، والبداية والنهاية ٦/٣١٢ وقال ابن كثير: وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه. وهو في المصنّف لعبد الرزاق (٢٠٧٥٣).

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٥٦، ٤٥٧ وأنساب الأشراف ٢٢٤.

(٦) في النسخة (ي): «وكتبت عائشة عنها وعن أبيها».

إلى رجال من أهل البصرة، وإلى الأحنف بن قيس، وصبرة بن شيمان، وأمثالهم، وأقامت بالحُفَيْرِ تنتظر الجواب.

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عاقبة، وألزّه^(١) بأبي الأسود الدؤلي^(٢)، وكان رجل خاصّة، وقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها. فخرجا فانتهيا إليها بالحُفَيْرِ، فأذنت لهما، فدخلتا وسَلّما وقالوا: إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك، فهل أنت مُخْبِرُنا؟ فقالت: واللّه ما مثلي يُعْطِي لبيته الخبر، إن الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حَرَمَ رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه وآووا المُحْدِثِينَ، فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله ﷺ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تِرة ولا عُذر، فاستحلّوا الدم الحرام وسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلّوا البلد الحرام، والشهر الحرام، فخرجت في المسلمين أَعْلِمُهُمْ ما أتى هؤلاء، وما الناس فيه وراءنا، وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصة، وقرأت: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾^(٣) الآية، فهذا شأننا إلى معروفٍ نأمركم به ومُنْكَرٍ ننهاكم عنه.

فخرج عمران وأبو الأسود من عندها فأتيا طلحة وقالوا: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان. فقالا: ألم تباع علياً؟ فقال: بلى والسيف على عنقي، وما أستقبل علياً البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان. ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة، وقال لهما مثل قول طلحة، فرجعا إلى عثمان بن حنيف، ونادى مناديهما بالرحيل، فدخلتا على عثمان، فبادر أبو الأسود عمران فقال:

يا ابن حنيف قد أتيت فأنفِرِ وطاعن القومَ وجالِدَ واصبر^(٤)
وابرُزْ لهم مُسْتَلِئْماً وشَمِر^(٥)

فقال عثمان: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحي الإسلام ورب الكعبة فانظروا بأيّ رَيْفان^(٦) تَزِيف^(٧). فقال عمران: إي واللّه لتعركنكم عركاً طويلاً. قال: فأشِرْ عليّ يا عمران. قال: اعتزل فإنّي قاعد. قال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين.

(١) في الأصل «ألزمه». وألزّه: ألصقه.

(٢) في طبعة صادر ٢١١/٣ «الدنلي».

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «واصبر».

(٥) أنساب الأشراف ٢٢٦.

(٦) في الطبعة الأوربية «رَيْعان».

(٧) في الأصل «شريف» وفي نسختي المتحف البريطاني ومكتبة بودليان «ننزف».

فانصرف عمران إلى بيته وقام عثمان في أمره، فأتاه هشام بن عامر فقال: إن هذا الأمر الذي تريده يُسلم إلى شرٍّ ممَّا تكره، إن هذا فتقُّ لا يُرتق، وصُدْعٌ لا يُجبر، فافرقُ بهم وسامحهم حتى يأتي أمر عليّ. فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح، فاجتمعوا إلى المسجد، وأمرهم بالتجهّز، وأمر رجلاً دسّه إلى الناس خديعاً كوفيّاً قيسيّاً، فقام فقال: أيّها الناس أنا قيس بن العَقْدِيَّة الحُمَيْسِيّ، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان، فما نحن بقتلة عثمان، فأطيعوني ورُدُّوهم من حيث جاؤوا. فقام الأسود بن سريع السعديّ فقال: أوزعموا أنا قتلة عثمان؟ إنما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا. فحصبه الناس، فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصراً، فكسره ذلك^(١).

فأقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المِربد، فدخلوا من أعلاه، ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، فاجتمع القوم بالمِربد، فتكلّم طلحة وهو في ميمنة المِربد، وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له، فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحلّ منه، ودعا إلى الطلب بدمه وحثّهم عليه، وكذلك الزبير. فقال من في ميمنة المِربد: صدقاً وبرّاً. وقال من في ميسرته: فجراً وغدراً وأمرًا بالباطل، فقد بايعا عليّاً ثم جاءا يقولان، وتحاثي^(٢) الناس وتحاصبوا وأرهبوا.

فتكلّمت عائشة، وكانت جَهْوَريّة الصوت، فحمدت الله وقالت: كان الناس يتجنّون على عثمان ويُزرون على عمّاله، ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقياً وفاقاً، ونجدهم فجرة غدرّة كذّبة، وهم يحاولون غير ما يُظهرون، فلمّا قووا كاثروه، واقتحموا عليه داره، واستحلّوا الدّم الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، بلا ترّة ولا عُذر، ألا إن ممّا ينبغي لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله، وقرأت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣) الآية؛ فافترق أصحاب عثمان فرقتين، فرقة قالت: صدقت وبرّت، وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به! فتحاثوا وتحاصبوا. فلمّا رأت عائشة ذلك انحدرت، وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا في المِربد في موضع الدبّاعين، وبقي أصحاب عثمان على حالهم، ومال بعضهم إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان.

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٦١ - ٤٦٣.

(٢) في النسخة (ي): «تحامى». وتحاثي الناس: أي كانوا يحثون التراب في وجوه بعضهم.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال: يا أم المؤمنين، والله، لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون غرضة للسلح! إنه قد كان لك من الله سترٌ وحُرمة، فهتكتِ سترك وأبحتِ حُرمتك! إنه من رأى قتالك يرى قتلك! لئن كنتِ أتيتنا طائعةً فارجعي إلى منزلك، وإن كنتِ أتيتنا مُكرهةً فاستعيني بالناس.

وخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله ﷺ، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ﷺ بيدك، وأرى أمكم معكما، فهل جئتما بنسائكما؟ قال: لا. قال: فما أنا منكم في شيء؛ واعتزل وقال في ذلك:

صُنْتُمْ حِلَالَكُمْ وَقُدْتُمْ أُمَّكُمْ	هَذَا لَعَمْرُكَ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ
أَمَرْتُ بِجَرِّ ذِيولِهَا فِي بَيْتِهَا	فَهَوَتْ تَشْقُ الْبَيْدَ بِالْإِجَافِ ^(١)
غَرَضاً يِقَاتِلُ ^(٢) دُونَهَا أَبْنَاوَهَا	بِالْغَبْلِ وَالْخَطِيءِ وَالْأَسِيفِ
هَتَكْتُ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ سُتُورَهَا	هَذَا الْمُخْبِرُ عَنْهُمْ وَالْكَافِي ^(٣)

وأقبل حُكَيْم بن جَبَلَة العُبدِي وهو على الخيل، فأنشب القتال، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم، وأمسكوا ليمسك حُكَيْم وأصحابه، فلم ينته، وقتلهم وأصحاب عائشة كأفون يدفعون عن أنفسهم، وحُكَيْم يذمر خيله ويركبهم بها، فاقتتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا إلى مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، ورجع عثمان إلى القصر، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون، وبات الناس يأتونهم، واجتمعوا بساحة دار الرزق. فغاداهم حُكَيْم بن جبلة وهو يسب ويده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: من هذا الذي تسبه؟ عائشة. قال: يا ابن الخبيثة الأمّ المؤمنين تقول هذا؟ فطعنه حُكَيْم فقتله. ثم مرّ بامرأة وهو يسبها أيضاً، فقالت له: الأمّ المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة؟ فطعنها فقتلها. ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً إلى أن زال النهار وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حُنيف وكثر الجراح في الفريقين. فلما عضتْهم الحرب تنادَوْا إلى الصُّلح وتوادعوا، فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حُنيف عن البصرة وأخلاها لهما، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير، وكتبوا بينهم كتاباً بذلك^(٤). وسار كعب بن سُر إلى أهل المدينة يسألهم. فلما قدّمها اجتمع الناس إليه، وكان يوم الجمعة،

(١) في الطبعة الأوربية «الإيحاء».

(٢) في الطبعة الأوربية «يقابل».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٦٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٦٦، ٤٦٧.

فقام وقال: يا أهل المدينة، أنا رسول أهل البصرة، نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعه عليّ أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد، فإنه قام وقال: إنهما بايعا وهما مكرهان. فأمر به تمام بن العباس، فوائبه سهل بن حنيف والناس، وثار ضُهب^(١) وأبو أيوب^(٢) في عدّة من أصحاب النبي ﷺ فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يُقتل أسامة فقالوا: اللهم نعم. فتركوه، وأخذ ضُهب أسامة بيده إلى منزله وقال له: أما وسيعك ما وسعنا من السكوت؟ قال: ما كنت أظن أن الأمر كما أرى. فرجع كعب وبلغ عليّاً الخبر، فكتب إلى عثمان يعجزه وقال: والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل، فإن كانا يريدان الخلع فلا عُذر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا.

فقدّم الكتابُ على عثمان، وقدم كعب بن سور، فأرسلوا إلى عثمان ليخرج، فاحتجّ بالكتاب وقال: هذا أمر آخر غير ما كنّا فيه. فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر، ثمّ قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء، وكانوا يؤخّرونها، فأبطأ عثمان، فقدّم عبد الرحمن بن عتاب، فشهّر الزُّطّ والسيّابجة^(٣) السلاح ثمّ وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا، وهم أربعون رجلاً، فأدخلا الرجال على عثمان فأخرجوه إليهما. فلمّا وصل إليهما [توطّؤوه] وما بقيت^(٤) في وجهه شعرة، فاستعظما ذلك وأرسلوا إلى عائشة يُعلمانها الخبر، فأرسلت إليهما أن خلّوا سبيله^(٥).

وقيل: لما أخذ عثمان أرسلوا يستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه. فقالت لها امرأة: نشدتك الله في عثمان وصُحبته لرسول الله ﷺ! فقالت لهم: احبسوه. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه. فضربوه أربعين سوطاً وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه ثمّ أطلقوه^(٦). وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق^(٧).

وقد قيل في إخراج عثمان غير ما تقدّم، وذلك أنّ عائشة، وطلحة، والزبير لما

(١) هو ضُهب بن سنان.

(٢) هو أبو أيوب بن زيد.

(٣) في الأصل «السيّابجة». وقد مرّ التعريف بالسيّابجة وما يلحق هذا الاسم من تحريف. أما الزُّطّ فهم من الهنود. (التنبيه والإشراف، للمسعودي ٣٠٧، ٣٠٨).

(٤) في الطبعة الأوروبية «وقد بقي».

(٥) تاريخ الطبري ٤٦٦/٤ - ٤٦٨، وانظر: مروج الذهب ٣٦٧/٢، وقال ابن أعثم الكوفي في الفتوح ٢٩٠/٢: «فلم يقتلوه ولكن أخذوه فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحلقوا رأسه».

(٦) تاريخ الطبري ٤٦٩/٤، الفتوح لابن أعثم ٢٩٠/٢.

(٧) تاريخ الطبري ٤٧٤/٤.

قَدِمُوا البصرةَ كَتَبَ عائِشةُ إلى زيد بن صُوحان: من عائِشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ، إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصُرنا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ.

فكتب إليها: أما بعد فأنا ابنك الخالص، لئن اعتزلت ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

وقال زيد: رَحِمَ اللَّهُ أم المؤمنين! أُمِرْتُ أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أُمِرْتُ به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه^(١).

وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حُنيف فقال لهم: ما نقمتم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منّا وقد صنع ما صنع. قال: فإنّ الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم به، على أن أصلي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه.

فوقفوا عنه، فكتب، فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق، فظفروا به وأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار، فتنفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه. وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا: يا أهل البصرة توبة لحوبة^(٢)، إنما أردنا أن نستعيب^(٣) أمير المؤمنين عثمان، فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه! فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد قد كانت كُتِبَ تأتينا بغير هذا. فقال الزبير: هل جاءكم مني كتاب في شأنه؟ ثم ذكر قتل عثمان، وأظهر عيب عليّ، فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: أيها الرجل انصت حتى نتكلم. فأنصت. فقال العبدى: يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله ﷺ، فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفّي رسول الله ﷺ، بايعتم رجلاً منكم^(٤) فرضينا وسلّمنا، ولم تستأمرونا في شيء من ذلك، فجعل الله للمسلمين في إمارته بركة، ثم مات واستخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا في ذلك فرضينا وسلّمنا، فلما توفّي جعل أمركم إلى ستة نفر، فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورتنا، ثم أنكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منّا، ثم بايعتم عليّاً عن غير مشورتنا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفيء، أو عمل بغير الحق، أو أتى شيئاً تُنكرونه فنكون معكم عليه، وإلا فما هذا؟ فهموا

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧٦، ٤٧٧.

(٢) في تاريخ الطبري «بحوبة». وانظر الكتابين في العقد الفريد ٤/٣١٧، ٣١٨.

(٣) في النسخة (ي): «نستغيث».

(٤) في الأصل زيادة: «فرضيتم».

بقتل ذلك الرجل، فمنعته عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه^(١) وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين. وبقي طلحة والزبير بعد أخذ عثمان بالبصرة ومعهما بيت المال والحرس والناس، ومن لم يكن معهما استتر^(٢).

وبلغ حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ مَا صُنِعَ بِعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ فَقَالَ: لَسْتُ أَخَافُ اللَّهَ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُ! فَجَاءَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ رِبِيعَةٍ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ دَارِ الرِّزْقِ، وَبِهَا طَعَامٌ أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنْ يَرْزُقَهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: مَا لَكَ يَا حُكَيْمُ؟ قَالَ: نَرِيدُ أَنْ نَرْزُقَ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ وَأَنْ تَخْلُوَا عُثْمَانَ، فَيَقِيمَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ عَلَى مَا كُتِبَتْ بَيْنَكُمْ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَجَدَ أَعْوَانًا عَلَيْكُمْ مَا رَضِيتُ بِهِذِهِ مِنْكُمْ حَتَّى أَقْتُلَكُمْ بِمَنْ قَتَلْتُمْ، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُمْ وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا لِحَالٍ بِمَنْ قَتَلْتُمْ، أَمَا تَخَافُونَ اللَّهَ؟ بَلَّ تَسْتَحِلُّونَ الدَّمَ الْحَرَامَ؟ قَالَ: بَدَمَ عُثْمَانَ. قَالَ فَالَّذِينَ قَتَلْتُمْ هُمْ قَتَلُوا عُثْمَانَ، أَمَا تَخَافُونَ مَقْتَهُ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: لَا نَرْزُقُكُمْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ وَلَا نُخْلِي سَبِيلَ عُثْمَانَ حَتَّى تَخْلَعَ عَلَيَّ. فَقَالَ حُكَيْمٌ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَكَمٌ عَدْلٌ فَاشْهَدْ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَسْتُ فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ فَلْيَنْصَرَفْ. وَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَهُمْ^(٣). فَقَالَ طَلْحَةُ^(٤) وَالزُّبَيْرُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ لَنَا ثَأْرَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، اللَّهُمَّ لَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا! فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَمَعَ حُكَيْمٍ أَرْبَعَةُ قَوَادٍ، فَكَانَ حُكَيْمٌ بِحِيَالِ طَلْحَةَ، وَذَرِيحُ بِحِيَالِ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ الْمُحْتَرِشِ^(٥) بِحِيَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ، وَحُرْقُوصُ بْنُ زَهَيْرٍ بِحِيَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَزَحَفَ طَلْحَةُ لِحُكَيْمٍ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، وَجَعَلَ حُكَيْمٌ يَضْرِبُ بِالسِّيفِ وَيَقُولُ:

أَضْرِبُهُم بِالْيَاسِ ضَرْبَ غَلَامٍ عَابِسٍ
مِنْ الْحَيَاةِ آيسٍ^(٦) فِي الْغُرُفَاتِ نَافِسٍ

فَضْرَبَ رَجُلٌ رَجُلَهُ فَقَطَعَهَا، (فَجَاءَ حَتَّى)^(٧) أَخَذَهَا فَرَمَى بِهَا صَاحِبَهُ فَصَرَعَهُ وَأَتَاهُ فَقَتَلَهُ ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ وَقَالَ:

(١) فِي الْأَصْلِ، وَنَسَخَ (ي): «عَلَى عُثْمَانَ».

(٢) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤/٤٦٩، ٤٧٠.

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤/٤٧٤، ٤٧٥.

(٤) «طَلْحَةُ» سَاقِطَةٌ مِنَ النُّسخَةِ (ي).

(٥) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٤/٤٧١ «الْمَحْرَشُ».

(٦) حَتَّى هُنَا فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ (تَحْقِيقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمُحَمَّدِيِّ) - ص ٢٢٨.

(٧) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي الْأَصْلِ «فَاحْتَى».

يا ساقى^(١) لن تُراعي إنَّ مَعِيَ ذِراعي
أحْمي بها كُراعي

وقال أيضاً:

لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَارٌ وَالْعَارُ فِي النَّاسِ هُوَ الْفِرَارُ
وَالْمَجْدُ لَا يَفْضُحُهُ الدَّمَارُ

فأتى عليه رجل وهو رثيث^(٢)، رأسه على آخر، فقال: ما لك يا حُكيم؟ قال: قُتِلْتُ. قال: مَنْ قَتَلَكَ؟ قال: وَسَادَتِي. فاحتمله وضَمَّه في سبعين من أصحابه، وتكَلَّمَ يومئذ حُكِيمٌ وإِنَّه لَقَائِمٌ عَلَى رِجْلٍ واحدة، وَإِنَّ السَّيْفَ لَتَأْخُذْهُمْ وما يَتَتَعَّعُ ويقول: إِنَّا خَلَفْنَا هَذِينَ^(٣)، وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة ثم أقبلَا مَخَالِفِينَ محاربين يطلبان بدم عثمان، ففرَّقَا بيننا، ونحن أهل دار وجوار، اللهمَّ إِنِّهَما لم يريدَا عثمان! فناداه مُنَادٌ: يا خبيث! جزعت حين عَضَّكَ نَكَالَ اللَّهِ إلى كَلامٍ من نصبك وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم وفرقتم [من] الجماعة وأصبتُم من الدماء، فذُقْ وبَالَ اللَّهِ وانتقامه^(٤). وقتلوا وقتل معهم، قتله يزيد بن الأسحم الحُدائي، فوجد حُكِيمٌ قتيلاً بين يزيد وأخيه كعب^(٥).

وقيل: قتله رجل يقال له ضُخَيْم^(٦)، وقُتِلَ معه ابنه الأشرف وأخوه الرُّعْل بن جبلة. ولما قُتِلَ حُكِيمٌ أرادوا قتل عثمان بن حُنيف فقال لهم: أما إنَّ سهلاً بالمدينة، فإنَّ قتلتموني انتصر، فخلَّوْا سبيله^(٧)، فقصد علياً. وقُتِلَ ذَرِيحٌ ومن معه، وأفلت حُرْقُوص بن زهير في نفر من أصحابه، فلجأوا إلى قومهم، فنادى منادي طلحة والزُّبير: من كان فيهم أحد ممَّن غزا المدينة فليأتنا بهم، فجاء بهم فقتلوا، ولم ينجْ منهم إِلَّا حُرْقُوص بن زهير، فإنَّ عشيرته بني سعد منعه، وكان منهم، فنالهم من ذلك أمر شديد، وضربوا فيه أجلاً وخشَّنوا صُدُور بني سعد، وكانوا عثمانية، فاعتزلوا، وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قُتِلَ منهم بعد الوقعة ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم

(١) في أنساب الأشراف «يا نفس» وفي تاريخ الطبري ٤/٤٧١ «يا فخذ».

(٢) في النسخة (ي) «ترتبت».

(٣) في الطبعة الأوربية «هذان» وهو غلط.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٧٠، ٤٧١.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤، أنساب الأشراف ٢٢٩.

(٦) الطبري ٤/٤٧٤، تاريخ خليفة ١٨٣،

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤، أنساب الأشراف ٢٣٠.

الطاعة لعلِّي، فأمر طلحة والزبير للناس بأعطياتهم وأرزاقهم، وفضلاً أهل السمع والطاعة، فخرجت عبد القيس وكثيرٌ من بكر بن وائل حين منعهم الفضول، فبادروهم إلى بيت المال، وأكَبَّ عليهم الناس، فأصابوا منهم، وخرجوا حتى نزلوا على طريق عليّ. وأقام طلحة والزبير وليس معهما ثارٌ إلَّا حُرْقُوص بن زهير، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه^(١). وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم، وتأمروهم أن يثبُطوا الناس عن عليّ، وتحثهم على طلب قتلة عثمان، وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً، وسيّرت الكتب^(٢).

وكانت هذه الواقعة لخمس ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين^(٣).

وباع أهل البصرة طلحة والزبير، فلما بايعوهما قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، أقتله بيّاتاً أو صباحاً قبل أن يصل إلينا! فلم يُجبه أحد، فقال: إن هذه للفتنة التي كنا نُحدِّث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويلك! إنا نبصّر ولا نبصّر^(٤)، ما كان أمر قطّ إلَّا وأنا أعلم موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإنّي لا أدري أمقبّل أنا فيه أم مُدبر^(٥)! وقال علقمة بن وقاص الليثي: لما خرج طلحة، والزبير، وعائشة، رأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بِلَحِيته على صدره، فقلت: يا أبا محمد، أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضاربٌ بِلَحِيَتِكَ على صدرك، إن كرهت شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بينا نحن يدٌ واحدة على من سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً، إنّه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلَّا أن يُسفك دمي في طلب دمه. قال: فقلت: فردّ ابنك محمداً، فإنّ لك ضيعة وعيالا، فإن يك شيء يخلّصك. قال: فامنعه. قال: فأتيت محمداً ابنه فقلت له: لو أقمّت فإن حدث به حدّ كنت تخلّفه في عياله وضيّعته. قال: ما أحبّ أن أسأل عنه الرُكبان^(٦).

(يعلى بن مُنية بضم الميم، وسكون النون، والياء المعجمة باثنتين من تحتها، وهي

(١) الطبري ٤/٤٧١، ٤٧٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤.

(٤) الكلمتان في الأصل «نصير».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٧٥، ٤٧٦.

(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٧٦ وفيه «الرجال» بدل «الركبان».

أمة، واسم أبيه أُمَيَّة. عبد الله بن خالد بن أُسَيْد: بفتح همزة أُسَيْد. جارية بن قُدامة: بالجيم. حُكَيْم بن جَبَلَة بضمّ الحاء، وفتح الكاف، وقيل بفتح الحاء، وكسر الكاف. وُصُوحان بضمّ الصّاد، وآخره نون).

ذكر مسير عليّ إلى البصرة والوقعة

قد ذكرنا فيما تقدّم تجهّز عليّ إلى الشام، فبينما هو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه، فلمّا بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ آخر هذا الأمر لا يصلح إلّا بما صلح [به] أوّله، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم. فتأقّلوا، فلمّا رأى زياد بن حنظلة تأقّل الناس انتدب إلى عليّ وقال له: من تأقّل عنك فإنّا نخفّ معك فنقاتل دونك. وقام رجلان صالحان من أعلام الأنصار، أحدهما أبو الهيثم بن التّيهان، وهو بدريّ، والثاني خزيمة بن ثابت، قيل: [هو ذو الشّهادتين]، وقال الحَكَم: ليس بذِي الشّهادتين^(١)، مات ذو الشّهادتين أيّام عثمان، فأجابه إلى نصرته.

قال الشّعبيّ: ما نهض في تلك الفتنة إلّا ستّة نفر بدريّون ما لهم سابع. وقال سعيد بن زيد: ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ لخير يعملونه إلّا وعليّ أحدهم. قيل: وقال أبو قتادة الأنصاريّ لعليّ: يا أمير المؤمنين إنّ رسول الله ﷺ قلّدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً، وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين [لا] يألون^(٢) الأُمَّة غشّاً، وقد أحببت أن تقدّمني فقدّمني. وقالت أم سلّمة: يا أمير المؤمنين، لولا أن أعصي الله وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابن عمّي، وهو والله أعزّ عليّ من نفسي، يخرج معك ويشهد مشاهدك. فخرج معه وهو لم^(٣) يزل معه، واستعمله عليّ على البحرين، ثمّ عزله، واستعمل النعمان بن عجلان الزُرقي^(٤). فلمّا أراد عليّ المسير إلى البصرة، وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردّهما قبل وصولهما إلى البصرة، أو يُوقع بهما، فلمّا سار استخلف على المدينة تمام بن العباس^(٥)، وعلى مكة قثم بن العباس^(٦).

(١) في الأصل زيادة «لأنه»، وانظر مروج الذهب ٣٦٧/٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «يألوا».

(٣) في النسخة (ر) «وهو» مكررة، وبعدها «فلم».

(٤) تاريخ خليفة ٢٠٠.

(٥) تاريخ خليفة ٢٠١.

(٦) تاريخ خليفة ٢٠١.

وقيل: أُمّر على المدينة سهل بن حنيف^(١). وسار عليّ من المدينة في تعبته التي تعبّاها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فقالت أخت عليّ بن عديّ من بني عبد شمس:

لا هُم فاعقِرْ بعليّ جملةً ولا تُبارك في بعيرٍ حملةً
ألا عليّ بن عديّ ليس له^(٢)

وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريّين^(٣) متخفّفين في تسعمائة، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج أو يأخذهم، فلقّيه عبدُ الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها، فوالله إن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً! فسبّوه. فقال: دعوا الرجل من أصحاب محمد ﷺ^(٤).

وسار حتى انتهى إلى الرّبذة، فلمّا انتهى إليها أتاه خبر سبقهم، فأقام بها ياتمر ما يفعل، وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له: لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غداً بمضيعة^(٥) لا ناصر لك. فقال له عليّ: إنك لا تزال تحنّ خنين الجارية^(٦)، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثمّ أمرتك يوم قُتل أن لا تباع حتى تأتيك وفودُ العرب وبيعة أهل كلِّ مصر، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيت عليّ، وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كلّه.

فقال: أي بني! أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تباع حتى يباع أهل الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة. (وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، ولقد مات رسول الله ﷺ، وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فباع الناس أبا بكر الصّدّيق فبايعته ثمّ إن أبا بكر (انتقل إلى رحمة الله)^(٧) وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فباع الناس عمر فبايعته، ثمّ إن عمر (انتقل إلى رحمة

(١) تاريخ خليفة ٢٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.

(٣) في الأصل، والنسخة (ي): «المصريين».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٥٥.

(٥) في الطبعة الأوربية: «بمعصية».

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٤٥٦ «حنّ خنين».

(٧) في النسخة (ر): «هلك» بدل «انتقل إلى رحمة الله».

الله) وما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر مِنِّي، فجعلني سهماً من سِتَّةِ أسْهُمٍ، فبايع الناسُ عثمانَ فبايعته، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مُكرهين، فأنا مُقاتِلٌ مَنْ خالفني بمن أطاعني حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين^(١). وأما قولك أن أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزُّبير، فكيف لي بما قد لزميني أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون كالضُّبُع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوبها حتى تخرج! وإذا لم أنظر فيما يلزميني من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه؟ فكفَّ عنك يا بُنَيَّ^(٢).

ولما قدِم عليَّ الرِّبذة وسمع بها خبرَ القول أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصَّدِّيق، ومحمد بن جعفر، وكتب إليهم: إني اخترتكم على الأمصار وفزعتُ إليكم لِمَا حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً^(٣). فمضيا وبقي عليٌّ بالرِّبذة، وأرسل إلى المدينة، فأتاه ما يريد من دابة وسلاح، وأمر أمره، وقام في الناس فخطبهم وقال: إن الله تبارك وتعالى أعزَّنَا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً بعد ذلَّة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزع بين (هذه الأمة)^(٤)! ألا إنَّ هذه الأمة لا بدَّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شرِّ ما هو كائن؛ (ثم عاد ثانية وقال: إنه لا بدَّ ممَّا هو كائن)^(٥) أن يكون، ألا وإنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، شبرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعلمي، وقد أدركتم ورأيتم^(٦)، فالزموا دينكم، واهدوا بهدي، فإنَّه هدي نبيكم، واتبعوا سُنَّتَه، وأعرضوا عمَّا أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردُّوه، وارضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، ومحمد نبيّاً، وبالقرآن حكماً وإماماً^(٧).

فلما أراد المسير من الرِّبذة إلى البصرة قام إليه ابنُ لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أيُّ شيء تريد وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قُبِلوا

(١) ما بين القوسين من قوله: وكرهنا، حتى هنا، من حاشية الأصل.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.

(٤) في نسخة باريس: «بين الناس».

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٦) في الطبعة الأوربية: «أدركتهم ورأيتم».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.

مَنَّا وَأَجَابُونَا إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُجِيبُونَا إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَدْعُهُمْ بَعْدُزِهِمْ وَنُعْطِيهِمُ الْحَقَّ وَنَصْبِرُ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا؟ قَالَ: نَدْعُهُمْ مَا تَرَكُونَا. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَتْرَكُونَا؟ قَالَ: امْتَنَعْنَا مِنْهُمْ. قَالَ: فَنِعْمُ إِذَا^(١). وَقَامَ الْحَجَّاجُ بْنُ غَزِيَّةَ^(٢) الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: لِأَرْضِيْنَكَ بِالْفِعْلِ كَمَا أَرْضَيْتَنِي بِالْقَوْلِ؛ وَقَالَ:

دَرَاكِهَا دَرَاكِهَا قَبْلَ الْفَوْتِ فَاَنْفَرْنَا بِنَا وَاسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوْتِ
لَا وَالَّتِ^(٣) نَفْسِي إِنْ كَرِهْتُ الْمَوْتَ

وَاللَّهُ لَنَنْصُرَنَّ اللَّهَ كَمَا سَمَّانَا أَنْصَارًا^(٤)! ثُمَّ أَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ طِيءٍ وَهُوَ بِالرَّبَذَةِ، فَقِيلَ لِعَلِيِّ: هَذِهِ جَمَاعَةٌ قَدْ أَتَتْكَ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ الْخُرُوجَ مَعَكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ التَّسْلِيمَ عَلَيْكَ. قَالَ: جَزَى اللَّهُ كِلَيْهِمَا^(٥) خَيْرًا، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا شَهِدْتُمُونَا بِهِ؟ قَالُوا: شَهِدْنَاكَ بِكُلِّ مَا تَحَبَّبَ. فَقَالَ: جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ، وَقَاتَلْتُمُ الْمُرْتَدِّينَ، وَوَأَفَيْتُمُ بَصِدْقَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ. فَنَهَضَ سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الطَّائِي فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُرُ لِسَانَهُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِسَانِي يَعْبُرُ عَمَّا فِي قَلْبِي، وَسَأُجْهِدُ بِوَاللَّهِ التَّوْفِيقَ، أَمَّا أَنَا فَسَأَنْصَحُ لَكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَأَقَاتِلُ عَدُوَّكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، وَأَرَى مِنَ الْحَقِّ لَكَ مَا لَا أَرَاهُ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ^(٦) مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ لِفَضْلِكَ وَقَرَابَتِكَ. فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! قَدْ أَدَّى لِسَانُكَ عَمَّا يُجَنُّ ضَمِيرُكَ. فَقُتِلَ مَعَهُ بِصَفِيِّينَ^(٧).

وَسَارَ عَلِيُّ مِنَ الرَّبَذَةِ وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ أَبُو لَيْلَى بْنُ عَمْرِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَالرَّايَةَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَعَلِيُّ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءٍ يَقُودُ فَرَسًا كُمَيْتًا^(٨).

فَلَمَّا نَزَلَ بِفَيْدٍ أَتَتْهُ أَسَدُ وَطِيءٍ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، فَقَالَ: الزَّمُوا قَرَارَكُمْ، فِي الْمُهَاجِرِينَ كَفَايَةً. وَأَتَاهُ رَجُلٌ بِفَيْدٍ مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ لَهُ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: عَامِرُ بْنُ مَطَرٍ

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.

(٢) في النسخة (ي): «عونة».

(٣) في النسخة (ي): «راكب». وفي نسخة المتحف البريطاني «رالت».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.

(٥) في الطبعة الأوربية «كلاهما»، وفي النسخة (ر): «كلا».

(٦) ساقطة من النسخة (ر).

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.

(٨) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.

الشيواني. قال: أَخْبِرْ عَمَّا وراءك. فَأَخْبَرَهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ الصَّلَحَ فَأَبُو مُوسَى صَاحِبُهُ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْقِتَالَ فَلَيْسَ بِصَاحِبِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا الصَّلَحَ حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْنَا^(١).

ولما نزل عليّ الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حُنيف وحرّسه، فأخبر أصحابه الخبر فقال: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْإِسَادِ أَتَاهُ مَا لَقِيَ حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ وَقَتْلَةَ عُثْمَانَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! مَا يُنْجِينِي مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِنْ أَصَابَا ثَاَرَهُمَا! وَقَالَ:

دَعَا حُكَيْمٌ دَعْوَةَ الزَّمَاعِ حَلَّ بِهَا مَنْزِلَةَ النَّزَاعِ

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي قَارٍ، أَتَاهُ فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ شَعْرَةٌ^(٢). وَقِيلَ: أَتَاهُ بِالرَّبْذَةِ، وَكَانُوا قَدْ نَتَفَوْا شَعْرَ رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْثْتَنِي ذَا لَحِيَةٍ وَقَدْ جِئْتُكَ أَمْرَدًا. فَقَالَ: أَصَبْتَ أَجْرًا وَخَيْرًا، إِنَّ النَّاسَ وَلِيَهُمْ قَبْلِي رَجُلَانِ، فَعَمَلًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ^(٣)، ثُمَّ وَلِيَهُمْ ثَالِثٌ فَقَالُوا وَفَعَلُوا، ثُمَّ بَايَعُونِي وَبَايَعَنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَكثَا بَيْعَتِي وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ، وَمِنَ الْعَجَبِ انْقِيَادُهُمَا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ^(٤)، وَخِلَافَهُمَا عَلَيَّ، وَاللَّهُ إِنَّهُمَا لَيَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ رَجُلٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ^(٥)، اللَّهُمَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَلَا تُبْرِمْ مَا أَحْكَمَا فِي أَنْفُسَهُمَا، وَأَرِهْمَا الْمُسَاءَةَ فِيمَا قَدْ عَمَلَا^(٦)! وَأَقَامَ بِذِي قَارٍ يَنْتَظِرُ مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدًا، فَأَتَاهُ الْخَبْرُ بِمَا لَقِيَ رُبَيْعَةَ وَخُرُوجَ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ: عَبْدُ الْقَيْسِ خَيْرٌ رُبَيْعَةَ، وَفِي كُلِّ رُبَيْعَةٍ خَيْرٌ، وَقَالَ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي^(٧) عَلَى رُبَيْعَةٍ رُبَيْعَةُ السَّامِعَةِ الْمُطِيعَةِ
قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهِمُ الْوَقِيعَةُ دَعَا عَلِيٌّ^(٨) دَعْوَةً سَمِيعَةً
حَلَّوْا^(٩) بِهَا الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ^(١٠)

- (١) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.
- (٢) تاريخ الطبري ٤/٤٨١.
- (٣) «السنة» ساقطة من النسخة (ر).
- (٤) «وعثمان» ساقط من النسختين (ي) و (ر).
- (٥) في الأصل «يقدمني».
- (٦) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.
- (٧) في أنساب الأشراف «أماه».
- (٨) في أنساب الأشراف «حكيم».
- (٩) في أنساب الأشراف «نال».
- (١٠) أنساب الأشراف ٢٣٤، تاريخ الطبري ٤/٤٨١، وأوله في مروج الذهب ٣٧٨/٢.

وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ، فَقَالَ لَهَا مَا قَالَ لَطِيٍّ وَأَسَدٍ. وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَأَتِيَا أَبَا مُوسَى بَكْتَابَ عَلِيٍّ، وَقَامَا فِي النَّاسِ بِأَمْرِهِ، فَلَمْ يُجَابَا إِلَى شَيْءٍ. فَلَمَّا أَمْسُوا دَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَى^(١) عَلَى أَبِي مُوسَى فَقَالُوا: مَا تَرَى فِي الْخُرُوجِ؟ فَقَالَ: كَانَ الرَّأْيُ بِالْأَمْسِ لَيْسَ الْيَوْمَ، إِنَّ الَّذِي تَهَاوَنْتُمْ [بِهِ] فِيمَا مَضَى هُوَ الَّذِي جَرَّ عَلَيْكُمْ مَا تَرَوْنَ، إِنَّمَا هُوَ أَمْرَانِ: الْقَعُودُ سَبِيلَ الْآخِرَةِ، وَالْخُرُوجُ سَبِيلَ الدُّنْيَا، فَاخْتَارُوا. فَلَمْ يَنْفِرْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَغَضِبَ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ، وَأَغْلَظَا لِأَبِي مُوسَى. فَقَالَ لَهُمَا: وَاللَّهِ إِنَّ بَيْعَةَ عِثْمَانَ لَفِي عُنُقِي وَعُنُقِ صَاحِبِكُمَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ قِتَالٍ لَا نَقَاتِلُ أَحَدًا حَتَّى نَفْرُغَ^(٢) مِنْ قِتْلَةِ عِثْمَانَ حَيْثُ كَانُوا.

فَانْطَلَقَا إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ وَهُوَ بَذِي قَارٍ، فَقَالَ لِلْأَشْتَرِ، وَكَانَ مَعَهُ: أَنْتَ صَاحِبُنَا فِي أَبِي مُوسَى وَالْمُعْتَرِضِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَذْهَبَ أَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ فَأَصْلِحْ مَا أَفْسَدْتَ. فَخَرَجَا فَقَدِمَا الْكُوفَةَ، فَكَلَّمَا أَبَا مُوسَى، وَاسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِنَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَامَ^(٣) لَهُمْ أَبُو مُوسَى وَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ صَحِبُوهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مِمَّنْ لَمْ يَصْحَبْهُ، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْنَا لَحَقًّا، وَأَنَا مُؤَدِّ إِلَيْكُمْ نَصِيحَةً، كَانَ الرَّأْيُ أَنْ لَا تَسْتَخَفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا تَجْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ، وَأَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا، فَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الْإِمَامَةُ، وَهَذِهِ فِتْنَةٌ صَمَاءٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّكَابِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ، فَأَعْمِدُوا السُّيُوفَ، وَأَنْصِلُوا الْأَسِنَّةَ، وَاقْطَعُوا الْأَوْتَارَ، وَأَوُوا^(٤) الْمَظْلُومَ وَالْمُضْطَهَّدَ، حَتَّى يَلْتَمَ هذا الْأَمْرَ، وَتَنْجَلِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ^(٥).

فَرَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ، فَأَرْسَلَ ابْنَهُ الْحَسَنَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَقَالَ لِعَمَّارٍ: انْطَلِقْ فَأَصْلِحْ مَا أَفْسَدْتَ. فَأَقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَتَاهُمَا الْمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَّارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ عَلَامَ قَتَلْتُمْ عِثْمَانَ؟ قَالَ: عَلَى شَتْمِ أَعْرَاضِنَا وَضَرْبِ أَبْشَارِنَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَاقَبْتُمْ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبِرْتُمْ لَكَانَ خَيْرًا لِلصَّابِرِينَ. فَخَرَجَ أَبُو مُوسَى فَلَقِيَ الْحَسَنَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَّارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ أَعْدَوْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَنْ عَدَا،

(١) فِي النُّسخَةِ (ي): «الْحِجَاز».

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٤٨٢/٤ «يُفْرَغ».

(٣) فِي الطَّبْعَةِ الْأُورِيَّةِ «فَقَالَ».

(٤) فِي النُّسخَةِ (ي): «وَأَوْفُوا».

(٥) تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٤٨٢/٤.

فأحللت نفسك مع الفُجَّار؟ فقال: لم أفعل ولم يسؤني . فقطع الحسنُ عليهما السلام، وأقبل على أبي موسى فقال له: لِمَ تُثَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا؟ فواللَّهِ ما أردنا إِلَّا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكنَّ المستشار مؤثِّمٌ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ»، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب»^(١). وقد جَعَلَنَا اللهُ إخواناً، وقد حرَّم علينا دماءنا وأموالنا. فغضب عَمَّارٌ وسبَّه وقال: يا أيُّها الناس، إِنَّمَا قال له وحده: أَنْتَ فيها قاعداً خيراً منك قائماً. فقام رجل من بني تميم فسبَّ عماراً وقال: أَنْتَ أَمْسِرْ مع الغوغاء واليوم تُسَافِه أَمِيرَنَا! وثار زيد بن صُوحان وطبقته، وثار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب إليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نُصْرَتِها، وكتاب إلى أهل الكوفة بمعناه، فأخرجهما فقرأهما على الناس، فلمَّا فرغ منهما قال: أَمِرْتُ أَنْ تَقَرَّ في بيتها، وأمرنا أَنْ نُقاتِلَ حتى لا تكون فِتْنَةٌ، فأمرتنا بما أَمِرْتُ به، وركبتُ ما أَمَرْنَا به. فقال له شَبَّثُ بن رَبِيعٍ: يا عُمَانيُّ - لأنَّه من عبد القيس وهم يسكنون عُمان - سَرَقْتَ بَجُلُولاءَ فَقُطِعَتْ يدُكَ، وعصيتُ أُمَّ المؤمنين! وتهاوى الناس^(٢).

وقام أبو موسى وقال: أيُّها الناس أطيعوني وكونوا جُرْثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف، إِنَّ الفِتْنَةَ إذا أَقبلتْ شَبَّهَتْ^(٣) فإذا أدبرت بَيَّنَتْ^(٤)، وإنَّ هذه الفِتْنَةَ فاقرة^(٥) كَدَاءِ البَطْنِ تجري بها الشمال والجنوب والصُّبا والدُّبور، تَذُرُّ الحليم وهو حيران كابن أَمْسٍ، شيموا سيوفكم، وقصِّدوا رماحكم، وقطِّعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم، خلُّوا قريشاً إذا أبوا إِلَّا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل علم بالأمر^(٦)، استنصِّحوني ولا تستغشوني، أطيعوني يسلم لكم دينُكم ودُنياكم، ويشقى بِحَرِّ هذه الفِتْنَةِ مَنْ جَناها.

فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال: يا عبدَ الله بن قيس ردِّ الفرات على أدراجِه، اردِّدْهُ من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فإنَّ قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد،

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٨/١ من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن رجل، عن عمرو بن ابصة الأسدي، عن أبيه.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٨٢، ٤٨٣، وانظر: الفتوح لابن أعمش ٢/٢٩٠، ٢٩١.

(٣) في النسخة (ي): «شبت».

(٤) في النسخة (ي): «ومتعت».

(٥) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٤ «باقرة».

(٦) في تاريخ الطبري «وفراق أهل العلم بالإمرة».

فدع عنك ما لست مُدركه! سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، انفروا إليه أجمعين
تصبيوا الحق.

فقام القعقاع بن عمرو فقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، أحب لكم أن ترشدوا،
ولأقولن لكم قولاً هو^(١) الحق، (أما ما قال الأمير فهو الحق)^(٢) لو أن إليه سبيلاً، وأما
ما قال زيد، فزيد عدو هذا الأمر، فلا تستصحوه، والقول الذي هو الحق أنه لا بد من
إمارة تنظم الناس وتنزع^(٣) الظالم وتعز المظلوم، وهذا أمير المؤمنين ولي بما ولي وقد
أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا، وكونوا من هذا الأمر بمرأى
ومسمع^(٤).

وقال عبد الخير الخيواني^(٥): يا أبا موسى، هل بايع طلحة والزبير؟ قال: نعم.
قال: هل أحدث علي ما يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري. قال: لا دريت، نحن
نتركك حتى تدري، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة إنما الناس أربع فرق: علي
بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة بالحجاز، لا غناء بها، ولا
يقاتل بها عدو. فقال أبو موسى: أولئك خير الناس، وهي فتنة. فقال عبد الخير: غلب
عليك غشك يا أبا موسى^(٦)! فقال سيحان بن صوحان: أيها الناس، لا بد لهذا الأمر
وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم
لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض
إليه فإننا سائرون معه. فلما فرغ سيحان قال عمار: هذا ابن عم رسول الله ﷺ يستنفركم
إلى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزبير، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة،
فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه. فقال له رجل: أنا مع من شهدت له بالجنة علي
من لم تشهد له. فقال له الحسن: اكفف عنا فإن للإصلاح أهلاً. وقام الحسن بن علي
فقال: أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا^(٧) الأمر من
ينفر إليه، والله لأن^(٨) يليه أولو النهى أمثل في العاجل والأجل وخير في العاقبة^(٩)،

(١) في الطبعة الأوروبية «وهو».

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في الطبعة الأوروبية «وتنزع».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٨٣، ٤٨٤.

(٥) في طبعة صادر ٣/٢٢٩ الخيواني.

(٦) من أول الفقرة: «وقال عبد الخير الخيواني، حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/٤٨٦».

(٧) في الطبعة الأوروبية «إلى هذا».

(٨) في الطبعة الأوروبية «لئن».

(٩) في الطبعة الأوروبية «العاقبة».

فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وإنَّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإنِّي أذكر الله رجلاً رعى حقَّ الله إلّا نفر، فإنَّ كنت مظلوماً أعاني، وإن كنت ظالماً أخذ منِّي، والله إنَّ طلحة والزبير لأول من بايعني وأول من غدر، فهل استأثرتُ بمالٍ أو بدلتُ حُكماً؟ فانفروا، فمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر. فسامح^(١) الناس، وأجابوا ورضوا. وأتى قوم من طيءٍ عديّ بن حاتم فقالوا: ماذا ترى وما تأمر؟ فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدّ العظيم للنظر فيه، ونحن سائرون وناظرون. فقام هند بن عمرو فقال: إنَّ أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رُسُلَه حتى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، وأعينوه برأيكم.

وقام حُجْر بن عديّ فقال: أيّها الناس أجيبوا أمير المؤمنين، وانفروا خُفافاً وثِقَلاً، مُرّوا وأنا أولكم. فأذعن الناس للمسير، فقال الحَسَن: أيّها الناس إنِّي غادٍ، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظُّهر، ومن شاء في الماء. فنفر معه قريب [من] تسعة آلاف، أخذ في البرّ ستة آلاف ومائتان، وأخذ في الماء ألفان وأربعمائة^(٢).

وقيل: إنَّ عليّاً أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمّارَ إلى الكوفة، فدخلها والناس في المسجد، وأبو موسى يخطبهم ويثبّطهم، والحسن (وعمار معه في منازعة، وكذلك سائر الناس، كما تقدّم، فجعل الأشتر لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة إلّا دعاهم، ويقول: اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة الناس، فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبّطهم والحسن^(٣)) يقول له: اعتزل عملنا، لا أمّ لك! وتَنَحَّ عن منبرنا! وعمّار ينازعه، فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر، فخرجوا يَعدُّون وينادون: يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا. فنزل أبو موسى فدخل القصر، فصاح به الأشتر: اخرج لا أمّ لك، أخرج الله نفسك! فقال: أجّلني هذه العشيّة. فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة. ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وقال: أنا له جار. فكفّوا عنه. فنفر الناس في العدد المذكور^(٤).

وقيل: إنَّ عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل. قال أبو الطّفيّل: سمعتُ عليّاً يقول ذلك قبل وصولهم، فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا

(١) في النسخة (ي): «فتسامح».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٥ «ألفان وثمانمائة» وفي موضع آخر ٤/٤٨٧ كما هنا.

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ي).

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٨٧، وانظر: أنساب الأشراف (تحقيق المحمدي) ٢٣٤.

رجلاً^(١). وكان على كنانة، وأسد، وتميم، والرَّباب، ومُزينة، مَعْقِل بن يسار الرياحي، وكان على سُبُع قيس^(٢) سعد بن مسعود الثقفي عم المختار، وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج^(٣) الذَّهَلِيّ، وكان على مَذْحِج والأشعرين حُجْر بن عديّ، وعلى بجيلة وأنمار وخنعم والأزد مِخْنَف بن سُلَيْم الأزدي، فقدموا على أمير المؤمنين بذي قار، فلقِيهم في ناس معه، فيهم ابن عباس، فرحّب بهم وقال: يا أهل الكوفة أنتم قاتلتُم^(٤) ملوك العجم وفضضتم جُموعهم حتى صارت إليكم موارثهم، فمنعتم^(٥) حوزتكم، وأعتمتم^(٦) الناس على عدوّهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريد، وإن يلجؤا^(٧) داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله. واجتمعوا عنده بذي قار، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين عليّ [وأهل] البصرة ينتظرونه وهم ألوف^(٨).

وكان رؤساء الجماعة من الكوفيّين: القعقاع بن عمرو، وسعد^(٩) بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب، وكان رؤساء النُقَّار^(١٠): زيد بن صُوحان، والأشتر، وعديّ بن حاتم، والمسبّب بن نَجْبة، ويزيد بن قيس، وأمثال لهم ليسوا دونهم، إلا أنهم لم يؤمّروا، منهم حُجْر بن عديّ. فلما نزلوا بذي قار دعا عليّ القعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال: التّ هذين الرجلين، وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ فادعُهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة، وقال له: كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة^(١١) [مني]؟ قال: نلقاهم بالذي أمرت به. فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع، ونرى أنّه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال: أي أمّة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بُنيّ، الإصلاح بين الناس. قال: فابعثني إلى طلحة

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٠٠.

(٢) في النسخة (ي): «اتبع».

(٣) في النسخة (ي): «مجدوع».

(٤) في الطبعة الأوربية «وليتم».

(٥) في الطبعة الأوربية «فأغنيتم».

(٦) في الأصل «فأغنيتم».

(٧) في النسخة (ر): «يلحقوا»، وفي الأصل «يلحوا».

(٨) تاريخ الطبري ٤/٤٨٧.

(٩) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٨ «سفر» بالراء، وأحال المحقّق في الحاشية رقم (٢) إلى الفهرس.

(١٠) في النسخة (ي): «النقادة».

(١١) في النسخة (ي): «قضاة».

والزُّبَيْرِ حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما، فجاءا، فقال لهما: إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقَدَمَهَا، فقالت: الإصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما، أمتابعان أم مخالفان؟ قالوا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فواللَّهِ لئن عرفناه لنُصلحنَّ، ولئن أنكرناه لا نُصلح^(١). قالوا: قَتَلَهُ عِثْمَانُ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تَرَكَ كَانَ تَرْكاً لِلْقُرْآنِ. قال: قد قتلتما قَتْلَهُ عِثْمَانُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتما سِتْمَاةَ رَجُلٍ، فغضبَ لَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ، فمنعه سِتَّةُ آلَافٍ، فَإِنْ تَرَكَتُمُوهُمْ^(٢) كُتِمَ تَارِكِينَ لِمَا تَقُولُونَ، وَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَالَّذِينَ اعْتَزَلُوكُمْ فَأَدِيلُوا عَلَيْكُمْ، فالذي حَذَرْتُمْ وَقَوَّيْتُمْ^(٣) بِهِ هَذَا الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَاكُمْ تَكْرَهُونَ، وَإِنْ أَنْتُمْ مِنْعْتُمْ مُضِرٌّ وَرَبِيعَةٌ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخَذْلَانِكُمْ نُصْرَةً لِهَؤُلَاءِ، كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ.

قالت عائشة: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ دَوَاؤُهُ التَّسْكِينُ، فَإِذَا سَكَنَ اخْتَلَجُوا، فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَامَةٌ خَيْرٍ، وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ، وَدَرْكُ بَأْسٍ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مَكَابِرَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتِسَافَهُ، كَانَتْ عَلَامَةٌ شَرٍّ، وَذَهَابُ هَذَا الْمَالِ، فَأَثِرُوا الْعَافِيَةَ تَرَزَّقُوهَا، وَكُونُوا مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ كَمَا كُنْتُمْ، وَلَا تَعْرِضُوا لِلْبَلَاءِ فَتَعْرِضُوا لَهُ، فَيَصْرَعَنَا وَإِيَّاكُمْ. وَائْتُمِ اللَّهُ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ! وَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ لَا يَتِمَّ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي قَلَّ مَتَاعُهَا، وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي حَدَثَ أَمْرٌ لَيْسَ يُقَدَّرُ، وَلَيْسَ^(٤) كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ، وَلَا النِّفْرِ الرَّجُلَ، وَلَا الْقَبِيلَةَ الرَّجُلَ. قالوا: قد أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّ قَدِيمَ عَلَيٍّ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكَ صَلَحَ هَذَا الْأَمْرُ.

فرجع إلى عليٍّ فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كَرِهَهُ، وَرَضِيَهُ مِنْ رَضِيَهُ. وَأَقْبَلَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ نَحْوَ عَلِيٍّ بِذِي قَارٍ قَبْلَ رَجُوعِ الْقَعْقَاعِ، لِيَنْظُرُوا مَا رَأَى إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَعَلَى أَيْ حَالٍ نَهَضُوا إِلَيْهِمْ، وَلِيُعْلِمُوهُمْ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ رَأْيُهُمُ الْإِصْلَاحُ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ قِتَالُهُمْ عَلَى بَالٍ.

فَلَمَّا لَقُوا عَشَائِرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ لَهُمُ الْكُوفِيُّونَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ، وَأَدْخَلُوهُمْ عَلَى عَلِيٍّ، فَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهِمْ، وَسَأَلَ عَلِيٌّ جَرِيرَ بْنَ شَرَسٍ^(٥) عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَأَخْبَرَهُ بِدَقِيقِ

(١) فِي الطَّبَعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «لَا يَصْلَح».

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٤/٨٩ «تَرَكَتُمُوهُمْ».

(٣) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «وَقَوَّيْتُمْ».

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٤/٨٩: «وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ».

(٥) فِي الْأَصْلِ «سُوس».

أمرهما وجليله وقال له: أَمَا الزُّبَيْر فيقول: بَايَعْنَا كَرَهَا، وَأَمَا طَلْحَةَ فَيَتَمَثَّلُ^(١) الأشعار، ويقول:

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي بَكْرِ رُسُولًا فليس إلى بني كعب سبيلٌ
سَيَرْجِعُ ظَلَمَكُم مِّنْكُمْ عَلَيْكُمْ طويلُ الساعدين له فُضُولٌ
فتمثل عليٌّ عندها:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبَا سَمْعَانَ أَنَا نَرُدُّ الشَّيْخَ مِثْلَكَ ذَا الصُّدَاعِ
وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ بِالْحَرْبِ حَتَّى يَقُومُ فَيَسْتَجِيبُ لَغَيْرِ دَاعٍ
فَدَافَعَ عَنْ خُزَاعَةَ جَمْعُ بَكْرِ وما بك يا سُرَاقَةَ من دَفَاعٍ^(٢)

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة، ورجع الققعاق من البصرة، فقام عليٌّ خطيباً فحمد الله، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ثم الذي يليه ثم الذي يليه، ثم حَدَثَ هذا الحَدَثَ الذي جرَّه على هذه الأمة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا، وحسدوا من أفاءها الله عليه وعلي الفضيلة، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أديبارها، والله بالغ أمره. ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلن أحدٌ أعان على عثمان بشيء من أمور الناس، وليُغْنِ السُّفْهَاءُ عَنِّي أنفسهم. فاجتمع نفر، منهم: علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسي، وشريح بن أوفى، والأشتر، في عِدَّةٍ مَّمَّنَ سار إلى عثمان ورضي بسير من سار، وجاء معهم المَضْرِيُون، وابن السوداء، وخالد بن مُلْجَم، فتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا عليٌّ وهو والله أبصر بكتاب الله مِمَّنْ يطلب قَتْلَةَ عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إليه سواهم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شامَّ القوم وشامَّوه، ورأوا قَتْلَنَا في كثرتهم، وأنتم والله تراءدُون وما أنتم بالحيي^(٣) من شيء!

فقال الأشتر: قد عرفنا رأيَ طلحة والزُّبَيْرَ فينا، وأما عليٌّ فلم نعرف رأيه إلى اليوم، ورأي الناس فينا واحد، فإن يصطلحوا مع عليٍّ فعلى دماننا، فهلمُّوا بنا نثب على عليٍّ فنُلْحِقْهُ^(٤) بعثمان فتعود فتنة يُرْضَى منا فيها بالسكون. فقال عبد الله بن السوداء: بشس الرأي رأيت، أنتم يا قَتْلَةَ عثمان بذي قار ألفان وخمس مائة، أو نحو من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية، يعني طلحة، وأصحابه في نحو من خمسة آلاف بالأسواق إلى أن يجدوا إلى

(١) في الطبعة الأوربية «يتمثل».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٩٠ و٤٩٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٤٩٣ «وما أنتم بانجي».

(٤) في الأصل: «وطلحة ونلحقهما».

قتالكم سيلاً. فقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتاكم فيه من تقوون به وامتنعوا من الناس. فقال ابن السوداء: بش ما رأيت، ود والله الناس أنكم انفردتم^(١) ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو انفردتم لتخطفكم الناس^(٢) كل شيء. فقال عدي بن حاتم: والله ما رضيت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما إذا وقع ما وقع ونزل من الناس^(٣) بهذه المنزلة، فإن لنا عتاداً^(٤) من خيول وسلاح، فإن أقدمتم أقدمنا، وإن أمسكتكم أمسكنا. فقال ابن السوداء: أحسنت. وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا، فإنني لم أريد ذلك، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى شيء، وأحلف بالله إنكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف. فقال ابن السوداء: قد قال قولاً. وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله^(٥)، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخير، فإننا عند الناس بشر المنازل، وما أدري ما الناس صانعون إذا ما هم التقوا. وقال ابن السوداء: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس، فإذا التقى الناس غداً فأنشئوا القتال، ولا تفرغوه للنظر^(٦)، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً، وطلحة، والزبير، ومن رأى رأيهم عما تكرهون. فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون.

وأصبح عليّ على ظهر ومضى، ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس، فانضموا إليه، وسار من هناك فنزل الزاوية، وسار من الزاوية يريد البصرة^(٧). وسار طلحة، والزبير، وعائشة من الفرصة، فالتقوا عند موضع قصر عبید الله بن زياد. فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج، فإذا خرجت^(٨) فمّل بنا إلى عسكر عليّ. فخرجوا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر عليّ، فقال الناس: من كان هؤلاء معه غلب. وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال، فكان يرسل عليّ إليهم يكلمهم ويدعوهم، وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين. ونزل

(١) في تاريخ الطبري ٤/٤٩٤ «أنكم على جديلة».

(٢) «الناس» ساقطة من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ي): «السماء».

(٤) في النسخة (ي): «عشاراً».

(٥) في الأصل «تقدمه».

(٦) في النسخة (ي): «توعدهم للنصر».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٩٣، ٤٩٤.

(٨) في الأصل «خرج الناس».

بهم عليّ وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به . فلمّا نزل قال أبو الجرباء للزبير: إنّ الرأي أن تبعث ألف فارس إلى عليّ قبل أن يوافي إليه أصحابه . فقال: إنّنا لنعرف أمور الحرب، ولكنّهم أهل دعوتنا، وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم، من لم يلتق الله فيه بُعْدُ انقطع عُذْرهُ يوم القيامة، وقد فارقنا وفدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتمّ لنا الصلح، فأبشروا واصبروا . وأقبل صَبْرَةُ بن شَيْمَانَ فقال لطلحة والزبير: انتهزا بنا هذا الرجل، فإنّ الرأي في الحرب خير من الشدّة . فقالا: إنّ هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن، أو يكون فيه سُنّة من رسول الله ﷺ وقد زعم قوم أنّه لا يجوز تحريكه، وهم عليّ ومن معه، وقلنا نحن: إنّهُ لا ينبغي لنا أن نتركه ولا نُؤخّره، وقد قال عليّ: ترك هؤلاء القوم شرٌّ وهو خيرٌ من شرِّ منه، وقد كان يتبيّن لنا، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بأعمّها منفعة . وقال كعب بن سور: يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم، فأجابوه بنحو ما تقدّم . وقام عليّ فخطب الناس، فقام إليه الأعور بن بُنان^(١) المنقري، فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة، فقال له عليّ: على الإصلاح وإطفاء النائرة^(٢) لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم . قال؛ فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا . قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا . قال: فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم؟ قال: نعم .

وقام إليه أبو سلامة^(٣) الدلّاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حُجّة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك؟ قال: نعم . قال: أترى لك حُجّة بتأخير ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك فإنّ^(٤) الحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً . قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو أن لا يُقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه الله إلّا أدخله الله الجنة^(٥) .

وقال في خطبته: أيّها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألستكم، وإياكم أن تسبقونا، فإنّ المخصوم غداً من خصم اليوم . وبعث إليهم حَكِيم بن سلامة^(٦)، ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع، فكفّوا حتى ننزل وننظر في هذا الأمر . وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمّرين قد منعوا خُرْقوص بن زُهَيْر وهم معتزلون، وكان الأحنف قد بايع عليّاً بالمدينة بعد قتل عثمان لأنّه كان قد حجّ وعاد من الحجّ

(١) في النسخة (ي): «سنان» .

(٢) النائرة: العداوة والشحناء .

(٣) في الأصل والنسخة (ي): «سلام» .

(٤) في الطبعة الأوربية «إن» .

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٩٥، ٤٩٦ .

(٦) في الأصل والنسخة (ي): «سلام» .

فبايعه. قال الأحنف: ولم أبايع علياً حتى لقيت طلحة، والزبير، وعائشة بالمدينة، وأنا أريد الحجّ وعثمان محصور، فقلت لكلّ منهم: إنّ الرجل مقتول، فمن تأمروني أبايع؟ فكلّهم قال: بايع علياً. فقلت: أترضونه لي؟ فقالوا: نعم. فلما قضيت حجّي ورجعت إلى المدينة رأيت عثمان قد قُتل، فبايعت علياً ورجعت إلى أهلي، ورأيت الأمر قد استقام. فبينما أنا كذلك إذ أتاني آت فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك. فقلت: ما جاء بهم؟ قال: يستنصرونك على قتال عليّ في دم عثمان، فأتاني أفضع أمر، فقلت: إنّ خذلاني أمّ المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ لشديد، وإنّ قتال ابن عمّ رسول الله ﷺ وقد أمروني ببيعته أشدّ^(١)، فلما أتيتهم قالوا: جئنا لكذا وكذا. قال: فقلت: يا أمّ المؤمنين ويا زبير ويا طلحة، نشدتكم الله أقلت لكم: من تأمروني أبايع؟ فقلتم: بايع علياً. فقالوا: نعم ولكنه بدل وغير. فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أمّ المؤمنين، ولا أقاتل ابن عمّ رسول الله ﷺ وقد أمرتموني ببيعته، ولكنّي أعتزل. فأذنوا له في ذلك، فاعتزل بالجلحاء^(٢) ومعه زهاء ستّة آلاف، وهي من البصرة على فرسخين. فلما قدّم عليّ أتاه الأحنف فقال له: إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنّك إن ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسببت نساءهم. قال: ما مثلي يُخاف هذا منه، وهل يحلّ هذا إلا لمن تولى وكفر وهم قوم مسلمون؟ قال: اختر مني واحدة من اثنتين، إمّا أن أقاتل معك، وإمّا أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف. قال: فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال؟ قال: إنّ من الوفاء لله قتالهم. قال: فاكفف عنا عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى: يا آل خنْدَف! فأجابه ناس، ونادى: يا آل تميم! فأجابه ناس، ثمّ نادى: يا آل سعد! فلم يبقَ سعديّ إلاّ أجابه، فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس، فلما كان القتال وظفر عليّ دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرّين^(٣).

فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرسٍ عليه سلاح، فقيل لعلّي: هذا الزبير. فقال: أما إنّهُ أحرى الرجلين إن دُكر بالله تعالى أن يذكر^(٤).

وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ حتى اختلفت أعناق دوابّهم، فقال عليّ: لعمري^(٥) قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عُذراً، فاتّقيا الله ولا تكونا

(١) في النسختين (ي) و(ر): «لشديد».

(٢) في النسخة (ي): «بالجلحاء».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٩٦، ٤٩٧.

(٤) في الأصل «يتذكّر». والخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٠١.

(٥) في النسخة (ي): «لهما».

﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾^(١)، ألم أكن أحاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرمت دمكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألبت على عثمان. قال علي: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾^(٢). يا طلحة، تطلب بدم عثمان، فلعن الله قتلة عثمان! يا طلحة، أجبّت بعرض رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي. فقال علي للزبير: يا زبير ما أخرجك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا^(٣). فقال له علي: ألسنتُ له أهلاً بعد^(٤) عثمان؟ قد كنّا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا. وذكره أشياء، وقال له: تذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه، فقلت له: لا يدع ابن أبي طالب زهوّه، فقال لك رسول الله ﷺ: «ليس (به زهو)»^(٥)، لتقاتلنّه وأنت ظالم له». قال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً. فانصرف عليّ إلى أصحابه فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم. ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنتُ في موطن منذ عقلتُ إلّا وأنا أعرف فيه أمرى، غير موطني هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب. قال له ابنه عبد الله: جمعت بين هذين الغارين^(٦) حتى إذا حدّد بعضهم لبعض^(٧) أردت أن تتركهم وتذهب، لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب، وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد، وأن تحتها الموت الأحمر فجنبّت. فأحفظه ذلك، وقال: إنّي حلفت أن لا أقاتله. قال: كَفَرُ عن يمينك وقَاتِلُهُ. فأعتق غلامه مكحولاً، وقيل سرجس. فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي:

لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ أَخَا إِخْوَانٍ^(٨) أَعْجَبَ مِنْ مُكْفَرٍ^(٩) الْإِيمَانِ

الأبيات^(١٠). وقيل: إنّما عاد الزبير عن القتال لما سمع أن عمّار بن ياسر مع عليّ، فخاف أن يقتل عمّاراً، وقد قال النبي ﷺ: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية»^(١١)، فردّه ابنه

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٣) في النسخة (ي): «مني».

(٤) في الطبعة الأوربية «لستُ له أهل أبعد».

(٥) في الطبعة الأوربية «بمزه».

(٦) في الطبعة الأوربية «العارين».

(٧) في الطبعة الأوربية «لبعضهم».

(٨) في الأصل «الإخوان».

(٩) في الطبعة الأوربية «من يكفر».

(١٠) تاريخ الطبري ٥٠٢/٤.

(١١) الحديث مشهور، أخرجه مسلم في الفتن (٢٩١٦) باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل =

عبد الله، كما ذكرناه. وافترق أهل البصرة ثلاث فرق: فرقة مع طلحة والزبير، وفرقة مع علي، وفرقة لا ترى القتال، منهم الأحنف، وعمران بن حصين وغيرهما. وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحُدان في الأزد، ورأس الأزد يومئذ صبرة بن شيمان، فقال له كعب بن سور: إن الجموع إذا تراءت لم تستطع، إنما هي بُحور تدفق، فأطعني ولا تشهدهم، واعتزل بقومك، فإني أخاف أن لا يكون صلح، ودع مُضَرَّ وربيعه فهما أخوان، فإن اصطلحا فالصلح أردنا، وإن اقتتلا كنّا حُكاماً عليهم غداً.

وكان كعب في الجاهلية نصرانياً، فقال له صبرة: أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية! أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس وأن أخذل أم المؤمنين، وطلحة والزبير، إن^(١) ردُّوا عليهم الصلح، وأدع الطلب بدم عثمان؟ والله لا أفعل هذا أبداً! فأطبق أهل اليمن على الحضور، وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد في الرباب، وهم: تيم، وعدي، وثور، وعُكل بنو عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وضبة بن أد بن طابخة، وحضر أيضاً أبو الجرباء في بني عمرو بن تميم، وهلال بن وكيع في بني حنظلة، وصبرة بن شيمان على الأزد، ومُجاشع بن مسعود السلمي على سليم، وزُفر بن الحارث في بني عامر وعُطفان، ومالك بن مسمع على بكر، والخريت^(٢) بن راشد على بني ناجية، وعلى اليمن ذو الآجرة الحميري.

= فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية». رواه الترمذي في المناقب (٣٨٠٢) باب مناقب عمار بن ياسر، وهو حديث صحيح. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وفي الباب: عن أم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وأبي اليسر، وحذيفة، وقال ابن حجر: روى حديث «تقتل عماراً الفئة الباغية» جماعة من الصحابة، منهم: قتادة بن النعمان، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبورافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم. (جامع الأصول ٤٣/٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩٨/٤ رقم ٣٧٢٠ و٢٠٠/٤ رقم ٤٠٣٠ و١/٣٠٠ رقم ٩٥٤ والمعجم الصغير ١٨٧/١، وابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ ٢٨٣ رقم ٢٤٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٥/٩، وتهذيبه ١٥٠/٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣ من طريق يحيى بن حماد، قال: أخبرنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٤٢٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٧ و٢٩٥/٩، وقال أبو يعلى، والطبراني بنحوه، ورواه البزار باختصار، وإسناده حسن، و٢٩٧/٩، والذهبي في تاريخ الإسلام - بتحقيقنا - ٥٧١ و٥٧٧ و٥٧٨ و٥٧٩.

(١) في النسخة (ي): «إذ».

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «الحارث».

ولما خرج طلحة والزبير نزلت مُضَرَّ جميعاً وهم لا يشكُّون في الصُّلح، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكُّون في الصُّلح، ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكُّون في الصُّلح، وعائشة في الحُدَّان، والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء، وهم ثلاثون ألفاً، وردُّوا حكيماً ومالكاً إلى عليٍّ إننا على ما فارقنا عليه القعقاع، ونزل عليٌّ بحيالهم، فنزلت مُضَرَّ إلى مُضَرَّ، وربيعه إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصُّلح، وكان أصحاب عليٍّ عشرين ألفاً، وخرج عليٌّ، وطلحة، والزبير فتوافقوا^(١) فلم يروا أمراً أمثل من الصُّلح ووضع الحرب، فافترقوا على ذلك. وبعث عليٌّ من العشيَّ عبد الله بن عباس إلى طلحة، والزبير، وبعثا هما محمد بن أبي طلحة إلى عليٍّ، وأرسل عليٌّ إلى رؤساء أصحابه، وطلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما بذلك، فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصُّلح، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرَّ ليلة، وقد أشرفوا على الهلكة، وباتوا يتشاورون، فاجتمعوا على إنشأب الحرب، فغَدَّوا مع الغلس وما يُشعر بهم، فخرجوا متسلِّين وعليهم ظُلْمة، فقصد مُضَرَّهُم إلى مُضَرَّهُم، وربيعتهم إلى ربيعتهم، ويمنهم إلى يمنهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة وثار كلُّ قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم، وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة، وهم ربيعة، أميراً عليها عبد الرحمن بن الحارث، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب، وثبَّت في القلب وقالوا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقْنَا أَهْلَ الكوفة ليلاً. فقالوا: قد علمنا أنَّ عليّاً غير مُنتَهٍ حتى يسفك الدماء وأنَّه لن يطاوعنا. فردَّ أهل البصرة أولئك الكوفيَّين إلى عسكرهم.

فسمع عليٌّ وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية^(٢) رجلاً قريباً منه يخبره بما يريد، فلمَّا قال عليٌّ: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا وقوم منهم قد يبتونا فردَّدناهم فوجدنا القوم على رجل، فركبونا وثار الناس. فأرسل عليٌّ صاحب الميمنة إلى الميمنة وصاحب الميسرة إلى الميسرة وقال: لقد علمتُ أن طلحة والزبير غير منتَهين حتى يسفكا الدماء، وأنهما لن يطاوعانا والسبئية^(٣) لا تفتُر^(٤) [إنشأباً]، ونادى عليٌّ في الناس: كُفُّوا فلا شيء، وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة أن لا يقتلوا حتى يبدأوا، يطلبون بذلك الحُجَّة، وأن لا يقتلوا مُدبراً ولا يُجهزوا على جريح، ولا يستحلُّوا سلباً، ولا يرزأوا بالبصرة سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً. وأقبل كعب بن سُور حتى أتى عائشة فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال، لعلَّ الله أن يُصلح بك.

(١) في الطبعة الأوربية: «فتوافقوا».

(٢) في النسخة (ي): «الشيانية». وفي الطبعة الأوربية «السبائية».

(٣) في النسخة (ي): «تغير».

فركبت وألبسوا هودجها الأذراع، فلمَّا برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث تسمع^(١) الغوغاء وقفت، واقتتل الناس. وقَاتَلَ الزُّبَيْر، فحمل عليه عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ فجعل يحوزه بالرمح والزُّبَيْرُ كَافٌّ عَنْهُ ويقول: أَتَقْتُلُنِي يَا أَبَا الْيَقْظَانِ؟ فيقول: لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا كَفَّ الزُّبَيْرُ عَنْهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُ عَمَارًا الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ»^(٢)، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلَهُ. وَبَيْنَمَا عَائِشَةُ وَاقِفَةٌ إِذْ سَمِعَتْ ضَجَّةً شَدِيدَةً فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: ضَجَّةُ الْعَسْكَرِ. قَالَتْ: بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ؟ قَالُوا: بِشَرٍّ، فَمَا فَجَأَهَا^(٣) إِلَّا الْهَزِيمَةُ، فَمَضَى الزُّبَيْرُ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى وَادِي السَّبَاعِ، وَإِنَّمَا فَارَقَ الْمَعْرَكَةَ لِأَنَّهُ قَاتَلَ تَعْذِيرًا لِمَا ذَكَرَ لَهُ عَلِيٌّ.

وَأَمَّا طَلْحَةُ فَأَتَاهُ سَهْمٌ غَرَبٌ^(٤) فَأَصَابَهُ، فَشَكَّ رَجُلَهُ بِصَفْحَةِ الْفَرَسِ وَهُوَ يَنَادِي: إِلَيَّ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ! الصَّبْرُ الصَّبْرُ! فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّكَ لَجَرِيحٌ، وَإِنَّكَ عَمَّا تَرِيدُ لَعَلِيلٌ، فَادْخُلِ الْبُيُوتَ. فَدَخَلَ وَدَمُهُ يَسِيلُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ خذْ لِعِثْمَانَ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى^(٥)، فَلَمَّا امْتَلَأَ خَفَّهُ دَمًا وَثَقُلَ قَالَ لِفُتَيْلِهِ: أَرْدِفْنِي وَأَمْسِكْنِي وَأَبْلِغْنِي مَكَانًا أَنْزَلَ فِيهِ. فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ، فَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ خَرِبَةٍ فَمَاتَ فِيهَا^(٦).

وَقِيلَ: إِنَّهُ اجْتَازَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَدَدَ يَدَكَ أَبَايَعُكَ لَهُ؟ فَبَايَعَهُ، فَخَافَ أَنْ يَمُوتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ. وَلَمَّا قَضَى دُفُنَ فِي بَنِي سَعْدٍ. وَقَالَ: لَمْ أَرِ شَيْخًا أَضْيَعُ دَمًا مِنِّي. وَتَمَثَّلَ عِنْدَ دُخُولِ الْبَصْرَةِ مِثْلَهُ وَمِثْلَ الزُّبَيْرِ:

فَإِنْ تَكُنْ^(٧) الْحَوَادِثُ أَقْصَدَتْنِي وَأَخْطَأَهُنَّ سَهْمِي حِينَ أَرْمِي
فَقَدْ ضَيَّعْتُ حِينَ تَبِعْتُ سَهْمًا سَفَاهًا^(٨) مَا سَفِهْتُ وَضَلَّ^(٩) حَلْمِي
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكَسْعِيِّ^(١٠) لَمَّا شَرَيْتُ^(١١) رِضَا بَنِي سَهْمٍ^(١٢) بَرِغْمِي^(١٣)

(١) في الطبعة الأوربية «يُسمع».

(٢) تقديم تخريج الحديث قبل قليل.

(٣) في النسخة (ي): تحتها.

(٤) السهم الغرب: الذي لا يُدْرَى رَامِيهِ.

(٥) أنساب الأشراف ٢٤٧، طبقات ابن سعد ٢٢٣/٣، العقد الفريد ١٠٠/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٥٠٣/٤ - ٥٠٨.

(٧) في نسخة المتحف البريطاني «تكره».

(٨) في الطبعة الأوربية «سفاهة».

(٩) في النسخة (ي): «ظل».

(١٠) الكسعي: رجل كانت له قوس، فرمى عليها من الليل حُمْرًا مِنَ الْوَحْشِ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ، فَغَضِبَ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَهَا، فَكَسَرَ قَوْسَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى الْحُمْرَ فِيهَا سَهَامَهُ وَقَدْ مَرَقَتْ، فَتَدَمَّى عَلَى كَسْرِ قَوْسِهِ.

أَطَعْتُهُمْ بِفُرْقَةِ آلِ لَآئٍ فَأَلْقَوْا لِلْسَّبَاعِ دَمِي وَلَحْمِي^(١)

وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحَكَم^(٢)، وقيل غيره. وأما الزبير فإنه مرَّ بعسكر الأحنف بن قيس فقال: واللَّهِ ما هذا انحياز، جمع بين المسلمين حتى صُرب بعضهم بعضاً لحق ثم بيته. وقال الأحنف للناس: من يأتيني بخبره؟ فقال عمرو بن جُرموز لأصحابه: أنا، فأتبعه، فلما لحقه نظر إليه الزُّبير قال: ما وراءك؟ قال: إنما أريد أن أسألك. فقال غلام للزُّبير اسمه عطية: إنه مُعد. قال: ما يَهُولُك من رجل! وحضرت الصلاة، فقال ابن جُرموز: الصلاة. فقال الزُّبير: الصلاة، فلما نزلوا استدبره ابن جُرموز فطعنه في جربان درعه فقتله، وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه، وخلى عن الغلام، فدفنه بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر. وقال الأحنف لابن جُرموز: والله ما أدري، أحسنت أم أسأت.

فأتى ابن جرموز علياً فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزُّبير. فقال علي: ائذن له وبشره بالنار. وأحضر سيف الزُّبير عند علي فأخذه فنظر إليه وقال؛ طالما جلّى به الكُرب عن وجه رسول الله ﷺ! وبعث به إلى عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة، فلما رأوا الخيل أطافت بالجمال عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد، ووقفت ربيعة بالبصرة ميمنة وبعضهم ميسرة، وقالت عائشة (لما انجلت الوقعة وانهزم الناس)^(٣) الكعب بن سور: خلّ عن الجمّل وتقدّم بالمُصحف فادعهم إليه. وناولته مُصحفاً. فاستقبل القوم والسبئية أمامهم، فرموه رشقاً واحداً فقتلوه، ورموا أم المؤمنين في هودجها، فجعلت تنادي: البقية البقية يا بُني! ويعلو صوتها كثرة: الله الله! اذكروا الله والحساب! فيأبون إلا إقداماً، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيها الناس العنوا قَتْلَ عثمان وأشياءهم. وأقبلت تدعو، وضجّ الناس بالدعاء. فسمع عليّ فقال: ما

= (١) شَرِيت: بمعنى بعث. يقول: بعث رضاعهم برغم مني.

(٢) في تاريخ خليفة ١٨٥ «بني جرّم»، وفي العقد الفريد ٣٢١/٤ «حزم».

(٣) البيت في: مروج الذهب ٣٧٤/٢

طلبت رضا بني جرّم بزعمي

وانظر العقد الفريد ٣٢١/٤.

وفي المروج بيت قبله:

ندامة ما ندمت وضلّ حلمي ولهفي ثم لهف أبي وأمي

(١) الأبيات في ديوان الحطيئة ٣٤٧، وتاريخ الطبري ٥٠٨/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥٠٩/٤.

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

هذه الضجة؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال علي: اللهم العن قتلة عثمان! فأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن اثبتا مكانكما، وحرّضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون، فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم علي، فنخس قفا ابنه محمد، وكانت الراية معه، وقال له: احمل! فتقدم حتى لم يجد متقدماً إلا على سنان رمح، فأخذ علي الراية من يده وقال: يا بُني بين يدي^(١).

وحملت مضر الكوفة، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا، المجنبتان على حالهما^(٢) لا تصنع شيئاً، ومع علي قوم من غير مضر، منهم زيد بن صوحان، طلبوا ذلك منه، فقال له رجل: تنح إلى قومك، ما لك ولهذا الموقف؟ ألست تعلم أن مضر بحيالك، والجمل بين يديك، وأن الموت دونه؟ فقال: الموت خير من الحياة، الموت أريد، فأصيب هو وأخوه سيحان، وارث صعصة أخوهما، واشتدت الحرب، فلما رأى علي ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن أن اجتمعوا من يليكم^(٣). فقام رجل من عبد القيس من أصحاب علي فقال: ندعوكم إلى كتاب الله. فقالوا: وكيف يدعونا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله، وقد قتل كعب بن سؤر داعي الله! ورمته ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه، فقام مسلم بن عبد الله العجلي مكانه، فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه، ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم^(٤). وأبى أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، فذكرت أصحابها فاقتتلوا^(٥) حتى نادوا، فتحاجزوا ثم رجعوا، فاقتتلوا، وتزاحف الناس، وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم، وربعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم، ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايته عشره، خمسة من همدان، وخمسة من سائر اليمن. فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبت في يده وهو يقول:

قد عشت يا نفسي وقد غيّبت^(٦) دهرأ فقدك^(٧) اليوم ما بقيت^(٨)
أطلب طول العمر ما حييت^(٩)

(١) تاريخ الطبري ٥١٣/٤.

(٢) في تاريخ الطبري ٥١٤/٤ «والمجنبتان على حالها».

(٣) في تاريخ الطبري «اجتمعوا على من يليكم».

(٤) تاريخ الطبري ٥١٣/٤، ٥١٤.

(٥) في النسخة (ي): «فأقبلوا».

(٦) في طبعة صادر ٢٤٦/٣ «عشت» والمثبت عن الطبري، والفتوح لابن أعثم.

(٧) في النسخة (ي): «نهيك»، وفي تاريخ الطبري «فقطك».

(٨) قيدها في تاريخ الطبري بالكسر «بقيت».

(٩) تاريخ الطبري ٥١٥/٤ وقد قيدها بالكسر. وانظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣١٨/٢.

وإنما تمثلها، وقال ابن نمران الهمداني:

جَرَدْتُ سِيفِي فِي رِجَالِ الْأَزْدِ أَضْرَبُ فِي كُهُولِهِمْ وَالْمُرْدِ
كُلَّ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ نَهْدِ^(١)

ورجعت ربيعة الكوفة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فُقتل على رايته، وهم في الميسرة: زيد، وعبد الله بن ربيعة، وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول: اللهم أنت هديتنا من الضلالة، واستنقذتنا من الجهالة، وابتليتنا بالفتنة، فكنا في شبهة وعلى ربيعة، وقُتل^(٢). واشتد الأمر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم وإن كانوا إلى جنبهم، وفعل مثل ذلك ميسرة أهل الكوفة بميمنة أهل البصرة، فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا: طُرفوا^(٣) إذا فرغ الصبر، فجعلوا يقصدون الأطراف الأيدي والأرجل، فما روي وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها، ولا أكثر ذراعاً مقطوعة ولا رجلاً مقطوعة، وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله. فظفرت عائشة من يسارها فقالت: من القوم عن يساري؟ قال صبرة بن شيمان: بنوك الأزد. فقالت: يا آل غسان حافظوا اليوم [على] جلادكم الذي كنا نسمع به؛ وتمثلت:

وجالَدَ من غَسَّانَ أَهْلَ حِفاظِها وَهَنَبُ^(٤) وَأَوْسُ جالَدَتْ وشِيبُ^(٥)

فكان الأزد يأخذون بعر الجمل يشمونهم ويقولون: بَعْرُ جَمَلٍ أَمَّا رِيحُهُ رِيحُ الْمَسَكِ^(٦). وقالت لمن عن يمينها: مَنْ الْقَوْمُ عَن يَمِينِي؟ قالوا^(٧): بكر بن وائل. قالت: لكم يقول القائل:

وجاؤوا إلينا في الحديدِ كأنَّهم من العِزَّةِ^(٨) القَعَساءُ بَكْرُ بنِ وائِلِ^(٩)

إنما بلزائكم عبد القيس. فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك. وأقبلت على كتيبة بين

(١) الطبري ٥١٥/٤.

(٢) الطبري ٥١٥/٤.

(٣) في الأصل والنسخة (ي): «أطرقوا».

(٤) في النسخة (ي): «وكعب».

(٥) تاريخ الطبري ٥١٦/٤.

(٦) تاريخ الطبري ٥٢٣/٤.

(٧) في طبعة صادر ٢٤٧/٣ «قال»، والمثبت عن الطبري، وهو الصواب.

(٨) ساقطة من النسخة (ر)، وفي الطبعة الأوربية «الغرة».

(٩) تاريخ الطبري ٥١٦/٤.

يديها فقالت: من القوم؟ قالوا: بنو ناجية. قالت: بَخِ بَخِ، سيوف أبطحية قرشية! فجالدوا جلاداً يُفادى منه. ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت: ويها جُمرة الجمرات! فلما رَقُوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة، وكثروا حولها، فقالت: من أنتم؟ قالوا: بنو عدي خالطنا إخواننا^(١)، فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير، ولا يعدلون بالتطريف، حتى إذا كثر ذلك، وظهر في العسكرين جميعاً راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يُصرع الجمل، وصار مجنبنا عليّ إلى القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً. وأخذ عميرة بن يثربي برأس الجمل، وكان قاضي البصرة، قبل كعب بن سور، فشهد الجمل هو وأخوه (عبد الله)^(٢)، فقال عليّ: من يحمل على الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو الجملي المُرادي، فاعترضه ابن يثربي، فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربي، ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربي فقتله، وقتل سيحان بن صوحان، وارتث صعصعة. وقال ابن يثربي:

أنا لمن يُنكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي^(٣)

وقال ابن يثربي أيضاً:

أضربُهُمْ ولا أرى أبا حسن كفى بهذا حزنًا من الحزن
إنا نمر الأمر إمرار الرّسن^(٤)

فناداه عمار: لقد عذت^(٥) بحريز، وما إليك من سبيل^(٦)، فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليّ. فترك الزمام في يد رجل من بني عدي، حتى إذا كان بين الصّفين تقدّم عمار، وهو ابن تسعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، عليه فرّو قد شدّ وسطه بحبل ليف^(٧)، وهو أضعف من مبارزه^(٨)، واسترجع الناس وقالوا: هذا لاحق بأصحابه، وضربه ابن يثربي فاتّقه عمار بدرّفته، فنشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، وأسفّ عمار

(١) في تاريخ الطبري «إخواننا».

(٢) إضافة من النسخة (ر).

(٣) تاريخ الطبري ٥١٧/٤، وهو في العقد الفريد ٣٢٧/٤ باختلاف عما هنا ٣/٣٤٣، وفي الطبري أيضاً ٥٣٠/٤.

(٤) تاريخ الطبري ٥١٩/٤.

(٥) في تاريخ الطبري ٥١٧/٤ «لذت».

(٦) في تاريخ الطبري: «وما إليك سبيل».

(٧) تاريخ الطبري ٥١٩/٤.

(٨) في طبعة صادر ٢٤٨/٣ «بارزه» وهون غلط.

لرجليه فضربه^(١) فقطعهما، فوقع على استه، وأخذ أسيراً، فأتى به إلى عليّ، فقال: استبقني. فقال: أبعد ثلاثة تقتلهم! وأمر به فقتل^(٢). وقيل: إنَّ المقتول عمرو بن يثربي، وإنَّ عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة مع معاوية. ولما قُتل ابن يثربي تولّى ذلك العدويّ الزمام، فتركه بيد رجل من بني عديّ وبرز، فخرج إليه ربيعة العقيليّ يرتجز ويقول:

يا أُمّنا أعقِّ أمّ نعلّمُ والأُمّ تغزو ولداً وترحمُ
ألا ترينَ كم شجاع يُكلّمُ وتُختلي منه يدٌ ومِعصمُ^(٣)
(كذبٌ فهي من أبرُّ أمّ نعلّم)^(٤)

ثم اقتتلا، فأتخن كلّ واحد منهما صاحبه، فماتا جميعاً، وقام مقام العدويّ الحارث الضبيّ، فما رُوي أشدّ منه، وجعل يقول:

نحنُ بنو^(٥) ضبّة أصحابُ الجملِ نبارزُ القرنَ إذا القرنُ نزلَ^(٦)
ننعى ابنَ عفّانٍ بأطرافِ الأسْلِ الموتُ أحلى^(٧) عندنا من العسلِ
ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجلّ^(٨)

(١) «ضربه» ليست عند الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٥١٧/٤ و ٥١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٧/٤.

وقال ابن قتيبة: وخرج فارس أهل البصرة عمرو بن الأشرف، لا يخرج إليه أحد من أصحاب عليّ إلّا قتله، وهو يرتجز، ويقول:

يا أُمّنا يا خيرَ أمّ نعلّمُ والأُمّ تغزو ولداً وترحمُ
ألا ترينَ كم جوادٍ يُكلّمُ وتُختلي هامتهُ والمِعصمُ
(الأخبار الطوال ١٤٩، ١٥٠).

وفي أنساب الأشراف ٢٤٥ البيت الأول الذي عند الطبري.

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ي)، وهو ليس في تاريخ الطبري، والأرجح أنها زيادة من الناسخ ردّاً على ربيعة العقيليّ.

(٥) في تاريخ الطبري: «بني».

(٦) ورد الشعر الثاني بروايتين الأولى:

ننعى ابنَ عفّانَ بأطرافِ الأسْلِ

والثانية:

نُنازل الموتَ إذا الموتُ نزلَ

(٧) وفي رواية «أشهى».

(٨) أنظر تاريخ الطبري ٥١٨/٤ ففيه اختلاف في ترتيب أنصاف الأبيات. وراجع: تاريخ خليفة ١٩٠، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٣٤١ و ٣٤٢، ومروج الذهب ٣٧٥/٢، والعقد الفريد ٣٢٧/٤ =

وقيل: إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي. وكان عمرو يحرض أصحابه يوم
الجمل، وقد أخذ الخطام، ويقول:

نحنُ بنو^(١) ضبّة لا نفرُ حتى نرى جماعماً تخرُ
يخرُ منها العلقُ المُحمرُّ

ويقول:

يا أمّتا يا عيشُ لن تُراعي كلَّ بنيك بطلُ شجاعُ

ويقول:

يا أمّتا يا زوجة النبيّ يا زوجة المُبارك المهدّي^(٢)

ولم يزل الأمر كذلك حتى قُتل على الخطام أربعون رجلاً. قالت عائشة: ما زال
جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصوات بني ضبّة. قال: وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش
كلّهم يقتل وهو أخذ بخطام الجمل، وكان ممّن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة،
وقال: يا أمّتا مُرّني بأمرِك. قالت: أمرك أن تكون^(٣) خير بني آدم إن تركت^(٤)، فجعل^(٥)
لا يحمل عليه أحد إلا حمل [عليه]، وقال: حاميم^(٦) لا يُنصرون، واجتمع عليه نفر كلّهم
ادّعى قتله، المكعبر الأسديّ، والمكعبر الضبيّ، ومعاوية بن شدّاد العبسيّ، وعفان^(٧)
السعديّ^(٨) النَّصريّ، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول^(٩):

وأشعثُ قوامٍ بآياتِ ربِّه قليلُ الأذى فيما ترى العينُ مسلمٍ

= والإصابة لابن حجر ١١٩/٣، والفتوح لابن أعثم ٣١٩/٢، ٣٢٠، ونهاية الأرب ٧٤/٢٠، والطبري أيضاً
٥٣١/٤، والبدء والتاريخ ٢١٣/٥.

(١) في تاريخ الطبري «بني» وكذلك في نهاية الأرب ٧٤/٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥١٨/٤.

(٣) في الأصل زيادة «من خيار»، وفي تاريخ الطبري ٥٢٦/٤ «أن تكون كخير».

(٤) في النسخة (ي): «نزلت».

(٥) في تاريخ الطبري «فحمل فجعل».

(٦) قيدها الطبري «حَمَ».

(٧) في طبعة صادر ٢٥٠/٣ «عفار».

(٨) في تاريخ الطبري ٥٢٦/٤ «عفان بن الأشقر النصري».

(٩) في تاريخ الطبري: «ففي ذلك يقول قاتله منهم». وقيل إن النفر هم: كعب بن مدليح الأسدي، وابن
المكعبر الضبيّ، وشدّاد بن معاوية العبسي، وعصام بن المقشعر، وشريح بن أوفى أو ابن أبي أوفى،
والأشتر النخعي، وذكر الزبير أن الذي قتله هو عصام بن مقشعر على الأكثر، وهو الذي قال فيه الشعر،
وقد رجّح ذلك أيضاً المرزباني في موضعين من (معجم الشعراء - ص ٢٦٩ و ٣٤٥).

هَتَكْتُ لَهُ بِالرَّمَحِ جَيْبَ قَمِيصِهِ فخرَ صَريعاً لِّلْيَدِينِ وَلِلْقَمِ
يَذْكُرُنِي حَامِيمٌ^(١) وَالرَّمَحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حَامِيمٌ^(٢) قَبْلَ التَّقَدُّمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعاً عَلِيّاً وَمَنْ لَا يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْدَمُ^(٣)

وأخذ الخطام عمرو^(٤) بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحداً إلاَّ خبطه بالسيف، فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزديّ وهو يقول:

يَا أُمْتَ يَا خَيْرَ أُمٍّ نَعْلَمُ أما تَرين كم شجاعٍ يُكَلِّمُ
وَتُخْتَلِي هَامَتُهُ وَالْمِعَصَمُ^(٥)

فاختلفا ضربتين، فقتل كل واحدٍ منهما صاحبه، وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الخطام أحد إلاَّ قُتل، وكان لا يأخذه والراية إلاَّ معروف عند المُطِيفين بالجمل فينتسب: أنا فلان بن فلان، فوالله إن كان ليقاتلون عليه، وإنه للموت لا يوصل إليه إلاَّ بطلبة وعنت، وما رامه أحد من أصحاب عليٍّ إلاَّ قُتل أو أفلت ثم لم يَعد، وحمل عديّ بن حاتم الطائيّ عليهم، ففُقيئت عينه، وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلّم فقالت: من أنت؟ فقال: ابنك ابن أختك^(٦). قالت: واكُل أسماء! وانتهى إليه الأشر، فاقتتلا، فضربه الأشر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً، وضربه عبد الله ضربة خفيفة، واعتنق كل رجلٍ منهما صاحبه، وسقطا إلى الأرض يعتركان، فقال ابن الزبير:

اقتلونني ومالكاً^(٧) واقتلوا مالكاً معي^(٨)

فلو يعلمون من مالك لَقَتَلُوهُ، إنَّما كان يُعرف بالأشر، فحمل أصحاب عليٍّ وعائشة فخلَّصوهما^(٩). قال الأشر: لقيت عبد الرحمن بن عتاب، فلقيت أشدَّ الناس وأخرقه ما لبثت^(١٠) أن قتلتها، ولقيت الأسود بن عوف فلقيت أشدَّ الناس وأشجعها، فما كدت أنجو

(١) قيدها الطبري «حم»، وهذا مأخوذ من حديث النبي ﷺ: «إِنْ بَيْتُمْ فَلْيَكُنْ شَعَارَكُمْ حَمٌ لَا يُنْصَرُونَ».

(٢) تاريخ الطبري ٥٢٦/٤، نهاية الأرب ٧٥/٢٠، طبقات ابن سعد ٥٥/٥، أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٤٣، ٢٤٤ وفيه اختلاف بالألفاظ، ومروج الذهب ٣٧٤/٢، ٣٧٥ باختلاف أيضاً.

(٣) في الأصل «علي».

(٤) تاريخ الطبري ٥٢٠/٤، ٥٢١، نهاية الأرب ٧٦/٢٠.

(٥) في تاريخ الطبري ٥٢٥/٤ «أنا ابن أختك».

(٦) حتى هنا في تاريخ الطبري ٥٢٥/٤.

(٧) زيادة من النسختين (ر) و(ي) ومروج الذهب ٣٧٦/٤.

(٨) قال ابن قتيبة: «فلما خاف الأشر على نفسه قام عن عبد الله بن الزبير، وقاتل حتى خلَّص إلى أصحابه، وقد عار فرسه، فقال لهم: «ما أنجاني إلاَّ قول ابن الزبير: اقتلونني ومالكاً، فلم يدر القومُ من مالك، ولو قال: اقتلونني والأشر لقتلونني». (الأخبار الطوال ١٥٠).

(٩) في الطبعة الأوروبية «لبثته»، وفي نسخة المتحف البريطاني «لقيته».

منه، فتمنيتُ أني لم أكن لقيته، ولحقني جُندب بن زُهَيْر الغامديّ، فضربته فقتلته^(١)، قال: ورأيتُ عبد الله بن حَكِيم بن حزام، وعنده راية قريش، وهو يقاتل عديّ بن حاتم، وهما يتصاولان تصاولَ الفحلين، فتعاورناه فقتلناه. قال: وأخذ الخطامُ الأسودُ بن أبي البَخْتَرِيّ، فقتل، وهو قرشيٌّ أيضاً، وأخذه عمرو بن الأشرف فقتل، وقُتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته^(٢)، وهو أُرْدِيّ، وجُرح مروان بن الحكم، وجُرح عبد الله بن الزبير سبعاً وثلاثين جراحة من طعنة ورمية، قال: وما رأيتُ مثل يوم الجمل، ما ينهزم منّا أحد، وما نحن إلّا كالجبل الأسود، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلّا قُتل حتى ضاع الخطام، ونادى عليّ: اعقروا الجمل، فإنه إن عُقر تفرّقوا، فضربه رجل فسقط، فما سمعتُ صوتاً قطّ أشدّ من عجيج الجمل^(٣). وكانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مِخْنَف^(٤) بن سُلَيْم فقتل وأخذها الصّعب^(٥)، وأخوه عبد الله بن سُلَيْم فقتل، وأخذها العلاء بن عُروة، فكان الفتح وهي بيده. وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سُلَيْم فقتل، وقُتل معه زيد وسيّحان ابنا صُوحان، وأخذها عدّة نفر فقتلوا، منهم عبد الله بن رَقَبَة، ثم أخذها مُنْقَذ بن النعمان، فدفعها إلى ابنه مُرّة بن منقذ، فانقضت الحرب وهي في يده. وكانت راية بكر بن وائل في بني ذُهل، مع الحارث بن حَسّان الذُّهليّ، فأقدم وقال: يا معشرَ بكرٍ لم يكن أحد له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم [فانصروه]، فتقدّم وقاتلهم، فقتل ابنه وخمسة من بني أهله، وقُتل الحارث، فقليل فيه:

أَنْعَى الرَّئِيسَ الْحَارْثَ بْنَ حَسَّانٍ لَالِ ذُهْلٍ وَلَالِ شَيْبَانَ
وقال رجل من بني ذُهل:

تَنْعَى لَنَا خَيْرَ امْرِئٍ مِنْ عَدْنَانَ عِنْدَ الطَّعَانِ وَنِزَالِ الْأَقْرَانِ^(٦)
وقال أخوه بِشْر بن حَسّان:

أَنَا ابْنُ حَسَّانَ بْنِ خُوِطٍ وَأَبِي رَسُولُ بَكْرٍ كُلِّهَا إِلَى النَّبِيِّ^(٧)
وقُتل رجال من بني محدوج، وقُتل من بني ذُهل خمسة وثلاثون رجلاً، وقال رجل

(١) في النسخة (ر): «فضربه فقتله».

(٢) الطبري ٥٢٢/٤.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٩/٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «مخنف» وهو تحريف.

(٥) في الطبعة الأوربية «الصعب»، وهو تصحيف.

(٦) في الطبعة الأوربية: «عند النزال والطعان الأقران».

(٧) تاريخ الطبري ٥٢١/٤، ٥٢٢.

لأخيه وهو يقاتل: يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنّا على الحقّ! قال: فإنّا على الحقّ، إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وإنّا^(١) تمسّكنا بأهل بيت نبينا؛ فقاتلا حتى قُتلا. وجرح يومئذ عمير بن الأهلب الضبّي، فمرّ به رجل من أصحاب عليّ وهو في الجرحى يفحص برجله^(٢) ويقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا
لقد كان في^(٣) نصر^(٤) ابن ضبة أمه
أطعنا قريشاً (ضيلة من)^(٥) حلومنا
أطعنا بني تيم بن مرة شقوة

فقال له الرجل: قل لا إله إلا الله. قال: ادن مني فلقيني في صمم. فدنا منه الرجل، فوثب عليه فعصّ أذنه فقطعها^(٦).

وقيل في عقر الجمل: إنّ القعقاع لقي الأشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال: هل^(٧) لك في العود؟ فلم يجبه. فقال: يا أشتر، بعضنا أعلم بقتال بعض منك، وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحارث، وكان آخر من أخذ الخطام، فلم يبق شيخ من بني عامر إلا أصيب قدام الجمل، وزفر بن الحارث يرتجز ويقول:

يا أمنا مثلك^(٨) لا يُراع^(٩) كل بنيك بطل شجاع
ليس بوهواه^(١٠) ولا براع

وقال القعقاع:

-
- (١) في تاريخ الطبري ٥٢٢/٤ «وإنما».
(٢) في تاريخ الطبري «برجله».
(٣) في تاريخ الطبري «عن» بدل «في».
(٤) في الأصل «قصر» وهو تصحيف.
(٥) في النسخة (ي): «من سفاه»، وفي نسخة مكتبة بودليان «صلة من».
(٦) تاريخ الطبري ٥٢٤/٤، أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٦٦، ٢٦٧، وفي مروج الذهب ٣٧٩/٢ بيتان: الأول والآخر، وفيه:
«أطعنا بني تيم لشقوة جدنا»
(٧) تاريخ الطبري ٥٢٤/٤.
(٨) في النسخة (ي): «هل رأيت لك».
(٩) في تاريخ الطبري «يا عيش».
(١٠) في تاريخ الطبري «لن تراعي».
(١١) في تاريخ الطبري «بوهام».

إِذَا وَرَدْنَا آجِنًا^(١) جَهْرَنَاهُ وَلَا يُطَاقُ وَرْدُ مَا مَنَعْنَاهُ^(٢)

وزحف إلى زُفر بن الحارث الكلثي، وتسرَّعت عامر إلى حربه فأصيبوا، فقال القعقاع لبُجَيْر^(٣) بن دُلْجَة، وهو من أصحاب علي: يا بُجَيْر بن دُلْجَة صَحِّ بقومك فليعقروا الجمل قبل أن تصابوا وتصاب أم المؤمنين. فقال بُجَيْر: يا آل ضَبَّة! يا عَمْرُو بن دُلْجَة! ادْعُ بي إليك، فدعاه، فقال: أنا آمن حتى أرجع عنكم؟ قال: نعم. فاجتث ساق البعير، فرمى نفسه على شِقِّه وجرجر البعير، فقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون. واجتمع هو وزُفر على قطع بَطان البعير، وحملوا الهودج فوضعه، (وإنه كالقنفذ لما فيه من السهام)^(٤)، ثم أطافا به، وفرَّ^(٥) من وراء ذلك من الناس. فلما انهزموا أمر عليّ منادياً فنادى: ألا لا تتبعوا مُدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تدخلوا الدُورَ. وأمر عليّ نفرأ أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قُبَّة، وقال: انظر هل وصل إليها شيء من جراحة؟ فأدخل رأسه في هودجها، فقالت: مَنْ أنت؟ فقال: أبغضُ أهلك إليك. قالت: ابن الخثعمية؟ قال: نعم. قالت: يا بأبي، الحمد لله الذي عافاك^(٦)!

وقيل: لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عَمَّار، فاحتملا الهودج فنَحَّياه، فأدخل محمد يده فيه، فقالت: مَنْ هذا؟ فقال: أخوك البَر. قالت: عَقِّي^(٧)! قال: يا أُخِيَّة هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت وذاك؟ قال: فمن إذا! الضُّلَّال؟ قالت: بل الهداة. وقال لها عَمَّار: كيف رأيت ضربَ بَنِيكَ اليوم يا أُمَاه؟ قالت: لستُ لك بأم. قال: بلى، وإن كرهت. قالت: فخرتم أن ظفرتهم، وأتيتم مثل الذي نَقمتهم، هيهات، والله لن يظفر من كان هذا دأبه!

فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قُربها أحد^(٨). وأتاها عليّ فقال: كيف أنت يا أُمَّة؟ قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك^(٩). وجاء أَعْيُنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ (ابن أعين)^(١٠)

(١) في نسخة المتحف البريطاني: «إذا أردنا أمراً».

(٢) تاريخ الطبري ٥٢٦/٤، ٥٢٧، وانظر أنساب الأشراف ٢٤٨.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٢٦/٤، ٥٢٧، «بُحَيْر» بالحاء المهملة. والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٧٨/٢٠.

(٤) ما بين القوسين زيادة من المؤلف نقلها بتصريف عن الطبري. (انظر ٥٢٧/٤ و ٥٣٣).

(٥) في تاريخ الطبري ٥٢٧/٤ «وتغار».

(٦) انظر تاريخ الطبري ٥٣٤/٤.

(٧) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٤ «عقوق».

(٨) تاريخ الطبري ٥٣٣/٤.

(٩) تاريخ الطبري ٥١٩/٤.

(١٠) زيادة من نسختي (ر) و (ي).

المُجَاشَعِيَّ حَتَّى أَطْلَعَ فِي الْيَهُودِجِ، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ لَعْنُكَ اللَّهُ! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا حُمَيْرًا! فَقَالَتْ لَهُ: هَتِكَ اللَّهُ سَتْرَكَ، وَقَطَعَ يَدَكَ، وَأَبْدَى عَوْرَتَكَ. فَقُتِلَ بِالْبَصْرَةِ، وَسُلِبَ، وَقُطِعَت يَدُهُ^(١) وَرُمِيَ عُريَانًا فِي خَرِبَةٍ مِنْ خَرِبَاتِ الْأَزْدِ^(٢). ثُمَّ أَتَى وَجْهَ النَّاسِ عَائِشَةً، وَفِيهِمُ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ رَجُلَيْنِ اجْتَلَدَا وَارْتَجَزَا بِكَذَا، فَهَلْ تَعْرِفُ كَوْفِيكَ^(٣)؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَاكَ الَّذِي قَالَ: أَعَقُّ أُمَّ نَعْلَمَ، وَكَذِبَ، إِنَّكَ لِأَبْرَأُ أُمَّ نَعْلَمَ، وَلَكِنْ لَمْ تُطَاعِي. قَالَتْ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعَشْرِينَ سَنَةً^(٤).

وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَاتَى عَلِيًّا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْ قَبْلِ الْيَوْمِ بَعَشْرِينَ سَنَةً^(٥). وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْقِتَالِ:

إِلَيْكَ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي وَمَعَشَرًا أَغَشَوَا^(٦) عَلِيَّ بَصْرِي
قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضْرًا بِمُضْرِي شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعَشْرِي^(٧)

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَدْخَلَهَا أَخُوهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْبَصْرَةَ، فَأَنْزَلَهَا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخُزَاعِيِّ عَلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَهِيَ أُمُّ طَلْحَةَ الْطَلْحَاتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ، وَتَسَلَّلَ الْجَرْحَى مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى لَيْلًا فَدَخَلُوا الْبَصْرَةَ، فَأَقَامَ عَلِيٌّ بِظَاهِرِ الْبَصْرَةِ ثَلَاثًا، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي دَفْنِ مَوْتَاهُمَا، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَدَفَنُوهُمْ، وَطَافَ عَلِيٌّ فِي الْقَتْلَى، فَلَمَّا أَتَى عَلَى كَعْبِ بْنِ سُورٍ قَالَ: أَرَزَعِمْتُمْ^(٨) أَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُمُ السَّفَهَاءُ، وَهَذَا الْحَبِيرُ قَدْ تَرَوْنِي! وَأَتَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ فَقَالَ: هَذَا يَعْصُوبُ الْقَوْمَ، يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُطِيفُونَ بِهِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الرُّضَا بِهِ^(٩)

(١) فِي النُّسَخَةِ (ي) زِيَادَةٌ: «وَرَجَلُهُ».

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٣٣/٤، ٥٣٤.

(٣) فِي النُّسَخَةِ (ي): «ذَيْنِكَ».

(٤) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٣٧/٤.

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ عَلَى الْأَصْلِ. وَهُوَ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٥٣٧/٤.

(٦) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «غَشَا» وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ «أَغَشَا».

(٧) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٢٧/٤، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٨٠/٢٠.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «حَدِيثُ عَلِيٍّ: أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عُجْرِي وَبُجْرِي، أَيْ هُمُومِي وَأَحْزَانِي، وَأَصْلُ الْعَجْرَةِ: نَفْخَةٌ فِي الظَّهْرِ، فَإِذَا كَانَتْ فِي الْبَطْنِ فَهِيَ بِجَرَّةٍ. وَقِيلَ الْعُجْرُ: الْعُرُوقُ الْمَنْعُقَدَةُ فِي الظَّهْرِ. وَالبُّجْرُ: الْعُرُوقُ الْمَنْعُقَدَةُ فِي الْبَطْنِ. ثُمَّ نَقَلْنَا إِلَى الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ، أَرَادَ أَنَّهُ يَشْكُو إِلَى اللَّهِ أُمُورَهُ كُلَّهَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ».

(٨) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٥٣٨/٤: «فَلَمَّا أَتَى بِكَعْبِ بْنِ سُورٍ قَالَ: زَعِمْتُمْ».

(٩) فِي النُّسَخَةِ (ي): «عَلَى الرِّصَافَةِ»، وَفِي نَسْخَةِ مَكْتَبَةِ بَوَدْلِيَانِ: «عَلَى الصَّنَايَةِ». وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ: =

لصلاتهم^(١). ومرّ على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال: لهفي عليك يا أبا محمد! إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، واللّه لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى، أنت والله كما قال الشاعر:

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَبُعِثَهُ الْفَقْرُ^(٢)

وجعل كلّما مرّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنّه لم يخرج إلينا إلّا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم. وصلى عليّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، وأمر فدّفت الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال: مَنْ عرف شيئاً فليأخذه، إلّا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان^(٣). وكان جميع القتلى عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب عليّ، ونصفهم من أصحاب عائشة^(٤) وقيل غير ذلك. وقُتل من ضَبّة ألف رجل، وقُتل من بني عديّ حول الجمل سبعون رجلاً، كلّهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ^(٥). ولما فرغ عليّ من الواقعة أتاه الأحنف بن قيس في بني سعد، وكانوا قد اعتزلوا القتال، فقال له عليّ: تربّصت؟ فقال: ما كنت أراني إلّا وقد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، فارفق، فإنّ طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إليّ غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني، واستصف مودّتي لغد، ولا تقل مثل هذا، فإنّي لم أزل لك ناصحاً.

ثمّ دخل عليّ البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكر في المستأمنين أيضاً فبايعه، فقال له عليّ: و[ما] عمل^(٦) المتربص المتقاعد^(٧) بي أيضاً؟ يعني أباه أبا بكر! فقال: والله إنّهُ لمریض،

= «واجتمعوا عليه ورضوا به».

(١) تاريخ الطبري ٥٣٨/٤.

(٢) البيت في مروج الذهب ٣٧٣/٢، والعقد الفريد ٣٢٢/٤ وفيهما زيادة بيت:

كَأَنَّ الشَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّيْغَرَى وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ

والبيت ليس في تاريخ الطبري، وهو في نهاية الأرب ٨٩/٢٠.

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٨/٤.

(٤) الطبري ٥٣٩/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٥٣٩/٤.

(٦) في الأصل «نعمة»، وفي تاريخ الطبري ٥٤٣/٤ «وعُكِّت».

(٧) في تاريخ الطبري «المقاعد».

وإنه على مَسْرَتِكَ لحريص. فقال عليّ: امشِ أمامي! فمشى معه إلى أبيه، فلمّا دخل عليه عليّ قال له: تقاعدت بي^(١) وتربّصت؟ ووضع يده على صدره وقال: هذا وجع بين، واعتذر إليه، فقبل عذره، وأرادَه على البصرة، فامتنع وقال: رجل من أهلك^(٢) يسكن^(٣) إليه الناس وسأشير عليه^(٤). فافترقا على ابن عباس^(٥). وولّى زياداً على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عبّاس أن يسمع منه^(٦) ويطيع، وكان زياد معتزلاً. ثمّ راح إلى عائشة، وهي في دار عبد الله بن خَلَف، وهي أعظم دار بالبصرة، فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خَلَف، وكان عبد الله قُتل مع عائشة، وعثمان قُتل مع عليّ، وكانت صفيّة زوجة عبد الله مُحْتَمِرَةً تبكي، فلمّا رآته قالت له: يا عليّ! يا قاتل الأحبة! يا مفرّق الجمع! أيتّم الله منك بنيك كما أيتّم ولد عبد الله منه! فلم يردّ عليها شيئاً. ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها، ثمّ قال: جَبَهْتُنَا صفيّة، أما إني لم أرها منذ كانت جارية.

فلما خرج عليّ أعادت عليه القول، فكفّ بغلته وقال: لقد هممتُ أن أفتح هذا الباب، وأشار إلى باب في الدار، وأقتل من فيه، وكان فيه ناس من الجرحى، فأخبر عليّ بمكانهم، فتغافل عنهم، فسكت^(٧)، وكان مذهبه أن لا يقتل مُدبراً، ولا يُدْفَف على جريح، ولا يكشف سِتراً، ولا يأخذ مالاً.

ولما خرج عليّ من عند عائشة قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة! فغضب وقال: مه^(٨)! لا تهتكنّ سِتراً، ولا تدخلنّ داراً، ولا تهيجنّ امرأة بأذى، وإن شتمنّ أعراضكم، وسفهنّ أمراءكم وصلحاءكم، فإنّ النساء ضعيفات، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ^(٩) مشركات، (فكيف إذا هنّ مسلمات)^(١٠)؟.

ومضى عليّ، فلحقه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو أَمْضُ شتيمة لك من صفيّة. قال: ويحك لعلّها عائشة! قال: نعم. قال أحدهما:

(١) في تاريخ الطبري «عني».

(٢) في تاريخ الطبري «من أهل بيتك».

(٣) في الطبعة الأوربية «يسكر».

(٤) في تاريخ الطبري «وسأفكيكه وأشير عليه».

(٥) تاريخ الطبري ٥٤٣/٤.

(٦) الطبري ٥٤٣/٤.

(٧) العبارة عند الطبري ٥٤٠/٤ «فأخبر عليّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم، فسكت».

(٨) عند الطبري «صه».

(٩) عند الطبري «وإنهن لمشركات».

(١٠) ما بين القوسين ليس عند الطبري ٥٤٠/٤، وهو من عند المؤلف.

جُزِيَتْ^(١) عَنَّا أَمْنَا عُقُوقاً. وقال الآخر: يا أُمِّي^(٢) توبي فقد أخطأت. فبعث الفقعاق بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه^(٣)، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة، وهما: عَجْلَان^(٤) وسعد ابنا عبد الله، فضربهما مائة سَوْطٍ وأخرجهما من ثيابهما^(٥).

وسألت عائشة يومئذ عَمَّن قُتِلَ من الناس منهم معها ومنهم عليها، والناس عندها، فكلَّمَا نعي واحد من الجميع قالت: يرحمه الله. فقيل لها: كيف ذلك قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ، فلان في الجنة، وفلان في الجنة، وقال علي: إني لأرجو أن لا يكون أحد نقى قلبه لله من هؤلاء إلا أدخله الله الجنة^(٦).

ثم جهز عليّ عائشة بكلّ ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وبعث معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلا من أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، وسيرّ معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها عليّ فوقف لها، وحضر الناس، فخرجت وودّعتهم وقالت: يا بنيّ لا يعتب^(٧) بعضنا على بعض، إنّه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها، وإنّه على^(٨) معتبتي لَمِنَ الأخيار. وقال عليّ: صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنّها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة^(٩).

وخرجت يوم السبت غرة رَجَب، وشيّعها أميالاً وسرّح بنيه^(١٠) معها يوماً^(١١)، فكان وجهُها إلى مكّة، فأقامت إلى الحجّ ثم رجعت إلى المدينة، وقال لها عمار حين ودّعها: ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك! قالت: والله إنك ما علمت لقوال^(١٢) بالحقّ. قال: الحمد لله الذي قضى على لسانك لي^(١٣).

-
- (١) في نسخة مكتبة بودليان «حزنت».
 - (٢) عند الطبري «يا أَمْنَا».
 - (٣) في الطبعة الأوروبية «له».
 - (٤) عند الطبري «عجل».
 - (٥) تاريخ الطبري ٥٤٠/٤.
 - (٦) تاريخ الطبري ٥٣٧/٤.
 - (٧) عند الطبري «تعتب».
 - (٨) في تاريخ الطبري «وإنه عندي على».
 - (٩) تاريخ الطبري ٥٤٤/٤.
 - (١٠) في النسخة (ي): «بنته».
 - (١١) الطبري ٥٤٤/٤.
 - (١٢) في الأصل «لقوال». وفي النسخة (ي): «أقول» وفي تاريخ الطبري «قوال».
 - (١٣) الطبري ٥٤٥/٤، ٥٤٦ وفيه: «قضى لي على لسانك».

وأما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم، وكان منهم: عتبة بن أبي سفيان، فخرج هو وعبد الرحمن، ويحيى ابنا الحَكَم، فساروا في البلاد، فلقِيهم عصمة بن أبيير^(١) التيمي، فقال لهم: هل لكم في الجوار؟ فقالوا^(٢): نعم. فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام في أربعمئة راكب، فلما وصلوا إلى دومة الجندل^(٣) قالوا: قد وفيت ذمتك، وقضيت ما عليك، فرجع^(٤). وأما ابن عامر فإنه خرج أيضاً، فلقِيه رجل من بني حُرْقوص يدعى مُرّي، فأجاره وسيره إلى الشام^(٥). وأما مروان بن الحَكَم، فاستجار بمالك بن مِسْمَع، فأجاره ووفى له، وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم، وانتفع بهم، وشرفوه بذلك^(٦). وقيل: إن مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خَلَف، وصحبها إلى الحجاز، فلما سارت إلى مكة سار إلى المدينة^(٧). وأما عبد الله بن الزبير، فإنه نزل بدار رجل من الأزد يدعى وزيراً، فقال له: ائت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني، ولا يعلم محمد بن أبي بكر. فأتى عائشة فأخبرها، فقالت: عليّ بمحمد. فقال لها: إنه قد نهاني أن يعلم محمد. فلم تسمع قوله، وأرسلت إلى محمد وقالت: اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بآبن أختك. فانطلق معه، وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا إلى دار عائشة في دار عبد الله بن خَلَف^(٨).

ولما فرغ عليّ منبيعة أهل البصرة نظر في بيت المال، فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسّمها على من شهد معه، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة، فقال لهم: إن أظفركم الله بالشام فلکم مثلها إلى أعطيائكم. فخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على عليّ من وراء وراء^(٩). وطعنوا فيه أيضاً حين نهاهم عن أخذ أموالهم، فقالوا: ما [له] يحل لنا دماءهم ويحرّم علينا أموالهم؟ فقال لهم عليّ: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا، ومن لجّ حتى يضاب فقتاله مني على الصّدر والنحر.

وقال القعقاع: ما رأيتُ شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفّين، لقد رأيتنا ندافعهم بأسستنا، ونتكّىء على أزجتنا وهم مثل ذلك، حتى لو أن الرجال مشت

(١) في النسخة (ي): «أثير».

(٢) في الطبعة الأوربية «فقال».

(٣) دومة الجندل، زيادة من النسخة (ر).

(٤) الطبري ٥٣٥/٤، ٥٣٦.

(٥) الطبري ٥٣٦/٤.

(٦) الخبر مفصلاً عند الطبري ٥٣٦/٤.

(٧) الطبري ٥٤٢/٤.

(٨) الطبري ٥٣٦/٤.

(٩) الطبري ٥٤١/٤.

عليها لاستقلت بهم^(١). وقال عبد الله بن سنان الكاهلي: لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيّت، وتطاعنا بالرماح حتى تكسّرت، وتشبّكت في صدورنا وصدورهم، حتى لو سُيِّرت عليها الخيل لسارت^(٢). ثم قال عليّ: السيوف يا بني المهاجرين! فما شبّهت أصواتها إلا بضرب القصارين^(٣).

وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل أن تغرب الشمس من نسر مرّ بماء حول المدينة، ومعه شيء معلق، فسقط منه، فإذا كفّ فيه خاتم نقشه: عبد الرحمن بن عتاب. وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل إليهم النسر من الأيدي والأقدام^(٤).

وأراد عليّ المقام بالبصرة لإصلاح حالها، فأعجلته السبيّة عن المقام، فإنهم ارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه.

[رواية أخرى في وقعة الجمل]

وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدّم، مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة، والوقعة الأولى مع عثمان بن حنيف وحكيم.

وأما مسير عليّ وعزل أبي موسى ف قيل^(٥) فيه: إنّ عليّاً لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى، وجرى له ما تقدّم سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى عليّ بالربذة، فأعلمه الحال، فأعاده عليّ إلى أبي موسى يقول له: أرسل الناس، فإنني لم أولك إلا لتكون من أعواني على الحق. فامتنع أبو موسى، فكتب هاشم إلى عليّ: إني قدمت على رجل غالٍ مشاقق^(٦) ظاهر الشنان، وأرسل الكتاب مع المجل بن خليفة الطائي، فبعث عليّ: الحسن ابنه، وعمّار بن ياسر يستنفران الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً، وكتب معه إلى أبي موسى: إني قد بعثت الحسن وعمّاراً يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على الكوفة، فاعتزل عمّلنا مذموماً مدحوراً، وإن لم تفعل فإنني قد أمرته أن يُنابذك، فإن نابذته فظفر بك يقطعك إرباً إرباً. فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل^(٧)، واستنفر الحسن الناس، فنفروا نحو ما تقدّم. وسار عليّ نحو

(١) الطبري ٥٣٢/٤.

(٢) (٣-٤) الطبري ٥٣٢/٤.

(٤) تاريخ الطبري ٥٤٤/٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «فقال».

(٦) في النسخة (ي) «منافق».

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٤٩٩/٤، ٥٠٠.

البصرة، فقال جَوْنُ بن قتادة: كُنْتُ مع الزبير فجاء فارس يسير فقال: السلام عليك أيها الأمير، فردَّ عليه، فقال: إِنَّ هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أَرَأْتُ سلاحاً، ولا أقلَّ عدداً، ولا أَرَعَبَ قلوباً منهم. ثُمَّ انصرف عنه، وجاء فارس آخر فقال له: إِنَّ القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعُدَّة^(١)، فخافوا فولَّوا مُدْبِرِينَ. فقال الزبير: إِيهًا عنك! فوالله لو لم يجد علي بن أبي طالب إِلَّا العَرْفَجَ لدَبَّ إلينا فيه. فانصرف.

وجاء فارس، وقد كادت الخيل تخرج من الرَّهَج^(٢)، فقال: هؤلاء القوم قد أتوك، فلقيتُ عَمَّاراً فقلتُ له وقال لي. فقال الزبير: إِنَّه ليس فيهم! فقال الرجل: بلى والله إِنَّه لَفِيهِمْ. فقال الزُّبَيْرُ: والله ما جعله الله فيهم. فقال الرجل: بلى والله. فلَمَّا كَرَّرَ عليه أرسل الزُّبَيْرُ رجلين ينظران، فانطلقا ثُمَّ رجعا فقالا: صدق الرجل. فقال الزُّبَيْرُ: يَا جَدُّعْ أَنْفَاهُ! يَا قُطْعَ ظَهْرَاهُ! ثُمَّ أَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ^(٣) فجعل السلاح يتنفض. قال جَوْنُ: فقلتُ ثكلتني أُمِّي! هذا الذي كُنْتُ أريد أن أموت معه أو أعيش، ما أخذه هذا الأمر^(٤) إِلَّا لشيء سمعه من رسول الله ﷺ. وانصرف جَوْنُ فاعتزل، وجاء علي، فلَمَّا تواقف الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا، وذكر من أمر الزُّبَيْرِ وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدَّم^(٥). فلَمَّا أَبَوا إِلَّا القتال قال علي: أَيُّكُمْ يَأْخُذُ هَذَا الْمُضْخَفَ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ قُطِعَتْ يَدُهُ أَخَذَهُ بِيَدِهِ الْآخَرَى، فَإِنْ قُطِعَتْ أَخَذَهُ بِأَسْنَانِهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ؟ فقال شابٌّ: أنا. فطاف به على أصحابه، فلم يُجِبْهُ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ، ثلاث مرَّات، فسَلَّمَهُ إِلَيْهِ، فدعاهم، فُقُطِعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى، فأخذه باليسرى فُقُطِعَتْ، فأخذه بصدرة والدماء تسيل على قَبَائِهِ، فُقُتِلَ، فقال علي: الْآنَ حَلَّ قِتَالِهِمْ. فقالت أُمُّ الْفَتَى:

لَا هُمْ إِنْ مُسْلِمًا دَعَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ
وَأَمَّهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ تَأْمُرُهُمْ بِالْقَتْلِ لَا تَنْهَاهُمْ^(٦)
قَدْ خُضِبَتْ مِنْ عَلَقٍ لِحَاهُمْ^(٧)

(١) في تاريخ الطبري زيادة «والحد».

(٢) الرهج: الغبار.

(٣) عند الطبري «أخذه أفكل» وهو بمعنى الرعدة.

(٤) «الأمر» إضافة من النسخة (ر).

(٥) الطبري ٥١٠/٤، ٥١١.

(٦) في تاريخ الطبري:

«يَأْتُمِرُونَ الْغَيَّ لَا تَنْهَاهُمْ»

(٧) في مروج الذهب: ٣٧٠/٢

يَا رَبَّ إِنْ مُسْلِمًا أَنَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ

وحملت ميمنة عليّ على ميسرتهم، فاقتتلوا، فلاذ الناس بعائشة، وكان أكثرهم من ضبة والأزد، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ثم انهزموا، ونادى رجل من الأزد: كروا، فضربه محمد بن عليّ فقطع يده، فقال: يا معشر الأزد فروا، واستحروا القتل في الأزد فنادوا: نحن على دين عليّ. فقال رجل من بني ليث:

سائل بنا حين لقينا الأزد والخيل تعدو أشقراً وورداً
لما قطعنا^(١) كبدهم والزندا سُحقاً لهم في رأيهم وبُعدا^(٢)

وحمل عمار بن ياسر على الزبير، فجعل يحوزه بالرُمح، فقال: أتريد أن تقتلني يا أبا اليقظان؟ فقال: لا يا أبا عبد الله، انصرف، فانصرف^(٣). وجرح عبد الله بن الزبير، فألقى نفسه في الجرحى ثم برأ. وعُقر الجمل. واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة فأنزلها، وضرب عليها قبة، فوقف عليّ عليها وقال لها: استنفرت الناس وقد فروا، وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً، في كلام كثير. فقالت عائشة: ملكت فأسجج^(٤)، نعم ما ابتليت قومك اليوم! فسرّحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهّزها بما تحتاج.

لم أذكر في وقعة الجمل إلا ما ذكره أبو جعفر، إذ كان أوثق من نقل التاريخ، فإن الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم.

وممن قُتل يوم الجمل: عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة، له ضجة. وعمر بن عبد^(٥) الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي، له ضجة. وفيها قُتل المحرز بن حارثة^(٦) بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، له ضجة، واستعمله عمر على مكة ثم عزله. وفيها قُتل معرّض بن علاط السلمي أخو الحجاج بن علاط، قُتل مع عليّ^(٧). وفيها قُتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميين مع عائشة، لهما ضجة، فأما مجاشع فلا شك أنه قُتل في الجمل. وقُتل عبد الله بن حكيم بن حزام^(٨) الأسدي القرشي مع عائشة، وكان

= فحَضَبُوا مِنْ دَمِهِ لِحَاهِمٍ وَأَتَمَهُ قَائِمَةٌ تَرَاهِمٍ
وانظر أنساب الأشراف ٢٤١، والفتوح لابن أعثم ٣١٦/٢ في المتن والحاشية وفيه أكثر مما هنا. وانظر تاريخ الطبري ٥٢٩/٢ باختلاف الأبيات والألفاظ.

(١) في الطبعة الأوربية «قطعوا».

(٢) الطبري ٥١٢/٤.

(٣) الطبري ٥١٢/٤.

(٤) في النسخة (ي): «فاسمج»، وفي تاريخ البعقوبي ١٨٣/٢ «قدّرت فأسجج».

(٥) في النسخة (ب): «عبيد»، والمثبت يتفق مع تاريخ خليفة ١٨٨.

(٦) في تاريخ الطبري ٢٦٩/٥ «جارية».

(٧) تاريخ خليفة ١٨٩، تاريخ الطبري ٥٤٥/٤.

(٨) تاريخ خليفة ١٨٧، تاريخ الطبري ٥٢١/٤ و٥٢٥.

إسلامه يوم الفتح، وفيها قُتل هند بن أبي هالة الأسدي، أمه خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ مع علي، وقيل: مات بالبصرة، والأول أصح.

(الأسدي بضم الهمزة، منسوب إلى أسيد بتشديد الياء، وهم بطن من تميم).

وقُتل هلال بن وكيع^(١) بن بشر التميمي مع عائشة، له صُحبة. وفيها قُتل مُعاذ بن عفرأ أخو معوذ^(٢)، وهما ابنا الحارث بن رفاعة الأنصاريان، وشهدا بدرأ، وقُتل مع علي، وقيل: عاش وقُتل في وقعة الحرّة.

(التَّيْهَان: بفتح التاء فوقها نقطتان، وتشديد الياء تحتها نقطتان، وآخره نون. وشَبَّ: بفتح الشين المعجمة، والباء الموحدة، وآخره ثاء مثلثة. وسيحان: بفتح السين المهملة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وفتح الحاء المهملة، وآخره نون. ونَجَبَة: بفتح النون والجيم، والباء الموحدة. وعَمِيرَة: بفتح العين، وكسر الميم. وأبِير بضم الهمزة، وفتح الباء الموحدة. والخِرَيْت: بكسر الخاء المعجمة، والراء المشددة، وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان، وفي آخره تاء فوقها نقطتان^(٣)).

ذكر قصد الخوارج سِجِسْتَان

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حَسَكَة^(٤) بن عَتَّاب الحَبْطِي، وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سِجِسْتَان، وقد نكت أهلها، فأصابوا منها مالا، ثم أتوا زَرَنْج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها^(٥)، فقال الراجز:

بَشْرُ سِجِسْتَانْ بِجُوعٍ وَحَرْبٍ بَابِنِ الْفُضَيْلِ^(٦) وَصَعَالِيكِ الْعَرَبِ
لَا فِضَّةَ تُغْنِيهِمْ وَلَا ذَهَبَ

فبعث عليّ عبد الرحمن بن جزء^(٧) الطائي، فقتله حَسَكَة، فكتب عليّ إلى عبد الله بن العباس يأمره أن يولي سِجِسْتَان رجلاً ويسيره إليها في أربعة آلاف، فوجه

(١) تاريخ خليفة ١٨٩.

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «مسعود».

(٣) هنا ينتهي الجزء الثاني من الأصل المخطوط.

(٤) في النسخة (ي): «جيلة».

(٥) الخبر في تاريخ خليفة ١٨٢.

(٦) في فتوح البلدان «الفصيل».

(٧) في طبعة صادر ٢٦٤/٣ «جرو» والتصحيح من فتوح البلدان.

رُبْعِيَّ بن كاس العنبري، ومعه الحُصَيْن بن أبي الحرّ العنبري، فلمّا ورد سجستان قاتلهم حَسَكَة وقتلوه، وضبط رُبْعِيَّ البلاد^(١)، وكان فيروز حُصَيْن يُنسب إلى الحصين بن أبي الحرّ هذا، وهو من سِجِسْتان^(٢).

ذكر قتل محمّد بن أبي حُذَيْفَة^(٣)

في هذه السنة قُتل محمد بن أبي حُذَيْفَة، وكان أبوه أبو حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس قد قُتل يوم اليمامة، وترك ابنه محمداً هذا، فكفله عثمان بن عفّان وأحسن تربيته، وكان فيما قيل: أصاب شراباً فحدّه عثمان، ثمّ تنسّك محمد وأقبل على العبادة، وطلب من عثمان أن يولّيه عملاً، فقال: لو كنت أهلاً لذلك لولّيتك. فقال له: إنّي قد رغبت في غزو البحر فاذن [لي] في إتيان مصر، فأذن له وجهّه، فلمّا قدّمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظّموه، وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصّواري.

وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول: استعمل رجلاً أباح رسول الله ﷺ دمه. فكتب عبدُ الله إلى عثمان: إنّ محمداً قد أفسد عليّ البلاد هو ومحمد بن أبي بكر. فكتب إليه: أمّا ابن أبي بكر فإنّه يوهّب لأبيه ولعائشة، وأمّا ابن أبي حُذَيْفَة فإنّه ابني وابن أخي وتربيتي، وهو فرخ قريش. فكتب إليه: إنّ هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبقَ إلّا أن يطير. فبعث عثمان إلى ابن أبي حُذَيْفَة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة،

(١) الخبر بنصّه في فتوح البلدان ٤٨٧ وهو ليس في تاريخ الطبري.

(٢) فتوح البلدان ٤٨٨.

(٣) العنوان من الأصل.

وقد ذكر خليفة مقتله في وقعة الحرّة سنة ٦٣ هـ. (ص ٢٥٠) وقيل قتله شيعة عثمان بفلسطين سنة ٣٦ هـ. (تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين) بتحقيقنا - ص ٦٠٢. انظر عنه في:

السير والمغازي لابن إسحاق ١٧٦ و ٢٢٣، والأخبار الموفّيات للزبير بن بكار ٣٠٠، والمحبّر لابن حبيب ١٠٤ و ٢٧٤، وتاريخ خليفة ٢٠١ و ٢٥٠، والتاريخ الصغير للبخاري ٨١/١، والأخبار الطوال لابن قتيبة ١٥٧، والمعارف له ١٩٥ و ٢٧٢، والمعرفة والتاريخ للفوسى ٥٠٨/٢، وفتوح البلدان للبلاذري ٢٦٩، وأنساب الأشراف له، ق ٤ ج ١/٥٣٩ - ٥٤١ و ٥٥٠ و ٤٩/٥ - ٥١ و ٦١، وتاريخ الطبري ٢٩١/٤ و ٢٩٢ و ٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٧٨ و ٣٩٩ و ٤٢١ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ١٠٥/٥ و ١٠٦، والولاء والقضاء للكندي ١٤، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٥٦ رقم ٣٩١، والاستيعاب لابن عبد البر ٣/٣٤١، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٧٧، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٣١٥، ٣١٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٤٧٩ - ٤٨١ رقم ١٠٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠١، ٦٠٢، والوافي بالوفيات ٢/٣٢٨، والعقد الثمين للقاضي الفاسي ١/٤٥٤، والإصابة لابن حجر ٣/٣٧٣، ٣٧٤ رقم ٧٧٦٧.

فوضعها محمد في المسجد ثم قال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ویرشوني عليه! فازداد أهل مصر تعظيماً له وطمعاً على عثمان، (وبایعوه علي ریاستهم)^(١)، فكتب إليه عثمان يذكره برّه به وتريته إياه وقيامه بشأنه، ويقول: إنك كفرت إحساني أحوج ما كنت إلى شركك. فلم يردّه ذلك عن ذمّه وتآليب الناس عليه، وحثهم على المسير إلى حضره، ومساعدة من يريد ذلك.

فلما سار المصريون إلى عثمان، أقام هو بمصر، وخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، (فاستولى عليها)^(٢) وضبطها، فلم يزل بها مقيماً حتى قُتل عثمان وبويع عليّ، واتفق معاوية وعمر بن العاص على خلاف عليّ، فسار إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد إليها أميراً، فأراد دخولها فلم يقدر على ذلك، فخدع^(٣) محمداً حتى خرج منها إلى العريش في ألف رجل، فتحصّن بها، فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل.

وهذا القول ليس بشيء، لأنّ عليّاً استعمل قيساً على مصر أوّل ما بويع له، ولو أنّ ابن أبي حذيفة قتله معاوية وعمر بن العاص قبل وصول قيس إلى مصر لاستوليا عليها، لأنّه لم يكن بها أمير يمنعها عنها، ولا خلاف أنّ استيلاء معاوية وعمر عليها كان بعد صفيّين، والله أعلم.

وقيل غير ذلك، وهو أنّ محمد بن أبي حذيفة سيّر المصريّين إلى عثمان، فلما حصروه أخرج محمداً عبد الله بن سعد عن مصر، وهو عامل عثمان، واستولى عليها، فنزل عبد الله على تخوم مصر، وانتظر أمر عثمان، فطلع عليه راكب فسأله، فأخبره بقتل عثمان، فاسترجع، وسأله عمّا صنع الناس بعده، فأخبره ببيعة عليّ، فاسترجع، فقال له: كأنّ إمرة عليّ تعدل عندك قتل عثمان! قال: نعم. قال: أظنك عبد الله بن سعد. فقال: نعم. فقال له: إن كانت لك في نفسك حاجة فالنّجاء النّجاء، فإنّ رأي أمير المؤمنين عليّ فيك وفي أصحابك إنّ ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفیکم، وهذا بعدي أمير يقدّم عليك. فقال: من هو؟ قال: قيس بن سعد بن عبادة. قال عبد الله بن سعد: أبعد الله محمداً بن أبي حذيفة، فإنّه بغى على ابن^(٤) عمّه وسعى عليه، وقد كفله وربّاه وأحسن إليه، فأساء جواره وجهّز إليه الرجال حتى قتل، ثمّ ولّى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان،

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٢) من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ر): «فخدع».

(٤) ساقطة من الأصل.

ولم يمتعه بسلطان بلاده شهراً، ولم يره لذلك أهلاً. وخرج عبد الله هارباً حتى قدم على معاوية^(١).

وهذا القول يدل على أن قيساً ولي مصر ومحمد بن أبي حذيفة حيّ، وهو الصحيح.

وقيل: إنَّ عمرًا سار إلى مصر بعد صيفين، فلقه^(٢) محمد بن أبي حذيفة في جيش، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه، فالتقيا واجتمعا، فقال له عمرو: إنَّه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل، يعني معاوية، وما أنا براض بكثير من أمره، وإني لأعلم أنَّ صاحبك علياً أفضل من معاوية نفساً وقديماً، وأولى بهذا الأمر، فواعِظني موعداً ألتقي معك فيه في غير جيش، تأتي في مائة وآتي في مثلها، وليس معنا إلا السيوف في القرب. فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش، ورجع عمرو إلى معاوية، فأخبره الخبر، فلما جاء الأجل سار كل واحد منهما إلى صاحبه في مائة، وجعل عمرو له جيشاً خلفه لينطوي خبره، فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره، فعلم محمد أنَّه قد غدر به، فدخل قصرًا بالعريش فتحصن به، فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيراً، وبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمّة محمد بن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة، فكانت تصنع له طعاماً ترسله إليه، فأرسلت إليه يوماً في الطعام مباد، فبرد بها قيوده وهرب، فاختم في غار، فأخذ وقتل، والله أعلم.

وقيل: إنَّه بقي محبوساً إلى أن قُتل حُجْر بن عديّ، ثم إنَّه هرب، فطلبه مالك بن هُبيرة السكوني، فظفر به فقتله غَضَباً لحُجْر، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حُجْر فلم يشفعه. وقيل: إنَّ محمد بن أبي حذيفة لما قُتل محمد بن أبي بكر خرج في جمع كثير إلى عمرو (فأمنه عمرو)^(٣)، ثم غدر به وحمله إلى معاوية بفلسطين فحبسه، ثم إنَّه هرب، فأظهر معاوية للناس أنَّه كره هربه وأمر بطلبه، فسار في أثره عُبيد الله بن عمرو بن ظَلَام الخثعمي، فأدركه بحوران في غار، وجاءت حُمُر تدخل الغار، فلما رأت محمداً نفرت منه، وكان هناك ناس يحصدون، فقالوا: والله إنَّ لِنِفرة هذه الحُمُر لَشَأناً. فذهبوا إلى الغار فأروه، فخرجوا من عنده، فوافقهم^(٤) عُبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم، فقالوا:

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٤٦، ٥٤٧.

(٢) في الأصل «فأتمه».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) في الأصل «فلاقاهم».

هو في الغار، فأخرجه وكره أن يأتي به معاوية فيخلّي سبيله، فضرب عنقه، وكان ابن خال معاوية.

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وفي هذه السنة في صفر بعث عليّ قيس بن سعد أميراً على مصر، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ وكان من ذوي الرأي والبأس، فقال له: سرّ إلى مصر فقد وليتكها، واخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جُند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعزّ لوليك، وأحسن إلى المحسن، واشتدّ على المريب، وارفقّ بالعامّة والخاصّة، فإن الرفق يُمن. فقال له قيس: أمّا قولك: اخرج إليه بجُند، فوالله لئن لم أدخلها إلّا بجُند آتيتها^(١) به من المدينة لا أدخلها أبداً، فإنا أدع ذلك الجُند لك، فإن كنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عُدة. فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدّم ذكره، فصعد المنبر فجلس عليه، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقريء على أهل مصر بإمارته، ويأمرهم بمبايعته ومساعدته وإعانتته على الحق^(٢)، ثم قام قيس خطيباً وقال:

الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبّت الظالمين، أيّها الناس إنّنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا ﷺ فقوموا أيّها الناس فبايعوه على كتاب الله وسُنّة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر، وبعث عليها عمّاله إلّا قرية منها يقال لها خرنبا^(٣) فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان، عليهم رجل من بني كِنانة، ثم من بني مُدلاج اسمه يزيد^(٤) بن الحارث، فبعث إلى قيس يدعو إلى الطلب بدم عثمان. وكان مُسلمة بن مُخلّد قد أظهر الطلب أيضاً بدم عثمان، فأرسل إليه قيس: ويحك أعليّ تيب! فوالله ما أحب أن لي مُلك الشام إلى مصر، وأني قتلتك! فبعث إليه مُسلمة: إنّني كافّ عنك ما دمت أنت والي مصر.

وبعث قيس، وكان حازماً، إلى أهل خرنبا: إنّني لا أكرهكم على البيعة، وإنّي كافّ عنكم؛ فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد ينازعه، وخرج أمير المؤمنين إلى الجمل

(١) في النسخة (ي): «أتيتها».

(٢) أنظر نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ٥٤٨/٤، ٥٤٩.

(٣) تقدّم التعريف بها في هذا الجزء. ويقال: خرنبا.

(٤) في الأصل ونسخة (ي): «زيد».

ورجع وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام، ومخافة أن يُقبل عليّ في أهل العراق، وقيس في أهل مصر، فيقع بينهما معاوية، فكتب معاوية إلى قيس:

سلام عليك، أما بعد فإنكم نَقَمْتُمْ على عثمان ضربةً بسَوطٍ أو شتِمةً^(١) رجل أو نسيير^(٢) آخر واستعمال فتى، وقد علمتم أن دمه لا يحلّ لكم، فقد ركبتم عظيمًا، وجئتم أمرًا إذاً، فتبّ إلى الله يا قيس، فإنك من المُجلبين على عثمان، فأما صاحبك فإنّا استيقنا أنه الذي أغرى [به] الناس وحملهم حتى قتلوه، وإنّه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يُطالب بدم عثمان فافعل، وتابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراقيين إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسَلّني ما شئت، فإنّي أعطيك واكتب إليّ برأيك.

فلما جاءه الكتاب أحبّ أن يدافعه ولا يُبدي له أمره، ولا يتعجل إلى حربه، فكتب إليه: أما بعد فقد فهمت ما ذكرته من قتلة^(٣) عثمان، فذلك شيء لم أقاربه، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه، وهذا ممّا لم أطلع عليه، وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم [من دم عثمان]، فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتي، وأما ما عرضته من متابعتك، فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا ممّا يسرّع إليه، وأنا كافّ عنك، وليس يأتيتك من قبلي شيء تكرهه، حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى.

فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقارباً مباعدًا، فكتب إليه:

أما بعد فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً، ولا مُتباعداً فأعدك حرباً، وليس مثلي^(٤) يصانع المخادع وينخدع للمكايد، ومعه عدد الرجال وبيده [أعنة الخيل]، والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه، ورأى أنه لا يفيد معه المدافعة والمماطلة، أظهر له ما في نفسه، فكتب إليه: أما بعد فالعجب من اغترارك بي، وطمعك فيّ، واستسقاطك إياي، أتسومني الخروج عن طاعة أولي الناس بالإمارة، وأقولهم^(٥) بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة، وتأمرنى بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من:

(١) في الأصل «شيعته».

(٢) في الطبعة الأوربية «نسيير».

(٣) في تاريخ الطبري ٥٥١/٤ «قتل».

(٤) في الطبعة الأوربية «مثل».

(٥) في النسخة (ب): «وأقودهم».

هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله ﷺ وسيلة، ولدّ ضالّين مُضِلّين، طاغوتٍ من طواغيت إبليس! وأمّا قولك إنّي مالىء عليك مصر خيلاً ورجالاً^(١)، فوالله إنّ لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهمّ إليك إنك لذو جدّ، والسلام.

فلما رأى معاوية كتابه أيس منه وثقل عليه مكانه، ولم تنجع حيّله فيه، فكاده من قبل عليّ، فقال لأهل الشام: لا تسبّوا قيس بن سعد، ولا تدعوا إلى غزوه، فإنّه لنا شيعة، قد تأتينا كُتبه ونصيحته^(٢) سرّاً، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربنا، يُجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويحسن إليهم! وافتعل كتاباً عن قيس إليه بالطلب بدم عثمان، والدخول معه في ذلك، وقرأه على أهل الشام.

فبلغ ذلك عليّاً، أبلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، وأعلمته عيونه بالشام، فأعظمه وأكبره، فدعا ابنه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك. فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين دُع ما يريك إلى ما لا يريك، اعزل قيساً عن مصر. فقال عليّ: إنّي والله ما أصدّق بهذا عنه. فقال عبد الله: اعزله، فإن كان هذا حقّاً لا يعتزل لك. فإنهم كذلك إذ جاءهم كتاب من قيس يخبر أمير المؤمنين بحال المعتزلين وكفّه عن قتالهم. فقال ابن جعفر: ما أخوفني أن يكون ذلك ممالةً منه، فمُرّه بقتالهم. فكتب إليه يأمره بقتالهم، فلما قرأ الكتاب كتب جوابه: أمّا بعد فقد عجبْتُ لأمرني بقتال قوم كافّين عنك مفرّغيك لعدوك! ومتى حاددناهم^(٣) ساعدوا عليك عدوك، فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم، فإنّ الرأي تركهم، والسلام. فلما قرأ عليّ الكتاب قال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر واعزل قيساً، فقد بلغني أنّ قيساً يقول: إنّ سلطاناً لا يستقيم إلّا بقتل مُسلّمة بن مُخلّد لسلطان سوء.

وكان ابن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمّه؛ فبعث عليّ محمد بن أبي بكر إلى مصر، وقيل: بعث الأشتر النخعيّ، فمات بالطريق، فبعث محمداً، فقدم محمد على قيس بمصر، فقال له قيس: ما بال أمير المؤمنين؟ ما غيره^(٤)؟ أدخل أحد بيني وبينه؟ قال: لا، وهذا السلطان سلطانك. قال: لا والله لا أقيم. وخرج منها مقبلاً إلى المدينة وهو غضبان لعزله، فجاءه حسن بن ثابت، وكان عثمانياً، يشمت به، فقال له: قتلت عثمان ونزعك عليّ، فبقي عليك الإثم، ولم يُحسن لك الشكر! فقال له قيس: يا أعمى

(١) في تاريخ الطبري ٥٥١/٤ «ورجلاً».

(٢) في تاريخ الطبري ٥٥٢/٤: «يأتينا كيّس نصيخته سرّاً».

(٣) في الأصل «صاددناهم».

(٤) في النسخة (ي): «أغره».

القلب والبصر^(١)! والله لولا أن ألقى بين رَهْطِي ورَهْطِكَ حرباً لضربتُ عنقك^(٢)! اخرج عني! ثم أخاف مروان بن الحَكَم قيساً بالمدينة، فخرج منها هو وسهل^(٣) بن حُنيف إلي علي، فشهدا معه صِفَيْن. فكتب معاوية إلى مروان يتغيّظ عليه ويقول: لو أمددت علياً بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه.

فلما قدم قيس علي علي وأخبره الخبر، علم أنه كان يقاسي أموراً عظماً من المكايدة، وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر، فعظم محلّ قيس عنده، وأطاعه في الأمر كله، ولما قدّم محمد مصرَ قرأ كتاب علي على أهل مصر، ثم قام فخطب فقال:

الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصّرنا وإياكم كثيراً ممّا كان عمي عنه الجاهلون. ألا إن أمير المؤمنين ولأني أمركم، وعهد إليّ ما سمعتم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله، فاحمدوا الله على ما كان من ذلك، فإنه هو الهادي له، وإن رأيتم عاملاً لي عمل بغير الحقّ فارفعوه إليّ وعاتبوني فيه، فإنّي بذلك أسعد، وأنتم [بذلك] جديرون، وقفنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته.

ثم نزل، ولبث شهراً كاملاً، حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس، فقال لهم: إمّا أن تدخلوا في طاعتنا وإمّا أن تخرجوا عن بلادنا. فأجابوه: إنّنا لا نفعل، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا، فلا تعجل لحربنا. فأبى عليهم، فامتنعوا [منه] وأخذوا جذرهم، فكانت وقعة صِفَيْن وهم هائبون لمحمد.

فلما رجع عليّ عن معاوية، وصار الأمر إلى التحكيم، طمعوا في محمد، وأظهروا له المباراة، فبعث محمد الحارث بن جُمهان الجُعفيّ إلى أهل خربنا، وفيها يزيد بن الحارث مع بني كِنانة ومن معه، فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه. فبعث محمد إليهم أيضاً ابن مَضاهم الكلبيّ فقتلوه^(٤).

وقد قيل: إنّ جري بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهتُ ذكرها، فإنّها ممّا لا يحتمل سماعها العامة.

وفيها قدّم أبراز^(٥) مرزبان مرو إلى عليّ بعد الجمل مُقِرّاً بالصلح، فكتب له كتاباً

(١) في الأصل والنسخة (ي): «والبصرة».

(٢) في الأصل زيادة «قم».

(٣) في الأصل «سهيل».

(٤) الخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٥٤٦/٤ - ٥٥٧، وانظر: كتاب الولاة والفضة للكندي ٢٠ - ٢٢.

(٥) في النسخة (ي): «ابراه بن»، وفي الأصل ونسخة المتحف البريطاني «ابرا بن». وفي تاريخ الطبري ٥٥٧/٤ «ماهو به أبراز» وكذلك في تاريخ يعقوبي.

إلى دهاقين مَرَوْ، والأساورة، وَمَنْ بمرو، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَغْلَقُوا نَيْسَابُورَ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ خُلَيْدَ بْنَ قُرَّةَ، وَقِيلَ: ابن طريف^(١) اليربوعي، إلى خراسان^(٢).

ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له^(٣)

قيل: كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة، قبل أن يُقتل عثمان، نحو فلسطين.

وسبب ذلك أنه لما أحيط بعثمان قال: يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله بذلٍّ، من لم يستطع نصره فليهرب. فسار، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم. وسار معه ابنه عبد الله ومحمد، فسكن فلسطين، فمرّ به راكب من المدينة، فقال له عمرو: ما اسمك؟ قال: حَصِيرَة. قال عمرو: حَصِر الرجل! فما الخبر؟ قال: تركتُ عثمان محصوراً. ثم مرّ به راكب آخر بعد أيام فقال له عمرو: ما اسمك؟ قال: قَتَال. قال: قُتل الرجل! فما الخبر؟ قال: قُتل عثمان، ولم يكن^(٤) شيء إلى أن سرت. ثم مرّ به راكب من المدينة، فقال له عمرو: ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون^(٥) حرب، وقال له: ما الخبر؟ فقال: بايع الناس عليّاً. فقال سلم^(٦) بن زبّاع: يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فُكسر، فاتخذوا باباً غيره. فقال عمرو: ذلك الذي نريده. ثم ارتحل عمرو راجلاً معه ابنه يبكي كما تبكي المرأة، وهو يقول: واعثماناه! أنعى الحياء والذين! حتى قديم دمشق، وكان قد علم الذي يكون فعمل عليه، لأن النبي ﷺ كان قد بعثه إلى عُمان، فسمع من حَبْرٍ هناك شيئاً عرف مصداقه، فسأله عن وفاة النبي ﷺ ومن يكون بعده، فأخبره بأبي بكر، وأن مدّته قصيرة، ثم يلي بعده رجل من قومه مثله تطول مدّته ويُقتل غيلة، ثم يلي بعده رجل من قومه تطول مدّته، ويُقتل عن^(٧) ملا، قال: ذلك أشد^(٨) ثم يلي بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه، ويكون على رأسه حرب شديدة، ثم يُقتل قبل أن يجتمع الناس عليه، ثم يلي بعده أمير الأرض المقدّسة، فيطول مُلكه، وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة، ثم يموت^(٩).

(١) في النسخة (ي): «طوبى».

(٢) الطبري ٥٥٧/٤، ٥٥٨، تاريخ البقوي ١٨٤/٢.

(٣) في النسخة (ي): «مبايعته».

(٤) في الأصل والنسخة (ي) زيادة «له».

(٥) في الطبعة الأوربية «ليكون».

(٦) في النسخة (ي): «مسلم».

(٧) في الأصل «على».

(٨) في الطبعة الأوربية «أشتر».

(٩) تاريخ الطبري ٥٥٨/٤ - ٥٦٠.

وقيل: إِنَّ عَمراً لما بلغه قَتْلُ عثمان قال: أنا أبو عبد الله، أنا قتلته، وأنا بوادي السباع، إن يَلِ هذا الأمر طُلحة فهو فتى العرب سَيِّئاً^(١)، وإن يِلَهُ^(٢) ابن أبي طالب فهو أكره من يليه إليّ. فبلغه بيعة عليّ، فاشتدّ عليه، وأقام ينتظر ما يصنع الناس، فأثابه مسيرُ عائشة، وطلحة، والزبير، فأقام ينتظر ما يصنعون، فأثابه الخبر بوقعة الجمل، فأرتج عليه أمره، فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليّاً، وأنه يُعظّم شأن عثمان، وكان معاوية أحبّ إليه من عليّ، فدعا ابنه عبد الله ومحمداً، فاستشارهما وقال: ما تَرَيَان؟ أما عليّ فلا خير عنده، وهو يُدِلُّ بسابقتها، وهو غير مُشركي في شيء من أمره. فقال له ابنه عبد الله: تُوَفِّي النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون، فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس [على إمام فتبايعه]. وقال له ابنه محمد: أنت نابٌ من أنياب العرب، ولا أرى أن (يجتمع هذا الأمر)^(٣) وليس لك فيه صوت. فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله، فأمرتني بما هو خير لي [في آخرتي، وأسلم لي] في ديني، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنيائي، وشرّ لي في آخرتي. ثم خرج ومعه ابناه حتى قدِم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، وقال عمرو: أنتم على الحقّ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يلتفت إليه، فقال لعمرو ابناه: ألا ترى معاوية لا يلتفت إليك؟ فانصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال له: واللّه لَعَجَبٌ لك! إنّي أرفدك بما أرفدك وأنت مُعرض عني، [أما واللّه] إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس [من ذلك] ما فيها، حيث تقاتل من تعلم سابقتها وفضله وقرابته، ولكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه^(٤).

ذكر ابتداء وقعة صِفّين^(٥)

لما عاد عليّ من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة، وأرسل إلى جرير بن

(١) في الأصل والنسخة (ي): «سَيِّئاً».

(٢) في الطبعة الأوربية «يليه».

(٣) في الأصل «تجتمع العرب».

(٤) تاريخ الطبري ٥٦٠/٤، ٥٦١.

(٥) انظر عن وقعة صِفّين في:

تاريخ خليفة ١٩١ - ١٩٧، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٧٥ وما بعدها، والأخبار الطوال ١٥٥ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٥٦١/٤ وما بعدها، ومروج الذهب ٣٨٤/٢ وما بعدها، والفتوح لابن أعمش ٣٤٤/٢ وما بعدها، والعقد الفريد ٣٣٧/٤ وما بعدها، ونهاية الأرب ١٠٠ وما بعدها، وقعة صِفّين لابن مزاحم، ومراة الجنان ١٠٠/١ وما بعدها، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣٧ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١٧٥/١ وما بعدها، والمعرفة =

عبد الله البَجَلِيّ، وكان عاملاً على همدان استعمله عثمان، وإلى الأشعث بن قيس، وكان على أذَرَبِيجان استعمله عثمان أيضاً، يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده، فلما حضرا عنده أراد عليّ أن يرسل رسولاً إلى معاوية، قال جرير: أرسلني إليه، فإنه لي ودّ^(١). فقال الأشر: لا تفعل فإنّ هواه مع معاوية. فقال عليّ: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به. فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته (ونكت طلحة والزبير وحربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته)^(٢).

فسار جرير إلى معاوية، فلما قديم عليه ماطله واستنظره واستشار عمراً، فأشار عليه أن يجمع أهل الشام، ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم، ففعل معاوية ذلك، وكان أهل الشام لما قديم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخضوباً بالدم بأصابع زوجته نائلة، إصبعان منها وشيء من الكفّ وإصبعان مقطوعتان من أصولهما، ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر، وجمع الأجناد إليه، فبكوا على القميص مدّة وهو على المنبر، والأصابع معلقة فيه، وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسّهم الماء إلّا للغسل من الجنابة، وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن قام دونهم قتلوه. فلما عاد جرير إلى أمير المؤمنين عليّ، وأخبره خبر معاوية، واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبيكون على عثمان ويقولون: إنّ علياً قتله وأوى قتلته، وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه، قال الأشر لعليّ: قد كنت نهيّك أن ترسل جريراً، وأخبرتكَ بعداوته وغشّه، ولو كنت أرسلتني لكان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو^(٣) فتحه إلّا فتحه، ولا باباً يخاف^(٤) منه إلّا أغلقه. فقال جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان. فقال الأشر: واللّه لو أتيتهم لم يُعيني^(٥) جوابهم ولحمّلت معاوية على خطّة أعجله فيها عن الفِكر، ولو أطاعني [فيك] أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك حتى يستقيم هذا الأمر. فخرج جرير إلى قرقيسيا وكتب إلى

= والتاريخ ٣١٣/٣ - ٣١٥، والمحاسن والمساوي للبيهقي ٤٥ و ٥٢ - ٥٤، والبداء والنهاية ٢٥٣/٧ وما بعدها، تاريخ ابن خلدون (الملحق من الجزء الثاني) ١٦٩ وما بعدها، والبدء والتاريخ ٢١٧/٥ - ٢٢١، ومآثر الإنافة ١٠٢/١، ١٠٣، ومعجم البلدان ٤١٤/٣، ٤١٥.

(١) في الأصل زيادة «معه».

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٣) في الطبعة الأوربية «نرجو».

(٤) في الطبعة الأوربية «نخاف».

(٥) في الأصل «يعشني».

معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه^(١).

وقيل: كان الذي حمل معاوية على ردّ جرير البجلي غير مقضي^(٢) الحاجة شُرْحِبِيل بن السَّمْط الكِنْدِيّ.

وكان سبب ذلك أن شُرْحِبِيلاً كان قد سيّره عمر بن الخطّاب إلى العراق إلى سعد بن أبي وقّاص وكان معه، فقدّمه سعد وقربّه، فحسده الأشعث بن قيس الكِنْدِيّ لمنافسة بينهما، فوفد جرير البجليّ على عمر، فقال له الأشعث: إنّ قدرت أن تنال من شُرْحِبِيل عند عمر فافعل. فلمّا قديم على عمر سأله عمر عن الناس، فأحسن الثناء على سعد، قال: وقد قال شعراً:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك وزبّراً وابن السّمط في لُجّة البحر
فيغرق أصحابي وأخرج سالماً على ظهر قُرْقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يرسل زبّراً وشُرْحِبِيلاً إليه، فأرسلهما، فأمسك زبّراً بالمدينة وسيّر شُرْحِبِيلاً إلى الشام، فشرف وتقدّم، وكان أبوه السّمط من غزّة^(٣) الشام. فلمّا قديم جرير بكتاب عليّ إلى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شُرْحِبِيل، فلمّا أقدم عليه أخبره معاوية بما قديم فيه جرير، فقال: كان أمير المؤمنين عثمان خليفتنا، فإنّ قويت على الطلب بدمه، وإلاّ فاعتزلنا. فانصرف جرير، فقال النّجاشي:

شُرْحِبِيل^(٤) ما للدين فارت أمرنا ولكن لبغض المالكيّ جرير
وقولك ما قد قلت عن أمرٍ أشعث فأصبحت كالحادي بغير بغير^(٥)

(جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، فنسب إلى جدّه مالك)^(٦).

وخرج عليّ فعسكر بالنخيلة، وتخلّف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مُرّة^(٧) الهمدانيّ، ومسروق، أخذوا أعطياتهما وقصدا قزوين، فأما مسروق فإنّه كان يستغفر الله

(١) تاريخ الطبري ٥٥٨/٤ - ٥٦٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «مقتضى».

(٣) في الطبعة الأوربية، «غزي».

(٤) في كتاب الفتوح لابن أعمش ٤٠٢/٢ «أيا شرح».

(٥) ورد البيت في حاشية كتاب الفتوح مع أبيات أخرى:

وشحناء ذنب كان منه إليكم وأصبحت كالحادي
(ج ٤٠٢/٢، ٤٠٣).

(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٧) في النسخة (ر): «هبرة».

من تخلفه عن عليّ بصّفين، وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة، وبلغ ذلك معاوية، فاستشار عمراً، فقال: أما إذا سار عليّ فسير إليه بنفسك، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك. فتجهّز معاوية وتجهّز الناس وحضّهم عمرو وضعّف عليّاً وأصحابه وقال: إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمّعهم، ووهّنوا شوكتهم، وفلّوا حدّهم، وأهل البصرة مخالفون لعليّ بمن قُتل منهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنّما سار عليّ في شزيمة^(١) قليلة، وقد قُتل خليفتم، واللّه اللّه في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تطلّوه^(٢)! وكُتِب معاوية أهل الشام، وعقد لواء لعمرو، ولواء لابنيه عبد الله ومحمد، ولواء لغلامه وردان. وعقد عليّ لواء لغلامه قنبر، فقال عمرو:

هَلْ يُغْنِيَنَّ وَرْدَانُ عَنِّي قَنْبَرًا وَتُغْنِيَنَّ^(٣) السَّكُونُ عَنِّي جَمِيرًا
إِذَا الْكُمَاةُ لَيْسُوا السَّنُورَا^(٤)

بلغ ذلك عليّاً فقال:

لَأُصِحِّنَّ الْعَاصِيَّ ابْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي
مَجْنُونِينَ الْخَيْلَ بِالْقِلَاصِ مُسْتَحْقِبِينَ حَلَقَ الدَّلَاصِ^(٥)

فلما سمع معاوية ذلك قال: ما أرى عليّاً^(٦) إلّا وقد وفي لك. وسار معاوية وتأنّى في مسيره، فلما رأى ذلك الوليد بن عتبة بعث إليه يقول:

أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ مُلِيمٍ^(٧)
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّيِّدِ^(٨) الْمُعْنَى تُهَدَّرُ فِي دِمَشْقٍ فَمَا تَرِيمُ
وإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ^(٩)

(١) في الأصل: «شيعه».

(٢) في الأصل «تطلقوه».

(٣) في الطبعة الأوربية «أو تغني».

(٤) في النسخة (ي): «الأسود»، وفي نسخة المتحف البريطاني «المسورا».

(٥) الدلاص: الدروع.

(٦) في الأصل «شيثا». وفي تاريخ الطبري: «ما أرى ابن أبي طالب».

(٧) المليم: من أتى أمراً يلام عليه. وفي العقد الفريد: كتاباً من أخي ثقة يلوم.

(٨) السّيد: الذي يرغب عن فعلته فيحال بينه وبين الآفة، ويفيد إذا هاج فيرعى حوالي الدار، وإن صال جعل له حجام يمنعه من فتح فمه. (مادة: سيد).

(٩) قال ابن منظور في لسان العرب، في مادة: الحلمة: دودة تقع في الجلد فتأكله، فإذا دبغ وهى موضع الأكل فبقي رقيقاً.

قال الوليد بن عتبة بن أبي عتبة من أبيات يحضّ فيها معاوية على قتال عليّ عليه السلام، ويقول له: أنت =

يُمْنِيكَ^(١) الإِمَارَةَ^(٢) كُلُّ رَكْبٍ
وليس أخو التُّرابِ بمن تَوَانِي
ولو كنتَ القَتِيلَ وكانَ حَيًّا
ولا نَكِيلٌ^(٣) عن الأوتارِ حتَّى
وقومُكَ بالمدينةِ قد أَيْرُوا^(٤)

فكتب إليه معاوية :

وَمُسْتَعِجٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أُنَاتِنَا^(١) وَلَوْ زَبَنَتْهُ^(٢) الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرْ^(٣)

وبعث عليّ زياد بن النضر الحارثي طليعةً في ثمانية آلاف، وبعث معه شريح بن هانئ [في] أربعة آلاف^(١)، وسار عليّ من النخيلة، وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة، وولّى على المدائن سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد الثقفي. ولما سار عليّ كان معه نابغة بني^(٢) جَعْدَةَ، فحدا به يوماً فقال :

قَدْ عَلِمَ الْمِصْرَانِ وَالْعِرَاقُ أَنَّ عَلِيًّا فَحَلَّهَا الْعُتَاقُ

= تسعى في إصلاح أمر قد تمّ فساده كهذه المرأة التي تدع الأديم الجليم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبتّه وأفسدته فلا يُنتفع به .

(١) في الطبعة الأوربية «يُمْنِيكَ» .

(٢) في الأصل «تمنيك الأمانى» .

(٣) في النسخة (ي) : «النزه القديم»، وفي نسخة المتحف البريطاني : «الثرة القديم». وورد البيت في الطبعة الأوربية على هذا النحو :

وليس أخو التراب بمن تولى ولكن طالبُ النَّزه الغشومُ

(٤) في تاريخ الطبري ٥٦٤/٤ «ولا سَوم»، وفي لسان العرب «ولو كان القتيل» .

(٥) في الأصل «ولا يكمل» .

(٦) في الطبعة الأوربية «بني» .

(٧) هذا البيت لم يرد في لسان العرب .

(٨) في الأصل : «أغبروا»، وفي لسان العرب «قد تردوا» .

(٩) تاريخ الطبري ٢٨٠/٤، لسان العرب (مادة: حلم)، والبيتان الأول والثاني في العقد الفريد ٣٣٧/٤، والأبيات كلها في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٩٠، ٢٩١ بتقديم وتأخير واختلاف بعض الألفاظ .

(١٠) في الأصل «أماننا» . وفي أنساب الأشراف : «لا ترعوي من إيابنا» .

(١١) في الأصل «زيتته»، وفي النسخة (ي) : «رثيته» .

(١٢) تاريخ الطبري ٥٦٤/٤، وأنساب الأشراف ٢٩١ ونسبه إلى أوس بن حجر التميمي، وديوان أوس ٢٧، ولسان العرب ١٤٧/١٥، ومقاييس اللغة ٣٨٠/٢ .

(١٣) ما بين القوسين من النسخة (ر) .

(١٤) في الطبعة الأوربية «ابن» .

أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ^(١) لَهُ رُواقٌ إِنَّ الْأُولَى جَارَوْكَ لَا أَفَاقُوا
لَكُمْ سَبَاقٌ وَلَهُمْ سَبَاقٌ قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَمُ الرِّفَاقُ

ووجه عليّ من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة ألف، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة، فلما وصل إلى الرقة قال لأهلها ليعملوا له جسراً يعبر عليه إلى الشام، فأبوا، وكانوا قد ضموا سفنهم إليهم، فنهض من عندهم ليعبر عليّ جسر منبج، وخلف عليهم الأشتر، فناداهم الأشتر وقال: أقسم بالله لئن لم تعملوا جسراً يعبر عليه أمير المؤمنين لأجردن فيكم السيف، ولأقتلن الرجال، ولأخذن الأموال! فلقى بعضهم بعضاً وقالوا: إنه الأشتر، وإنه قمن أن يفي لكم بما حلف عليه، أو يأتي بأكثر منه. فنصبوا له جسراً وعبر عليه عليّ وأصحابه، وازدحموا عليه، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين الأزدي، فنزل فأخذها ثم ركب، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الأزدي، فنزل فأخذها، ثم قال لصاحبه:

فإن يك ظنّ الزّاجري الطير صادقاً كما زعموا أقتل وشيكاً وتُقتل^(٢)
فقال ابن أبي الحصين: ما شيء أحبّ إليّ ممّا ذكرت! فقتلا جميعاً بصفين.

ولما بلغ عليّ الفرات دعا زياد بن النضر الحارثي، وشريح بن هانئ فسرّحهما أمامه (في اثني عشر ألفاً)^(٣) نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة. وكان سبب عودهما إليه أنهما حيث سيّرها عليّ من الكوفة أخذوا على شاطئ الفرات ممّا يلي البر. فلما بلغا عانات بلغهما أن معاوية قد أقبل في جنود الشام، فقالا: لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خير في أن نلقى جنود الشام بقلة من معنا. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها. فرجعوا فعبروا من هيت، فلحقوا عليّاً دون قرقيسيا، فلما لحقوا عليّاً قال: مقدّمتي تأتيني من ورائي. فأخبره شريح وزياد بما كان، فقال: سدّدتما. فلما عبر الفرات سيّرها أمامه، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام، فأرسلوا إلى عليّ فأعلماه، فأرسل عليّ إلى الأشتر وأمره بالسرعة وقال له: إذا قدمت فأنت عليهم، وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم، ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم، والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً، ولا تدنّ منهم دُنُو من يريد أن يُشَبّ الحرب، ولا تباعدُ منهم تباعدُ من يهاب

(١) عن حاشية الأصل.

(٢) في الطبعة الأوربية «ويقتل».

(٣) ما بين القوسين من نسخة (ر).

البأس^(١) حتى أقدم عليك فإنني حثيث المسير في إثرك إن شاء الله تعالى . وكتب عليّ إلى شريح وزياذ بذلك وأمرهما بطاعة الأشر.

فسار الأشر حتى قديم عليهم، وأتبع ما أمره وكفّ عن القتال، ولم يزلوا متواقفين حتى [إذا] كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي، فبثتوا له واضطربوا ساعة، ثم انصرف أهل الشام وخرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتتلوا يومهم، وصبر بعضهم لبعض، ثم انصرفوا، وحمل عليهم الأشر وقال: أروني أبا الأعور؛ وتراجعوا^(٢)، ووقف أبو الأعور وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الأشر فصصف أصحابه بمكان أبي الأعور بالأمس، فقال الأشر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعُهُ إلى البراز. فقال: إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال الأشر: لو أمرتك بمبارزته فعلت^(٣)؟ قال: نعم، والله لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت! فدعا له وقال: إنما تدعوه لمبارزتي. فخرج إليهم فقال: آمِنوني فإنني رسول، فأمنوه، فانتهى إلى أبي الأعور وقال له: إن الأشر يدعوك إلى أن تبارزه، فكست طويلاً ثم قال: إن خفة الأشر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمّال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه، وعلى أن سار إليه في داره حتى قتله، فأصبح متبعاً بدمه لا حاجة لي في مبارزته. قال له الرسول: قد قلت فاسمع مني أجبك. قال: لا حاجة لي في جوابك، إذهب عني! فصاح به أصحابه، فانصرف عنه ورجع إلى الأشر فأخبره، فقال: لنفسه نظر. فوقفوا حتى حجز الليل بينهم، وعاد الشاميون من الليل، وأصبح عليّ غدوة عند الأشر، وتقدم الأشر ومن معه فانتهى إلى معاوية فواقفه، ولحق بهم عليّ فتواقفوا طويلاً^(٤).

ثم إن عليّاً طلب لعسكره موضعاً ينزل فيه، وكان معاوية قد سبق، فنزل منزلاً اختاره بسيطاً واسعاً أفيح^(٥)، وأخذ شريعة الفرات، وليس في ذلك الصُّقّ شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الأعور السلمي يحميها ويمنعها، فطلب أصحاب عليّ شريعة غيرها فلم يجدوا، فأتوا عليّاً فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس، فدعا صعصعة بن صُوحان، فأرسله إلى معاوية يقول له: إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، ونحن من رأينا الكفّ حتى

(١) في الأصل والنسخة (ي): «الناس».

(٢) في النسخة (ي): «وتزاحفوا».

(٣) في الطبعة الأوربية «لفعلت».

(٤) الطبري ٥٦٥/٤ - ٥٦٨.

(٥) في النسخة (ي) «افسح»، وفي النسخة (ر): «افتح».

ندعوك ونحتج عليك^(١)، وهذه أخرى قد فعلتموها، منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين^(٢)، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء، وليكفّوا لننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدّمنا له، فإن أردت أن نترك ما جئنا له، ونقتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعّلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عُقبة وعبد الله بن سعد: امنعهم الماء كما منعوه ابنَ عَفّان، اقتلهم عطشاً قتلهم الله! فقال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء، وإنهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن بغير الماء، فانظر فيما بينك وبين الله. فأعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالوا: امنعهم الماء^(٣) إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماء منعه الله [أيّاه] يوم القيامة! قال صعصعة: إنّما يمنعه الله الفَجْرَةَ وشَرِبَةَ الخمر، لعنك الله ولعن هذا الفاسق! يعني الوليد بن عُقبة. فشتموه وتهّدّوه.

وقد قيل: إنّ الوليد وابن أبي سرح لم يشهدا^(٤) صفين.

فرجع صعصعة فأخبره بما كان، وأنّ معاوية قال: سيأتيكم رأيي^(٥)، فسرّب^(٦) الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء، فلمّا سمع عليّ ذلك قال: قاتلوهم على الماء. فقال الأشعث بن قيس الكِنْدِيّ: أنا أسير إليهم. فسار إليهم، فلمّا دنوا منهم ثاروا في وجوههم، فرمواهم بالنبل، فتراموا ساعة ثمّ تطاعنوا بالرماح، ثمّ صاروا إلى السيوف، فاقتتلوا ساعة، وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجليّ القسريّ، جدّ خالد بن عبد الله القسريّ، في الخيل إلى أبي الأعور، فأقبلوا^(٧)، فأرسل عليّ شبّث بن ربعيّ الرياحيّ، فازداد القتال، فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جُنْدٍ كثير، فأخذ يمدّ أبا الأعور ويزيد بن أسد، وأرسل عليّ الأشتر في جمعٍ عظيم وجعل يمدّ الأشعث وشبّثاً، فاشتدّ القتال، فقال عبد الله بن عوف الأزديّ الأحمرّي:

خَلُّوا لَنَا مَاءَ الْفَرَاتِ الْجَارِي
أَوْ اثْبُتُوا لَجَحْفَلٍ جَرَّارٍ
لِكُلِّ قَرْمٍ مُسْتَمِيتٍ شَارِي
مُطَاعِنٍ بِرُمَحِهِ كَرَّارٍ

(١) في الطبعة الأوربية «علينا».

(٢) في الأصل «منهين».

(٣) في الأصل زيادة «وإن»، وفي النسخة (ي) وانظر.

(٤) في الطبعة الأوربية «يشهدوا».

(٥) في الطبعة الأوربية «رأي».

(٦) في الأصل «وفرت» وفي النسخة (ي): «فبرزت».

(٧) في الأصل والنسخة (ي): «فاقتتلوا».

ضَرَابِ هَامَاتِ الْعِدَى مِغْوَارٍ^(١) (لم يخشَ غيرَ الواحدِ القَهَّارِ)^(٢)

وقَاتَلُوهم حتى خَلَوْا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليٍّ، فقالوا: والله لا نسقيه أهل الشام! فأرسل عليٌّ إلى أصحابه: أَنْ خَذُوا من الماء حاجتكم وخلَّوْا عنهم، فَإِنَّ الله نصركم ببغيهم وظُّلمهم. ومكث عليٌّ يومين لا يرسل إليهم أحداً ولا يأتيه أحد، ثُمَّ إِنَّ عليّاً دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن مِخْصَن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشَبَّث بن رَبِيعي التميمي، فقال لهم: اثبتوا هذا الرجل وأدعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة. فقال له شَبَّث: يا أمير المؤمنين ألا تُطمعه في سلطان تَوَلَّيه إِيَّاه، أو منزلة تكون له بها أثره عندك إِنَّ هو بايعك؟ قال: انطلقوا إليه واحتجُّوا عليه، وانظروا ما رأيته. وهذا في أوَّل ذي الحِجَّة. فأتوه فدخلوا عليه، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إِنَّ الدنيا عنك زائلة، وإنَّك راجع إلى الآخرة، وإنَّ الله مُحَاسِبُكَ بعملك ومُجَازِيكَ عليه، وإنِّي أَنشدك الله أن تفرِّق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها.

فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلاً أوصيتَ بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرو: إِنَّ صاحبي ليس مثلك، إِنَّ صاحبي أحقُّ البرية كلها بهذا الأمر، في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقَرابة بالرسول ﷺ. قال: فماذا يقول؟ قال: يأمرُك بتقوى الله (وأن تجيب)^(٣) ابنَ عَمِّكَ إلى ما يدعوك إليه من الحقِّ، فَإِنَّه أسلم لك في دينك، وخيرٌ لك في عاقبة أمرِك! قال معاوية: ونترك دم ابن عَفَّان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً.

قال: فذهب سعيد بن قيس يتكلَّم، فبادره شَبَّث بن رَبِيعي، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال: يا معاوية قد فهمت ما ردَّدت على ابن مِخْصَن، إِنَّه والله لا يخفى علينا ما تطلب، إِنَّكَ لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم إلَّا قولك: قُتِلَ إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه، فاستجاب لك سُفهاء طُغَام، وقد علمنا أَنَّكَ أبطأت عنه بالنصر، وأحببتَ له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورُبَّ متمنيٍّ أمرٍ وطالِبِهِ يَحُولُ اللَّهُ دونه، وربَّما أوتي المتمنيُّ أمنيته وفوق أمنيته، والله ما لك في واحدةٍ منهما خيراً! والله إِنَّ أخطأك ما ترجو، إِنَّكَ لَشَرُّ العرب حالاً! ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحقَّ من ربِّك صُلِّيَ النار! فاتَّقِ الله يا معاوية، ودَعْ ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

(١) حتى هنا في تاريخ الطبري ٥٧٠/٤.

(٢) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ر): «وإجابة».

قال: فحمد معاوية الله ثم قال: أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك، أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقته، ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت! انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف. وغضب، وخرج القوم. فقال له شبت بن ربيعي: أتتهول بالسيف؟ أقسم بالله لنجعلنها إليك^(١).

فأتوا علياً فأخبروه بذلك، فأخذ عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه، ويخرج إليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة، فيقتلان في خيلهما ثم ينصرفان، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا أن يكون فيه من الاستئصال والهلاك، فكان عليّ يخرج مرة^(٢) الأشر، ومرة حجر بن عدي الكندي، ومرة شبت بن ربيعي، ومرة خالد بن المعمر، ومرة زياد بن النضر الحارثي^(٣) ومرة زياد بن خصفة التيمي، ومرة سعيد بن قيس الهمداني، ومرة معقل بن قيس الرياحي، ومرة قيس بن سعد الأنصاري. وكان الأشر أكثرهم خروجاً. وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة الفهري، وابن ذي الكلاع الجُميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحبيل بن السمط الكندي، وحُمرة بن مالك الهمداني، فاقتلوا أيام ذي الحجة كلها، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين^(٤).

ذكر عدة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة مات حذيفة بن اليمان^(٥) بعد قتل عثمان بيسير، ولم يدرك الجمل،

(١) في الأصل والنسخة (ي) لنجعلنها عليك، وفي تاريخ الطبري ٥٧٤/٤: «لَيُجْعَلَنَّ بِهَا إِلَيْكَ».

(٢) في النسخة (ي) زيادة «معه».

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) تاريخ الطبري ٥٧٢/٤ - ٥٧٤.

(٥) انظر عن (حذيفة بن اليمان) في:

مسند أحمد ٣٨٢/٥ - ٤٠٨، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢٩٢، والمغازي للواقدي ٢٣٤ و ٤٠٨ - ٤٠٩ و ٧٣٢ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥، والزهد لأحمد ٢٢٤، والزهد لابن المبارك ٣٤ و ٢٤٥ و ٥١٣، وطبقات ابن سعد ٥٢٧/٥ و ١٥/٦ و ٣١٧/٧، والتاريخ لابن معين ١٠٤/٢، والبرصان والعرجان ٢٨٣، والمحبر لابن حبيب ٧٣ و ٤١٧، والطبقات لخليفة ٤٨ و ١٣٠، وتاريخ خليفة ٦٩ و ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٧ و ١٦٠ و ١٦٦ و ١٨٢، والتاريخ الصغير ٥٤/١ و ٥٦ و ٧٢ و ٨٠ و ٨١ و ١٠٧ و ١١٤، والتاريخ الكبير ٩٥/٣ رقم ٣٣٣، والمعارف ٢٦٣، وترتيب الثقات للعجلي ١١١ رقم ٢٦٤، وعيون الأخبار ٢٣/١ و ١٣٦/٢ و ٢٣١، والمعرفة والتاريخ ٥٤٣/٢ - ٥٤٥ و ٧٦٨ - ٧٧٠، وفتوح البلدان ٢٤١ و ٣٢٠ و ٣٣٤ و ٣٧١ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٩٠ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣، وأنساب =

وقُتِل ابنه صَفْوَان، وسعيد مع عليّ بصِفَيْن بوصيّة أبيهما، وقيل: مات سنة خمسٍ وثلاثين، والأوّل أصحّ. وفيها مات سَلْمَان الفارسيّ^(١) في قول بعضهم، وكان عمره مائتين

= الأشراف ١٦٣/١ و٣٢٢ و٣٢٨ و٣٢٩ و٥٤٠ و٥٤١، وق ٤ ج ٣٦/١ و٩٠ و٥٧٩ و٥٨٤ و٣١/٥ و٤٦ و٤٧ و٦٢ و٨٧ و٩٢، وتاريخ الطبري ١٢٧/٤ - ١٢٩ و١٣٢ - ١٣٧، والثقات لابن حبان ٨٠/٣، ومشاهير علماء الأمصار له ٤٣ رقم ٢٦٧، والاستيعاب ١/٢٧٧، ٢٧٨، وأخبار القضاة لوكيع ٣٩/١ و٤٠ و١٨٦/٢ و٢٨٥، و٥/٣ و١٧ و٤٢، والزاهر للأنباري ١٨٢/١ و٤٢٣ و٢٥٦/٢، وثمار القلوب ١٨١، والجرح والتعديل ٣/٢٥٦ رقم ١١٤٠، والعقد الفريد ٣/٦٥ و١٦١/٤ و٢٥٩ و٣٠٧ و٢٦٨/٦، والخراج وصناعة الكتابة ٣٢٩ و٣٦٨ و٣٧١ و٣٧٢ و٣٧٤ و٣٧٦ و٣٧٨ و٣٧٩، والمعجم الكبير ٣/١٨٥ - ١٨٩، وحلية الأولياء ١/٢٧٠ - ٢٨٣ رقم ٤٢، والمستدرک ٣/٣٧٩ - ٣٨١، والأمالى للقالى ٣/١٩٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٩٦ - ١٠٦، والاستبصار ٢٣٣ - ٢٣٥، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٠٧ رقم ٤١٤، والتذكرة الحمدونية ٢/٢٩٥، ولباب الأدب ٨٥ و٣٣٢، وصفة الصفوة ١/٦١٠ - ٦١٦ رقم ٧٠، وتلقيح فهم أهل الأثر ١٤١، ومعجم البلدان ١/١٠٥ و١٧٣ و٢٨٣ و٥١٨ و٨٤٩ و١٣٧/٣ وأسد الغابة ١/٣٩٠ - ٣٩٢، والزيارات ٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات ١ ج ١٥٣/١ - ١٥٥ رقم ١١٤، ووفيات الأعيان ٢/٣٠٠ و٤٧٦ و٣٥١/٥، وتحفة الأشراف ٣/٢١ - ٥٨ رقم ١٠٠، وتهذيب الكمال ٥/٤٩٥ - ٥١٠ رقم ١١٤٧، والمعين في طبقات المحدثين ٢٠ رقم ٢٧، ودول الإسلام ١/٣٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٤٩١ - ٤٩٤، وتجريد أسماء الصحابة، رقم ١٢٨٦، والعبر ١/٢٦ و٣٧، والكاشف ١/١٥٢ رقم ٩٧٠، وتلخيص المستدرک ٣/٣٧٩ - ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٦١ - ٣٦٩ رقم ٧٦، والوافى بالوفيات ١١/٣٢٧، ٣٢٨ رقم ٤٨٢، والكتّاب والوزراء ١٢، ومراة الجنان ١/١٠٠، والوفيات لابن قفّظ ٥٥ رقم ٣٦، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٥، ٣٢٦، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٤٤٥، وغاية النهاية ١/٢٠٣ رقم ٩٣٨، وتهذيب التهذيب ٢/٢١٩، ٢٢٠ رقم ٤٠٥، وتقريب التهذيب ١/١٥٦ رقم ١٨٣، والنكت الظرف ٣/٢٦، والإصابة ١/٣١٧، ٣١٨ رقم ١٦٤٧ و١٦٤٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٧٤، وشذرات الذهب ١/٣٢ و٤٤ وكنز العمال ١٣/٣٤٣.

(١) انظر عن (سلمان الفارسي) في:

السير والمغازي ٨٧ و٩١ و٩٢ و١٢٤ و١٢٥ و٢٨٧، والمغازي للواقدي ٤٤٥ - ٤٤٧ و٤٥٠ و٤٦٥ و٩٢٧، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) انظر فهرس الأعلام، ومسند أحمد ٥/٤٣٧ - ٤٤٤، والزهد له ١٨٨ - ١٩١، والزهد لابن المبارك ١٦٩ و٣٤٣ و٣٤٤ و٣٦٧ و٣٨٤ و٤٢٠ و٤٧٧ و٤٩٣ و٥٦٠، وطبقات ابن سعد ٤/٧٥ - ٩٣ و١٦/٦ و١٧، والتاريخ الكبير ٤/١٣٥، ١٣٦ رقم ٢٢٣٥، والمحبر لابن حبيب ٧٥، وتاريخ خليفة ١٩١، وطبقات خليفة ٧ و١٤٠ و١٨٩، وأخبار مكة ١٩٧ و٣٢٦ و٤/٢، والمعارف ٢٦٣ و٢٧٠ و٤٢٦، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٥ رقم ٥٦، والمعرفة والتاريخ ٢/٥٥١ و٥٥٢ و٣/٢٧٢ - ٢٧٤، وعيون الأخبار ١/٨٥ و٢٦٨ و٢٦٩ و٣٢٧ و١٢٦/٢ و١٢٧ و٣٥٦ و٣٧١ و٨/٣، وتاريخ أبي زرعة ١/١٢٢ و٢٢١ و٢٢٢ و٢٤٨ و٢٤٩، وأنساب الأشراف ١/٢٧١ و٣٤٣ و٣٦٦ و٣٦٧ و٤٨٥ - ٤٨٨ و٥٩١، وفتوح البلدان ٥٥٩، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٣١، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٠/٢٧٠، والكنى والأسماء للدولابي ١/٧٨، والعقد الفريد ٢/٣٧١ و١٥/٣ و٢٠٦/٤ و٩٠/٦ و٩٠، والجرح والتعديل ٤/٢٩٦، ٢٩٧ رقم ١٢٨٩، والبدء والتاريخ ٥/١١٠ - ١١٣، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٤، والمعجم الكبير ٦/٢٦٠ - ٣٠٥ رقم ٥٩٨، وثمار القلوب ١٦٢ و١٨١، وريب الأبرار ٤/١٥٠ و٢٨١ و٣٣٤ و٣٦٩ و٣٧٧، وحلية الأولياء ١/١٨٥ - ٢٠٨ رقم ٣٤، والاستيعاب ٢/٥٦ - ٦١، والمستدرک ٣/٥٩٨ - ٦٠٤، والأسامي =

وخمسين سنة، (هذا أقل ما قيل فيه، وقيل: ثلاثمائة وخمسون سنة)^(١). وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح، عليه السلام. وعبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٢)، مات بعسقلان حيث خرج^(٣) معاوية إلى صفين، وكره الخروج معه. ومات فيها عبد الرحمن بن عديس^(٤)

= والكنى، للحاكم، ورقة ٣٠٤، وتهذيب تاريخ دمشق ١٩٠/٦ - ٢١١، والتذكرة الحمدونية ٥٦/١ و ٦٦ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٤ و ١٨٧، والزيارات ٧٦، وأسند الغابة ٣٢٨/٢ - ٣٣٢، وتحفة الأشراف ٢٦/٤ - ٣٥ رقم ٢٠٠، وتهذيب الكمال ٥٢٠/١، ٥٢١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٢٦ - ٢٢٨ رقم ٢١٩، وصفة الصفوة ٥٢٣/١ - ٥٥٦ رقم ٥٩، وسير أعلام النبلاء ٥٠٥/١ - ٥٥٨ رقم ٩١، ودول الإسلام ٣١/١، والكشاف ٣٠٤/١ رقم ٢٠٣٨، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥١٠ - ٥٢١، والمعين في طبقات المحدثين ٢١ رقم ٤٩، وتلخيص المستدرک ٥٩٨/٣ - ٦٠٤، وذكر أخبار أصبهان ٤٨/١ - ٥٧، وتاريخ بغداد ١٦٣/١ - ١٧١ رقم ١٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٩٢/١٦ و ٣٧٨/٢٤، ومرآة الجنان ١٠٠/١، والوافي بالوفيات ٣٠٩/١٥، ٣١٠ رقم ٥٣٣، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٥، ومجمع الزوائد ٣٣٢/٩ - ٣٤٤، وشفاء الغرام ١٣٨/١ و ٢٧٦، وتهذيب التهذيب ١٣٧/٤ - ١٣٩ رقم ٢٣٣، وتقريب التهذيب ٣١٥/١ رقم ٣٤٦، والنكت الظرف ٢٧/٤ - ٣٥، والإصابة ٦٢/٢، ٦٣ رقم ٣٣٥٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٤٧، وكنز العمال ٤٢١/١٣، وشذرات الذهب ٤٤/١، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣٣٢/١، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان (من تأليفنا) ٢٩٧/٢ - ٢٩٩ رقم ٦٤١.

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٢) انظر عن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) في:

المغازي للواقدي ٧٨٧ و ٨٠٤ و ٨٢٥ و ٨٥٥ - ٨٥٧ و ٨٦٥، والأخبار الموفقيات ٤٩٥، وطبقات ابن سعد ٤٩٦/٧، ٤٩٧، وتاريخ خليفة ٩٩ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٧٨، وطبقات خليفة ٢٩١، والتاريخ الكبير ٢٩/٥ رقم ٤٩، ونسب قريش ٤٣٣، والمعارف ٣٠٠، والبرصان والعرجان ١٢٦، وتاريخ أبي زرعة ١٨٥/١، ١٨٦، والمعرفة والتاريخ ٢٥٣/١، ٢٥٤، وفتوح البلدان ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٧ و ٢٦٨، وأنساب الأشراف ١٦٠/١ و ٢٢٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٥٣١ وق ٤ ج ١/٥٠٥ و ٥١٢ و ٥١٤ و ٥١٣ و ٥٣٨ و ٥٤٠ و ٥٥٠ و ٥٥٥ و ٥٥٧ و ٥٨٥ و ٢٠/٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٤٣ و ٤٩ و ٥١ و ٦١ و ٦٥ و ٦٧ وق ٦٦/٣، وتاريخ الطبري ٣٤١/٤ - ٣٤٣، والولاة والقضاة ١٠ - ١٤ و ١٧ و ٣٠٢، وولاة مصر ٣٣ - ٣٨ و ٤٠، والجرح والتعديل ٦٣/٥ رقم ٢٩٢، والحلة السيرة ١٨/١ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٢١/٢ - ٣٢٣، وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، والاستيعاب ٣٧٥/٢ - ٣٧٨، ومشاهير علماء الأمصار ٥٣ رقم ٣٥٨، والخراج وصناعة الكتابة ٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٥٢، والتذكرة الحمدونية ٤١٦/٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٤٣٥/٧ - ٤٣٧، الوزراء والكتب ١٣، وأسند الغابة ١٧٣/٣، ١٧٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٦٩، ٢٧٠ رقم ٣٠٢، ولباب الآداب ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣٤٤/٤ و ٢١٤/٧، ودول الإسلام ٣١/١، ٣٢، وسير أعلام ٣٣/٣ - ٣٥ رقم ٨، والعبر ٢٩/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٢٩، ٥٣٠، ومرآة الجنان ١٠٠/١، والبدية والنهاية ٣١٠/٧، ٣١١، والوافي بالوفيات ١٩١/١٧ - ١٩٣ رقم ١٧٥، والعقد الثمين ١٦٦/٥، وشفاء الغرام ٥٦/١ و ٨٣ و ٢٠٠/٢ و ٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٢، والإصابة ٣١٦/٢ - ٣١٨ رقم ٤٧١١، والنجوم الزاهرة ١٣٧/١ - ٧٩/٨٢، وحسن المحاضرة ٥٧٩/١، وشذرات الذهب ٤٤/١، ومعالم الإيمان للدباغ ١٣٧/١ - ١٤٠.

(٣) في الأصل زيادة «مع».

=

البلوي، أمير القادمين من مصر لقتل عثمان، وكان ممن بايع النبي ﷺ، تحت الشجرة. وقيل: بل قُتل بالشام. وفيها مات قدامة بن مظعون الجُمحي^(١)، وهو من مهاجرة الحبشة، وشهد بدرًا. وفيها تُوُفِّي عمرو بن أبي عمرو^(٢) بن ضَبَّة^(٣) الفهري أبو شَدَاد، شهد بدرًا. وفيها استعمل عليّ على الريّ يزيد بن حُجَّية التيمي تيمّ اللات، فكسر من خراجها ثلاثين ألفًا، فكتب إليه عليّ يستدعيه، فحضر، فسأله عن المال قال: أين ما غلّته من المال؟ قال: ما أخذتُ شيئًا! فخفقه بالدَّرّة خفقات وحبسه، ووكل به سعدًا مولاه، فهرب منه يزيد إلى الشام، فسوّغه^(٤) معاوية المال، فكان ينال من عليّ، وبقي بالشام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية فسار معه إلى العراق فولّاه الريّ، فقيل: إنّه شهد مع عليّ الجمل وصيّق والنهروان، ثمّ ولّاه الريّ، وهو الصحيح، فكان ما تقدّم ذكره^(٥).

(٤) انظر عن (عبد الرحمن بن عديس البلوي) في:

طبقات ابن سعد ٥٠٩/٧، والمعرفة والتاريخ ٣/٣٥٨، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٦١ رقم ٩١٦، وتاريخ خليفة ١٦٨، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ٤٨٦/١ و٤٨٩ و٥٥٠ و٥٥٥ و٥٩٠ و٥٩/٥ و٦١ و٦٥ و٩٧ و٣٦١، وتاريخ الطبري ٣٤٨/٤ و٣٥٧ و٣٥٩ و٣٦٨ و٣٦٩ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨١ و٣٩٠ و٤١٣ و٤١٤، والعقد الفريد ٤/٢٨٦ و٢٩٣، وجمهرة أنساب العرب ٤٤٣، والاستيعاب ٤١١/٢، وولاة مصر ٤١ - ٤٣، والولاة والقضاة ١٧ و١٩ و٢٠، ومشاهير علماء الأمصار ٥٦ رقم ٣٩٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣١، ٥٣٢، وتجريد أسماء الصحابة ١/٣٥٢، والإصابة ٤١١/٢ رقم ٥١٦٣.

(١) انظر عن (قدامة بن مظعون) في:

السير والمغازي ١٤٣ و١٧٧ و٢٢٥، والمغازي للواقدي ٢٤ و٨٤ و١٥٦ و٤٧٥، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٤٠١/٣، والمجتبر لابن حبيب ١٧٣، وطبقات خليفة ٢٥، وتاريخ خليفة ١٥٤ و١٩١ و٢٠٤، والمعرفة والتاريخ ٢/٢٧٠، وأخبار مكة ٢/٢٢٤ و٢٤٠ و٢٦٤، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٣٠، وفتوح البلدان ١٠٠، وأنساب الأشراف ١/٢١٣ و٤٢٦، وتاريخ الطبري ٤/٧٩ و١١٢ و٤٣٠ و٧٥٦، والتاريخ الكبير ٧/١٧٨ رقم ٧٩٤، والتاريخ الصغير ١/٤٣، والجرح والتعديل ٧/١٢٧ رقم ٧٢٣، والاستيعاب ٣/٢٥٨ - ٢٦٢، ومشاهير علماء الأمصار ٢٢ رقم ٩٢، والعقد الفريد ٦/٣٤٩، وأسد الغابة ٤/٣٩٤ - ٣٩٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٦٠ رقم ٧١، وسير أعلام النبلاء ١/١٦١، ١٦٢ رقم ١٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣٢، وتعجيل المنفعة ٣٤٣ رقم ٨٨٢، والإصابة ٣/٢٢٨، ٢٢٩ رقم ٧٠٨٨، والمستدرك ٣/٣٧٩، وتلخيص المستدرك ٣٧٩/٣.

(٢) انظر عن (عمرو بن أبي عمرو بن ضَبَّة) في:

المغازي والمغازي ٢٢ و١٤٤ و١٥٣ و١٥٧ و٦٥٤ و١١١١ و١١١٣، وطبقات خليفة ٢٦٦، والمعرفة والتاريخ ١/٢٤٦، وتاريخ خليفة ٢٤٨، وتاريخ الطبري ٨/٢٠٣، والاستيعاب ٢/٥٠٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣٢، والإصابة ٢/٥٣٠ رقم ٥٧٩٩.

(٣) في النسخة (ي): «صفية»، وفي الأصل: «صفة».

(٤) في النسخة (ي): «فسائق عنه».

(٥) الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في فتوح البلدان ٣٩١ رقم ٧٩٥.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر تَمَّة أمر صِفِّين

في هذه السنة في المحرم منها جرت موادة بين عليٍّ ومعاوية، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرم طمعاً في الصلح، واختلفت بينهما الرُّسل، فبعث عليٌّ عديَّ بنَ حاتم، ويزيد بنَ قيس الأرحبي، وشبث بن ربيعة، وزياد بن خَصْفة.

فتكلم عديُّ بن حاتم فحمد الله وقال: أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ونحقق^(١) به الدماء، ونصلح ذات البين، إنّ ابنَ عمِّك سيّد المسلمين أفضلها سابقاً وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس ولم يبقَ أحد غيرك وغير من معك، فاحذريا معاوية لا يُصَبِّك وأصحابك مثلُ يومِ الجمل! فقال له معاوية: كأنك إنّما جئت متهدداً، لم تأت مُصلحاً! هيهات يا عديّ! كلا، والله إنّني لأبُني حرب لا يُقَعِّع له بالشنان، وإنك والله من المُجلبين على عثمان، وإنك من قتلته، وإنّي لأرجو أن تكون ممّن يقتله الله به! فقال له شبث وزياد بن خَصْفة جواباً واحداً: أتيناك فيما يُصلحنا وإياك، فأقبلت تضربُ لنا الأمثال، دع ما لا ينفع وأجبنّا فيما يعمّ نفعه. وقال يزيد بن قيس: إنّنا لم تأت إلّا لنبلّغك ما أرسلنا به إليك، ونؤدّي عنك ما سمعنا منك، ولن ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما يكون به الحُجّة عليك، ويرجع إلى الألفة والجماعة، إنّ صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك، فاتّق الله يا معاوية ولا تخالفه، فإنّا والله ما رأينا في الناس رجلاً قط أعمل بالتقوى، ولا أزهّد في الدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه.

فحمد الله معاوية ثم قال: أمّا بعد، فإنّكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمعنا هي، وأمّا الطاعة لصاحبكم، فإنّا لا نراها، لأنّ صاحبكم

(١) في تاريخ الطبري ٥/٥ «يحقن».

قتل خليفتنا، وفرّق جماعتنا، وآوى ثأرنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، (فنحن لا نردّ عليه ذلك فليدفع إلينا)^(١) قَتَلَهُ عثمان لنقتلهم، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. فقال شَبَّثُ بن رَبْعِي: أَيْسُرُكَ يا معاوية أن تقتل عَمَّاراً^(٢)؟ فقال: وما يمنعني من ذلك؟ لو تَمَكَّنْتُ (من ابن سُمَيَّة)^(٣) لقتلته بمولى عثمان. فقال شَبَّثُ: والذي لا إله غيره، لا تصل إلى ذلك حتى تنذر^(٤) الهام عن الكواهل، وتضيق الأرض الفضاء^(٥) عليك! فقال معاوية: لو كان ذلك لكانت عليك أضيق!

وتفرّق القوم عن معاوية، وبعث معاوية إلى زياد بن خَصَفَةَ فخلاً به، وقال له: يا أخا ربيعة، إنَّ علياً قطع أرحامنا، وقتل إمامنا، وآوى قَتْلَةَ صاحبنا، وإنِّي أسألك النصر عليه بعشيرتك، ثم لك عهدُ الله وميثاقه، أنِّي أولئك إذا ظهرت أيُّ المصيرين أحببت. فقال زياد: أمّا بعد فإنِّي على بَيِّنَةٍ من ربِّي، وما أنعم الله عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين! وقام. فقال معاوية لعمر بن العاص: ليس نكلّم رجلاً منهم فيجيب إلى (خير، ما)^(٦) قلوبهم إلّا كقلب واحد.

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِيِّ، وشَرْحَبِيلَ بن السَّمْطِ، ومَعْنُ بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه، فحمد الله حبيباً وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنَّ عثمان كان خليفةً مهدياً يعمل بكتاب الله، ويُنيب إلى أمره، فاستثقلتُم حياته واستبطأتم وفاته، فعدوُّكم عليه فقتلتموه، فادفع إليه قَتْلَةَ عثمان إن زعمت أنك لم تقتله، [نقتلهم به]، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولّونه من أجمعوا عليه. فقال له عليّ: ما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر؟ اسكت [فإنك] لست هناك ولا بأهل له. فقال: والله لَتَرَيَّنِي بحيث تكره! فقال له عليّ: وما أنت؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت علينا، اذهب فصبّ وصعد ما بدا لك! وقال شَرْحَبِيلُ: ما كلامي إلّا مثل كلام صاحبي، فهل عندك جواب غير هذا؟ فقال عليّ: ليس عندي جواب غيره.

ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد، فإنَّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، فأنقذ به من الضلالة والهلكة، وجَمَعَ به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه، فاستخلف الناس

(١) في الأصل «فإن سلم لنا» وما بين القوسين من النسخة (ي).

(٢) في الأصل «علياً».

(٣) في الأصل «منه»، وما بين القوسين يتفق مع الطبري ٦/٥.

(٤) في الأصل «تصدر».

(٥) في الطبعة الأوربية «والفضاء».

(٦) في الأصل «نصرتنا كانما». والعبارة في تاريخ الطبري «فيجيب إلى خير ما لهم غضبهم الله بشر، ما قلوبهم...».

أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فأحسن السيرة وعدلا، وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمور ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرنا ذلك لهما، وولى الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا إليه فقتلوه، ثم أتاني الناس فقالوا لي: بايع، فأبيت، فقالوا: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وإننا نخاف إن لم تفعل أن يتفرق^(١) الناس، فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق^(٢) رجلين قد بايعاني، وخلاف^(٣) معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كارهين، ولا عجب إلا من اختلافكم معه^(٤) وانقيادكم له، وتتركون^(٥) آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم^(٦)! ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإمارة الباطل، وإحياء الحق ومعالم الدين^(٧)! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين^(٨). فقالا: تشهد^(٩) أن عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: لا أقول إنه قتل مظلوماً ولا ظالماً^(١٠). قالا: فمن لم يزعم أنه قتل مظلوماً فنحن منه برآء. وانصرفا، فقال [علي]، عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، إلى قوله: ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١١). ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء في الجِدِّ في ضلالهم أجَدَّ منكم في الجِدِّ في حقكم وطاعة ربكم^(١٢).

فتنازع عامر بن قيس الجذمري^(١٣) ثم الطائي، وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصفين، وكانت جذم^(١٤) أكثر من بني عدي رهط حاتم، فقال عبد الله بن خليفة البولاني عند علي: يا بني جذم^(١٥) أعلى عدي تتوثبون، وهل فيكم وفي آبائكم مثل عدي وأبيه؟

(١) في تاريخ الطبري ٨/٥ «يفترق».

(٢) في الطبعة الأوربية «بشقاق».

(٣) في الطبعة الأوربية «وبخلاف».

(٤) في الأصل والنسخة (ي): «على».

(٥) في تاريخ الطبري ٨/٥ «وتدعون».

(٦) في تاريخ الطبري زيادة: «ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً».

(٧) في تاريخ الطبري «وإحياء معالم الدين».

(٨) زاد الطبري: «ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة».

(٩) عند الطبري «اشهد».

(١٠) عند الطبري «قُتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً».

(١١) سورة النمل، الآية: ٨٠ و ٨١.

(١٢) عبارة الطبري ٨/٥ «لا يكن هؤلاء أولى بالجِدِّ في ضلالهم منكم بالجِدِّ في حقكم وطاعة ربكم».

(١٣) هكذا في المطبوع، وفي تاريخ الطبري ٩/٥ «الجذمري» بالزاي. وفي الأصل ونسخة (ي): «الحضرمي».

(١٤) في النسخة (ي): «حضرم»، وفي تاريخ الطبري ٩/٥ «حزمر».

أليس بحامي القرية^(١) ومانع الماء يوم رويّة؟ أليس ابن ذي المربّاع^(٢)، وابن جواد العرب، وابن المُنهب ماله، ومانع جاره، ومن لم يغدر ولم يفجر، ولم ييخل^(٣)، ولم يمتنّ ولم يجبنّ؟ هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أوفيكُم مثله^(٤)، أليس أفضلكم في الإسلام، ووافدكم إلى النبي ﷺ؟ أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء^(٥) ويوم نهاوند ويوم تُسْتَر؟^(٦) فقال عليّ: حسبك يا ابن خليفة. وقال عليّ: لتحضر جماعة طيء. فأتوه، فقال: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالوا: عديّ. فقال ابن خليفة: سلّمهم يا أمير المؤمنين، أليسوا راضين برياسة عديّ؟ ففعل، فقالوا: بلى. فقال عليّ: فعديّ أحقكم بالراية، وأخذها. فلما كان أيام^(٧) حُجْر بن عديّ طلب زيادُ عبدَ الله بنَ خليفة ليعثه مع حُجْر، فسار إلى الجبلين، ووعده عديّ أن يرده وأن يسأل فيه، فطال عليه ذلك، فقال شعراً، منه:

أتَنسَى بلاتِي سادراً يا ابنَ حاتمٍ عشيةً ما أغنتَ عدِيكَ جذِيراً^(٨)
فدافعتُ عنكَ القومَ حتّى تَخاذلوا وكنتُ أنا الخصمَ الألدَّ العَدُوّاً^(٩)
فولّوا وما قاموا مقامِي كأنما رأونيَ ليشاً^(١٠) بالأبَاءِ^(١١) مُخْدِراً^(١٢)
نصرتُكَ إذ خام^(١٣) القريبُ وأبعد^(١٤) الـ جعيذٌ وقد أفردتُ نصراً مؤزراً
فكان جزائي أن أجرز^(١٥) بينكم سحياً^(١٦) وأن أُولى الهوانِ وأوسراً
وكم عِدّةٌ لي منك أنك راجعي فلم تغنِ بالميعاد عني حَبِيراً^(١٧)

- (١) في تاريخ الطبري «القرية» بالباء الموحدة.
- (٢) المربّاع: هو ريع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
- (٣) عند الطبري «ولم يجهل ولم ييخل».
- (٤) عند الطبري «أو هاتوا فيكم مثله».
- (٥) عند الطبري «جلولاء الواقعة».
- (٦) عند الطبري زيادة «فما لكم وله! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون».
- (٧) في الأصل والنسخة (ي): «يوم».
- (٨) عند الطبري ١٠/٥ «حزمرا» بالزاي.
- (٩) العَدُوْر: الصُعبُ الخُلُقُ الشديد النفس.
- (١٠) في نسخة المتحف البريطاني «شاباً».
- (١١) في نسخة المتحف البريطاني و (ي) «بالأناة»، وفي الأصل: «بالإمارة». والأبَاءُ: الأَجَمَةُ.
- (١٢) المُخْدِرُ والخادر: الأسد المقيم في الأجمة أو العريق.
- (١٣) في الأصل ونسخة (ي): «خان». وخام: نكص وجبن.
- (١٤) عند الطبري «أبعط» وهي بمعنى واحد.
- (١٥) في النسخة (ي): «أحرب». وفي تاريخ الطبري «أجرّد» بالدال في آخره.
- (١٦) عند الطبري «سجينا».
- (١٧) الأبيات في تاريخ الطبري ٩/٥، ١٠ بزيادة بيتين في أولها.

وسترد قصّته بتمامها، إن شاء الله تعالى .

فلَمَّا انسَلَخَ المحَرَّمُ أمرَ عليٍّ منادياً فنادى: يا أهل الشام! يقول لكم أمير المؤمنين: قد استدمتكم لتراجعوا الحقَّ وتنبّسوا إليه، فلم تنتهوا عن طغيانكم^(١) ولم تجيئوا إلى الحق^(٢)، وإني قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لا يحبّ الخائنين^(٣)!

فاجتمع^(٤) أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم، خرج معاوية وعمر بن الخطاب ويحيى بن النعمان، وكذلك فعل أمير المؤمنين، وقال للناس: لا تقاتلوهم حتى يقتلوكم، فأنتم بحمد الله على حجة، وترككم قتالهم حجة أخرى، فإذا هزمتهم^(٥) فلا تقتلوا مُدْبِرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تُمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا^(٦)، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم^(٧)، ولا تهيجوا امرأة^(٨)، وإن شتمت أعراضكم وسبّين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضِعاف القوى والأنفس. وكان يقول بهذا المعنى لأصحابه في كل موطن، وحرّض أصحابه فقال: عباد الله، اتقوا الله وغضّوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاوله والمزاولة^(٩) والمناضلة^(١٠) والمعانقة والمكادمة والملازمة، ﴿فَأْتَبَتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١١)، ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٢)، اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر! وأصبح عليٌّ فجعل على خيل الكوفة الأشتر، وعلى جُند البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجال الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجال البصرة قيس بن سعد، وهاشم بن عُتبة المِرْقَال معه الراية، وجعل مِسْعَر بن فذَكِيٍّ على قراء الكوفة وأهل البصرة^(١٣). وبعث معاوية على ميمته ابن ذي الكلاع الحُميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري،

(١) عند الطبري: «فلم تناهوا عن طغيان».

(٢) عند الطبري «حق».

(٣) في الطبعة الأوربية «الخائنين».

(٤) عند الطبري «ففرع».

(٥) راجع عبارة الطبري حيث يحذف منها المؤلف عدّة عبارات وألفاظ. (١١/٥، ١١).

(٦) عند الطبري زيادة «إلا بإذن».

(٧) عند الطبري زيادة «إلا ما وجدتم في عسكرهم».

(٨) عند الطبري زيادة «بأذى».

(٩) عند الطبري ١١/٥ «المبارزة».

(١٠) عند الطبري زاد بعدها «المجالدة».

(١١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(١٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(١٣) عند الطبري ١١/٥ «على قراء أهل البصرة». وفيه زيادة: «وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُذَيْل=

وعلى مقدّمته أبا الأعور السُّلَميّ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالة دمشق مسلم بن عُقبة المُرِّي، وعلى الناس كلهم الضَّحَّاك بن قيس، وبايع رجالاً من أهل الشام على الموت، فَعَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِمَائِمِ، وكانوا خمسة صفوف^(١)، وخرجوا أوّل يوم من صَفَر^(٢) فاقتتلوا، وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الأشتر، وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مَسْلَمَة، فاقتتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار، ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض. ثمّ خرج في اليوم الثاني هاشم بن عُتبة في خيل ورجال^(٣)، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السُّلَميّ، فاقتتلوا يومهم ذلك ثمّ انصرفوا، وخرج في اليوم الثالث عَمَّار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا أشد قتال، وقال عَمَّار: يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا إلى مَنْ عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهرَ المشركين؟ فلمّا رأى الله يُعزّز دينه، ويُظهر رسوله أتى النبي ﷺ، وهو فيما نرى^(٤) راهب غير راغب! ثمّ قبض النبي ﷺ فوالله إنّ زال بعده معروفاً بعداوة المسلم واتباع^(٥) المجرم، فاثبتوا له وقاتلوه^(٦).

وقال عَمَّار لزياد بن النُّضَر، وهو على الخيل: احمل على أهل الشام. فحمل وقاتله الناس وصبروا له، وحمل^(٧) عَمَّار فأزال عمرو بن العاص عن موضعه^(٨)، وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لأمّة^(٩)، واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفيق، فلمّا التقيا تعارفا^(١٠)، فانصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس. وخرج من الغد محمد بن عليّ، وهو ابن الحنفية، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين، فاقتتلوا أشد القتال، وأرسل عبيد الله إلى ابن الحنفية يدعوه إلى المبارزة، فخرج إليه، فحرّك عليّ دابّته وردّ ابنه، وبرز عليّ إلى عبيد الله، فرجع عبيد الله، وقال محمد لأبيه: لو تركتني لرجوت قتله. وقال: يا أمير المؤمنين وكيف تبرز إلى هذا الفاسق؟ والله إنّني لأرغب بك عن

= وعمّار بن ياسر.

- (١) العبارة عند الطبري ١٢٥/٥ «فكان المعقلان خمسة صفوف، وكانوا يخرجون ويصفون عشرة صفوف، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفاً».
- (٢) عند الطبري «صَفَيْن».
- (٣) عند الطبري زيادة «حَسَن عددها وعُدَّتْهَا».
- (٤) في الأصل والنسخة (ي): «يرى».
- (٥) عند الطبري ١٢/٥ «وهوادة».
- (٦) زاد الطبري: «فإنه يطفىء نور الله، ويظاهر أعداء الله عزّ وجلّ».
- (٧) عند الطبري «وشدّ».
- (٨) عند الطبري «موقفه».
- (٩) عند الطبري «أخاه لأمّة».
- (١٠) زاد الطبري «فتواقفا».

أبيه^(١)! فقال علي: يا بني لا تَقُلْ في أبيه إلّا خيراً. وتراجع الناس. وخرج عبدالله بن عباس في اليوم الخامس، وخرج إليه الوليد بن عُقبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فسبّ الوليدُ بني عبد المطلب، فطلبه ابنُ عباس ليارزهِ فأبى، وقاتل ابن عباس قتالاً شديداً. وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري، وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحميري، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرفوا^(٢). ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الأشتر، وخرج إليه حبيب، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانصرفوا عند الظهر.

ثم إنَّ علياً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي لا يُبرم ما نَقَضَ، وما أبرم لم ينقضه الناقضون، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه، ولا اختلفت الأمة في شيء، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضله، وقد ساقننا وهؤلاء القوم الأقدار، فنحن بمرأى من ربنا ومسمع، فلو شاء عَجَّلَ النِّقْمَةَ، وكان منه التَّغْيِيرُ^(٣) حتى يكذب الظالم^(٤) ويعلم الحق^(٥) أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دارَ الأعمال، وجعل الآخرة دارَ القرار ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٦)، ألا وإنكم لا قو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثرُوا تلاوةَ القرآن، واسألوا الله النصرَ والصبرَ، والقَومَ بالجدِّ والحزم، وكونوا صادقين. فقام القوم يُصلحون سلاحهم^(٧)، فمرَّ بهم كعب بن جُعيل فقال:

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ^(٨)

وعبى عليُّ الناسَ ليلته حتى الصباح (وزحف بالناس)^(٩)، وخرج إليه معاوية في أهل الشام، فسأل عليُّ عن القبائل من أهل الشام، فعرف مواقفهم، فقال للأزد: اكفونا الأزد، وقال لختعم: اكفونا خثعم، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام، إلّا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد، فيصرفها إلى قبيلة أخرى من الشام، ليس بالعراق منهم أحد، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلّا القليل، صرفهم إلى لخم.

(١) العبارة عند الطبري ١٣/٥ «والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه».

(٢) عند الطبري «انصرفا».

(٣) في النسخة (ي): «النقمة».

(٤) في الأصل «الخطاء» وفي النسخة (ي): «المظالم». وعند الطبري ١٤/٥ «يكذب الله الظالم».

(٥) في الأصل «المحق».

(٦) سورة النجم، الآية: ٣١.

(٧) عبارة الطبري: «ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يُصلحونها».

(٨) البيتان عند الطبري ١٤/٥، وفي الأخبار الطوال ١٨٠ وفيه «أقول قولاً»، ونهاية الأرب ١٢١/٢٠

(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).

فتناهض الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا عند المساء، وكلٌّ غير غالب، فلما كان يوم الخميس صلى عليّ بغلّس، وخرج بالناس إلى أهل الشام، فرحف إليهم وزحفوا معه، وكان على ميمنة عليّ عبد الله بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس، والقراء مع ثلاثة نفر: عمار، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بُذيل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعليّ في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة، وأكثر من معه من أهل المدينة^(١) الأنصار، ومعه عدد من خزاعة وكنانة، وغيرهم من أهل المدينة، وزحف إليهم. ورفع معاوية قُبَّةً عظيمة، فألقى عليها الثياب، وبايعه أكثر أهل الشام على الموت، وأحاط بقبته خيل دمشق. وزحف عبد الله بن بُذيل في الميمنة نحو حبيب بن مَسْلَمَة، وهو في ميسرة معاوية، فلم يزل يَحُوزُه ويكشف خيله حتى اضطرهم إلى^(٢) قُبَّة معاوية عند الظهر، وحرّض عبد الله بن بُذيل أصحابه فقال: ألا إن معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع الحقَّ أهله، وعاند مَنْ ليس مثله، وجادل بالباطل لِيُدْحِضَ به الحقُّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب الذين قد زَيْنَ لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حُبَّ الفتنة، ولَبَسَ عليهم الأمر، وزادهم رَجْساً إلى رَجْسِهِمْ، فقاتلوا الطغمام^(٣) الجفافة، ولا تخشَوْهُمْ، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وحرّض عليّ أصحابه، فقال في كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقَدِّمُوا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى^(٥) للسيوف عن الهام، والتّوّوا في الأطراف^(٦) فإنه أضون^(٧) للأسنة، وعضوا الأبصار فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلب، وأميتوا الأصوات، فإنه أطرّد للفشل، وأوّلَى بالوقار، راياتكم^(٨) فلا تميّلوها ولا تُزِيلوها، ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم^(٩)، واستعينوا بالصّدق والصبر، فإن بعد الصبر ينزل (عليكم)^(١٠) النصر^(١١).

- (١) من النسخة (ر).
- (٢) في النسخة (ي): «واصطدم على».
- (٣) عند الطبري ١٦/٥ «الطغاة».
- (٤) سورة التوبة، الآية: ١٤.
- (٥) في الطبعة الأوربية «أنباء».
- (٦) عند الطبري ١٦/٥، ١٧ «التّوّوا في أطراف الرماح».
- (٧) في وقعة صفين ٢٦٤ «فإنه أَمُورٌ للأسنة».
- (٨) في وقعة صفين «وراياتكم».
- (٩) يحذف المؤلف فقرة طويلة هي في وقعة صفين وتاريخ الطبري.
- (١٠) من النسخة (ر).
- (١١) الخبر في تاريخ الطبري ١٠/٥ - ١٧، ووقعة صفين لابن مزاحم ٢٦٤، ٢٦٥.

وقام يزيد بن قيس الأرحبيّ يحرض الناس فقال: إِنَّ المسلم^(١) من سَلِمَ في دينه ورأيه؛ وَإِنْ هؤلاء القوم واللّه لا يقاتلوننا^(٢) على إقامة دين^(٣) ضيّعناه، وإحياء حق^(٤) أمتناه، إِنْ يقاتلوننا إلّا على هذه الدنيا، ليكونوا جبارين فيها ملوكاً، فلو ظهرُوا عليكم، لا أراهم اللّه ظهوراً ولا سروراً، ألزموكم^(٥) بمثل سعيد والوليد وابن عامر^(٦) السفية الضالّ، يجيز أحدهم بمثل ديتة ودية أبيه وجده في جلّسه^(٧)، ثمّ يقول: هذا لي ولا إثم عليّ، كأنّما أعطى ترائه على^(٨) أبيه وأمه، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحتنا وسيوفنا، فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين، فإنّهم إِنْ يظهروا عليكم يُفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم! والله ما ازدادوا إلى يومهم إلّا شراً!.

وقاتلهم عبد الله بن بُذيل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبة معاوية. وأقبل الذي تبايعوا على الموت إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بُذيل في الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قِبَل الميمنة حتى لم يبقَ منهم (إلّا ابن بُذيل في مائتين أو ثلثمائة من القراء، قد أسند بعضهم إلى بعض، وانجفل الناس، وأمر عليّ سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه)^(٩) من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتلمتهم حتى أوقفتهم^(١٠) في الميمنة، وكان فيما بين الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن. فلما انكشفوا^(١١) انتهت الهزيمة إلى عليّ، فانصرف عليّ يمشي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مُضَر من الميسرة، وثبتت ربيعة^(١٢). وكان الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ معه حين قصد الميسرة، والنبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه^(١٣)، وما من بنيه

- (١) في تاريخ الطبري ووقعة صفين «إِنَّ المسلم السليم من سلم في دينه ورأيه».
- (٢) في تاريخ الطبري ١٧/٥ «إِنْ يقاتلوننا»، وفي وقعة صفين «ما إِنْ يقاتلوننا».
- (٣) عند الطبري ١٨/٥ وابن مزاحم «دين رأونا».
- (٤) في الأصل والنسخة (ي): «دينه ودين».
- (٥) عند الطبري ١٨/٥ «لزموكم» والمثبت يتفق مع ابن مزاحم في وقعة صفين.
- (٦) هم: سعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وعبد الله بن عامر. وفي وقعة صفين «عبيد الله بن عامر».
- (٧) في وقعة صفين: «يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت» وفي تاريخ الطبري «يخبر أحدهم في مجلسه».
- (٨) في تاريخ الطبري «عن».
- (٩) ما بين القوسين في وقعة صفين، وفي الأصل «إلا القليل».
- (١٠) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «ألحقهم».
- (١١) في تاريخ الطبري ١٨/٥ «كشفوا» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.
- (١٢) تاريخ الطبري ١٧/٥، ١٨، وقعة صفين ٢٧٩، ٢٨٠ بروايته عن عمرو، عن أبي روق الهمداني.
- (١٣) في وقعة صفين «منكبه»..

أحد إلا (يقية بنفسه)^(١) فبرده، فبصر به أحمر، مولى أبي سفيان أو عثمان، فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي، فاختلفا بينهما ضربتان، فقتله أحمر^(٢)، فأخذ علي بجيب^(٣) درع أحمر، فجذبه وحمله على عاتقه، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه^(٤) وعضديه، ودنا منه أهل الشام، فما زاده قربهم إلا إسراعاً، فقال له ابنه الحسن: ما ضرك لو بسعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من أصحابك؟ فقال: يا بني إن لأبيك يوماً لا يعدوه، ولا يُسْطىء به عنه^(٥) السعي، ولا يجعل به إليه المشي، إن أباك والله لا يبالي أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه^(٦). فلما وصل إلى ربيعة نادى بصوت عالٍ كغير المكتثر لما فيه الناس: لمن هذه الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة. قال: بل رايات عصم الله أهلها، فصرهم وثبت أقدامهم. وقال للحُضَيْن بن المنذر: يا فتى ألا تدني رايتك هذه ذراعاً؟ قال: بلى والله، وعشرة أذرع، فأدناها حتى قال: حسبك مكانك. ولما انتهى علي إلى ربيعة تنادوا بينهم: يا ربيعة إن أصيب فيكم أمير المؤمنين، وفيكم رجل حي افتضحتم في العرب! فقاتلوا قتالاً شديداً ما قاتلوا مثله، فلذلك قال علي:

لَمَنْ رَايَةً سُدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا	إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقْدَمَا ^(٧)
وَيَقْدَمُهَا فِي الْمَوْتِ حَتَّى يُزِيرَهَا	حِيَاضُ الْمَنَايَا ^(٨) تَقْطُرُ الْمَوْتَ وَالْدَّمَ
أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَعَنَّا وَضُرَابَنَا	بِأَسْيَافِنَا حَتَّى تَوَلَّى ^(٩) وَأَحْجَمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمًا صَابَرُوا فِي لِقَائِهِمْ	لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا مَا أَعَفَّ ^(١٠) وَأَكْرَمَا ^(١١)
وَأَطِيبَ أَخْبَارًا ^(١٢) وَأَكْرَمَ شِيَمَةً	إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمَغُمَا ^(١٣)

- (١) في الأصل «فدى نفسه بنفسه».
- (٢) في تاريخ الطبري ١٩/٥ «فقتله مولى بني أمية». والعبارة في وقعة صفين ٢٨٠ «وخالط علياً ليضربه بالسيف، فأنهزه علي، فتقع يده في جيب درعه، فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأنني أنظر إلى رجله تختلفان على عنق علي».
- (٣) في الأصل «بجلباب».
- (٤) عند الطبري «منكبه».
- (٥) في تاريخ الطبري «عند».
- (٦) الخبر في: وقعة صفين ٢٨٠ - ٢٨٣، وتاريخ الطبري ١٩/٥.
- (٧) في الطبعة الأوربية «يا حضين يقدم».
- (٨) في وقعة صفين «حتى يديرها». حمام المنايا.
- (٩) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «تعافا».
- (١٠) في الأصل «أعز».
- (١١) ورد هذا الشطر في وقعة صفين بلفظ مختلف: «لدى البأس حراً ما أعف وأكرما»
- (١٢) في النسخة (ي): «وأخيار».
- (١٣) في وقعة صفين وشرح نهج البلاغة:

رَبِيعَةَ أَعْنِي، إِنَّهُمْ أَهْلُ نَجْدَةٍ وَبَاسٍ إِذَا لَاقُوا خَمِيسًا^(١) عَرَمَرَمًا^(٢)

ومرّ به الأشتر وهو يقصد الميسرة، والأشتر يركض نحو الفزع^(٣) قِبَل الميمنة، فقال له عليّ: يا مالك! قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين! قال: ائْتِ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ فَقُلْ لَهُمْ: أَيْنَ فَرَارِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي لَنْ تُعْجِزُوهُ إِلَى الْحَيَاةِ الَّتِي لَا تَبْقَى لَكُمْ؟ فَمَضَى الْأَشْتَرُ، فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ مِنْهَزِمِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ عَلِيّ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا الْأَشْتَرُ، إِلَيَّ! أَخْلَصُوا لِي^(٤) مَذْجَجًا، فَأَقْبَلْتُ مَذْجَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا أَرْضَيْتُمْ رَبِّكُمْ، وَلَا نَصَحْتُمْ لَهُ فِي عَدْوِكُمْ، وَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْحَرْبِ، وَأَصْحَابُ الْغَارَاتِ، وَفَتَيَانُ الصَّبَاحِ، وَفَرَسَانُ الطَّرَادِ، وَحَتُوفُ الْأَقْرَانِ، وَمَذْجَجُ الطَّعَانِ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسْبِقُونَ بَثْرَهُمْ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاؤُهُمْ^(٥)، وَمَا تَفْعَلُونَ هَذَا الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَهُ، فَاَنْصَحُوا وَاصْذُقُوا (عَدْوَكُمْ اللَّقَاءَ)^(٦)، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلاءِ - وَأَشَارَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ - رَجُلٌ عَلَى مِثْلِ جَنَاحٍ يَبْعُوضَةٌ مِنْ دِينَ^(٧)، أَجْلُوا سَوَادَ وَجْهِي يَرْجِعُ فِيهِ دَمُهُ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، فَإِنَّ اللَّهَ [لَوْ] قَدْ فَضَّهَ تَبِعَهُ مَنْ بَجَانِيهِ. قَالُوا: تَجَدْنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ^(٨). فَقَصَدَ نَحْوَ عَظْمِهِمْ مِمَّا يَلِي الْمِيمَنَةَ، يَزْحَفُ إِلَيْهِمْ وَيَرُدُّهُمْ، وَاسْتَقْبَلَهُ شَبَابٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَكَانُوا ثَمَانِمِائَةَ مَقَاتِلٍ يَوْمِئِذٍ، وَكَانُوا صَبَرُوا فِي الْمِيمَنَةِ، حَتَّى أَصِيبَ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ وَمِائَةً رَجُلًا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَشَرَ رِئِيسًا، كَانَ أَوَّلُهُمْ ذُوَيْبٌ^(٩) بْنُ شَرِيحَ، ثُمَّ شُرْحَبِيلُ، ثُمَّ مَرْتَدٌ، ثُمَّ هُبَيْرَةُ، ثُمَّ يَرِيمُ، ثُمَّ سُمَيْرٌ^(١٠) أَوْلَادُ شَرِيحَ، فَقَتَلُوا، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَمِيرَةَ، ثُمَّ الْحَارِثُ ابْنُ

= وَأَحْزَمَ صَبْرًا حِينَ تَدْعَى إِلَى السَّوْغَى إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الْكُمَاةِ تَغْمَغُمَا
عِنْدَ الطَّبْرِيِّ ٣٨/٥ «جَسِيمًا».

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٣٧/٥، ٣٨، ووقعة صفين وفيه زيادة ٣٢٥، ٣٢٦ وقد نسبها إلى الحَضِيزِ بْنِ الْمُنْذَرِ فَقَالَ: «أَقْبَلَ الْحَضِيزِ بْنِ الْمُنْذَرِ - وَهُوَ يَوْمِئِذٍ غَلَامٌ - يَزْحَفُ بِرَايَتِهِ، وَكَانَتْ حُمْرَاءَ، فَأَعْجَبَ عَلِيًّا زَحْفَهُ وَثَبَاتَهُ، فَقَالَ: «... وَذَكَرَ الْأَبْيَاتِ. وَأُورِدَ الْمَسْعُودِيُّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فَقَطْ ٣٩٩/٢ فِيهِ: «إِذَا قُلْتَ». وَهُوَ أَيْضًا فِي جُمُوهَرَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ٣١٧، وَسَمَطُ اللَّاقِلِيِّ لِأَبِي عُبَيْدٍ الْبَكْرِيِّ ٨١٧، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ حَضِنْ)، وَكُلُّهَا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٤٨٧/١، وَالْفَتْوحُ لِابْنِ أَعْتَمٍ ٣٧/٣، ٣٨ بِاخْتِلَافٍ.

(٣) فِي الطَّبْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ «الْقَرْع».

(٤) عِنْدَ الطَّبْرِيِّ «إِلَيَّ».

(٥) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ، وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «وَلَا يُعْرِفُونَ فِي مَوْطِنٍ بِخَسْفٍ، وَأَنْتُمْ حَذَّ (أَحَدٍ) أَهْلِ مَصْرَكُمُ، وَأَعَدَّ حَيَّ فِي قَوْمِكُمْ».

(٦) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنَ النُّسخَةِ (ر).

(٧) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢٠/٥ «مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ» وَ«دِينَ» زِيَادَةٌ مِنَ النُّسخَةِ (ر).

(٨) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ «خَذَ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ».

(٩) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ وَوَقْعَةِ صَفِينِ وَشَرَحَ النَّهْجَ «كَرِيب».

(١٠) فِي وَقْعَةِ صَفِينِ «شَمْرُ بْنُ شَرِيحَ».

بشير^(١) فقتلوا جميعاً، ثم أخذ الراية سفيان، وعبد الله وبكر^(٢) بنو زيد فقتلوا جميعاً، ثم أخذ الراية وهب بن كريب، فانصرف هو وقومه وهم يقولون: ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت، ثم نرجع فلا ننصرف، أو نقتل أو نظفر^(٣)! فسمعهم الأشتر يقولون هذا، فقال لهم: أنا أحالفكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك. فوقفوا معه، وفي هذا قال كعب بن جعيل:

وهمدان زُرُقٌ تَبْتَغِي مَن تُحَالِفُ

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه الناس، وتراجعوا، من أهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة إلا كشفها، ولا جمعة إلا حازه^(٤) وردّه، فإنه كذلك إذ مرّ به زياد بن النضر الحارثي يحمل إلى العسكر وقد صُرع، وسببه أنه^(٥) قد كان استلحم عبد الله بن بُذيل وأصحابه في الميمنة، فتقدّم زياد إليهم، ورفع رايته لأهل الميمنة، فصبروا وقاتل حتى صُرع. ثم مروا بيزيد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحو العسكر، وكان قد رفع رايته لأهل الميمنة لما صُرع زياد وقاتل حتى صُرع، فقال الأشتر (حين رآه)^(٦): هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم، ألا يستحي الرجل أن ينصرف ولا يُقتل (أو يُشفى به على القتل)^(٧)؟ وقاتلهم الأشتر قتالاً شديداً، ولزمه الحارث بن جُمهان الجعفيّ يقاتل معه، فما زال هو ومن رجع إليه يقاتلون، حتى كشف أهل الشام، وألحقهم بمعاوية والصف الذي معه بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبد الله بن بُذيل وهو في عصابة من القراء نحو المائتين أو الثلاثمائة، قد لصقوا^(٨) بالأرض كأنهم جُثا^(٩)، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا إخوانهم فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟ قالوا^(١٠): حيّ صالح في الميسرة، يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله! قد كنّا ظننا أنه^(١١) قد هلك وهلكتم.

(١) في وقعة صفين «بشر».

(٢) عند الطبري ٢١/٥ ووقعة صفين «كريب بن زيد».

(٣) في وقعة صفين «نظهر».

(٤) في الطبعة الأوروبية «جازه».

(٥) في الأصل زيادة «قصير».

(٦) زيادة من (ر).

(٧) زيادة من الأصل. والخبر في: وقعة صفين ٢٨٢ - ٢٨٦، وتاريخ الطبري ١٩/٥ - ٢٢، وشرح نهج البلاغة ٤٨٧/١.

(٨) في الأصل والنسخة (ي): «اصطفوا».

(٩) في النسخة (ر): «جبا» والأصل «جبالاً» وفي الطبعة الأوروبية «جثا». والجثا: جمع جثوة، وهي الكومة من التراب.

(١٠) في الطبعة الأوروبية «قال».

(١١) في تاريخ الطبري ٢٣/٥ «أن».

وقال عبد الله بن بُذَيْل [لأصحابه]: استقِدِموا بنا. فقال الأَشْتر: لا تفعل واثبت مع الناس^(١)، فإنه خيرٌ لهم وأبقى لك ولأصحابك. فأبى، ومضى كما هو نحو معاوية، وحوله كأمثال الجبال ويده سيفان^(٢)، وخرج عبد الله أمام أصحابه يقتل كل من دنا منه، حتى قتل جماعة^(٣)، ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كل جانب، وأحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قُتل، وقُتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة منهم مجرحين^(٤). فبعث الأَشْترُ الحارث بن جُمَهان الجُعفي، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم^(٥) من أصحاب عبد الله حتى نَفَسُوا عنهم، وانتهوا إلى الأَشْتر. وكان معاوية قد رأى ابن بُذَيْل وهو يضرب قُدماً، فقال: أترونه كبش القوم؟ فلمّا قُتل أرسل إليه لينظروا من هو، فلم يعرفه أهل الشام، فجاء إليه، فلمّا رآه عرفه فقال: هذا عبد الله بن بُذَيْل، والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلننا فضلاً عن^(٦) رجالها! وتمثل بقول حاتم: أخو الحرب إن^(٧) عَضَتْ به الحربُ عَضَّها وإن شَمَرَتْ يوماً به الحربُ شَمَرًا^(٨) وزحف الأَشْتر بعكَّ والأشعرين (وقال لمَذْجِج: اكفونا عَكًّا، ووقف في همدان وقال لِكِنْدَةَ: اكفونا الأشعرين)^(٩)، فاقتلوا قتالاً شديداً إلى المساء، وقتلهم الأَشْتر في همدان، وطوائف من الناس، فأزال أهل الشام (عن مواضعهم)^(١٠) حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقّلة بالعمائم حول معاوية، ثم حمل عليهم حملة أخرى، فصرع أربعة صفوف من المعقّلين بالعمائم [حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية]، ودعا معاوية بفرسه فركب، وكان يقول: أردتُ أن انهزم فذكرتُ قول ابن الإطابة الأنصاري، وكان جاهلياً:

(١) عند الطبري زيادة «فقاتل».

(٢) في الأصل «سنان».

(٣) عند الطبري «حتى قتل سبعة».

(٤) في تاريخ الطبري ٢٣/٥ «ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين».

(٥) عند الطبري «من نجا».

(٦) عند الطبري «على».

(٧) في الطبعة الأوربية «إذ».

(٨) البيت في ديوان حاتم الطائي ١٢١، وتاريخ الطبري ٢٤/٥، ونهاية الأرب ١٣١/٢٠ وزاد بيتاً آخر، وشرح نهج البلاغة، وفيه:

... وإن شَمَرَتْ عن ساقها ...

والبيت أيضاً في مروج الذهب وزيادة بيت آخر. (٣٩٨/٢) وكذلك في الأخبار الطوال ١٧٦ وفيه:

... وإن شَمَرَتْ عن ساقها الحرب فشَمَرًا

وزاد في الفتوح لابن أعثم ٤٩/٣ بيتين.

(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١٠) زيادة من (ر).

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى^(١) بِلَائِي^(٢) وإقدامي على البَطْلِ المشيح^(٣)
وإعطائي على المكْرُوهِ مالي وأخذني الحمد بالثمنِ الرِّيحِ^(٤)
وقولي كلما جشأت وجاشت: مكانك تُحمدي أو تستريحي^(٥)

قال: فمعني هذا القول من الفرار، ونظر إليّ عمرو وقال: اليوم صبر وغداً فخر. فقلت: صدقت. وتقدم جُنْدَب بن زهير فبارز رأس أزد الشام، فقتله الشامي، وقُتل من رَهْطه عَجَل، وسعد ابنا عبد الله، وقُتل أبو زينب بن عوف. وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر، فأصيب معه^(٦)، وتقدم عُقبة بن

(١) في الطبعة الأوربية «فأبى».

(٢) عند الطبري ٢٤/٥:

«أبت لي عِفَّتِي وحياء نفسي»

(٣) البيت في أمالي القاضي، وعيون الأخبار، ولباب الآداب، والكامل للمبرّد:

أبت لي عِفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وأخذني الحمد بالثمن الرِّيح
وفي العقد الفريد: «أبت لي شيمتي».

وفي حماسة البحري: «أبى إباتي».

(٤) هكذا مثل تاريخ الطبري ٢٤/٥، أما في أمالي القاضي، ومجالس ثعلب، والمزهر:

وإعطائي على الإعدام مالي وضريي هامة البطل المشيح
وفي عيون الأخبار، والعقد الفريد، ولباب الآداب، ولسان العرب، وشرح شواهد العيني:

وإقدامي على المكروه نفسي

(٥) هكذا عند الطبري ٢٤/٥، ولباب الآداب، والعقد الفريد.

وفي أمالي القاضي:

.. رويدك تُحمدي أو تستريحي

وفي عيون الأخبار، ولسان العرب:

وقولي كلما جشأت لنفسي ..

وقد زاد في الأمالي ٢٥٨/١ بيتاً، وكذا في العقد الفريد ١٠٥/١، ولباب الآداب ٢٢٤، وحماسة

البحري، وزاد في عيون الأخبار ١٢٦/١ بيتين، وكذلك في الفتوح لابن أعثم ٣١٦/٣، ٣١٧، ومعجم

الشعراء للمرزباني ٢٠٤.

والأبيات في: مجالس ثعلب ٨٣/١ وفيه:

«مكانك تعذري أو تستريحي»

وفي لسان العرب ٤٠/١، و٣٣١/٣، ونهاية الأرب ١٣٢/٢٠، والبداية والنهاية ٢٦٤/٧، والمزهر

للسيوطي ١٩٧/٢، ووقعة صفين ٤٤٩، والكامل للمبرّد ٢٩٣/٢، وحماسة البحري ٩، والشواهد

الكبرى للعيني ٤١٥/٤، وشرح شواهد العيني للسيوطي ١٨٦، وأنساب الأشراف ٣٠٦، والمشيح:

المقبل إليك والمانع لما وراء ظهره. وقيل: المُشيح: المُجَدِّ في الأمر.

وجشأت: ارتفعت نفسه جزعاً وفزعاً وحزنًا وكراهة.

وجاشت: أصابها الغثيان من الفزع.

(٦) وقعة صفين ٢٩٧، ٢٩٨، تاريخ الطبري ٢٧/٥.

حديد^(١) النُميري^(٢) وهو يقول: ألا إن مرعى الدنيا أصبح هشيمًا، وشجرها خضيدًا، وجديدها سَمَلًا، وحُلُوها مرَّ المذاق^(٣)، إني قد سئمت الدنيا، وعزفت نفسي عنها، وإني أتمنى الشهادة، وأتعرض لها في كل جيش^(٤) وغارة، فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم، وإني متعرض لها من ساعتى هذه، وقد طمعت أن لا أحرمها، فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله؟ في كلام طويل^(٥). وقال: يا إخواني قد بعث هذه الدار بالتي أمامها، وهذا وجهي إليها. فتبعه إخوانه عبيد الله، وعوف، ومالك، وقالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك^(٦)، فقاتلوا حتى قتلوا. وتقدم (شَمِر) بن ذي الجوشن فبارز، فضرب أدهم بن مُحَرِّز الباهلي بالسيف وجهه، وضربه شَمِر فلم يضره، فعاد شَمِر [إلى رحله] فشرب ماء، وكان ظمآن، ثم أخذ الرمح، ثم حمل على أدهم فصرعه وقال: هذه بتلك^(٧).

وكانت راية بَجِيلَة^(٨) مع أبي شَدَاد قيس بن هُبيرة الأحمسي، وهو قيس بن مكشوح، (ومكشوح لقب)^(٩)، فقال لقومه: واللَّهِ لأتِهينَّ بكم إلى صاحب الترس المذهب^(١٠)، وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد^(١١)، فقاتل الناس قتالًا شديدًا، وشَدَّ بسيفه نحو صاحب الترس، فعرض له مولى رومي^(١٢) لمعاوية، فضرب قدم أبي شَدَاد فقطعها، وضربه أبو شَدَاد فقتله، وأشرعت إليه الرماح فقتل، وأخذ الراية عبد الله بن قِلْع^(١٣) الأحمسي، فقاتل حتى قُتل، ثم أخذها عفيف بن إياس، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس. وقُتل

-
- (١) في النسخة (ي): «حبيب».
 - (٢) عند الطبري ٢٧/٥ «النمري».
 - (٣) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة: «أو إني أنبئكم نبأ امرئ صادق».
 - (٤) في وقعة صفين «في كل حين».
 - (٥) انظر بقيته في وقعة صفين ٢٩٨، ٢٩٩، وتاريخ الطبري ٢٨/٥.
 - (٦) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة: «فَبَحَّ الله العيش بعدك. اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك، فاستقدموا فقاتلوا».
 - (٧) مهمل في النسخة (ر).
 - (٨) وقعة صفين ٣٠٣، ٣٠٤، تاريخ الطبري ٢٨/٥ وفيهما شعر لشمر قاله هنا.
 - (٩) في الأصل «علي».
 - (١٠) زيادة من الأصل.
 - (١١) في وقعة صفين زيادة: «وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس».
 - (١٢) في الأصل «مالك».
 - (١٣) في تاريخ الطبري ٢٦/٥ «فتعرض له رومي، مولى لمعاوية». وفي وقعة صفين «فتعرض له رومي من دونه».
 - (١٤) في النسخة (ي): «قلعي».

حازم بن أبي حازم، أخو قيس بن أبي حازم، يومئذ، وقتل أبوه أيضاً، له صحبة، ونعيم (بن ضَهَب بن العيلة) ^(١) البجليون مع علي ^(٢).

فلما رأى عليّ ميمنة أصحابه قد عادت إلى مواضعها ومواقفها، وكشفت من بإزائها من عدوها حتى ضاربوهم ^(٣) في مواقفهم ومراكزهم؛ أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جولتكم عن صفوفكم، يحوزكم الجُفأة الطغام، وأعراب الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعُمار الليل ^(٤) بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق. فلولا إقبالكم بعد إدماركم، وكركم بعد انحيازكم، لَوَجِبَ عليكم ما يجب على المؤلّي يوم الزحف [دُبْرَة]، وكنتم من الهالكين، ولكن هَوْنٌ وجدي، وشفى أحاح ^(٥) نفسي أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم ^(٦)، فالآن، فاصبروا، فقد نزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله باليقين، ليعلم المنهزم ^(٧) أنه مُسَخِّطُ رَبِّه، ومُؤَبِّقُ نَفْسِه، في كلامٍ طويل ^(٨). وكان بشر بن عَصَمَة المُرِّي قد لحق بمعاوية، فلما اقتتل الناس بصقّين نظر ^(٩) بشر إلى مالك بن العَقْدِيَّة الجُشَمِيِّ، وهو يفتك بأهل الشام ^(١٠)، فاغتاظ لذلك، فحمل على مالك (وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عَصَمَة) ^(١١) فصرعه، ولم يقتله، وانصرف عنه، وقد ندم على طعنته إيّاه، وكان جباراً، فقال:

وإني لأرجو من مَليكي تَجَاوُزاً ومن صاحبِ الموسوم ^(١٢) في الصّدر هاجسٌ
دَلَفْتُ لَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ بِطَعْنَةٍ على سَاعَةٍ فِيهَا الطَّعَانُ تَخَالُسُ
فبلغت مقالته ابن العَقْدِيَّة فقال:

- (١) في النسخة (ي) «الصلت» بدل الموجود بين القوسين. وفي تاريخ الطبري ٢٦/٥ «العلية».
- (٢) «مع علي» من الأصل. والخبر في وقعة صفين ٢٩١ - ٢٩٣، وتاريخ الطبري ٢٥/٥، ٢٦.
- (٣) في الأصل ونسخة (ي): «صاروا».
- (٤) في الطبعة الأوربية «الليلة».
- (٥) الأحاح: العطش والغيط.
- (٦) وقد زاد في النسخة (ي) بعد «الهيم»: العطاش.
- (٧) في الأصل «الحزم».
- (٨) انظر بقيته في: وقعة صفين ٢٨٩، ٢٩٠، وتاريخ الطبري ٢٥/٥.
- (٩) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «بصر».
- (١٠) العبارة في وقعة صفين وتاريخ الطبري «فراه» بشر وهو يفري في أهل الشام فرّياً عجيباً.
- (١١) ما بين القوسين من النسخة (ر).
- (١٢) الموسوم: اسم فرس.

ألا أبليغا بِشَرِّ بنِ عِصْمَةَ أَنَّنِي شُغِلْتُ وأَلْهَانِي الَّذِينَ^(١) أُمَارِسُ
وَصَادَفَتْ مِنِّي غِرَّةً وَأَصَابَتْهَا كَذَلِكَ وَالْأَبْطَالُ مَاضٍ وَحَابِسُ^(٢)

وحمل عبدُ الله بنُ الطُّفَيْلِ الْبَكَّائِي على أهل الشام، فلَمَّا انصرف حمل عليه رجل من بني تميم يقال له قيس بن مُرَّة^(٣) مَمَّنْ لِحِقَ بمعاوية من أهل العراق، فوضع الرمح بين كتفي عبد الله، واعترضه ابن عمُّ لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية، فوضع الرمح بين كتفي التميمي، فقال له: والله لئن (طعنته لأطعننك! فقال له: عليه عهدُ الله وميثاقه إن)^(٤) رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن^(٥) سنانك عني! قال: نعم. فرفع التميمي سنانَه، ورفع يزيد سنانَه، فلَمَّا رجع الناس إلى الكوفة عتب يزيد على ابن الطُّفَيْلِ^(٦)، فقال [له]:

ألم ترني حَامَيْتُ عَنْكَ مُنَاصِحاً بِصَفَيْنَ إِذْ خَلَكَ كُلُّ حَمِيمٍ
ونَهْنَهْتُ^(٧) عَنْكَ الْحَنْظَلِيَّ وَقَدْ أَتَى عَلَى سَابِحٍ^(٨) ذِي مِيعَةٍ^(٩) وَهَزِيمٍ^(١٠)

وخرج رجل من آل عكٍّ من أهل الشام يسأل المبارزة، فبرز إليه قيس بن فُهْدَانِ الْكِنْدِيُّ، فحمل عليه [العَكِّيَّ]^(١١) وتجاوزا ساعة، ثم طعنه عبد الرحمن فقتله، وقال^(١٢):

لَقَدْ عَلِمْتُ عَكُّ بِصَفَيْنَ أَنَّنَا إِذَا التَقَتِ الْخِيْلَانُ نَطْعُنْهَا شَزْرَا

- (١) في الطبعة الأوربية «الدين».
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٢٩/٥ وفيه «خالس» بدل «حابس». وهي في كتاب الفتوح لابن أعثم باختلاف شديد (٤٦/٣، ٤٧) ولفظه:

دَلَفْتُ لَهُ تَحْتَ الْغِبَارِ بِطَعْنَةٍ عَلَى بَصْرِ مَنِي طَعَانِ الْمَخَالِسِ
وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْ مَلِكِي وَخَالِقِي وَمِنْ مَالِكِ الْأَمْلاكِ دَارَ التَّنَافُسِ
وقول مالك:

أَيَا بَشَرَ صَبْرًا لَا تُرَاعَ فِلَانِنِي شُغِلْتُ وَأَلْهَانِي الَّذِينَ أُمَارِسُ
وَصَادَفَتْ مِنِّي غِرَّةً فَأَصَابَتْهَا كَذَلِكَ يَكُونُ النَّاسُ مَاشٍ وَجَالِسُ

- (٣) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «قُرَّة».
(٤) زيادة من الأصل.
(٥) في النسخة (ي): «أَنْ تَعَزَلْ».
(٦) عند الطبري ٢٩/٥: «عتب على يزيد بن الطفيل» وهو وهم.
(٧) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «ونَهَضَتْ».
(٨) في الأصل «ساحة».
(٩) في النسخة (ي): «منعة».
(١٠) البيتان في تاريخ الطبري ٢٩/٥، وهما باختلاف بعض الألفاظ في وقعة صفين ٣٠٥، ٣٠٦.
(١١) زيادة من الطبري للتوضيح.
(١٢) القائل هو قيس بن فُهْدَانِ كما عند الطبري.

ونحملُ راياتِ الطَّعانِ بِحَقِّهَا^(١) فنورِدها بيضاً ونُصدرها حُمْراً^(٢)

وخرج قيس بن يزيد، وهو ممَّن فرَّ إلى معاوية، فخرج إليه أبو العَمَرُطَة بن يزيد، فتعارفا فتواقفا، ثمَّ انصرفا، وأخبر كلُّ واحد منهما أنَّه لقي أخاه^(٣). وقالت طيء يومئذ قتالاً شديداً، فُعْبِيت^(٤) لهم جموع، فأتاهم حُمْرة^(٥) بن مالك الهمداني، فقال: من القوم؟ فقال له عيد الله بن خليفة، وكان شيعياً^(٦) شاعراً خطيباً: نحن طيء السهل، وطيء الرمل، وطيء الجبل، الممنوع ذي النخل^(٧)، نحن طيء الرماح، وطيء البطاح^(٨)، فرسان الصباح. فقال حُمْرة^(٩) بن مالك: إنَّك لَحَسَنُ الثَّناء على قومك. واقتل الناس قتالاً شديداً، فناداهم^(١٠): يا معشر طيء، فِدَى لکم طارفي وتالدي! قاتلوا على الدِّين والأحساب^(١١). وحمل بِشْر بن العَسوس فقاتل، ففُقِئت عينه يومئذ، فقال في ذلك:

ألا لَيْتَ عيني هِذِهِ مِثْلُ هِذِهِ ولم أَمْشِ في الأحياء^(١٢) إلَّا بِقائِدٍ
ويا لَيْتَ رَجلي ثَمَّ طُنْتُ^(١٣) بِنَصْفِها ويا لَيْتَ كَفي ثَمَّ طاحتْ بِساعدي^(١٤)
ويا لَيْتَني لم أَبَقْ بَعْدَ مَطَرٍ وسعد وبعْدَ المَسْتَنيرِ بن خالِدٍ
فوارِس لم تَغْدُ الحواضِنُ مِثْلَهُمْ إذا الحَرْبُ أَبَدَتْ عن خِدامِ^(١٥) الخرائدِ^(١٦)

وقالت النَّخَعُ يومئذ قتالاً شديداً، فأصيب منهم حَيَّان (ويكر ابنا هُوَذَة، وشُعيب بن

- (١) في الأصل و(ي) «بجدها».
- (٢) وقعة صفين ٣١٣، ٣١٤، تاريخ الطبري ٣٠/٥.
- (٣) الطبري ٣٠/٥.
- (٤) في الأصل «فعبئت»، وفي النسخة (ي) «فقبلت».
- (٥) في تاريخ الطبري «حمزة».
- (٦) في النسخة (ي): «منيعاً».
- (٧) في تاريخ الطبري ووقعة صفين زيادة: «نحن حُماة الجبلين، إلى ما بين العُذيب والعين».
- (٨) في تاريخ الطبري «الطباح» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.
- (٩) عند الطبري وابن مزاحم «حمزة».
- (١٠) الضمير يعود إلى «عبدالله بن خليفة».
- (١١) في الطبعة الأوربية «والاحتساب».
- (١٢) في وقعة صفين ٣١٧ «ولم أَمْشِ بين الناس»، وفي تاريخ الطبري ٣١/٥ «فلم أَمْشِ في الأناس».
- (١٣) طُنْتُ: قُطِعت.
- (١٤) هذا البيت ترتيبه الرابع عند ابن مزاحم، والطبري.
- (١٥) الخِدام: السِّيقان.
- (١٦) وقعة صفين ٣١٦، ٣١٧، تاريخ الطبري ٣١/٥، ٣٢، الفتوح لابن أعثم ٥٣/٣.

نُعِيم، وربيعة بن مالك بن وهليل^(١)، وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقُطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلي أصحَّ ممَّا كانت، وإنَّها لممَّا أرجو بها الثواب وحُسْنُ الجزاء من ربِّي. قال: ورأيت أخي في المنام فقلت له: ماذا قدِمْتُم عليه؟ فقال لي: إنَّا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى، فاحتججنا فحججناهم، فما سررت بشيء سروري بتلك الرؤيا^(٢)، (وكان يقال لأبي: أبي الصلاة، لكثرة صلاته)^(٣). وخرجت حمير في جمعها، ومن انضمَّ إليها من أهل الشام، ومقدّمهم ذو الكلاع، ومعه عُبيد الله بن عمر بن الخطاب، وهم ميمنة أهل الشام، فقصدوا ربيعةً من أهل العراق، وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق، وفيهم ابن عباس على الميسرة، فحملوا على ربيعة حملةً شديدة فضعضعت راية^(٤) ربيعة^(٥). وكانت الراية مع أبي ساسان حُضَيْنَ بن المنذر، فانصرف أهل الشام عنهم، ثم كرَّ عُبيد الله بن عمر وقال: يا أهل الشام إنَّ هذا الحيَّ من أهل العراق قَتَلْتُمْ عثمان وأنصار عليٍّ. فشَدُّوا على الناس شدَّةً عظيمةً، فثَبَّتْ ربيعة، وصبروا صبراً حسناً، إلَّا قليلاً من الضعفاء والفُشَلَّة، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر والحِفاظ، وقاتلوا قتالاً حسناً، وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم، وكان على ربيعة، فلمَّا رأى أصحاب الرايات قد صبروا رجع، وصاح بمن انهزم، وأمرهم بالرجوع فرجعوا^(٦). وكان خالد قد سعي به إلى عليٍّ أَنه كاتب معاوية، فأحضره عليٍّ ومعه ربيعة، فسأله عليٌّ عمَّا قيل، وقال له: إن كنت فعلت ذلك فالحقُّ بأيِّ بلدٍ شئت، لا يكون لمعاوية عليه^(٧) حُكْم. فأنكر ذلك.

وقالت ربيعة: يا أمير المؤمنين، لو نعلم أَنه فعل ذلك لقتلناه، فاستوثق منه عليٌّ بالعهود، فلمَّا فرَّ أَنهم بعضُ الناس، واعتذر هو بأنِّي لما رأيت رجلاً منَّا قد انهزموا استقبلتهم لأردَّهم إليكم، فأقبلتُ بمن أطاعني إليكم. ولما رجع إلى مقامه حرَّض ربيعة، فاشتدَّ قتالهم مع حمير وعُبيد الله بن عمر، حتى كُثِرَتْ بينهم القتلى، فقتل سُمير بن الرِّيان العجلي^(٨)، وكان شديد البأس، وأتى زيادُ (ابن عمر)^(٩) بن خَصْفة عبد القيس،

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٢) وقعة صفين ٣٢٢، ٣٢٣، تاريخ الطبري ٣٢/٥ بتصرّف في الألفاظ.

(٣) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٤) عند الطبري «رايات».

(٥) وقعة صفين ٣٢٦، ٣٢٧، تاريخ الطبري ٣٤/٥.

(٦) صفين ٣٢٨، الطبري ٣٤/٥.

(٧) في الأصل «عليك».

(٨) في النسخة (ر): «العجلي».

(٩) زيادة من (ر).

فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من جَمِير، وقال: يا عبد القيس لا بَكْر بعد اليوم، فأتت عبد القيس بني بكر، فقاتلوا معهم، فقتل ذو الكَلَّاع الحِمْيَرِيَّ وعُبيد الله بن عمر، قتله^(١) محرز بن الصَّخَّصَح من تيم الله^(٢) بن ثعلبة من أهل البصرة، وأخذ سيفه ذو الوشاح، وكان لعمر، فلمَّا ملك معاوية العراق أخذه منه^(٣)، وقيل: بل قتله هانيء بن خطَّاب الأرحبي. (وقيل: قتله مالك بن عمرو التَّنَعِي الحَضْرَمِي)^(٤).

وخرج عَمَّار بن ياسر على الناس فقال: اللهمَّ إِنَّكَ تعلم أَنِّي لو أعلم أَنَّ رضاكَ في أَنْ أَقْذِفَ بِنَفْسِي فِي هَذَا الْبَحْرِ لَفَعَلْتَهُ. اللهمَّ إِنَّكَ تعلم أَنِّي لو أعلم أَنَّ رضاكَ في أَنْ أَضَعُ ظُبَّةَ سَيْفِي فِي بَطْنِي^(٥) ثُمَّ أَنَحْنِي عَلَيْهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي لَفَعَلْتَهُ. وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ عَمَلًا هُوَ أَرْضَى لَكَ مِنْ جِهَادِ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ، وَلَوْ أَعْلَمُ عَمَلًا هُوَ أَرْضَى لَكَ مِنْهُ لَفَعَلْتَهُ. وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى^(٦) قَوْمًا لِيُضْرِبُكُمْ ضَرْبًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمَبْطُلُونَ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بَنَاءَ سَعَفَاتِ هَجَرَ^(٧)، لَعَلِمْتُ أَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ^(٨). ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَبْتَغِي رِضْوَانَ اللَّهِ رَبِّهِ^(٩) وَلَا يَرْجِعَ إِلَى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ؟ فَآتَاهُ عَصَابَةً، فَقَالَ: اقْصِدُوا بَنَاءَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ دَمَ عُثْمَانَ، وَاللَّهِ مَا أَرَادُوا الطَّلَبَ بِدَمِهِ، وَلَكِنْهُمْ ذَاقُوا الدُّنْيَا وَاسْتَحَبُّوْهَا، وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ إِذَا لَزِمَهُمْ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ يَسْتَحَقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالْوَلَايَةَ عَلَيْهِمْ، فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ، وَإِنْ قَالُوا: إِمَامُنَا قُتِلَ مَظْلُومًا، لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مُلُوكًا، فَبَلَّغُوا مَا تَرَوْنَ، فَلَوْلَا هَذِهِ مَا تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلَانِ. اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصَرْنَا فَطَالَمَا نَصَرْتَ، وَإِنْ تَجْعَلَ لَهُمُ الْأَمْرَ، فَادْخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا فِي عِبَادِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. ثُمَّ مَضَى وَمَعَهُ تِلْكَ الْعَصَابَةُ^(١٠)، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ صِفِّينَ إِلَّا تَبِعَهُ مِنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ الْمِرْقَالُ، وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةِ عَلِيٍّ، وَكَانَ أَعْوَرًا، فَقَالَ: يَا هَاشِمُ أَعْوَرًا

(١) في النسخة (ي): «قتلها».

(٢) في (ي): «اللات».

(٣) صفين ٣٣٤ - ٣٣٦، تاريخ الطبري ٣٦/٥.

(٤) هذه الفقرة من الأصل. والخبر في تاريخ الطبري ٣٦/٥.

(٥) عند الطبري «صدري».

(٦) في الطبعة الأوربية «لا أرى».

(٧) أي جريد النخل الذي يكثر في هجر.

(٨) وقعة صفين ٣٦٣ - ٣٦٥، تاريخ الطبري ٣٨/٥.

(٩) عند الطبري «رضوان الله عليه» (٣٩/٥).

(١٠) الطبري ٣٩/٥.

وَجُبْنًا^(١)؟ لا خير في أعور لا (يغشى البأس)^(٢)، اركب يا هاشم؛ فركب ومضى معه وهو يقول:

أَعُورٌ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا
(لا بُدَّ أَنْ يَفْلَ أَوْ يُفَلَّ)^(٣) يَتْلُهُمْ بَذِي الْكَعُوبِ تَلًّا^(٤)

وعَمَّارٌ يقول: تقدّم يا هاشم، الجنّة تحت ظلال السيوف، والموت تحت أطراف الأسل، وقد فُتحت أبواب السماء، وتزيّنت الحُور العين. اليوم ألقى الأحبة، محمّداً وحزبه. وتقدّم حتى دنا من عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو بعث دينك بمصر، تَبًّا لك! فقال له: لا، ولكنّ أطلب بدم عثمان. فقال: أنا أشهد علي علمي فيك، أنّك لا تطلب بشيءٍ من فعلك وجه الله (وأنّك إنّ لم تُقتل اليوم تمت غداً)^(٥)، فانظر إذا أُعطي الناس على قدرِ نيّاتهم ما نيّتك، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبرّ وأتقى^(٦). ثم قاتل عمّار، فلم يرجع وقتل.

(١) في الأصل «جباناً».

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «لا يخشى الناس».

(٣) حتى هنا في تاريخ الطبري ٤٠/٥ و ٤٤٤، والعقد الفريد ٤/٣٤٠. وفي أنساب الأشراف ورد هكذا:

أَعُورٌ يَبْغِي أَهْلًا مَحَلًّا قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْلَ وَمَا أَقَلَّا
لا بد أن يفَلَّ أو يُفَلَّ قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا
أَشْلَهُمْ بَذِي الْكَعُوبِ شَلًّا

وفي مروج الذهب ٢/٣٩٢، ٣٩٣:

قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْمَ وَمَا أَقَلَّا أَعُورٌ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا
قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا لا بد أن يغَلَّ أو يُغَلَّا
أَشْلَهُمْ بَذِي الْكَعُوبِ شَلًّا

وفي وقعة صفين ورد القول مختصراً في ص ٣٥٥، ومطولاً في ص ٣٢٧ هكذا:

قَدْ أَكْثَرَا لَوْمِي وَمَا أَقَلَّا أَنِّي شَرِبْتُ النَّفْسَ لِنِ اعْتِبَلَّا
أَعُورٌ يَبْغِي نَفْسَهُ مَحَلًّا لا بد أن يغَلَّ أو يُغَلَّا
قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا أَشْدَهُمْ بَذِي الْكَعُوبِ شَلًّا

قال ابن مزاحم: وعن عمرو بن شعمر:

أَشْلَهُمْ بَذِي الْكَعُوبِ شَلًّا

مع ابن عم أحمد المَعْلَى فِيهِ الرِّسُولُ بِالْهَدَى اسْتَهْلَا
أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَهُ وَصَلَّى فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ حَتَّى أَبْلَى

(٤) ما بين القوسين من الأصل، وهو في نهاية الأرب ١٣٦/٢٠، وشرح نهج البلاغة ٢/٢٦٩ وفيه زيادة، وانظر: الإصابة لابن حجر في ترجمة (المرقال) حيث ينسب هذا الشعر لعَمَّار بن ياسر.

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

(٦) تاريخ الطبري ٤٠/٥.

وقال حبة^(١) بن جُورين العُرنيّ: قلتُ لحُذيفة بن اليمان: حَدِّثْنَا، فَإِنَّا نخافُ الفتنَ . فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سُميَّة، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تقتله الفئة الباغية الناكبة»^(٢) عن الطريق، وإنَّ آخرَ رزقه ضيَّاحٌ من لبنٍ وهو الممزوج بالماء من اللبن . قال حبة: فشهدته يوم قُتل وهو يقول: اثنوني بأخر رزقي لي في الدنيا، فأتني بضياحٍ من لبن، في قدح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال:

اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر، لعِلِمْتُ أَننا على الحقِّ، وأنهم على الباطل^(٣). ثم قُتل، قتله أبو الغادية^(٤)، واحتزَّ رأسه ابن حُويّ السكسكي؛ (وقيل قتله غيره)^(٥).

وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضيَّاحٌ من لبنٍ»^(٦)، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو؟ فيقول عمرو: إِنَّه سيرجع إلينا، فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية، وأصيب عمار بعده مع عليٍّ، فقال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيَّهما أنا أشدُّ فرحاً، بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار (لمال بعامة)^(٧) أهل الشام إلى عليٍّ. فأتني جماعةٌ إلى معاوية كلَّهم يقول: أنا قتلت عماراً. فيقول عمرو: فما سمعته يقول؟ فيخلطون، فأتاه ابن حُويّ فقال: أنا قتلتَه فسمعته يقول:

اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه

فقال له عمرو: أنت صاحبه، ثم قال: رويداً، واللَّهِ ما ظفرتُ يداك، ولقد أسخطتَ ربَّكَ.

(١) تحرّف في النسخة (ي) إلى «حبة».

(٢) في النسخة (ي) والأصل «الناكبة».

(٣) تاريخ الطبري ٢٩/٣.

(٤) في الأصل «العادية» وفي النسخة (ي): «العادية»، وفي طبعة صادر ٣/٣١٠ «الغازية» والتصحيح من تاريخ الإسلام ٥٤٧ و ٥٨٢ وهو أبو الغادية الجُهني واسمه يسار بن سبع.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٣١٩/٤، وابن سعد في الطبقات ٢/٢٥٧، والحاكم في المستدرک ٣/٣٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨١.

(٧) في نسخة الأصل «لتابعه».

قيل : إِنَّ أبا الغادية^(١) قتل عَمَّاراً، وعاش إلى زمن الحجاج، ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له : أَنْتَ قَتَلْتَ ابْنَ سُمَيَّةَ؟ يعني عَمَّاراً. قال : نعم. فقال : مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَظِيمِ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي قَتَلَ ابْنَ سُمَيَّةَ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَبُو الْغَادِيَةِ^(٢) حاجته، فلم يُجِبْهُ إِلَيْهَا، فقال : نَوْطَىءَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْطُونَا^(٣) منها، ويزعم أَنِّي عَظِيمُ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! [فقال الحجاج]: أَجَلُ وَاللَّهِ، مَنْ كَانَ ضَرَسُهُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَفَخْذُهُ مِثْلَ جَبَلِ وَرْقَانَ، وَمَجْلِسُهُ مِثْلَ الْمَدِينَةِ وَالرَّبْذَةِ، إِنَّهُ لِعَظِيمُ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عَمَّاراً قَتَلَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ لَدَخَلُوا كُلَّهُمُ النَّارَ.

وقال [أبو]^(٤) عبد الرحمن السُّلَمِيُّ : لما قُتِلَ عَمَّارٌ دَخَلْتُ عَسْكَرَ مُعَاوِيَةَ لِأَنْظُرَ هَلْ بَلَغَ مِنْهُمْ قَتْلُ عَمَّارٍ مَا بَلَغَ مِنَّا، وَكُنَّا إِذَا تَرَكْنَا الْقِتَالَ^(٥) تَحَدَّثُوا إِلَيْنَا وَتَحَدَّثْنَا إِلَيْهِمْ، فَإِذَا مُعَاوِيَةُ، وَعَمْرُو، وَأَبُو الْأَعُورِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَتَسَايِرُونَ، فَأَدَخَلْتُ فَرَسِي بَيْنَهُمْ لَثَلًا يَفُوتُنِي مَا يَقُولُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَبِيهِ : يَا أَبَاهُ، قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ، قَالَ : وَمَا قَالَ؟ قَالَ : أَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ يَنْقُلُونَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَعَمَّارٌ لِبْنَتَيْنِ لِبْنَتَيْنِ، فَغَشِيَ عَلَيْهِ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : «وَيْحُكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ، النَّاسُ يَنْقُلُونَ لَبْنَةً لَبْنَةً وَأَنْتَ تَنْقُلُ لِبْنَتَيْنِ لِبْنَتَيْنِ رَغْبَةً فِي الْأَجْرِ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ^(٦) تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ». فَقَالَ عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ : أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَنْحَنُ قَتَلْنَاهُ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مِنْ جَاءَ بِهِ. فَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ فِسَاطِيظِهِمْ وَأَخْبَيْتَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا قَتَلَ عَمَّاراً مَنْ جَاءَ بِهِ، فَلَا أَدْرِي مَنْ كَانَ أَعْجَبُ أَهْوَأَ أَمْ هُمُ^(٧).

فَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ قَالَ عَلِيٌّ لِرَبِيعَةَ وَهْمَدَانَ : أَنْتُمْ دَرَعِي وَرُمَحِي، فَانْتَدَبَ لَهُ نَحْوُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ، وَتَقَدَّمَهُمْ عَلِيٌّ عَلَى بَغْلَةٍ، فَحَمَلُوا مَعَهُ حِمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ الشَّامِ صَفٌّ إِلَّا انْتَقَضَ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ انْتَهَوْا إِلَيْهِ، حَتَّى بَلَغُوا مُعَاوِيَةَ، وَعَلِيٌّ يَقُولُ : أَقْتَلَهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ الْجَا حَظَّ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةَ^(٨)

(١) في طبعة صادر ٣/ ٣١٠ «الغازية».

(٢) في طبعة صادر «الغازية».

(٣) في الأصل والنسخة (ي) : «لَكُمْ الدُّنْيَا وَلَا تَعْطُونَا».

(٤) ساقطة من طبعة صادر ٣/ ٣١١.

(٥) في الأصل «سَرْنَا لَيْلًا لِقِتَالٍ».

(٦) في الأصل «عَلَى ذَلِكَ».

(٧) تاريخ الطبري ٤١/٥.

(٨) تاريخ الطبري ٤١/٥، ٤٢ وانظر مروج الذهب ٢/ ٣٩٦ وقيل إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء. وقد نسب =

ثم نادى معاوية فقال: علام يُقتل الناس بيننا؟ هلّم أحاكمك إلى الله، فأئنا قتل صاحبه استقامت له الأمور. فقال له عمرو: أنصفك. فقال له معاوية: ما أنصفت^(١)، إنك لتعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله. فقال له عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته. فقال له معاوية: طمعت فيها بعدي^(٢)! وكان أصحاب عليّ قد وگكوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل^(٣)، وكان يحمل إذا غفلا، فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل مرة فلم يرجع حتى (انثنى سيفه، فألقناه إليهم وقال؛ لولا أنه انثنى)^(٤) ما رجعت إليكم. فقال الأعمش لأبي عبد الرحمن: هذا والله ضرب غير مُرتاب. فقال أبو عبد الرحمن: سمع القوم شيئاً فأدوه ما كانوا بكاذبين.

وأسر معاوية جماعةً من أصحاب عليّ، فقال له عمرو: اقتلهم. فقال عمرو بن أوس الأودي^(٥): لا تقتلني فإنك خالي. قال: من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين أود مصاهرة؟ قال: إن أخبرتك فهو أمانى عندك؟ قال: نعم. قال: أليست أختك أم حبيبة زوج النبي ﷺ؟ قال: بلى. قال: فإني ابنها، وأنت أخوها، فأنت خالي. فقال معاوية: ما له لله أبوه! أما كان في هؤلاء من يفظن لها غيره؟ وخلقى سبيله. وكان قد أسر عليّ أسارى كثيرة، فخلقى سبيلهم، فجاؤوا معاوية، وإنّ عمراً ليقول له، وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة: اقتلهم، فلما وصل أصحابهم قال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسارى لوقعنا في قبيحٍ من الأمر؛ وخلقى سبيل من عنده.

وأما هاشم بن عتبة، فإنه دعا الناس عند المساء وقال: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإليّ! فأقبل إليه ناس كثير، فحمل على أهل الشام مراراً، ويصبرون له، وقاتل قتالاً شديداً، وقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما هو إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها، وإنهم لعلّ الضلال، وإنكم لعلّ الحق^(٦). ثم حرّض أصحابه وحمل في عصابة من القراء، فقاتل قتالاً شديداً، حتى رأوا بعض ما يُسرون به،

= ابن مزاحم هذا القول للأشتر - ص ٤٥٤:

أضربهم ولا أرى معاوية
هوت به في النار أم هأوية
الأخزر العين العظيم الحاوية
جاوره فيها كلاب عاوية
أغوى طغماً لا هذئته هادية

(١) عند الطبري ٤٢/٥ «ما أنصف».

(٢) الطبري ٤٢/٥.

(٣) في النسخة (ر): «يقابل».

(٤) في الأصل: «أيسوا وساروا إليه فلما أتني قال: لا أبتيموني».

(٥) في الأصل والنسخة (ي): «الأزدي».

(٦) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة.

فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم شاب وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ المُلوكِ غَسَّانَ والدائنُ اليومَ بدينِ عثمانَ
نَبَّأنا قَرَأُونَا بما كانَ^(١) أنَ عليّاً قَتَلَ ابنَ عَفَّانَ

ثمَّ يحملُ، فلا يرجع حتى يضرب بسيفه، ويشتم ويلعن. فقال له هاشم: يا هذا، إنَّ هذا الكلام بعده الخصام، وإنَّ هذا القتال بعده الحساب، فاتَّقِ اللَّهَ، فإنَّه سائلُك عن هذا الموقف، وما أردتَ به. قال: فإنِّي أقاتلكم لأنَّ صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلُّون، وإنَّ صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم ساعدتموه على قتله. فقال له هاشم: ما أنت وعثمان، قتله أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء أصحابه وقراء الناس، وهم أهل الدِّين والعِلْم، وما أهمل أمر هذا الدِّين طُرْفَةً عَيْنٍ. وأمَّا قولك: إنَّ صاحبنا لا يصلي، فإنَّه أوَّل من صلَّى، وأفقه خلق الله في دين الله، وأوَّلَى بالرسول ﷺ وأمَّا كلٌّ من ترى معي فكُلُّهم قارىءٌ. لكتاب الله، لا ينام الليل تهجُّداً، فلا يغوينك هؤلاء الأَشقياء. فقال الفتى: فهل لي من توبة؟ قال: نعم، تَبَّ إلى الله يَتَّب عليك، فإنَّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيِّئات. فرجع الفتى، فقال له أهل الشام: خدعك العراقي. فقال: كَلَّا، ولكنَّ نصح لي. وقاتل هاشم وأصحابه قتالاً شديداً حتى رَأوا الظَّفَرَ، فأقبلت عليهم عند المغرب كتيبةٌ لتَنُوخ، فقاتلهم هاشم وهو يقول:

أَعَوَّرَ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا لا بُدَّ أنَ يَفْلَ أو يُفَلَّا^(٢)
قد عَالَجَ الحَيَاةَ حَتَّى مَلَّا يَتْلَهُم بِذِي الكُؤُوبِ تَلًّا^(٣)

فقتل يومئذ تسعة أو عشرة، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط، فأرسل إليه عليُّ أن قَدِّم لواءك. فقال لرسوله: انظر إلى بطني، فإذا هو [قد] انشَقَّ. فقال الحجاج بن غزِيَّة^(٤) الأنصاري:

فإن تَفَخَّرُوا بابن البُدَيْلِ^(٥) وهاشِمٍ فنحنُ قَتَلْنَا ذا الكَلَاعِ وَحَوْشَبَا

(١) في وقعة صفين ٤٤٤:

أنبأنا أقوامنا بما كان

وفي تاريخ الطبري ٤٣/٥:

إني أتاني خبرُ فاشجانَ

(٢) هذا الشطر الثاني ليس عند الطبري (٤٤/٥).

(٣) البيتان في وقعة صفين وقد تقدَّما قبل قليل.

(٤) في الأصل «غرة»، وفي النسخة (ي) «عوامة»، وفي النسخة (ر) «عزنه».

(٥) في الطبعة الأوربية «بأبي بديل».

وَنَحْنُ تَرَكْنَا عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْقَنَا أَحَاكَ^(١) عِبْدَ اللَّهِ لِحِمَاً مُلْحَبَا
وَنَحْنُ أَحَطْنَا بِالْبَعِيرِ وَأَهْلِهِ وَنَحْنُ سَقَيْنَاكُمْ سِمَاماً مُقَشَّبَا^(٢)

ومرّ عليّ بكتيبة من أهل الشام، فرأهم لا يزولون، وهم غسان، فقال: إن هؤلاء لا يزولون إلا بطعن وضرب يفلق^(٣) الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والأكفّ وحتى تُقَرَّع جباههم بعمد الحديد، أين أهل النصر والصبر طُلاب الأجر؟ فأتاه عصابة من المسلمين، فدعا ابنه محمداً فقال له: تقدّم نحو هذه الراية مشياً رويداً على هَيْتِكَ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح، فأمسك حتى يأتيك أمري. ففعل وأعدّ لهم عليّ مثلهم، وسيرهم إلى ابنه محمد، وأمره بقتالهم، فحملوا عليهم، فأزالوهم عن مواقعهم، وأصابوا منهم رجالاً. ومرّ الأسود بن قيس المُراديّ بعبد الله بن كعب المُراديّ وهو صريع، فقال عبد الله: يا أسود! قال: لبيك! وعرفه وقال له: عزّ عليّ مصرعك. ثم نزل إليه وقال له: إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنتَ لمن الذّاكرين الله كثيراً، أوصني رجّمك الله. فقال: أوصيك بتقوى الله، وأن تُنَاصِحَ أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المجلّين حتى تظهر أو تلحق بالله، وأبلغه عني السلام وقلّ له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنّه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالي. ثم لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره، فقال: رجّمه الله، جاهد عدونا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة^(٤).

وقيل: إنّ الذي أشار على أمير المؤمنين عليّ بهذا عبد الرحمن بن الحنبل^(٥) الجُمَحِيّ. قال: فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها إلى الصباح، وهي ليلة الهَرِير، فتطاعنوا حتى تقصّفت الرماح، وتراموا حتى نفذ النبل وأخذوا السيوف، وعليّ يسير فيما^(٦) بين الميمنة والميسرة، ويأمر كلّ كتيبة أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح، والمعركة كلّها خلف ظهره، والأشتر في الميمنة، وابن عباس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس يقتتلون من كلّ جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها، وكان قد تولّاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضّحى،

(١) عند الطبري ٤٤/٥ «أحاكم».

(٢) في الأصل «مقنبا» وفي النسخة (ي): «مغنيا».

والأبيات في تاريخ الطبري، وفي وقعة صفين من قصيدة طويلة ٤٠٢ - ٤٠٧.

(٣) في الأصل «يزيل».

(٤) وقعة صفين ٥٢٠، تاريخ الطبري ٤٦/٥.

(٥) في الأصل «الجنيل».

(٦) من النسخة (ر).

ويقول لأصحابه: ازحفوا قيد^(١) هذا الرمح، ويزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعل ذلك بهم قال: ازحفوا قيد^(٢) هذه القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس الإقدام. فلما رأى الأشر ذلك قال: أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم! ثم دعا بفرسه فركبه، وترك رايته مع حيّان بن هوزة النخعي، وخرج يسير في الكتابب ويقول: مَنْ يشتري نفسه ويقاتل مع الأشر، [حتى] يظهر أو يلحق بالله؟ فاجتمع إليه ناس كثير، فيهم حيّان بن هوزة النخعي وغيره، فرجع إلى المكان الذي كان فيه وقال لهم: شدّوا شدّة، فِدَى لَكُمْ خَالِي وَعَمِّي، تُرْضُونَ بِهَا الرَّبَّ وَتُعْزُونَ بِهَا الدِّينَ! ثم نزل وضرب وجه دابّته، وقال لصاحب رايته: اقدّم بها، وحمل على القوم وحملوا معه، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً، وقُتل صاحب رايته. ولما رأى عليّ الظفر من ناحيته أمده بالرجال^(٣). فقال عمرو بن العاص لورّدان مولاه: أتدري ما مثلي ومثلك ومثّل الأشر^(٤)؟ قال: لا. قال: كالأشقر، إنّ تقدّم عُقر، وإنّ تأخر عُقر^(٥)، لئن تأخّرت لأضربنّ عُنقك^(٦). قال: أما واللّه يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت، (ضع يدك على عاتقي؛ ثم جعل يتقدّم ويتقدّم ويقول: لأوردنك حياض الموت)^(٧)، واشتدّ القتال^(٨).

[رفع المصاحف والدعوة إلى الحكومة]

فلما رأى عمرو أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ، وخاف الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلّا فرقة؟ قال: نعم. قال: نرفع المصاحف، ثم نقول لما فيها: هذا حُكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبل، فتكون فرقة بينهم، وإنّ قبلوا ما فيها، رفعنا القتال عنّا إلى أجل.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا حُكم كتاب الله، عزّ وجلّ، بيننا وبينكم، من لثُغور الشام بعد^(٩) أهله؟ مَنْ لثُغور العراق بعد^(١٠) أهله؟ فلما رآها الناس قالوا: نجيب

(١) في النسخة (ي) ونسخة بودليان «قبل».

(٢) وقعة صفين ٥٤٤، تاريخ الطبري ٤٧/٥.

(٣) عند الطبري ٤٨/٥ «الأشقر».

(٤) عند الطبري «نُحر».

(٥) عند الطبري زيادة: «اثتوني بقيد، فوضعه في رجليه، فقال».

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) الطبري ٤٧/٥، ٤٨.

(٨) في النسخة (ي): «يعني».

إلى كتاب الله. فقال لهم عليّ: عباد الله، امضوا على حَقِّكم وصدِّقكم، وقتل عدوكم، فإن معاوية وعمرأ، وابن أبي مُعَيْط، وحبيبا، وابن أبي سَرْج، والضَّحَّاك، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صَجَبْتُهُمْ أَطْفَالاً، ثُمَّ رَجَالاً، فكانوا شرَّ أطفالٍ وشرَّ رجال، ويحكم، والله، ما رفعوها إلَّا خديعةً ووهناً ومكيدةً. فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأتى أن نقبله! فقال لهم عليّ: فإنني إنما أقاتلهم ليدِينوا لحكم الكتاب، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونسوا عهده، ونبذوا كتابه. فقال له مسعر بن ذَكْيٍ التَّمِيمِي^(١)، وزيد بن حُصَيْن الطَّائِي، في عصابة من القراء^(٢) الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا عليّ أجب إلى كتاب الله، عزَّ وجلَّ، إذ دُعيت إليه، وإلَّا دفعناك برؤمك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عَفَّان! قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم، واحفظوا مقالتيكم لي، فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني، فاصنعوا ما بدا لكم. قالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك. فبعث عليّ يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه. فقال الأشتر: ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تريلني [فيها] عن موقعي، إنني قد رجوت أن يفتح الله لي! فرجع يزيد فأخبره، وارتفعت الأصوات وارتفع الرَّهَجُ^(٣) من ناحية الأشتر، فقالوا: والله ما نراك إلَّا أمرته أن يقاتل! فقال عليّ: هل رأيتموني ساررته؟ أليس كلَّمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلَّا والله اعترلناك! فقال له: ويلك يا يزيد! قل له: أقبل إليّ، فإنَّ الفتنة قد وقعت. فأبلغه ذلك، فقال الأشتر: أرفع المصاحف؟ قال: نعم. قال: والله لقد ظننتُ أنها ستوقع اختلافاً وفرقة! إنها مشورة (ابن العاهر)^(٤)! ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء! وانصرف عنهم. فقال له يزيد: أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يُقتل؟ قال: لا والله، سبحان الله! فأعلمه بقولهم، فأقبل إليهم الأشتر وقال: يا أهل العراق! يا أهل الذَّلِّ والوَهْن! أحيِنَ علَّوتم القومَ، وظنَّوْا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وهم والله، قد تركوا ما أمر الله به فيها، وسنة من أنزلت عليه؟ فأمهِّلوني (فوقاً فإنّي)^(٥) قد أحسستُ بالفتح. قالوا: لا. قال: أمهِّلوني عدوَّ الفرس، فإنِّي قد طمعت في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك. قال: فخبروني عنكم متى كنتم

(١) في الطبعة الأوربية: «التمي».

(٢) في الأصل «الأمراء».

(٣) الرهج: الغبار.

(٤) في الأصل «بين العاهرين» وفي النسخة (ي) وتاريخ الطبري «ابن العاهرة». وفي وقعة صفين: «إنها من

مشورة ابن النابغة - يعني عمرو بن العاص».

(٥) من الأصل.

مُحَقِّين؟ أحيان تقاتلون وخياركم يُقتلون؟ فأنتم الآن إذ أمسكتكم عن القتال، مُبطلون أم أنتم الآن مُحَقُّون؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم، وهم خير منكم، في النار. قالوا: دعنا منك يا أشر، قاتلناهم لله، وندع^(١) قتالهم لله! قال: خُذتكم فاندعتم، ودُعيتم إلى وضع^(٢) الحرب فأجبتكم، يا أصحاب الجباه^(٣) السود! (كنا نظن)^(٤) صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا، ألا قُبْحاً يا أشباه النيب الجلالة! ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون! فسبّوه وسبّهم، وضربوا وجه دابّته بسياطهم، وضربَ وجوه دوابهم بسوطه، فصاح به وبهم عليّ فكفوا. وقال الناس: قد قَبِلْنَا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.

فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد. قال: ائته. فاتاه، فقال لمعاوية: لأي شيء رفعتهم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث نحن رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. قال له الأشعث: هذا الحق. فعاد إلى عليّ فأخبره، فقال الناس: قد رضينا وقبّلنا. فقال أهل الشام: قد رضينا عمراً. وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري. فقال عليّ: قد عصيتُموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، لا أرى أن أولي أبا موسى. فقال الأشعث، وزيد بن حُصَيْن^(٥) ومِسْعَر بن فذكيّ: لا نرضى إلا به، فإنه قد حدّرنا ما وقعنا فيه. قال عليّ: فإنه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عني، ثم هرب مني، حتى آمنتُه بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك. قالوا: والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء. قال عليّ: فإنّي أجعل الأشر. قالوا: وهل سَعَر^(٦) الأرض غير الأشر^(٧)؟ فقال: قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

(١) في (ر): «وتدع».

(٢) في الأصل «دفع».

(٣) في الأصل «الحياء».

(٤) في الأصل «كانت».

(٥) في النسخة (ر): «حصن».

(٦) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «تنفر».

(٧) تاريخ الطبري ٤٨/٥ - ٥١، وقعة صفين ٥٦١ - ٥٦٣.

فبعثوا إليه، وقد اعتزل القتال، وهو بعرض، فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا. فقال: الحمد لله. قال: قد جعلوك حكماً. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر علياً فقال: أَلزني^(١) بعمر بن العاص، فوالله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه. وجاء الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد رُميت بحجر الأرض، وإني قد عجمت^(٢) أبا موسى، وحلبت أشطره، فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم، حتى يصير في أكفهم، ويبعد^(٣) حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن^(٤) يعقد عقدة إلا حللتها، ولا يحل عقدة أعقدها لك، إلا عقدت أخرى أحكم منها.

فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب. فقال الأحنف: إن أبيت إلا أبا موسى فأدفعوا ظهره بالرجال.

وحضر عمرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية^(٥) بحضوره، فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين. فقال عمرو: [اكتب اسمه واسم أبيه]، هو أميركم وأما أميرنا فلا. فقال الأحنف: لاتمخُ اسم إمارة^(٦) المؤمنين فإني أخاف^(٧) إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً. فأبى ذلك عليّ ملياً^(٨) من النهار، ثم إن الأشعث بن قيس قال: امخُ هذا الاسم، فمُحي، فقال عليّ: الله أكبر! سنة بسنة^(٩). والله إني لكاّتب رسول الله ﷺ يوم الحُدبية فكتبت: محمد رسول الله، وقالوا: لست برسول الله، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك^(١٠)، فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه، فقلت: لا أستطيع. فقال: أرنيه، فأريته، فمحاها بيده وقال: إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب^(١١). فقال عمرو: سبحان الله! أنشبه^(١٢) بالكفار ونحن مؤمنون!

- (١) في النسخة (ي) «أرمني».
- (٢) في النسخة (ي) «عجمت».
- (٣) في الأصل والنسخة (ي): «وقعد».
- (٤) في الطبعة الأوربية «لم».
- (٥) في الأصل والنسخة (ي): «القصة».
- (٦) في الطبعة الأوربية «أمير».
- (٧) في النسخة (ر): «أتخوف».
- (٨) في الأصل والنسخة (ي): «يدأ».
- (٩) زاد في تاريخ الطبري ٥٢/٥ «ومثل بمثل».
- (١٠) إلى هنا عند الطبري ٥١/٥، ٥٢.
- (١١) إلى هنا ليس عند الطبري.
- (١٢) في الأصل والنسخة (ي) «أنشبهنا».

فقال عليّ: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً، وللمؤمنين عدوّاً؟ فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً. فقال عليّ: إنّي لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك. وكتب الكتاب^(١): هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم، إنّنا ننزل عند حكم الله وكتابه، وأن لا يجمع بيننا غيره، وأنّ كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيا ونُميت ما أُمات، فما وجد الحكماء في كتاب الله، وهما أبو موسى عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص، عملاً به، وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفارقة. وأخذ الحكماء من عليّ ومعاوية ومن الجنّدين من العهود والمواثيق^(٢) أنّهما أمانان على أنفسهما وأهليهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يرّداها في حرب ولا فرقة حتى يُعصيا^(٣)، وأجلّ القضاء إلى رمضان، وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخراه، وإنّ مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام.

وشهد الأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس الهمدانيّ، ووقاء بن سميّ البجليّ، وعبد الله بن مُجَلّ العجليّ، وحُجر بن عديّ الكنديّ، وعبد الله بن الطفيل العامريّ، وعُقبّة بن زياد الحضرميّ، ويزيد بن حُجّية التميميّ، ومالك بن كعب الهمدانيّ، (ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلميّ، وحبيب بن مَسْلَمَة، وزمّل بن عمرو العذريّ، وحُمرة بن مالك الهمدانيّ، وعبد الرحمن بن خالد المخزوميّ، وسُبَيْع بن يزيد الأنصاريّ)^(٤)، وعُتبّة بن أبي سفيان (ويزيد بن الحرّ العبسيّ)^(٥).

وقيل للأشعث ليكتب فيها، فقال: لا صحبتني يميني، ولا نفعتني بعدها شمالي^(٦) إن خطّ لي في هذه الصحيفة [اسم على صلح ولا مؤادعة]، أولست^(٧) على بينة من ربّي من

(١) الطبري ٥٢/٥ وزاد فقرة لم يذكرها المؤلف هنا.

(٢) عند الطبري «الميثاق والثقة من الناس».

(٣) في الأصل والنسخة (ي): «يقضينا».

(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٥) عن النسخة (ر) بين القوسين. وفي وقعة صفين وتاريخ الطبري أسماء شهود آخرين لم يُذكروا هنا: عبد الله بن عباس، من أصحاب عليّ. ومن أصحاب معاوية: المخارق بن الحارث الزبيدي، وعلقمة بن يزيد الأنصاري.

(٦) في وقعة صفين «الشمال».

(٧) في الطبعة الأوربية «ولست».

ضلال^(١) عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر؟^(٢) فقال له الأشعث: والله ما رأيْتُ ظفراً^(٣)، هلُم إلينا لا رغبة بك عنا. فقال: بلى والله، الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خيرٌ عندي منهم، ولا أحرَم دماً. قال: فكأُتَمّا قصع^(٤) الله على أنف الأشعث الحُمَم^(٥). وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس، حتى مرَّ على طائفة من بني تميم، فيهم عُروة بن أذينة أخو أبي بلال فقرأه عليهم، فقال عُروة: تحكّمون في أمر الله الرجال؟ لا حُكْم إلا لله! ثم شدَّ بسيفه فضرب به عَجْز دابة الأشعث ضربة خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح به أصحاب الأشعث، فرجع، وغضب للأشعث قومه (وناس كثير من أهل اليمن)^(٦)، فمشى إليه الأحنف بن قيس، ومِسْعَر بن فذكي، وناس من تميم فاعتذروا، فقبل وشكّر^(٧).

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، واتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين عليّ موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان^(٨). وقيل لعلّي: إنَّ الأشعث لا يقرّ بما في الصحيفة، ولا يرى إلّا قتال القوم. فقال عليّ: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلّا أن ترضوا فقد رضيت، وإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلّا أن يُعصى الله ويُتعدى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله، وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه (فليس من أولئك)^(٩)، فلست أخاف على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين! يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، إذا لحقت عليّ مؤونتكُم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم، وقد نهيتكم^(١٠) فعصيتُموني، فكنْتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن^(١١):

-
- (١) في صفين: ويقين من ضلال.
 - (٢) زاد الطبري وابن مزاحم «لو لم تجمعوا على الجور (الخور)».
 - (٣) زاد الطبري ٥٥/٥ «جوراً» وابن مزاحم «خوراً».
 - (٤) قصع: ضرب.
 - (٥) تاريخ الطبري ٥٣/٥ - ٥٥، وقعة صفين ٥٨٤ - ٥٨٧ بتصرف وحذف عدّة جُمَل وألفاظ.
 - (٦) ما بين القوسين من (ر).
 - (٧) الطبري ٥٥/٥ «وصفح».
 - (٨) عبارة الطبري ٥٧/٥: «على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان، مع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه».
 - (٩) ما بين القوسين من (ر).
 - (١٠) زاد الطبري ٥٩/٥ «عما أتيتُم».
 - (١١) هو دريد بن الصّمة، من أبيات في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٣٠٩ - ٣٠٤.

وهل أنا إلا من غَزِيَّة^(١) إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرَشَّد غَزِيَّة^(٢) أَرُشِدِ

والله لقد فعلتم فعلةً ضعفت قوةً، وأسقطت مُنةً، وأورثت وهناً وذلةً، ولما كنتم الأعلىين، وخاف عدوكم الاجتياح^(٣) واستحر بهم القتل، ووجدونا أَلَم^(٤) الجراح رفعوا المصاحف، فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم^(٥) عنهم، ويقطعوا الحرب، ويتربصوا بكم^(٦) المَنون خديعةً ومكيدةً، فأعطيتموهم ما سألوا، وأبيتُم إلا أن تُدهنوا وتُجيروا^(٧)، وإيم الله ما أظنكم بعدها توفقون^(٨) الرشد ولا تصيبون باب الحزم^(٩).

ثم رجع الناس عن صِفَيْن، فلمَّا رجع عليّ خالفت الحرورية^(١٠) وخرجت، كان ذلك أول ما ظهرت (وأُنكرت تحكيم الرجال)^(١١)، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه، أخذوا على طريق البر، وعادوا وهم أعداء متباغضون (وقد فشا فيهم التحكيم)^(١٢)، يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسَّياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهتكم في أمر الله، ويقول الآخرون: فارقتُم إمامنا، وفرقتُم جماعتنا^(١٣).

وساروا حتى جاوزوا النُخيلة، ورأوا بيوت الكوفة، فإذا بشيخ في ظل بيت عليه أثر المرض، فسَلَّم عليه أمير المؤمنين، فردَّ ردًّا حسنًا، فقال له عليّ: أرى وجهك متغيراً^(١٤)،

(١) في الأصل والنسخة (ي): «غوية».

(٢) في النسخة (ي): «الاحتياج».

(٣) في (ي): «ألم».

(٤) عند الطبري ٥٦/٥ «ليفتنوكم».

(٥) في الأصل والنسخة (ي) زيادة «ريب». وكذلك عند الطبري.

(٦) عند الطبري: «تجوزوا».

(٧) في الأصل: «تفقدون»، وعند الطبري: «توافقون رُشدًا».

(٨) تاريخ الطبري ٥٦/٥ وأنساب الأشراف ٣٣٩.

(٩) الحرورية: فرقة من فرق الخوارج تعتبر أقدمها تاريخاً، تنسب إلى حروراء، وهي موضع أوقرية بالقرب من الكوفة نزل بها جماعة من شيعة عليّ رضي الله عنه إثر رجوعه من صفين بعد أن خرجوا عليه واختلفوا معه بسبب التحكيم، فلما دخل عليّ الكوفة افترق عنه هؤلاء وكانت جملتهم اثني عشر ألفاً. ونزلوا حروراء فعرفوا بالخوارج. كما عُرفوا بالحرورية. ومُجمل اعتقادهم أن عليّاً أخطأ في قبول التحكيم لأنه إمام ببيع بيعة صحيحة، فكان عليه أن يمضي في حرب المنشقين على إمامته من الأمويين، ونصّب الحرورية عليهم أميراً للقتال، وأميراً للصلاة، وأميراً للشورى، ونادوا أن البيعة لله عز وجل وأن لا حكم إلا لله، وراحوا يقاتلون مخالفينهم حتى هزمهم عليّ في معركة النهروان. (القاموس الإسلام ٦٨/٢).

(١٠) زيادة من الأصل.

(١١) من الأصل.

(١٢) تاريخ الطبري ٦٣/٥ وفيه زيادة.

(١٣) عند الطبري «منكفئاً».

أمن مرض؟ قال: نعم. قال: لعلك كرهته. قال: ما أحبُّ أنه بغيري^(١). فقال: أليس (احتساباً للخير)^(٢) فيما أصابك؟ قال: بلى. قال: فأبشِّر برحمة ربِّك وغفران ذنبك، مَنْ أنت يا عبد الله؟ قال: صالح بن سُلَيْم. قال: ممَّن أنت؟ قال: أمّا الأصل فمن سلامان طيّء، وأمّا الدَّعوة والجوار^(٣) ففي سُلَيْم بن منصور. فقال: سبحان الله، ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت إليه، واسم ادعائك^(٤)! هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا والله، ولقد أردتها، ولكن ما ترى من أثر الحمى^(٥) منعي عنها. فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾^(٦) الآية، خبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور، وهم أغشَاء الناس، وفيهم المكبوت الأسف بما كان بينك وبينهم، وأولئك نصحاء الناس لك. قال: صدقت، جعل الله ما كان من شكواك خطأً لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه، ولكن لا يدع على العبد ذنباً إلاَّ حطّه، وإنما الأجر في القول باللسان والعمل باليد والرَّجل، وإن الله، عزَّ وجلَّ، ليدخل بصِدْق النِّيَّة والسريرة الصالحة عالماً^(٧) من عباده الجنة. ثم مضى غير بعيد، فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري، فدنا منه وسلَّم عليه وسأيرَه، فقال له: ما سمعتَ الناس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجَّب به، ومنهم الكاره له. قال: فما قول ذوي الرأي؟ قال: يقولون إنَّ علياً كان له جَمْع عظيم ففرَّقه، وكان له حصن حصين فهدمه، فمتى بيني ما هدم، ويجمع ما فرَّق؟ ولو كان مضى بمن أطاعه (إذ عصاه)^(٨) من عصاه، فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزْم. قال عليّ: أنا هدمتُ أم هم هدموا؟ أنا فرقتُ أم هم فرقوا؟ أمّا قولهم: لو كان مضى بمن أطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك، فوالله ما خفي هذا عني، وإن كنتُ لسخياً بنفسي عن الدنيا، طيب النفس بالموت، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم، فنظرتُ إلى هذين قد ابتدراني، يعني الحسن والحسين، ونظرتُ إلى هذين قد استقدماني، يعني: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عليّ، فعلمتُ أنَّ هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله ﷺ من هذه الأمة، وكرهتُ ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكا، وإيَّ الله لئن لقيتهم^(٩) بعد يومي هذا لألقينهم وليسوا معي في عسكر ولا دار

(١) في الأصل (بعترني).

(٢) في الأصل «بالخير».

(٣) في الأصل «والزواج».

(٤) عند الطبري «أدعائك».

(٥) عند الطبري ٦٠/٥ «ولحب الحمى منعي».

(٦) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٧) عند الطبري «عالماً جماً».

(٨) في الأصل «وترك».

(٩) في النسخة (ي) والأصل «أمنهم».

ثم مضى، وإذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية، فقال عليّ: ما هذه؟ فقبل: يا أمير المؤمنين، إن خباب بن الارت توفي بعد مخرجك، وأوصى بأن يُدفن في الظهر، وكان الناس إنما يُدفنون في دورهم وأفئتهم، وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس إلى جنبه، فقال عليّ: رجم الله خباباً، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً، ووقف عليها وقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات! أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عمّا قليل^(١) لاحقون! اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم! طوبى لمن ذكر (المعاد، وعمل للحساب، وقنع)^(٢) بالكفاف، ورضي عن الله، عز وجل! ثم أقبل حتى حاذى سكة الثورين، فسمع البكاء فقال^(٣): ما هذه الأصوات؟ فقبل: البكاء على قتلى صفين. فقال: أما إنني أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة. ثم مرّ بالفائشين^(٤) فسمع مثل ذلك، ثم مرّ بالشبابيين فسمع رجّة^(٥) شديدة، فوقف، فخرج إليه حرب بن شريحيل الشبامي، فقال له عليّ: أيغلبكم نساءكم؟ ألا تنهونهنّ عن هذا الرنين؟ قال: يا أمير المؤمنين، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن قتل من هذا الحيّ ثمانون ومائة قليل، فليس دار إلا وفيها البكاء، فأما نحن معشر الرجال، فإننا لا نبكي، ولكننا نفرح بالشهادة. قال عليّ: رجم الله قتلاكم وموتاكم! فأقبل يمشي معه وعليّ راكب، فقال له عليّ: ارجع، ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن. ثم مضى حتى مرّ بالناعطين، وكان جلهم عثمانية، فسمع بعضهم يقول: واللّه ما صنع عليّ شيئاً، ذهب ثم انصرف في غير شيء، فلما رأوه أبلسوا^(٦)، فقال عليّ لأصحابه: وجوه قوم ما رأوا الشام. ثم قال لأصحابه: [قوم] فارقناهم آنفاً خيراً من هؤلاء. ثم قال:

أخوك الذي أحرضتك^(٧) ملمةً من الدهر لم يبرح لبك^(٨) واجماً

(١) في الطبعة الأوربية «قبيل».

(٢) زيادة من (ي).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) في الأصل «بالقاسين» والنسخة (ي) بالقادسين، والمثبت مثل الطبري.

(٥) في وقعة صفين «رنة» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) أبلسوا: انقطعت حجّتهم وسكتوا. وفي وقعة صفين «فلما نظر أمير المؤمنين أبلس».

(٧) في النسخة (ي): «أحوجتك». وفي وقعة صفين «أحرضتك». وأحرضتك: أغضتكَ.

(٨) في الأصل «عليك» وفي النسخة (ي): «ببائك».

وليس أخوك بالذي إن تشعبت^(١) عليك الأمور ظلّ يلحاك لائمًا
ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر^(٢). فلما دخل الكوفة لم يدخل
الخوارج معه، فأتوا حروراء فزّلوا بها.

[قتلى صفيين]

وقُتل أويس القرني^(٣) بصفيين. وقيل: بل مات بدمشق، (وقيل: بأرمينية، وقيل:
بسجستان)^(٤). وفيها قتل جندب بن زهير الأزدي^(٥)، وهو من الصحابة، مع عليّ.

(١) في وقعة صفين: «تمنعت».

(٢) وقعة صفين ٦١١، ٦١٢، تاريخ الطبري ٦٠/٥ - ٦٣.

(٣) انظر عن (أويس القرني) في:

طبقات ابن سعد ١٦١/٦ - ١٦٥، والزهد لابن حنبل ٤١١ - ٤١٦، والزهد لابن المبارك ٢٩٣/٢،
وطبقات خليفة ١٤٦، والتاريخ لابن معين ٤٥/٢، ٤٦، والتاريخ الكبير ٥٥/٢ رقم ١٦٦٦، وتاريخ
الثقات للعجلي ٧٤ رقم ١٢٤، والمعرفة والتاريخ ١٠٧/٢ و ٧٨٠/٣ و ١٠٥/٣، والضعفاء الكبير للعجلي
١٣٥/١ - ١٣٧ رقم ١٦٧، والجرح والتعديل ٣٢٦/٢ رقم ١٢٤٥، وحلية الأولياء ٧٩/٢ - ٨٧ رقم
١٦٢، والعقد الفريد ١٧١/٣ و ٣٩٨، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٧، وريبع الأبرار ١٩٨/٤ و ٣٨٥،
ومشاهير علماء الأمصار ١٠٠ رقم ٧٤٣، والثقات ٤٠٣/١، ٤٠٤، والمستدرك ٤٠٢/٣ - ٤٠٨، والكمال
في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٤٠٣/١، ٤٠٤، وتهذيب تاريخ دمشق ١٦٠/٣ - ١٧٧، وهو باسم
(أويس)، والأنساب لابن السمعي ١١٤/١٠، وأسد الغابة ١٥١/١، ١٥٢، والمعين في طبقات
المحدثين ٣٢ رقم ١٨٦، وميزان الاعتدال ٢٧٨/١ - ٢٨٢ رقم ١٠٤٨، وتلخيص المستدرك ٤٠٢/٣ -
٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤ - ٣٣ رقم ٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٥٥ - ٥٥٩،
والتذكرة الحمدونية ١٣٥/١ و ١٣٦ و ١٤٠، واللباب ٢٩/٣، والوافي بالوفيات ٤٥٦/٩، ٤٥٧ رقم
٤٤١١، ومرآة الجنان ١٠٢/١، ومسالك الأبصار ١٢٢/١، وتهذيب التهذيب ٣٨٦/١ رقم ٧٠٧،
وتقريب التهذيب ٨٦/١ رقم ٦٦١، ولسان الميزان ٤٧١/١ - ٤٧٥ رقم ١٤٤٩، والإصابة ١١٥/١ -
١١٧ رقم ٥٠٠، وشرح المقامات الحيرية ٢١٧/٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤١، وتاج العروس
(مادة: أوس).

(٤) ما بين القوسين من الأصل.

(٥) انظر عن (جندب بن زهير) في:

نسب قريش ١٩٣، وتاريخ خليفة ١٩٥، ١٩٦، والتاريخ الكبير ٢٢٢/٢ رقم ٢٢٦٨، والمعارف ٤٠٥،
والأخبار الطوال ١٤٦ و ١٧٢ و ١٨٥، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١٩/١ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٨ و ٥٢٩
و ٣١/٥ و ٣٢ و ٣٤ و ٤٠ و ٤١ و ٢٤٢، وتاريخ الطبري ٣١٨/٤ و ٣٢٦ و ٢٧/٥، والجرح والتعديل
٥١١/٢ رقم ٢١٠٧، والمعجم الكبير للطبراني ١٧٧/٢ رقم ١٨٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٧٨،
والاستيعاب ٢١٨/١ - ٢٢٠، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٤١٣/٣، ٤١٤ وذكره
في ترجمتين باسم: جندب بن زهير بن الحارث، وجندب بن عبد الله، وأسد الغابة ٣٠٣/١، وتهذيب
الكمال ١٤١/٥ - ١٤٨ رقم ٩٧٥، والكاشف ١٣٣/١ رقم ٨٢٨، وتجريد أسماء الصحابة رقم ٨٥٦،
وسير أعلام النبلاء ١٧٥/٣ - ١٧٧ رقم ٣١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٠، والوافي
بالوفيات ١٩٤/١١ رقم ٢٨٨ و ١٩٥/١١ رقم ٢٩٠، وتهذيب التهذيب ١١٨/٢، ١١٩ رقم ١٩٠،
وتقريب التهذيب ١٣٥/١ رقم ١٢٠، والإصابة ٢٤٨/١ رقم ١٢١٧، وتحفة الأشراف ٤٤٦/٢ رقم ٧٧، =

وَقُتِلَ بِصَفَيْنِ أَيْضاً حَابِسُ بْنُ سَعْدِ الطَّائِي^(١)، مَعَ مَعَاوِيَةَ، وَهُوَ خَالُ يَزِيدَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَقُتِلَ يَزِيدٌ قَاتِلَهُ غَدْرًا، فَأَرَادَ عَدِيُّ إِسْلَامَهُ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ فَهَرَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ. وَمِمَّنْ شَهِدَ صَفَيْنَ مَعَ عَلِيٍّ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ^(٢) ذُو الشَّهَادَتَيْنِ، وَلَمْ يُقَاتِلْ، فَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ جَرَّدَ سَيْفَهُ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ»^(٣)، وَقُتِلَ مَعَ عَلِيٍّ: سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو (بْنِ

= خلاصة تذهيب التهذيب ٥٥.

(١) انظر عن (حابس بن سعد) في:

طبقات ابن سعد ٤٣١/٧، ٤٣٢، وتاريخ خليفة ١٩٤ و ١٩٦، والتاريخ الكبير ١٠٨/٣ رقم ٣٦٥، والأخبار الطوال ١٧١، والجرح والتعديل ٢٩٢/٣ رقم ١٣٠١، والمعجم الكبير ٣٧/٤ رقم ٣٣٥، والاستيعاب ٣٥٩/١، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٣، والمعرفة والتاريخ ٣٠٨/٢، ومسند أحمد ١٠٥/٤ - ١٠٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٤٢٢/٣، ٤٢٣، وأسد الغابة ٣١٤/١، وتهذيب الكمال ١٨٣/٥ - ١٨٦ رقم ٩٩٠، والعبر ٣٩/١، والكاشف ١٣٥/١ رقم ٨٣٩، وميزان الاعتدال ٤٢٨/١ رقم ١٥٩٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦١، وتجريد أسماء الصحابة رقم ٨٨٨، والمغني في الضعفاء ١٣٩/١ رقم ١٢٠٩، والوافي بالوفيات ٢٣٢/١١، ٢٣٣ رقم ٣٣٠، ومراة الجنان ١٠٢/١، وتهذيب التهذيب ١٢٧/٢ رقم ٢٠٧، وتقريب التهذيب ١٣٧/١ رقم ١، والإصابة ٢٧٢/١ رقم ١٣٥٦، وخلاصة تذهيب التهذيب، رقم ١١٠٢، وشذرات الذهب ٤٦/١.

(٢) انظر عن (خزيمة بن ثابت) في:

المغازي للواقدي ١٠٥٢، والأخبار الموفقيات ٥٧٩، و ٥٩٧ و ٥٩٨، وطبقات ابن سعد ٣٧٨/٤ - ٣٨١، وطبقات خليفة ٨٣ و ١٣٥ و ١٩٠، والمحبر لابن حبيب ٢٩١ و ٤٢٠، والتاريخ الكبير ٢٠٥/٣، ٢٠٦ رقم ٧٠٤، والمسند لأحمد ٢١٣/٥ - ٢١٦، والمعارف ١٤٩، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٧ رقم ٨٣، والمعرفة والتاريخ ٣٨٠/١، وأنساب الأشراف ١٧٠/١، وتاريخ الطبري ١٧٣/٣ و ٤٤٧/٤، والمختب من ذيل المذيّل ٥٧٢، والجرح والتعديل ٣٨١/٣، و ٣٨٢ رقم ١٧٤٤، والمعجم الكبير ٩٤/٤، ٩٥ رقم ٣٦٦، ومشاهير علماء الأمصار ٤٥ رقم ٢٧٧، وثمار القلوب ٨٧ و ٢٨٨، والعقد الفريد ٣٤١/٤ و ١٥٣/٦، والاستيعاب ٤١٧/١، ٤١٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٤، ٣٣٥، والمستدرك ٣٩٦/٣، ٣٩٧، والاستبصار ٢٦٧، ٢٦٨، وتهذيب تاريخ دمشق ١٣٥/٥ - ١٣٧، والمرصع ٢١٧، وأسد الغابة ١١٤/٢، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ١٧٥/١، ١٧٦ رقم ١٤٦، وتهذيب الكمال ٣٧٥/١، وتحفة الأشراف ١٢٣/٣ رقم ١٢٧، والكاشف ٢١٢/١ رقم ١٣٩٤، والمعين في طبقات المحدثين ٢٠ رقم ٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤٨٥/٢ - ٤٨٧ رقم ١٠٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٤، ٥٦٥، والجمع بين رجال الصحيحين ١٢٨/١ رقم ٥٥٥، وصفة الصفوة ٢٩٣/١، والإكليل ٤٦٢/٢، والاشتقاق ٤٤٧، والعبر ٤١/١، ورجال الطوسي ١٩، ورجال الكشي ٥١، والوافي بالوفيات ٣١٠/١٣ - ٣١٢ رقم ٣٨٠، وأخبار شعراء الشيعة للمرزباني ٣٦، وقاموس الرجال للتستري ١٢/٤ - ١٦، والوفيات لابن قنفذ ٥٧، وتلخيص المستدرك ٣٩٦/٣، ٣٩٧، والبداية والنهاية ٣١١/٧، وتهذيب التهذيب ١٤٠/٣، ١٤١ رقم ٢٦٧، وتقريب التهذيب ٢٢٣/١ رقم ١١٨، والنكت الظراف ١٢٣/٣ - ١٢٦، والإصابة ٤٢٥/١، ٤٢٦ رقم ٢٢٥١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، وكتر العمال ٣٧٩/١٣، وشذرات الذهب ٤٥/١، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٥٤/١، وأعيان الشيعة ٨٥/٢٩ رقم ٦٠٢٠.

(٣) تقدّم تخريج هذا الحديث.

أبي عمر^(١) الأنصاري^(٢)، وهو بذري. وممن شهد وقُتل فيها مع عليّ من المهاجرين: خالد بن الوليد^(٣)، وله صُحبة.

(شُرَيْح بن هانئ: بضمّ الشين، وآخره حاء مهملة. الهمدانيّ: بفتح الهاء، وسكون الميم، وفتح الدال المهملة، نسبة إلى همدان: قبيلة كبيرة من اليمن. حُمرة بن مالك: بضمّ الحاء المهملة، وسكون الميم، وآخره راء. حُضَيْن بن المنذر: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الضاد المعجمة. يريم: بفتح الياء تحتها نقطتان، وكسر الراء، وسكون الياء الثانية، وآخره ميم. بُدَيْل بن ورقاء: بضمّ الباء الموحدة، وفتح الدال المهملة. حازم بن أبي حازم: بالحاء المهملة. حبة^(٤) بن جوين: بفتح الحاء المهملة، والباء المشددة الموحدة. والعُرَنِيّ بضمّ العين المهملة، وفتح الراء، وآخره نون)^(٥).

ذكر استعمال جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ على خراسان

وفي هذه السنة بعث عليّ جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميّ إلى خراسان، بعد عَوْدِهِ من صِفِّين، فانتَهَى إلى نَيْسَابُور، وقد كفروا وامتنعوا، فرجع إلى عليّ، فبعث خُلَيْد بن قُرّة اليربوعيّ، فاحصر أهلها حتى صالحوه، وصالحه أهل مَرَوْ^(٦).

ذكر اعتزال الخوارج عليّاً ورجوعهم إليه

ولما رجع عليّ من صِفِّين فارقه الخوارج، وأتوا حرّوراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إِنَّ أَمِيرَ الْقِتَالِ شَبْتُ بن رَبْعِيّ التميميّ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكريّ، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله، عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فلما سمع عليّ ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من وآلَيْت، وأعداء من عَادَيْت. فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكُفْرِ كفرسيّ رهان، بايَع أهل الشام معاوية على ما أَحَبُّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء من وإلى وأعداء من عادى، فقال لهم زياد بن النضر:

(١) زيادة من الأصل.

(٢) أنظر عنه في: الاستيعاب ١٠٧/٢، والإصابة ٩٣/٢ رقم ٣٥٧٢.

(٣) هو الأنصاري وليس المخزومي المشهور. انظر عنه في: الاستيعاب ٤١٠/١ والإصابة ٤١٥/١ رقم ٢٢٠٢.

(٤) في النسخة (ي): «حبة».

(٥) الفقرة كلها بين القوسين من الأصل.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٦٣/٥، ٦٤.

والله ما بسط عليّ يده، فبايعناه قطّ، إلّا على كتاب الله وسنة نبيّه، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضالّ مضلّ.

وبعث عليّ عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نَقَمْتُمْ من الحكمين وقد قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(١)، فكيف بأمة محمّد ﷺ؟ فقالت الخوارج: أمّا ما جعل الله حكمه إلى الناس، وأمرهم بالنظر فيه، فهو إليهم، وما حَكَمَ فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا (فيه، حَكَمَ في الزاني مائة جلدة، وفي السارق القطع، فليس للعباد أن ينظروا)^(٢) في هذا، قال ابن عباس: فإنّ الله تعالى يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٣). فقالوا: أوتجعل الحكم في الصيد والحرث، وبين المرأة وزوجها، كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أَعَدَلُ عندك عمرو بن العاص، وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإنّ كان عدلاً فلسنا بَعْدُول، وقد حَكَمْتُمْ في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه، أن يُقْتَلُوا أو يرجعوا، وقد كتبت بينكم وبينهم كتاباً^(٤)، وجعلتم بينكم المودعة، وقد قطع الله المودعة بين المسلمين وأهل الحرب، مذ نزلت براءة^(٥) إلّا من أقرّ بالجزية.

وبعث عليّ زياد بن النُضْر فقال: انظر بأيّ رؤوسهم^(٦) [هم] أشدّ إطافة^(٧). فأخبره بأنّه لم يرههم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس.

فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فصلّى فيه ركعتين، وأمره على أصبهان والريّ، ثمّ خرج حتى انتهى إليهم، وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: ألم أنهك عن كلامهم؟ ثمّ تكلم فقال: اللهمّ هذا مقام من يُفلج فيه كان أولى بالفُلج^(٨) يوم القيامة. ثمّ قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكوا. قال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك يوم صِفّين. قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنّهم حيث

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ي).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٤) «كتاباً» من النسخة (ر).

(٥) أي سورة (براءة) وهي سورة التوبة وأولها «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين».

(٦) في النسخة (ي): «أمرهم».

(٧) في الأصل «إطاعة» والنسخة (ي): «إطافة» والمثبت بالفاء يتفق مع الطبري.

(٨) في الأصل «بالفلاح».

رفعوا المصاحف وقلتم نُجيبهم، قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم أنهم ليسوا بأصحاب دين؟ وذكر ما كان قاله لهم، ثم قال لهم: قد اشترطت على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف، وإن أبيا فنحن عن حكمهما بُراء.

قالوا: فخبّرنا، أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌ مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلته بينكم قال: ليعلم الجاهل ويثبت^(١) العالم، ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة، ادخلوا مصركم رجمكم الله. فدخلوا من عند آخرهم^(٢).

قيل: والخوارج يزعمون أنهم قالوا له: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وكان ذلك كفرةً منا، وقد تبنا إلى الله، فتب كما تبنا نبايك، وإلا فنحن مخالفون. فبايعنا علي^(٣) وقال: ادخلوا، فلنمكث ستة أشهر حتى نجبي المال، ويسمن الكراع، ثم نخرج إلى عدونا. وقد (كذب الخوارج فيما زعموا)^(٤).

ذكر اجتماع الحكمين

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين، أرسل عليّ أربعمئة رجل، عليهم شريح بن هانيء الحارثي، وأوصاه أن يقول لعمر بن العاص: إن علياً يقول لك: إن أفضل الناس عند الله، عز وجل، من كان العمل بالحق أحب إليه، وإن نقصه من الباطل وإن زاده. يا عمرو والله إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل^(٥)؟ إن أوتيت طمعاً يسيراً كنت لله به ولأوليائه عدواً، وكان والله ما أوتيت قد زال عنك! ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً، وللظالمين ظهيراً، أما إني أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم، وهو يوم وفاتك، تتمنى أنك لم تظهر^(٦) لمسلم عداوة، ولم تأخذ على حكم رشوة.

فلما بلغه تغير وجهه^(٧) ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ، أو أنتهي إلى أمره، أو

(١) في الطبعة الأوربية «ويثبت».

(٢) تاريخ الطبري ٦٤/٥ - ٦٦.

(٣) في الأصل «فبايعهم علي» وفي النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «فبايعنا على ذلك».

(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر). وفي تاريخ الطبري ٦٦/٥: «ولسنا تأخذ بقولهم، وقد كذبوا».

(٥) في تاريخ الطبري ٦٩/٥ «تجاهل» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.

(٦) في النسخة (ي) والأصل «تضمّر».

(٧) في تاريخ الطبري ٦٩/٥ «فتمرّ وجهه» وفي وقعة صفين «فتمرّ وجه عمرو».

أَعْتَدَ برأيه؟ فقال له: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبّهم مشورته؟ فقد كان من هو خير منك أبو بكر، وعمر، يستشيرانه، ويعملان برأيه. فقال له: إن مثلي لا يكلم مثلك. قال شُرَيْح: بأيّ أبويك ترغب عني يا ابن النابغة؟ أبابيك الوسط^(١) أم بأمك النابغة^(٢)؟ فقام عنه^(٣).

وأرسل عليّ أيضاً معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم ويُلّي أمورهم، ومعهما أبو موسى الأشعريّ.

وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام، حتى توافوا من^(٤) دُومة الجندل بأذُرَج. وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يُدرى بما جاء فيه، ولا يسأله أهل الشام عن شيء؛ وكان أهل العراق يسألون ابنَ عباس عن كتاب يصله من عليّ، فإن كتمهم ظنّوا به الظنون وقالوا: أتراه كتب بكذا وكذا؟ فقال لهم ابن عباس: أما تعقلون؟ أما ترون رسول معاوية يجيء، لا يعلم أحد ما جاء به^(٥)، ولا يُسمع لهم صياح، وأنتم عندي كلّ يوم تظنون فيّ الظنون؟^(٦).

وحضر معهم ابنُ عمر، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر الصديق، وابنُ الزبير، وعبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدُ الرحمن بن عبد يغوث الزهريّ، وأبو جهّم بن حذيفة العدويّ، والمُغيرة بن شُعبة.

وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سُليم بالبادية، فأتاه ابنه عمر فقال له: إنّ أبا موسى وعمراً قد شهدهما نفرٌ من قريش، فاحضرْ معهم، فإنّك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، وأنت أحقّ الناس بالخلافة. فلم يفعل^(٧). وقيل: بل حضرهم سعد، وندم على حضوره، فأحرم بعمرة من بيت المقدس^(٨).

وقال المُغيرة بن شُعبة لرجال من قريش: أترون أحداً يستطيع أن يأتي برأي يعلم

-
- (١) عند الطبري وابن مزاحم «الوشيط» بالشين المعجمة، وهو الخسيس والتابع.
 - (٢) النابغة لقب أم عمرو بن العاص واسمها سلمى بنت حرملة، وهي سبيّة من بني جلال بن عترة.
 - (٣) وقعة صفين ٦٢٣، ٦٢٤، تاريخ الطبري ٦٩/٥، ٧٠.
 - (٤) عند الطبري وابن مزاحم «توافوا بدومة».
 - (٥) عند الطبري وابن مزاحم زيادة «ويرجع لا يعلم ما رجع به».
 - (٦) وقعة صفين ٦١٣، وتاريخ الطبري ٦٧/٥.
 - (٧) وقعة صفين ٦١٣، ٦١٤، تاريخ الطبري ٦٧/٥.
 - (٨) تاريخ الطبري ٦٦/٥.

به، أيجتمع الحَكَمَان أم لا؟ فقالوا: لا. فقال: إني أعلمه منهما. فدخل على عمرو بن العاص فقال: كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب؟ فإننا قد شككنا في الأمر الذي استبان لكم فيها. فقال له عمرو: أراكم خلف الأبرار، أمام الفُجَّار. فانصرف المغيرة إلى أبي موسى، فقال له مثل قوله لعمرو. فقال له أبو موسى: أراكم أثبت^(١) الناس رأياً، فيكم بقية الناس. فعاد المغيرة إلى أصحابه وقال لهم: لا يجتمع هذان على أمر واحد.

فلما اجتمع الحَكَمَان قال عمرو: يا أبا موسى ألسْتَ تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً؟ قال: أشهد. قال: ألسْتَ تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى. قال: فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن خفت أن يقول الناس: ليست له سابقة، فقلْ وجدته وليَّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسنُ السياسة والتدبير، وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ وكاتبه، وقد صحَّبه، وعرض له بسلطان.

فقال أبو موسى: يا عمرو اتقِ الله! فأما ما ذكرت من شرف معاوية، فإن هذا ليس على الشرف تولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل، مع أنني لو كنتُ مُعطيَه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب، وأما قولك: إن معاوية وليّ دم عثمان فولّه هذا الأمر، فلم أكن لأوليّه وأدع المهاجرين الأولين^(٢)، وأما تعريضك لي^(٣) بالسلطان، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كلّهُ لما وُلِّيْتُهُ، وما كنتُ لأرتشي في حكم الله! ولكنك إن شئتَ أحيينا^(٤) اسم عمر بن الخطاب، رحمه الله.

قال له عمرو: فما يمنعك من ابني، وأنت تعلم فضله وصلاحه؟ فقال: إن ابنك رجلٌ صدق، ولكنك قد غمستَه في هذه الفتنة. فقال عمرو: إن هذا الأمر لا يصلح إلّا لرجل^(٥) يأكل ويطعم؛ وكانت في ابن عمر غفلة؛ فقال له ابن الزبير: افطن، فاتبه! فقال: والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً. وقال: يا ابن العاص، إن العرب قد أسندتْ إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف، فلا تردّتهم في فتنة^(٦).

وكان عمرو قد عودَ أبا موسى أن يُقدّمه في الكلام، يقول له: أنت صاحب

-
- (١) في الأصل «أثبت».
 - (٢) زاد في الأصل والنسخة (ي) «والأنصار».
 - (٣) «لي» زيادة من النسخة (ر).
 - (٤) في الطبعة الأوروبية «أن تحيي».
 - (٥) عند ابن مزاحم والطبري «لأ رجل له ضرس».
 - (٦) تاريخ الطبري ٦٨/٥، ٦٩ والخبر بأطول من ذلك في وقعة صفين ٦٢٣.

رسول الله ﷺ وأسَنَ مني فتكلّم، وتعوّد ذلك أبو موسى، وأراد عمرو بذلك كلّهُ أن يقدّمه في خلع عليّ، فلمّا أَرَادَهُ عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى، وأراد أبو موسى ابنَ عمر فأبى عمرو، قال له عمرو: خبّرني ما رأيك؟ قال: أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا. فقال عمرو: الرأي ما رأيته. فأقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم أنّ رأينا قد اتّفق. فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأينا قد اتّفق على أمرٍ نرجو أن يصلحَ اللهُ به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدّق وبرّ، تقدّم يا أبا موسى فتكلّم. فتقدّم أبو موسى، فقال له ابن عباس: ويحك! واللّه إنّني لأظنه قد خدعك، إنّ كنتما اتّفقتما على أمرٍ فقدّمه فليتكلم به قبلك، ثمّ تكلم به بعده، فإنّه رجلٌ غادر، ولا آمنُ أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما، فإذا قمت في الناس خالفك.

وكان أبو موسى مُغفلاً فقال: إنّنا قد اتّفقنا، وقال: أيّها الناس، إنّنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نرَ أصلحَ لأمرها ولا أَلَمَ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، ويوليّ الناس أمرهم من أحبّوا، وإنّي قد خلعتُ عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً. ثمّ تنحّى.

وأقبل عمرو فقام وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلعَ صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأبُتّ صاحبي معاوية، فإنّه وليّ ابن عفّان، والطالبُ بدمه، وأحقّ الناس بمقامه^(١).

فقال سعد: ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايدِهِ! فقال أبو موسى: فما أصنع؟ وافقني على أمرٍ ثمّ نزع عنه! فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى، الذنب لمن قدّمك في هذا المقام. قال: غدر فما أصنع؟ فقال ابن عمر: انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة! صار إلى رجلٍ ما يبالي ما صنع، وإلى آخر ضعيف.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعريُّ قبل هذا (اليوم)^(٢) لكان خيراً له.

وقال أبو موسى الأشعريّ لعمره: لا وفّقك الله، غدرت وفجرت! إنّما مثلك **﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾**^(٣). قال عمرو: إنّما مثلك **﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾**^(٤). فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسُّوط وحمل (ابن

(١) وقعة صفين ٦٢٥، ٦٢٧، تاريخ الطبري ٧٠/٥، ٧١.

(٢) من النسخة (ر).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٥.

لعمرو^(١) على شَرِيح فضربه بالسوط أيضاً، وحجز الناس بينهم، وكان شَرِيح يقول بعد ذلك: ما ندمت على شيءٍ ندامتي على ضرب عمرو بالسوط، ولم أضربه بالسيف^(٢).

والتمس أهل الشام أبا موسى، فهرب إلى مكة، ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، فسلموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشَرِيح إلى عليّ، وكان عليّ إذا صلى الغداة يَقْنُتُ فيقول: اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس وأوليد! فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنّت سبّ عليّاً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر^(٣).

وقد قيل: إنّ معاوية حضرَ الحكمين، وإنّه قام عشيّة في الناس فقال: أمّا بعدُ من كان متكلماً في هذا الأمر فليُطْلَع لَنَا قَرْنُهُ. قال (ابن عمر: فاطلعتُ حُبُوتِي)^(٤)، فأردتُ أن أقول: يتكلم فيه رجالٌ قاتلوك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق الجماعة ويُسفك فيها دم، وكان ما وعد الله فيه الجنان أحبّ إليّ من ذلك، فلمّا انصرفتُ إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعتُ هذا الرجل يتكلم؟ قلتُ: أردتُ ذلك ثمّ خشيتُ. فقال حبيب: وَفَقْتَ وَعَصِمْتَ، وهذا أصحّ (لأنّه ورد في الصحيح)^(٥).

ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر

لما أراد عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ^(٦) الطائيّ، وحرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيّ، فقالا له: لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ! (فقال عليّ: لا

(١) في الأصل والنسخة (ي): «عمرو».

(٢) وقعة صفين ٦٢٧، ٦٢٨. تاريخ الطبري ٧١/٥.

(٣) صفين ٦٢٨، الطبري ٧١/٥. وفي الأصل: «قال شريح».

(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر).

والحديث أخرجه البخاري في المغازي ٤٨/٥ باب غزوة الخندق. من طريق: ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونسواتها تنظف، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يُجعل لي من الأمر شيء، فقالت: الحقّ، فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعّه حتى ذهب، فلمّا تفرّق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليُطْلَع لَنَا قَرْنُهُ فَلْتَنْحِ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ. قال حبيب بن مسلمة: فهلاًّ أجبتّه! قال عبد الله: فحللتُ حُبُوتِي وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع وتسفك الدماء ويُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان، قال حبيب: حُفِظْتَ وَعَصِمْتَ.

(٥) في الأصل «الجراح».

حُكْم إِلَّا اللَّهُ^(١). وقال حُرْقُوصُ بْنُ زَهِيرٍ: ثَبَّ مِنْ خَطِيئَتِكَ، وَارْجِعْ عَنْ قَضَيْتِكَ، وَاخْرُجْ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَقَاتْلَهُمْ حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا. فَقَالَ عَلِيٌّ: قَدْ أَرَدْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَعَصَيْتُمُونِي، وَقَدْ كَتَبْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ كِتَابًا، وَشَرَطْنَا شُرُوطًا، وَأَعْطَيْنَا عَلَيْهَا عَهْدًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٢). فَقَالَ حُرْقُوصُ: ذَلِكَ ذَنْبٌ يَنْبَغِي أَنْ تَتُوبَ عَنْهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا هُوَ ذَنْبٌ وَلَكِنَّهُ عَجْزٌ عَنِ الرَّأْيِ، وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ. فَقَالَ زُرْعَةُ: يَا عَلِيُّ لَنْ (لَمْ تَدْعُ تَحْكِيمَ)^(٣) الرِّجَالُ لِأَقَاتِلَنَّكَ، اطْلُبْ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ عَلِيٌّ: بِؤْسًا لَكَ مَا أَشْقَاكَ! كَأَنِّي بِكَ قَتِيلًا تَسْفِي عَلَيْكَ الرِّيحَ! قَالَ: وَدِدْتُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ. فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ يَحْكُمَانِ^(٤).

وخطب عليّ ذات يوم، فحكمت المحكّمة في جوانب المسجد، فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ أريد بها باطل! إن سكتوا غممناهم^(٥)، وإن تكلموا حجّجناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربيّ فقال: الحمد لله غير مُودّع ربنا ولا مستغنى عنه! اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا، فإن إعطاء الدنيّة في الدين إدهان في أمر الله، وذُلّ راجع بأهله إلى سخط الله، يا عليّ أبا القتل تخوفنا؟ أما والله إنني لأرجو أن تضربكم بها عمّا قليل غير مُصَفّحات، ثم لتعلم^(٦) أيّنا أولى بها صلياً. ثم خرج هو وإخوة له ثلاثة، فاصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم (بعد ذلك)^(٧) بالنخيلة.

ثم خطب عليّ يوماً آخر، فقام رجل فقال: لا حُكْم إِلَّا لله! ثم توالى عدّة رجال يحكمون. فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ أريد بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا، وإنما فيكم أمر الله. ثم رجع إلى مكانه من الخطبة^(٨).

ثم إن الخوارج لقي بعضهم بعضاً، واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبيّ، فخطبهم، فزهدهم في الدنيا، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال:

- (١) زيادة من الأصل.
- (٢) سورة النحل، الآية: ٩١.
- (٣) في الأصل والنسخة (ي): «حكمتهم».
- (٤) الطبري ٧٢/٥.
- (٥) عند الطبري ٧٢/٥ «غممناهم» بالعين المهملة.
- (٦) عند الطبري ٧٣/٥ «لتعلمن».
- (٧) زيادة من النسخة (ر).
- (٨) تاريخ الطبري، ٧٢/٥، ٧٣.

اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كُور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن مُنكرين لهذه البدع المُضلة. فقال له حُرْقُوصُ بن زُهَيْر: إِنَّ المتاع بهذه الدنيا قليل، وإنَّ الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتنكم^(١) عن طلب الحق وإنكار الظلم، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢). فقال حمزة بن سِنَان الأسدي: يا قوم إِنَّ الرأي ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم، فإنكم لا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها. فعرضوها على زيد بن حُصَيْن^(٣) الطائي فأبى، وعرضوها على حُرْقُوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سِنَان، وشُرَيْح بن أَوْفَى العبسيّ فأبىا، وعرضوها على عبد الله بن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت. فبايعوه لعشرٍ خلّون من شِوَال. (وكان يقال له ذو الثفّنات)^(٤).

ثمّ اجتمعوا في منزل شُرَيْح بن أَوْفَى العبسيّ، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق. قال شُرَيْح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذها بأبوابها، ونُخرج منها سكّانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حُصَيْن: إنكم إن خرجتم مجتمعين أتبعتم، ولكن اخرجوا وحداً مستخفين، فأما المدائن فإنّ بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى نزل جسر النهروان، وتكاتبوا^(٥) إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي.

وكتب عبد الله بن وهب إلى مَنْ بالبصرة منهم، يُعلمونهم ما اجتمعوا عليه، ويحثّونهم على اللّحاق بهم، وسيّر الكتاب إليهم، فأجابوه أنّهم على اللّحاق به.

فلما عزموا على المسير تعبّدوا ليلتهم، وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساروا

(١) في الأصل «تلهيكم» وفي النسخة (ي) «يلبسنكم».

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٣) في النسخة (ر): «حصن».

(٤) زيادة من الأصل.

وكان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن العباس: ذو الثفّنات، لما على أعضاء السجود منهما من السجادات الشبيهة بثفّنات الإبل، وذلك لكثرة صلاتهما. قال دعبل الخزاعي:

مدارس آياتٍ خلّته من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍ مُقْفِرِ العرصات

ويابن عليّ والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجاد ذي الثفّنات

(انظر ديوان دعبل - ص ٣٦، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩١ رقم ٤٣٩).

وكان عبد الله بن وهب رئيس الخوارج يلقب مثلهما بذي الثفّنات لأن طول السجود كان أثر في ثفّناته.

(انظر: لسان العرب - مادة: ثفن) وهو في تاريخ الطبري ٧٥/٥.

(٥) في الأصل «ويأتونكم».

يوم السبت، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ إلى ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١). وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي، فأتبعه أبوه، فلم يقدر عليه، فانتهى إلى المدائن ثم رجع، فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسي في نحو عشرين فارساً، فأراد عبد الله قتله، فمنعه عمرو بن مالك التيهاني، وبشر بن زيد البولاني، وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل عليّ على المدائن يُحذّره أمرهم، وأخذ أبواب المدائن، وخرج في الخيل، واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد، وسار في طلبهم. فأخبر عبد الله بن وهب خبره، فربأ^(٢) طريقه وسار على بغداد، ولحقهم سعد بن مسعود بالكرك في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً، فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم.

وقال أصحاب سعد لسعد: ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر؟ خلّهم فليذهبوا، واكتب إلى أمير المؤمنين، فإن أمرك باتباعهم أتبعتهم، وإن كفّكهم غيرك كان في ذلك عافية لك. فأبى عليهم. فلما جنّ عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب، فعبّر دجلة إلى أرض جُوحى، وسار إلى النهروان، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه، وقالوا: إن كان هلك ولينا الأمر زيد بن حصين، أو خرّ قوص بن زهير.

وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم، فردّهم أهلهم كرهاً، منهم: القعقاع بن قيس الطائي، عم الطرمّاح بن حكيم، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج، فأحضره عنده ونهاه، فانتهى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنة رسول الله ﷺ فجاءه ربيعة بن أبي شدّاد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل وصفيين، ومعه راية خثعم، فقال له: بايع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر. قال له علي: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم يكونا على شيء^(٣) من الحق. فبايعه. فنظر إليه عليّ وقال: أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة.

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن

(١) سورة القصص، الآيتان ٢١ و ٢٢.

(٢) في النسخة (ر) «فترك» وفي الأصل والنسخة (ي): «فربأ»، ويقال: ربأت فلاناً: حذرته وأتقيته.

(٣) في الأصل «بينة».

فَذَكَي التَّمِيمِيَّ، فَعَلِمَ بِهِم ابْنُ عَبَّاسٍ، فَاتَّبَعَهُمْ أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّثَلِيَّ، فَلَحِقَهُمْ بِالْجَسَرِ الْأَكْبَرِ، فَتَوَاقَفُوا حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُم اللَّيْلُ، وَأَدْلَجَ مِسْعَرٌ بِأَصْحَابِهِ، وَأَقْبَلَ يَعْتَرِضُ النَّاسَ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ الْأَشْرَسُ بْنُ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيُّ، وَسَارَ حَتَّى لَحِقَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ بِالنَّهْرِ.

فَلَمَّا خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ وَهَرَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى مَكَّةَ وَرَدَّ عَلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَمَآ فِي الْكُوفَةِ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدَثَانِ الْجَلِيلِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَمَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذَيْنِ الرَّجَلَيْنِ وَفِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَحَلْتُكُمْ^(١) رَأْيِي (لَوْ كَانَ لِقَاصِيرٍ أَمْرٌ)^(٢)، وَلَكِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مَا أَرَدْتُمْ، فَكُنْتُ أَنَا وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازَنٍ^(٣):

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا^(٤) الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ^(٥) إِلَّا أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجَلَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَرْتُمُوهُمَا حُكَّامَيْنِ قَدْ نَبَذَا حُكْمَ الْقُرْآنِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمَا، وَأَخْيَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَاتَّبَعَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، فَحُكَمَا بَغَيْرِ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَلَا سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ، وَاخْتَلَفَا فِي حُكْمِهِمَا، وَكِلَاهُمَا لَمْ يَرْشُدْ، فَبَرَى اللَّهُ مِنْهُمَا وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَعَدَّوْا وَتَأَهَّبُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ، وَأَصْبَحُوا فِي مَعْسَكِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

ثُمَّ نَزَلَ، وَكُتِبَ إِلَى الْخَوَارِجِ بِالنَّهْرِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى زَيْدِ بْنِ حُصَيْنٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ النَّاسِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الرَّجَلَيْنِ اللَّذَيْنِ ارْتَضَيْنَا حُكَّامَيْنِ قَدْ خَالَفَا كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبَعَا هَوَاهُمَا بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلَا بِالسُّنَّةِ، وَلَمْ يُنْفِذَا الْقُرْآنَ حُكْمًا، فَبَرَى اللَّهُ مِنْهُمَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَإِذَا بَلَّغْتُمْ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلُوا إِلَيْنَا، فَإِنَّا سَاطِرُونَ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ، وَنَحْنُ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَبَيَّنْتَ لَكُمْ».

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ.

(٣) هُوَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَّةِ.

(٤) فِي نَسْخَةِ الْمَتْحَفِ الْبَرِيطَانِيِّ «يَسْتَلْبِيوْا».

(٥) الْبَيْتُ فِي تَارِيخِ الطُّبَرِيِّ ٧٧/٥، وَفِي الْفَتْوحِ لِابْنِ أَعْيَمٍ الْكُوفِيُّ ١٠٢/٤ وَفِيهِ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْقَطَعِ اللَّوَى

وَفِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ١٣/٢

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

وَهُوَ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ٣٦٦، وَمَرْجُوحُ الذَّهَبِ ٤١٣/٢ وَبَعْدَهُ:

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَثْنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ

على الأمر الأول^(١) الذي كنّا عليه .

فكتبوا إليه : أمّا بعدُ فإنّك لم تغضب لربّك، وإنّما غضبتَ لنفسك، فإنّ شهدتَ على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلّا فقد نبذناك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين .

فلَمّا قرأ كتابهم أيس^(٢) منهم، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقي أهل الشام فيناجزهم، فقام في أهل الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال : أمّا بعد، فإنّه من تركّ الجهاد في الله وأذهن في أمره، كان على شفا هَلَكَة، إلّا أن يتداركه الله بنعمته^(٣)، فاتّقوا الله، وقاتلوا مَنْ حادّ الله ورسوله، وحاول أن يُطفئ نورَ الله، فقاتلوا الخاطئين الضّالّين القاسطين^(٤) الذين ليسوا بقراء القرآن^(٥)، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، واللّه، لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى^(٦) وهِرقل، تيسّروا^(٧) للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

وكتب إلى ابن عبّاس : أمّا بعد، فإنّا خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد أجمعنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب، فاشخصْ إلى الناس حتى يأتيك رسولي، وأقم حتى يأتيك أمري، والسلام عليك .

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس، وندبهم مع الأحنف بن قيس، فشخص ألف وخمسمائة، فخطبهم وقال : يا أهل البصرة، أتاني كتاب أمير المؤمنين، فأمرتكم بالنفير إليه، فلم يشخصْ منكم إليه إلّا ألف وخمسمائة، وأنتم ستون ألف مقاتل، سوى أبنائكم وعبيدكم ! ألا انفروا إليه^(٨) مع جارية بن قدامة السعديّ، ولا يجعلنّ رجل على نفسه سبيلاً، فإنّي موقع بكلّ من وجدته متخلفاً عن دعوته، عاصياً لإمامه، فلا يلومنّ رجل إلّا نفسه .

(١) من النسخة (ر) .

(٢) في الأصل «كبر» .

(٣) عند الطبري «بنعمة» .

(٤) في الأصل «الظالمين»، وفي النسخة (ي) : «المضلين»، وزاد في تاريخ الطبري ٧٨/٥ «المجرمين» .

(٥) عند الطبري «للقرآن» .

(٦) في الأصل زيادة «قيصر» .

(٧) في الأصل «وتأقّبوا» .

(٨) من النسخة (ر) .

فخرج جارية، فاجتمع إليه ألف وسبعمائة، فوافوا علياً وهم ثلاثة آلاف ومائتان، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع^(١) ووجوه الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وأصحابي إلى جهاد المحلّين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد استنفرت أهل البصرة، فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان، فليكتب لي رئيس كلّ قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم^(٢)، ويرفع ذلك إلينا.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمدانيّ فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة، أنا أول الناس أجاب ما طلبت. وقام معقل بن قيس، وعديّ بن حاتم، وزباد بن خصفة، وحجر بن عديّ، وأشرف الناس والقبائل، فقالوا مثل ذلك، وكتبوا إليه ما طلب، وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم، ولا يتخلّف منهم متخلّف، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممّن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً سوى أهل البصرة، وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل.

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بإرسال من عنده من المقاتلة.

وبلغ علياً أنّ الناس يقولون: لو سار بنا إلى قتال هذه الحرورية، فإذا فرغنا منهم توجّهنا إلى قتال المحلّين! فقال لهم: بلغني أنكم قلتم كيّت وكيّت! وإنّ غير هؤلاء الخارجين^(٣) أهمّ إلينا! فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم، كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباداً لله خولاً. فناداه الناس: أنّ سِرّ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت. وقام إليه صيفي بن فسيل^(٤) الشيبانيّ فقال: يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك، نعادي من عاداك، ونشاي^(٥) من أناب إلى طاعتك من كانوا وأينما كانوا، فإنّك إن شاء الله لن تؤتّى من قلة عدد وضعف نيّة أتباع^(٦).

ذكر قتال الخوارج

قيل: لما أقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابةً منهم رجلاً

(١) في الأصل «الأتباع» وفي النسخة (ي) «الأسباع».

(٢) في الأصل «ومراكبهم».

(٣) عند الطبري ٨٠/٥ «الخارجة».

(٤) في الأصل «قتيل». وفي الطبعة الأوربية «قسيل».

(٥) في الأصل «ونبايع» وفي النسخة (ي): «ونسارع».

(٦) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٧٤/٥ - ٨٠.

يسوق بامرأة على حمار، فدعوه فانتهره، فأفزعوه وقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خَبَّاب صاحب رسول الله ﷺ فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم. قالوا: لا رَوْع عليك، حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيكَ حَدِيثاً سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَفَعْنَا بِهِ. فقال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ فِيهَا بَدَنُهُ، يُمِسي فِيهَا مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، وَيُصْبِحُ كَافِراً وَيَمِسي مُؤْمِناً»^(١). قالوا: لهذا الحديث سَأَلْنَاكَ، فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ فَأَنْتَ عَلَيْهِمَا خَيْرٌ. قالوا: مَا تَقُولُ فِي عُثْمَانَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ وَفِي آخِرِهَا؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مُحَقَّاً فِي أَوَّلِهَا وَفِي آخِرِهَا. قالوا: فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَبْلَ التَّحْكِيمِ وَبَعْدَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ، وَأَشَدُّ تَوَقُّفاً عَلَى دِينِهِ، وَأَنْفَذَ بِصِيرَةٍ. فقالوا: إِنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى، وَتُوَالِي الرِّجَالَ عَلَى أَسْبَائِهَا لَا عَلَى أَفْعَالِهَا، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً مَا قَتَلْنَاها أَحَدًا.

فأخذوه وكتفوه، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ وَبِامْرَأَتِهِ، وَهِيَ حُبْلَى (مُتَمِّمٌ)^(٢)، حَتَّى نَزَلُوا تَحْتَ نَخْلٍ مَوَاقِيرٍ^(٣)، فَسَقَطَتْ مِنْهُ رُطْبَةٌ، فَأَخَذَهَا أَحَدُهُمْ فَتَرَكَهَا فِيهِ، فَقَالَ آخَرُ: أَخَذْتُهَا بِغَيْرِ حُلْمِهَا وَبِغَيْرِ ثَمَنِ، فَأَلْقَاهَا. ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ خَنْزِيرٌ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَضْرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا^(٤): هَذَا فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ، فَلَقِيَ صَاحِبَ الْخَنْزِيرِ فَأَرْضَاهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ابْنَ خَبَّابٍ قَالَ: لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا أَرَى، فَمَا عَلَيَّ مِنْكُمْ مِنْ بَأْسٍ، إِنِّي مُسْلِمٌ مَا أَحْدَثْتُ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا، وَلَقَدْ آمَنْتُمُونِي، قُلْتُمْ: لَا رَوْعَ عَلَيْكَ. فَأَضْجَعُوهُ فَذَبَحُوهُ، فَسَالَ دَمُهُ فِي الْمَاءِ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ: أَنَا امْرَأَةٌ، أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ! فَبَقَرُوا بَطْنَهَا^(٥)، وَقَتَلُوا

(١) ليس في كتب الصحاح هذا اللفظ من الحديث. وقد أخرج الترمذي في الفتن ٣/٣٣٠ و ٣٣١ باب ما جاء ستكون فتنه تقطع الليل المظلم. (٢٢٩١) من طريق عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يَا بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمِسي كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». وأخرجه أيضاً (٢٢٩٣) من طريق الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك. و(٢٢٩٤) من طريق صالح بن عبد الله، عن جعفر بن سليمان، عن هشام، عن الحسن.

(٢) من الأصل: وفي النسخة (ي): «معهم».

(٣) عند الطبري ٨٢/٥ «مواقير». وهما بمعنى الحمل. يقال: أوقرت النخلة إذا كثر حملها.

(٤) في الأصل «فقال له أحدهم».

(٥) أخرج الإمام أحمد في مسنده ١١٠/٥ من طريق أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: «دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خَبَّابٍ دَعِيراً يَجْرُ رِداءه، فقالوا: لِمَ تُرْع. قال: والله لقد رعتموني. قالوا: أنت عبد الله بن خَبَّابٍ صاحب رسول الله ﷺ. قال: نعم. قال: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه. قال: نعم، سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنه القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول. قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القاتل. قالوا: أينت. سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: فقدموه على ضفة =

ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان الصيداوية.

فلما بلغ علياً قتلهم عبد الله بن خباب، واعتراضهم الناس، بعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم، وينظر ما بلغه عنهم، ويكتب به إليه ولا يكتمه. فلما دنا منهم يسألهم قتلوه، وأتى علياً الخبر والناس معه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا؟ سِرُّ بنا إلى القوم، فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس، وكلمه بمثل ذلك، وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم، لأنه كان يقول يوم صفين: أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله. فلما قال هذه المقالة علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم.

فاجتمع عليّ على ذلك، وخرج فعبر الجسر وسار إليهم، فلقيه منجم في مسيره، فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار، فقال له: إن أنت سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً. فخالفه عليّ، وسار في الوقت الذي نهاه عنه، فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمر بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيئاً: سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر. وكان المنجم مسافر بن عفيف الأزدي.

فأرسل عليّ إلى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب، فلعل الله يقبل بقلوبكم^(١) ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم. فقالوا: كلنا قتلهم، وكلنا مستحلّ لدمايتكم ودمايتهم. وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، وتسفكون دماء المسلمين! فقال لهم عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاع لنا، فلسنا متابعيكم^(٢) أو تاتونا بمثل عمر، فقال: ما نعلمه [فيما] غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن

= النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقر، وبقروا أم ولده عما في بطنها.

وما ابذقر: يعني لم يتفرق

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦٨/٤ رقم (٣٦٢٩) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن شيبان، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد. وزاد في آخره أن الرجل من عبد القيس قال: «لم أصحب قوماً هم أبغض إليّ صحبة منهم حتى وجدت خلوة فانفلت». وانظر الحديث (٣٦٣٠) و(٣٦٣١).

(١) في الأصل ونسخة (ي): «توتكم».

(٢) عند الطبري ٨٣/٥ «تتابعكم».

تهلكوها، فإنِّي لا أرى الفتنة إلَّا وقد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيوب الأنصاري فقال: عباد الله، إنَّا وإياكم على الحال الأولى التي كنَّا عليها، أليست بيننا وبينكم فرقة، فعلامٌ تُقاتلوننا؟ فقالوا: إنَّا لو تابعناكم^(١) اليوم حكمتكم غدًا. قال: فإنِّي أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل.

وأناهم عليّ فقال: آيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة! وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب^(٢) العظيم! إنِّي نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم^(٣) الأمة غدًا صرعى بآثاء هذا الوادي^(٤) وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان مبين^(٥)، ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، ونبأتكم^(٦) أنّها مكيدة، وأنّ القوم ليسوا بأصحاب دين، فعصيتُموني، فلمّا فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرهما، ونحن على الأمر الأوّل؟ فمن أين أتيتم^(٧)؟ فقالوا: إنَّا حكمنا، فلمّا حكمنا أثمنا، وكنّا بذلك كافرين، وقد ثبنا، فإن تبت فنحن معك ومنك، وإن أبيت فإنّا منابذك على سواء. فقال عليّ: أصابكم حاصب ولا بقي منك وابر^(٨)، أبعد إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر! لقد ضللت إذا، وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم.

وقيل: إنّه كان من كلامه لهم: يا هؤلاء، إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراقِي لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها، وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم إنّما طلبوها مكيدةً ودُهْنًا^(٩) فأبيتُم عليّ إباء المخالفين، وعندتم عنود^(١٠) النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، (رأي معاشر والله، أخفاء الهام، سُفهاء الأحلام، فلم آتِ^(١١))، لا أبا

(١) عند الطبري ٨٤/٥ «بايعناكم».

(٢) زاد الطبري ٨٤/٥ «وأصبحت في اللبس والخطب».

(٣) عند الطبري «تُلغِيكم».

(٤) عند الطبري «النهر».

(٥) عند الطبري «بَيِّن».

(٦) في الأصل «وقد كنت قلت لكم».

(٧) في النسخة (ي): «أبيتُم».

(٨) في النسخة (ي): «دابر». والوابر: الفرد، أو الواحد.

(٩) في الطبعة الأوروبية «ووهْنًا».

(١٠) عند الطبري ٨٥/٥ «وعدلتم عني عدول».

(١١) ما بين القوسين من الأصل.

لكم، هُجْرًا! والله ما ختلْتُهُمْ^(١) عن أموركم، ولا أخفيتُ شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عَشْوَةً، ولا (دَنَيْتُ لَكُمْ الضَّرَاءَ)^(٢)، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملاكم [على] أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدوا، فتاها، فتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، والثقة^(٣) في أيدينا حين خالفا سبيلَ الحقّ، وأتيا بما لا يُعرف، فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج عن جماعتنا، وتضعون أسيافكم علي عواتقكم، ثمّ تستعرضون الناس تضربون رقابهم؟ إن هذا لهو الخُسران المبين، والله لو قتلتم على هذا دجاجةً لعظّم عند الله قتلها! فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟

فتنادو: لا تُخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيأوا للقاء الله، (الرواح الرواح إلى الجنة! فعاد عليّ عنهم)^(٤).

ثم إنّ الخوارج قصدوا جسر النهر، وكانوا غربه، فقال لعلّي أصحابه: إنهم قد عبروا النهر. فقال: لن يعبروا. فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنّهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه عطفة من النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم، فعاد فقال: إنهم قد عبروا النهر. فقال عليّ: والله ما عبروه، وإنّ مصارعهم لدون الجسر، والله، لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة! وتقدّم عليّ إليهم، فرأهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكّوا في قوله، وارتاب به بعضهم، فلمّا رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا وأخبروا عليّاً بحالهم، فقال: والله ما كذبت ولا كُذبت! ثمّ إنّه عبأ أصحابه، فجعل على ميمته حُجْر بن عديّ، وعلى ميسرته شَبَث بن رُبَيعي، أو معقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرّجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة، وهم سبعمائة أو ثمانمائة، قيس بن سعد بن عبادة، وعبأت الخوارج فجعلوا على ميمتهم زيد بن حُصَيْن^(٥) الطائي، وعلى الميسرة شَرِيح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلى رَجالتهم حُرْقُوص بن زُهَيْر السَّعْدِيّ^(٦).

وأعطى عليّ أبا أيوب الأنصاريّ رايةَ الأمان، فناداهم أبو أيوب فقال: من جاء

(١) في تاريخ الطبري ٨٥/٥ «خبلتكم».

(٢) في الأصل «زينت لكم القرآن» وفي النسخة (ي): «وبيت».

(٣) في الأصل «البقية» وفي النسخة (ي): «التغيير».

(٤) ما بين القوسين عن الأصل. والخبر بطوله في تاريخ الطبري ٨١/٥ - ٨٥، وانظر: نهج البلاغة ١/٢٢، ونهاية الأرب ١٧٤/٢٠ - ١٧٦.

(٥) في النسخة (ر) «حصن».

(٦) تاريخ الطبري ٨٥/٥.

تحت هذه الراية فهو آمين، ومَن لم يقتل ولم يستعرض، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، لا حاجة لنا بعد أن نُصيب قَتْلَ إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي: واللَّهِ ما أدري على أي شيء نقاتل عليًّا، أرى أن انصرف حتى يتضح لي بصيرتي في قتاله أو أتابعه^(١). فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البُندنجين^(٢) والدَّسكرة. وخرجت طائفة أخرى متفرِّقين، فزَلُّوا الكوفة، وخرج إلى عليّ نحو مائة، وكانوا أربعة آلاف، فبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة، (فزحفوا إلى عليّ) ^(٣)، وكان عليّ قد قال لأصحابه: كَفُّوا عنهم حتى يبدؤكم. فتنادوا: الرواح إلى الجنة! وحملوا على الناس، فافترقت خيل^(٤) عليّ فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وفرقة نحو الميسرة، واستقبلت الرُّماة وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فما لبثوا أن أناموهم. فلَمَّا رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه: أن انزلوا! فذهبوا لينزلوا، فلم يلبثوا أن حمل عليهم الأسود بن قيس المُراديّ، وجاءتهم الخيل من نحو عليّ، فأهلكوا^(٥) في ساعة، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا.

وجاء أبو أيوب الأنصاري إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين قتلتُ زيد بن حُصَيْن الطائِيّ، طعنته في صدره [حتى] خرج السنان من ظهره، وقلتُ له: أبشِر يا عدوَّ الله بالنار. فقال: ستعلم غداً^(٦) أيُّنا أولى بها صليًّا. فقال له عليّ: هو أولى بها صليًّا. وجاءه هانيء بن خطَّاب الأزديّ، وزياد بن خُصَفة يحتجَّان في قتل عبد الله بن وهب، فقال: كيف صنعتما؟ قالَا: لما رأينا عرفناه، فابتدرناه وطعناه برُمَحينا. فقال: كلاكما قاتل.

وحمل جيش بن ربيعة الكِنَانيّ على حُرْقوص بن زُهَير فقتله، وحمل عبد الله بن زَحر^(٧) الخولانيّ على عبد الله بن شَجْرة السُّلَميّ فقتله، ووقع شُريح بن أوفى إلى جانب جدار، فقاتل عليه، وكان (جُلَّ من يُقاتله همدان، فقال)^(٨):

(١) عند الطبري ٨٦/٥ «أتابعه».

(٢) البندنجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل. (معجم البلدان).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) في الأصل «الخيل على».

(٥) عند الطبري ٨٦/٥ «فأهمدوا».

(٦) زيادة من النسخة (ر).

(٧) في الأصل «زهر» وفي النسخة (ي): «زجر».

(٨) في الأصل «يقول» بدل ما جاء بين القوسين.

قد علمت جارية عَبْسِيَّة ناعمة في أهلها مكفَّية
أني سألني ثلثي العشيَّة^(١)

فحمل عليه قيس أيضاً فقتله، فقال الناس:
القرم يحمي شوله معقولا^(٢)

فحمل عليه قيس أيضاً فقتله، فقال الناس:
اقتلت^(٣) همدان يوماً ورجلٌ اقتلوا^(٤) من غدوة حتى الأصل
ففتح الله لهمدان الرجل^(٥)

ذكر مقتل ذي الثدية

قد روى جماعة أن علياً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج، أن قوماً يخرجون يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مُخَدَّج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً، فلما خرج أهل النهروان، سار بهم إليهم علي، وكان منه معهم ما كان، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المُخَدَّج، فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: والله إنه لفيهم، والله ما كذبت ولا كُذِّبت! ثم إنه جاءه رجل فبشَّره (فقال: يا أمير المؤمنين)^(٦) قد وجدناه. وقيل: بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشَّره الرجل، ومعه سليم بن ثمامة الحنفي، والريان بن صبرة، فوجده في حفرة على شاطئ النهر، في خمسين قتيلاً، فلما استخرجه نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع

(١) أنساب الأشراف ٣٧٢، تاريخ الطبري ٨٧/٥.

(٢) هكذا في تاريخ الطبري ٨٧/٥، وأما في أنساب الأشراف ٣٧٣:

الفحل يحمي شوله معقولا تمنعني نفسي أن أزولا
(٣) في الطبعة الأوربية «اقتلت».

(٤) في الطبعة الأوربية «اقتلوا».

(٥) في الأصل «قد فتح الله وقع الفتح». وفي أنساب الأشراف ٣٧٣ «الزجل». وفي تاريخ الطبري ٨٨/٥ زيادة: وقال شريح:

أضربهم ولو أرى أبا حسن ضربته بالسيف حتى يطمئن
وقال:

أضربهم ولو أرى علياً البشَّته أبيض مشرقياً
والرجز أيضاً في أنساب الأشراف ٣٧٣ وفيه «جلات» بدل «البسته». وانظر فيه أيضاً رواية أخرى.
(٦) في الأصل والنسخة (ي): «بأننا».

كثُيِرَ المرأة، وحَلَمَ عليها شَعَرَات سُود، فإذا مُدَّت امتدَّت حتى تُحاذي يَدَه الطُّولى، ثم تترك فتعود إلى منكبيّه. فلَمَّا رآه قال: الله أكبر ما كَذَبْتُ ولا كَذِبْتُ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قصَّ الله على لسان نبيّه ﷺ لَمَن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه.

وقال حين مرَّ بهم وهم صَرَغَى: بؤساً لكم! لقد ضَرَكُم مَن غَرَكُم! قالوا: يا أمير المؤمنين مَن غَرهم؟ قال: الشيطان، وأنفُسُ أَمارة بالسوء، غَرَّتْهم بالأُمانيّ، وزَيَّنَتْ لهم المعاصي، ونَبَّأتهم أَنهم ظاهرون.

قيل: وأخذ ما في عسكرهم من شيء، فأَمَّا السلاح والدواب وما شُهر عليه فقَسَمَه بين المسلمين، وأَمَّا المتاع والإماء والعبيد، فَإِنَّه رَدَّه على أهله حين قدِم.

وطاف عديّ بن حاتم في القَتلى على ابنه طَرْفة فدَفَنَه، ودفن رجال من المسلمين قتلاهم. (فقال عليّ حين بلغه: أتقتلونهم ثم تدفنونهم؟ ارتحلوا! فارتحل الناس)^(١).

فلم يُقْتَل من أصحاب عليّ إلا سبعة^(٢). وقيل: كانت الوقعة سنة ثمانٍ وثلاثين. وكان فيمن قُتل من أصحابه: يزيد بن نُويرَة الأنصاريّ، وله صُحبةٌ وسابقة، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وكان أوّل مَن قُتل^(٣).

ذكر رجوع عليّ إلى الكوفة

ولما فرغ عليّ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال: إِنَّ الله قد أحسن بكم وأعزَّ نصركم، فتوجَّهوا من فوركم^(٤) هذا إلى عدوكم. قالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نِبالنا،

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر). والخبر في تاريخ الطبري ٨٨/٥، ٨٩.

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «تسعة» والمثبت يتفق مع الطبري ٨٩/٥، وفي تاريخ يعقوبي ١٩٣/٢ لم يقتل من أصحاب عليّ إلا أقل من عشرة.

(٣) الاستيعاب ٦٥٥/٣، الإصابة ٦٦٤/٣ رقم ٩٣٢٠، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٠٣/١ رقم ٤٤ بسنده قال: «وأول قتيْل قُتل من أصحاب عليّ يوم النهر رجل من الأنصار، يقال له: يزيد بن نُويرَة، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة مرتين، شهد له يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: «من جاز التل فله الجنة» فقال: يزيد بن نُويرَة: يا رسول الله، إنما بيني وبين الجنة هذا التل؟ قال: نعم. فأخذ يزيد سيفه فضارب حتى جاز التل. فقال ابن عمر له: يا رسول الله أتجعل لي ما جعلت لابن عمي يزيد؟ قال: نعم. فقاتل حتى جاز التل، ثم أقبلَا يختلفان في قتيْل قتلاه، فقال رسول الله ﷺ لهما: «كلاكما قد وهبت له الجنة». ولك يا يزيد على صاحبك درجة. قال: فشهد يزيد مع عليّ، فكان أول قتيْل من أصحاب عليّ يوم النهر وان.

(٤) في النسخة (ر): «فوركم».

وكلت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا (وعاد أكثرها قِصداً)^(١)، فارجع إلى مصرنا فلنستعد، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا، فإنه أقوى^(٢) لنا على عدونا. وكان الذي تولّى كلامه الأشعث بن قيس، فأقبل حتى نزل النخيلة، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم. فأقاموا فيه أياماً ثم تسلّلوا من معسكرهم فدخلوا إلّا رجالاً من وجوه الناس، وترك المعسكر خالياً، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم أيضاً: أيها الناس استعدّوا للمسير إلى عدوكم ومن في جهاده القربة إلى الله، عز وجل، ودرك الوسيلة عنده، حيارى من الحق، جفاة عن الكتاب، يعمهون في طغيانهم، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله، وكفى بالله وكيلًا، وكفى بالله نصيراً. فلم ينفروا ولا تيسّروا. فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي يُعطى بهم، فمنهم المعتلّ ومنهم المتكرّ، (وأقلّهم من نشط)^(٣).

فقام فيهم فقال: عباد الله، ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا ﴿أَنَا قُلْتُ إِلَى الْأَرْضِ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾^(٤) وبالذلّ والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكأنّ قلوبكم مألوسة^(٥) وأنتم لا تعقلون، فكأنّ أبصاركم كُمه وأنتم لا تبصرون! لله أنتم! ما أنتم إلّا أسد^(٦) الشرى في الدّعة، وثعلب روَاعة حين تُدعون إلى البأس. ما أنتم (لي بثقة سَجِيسَ الليالي. ما أنتم)^(٧) بركب يُصال به. لَعَمْرُ الله لبس حُشاش الحرب^(٨) أنتم! إنكم تُكادون ولا تكيّدون، وتُنقَص^(٩) أطرافكم وأنتم لا تتحاشون، ولا يُنام عنكم^(١٠) وأنتم في غفلة ساهون. ثم قال: أمّا بعد، فإن لي عليكم حقاً، وإنّ لكم عليّ حقاً، فأما حقكم عليّ

(١) ما بين القوسين من الأصل. وقصداً: أي قطعاً منكسرة.

(٢) عند الطبري ٨٩/٥ «أوفى».

(٣) من الأصل.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٨.

(٥) مألوسة: من الألس وهو ذهاب العقل.

(٦) عند الطبري ٩٠/٥ «أسود».

(٧) زيادة من الأصل.

(٨) في النسخة (ي): «العرب».

(٩) عند الطبري «ويتنقص».

(١٠) في الطبعة الأوربية «ولا تنام عينكم».

فالنصيحة (لكم ما صحبتكم) ^(١)، وتوفير فيثكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا ^(٢)،
(وتأديبكم كي تَعَلَّمُوا، وأما حَقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المغيب
والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم، فإن يُرِدَ اللَّهُ بكم خيراً تنزعوا
عما أكره، وترجعوا إلى ما أحبّ، فتتالوا ما تطلبون، وتدرکوا ما تأملون) ^(٣).

ذكر عدّة حوادث

قيل: وَجَّعَ بالناس هذه السنة عُبيد الله بن عَبَّاس ^(٤)، وكان عامل عليّ على اليمن.
وكان على مَكَّة، والطائف: قُثم بن العَبَّاس ^(٥). وكان على المدينة سهل بن حنيف. وقيل تمام
بن العباس ^(٦)، وكان على البصرة عبد الله بن عَبَّاس ^(٧). وعلى مصر محمد بن أبي بكر ^(٨). ولما
سار عليّ إلى صِفِّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري ^(٩). وكان على خراسان
خُلَيْد بن قُرَّة اليربوعي ^(١٠). وكان بالشام معاوية بن أبي سفيان ^(١١).

[قتلى صِفِّين]

وفيها قُتل حازم بن أبي حازم ^(١٢) أخو قيس الأحمسيّ البَجَلِيّ بصِفِّين مع عليّ. وفيها
مات خَبَّاب بن الْأَرْت ^(١٣)، شهد بَذراً وما بعدها، وشهد صِفِّين مع عليّ والنهروان، وقيل

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في الطبعة الأوربية: «تجهلون».

(٣) ما بين القوسين من الأصل. والخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٨٩/٥ - ٩١.

(٤) تاريخ خليفة ١٩٢، وتاريخ الطبري ٩٢/٥، ومروج الذهب ٣٩٧/٤، ونهاية الأرب ١٩٨/٢٠.

(٥) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٩٢/٥.

(٦) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٩٣/٥.

(٧) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٩٣/٥.

(٨) المصدران السابقان.

(٩) تاريخ خليفة ٢٠٢، تاريخ الطبري ٩٣/٥.

(١٠) تاريخ خليفة ١٩٩، تاريخ الطبري ٩٣/٥.

(١١) تاريخ الطبري ٩٣/٥.

(١٢) انظر عنه في: الاستيعاب ٣٥٢/١، والإصابة ٣٧٢/١ رقم ١٩٤٢، وأسد الغابة ٣٦٠/١.

(١٣) انظر عن (خَبَّاب بن الْأَرْت) في:

المغازي للواقدي ١٠٠ و ١٥٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٣ و ١٨٢ و ١٨٣، وسيرة ابن هشام
(بتحقيقنا) انظر فهرس الأعلام، وطبقات ابن سعد ١٦٤/٣ - ١٦٧، وتاريخ خليفة ١٩٢، وطبقات خليفة
١٧ و ١٢٦، والمحبر لابن حبيب ٧٣، والبرصان والمرجان ٨ و ٢٥١، ومسند أحمد ١٠٨/٥ - ١١٢
و ٣٩٥/٦، ٣٩٦، والتاريخ الكبير ٢١٥/٣ رقم ٧٣٠، وتاريخ الثقات للعجلي ١٤٣، رقم ٣٧٦،
والمعارف ٣١٦، ٣١٧، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٨ رقم ٩١، والمعرفة والتاريخ ١٦٧/٣، وفتوح
البلدان ٣٣٥، وأنساب الأشراف ١١٦/١ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٩٧ و ٢٠١
و ٢٦/٣ و ٢٨٦، وتاريخ الطبري ٥٨٩/٣ و ٦١/٥، والمتخب من ذيل المذيّل ٥٥٨، ٥٥٩، والكنى
والأسماء للدولابي ٧٩/١، والزاهر للأنباري ٤٦/٢، والجرح والتعديل ٣٩٥/٣ رقم ١٨١٧، والمعجم =

لم يشهدها. كان مريضاً ومات قبل قدوم عليّ إلى الكوفة، وقد تقدّم ذكره. وقيل مات سنة تسع وثلاثين، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة. وفيها قُتل أبو الهيثم بن التّيهان^(١) بصفيّين مع عليّ، وقيل عاش بعدها يسيراً^(٢)، وقُتل بها أخوه عبيد بن التّيهان^(٣). وكان أبو الهيثم أوّل من بايع رسول الله ﷺ ليلة العَقَبَة، في قول، وهو بدريّ. وفيها قُتل يعلى بن مُنية^(٤)،

= الكبير للطبراني ٦١/٤ - ٩٤ رقم ٣٦٤، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٣، وحلية الأولياء ١/١٤٣ - ١٤٧ رقم ٢٣، والبدء والتاريخ ١٠١/٥، والاستيعاب ١/٤٢٣، ٤٢٤، والمستدرک علی الصحيحین ٣٨١/٣ - ٣٨٣، وصفة الصفوة ١/٤٢٧ - ٤٢٩ رقم ٢١، وأسّد الغابة ٢/٩٨ - ١٠٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٧٤، ١٧٥ رقم ١٤٣، وتحفة الأشراف ٣/١١٣ - ١٢٠ رقم ١٢٤، وتهذيب الكمال ٣٧٣/١، ووفيات الأعيان ٢/٤٧٦، ورجال الطوسي ١٩، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٢٤ رقم ٤٨٨، والعبر ١/٤٣، وتلخيص المستدرک ٣/٣٨١ - ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٢٣ - ٣٢٥ رقم ٦٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٢ - ٥٦٤، والمعین فی طبقات المحدثين ٣٠ رقم ٣٤، والكاشف ١/٢١١ رقم ١٣٨٤، ودول الإسلام ١/٣٢، والوفاء بالوفيات ١٣/٢٨٧ رقم ٣٤٨، والوفيات لابن قنفذ ٥٧، والبدایة والنهاية ٧/٣١٦، ومجمع الزوائد ٩/٢٩٨، وتهذيب التهذيب ٣/١٣٣، ١٣٤ رقم ٢٥٤، وتقريب التهذيب ١/٢٢١، ٢٢٢ رقم ١٠٥، والإصابة ١/٤١٦ رقم ٢٢١٠، والنكت الطراف ٣/١١٨، ١١٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، وكنز العمال ١٣/٣٧٥، وشذرات الذهب ١/٤٧، وطبقات الشعراني ١/١٨، ١٩، وقاموس الرجال ٤/٢ - ٤.

(١) انظر عن (أبي الهيثم بن التّيهان) في:

المغازي للواقدي ١٥٨ و ٦٩١ و ٧٠٧ و ٧١٨ و ٧٢٠، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات خليفة ٧٨ و ١٩٠، وتاريخ خليفة ١٤٩، وطبقات ابن سعد ٣/٤٤٧ - ٤٤٩، ومقدمة مسند بقيّ بن مخلد ١٥٥ رقم ٨٤٨، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و ٢٦٨ و ٢٧٢، والمعارف ٢٧٠، وأنساب الأشراف ١/٢٤٠، وفتوح البلدان ١/٣٣، وتاريخ أبي زرعة ١/٥٧٥، والكنى والأسماء للدولابي ١/٦١، وتاريخ الطبري ٢/٣٥٦ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٤/٤٤٧، والاستيعاب ٤/٢٠٠، ٢٠١، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٣٢، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/٢٤٩ - ٢٥٩، والمستدرک ٣/٢٨٥، ٢٨٦، والزيارات للهروي ٦٢ و ٩٤، وأسّد الغابة ٤/٢٧٤، ٢٧٥ و ٥/٣١٨، وصفة الصفوة ١/٤٦٢، ٤٦٣ رقم ٣٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢٢١، ٢٢٢، وتجريد أسماء الصحابة ٢/٤٢، وتلخيص المستدرک ٣/٢٨٥ - ٢٨٧، ومرآة الجنان ١/٧٦، والبدایة والنهاية ٧/١٠٤، والإصابة ٤/٢١٢، ٢١٣ رقم ١١٩٩.

واسمه مالك بن التّيهان، وفيه اختلاف (انظر: طبقات ابن سعد ٣/٤٤٧).

(٢) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - ص ٢٢٢: وقيل بل توفي سنة إحدى وعشرين، وأخطأ من قال قُتل بصفيّين مع عليّ، بل ذاك أخوه عبيد.

وانظر: طبقات ابن سعد ٣/٤٤٩، وتاريخ خليفة ١٤٩.

(٣) التّيهان: بالتخفيف، كذا يقوله أهل الحجاز، وشدّده ابن الكلبي. (تاريخ الإسلام) - ص ٢٢.

(٤) انظر عن (يعلى بن مُنية) في:

تاريخ خليفة ١٢٣ و ١٧٩، وطبقات ابن سعد ٥/٤٥٦، والتاريخ الكبير ٨/١٤٤ رقم ٣٥٣٥، وأنساب الأشراف ١/٩٨، والمحبّر ٦٧، والجرح والتعديل ٩/٣٠١ رقم ١٢٩٣، والتاريخ لابن معين ٢/٦٨٢، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/٢٤٩، وأسّد الغابة ٥/١٢٨، ١٢٩، والاستيعاب ٣/٦٦١ - ٦٦٤، والكاشف ٣/٢٥٧ رقم ٦٥٢٦، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/١٥٥٥، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم =

وهي أمه، واسم أبيه أُمَيَّة التميمي، وهو ابن أخت عُتْبَة بن غَزْوَان، وقيل ابن عمته، وكان قد شهد الجمل مع عائشة، ثُمَّ شَهِد صفين مع عليٍّ فُقُتِلَ بها، وكان إسلامه يوم الفتح، وشهد حُنَيْنًا. وقُتِلَ بصفين مع عليٍّ أبو عمرة الأنصاري^(١) النجاري والد عبد الرحمن، وهو أيضاً بذري. وفيها قُتِلَ أبو فضالة الأنصاري^(٢) (في قول)^(٣)، وهو بذري.

[الوفيات]

وفيها توفي سهل بن حنيف الأنصاري^(٤) (في قول)^(٥)، وهو بذري^(٦)، وشهد مع عليٍّ

- = ١٦٧، والمعارف ٢٠٨، والمعرفة والتاريخ ٣٠٨/١ و ٣٣٧ و ٤٠٠ و ١٦٠/٢ و ٢٠٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٩، وتهذيب التهذيب ٣٩٩/١١، ٤٠٠ رقم ٧٧٢، والإصابة ٦٦٨/٣ رقم ٩٣٥٨.
- (١) انظر عن (أبي عمرة الأنصاري) في:
- المحبر لابن حبيب ٦٤ و ٢٩٢، والتاريخ الكبير ٦١/٩ رقم ٥٣٥، وتاريخ الطبري ٥٧٣/٤ و ١٦/٥، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥١١، والجرح والتعديل ٤١٥/٩ رقم ٢٠٢٧، والاستيعاب ١٣٢/٤، وأسد الغابة ٢٦٤/٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨٥، والإصابة ١٤١/٤ رقم ٨١٤.
- (٢) انظر عن (أبي فضالة الأنصاري) في:
- المنتخب من ذيل المذيّل ٥١٢، والاستيعاب ١٥٣/٤، ١٥٤، وأسد الغابة ٢٧٣/٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨٥، والإصابة ١٥٥/٤ رقم ٩٠٤.
- (٣) زيادة من النسخة (ر).
- (٤) انظر عن (سهل بن حنيف) في:
- المغازي للواقدي ١٥٩ و ٢٤٠ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٣٠٣ و ٣٧٢ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٧١٠ و ٩٨٥، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٤٧١/٣ - ٤٧٣ و ١٥/٦، والمحبر لابن حبيب ٧١ و ٢٩٠، وتاريخ خليفة ١٨١ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٢٠١، وطبقات خليفة ٨٥ و ١٣٥ و ١٩٠، والتاريخ الكبير ٩٧/٤ رقم ٢٠٩٠، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٠٩ رقم ٦٣٣، ومسند أحمد ٤٨٥/٣ - ٤٨٧، والمعارف ٢٩١، وعيون الأخبار ٢٥١/١، والأخبار الطوال ١٤١ و ١٨٢ و ١٩٦، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٦ رقم ٧٨ و ١٦٠ رقم ٩٠٣، والمعرفة والتاريخ ٢١٦/١ و ٢٢٠ و ٣٣٧ و ٨١٤/٢، وفتوح البلدان ١٩ و ٢٢، وأنساب الأشراف ٢٤٣/١ و ٢٦٥ و ٢٧٠ و ٢٧٧ و ٣١٨ و ٥١٨ و ٢٨٧/٣ و ٤ ج ١/٥٥٣ و ٥٦٩ و ٦٤/٥ و ٨٧، وتاريخ الطبري ٣٨٣/٢ و ٥٢٠ و ٥٣٣ و ١١١/٣ و ٤٢٣/٤ و ٤٤٢ و ٤٥٢ و ٤٦٧ و ٤٧٤ و ٥٥٥ و ١١/٥ و ١٨ و ٩٣ و ١٢٢ و ١٣٧ و ١٥٦، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥١٢، والكنى والأسماء للدولابي ٦٥/١، والجرح والتعديل ١٩٥/٤ رقم ٨٤٠، ومشاهير علماء الأمصار ٤٧ رقم ٢٩٨، والثقات لابن حبان ١٦٩/٣، والاستيعاب ٩٢/٢، والمعجم الكبير للطبراني ٨٦/٩ - ١١٣ رقم ٥٧٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٦، والأسماء والكنى للحاكم، ورقة ٩٤/١، والمستدرک علی الصحیحین له ٤٠٨/٣ - ٤١٢، والاستبصار ٣٢٠، والجمع بين رجال الصحيحين ١٨٦/١، ولباب الأدب ١٦٢، والزيارات للهروي ٨٨، وأسد الغابة ٣٦٤/٢، ٣٦٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٣٧ رقم ٢٣٧، وتحفة الأشراف ٩٦/٤ - ١٠٢ رقم ٢١٧ رقم ٢٣٧، وتهذيب الكمال ٥٥٧/٢، وتجريد أسماء الصحابة ١٤٣/١، وتلخيص المستدرک ٤٠٨/٣ - ٤١٢، والكاشف ٣٢٥/١ رقم ٢١٩٠، والمير ٤١/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٥، ٥٩٦، وسير أعلام النبلاء ٣٢٥/٢ - ٣٢٩ رقم ٦٣، والمعين في طبقات المحذنين ٢٢ =

حرره. وتوفي بها صُهَيْب بن سِنَان^(١) وصَفْوَان بن بَيْضَاء، وهو بَذْرِيّ. وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٢) بعسقلان فجأة وهو في الصلاة (وكره الخروج

= رقم ٥٢، والبداية والنهاية ٣١٨/٧، ومروءة الجنان ١٠٥/١، والوافي بالوفيات ٧/١٦، رقم ٨، رقم ٥، والنكت الطراف ٩٧/٤ - ٩٩، والإصابة ٩٧/٢ رقم ٣٥٢٧، وتهذيب التهذيب ٢٥١/٤ رقم ٤٢٨. وتقريب التهذيب ٣٣٦/١ رقم ٥٥٣، وخلاصة تهذيب التهذيب ١٥٧، وكنز العمال ١٣/٢٤٠، وشذرات الذهب ٤٨/١، ومجمع الرجال ١٧٨/٣، والنجوم الزاهرة ١١٧/١.

(٥) زيادة من النسخة (ر).

(٦) زيادة من الأصل.

(١) انظر عن (صُهَيْب بن سِنَان) في:

المغازي للواقدي ١٤٩ و ١٥٥ و ٣٧٩ و ٧٧٠، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٢٢٦/٣ - ٢٣٠، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٤ و ٢٨٧، والمجتبر لابن حبيب ١٤ و ٧٣ و ١٠٣ و ٢٨٨، وتاريخ خليفة ١٥٣ و ١٩٨، وطبقات خليفة ١٩ و ٦٢، ومسند أحمد ٤/٣٣٢، ٣٣٣ و ١٥/٦ - ١٨، والتاريخ الكبير ٣١٥/٤ رقم ٣٩٦٣، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٨ رقم ٩٥، وعميون الأخبار ٨٥/١ و ٢٧٣/٣، والمعارف ٢٦٤ و ٢٦٥، والمعرفة والتاريخ ٥١١/١ و ١٦٨/٣ و ٣٨١، وأنساب الأشراف ١٥٦/١ و ١٥٨ و ١٨٠ - ١٨٤ و ١٨٧ و ١٩٧ و ٢٧١ و ٢٨٩ و ٣٠٤ و ٤٣٣ و ٤٨٨ و ٤ ج ٤ ج ١٠٨/١ و ٤٩٩ و ٥٠١ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٧ و ٥١١ و ١٦/٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٥، والجرح والتعديل ٤/٤٤٤ رقم ١٩٥٠، وتاريخ الطبري ١٩٢/٤ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٤٣٦ و ٤٦٧، ومشاهير علماء الأمصار ٢٠ رقم ٧٦، والعقد الفريد ٤/٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٧ و ٣٠٣/٦، وثمار القلوب ١٦٢ رقم ٢٣١، وحلية الأولياء ١٥١/١ - ١٥٦ رقم ٢٥، وجمهرة أنساب العرب ١٣٨ و ٣٠٠، والمستدرک ٣/٣٩٧ - ٤٠٢، والمعجم الكبير ٣٢/٨ - ٥٣ رقم ٧١٩، والاستيعاب ٢/١٧٤ - ١٨٢، والبدء والتاريخ ١٠٠/٥، ١٠١، والتذكرة الحمدونية ١/١٢٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٤٨ - ٤٥٦، وصفة الصفوة ٦/٤٣٠، ٤٣١، رقم ٢٢، والزيارات للهروي ١٣، وتحفة الأشراف ٤/١٩٥ - ٢٠١ رقم ٢٤٢، وتهذيب الكمال ٢/٦١٣، وأسد الغابة ٣/٣٦، والجمع بين الصحيحين ١/٢٢٧، والمعين في طبقات المحذّثين ٢٢ رقم ٦١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٧ - ٦٠٠، والكاشف ٢٩/٢ رقم ٢٤٣٩، ودول الإسلام ١/٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/٢ - ٢٦ رقم ٤، والعبر ٤٤/١، وتلخيص المستدرک ٣/٣٩٧ - ٤٠٢، ومروءة الجنان ١٠٥/١، والوافي بالوفيات ١٦/٣٣٨ - ٣٣٥ رقم ٣٦٨، والبداية والنهاية ٣١٨/٧، ٣١٩ والوفيات لابن قنفذ ٥٨ رقم ٣٨، ومجمع الزوائد ٩/٣٠٥، ٣٠٦، والنكت الطراف ٤/١٩٩، ٢٠٠، وتهذيب التهذيب ٤/٤٣٨، ٤٣٩ رقم ٧٥٩، وتقريب التهذيب ١/٣٧٠ رقم ١٢٤، والإصابة ٢/١٩٥، ١٩٦ رقم ٤١٠٤، وخلاصة تهذيب التهذيب ١٧٥، وكنز العمال ١٣/٤٣٧، وشذرات الذهب ٤٧/١، والنجوم الزاهرة ١١٧/١.

(٢) انظر عن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) في:

المغازي للواقدي ٧٨٧ و ٨٠٤ و ٨٢٥ و ٨٥٥ - ٨٥٧ و ٨٦٥، والبرصان والعرجان ١٢٦، والأخبار الموقفيات ٤٩٥، وطبقات ابن سعد ٧/٤٩٦، ٤٩٧، وتاريخ خليفة ٩٩ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٧٨، وطبقات خليفة ٢٩١، والتاريخ الكبير ٥/٢٩ رقم ٤٩، ونسب قريش ٤٣٣، والمعارف ٣٠٠، وتاريخ أبي زرعة ١/١٨٥، ١٨٦، والمعرفة والتاريخ ١/٢٥٣، ٢٥٤، وفتوح البلدان ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٧ و ٢٦٨، وأنساب الأشراف ١/١٦٠ و ٢٢٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٥٣١ و ٥٣١ ج ٤ ج ٥٠٥/١ و ٥١٢ - ٥١٤ و ٥٢٣ و ٥٣٨ و ٥٤٢ و ٥٥٠ و ٥٥٥ و ٥٥٧، ٥٨٥، و ٢٠/٥ و ٢٦ - ٢٨ و ٤٣ و ٤٩ - ٥١

مع^(١) معاوية إلى^(٢) صفين، وقيل شهدها^(٣)، ولا يصح^(٤).

= و ٦١ و ٦٥ و ٦٧، وق ٦٦/٣، وتاريخ الطبري ٣٤١/٤ - ٣٤٣، والولاة والقضاة الكندي ١٠ - ١٤ و ١٧ و ٣٠٢، وولاة مصر ٣٣ - ٣٨ و ٤٠، والجرح والتعديل ٦٣/٥ رقم ٢٩٢، والحلة السيرة ١٨/١ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٢١/٢ - ٣٢٣، وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، والخراج وصناعة الكتابة ٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٥٢، والاستيعاب ٣٧٥/٢ - ٣٧٨، ومشاهير علماء الأمصار ٥٣ رقم ٣٥٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٤٣٥/٧ - ٤٣٧، والوزراء والكتب ١٣، وأسد الغابة ١٧٣/٣، ١٧٤، والتذكرة الحمدونية ٤١٦/٢، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٦٩، ٢٧٠ رقم ٣٠٢، ولباب الآداب ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣٤٤/٤ و ٢١٤/٧، ودول الإسلام ٣١/١، ٣٢، وسير أعلام النبلاء ٣٣/٣ - ٣٥ رقم ٨، والعبر ٢٩/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٥٢٩، ٥٣٠، والبداية والنهاية ٣١٠/٧، ٣١١، ومرآة الجنان ١٠٠/١، والوافي بالوفيات ١٩١/١٧ - ١٩٣ رقم ١٧٥، والعقد الثمين ١٦٦/٥، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٦٥/١ و ٨٣، و ٢٠٠/٢ و ٢٢٤ - ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٢، والإصابة ٣١٦/٢ - ٣١٨ رقم ٤٧١١، والنجوم الزاهرة ٧٩/١ - ٨٢، وحسن المحاضرة ٥٧٩/١، وشذرات الذهب ٤٤/١، ومعالم الإيمان ١٣٧/١ - ١٤٠.

(١) في الأصل «وكان مع».

(٢) في الأصل «في».

(٣) في الأصل «لم يشهدا».

(٤) زيادة من النسخة (ي).

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين

ذُكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق

في هذه السنة قُتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر وهو عامل عليّ عليها، وقد ذكرنا سبب تولية عليّ إياه مصرَ وعزل قيس بن سعد [عنها] ودخوله مصر وإنفاذه ابن مُضاهم الكلبيّ إلى أهل خَرْنبا^(١)، فلما مضى ابن مُضاهم إليهم قتلوه، وخرج معاوية بن حُذَيج السُّكوني^(٢)، وطلب بدم عثمان ودعا إليه، فأجابه ناس، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ ذلك عليّاً فقال: ما لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذي عزلنا، يعني قيساً، أو الأشر، وكان الأشر قد عاد بعد صَفِّين إلى عمله بالجزيرة، وقال عليّ لقيس: أقم عندي على شرطتي حتى تنقضي الحكومة، ثم تسير إلى أذربيجان. فلما بلغ عليّاً أمر مصر كتب إلى الأشر وهو بنصيبين يستدعيه، فحضر عنده، فأخبره خبر أهل مصر وقال: ليس لها غيرك فاخرج إليها، فإنني لو لم أوصيك اكتفيتُ برأيك، واستعن بالله، واخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرِّفق أبلغ، وتشدد حين لا يغني إلا الشدة.

فخرج الأشر يتجهز إلى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك، فعظم عليه، وكان قد طمع في مصر، فعلم أن الأشر إن قَدِمها كان أشدَّ عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى المقدم على أهل الخراج بالقلزم، وقال له: إن الأشر قد ولي مصر، فإن كَفَيْتِه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت. فخرج الحابسات^(٣) حتى أتى القلزم وأقام به، وخرج الأشر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل،

(١) في تاريخ الطبري ٩٤/٥ «خربنا»، وقد تقدّم التعريف بها.

(٢) في الأصل «الشكري».

(٣) كذا في طبعة صادر ٣/٣٥٣، وفي الأصل «الجايستار»، وفي النسخة (ي) «إلى يسار»، وفي النجوم الزاهرة ١٠٣/١ «الخانسيار». وفي تاريخ الطبري ٩٥/٥ «الجايستار رجل من أهل الخراج».

فعرض عليه النزول، فنزل عنده، فأثاء بطعام، فلمّا أكل أثاء بشربة من عسل قد جعل فيها سُمّاً فسقاه إيّاه، فلمّا شربه مات.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إِنَّ عَلِيّاً قد وَجّه الأشر إلى مصر، فادْعُوا اللَّهَ عليه، فكانوا يدعون الله عليه كلّ يوم، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية، فأخبره بمهلك الأشر، فقام معاوية خطيباً ثم قال: أمّا بعد، فَإِنَّه كانت لعلّي يمينان فَقُطعت إحداهما بصِفّين، يعني عَمّار بن ياسر، وَقُطعت الأخرى اليوم، يعني الأشر^(١).

فلمّا بلغ عَلِيّاً موته قال: لِلْيَدَيْنِ وللضم! وكان قد ثقل عليه لأشياء نُقلت عنه. وقيل: إِنَّه لما بلغه قتله قال: إِنّا لله وَإِنّا إليه راجعون! مالك وما مالك، وهل موجود مثل ذلك؟ لو كان من حديد، لكان قيداً، أو من حجر، لكان صلداً! على مثله فلتُبكِ البواكي! وهذا أصحّ، لأنّه لو كان كارهاً له لم يولّه مصر.

وكان الأشر^(٢) قد روى الحديث عن عمر، وعليّ، وخالد بن الوليد، وأبي ذرّ.

(١) تاريخ الطبري ٩٤/٥ - ٩٦ وانظر: مروج الذهب ٤٢١/٢.

(٢) في الأصل: «لما ولاه».

(٣) انظر عن (الأشر = مالك بن الحارث) في:

الأخبار الموفقيات ١٩٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٣/٦، وتاريخ خليفة ١٦٨ و ١٧٠ و ١٩٢ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٣٠٨، وطبقات خليفة ١٤٨، والتاريخ لابن معين ٥٤٦/٢، وفتوح الشام للأزدي ٢٣٢، والتعليقات والنوادر للهجري ١٠٦٣/٢، والمجبر لابن حبيب ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٦١، والبرصان والعرجان ٣١٣، والتاريخ الكبير ٣١١/٧ رقم ١٣٢٥، وعيون الأخبار ١٨٦/١ و ٢٠١، والأخبار الطوال ١٢٠ و ١٤٣ و ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٦ و ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٧ و ١٧٢ و ١٧٧ و ١٨٢ و ١٩٠ و ١٩٥، والمعارف ١٩٦ و ٢٣١ و ٥٨٦، والمعرفة والتاريخ ٤٤٥/١ و ٥٤١/٢ و ٥٤٤ و ٥٥٥ و ٥٨٥ و ٦١٨، وأنساب الأشراف ٢٦٤/١ وق ٤ ج ٣٥/١ و ٢٥٠ و ٥١٧ و ٥٢٨ و ٥٣٢ - ٥٣٥ و ٥٤٥ و ٥٤٩ و ٥٧٢ و ٥٨٤ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٣٠/٥ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤ - ٤٦ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٩ و ٨١ و ٩٢ و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٢، وتاريخ الثقات للعجلي ٤١٧ رقم ١٥٢٢، والفتوح لابن أعثم الكوفي ١٩٠/٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ١٩/٥ - ٢٤ و ٤٩ و ٥٢ و ٩٥ - ٩٧، والجرح والتعديل ٢٠٧/٨، ٢٠٨ رقم ٩١٠، والولاء والقضاء للكندي ٢٣، والمؤتلف والمختلف للأمدي ٢٨، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٦٢، وريب الأبرار ١٣٩/٤، والتذكرة الحمدونية ٣٠٩/١ و ٤٠٨ و ٧٨/٢، وسمط اللآلي ٢٧٧، وشرح الحماسة للتبريزي ٧٥/١، والزيارات للهروي ٩ و ٩٦، ولباب الأدب ١٨٧ و ١٨٨ و ٢٠٥، والعقد الفريد ١١٩/١ و ١٢٠ و ٢٠٦/٤ و ٢٨٦ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٣١٩ و ٣٢٥ و ٣٢٦، وتهذيب الكمال ١٢٩٩/٣، ووفيات الأعيان ١٨/٣ و ١٩٥/٧، ١٩٦، والأمالي للقالبي ٨٥/١، والكاشف ٩٩/٣ رقم ٥٣٣٧، والعيبر ٤٥/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٣، ٥٩٤، وسير أعلام النبلاء ٣٤/٤، رقم ٣٥، وتهذيب التهذيب ١١/١٠، ١٢ رقم ٨، وتقريب التهذيب ٢٢٤/٢ رقم ٨٦٤، والإصابة ٤٨٢/٣ رقم ٨٣٤١، والنجوم الزاهرة ١٠٢/١ وما بعدها، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٦، وتاريخ اليعقوبي ١٩٤/٢.

وروى عنه جماعة. وقال أحمد بن صالح^(١): كان ثقة.

قيل: ولما بلغ محمد بن أبي بكر إنفاذ الأشر شق عليه، فكتب إليه علي: أما بعد، فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ولا ازدياداً^(٢) مني لك في الجد، ولو نزعْتُ ما تحت يدك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة منه وأعجب إليك ولاية، إن الرجل الذي كثت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل أيامه ولاقي حمامه^(٣)، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، اصبر لعدوك وشمّر للحرب وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة^(٤) وأكثر ذكر الله، والاستعانة به، والخوف منه، يكفك ما أهَمَّك، ويعنك على ما ولَّأك.

وكتب إليه محمد: أما بعد فقد انتهى إلي كتابك وفهمته، وليس أحد من الناس أَرْضَى برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوه، ولا أرف بوليّه مني، وقد خرجت فعسكرت وآمنت الناس إلا مَنْ نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه^(٥) والسلام^(٦).

وقيل: إنما تولّى الأشر مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر:

وكان أهل الشام ينتظرون بعد صفين أمر الحَكَمين، فلمّا تفرّقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة، ولم يزدْ إلا قوّة، واختلف الناس بالعراق على عليّ، فما كان لمعاوية همّ إلا مصر، وكان يهاب أهلها لقربهم منه وشدتهم على مَنْ كان على رأي عثمان، وكان يرجو أنّه إذا ظهر عليها ظهر على حرب عليّ لعظم خراجها، فدعا معاوية عمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة، وبُسر بن أبي أرطاة، والضحّاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد، وأبا الأعور السُلَميّ، وشُرَحْبِيل بن السَّمُط الكِنْدِيّ^(٧) فقال لهم: أتدرون لِمَ جمعتمكم؟ فإنني جمعتمكم لأمر لي مهمّ! فقالوا: لم يُطلع الله على الغيب أحداً، وما نعلم ما تريد. فقال عمرو بن العاص: دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر، فإن كنتَ جمعتنا لذلك فاعزّم واصبر؛ فنعَم الرأي رأيتَ في افتتاحها! فإنّ فيه عزّك وعزّ أصحابك، وكُبت

(١) هو العجلي في تاريخ الثقات ٤١٧ رقم ١٥٢٢.

(٢) في الأصل «أزداً».

(٣) في الأصل «الجماعة».

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) في النسخة (ي): «وحازبه».

(٦) تاريخ الطبري ٩٦/٥، ٩٧.

(٧) زاد الطبري ٩٨/٥ «حمزة بن مالك الهمداني».

عدوك، وذلل أهل الشقاق عليك. فقال معاوية: أهَمَّكَ يا ابن العاص ما أهَمَّكَ! وذلك أنَ عَمراً كان صالح معاوية على قتال عليّ على أنَ له مصر طُعمَةً ما بقي. وأقبل معاوية على أصحابه وقال: أصاب أبو عبد الله، فما ترون؟ فقالوا: ما نرى إلّا ما رأى عمرو. قال: (فكيف أصنع)^(١)؟ (فإنَّ عَمراً لم يفسّر كيف أصنع)^(٢). فقال عمرو: أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً، عليهم رجل حازم صابر^(٣) صارم، تأمنه وتثق به، فيأتي مصر، فإنّه سيأتيه مَنْ كان على مثل^(٤) رأينا، فيظاھره على عدونا، فإن اجتمع جُنْدُكَ وَمَنْ بها على رأينا رجوت أن ينصرَكَ الله.

قال معاوية: أرى أن نكتب مَنْ بها من شيعتنا، فَمُنِّيْهِمْ ونأمرهم بالثبات، ونكتب مَنْ بها من عدونا، فندعوهم إلى صلحنا، ونمنّيْهِمْ شُكْرنا ونخوْفُهُمْ حَرْبنا، فإن كان ما أردنا بغير قتالٍ فذاك الذي أردنا، وإلّا كان حربهم من بعد ذلك. إنَّكَ يا ابن العاص بُورك لك في الشدّة^(٥) والعجّلة، وأنا بورك لي في التّؤدة. قال عمرو: افعل ما ترى فما أرى أمرنا يصير إلّا إلى الحرب.

فكتب معاوية إلى مَسْلَمَة بن مُخَلَّد، ومعاوية بن حُديج السَّكُونيّ، وكانا قد خالفا عليّاً، يشكرهما على ذلك، ويحثّهما على الطلب بدم عثمان، ويعدّهما المواساة في سلطانه، وبعثه مع مولاہ سُبَيْع^(٦).

فلما وقفا عليه أجاب مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصاريّ عن نفسه وعن ابن حُديج: أمّا بعد، فإنَّ الأمر الذي بذلنا له أنفسنا وابتعنا به أمر الله أمر نرجو به ثواب ربّنا، والنصر على مَنْ خالفنا، وتعجيل النّعمة على من سعى على إمامنا، وأمّا ما ذكرت من المواساة في سلطانك، فتلألأ إنَّ ذلك أمرٌ ما له نهضنا، ولا إياه أردنا، فعجّل إلينا بخيلك ورجلك، فإنَّ عدونا قد أصبحوا لنا هائبين، فإن يأتنا مددٌ يفتح الله عليك. والسلام.

فجاءه الكتاب وهو بفلسطين، فدعا أولئك النفر وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرى أن تبعث جُنْداً.

فأمر عمرو بن العاص ليتجهّز إليها، وبعث معه ستّة آلاف رجل، ووصّاه بالتّؤدة

(١) من النسخة (ر).

(٢) من الأصل.

(٣) من النسخة (ر).

(٤) من النسخة (ر).

(٥) في الأصل «الرشدة».

(٦) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «بشيع».

وترك العَجَلَة . وسار عمرو فنزل أداني أرض مصر، فاجتمعت إليه العثمانيّة، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أمّا بعد، ففتح عني بدمك يا ابن أبي بكر، فأني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، وهم مُسلموك، فاخرج منها إني لك من الناصحين. وبعث معه كتاب معاوية في المعنى أيضاً، ويتهدّده بقصّده حصار عثمان^(١).

فأرسل محمد الكتابين إلى عليّ، ويُخبره بنزول عمرو بأرض مصر، وأنّه رأى التشاقل ممّن عنده ويستمدّه. فكتب إليه عليّ يأمره أن يضمّ شيعته إليه، ويَعده إنفاذ الجيوش إليه، ويأمره بالصبر لعدوّه وقتاله. وقام محمد بن أبي بكر في الناس، وندبهم إلى الخروج إلى عدوّهم مع كِنانة بن بشر، فانتدب معه ألفين، وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين وكِنانة على مقدّمته، وأقبل عمرو نحو كِنانة، فلمّا دنا سرح الكتائب، كتيبة بعد كتيبة، فجعل كِنانة لا تأتيه كتيبة إلّا حمل عليها، فألحقها بعمرو بن العاص، فلمّا رأى ذلك بعث إلى معاوية بن حُديج، فأتاه في مثل الدُّهم^(٢)، فأحاطوا بكِنانة وأصحابه، (واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلمّا رأى ذلك كِنانة نزل عن فرسه، ونزل معه أصحابه)^(٣)، فضاربهم بسيفه حتى استشهد^(٤).

وبلغ قتله محمد بن أبي بكر، فتفرّق عنه أصحابه، وأقبل نحوه عمرو، وما بقي معه أحد، فخرج محمد يمشي في الطريق، فانتَهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها، وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفُسطاط، وخرج معاوية بن حُديج في طلب محمد بن أبي بكر، فانتَهى إلى جماعة على قارعة الطريق، فسألهم عنه، فقال أحدهم: دخلت تلك الخربة، فرأيت فيها رجلاً جالساً. فقال ابن حُديج: هو هو. فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، وأقبلوا به نحو الفُسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جُنده، وقال: أقتل أخي صبراً؟ ابعث إلى ابن حُديج فأنّه عنه. فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمّد، فقال: قتلتم كِنانة بن بشر، وأخليّ أنا محمداً ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ؟﴾^(٥) هيهات هيهات! فقال لهم محمّد بن أبي بكر: اسقوني ماء. فقال له معاوية بن حُديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من

(١) انظر نص الكتاب والخبر مفصلاً في تاريخ الطبري ٩٨/٥ - ١٠١.

(٢) في نسخة مكتبة بودليان «أدتهم».

(٣) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٤) تاريخ الطبري ١٠٣/٥.

(٥) سورة القمر، الآية: ٤٣.

الحميم والغساق! فقال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله، يسقي أوليائه ويُظمئ أعداءه أنت وأمثالك، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغت مني هذا. ثم قال له: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار. فقال محمد: إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأوليائه الله، وإني لأرجو أن يجعلها عليك وعلى أوليائك ومعوية وعمرو نارا تُلظي، كلما خبت زادها الله سعيراً. فغضب منه وقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار.

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقتت في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، وأخذت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم^(١)، ولم تأكل من ذلك الوقت شِواء حتى تُوفيت.

وقد قيل: إن محمداً قاتل عمراً ومَنْ معه قتالاً شديداً فقتل كنانة، وانهزم محمد، واختبأ عند جبلة بن مسروق، فذلَّ عليه معاوية بن حُذِيج فأحاط به، فخرج محمد فقاتل حتى قُتل^(٢).

وأما عليّ فلما جاءه كتاب محمد بن أبي بكر فأجابه عنه ووعدته المدد، قام في الناس خطيباً، وأخبرهم خبر مصر، وقصد عمرو إياها، وندبهم إلى إنجادهم، وحثهم على ذلك، وقال: اخرجوا بنا إلى الجرعة، وهي بين الكوفة والحيرة؛ فلما كان الغد خرج إلى الجرعة، فنزلها بكرة وأقام بها حتى انتصف النهار، فلم يأت أحد، فرجع، فلما كان العشي استدعى أشراف الناس وهو كئيب فقال: الحمد لله على ما قضى من أمره، وقدر من فعله، وابتلاني بكم، آيتها القرية التي لا تُطيع إذا أمرت، ولا تجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بمصركم والجهاد على حقكم؟ فوالله لئن جاء الموت، وليأتيني، ليفرق بيني وبينكم، وأنا لصحبكم قال، وبكم غير كثير، الله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا محمية تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوكم ينتقص بلادكم، ويشن الغارة عليكم؟ أوليس عجيباً أن معاوية (يدعو الجفافة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة)^(٣) في السنة المرة والمرة والثلث^(٤) إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهي، وبقية الناس على العطاء والمعونة، فتفرقون عني تعصوني وتختلفون علي!

فقام كعب بن مالك الأرحبي وقال: يا أمير المؤمنين اندب الناس، لهذا اليوم كنتُ

(١) تاريخ الطبري ١٠٣/٥ - ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٥/٥.

(٣) ما بين القوسين من الأصل.

(٤) زاد في الأصل «يرسل».

أدخر نفسي. ثم قال: أيها الناس اتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه، وأنا أسير إليه. فخرج معه ألفان. فقال له: سِرْ، فوالله ما أظنك تدركهم حتى ينقضي أمرهم. فسار بهم خمساً^(١).

ثم إن الحجاج بن عَزِيَّة^(٢) الأنصاريّ قديم من مصر، فأخبره بقتل محمد بن أبي بكر، وكان معه، وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاريّ من الشام، وكان عينه هناك، فأخبره أنّ البشارة من عمرو وردت بقتل محمد ومُلك مصر، وسرور أهل الشام بقتله. فقال عليّ: أما إنّ حُزننا عليه بقدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً! فأرسل عليّ، فأعاد الجيش الذي أنفذه^(٣) وقام في الناس خطيباً وقال:

ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجْرَةُ أولو الجور، والظُلْمَةُ الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عَوْجاً! ألا وإنّ محمد بن أبي بكر استشهد، فعند الله نحسبه! أما والله، إنّ كان كما علمتُ لمَنّ ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويُبغض شكل الفاجر، ويحبّ هدى المؤمن، إنّي والله ما ألوم نفسي على تقصير، وإنّي لمقاساة الحروب لجدير^(٤) خير، وإنّي لأتقدّم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المُصيب، وأستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث^(٥)، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنفض^(٦) بكم الأوتار^(٧)، دَعَوْتُكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جَرَجَرَةَ الجمل الأشدق، وثناقلتم إلى الأرض ثناقل من ليست له نيّة في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر، ثم خرج إليّ منكم جُنَيْد متذانب، كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأف لكم! ثم نزل^(٨).

(معاوية بن حُذَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدال المهملتين. جارية بن قُدّامة: بالجيم، وفي آخره ياء تحتها نقطتان. بُسْر بن أبي أرطاة؛ بضمّ الباء الموحدة، وسكون السين المهملة)^(٩).

- (١) تاريخ الطبري ١٠٧/٥، ١٠٨.
- (٢) في النسخة (ي) «عونة».
- (٣) في الطبعة الأوربية «نقدّم».
- (٤) عند الطبري ١٠٨/٥ «لجد».
- (٥) زاد الطبري «مُعرباً».
- (٦) في الطبعة الأوربية «تنفض».
- (٧) في الأصل «الأوزار».
- (٨) تاريخ الطبري ١٠٨/٥، ١٠٩.
- (٩) هذه الفقرة من الأصل.

ذكر إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر، سَير معاوية عبد الله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة، وقال له: إِنَّ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان، وقد قتلوا في الطلب بدمه، فهم لذلك حَنِقُونَ، يودُّون أن يأتِيهم من يجمعهم، وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزل في مُضَر، وتودِّد الأزد، فإنَّهم كلُّهم معك، وادعُ ربيعةً، فلن ينحرف عنك أحدٌ سواهم، لأنَّهم كلُّهم تُرابيَّةٌ^(١) فاحذرهم.

فسار ابن الحضرمي حتى قَدِم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى علي بالكوفة، واستخلف زياد بن أبيه على البصرة، فلمَّا وصل ابنُ الحضرمي إلى البصرة نزل في بني تميم، فاتاه العثمانيَّة مسلمين عليه، وحضره غيرهم، فخطبهم وقال: إِنَّ عثمان إمامكم الهدى قُتل مظلوماً، قتله عليٌّ، فطلبتُم بدمه، فجزاكم الله خيراً.

فقام الضحَّاك بن قيس الهلالي، وكان على شُرطة ابن عباس، فقال: قَبَّح الله ما جئنا به وما تدعوننا إليه! أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير، أتينا وقد بايعنا علياً واستقامت أمورنا، فحملنا على الفرقة حتى شرب بعضنا بعضاً، ونحن الآن مجتمعون على بيعته، وقد أقال العشرة، وعفا عن المسيء، أفئأمرنا أن ننتضي أسيفنا، ويضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً؟ والله ليوم من أيام عليٍّ خير من معاوية (وآل معاوية)^(٢)! فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحَّاك: اسكت فلست بأهل أن تتكلَّم. ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال: نحن أنصارك ويدك، والقول قولك فاقراً كتابك. فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكرهم فيه آثار عثمان، فيهم، وحبَّه العافية، وسدَّه ثغورهم، ويذكر قتله، ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ويضمن أنَّه يعمل فيهم بالسنة، ويعطيهم عطائين في السنة. فلمَّا فرغ من قراءته قام الأحنف فقال: لا ناقتي في هذا ولا جملي. واعتزل القوم. وقام عمرو بن مروحوم العبدي فقال: أيُّها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة. وكان عبَّاس^(٣) بن صُحار العبدي مخالفاً لقومه في حبِّ عليٍّ، فقام وقال: لننصرك بأيدينا وألسنتنا. فقال له المثنى بن مُخربة^(٤) العبدي: والله لئن لم ترجع

(١) نسبة إلى أبي تراب. كنية علي بن أبي طالب، كناه بها الرسول ﷺ.

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) في الأصل «عياش».

(٤) في الأصل والنسخة (ي): «مخرمة».

إلى مكانك الذي جئنا منه لنجاهدك بأسيفنا ورماحنا، ولا يغرنك هذا الذي يتكلم^(١)،
يعني ابن صُحار.

فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان: أنت ناب من أنياب العرب فانصرني.
فقال: لو نزلت في داري لنصرتك.

فلما رأى زياد ذلك خاف، فاستدعى حُصَيْن بن المنذر، ومالك بن مِسَمَع فقال:
أنتم يا معشر بكر بن وائل أنصار أمير المؤمنين وثقاته، وقد كان من ابن الحضرمي ما
ترون، وأتاه من أتاه، فامنعوني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين. فقال حُصَيْن بن المنذر:
نعم. وقال مالك وكان رآه مائلاً إلى بني أمية: هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر.
فلما رأى زياد ثاقلاً مالك خاف أن تختلف عليه^(٢)، ربعة، فأرسل إلى صبرة بن شيمان
الحُدَّانِيّ الأزديّ يطلب أن يُجيره وبيت مال المسلمين. فقال: إن حملته إلى داري
أجرتكما. فنقله إلى داره بالحُدَّان، ونقل المنبر أيضاً، فكان يصلي الجمعة بمسجد
الحُدَّان ويُطعم الطعام. فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي: يا أبا محمد إنني لا أرى ابن
الحضرمي يكف وأراه سيقاتلكم، ولا أدري ما عند أصحابك^(٣)، فانظر ما عندهم. فلما
صلى زياد جلس في المسجد، واجتمع الناس إليه، فقال جابر: يا معشر الأزد، إن تميماً
تزعّم أنهم هم الناس، وأنهم أصبر منكم عند البأس، وقد بلغني أنهم يريدون أن يسيروا
إليكم، ويأخذوا جاركم ويُخرجوه قسراً، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال
المسلمين! فقال صبرة بن شيمان، وكان مفخماً^(٤): إن جاء الأحنف جئت، وإن جاء
حُتاتهم^(٥) جئت، وإن جاء شبابهم ففينا شباب.

وكتب زياد إلى عليّ بالخبر، فأرسل عليّ إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ثم
التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فإن امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه، وكتب
إلى زياد يعلمه ذلك. فقدم أعين، فأتى زياداً، فنزل عنده، وجمع رجالاً وأتى قومه،
ونهب إلى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم، فشتموه، وواقفهم نهاره، ثم انصرف
عنهم، فدخل عليه قوم، قيل إنهم من الخوارج، وقيل وضعهم ابن الحضرمي على قتله،
وكان معهم، فقتلوه غيلةً، فلما قُتل أعين أراد زياد قتالهم، فأرسلت تميم إلى الأزد: إنّا

(١) زيادة من النسخة (ر).

(٢) من النسخة (ر).

(٣) في الطبعة الأوربية «أصحابه».

(٤) في الأصل «ملحماً».

(٥) في نسخة المتحف البريطاني «حاتهم».

لم نعرض لجاركم فما تريدون إلى جارنا؟ فكرهت الأزد قتالهم وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناه^(١).

وكتب زياد إلى عليّ يخبره خبر أعين وقتله، فأرسل عليّ جارية بن قدامة السعديّ، وهو من بني سعد من تميم، ويث معه خمسين رجلاً، وقيل خمسمائة من تميم، وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة^(٢) عليه. فقدم جارية البصرة، فحذره زياد ما أصاب أعين، فقام جارية في الأزد فجزاهم خيراً وقال: عرفتم الحق إذ جهله غيركم. وقرأ كتاب عليّ إلى أهل البصرة يوثقهم ويتهلّدهم ويعنفهم، ويتوعدّهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء. فقال صبرة بن شيمان: سمعاً لأمر المؤمنين وطاعة! نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه. وقال أبو صفرة، والد المهلب، لزياد: لو أدركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين. وقيل: إن أبا صفرة كان توفي في مسيره إلى صفين، والله أعلم.

وصار جارية إلى قومه، وقرأ عليهم كتاب عليّ ووعدهم، فأجابه أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرميّ ومعه الأزد ومن تبعه من قومه، وعلى خيل ابن الحضرميّ عبد الله بن خازم السلمي^(٣)، فاقتتلوا ساعة، وأقبل شريك بن الأعور الحارثيّ فصار مع جارية، فانهزم ابن الحضرميّ فتحصّن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم، فأتته أمّه^(٤) عجلّى، وكانت حبشيّة، فأمرته بالنزول، فأبى، فقالت: والله لتنزلن أو لأنزعن ثيابي! فنزل ونجا، وأحرق جارية القصر بمن فيه، فهلك ابن الحضرميّ وسبعون رجلاً معه، وعاد زياد إلى القصر، وكان قصر سنبيل لفارس قديماً، (وصار لسنبيل السعديّ، وحوله خندق)^(٥). وكان فيمن احترق دراع^(٦) بن بدر أخو حارثة بن بدر؛ فقال عمرو بن العرنّاس:

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارَ تَمِيمٍ دَخَانًا ذَهَبَ
لَحَى اللَّهُ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ حَرَّ اللَّهَبِ^(٧)

(١) تاريخ الطبري ١١٠/٥، ١١١.

(٢) في النسخة (ر): «الإشارة».

(٣) في الأصل «الأسدي».

(٤) في النسخة (ر) «سراته».

(٥) من الأصل.

(٦) في النسخة (ي): «درّاج».

(٧) البيتان في أنساب الأشراف ٤٣٥، وقد ورد الشطر الثاني عند الطبري ١١٢/٥ على هذا النحو:

«وللشّاء بالدرهمين الشّصّب»

في أبيات غير هذه^(١)؛ وقال جرير:

غدرتُم بالزَّيِّيرِ فما وِيتُم وفاء الأزدِ إذ مَنَعُوا زيادًا
فأصْبَحَ جارُهُم بنِجاةٍ عِزٍّ وجارٌ مُجاشِعٌ أَمَسَى رَمادًا
فلَوْ عاقَدْتُ حبلَ أَبِي سَعِيدٍ^(٢) لَذادَ القومِ^(٣) ما حَمَلَ النِّجادًا
وأَدْنَى^(٤) الخيلِ من رَهَجِ المنايا وأغشاها الأسنَّةُ والصُّعادا^(٥)

جارية بن قدامة: بالجيم والياء تحتها نقطتان. وحارثة بن بدر: بالحاء المهملة، وبعدها ثاء مثناة. وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي. (والمثنى بن مُخَرَّبَة: بضم الميم، وفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء المشددة، وآخره باء موحدة^(٦)).

ذكر خبر الخريث بن راشد وبني ناجية^(٧)

قيل: وفي هذه السنة أظهر الخريث بن راشد الناجي الخلاف على عليّ، فجاء إلى أمير المؤمنين، وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا مع عليّ من البصرة، فشهدوا معه الجمل وصفين، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذا الوقت، فحضر عند عليّ في ثلاثين راكباً فقال له: يا عليّ، واللّه لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، وإني غداً مفارق لك، وذلك بعد تحكيم الحكمين. فقال له: ثكلتك أمك! إذا تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضرّ إلا نفسك! خبرني لم تفعل ذلك؟ فقال: لأنك حكمت^(٨) وضعت عن الحق، وركنت إلى القوم الذين ظلموا، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مُباين. فقال له عليّ: هلّم أدارسك الكتاب، وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكبر، قال: فإني عائدٌ إليك. قال: لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهال^(٩)، واللّه لئن استرشدتني^(١٠) وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد.

(١) في تاريخ الطبري ١١٣/٥ زيادة خمسة أبيات.

(٢) أبو سعيد هو: المهلب بن أبي صفرة.

(٣) في الطبعة الأوربية «القوم».

(٤) في النسخة (ي): «ولاقي».

(٥) الأبيات وقوله: «قال جرير» من الأصل. والأبيات في ديوان جرير ١٤٢، وتاريخ الطبري ١١٣/٥.

(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر) و(ي).

(٧) انظر عن الخريث بن راشد في:

أنساب الأشراف ٤١١ وما بعدها، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٧٥/٤ وما بعدها، وتاريخ الطبري ١١٣/٥ وما بعدها، وشرح نهج البلاغة ١٢٨/٣، ونهاية الأرب ١٨٢/٢٠ وما بعدها، وتاريخ يعقوبي ١٩٥/٢.

(٨) في تاريخ الطبري ١١٤/٥ زيادة «حكمت في الرجال».

(٩) عند الطبري «الجهل».

(١٠) زاد الطبري «واستصحتني».

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، وسار من ليلته هو وأصحابه. فلَمَّا سمع بمسيرهم عليّ قال: بُعداً لهم كما بعدتْ ثمود! إِنَّ الشيطان اليوم استهواهم وأضلهم، وهو غداً متبريء منهم. فقال له زياد بن خَصْفة البكري: يا أمير المؤمنين، إنّه لم يعظم علينا فقدّمهم فتأسى عليهم، إنهم قلّ ما يزيدون في عددنا لو أقاموا، وقلّ ما يُقْصون من عددنا بخروجهم^(١) عنا، ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممّن يقدمون عليك^(٢) من أهل طاعتك، فأذن لي في اتّباعهم حتى أردّهم عليك. فقال: أتدري أين توجّهوا؟ قال: لا، ولكنّي أسأل وأتبع الأثر. فقال له: اخرج، رَحِمَك الله، وانزل دير أبي موسى، وأقم حتى يأتيك أمري، فإن كانوا ظاهرين، فإن عمّالي سيكتبون بخبرهم.

فخرج زياد، فأتى داره، وجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر، فسار معه مائة وثلاثون رجلاً، فقال: حسبي. ثم سار حتى أتى دير أبي موسى، فنزله يوماً ينتظر أمر عليّ، وأتى عليّاً كتاب من قَرْظَةَ بن كعب الأنصاري يُخبره أنهم توجّهوا نحو نِقر^(٣)، وأنهم قتلوا رجلاً من الدهاقين كان أسلم. فأرسل عليّ إلى زياد يأمره باتّباعهم، ويُخبره خبرهم، وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً، ويأمره بردهم إليه، فإن أبوا يناجزهم، وسير الكتاب مع عبد الله بن والٍ فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد، فأذن له، وقال له: إنّي لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ، وأنصاري على القوم الظالمين. قال ابن وال: فوالله ما أحبّ أن لي بمقالته تلك حُمْر النعم^(٤).

وسار بكتاب عليّ إلى زياد، وساروا حتى أتوا نِقر، فقليل إنهم ساروا نحو جَرْجرايا، فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمدار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا، فأتاهاهم زياد وقد تقطعت أصحابه وتعبوا، فلَمَّا رأوهم ركبوا خيولهم، وقال لهم الخريت: أخبروني ما تريدون. فقال له زياد، وكان مُجرباً رقيقاً: قد ترى ما بنا من التعب، والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية، ولكن ننزل، ثم نخلو جميعاً فتذاكر أمرنا، فإن رأيت ما جئناك به حظاً لنفسك قبلته، وإن رأينا فيما نسمع منك أمراً نرجو فيه العافية لم نردّه عليك. قال: فانزل. فنزل زياد وأصحابه على ماء هناك، وأكلوا شيئاً، وعلّقوا على دوابهم، ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم، وكانوا قد نزلوا أيضاً،

(١) في النسخة (ي) زيادة: «إن تأخرنا».

(٢) عند الطبري ١١٦/٥ «عليه».

(٣) نِقر: بكسر أوله، وتشديد ثانيه، وراء. بلد أو قرية على نهر النُرس من بلاد الفرس. (معجم البلدان ٢٩٥/٥).

(٤) ينقل المؤلف هذه الأخبار عن الطبري باختصار وحذف (١١٦/٥ - ١١٨).

وقال زياد لأصحابه: إِنَّ عِدَّتَنَا كَعِدَّتِهِمْ، وأرى أمرنا يصير إلى القتال، فلا تكونوا أعجز الفريقين.

وخرج زياد إلى الخُرَيْت فسمعهم يقولون: جاءنا القوم وهم كَالْوَن تَعْبُونَ، فتركناهم حتى استراحوا، هذا والله سوء الرأي. فدعاه زياد وقال له: ما الذي نَقَمْتَ على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقَتنا؟ فقال: لم أرضَ صاحبكم إماماً ولا سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل^(١) وأكون مع من يدعو إلى الشورى، فقال له زياد: وهل يجتمع الناس على رجل يُداني صاحبك الذي فارقته علماً بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول ﷺ وسابقته في الإسلام؟ فقال له: ذلك لا أقول لك. فقال له زياد: ففيمَ قُتِلَ ذلك الرجل المسلم؟ فقال له: ما أنا قُتِلته وإنما قُتِله طائفة من أصحابي. قال: فادفعهم إلينا. قال: ما لي إلى ذلك سبيل. فدعا زياد أصحابه، ودعا الخُرَيْت أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً تطاعنوا بالرمح حتى لم يَبْقَ^(٢) رمح، وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت، وعُقرت عامة خيولهم، وكثرت الجراحة فيهم، وقتل من أصحاب زياد رجالان^(٣)، ومن أولئك خمسة، وجاء الليل فحجز بينهما، وقد كره بعضهم بعضاً، وجرح زياد، فسار الخُرَيْت من الليل، وسار زياد إلى البصرة، وأتاهم خبر الخُرَيْت أنه أتى الأهواز، فنزل بجانب منها، وتلاحق به ناسٌ من أصحابهم، فصاروا نحو مائتين، فكتب زياد إلى عليٍّ بخبرهم، وأنه مقيم يداوي الجرحى ويستظر أمره^(٤).

فلما قرأ عليٌّ كتابه قام إليه مَعْقِل بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة، فإذا لجقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم، فأما أن يلقاهم عددهم، فلَعَمْرِي ليصبرنَّ لهم، فإنَّ العدة تصبر للعدة. فقال: تجهز يا معقل إليهم، وندب معه ألفين من أهل الكوفة، منهم يزيد بن المَعْقِل الأسدي. وكتب عليٌّ إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألفي رجل إلى معقل، وهو أمير أصحابه، حتى يأتي معقلاً، فإذا لقيه كان معقل الأمير. وكتب إلى زياد بن خَصْفة يشكره، ويأمره بالعود^(٥).

واجتمع على الخُرَيْت الناجي غُلُوج من أهل الأهواز كثير، أرادوا كسر الخراج،

(١) في الأصل «أعتزلكم».

(٢) زاد الطبري ١٢٠/٥ «لم يبق في أيدينا رمح».

(٣) هما: سويد مولى زيد، ووافد بن بكر.

(٤) الخبر عن الطبري ١٢٠/٥ بتصرف.

(٥) تاريخ الطبري ١٢١/٥.

ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه، وطمع أهل الخراج في كسره فكسروه، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس، وكان عاملاً لعليّ عليها^(١) (في قول من يزعم أنه لم يمث سنة سبع وثلاثين)^(٢). فقال ابن عباس لعليّ: أنا أكفيك فارس بزياد، يعني ابن أبيه، فأمره بإرساله إليها (وتعجيل تسييره)^(٣) فأرسل زياداً إليها في جمع كثير، فوطيء بلاد فارس، فأدوا الخراج واستقاموا^(٤). وسار معقل بن قيس، ووصاه عليّ فقال له: اتق الله ما استطعت، ولا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمة، ولا تتكبر، فإن الله لا يحب المتكبرين^(٥).

فقدم معقل الأهواز ينتظر مدد البصرة، فأبطأ عليه، فسار عن الأهواز يطلب الخريّ، فلم يسر إلا يوماً حتى أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي، فساروا جميعاً، فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز، فصفت معقل أصحابه، فجعل على يمينته يزيد بن المعقل^(٦)، وعلى يسارته منجيب بن راشد الضبي من أهل البصرة، وصفت الخريّ أصحابه فجعل من معه من العرب يمينه، ومن معه من أهل البلد والعلوج ميسرة، ومعهم الأكراد، وحرض كل واحد منهما أصحابه، وحرك معقل رأسه مرتين، ثم حمل في الثالثة، فصبروا له ساعة ثم انهزموا، فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلاً من بني ناجية، ومن معهم من العرب، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العلوج والأكراد، وانهزم الخريّ بن راشد، فلحق بأسيف^(٧) البحر، وبها جماعة كثيرة من قومه، فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ، ويخبرهم أن الهدى في حربه، حتى اتبعه منهم ناس كثير^(٨).

وأقام معقل بأرض الأهواز، وكتب إلى عليّ بالفتح، فقرأ عليّ الكتاب على أصحابه واستشارهم، فقالوا كلهم: نرى أن تأمر معقلاً أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه، فإننا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس. فكتب إلى معقل يُثني عليه وعلى من معه، ويأمره باتباعه

(١) الطبري ١٢٢/٥.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

وقد توفي سهل بن حنيف بالكوفة سنة ٣٨ هـ. وصلى عليه عليّ رضي الله عنهما. انظر: طبقات ابن سعد ٤٧٢/٣، ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٦.

(٣) زيادة من النسخة (ر).

(٤) تاريخ الطبري ١٢٢/٥.

(٥) الطبري ١٢٢/٥.

(٦) عند الطبري ١٢٣/٥ «المعقل».

(٧) أسيف البحر: مفردا سيف، بكسر السين المهملة، وهو الساحل.

(٨) الخبر مختصر جداً عن الطبري ١٢٣/٥ و ١٢٥.

وقُتِلَ أو نَفِيَ. فسأل معقل عنه، فأخبر بمكانه بالأسياف، وأنه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ، وأفسد من عنده (من عبد القيس وسائر العرب، وكان)^(١) قومه قد منعوا الصدقة عام صيفين وذلك العام. فسار إليهم معقل، فأخذ على فارس، وانتهى إلى أسياف البحر.

فلما سمع الخريّت بمسيره قال لمن معه من الخوارج: أنا على رأيكم، وإن عليّاً لم ينبغ له أن يحكم. وقال للآخرين من أصحابه: إن عليّاً حكم ورضي، فخلعه حكمه الذي ارتضاه^(٢)، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة وإليه كان يذهب. وقال سرّاً للعثمانيّة: إنا والله على رأيكم، قد والله قُتل عثمان مظلوماً. فأرضى كل صنف منهم. وقال لمن منع الصدقة: شدّوا أيديكم على صدقاتكم، وصلّوا بها أرحامكم. (وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا، فلما اختلف الناس قالوا: والله لَدِيننا الذي خرجنا منه خيراً من دين)^(٣) هؤلاء، لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء. (فقال لهم الخريّت: ويحكم! لا ينجيكم من القتل إلا قتل^(٤) هؤلاء القوم)^(٥) والصبر، فإن حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يُقتل، ولا يقبلون منه توبة ولا عُذراً. فخدعهم جميعهم. وأتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير^(٦). فلما انتهى معقل إليه نصب راية أمان وقال: من أتاه من الناس فهو آمن، إلا الخريّت وأصحابه الذين حاربونا أوّل مرّة. فتفرّق عن الخريّت جُلّ من كان معه من غير قومه، وعبأ معقل أصحابه، وزحف نحو الخريّت، ومعه قومه، مُسلمهم ونصرائهم، ومانع الزكاة منهم. فقال الخريّت لمن معه: قاتلوا عن حريمكم وأولادكم، فوالله، لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسببنكم. فقال له رجل من قومه: هذا والله جرّته علينا يدك ولسانك. فقال: سبق السيف العذل^(٧).

وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول: أيّها الناس ما تريدون^(٨) أفضل ممّا سبق لكم من الأجر العظيم؟ إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة^(٩)، وارتدّوا عن الإسلام، ونكثوا البيعة ظُلماً، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنة، ومن بقي منكم فإن الله مُقرّ عينه بالفتح. ثم حمل معقل وجميع من معه، فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا له، ثم إن

(١) العبارة التي بين القوسين ورد بدلها في الأصل «وإن».

(٢) في النسخة (ي): «اتبعناه».

(٣) ما بين القوسين هو في الأصل: «لا ينجيكم من القتل إلا قتال».

(٤) في النسخة (ي): «لقاء».

(٥) العبارة بين القوسين من الأصل.

(٦) عن الطبري بتصرّف واختصار ١٢٤/٥، ١٢٥.

(٧) الطبري ١٢٧/٥.

(٨) عند الطبري «ما تريدون».

(٩) في الأصل «الزكاة».

النعمان بن صُهبان الراسبيّ بَصُرَ بِالْخَرِيتِ فحمل عليه فطعنه، فَصُرعَ عن دابّته، ثم اختلفا ضربتين، فقتله النعمان، وَقَتْلَ معه في المعركة سبعون ومائة رجل، وذهب الباقيون يميناً وشمالاً، وسبى معقل من أدرك من حريمهم وذرياتهم، وأخذ رجالاً كثيراً، فأما مَنْ كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام فرجعوا، فخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم، إلّا شيخاً كبيراً نصرانياً منهم يقال له الرُّمَاحُسُ لم يُسَلِّمْ^(١) فقتله، وجمع مَنْ منع الصدقة، وأخذ منهم صدقة عامين^(٢)، وأما النصاري وعيالهم فاحتملهم مقيلاً بهم، وأقبل المسلمون معهم يشيعونهم، فلما ودّعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، حتى رجمهم الناس^(٣).

وكتب معقل إلى عليّ بالفتح، ثم أقبل بهم حتى مرّ على مَصْقَلَة بن هُبيرة الشيبانيّ، وهو عامل عليّ على أردشير خره، وهم خمسمائة إنسان، فبكى النساء والصبيان، وصاح الرجال: يا أبا الفضل! يا حامل الرجال (وماوى المعذب)^(٤)، وفكّك العُناة، امنن علينا واشترنا وأعيتنا! فقال مَصْقَلَة: أقسم بالله لأتصدقن عليكم! إنّ الله يجزي المتصدقين. فبلغ قوله معقلاً فقال: والله لو أعلم أنّه قالها توجّعاً عليهم وإزاء علينا لَضَرَبْتُ عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر. ثم إنّ مَصْقَلَة اشتراهم من معقل بخمسمائة ألف، فقال له معقل: عَجَل المال إلى أمير المؤمنين. فقال: أنا أبعث الآن ببعضه، ثمّ كذلك حتى لا يبقى منه شيء.

وأقبل معقل إلى عليّ فأخبره بما كان منه، فاستحسنه، وبلغ عليّاً أنّ مَصْقَلَة اعتق الأسرى، ولم يسألهم أن يُعينوه بشيء، فقال: ما أظنّ مَصْقَلَة إلّا قد تحمّل حمالةً سترونها عن قريب منها مُبَلِّداً^(٥). وكتب إليه يطلب منه المال أو يحضر عنده، فحضر عنده وحمل من المال مائتي ألف^(٦).

قال ذُهل بن الحارث: فاستدعاني ليلةً فَطَعَمْنَا، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين يسألني هذا المال، ولا أقدر عليه. فقلتُ: واللّه لو شئت ما مضتُ جُمعة حتى تحمله. فقال: والله ما كنت لأحملها قومي، أمّا واللّه لو كان ابن هند ما طالبني بها، ولو كان ابن عَفّان لوهبها لي، ألم تره أطعم الأشعث بن قيس كلّ سنة من خراج أذربيجان مائة ألف؟ قال:

(١) في النسخة (ي) زيادة «حسن».

(٢) عبارة الطبري ١٢٨/٥ «فأخذ من المسلمين عقالين».

(٣) تاريخ الطبري ١٢٧/٥، ١٢٨.

(٤) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري ١٢٩/٥.

(٥) في النسخة (ي): «مثلثا».

(٦) في الأصل «مائة».

(٧) تاريخ الطبري ١٢٨/٥، ١٢٩.

فقلت: إن هذا لا يرى ذلك الرأي ولا يترك منها شيئاً. فهرب مَصْفَلَةً من ليلته فلحق بمعاوية، وبلغ علياً ذلك فقال: ما له، تَرَحُّهُ^(١) الله، فَعَلَ فَعَلَ السَّيِّدَ، وفَرَّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر! أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه وإلا تركناه^(٢).

ثم سار عليّ إلى داره فهدمها، وأجاز عتق السبي وقال: أعتقهم مُبتاعهم^(٣) وصارت أثمانهم ديناً على مُعتقهم.

وكان أخوه نُعَيْم بن هُبَيْرَة شيعه لعليّ، فكتب إليه مَصْفَلَةً من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حُلوان يقول له: إن معاوية قد وعدك الإمارة والكرامة، فأقبل ساعة يلقيك رسولي، والسلام. فأخذه مالك بن كعب الأرحبيّ، فسرّحه إلى عليّ، فقطع يده، فمات^(٤). وكتب نُعَيْم إلى مصفلة يقول:

لا تَرَمِينَ هَذَاكَ اللَّهُ مُعْتَرِضاً
ذَاكَ الْحَرِيصُ عَلَى مَا نَالَ مِنْ طَمَعٍ
مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى إِرْسَالِهِ سَفْهاً
قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَمُسْتَمَعٍ
حَتَّى تَقَحَّمْتَ أَمراً كُنْتَ تَكْرَهُهُ
عَرَضْتَهُ لِعَلِيٍّ إِنَّهُ أَسَدٌ
لَوْ كُنْتَ أَدَيْتَ مَالَ الْقَوْمِ^(٥) مُصْطَبِراً
لَكِنْ لَحَقْتَ بِأَهْلِ^(٦) الشَّامِ مُلْتَمِساً
فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الْعَجْزِ^(٧) مِنْ نَذَمٍ
أَصْبَحْتَ تَبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً

بِالظَّنِّ مِنْكَ فَمَا بِأَلِيٍّ وَحُلُواناً
وَهُوَ الْبَعِيدُ فَلَا يُحْزَنُكَ إِنْ خَانَا
تَرْجُو سِقَاطَ أَمْرِي لَمْ يُلَفَّ وَسَنَانَا
تَحْمِي الْعِرَاقَ وَتُدْعَى خَيْرَ شَيَانَا
لِلرَّاكِبِينَ لَهُ سِراً وَإِعْلَانَا
يَمْشِي الْعَرَضَةَ^(٨) مِنْ آسَادٍ خَفَانَا^(٩)
لِلْحَقِّ أَحْيَيْتَ أَحْيَانَا وَمَوْتَانَا
فَضَّلَ ابْنُ هَنْدٍ وَذَاكَ الرَّأْيُ أَشْجَانَا
مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا
لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ بِالْبَغْضَاءِ إِنْسَانَا

فلَمَّا وَقَعَ^(١٠) الكتاب إليه علم أنه^(١١) قد هلك، وأتاه التغلبيّون فطلبوا منه دية

(١) في النسخة (ي): «طرحه».

(٢) الطبري ١٢٩/٥، ١٣٠.

(٣) في الأصل: «بابتاعهم».

(٤) تاريخ الطبري ١٣٠/٥.

(٥) يمشي العرضة: يعدو ليسبق غيره.

(٦) هذا البيت ورد عند الطبري ١٣٠/٥ بعد البيت الثالث.

(٧) في تاريخ الطبري ١٣١/٥ «ما للقوم».

(٨) في نسخة المتحف البريطاني والنسخة (ي): «تحققت أهل».

(٩) في تاريخ الطبري «سنّ الغم».

(١٠) في الأصل «دفع».

(١١) عند الطبري «علم أن رسوله».

صاحبهم ، فوداه لهم^(١).

وقال بعض الشعراء في بني ناجية:

سما لكم بالخيل قوداً عوابساً
أخوثة ما يبرح الدهر غازياً
فصبحكم في رجله وخيوله
بضرب ترى منه المدجج هاوياً
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة
عبيد العصا لا تمنعون الذراريأ^(٢)
وقال مصقلة بن هبيرة:

لعمري^(٣) لئن عاب أهل العراق
علي انتعاش^(٤) بني ناجية
لأعظم من عتقهم رقهم
وكفني بعثقهم ماليه^(٥)
وزايدت فيهم لإطلاقهم^(٦)
وغاليت إن العلى غاليه^(٧)

ذكر أمر الخوارج بعد النهروان

لما قُتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي بالدسكرة في مائتين، ثم سار^(٨) إلى الأنبار، فوجه إليه علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فواقعه، فقتل أشرس في ربيع الآخر^(٩) سنة ثمانٍ وثلاثين^(١٠).

ثم خرج هلال بن علفه^(١١) من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد، فأتى ماسبذان، فوجه

(١) الطبري ١٣٠/٥، ١٣١. أما الأبيات فهي في أنساب الأشراف ٤١٩ باختلاف بعض الألفاظ وقد أنقص منها بيتين.

(٢) الأبيات في أنساب الأشراف ٤٢١ ولم يذكرها الطبري في تاريخه.

(٣) في أنساب الأشراف «أحمري» والمثبت يتفق مع الفتوح لابن أعثم.

(٤) في الأنساب «لتنعاشي»، وفي الفتوح «عتاق».

(٥) في الأنساب، والفتوح «عالية».

(٦) في الفتوح «لإعتاقهم».

(٧) الأبيات في أنساب الأشراف ٤٢٠، وقد زاد عليها ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ٨١/٤ تسعة أبيات أخرى، وهي كلها لم ترد في تاريخ الطبري.

(٨) في أنساب الأشراف «صار».

(٩) في أنساب الأشراف «ربيع الأول».

(١٠) الخبر عند البلاذري في أنساب الأشراف ٤٨١ وهو لم يرد عند الطبري.

(١١) هكذا في طبعة صادر ٣/٣٧٢، وفي النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني، وفي أنساب الأشراف «علقة».

إليه عليّ معقل بن قيس الرياحيّ، فقتله وقتل أصحابه، وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وثلاثين^(١).

ثم خرج الأشهب بن بشر^(٢)، وقيل الأشعث، وهو من بَجيلة، في مائة وثمانين رجلاً، فأَتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه، فصلّى عليهم، ودفن^(٣) من قدر عليه منهم، فوجّه إليهم عليّ جاريةً بن قدامة السعديّ، وقيل حُجر بن عديّ، فأقبل إليهم الأشهب، فاقتل^(٤) بجرجرايا^(٥) من أرض جُوخي، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين^(٦).

ثم خرج سعيد بن قفل^(٧) التيميّ (من تيم الله بن ثعلبة في رجب)^(٨) بالبندنيّين (ومعه مائتا رجل، فأَتى دَرزَنجان^(٩))، وهي من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود^(١٠)، فقتلهم في رجب سنة ثمانٍ وثلاثين^(١١).

ثم خرج أبو مريم السعديّ التيميّ^(١٢) (فَأَتى شَهْرزور، وأكثر من معه من الموالي، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستّة نفر، هو أحدهم، واجتمع^(١٣) معه مائتا رجل، وقيل أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل إليه عليّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب. فبعث إليه عليّ شريح بن هانئ في سبعمائة، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه، فأنكشفوا، وبقي شريح في مائتين، فأنحاز إلى قرية، فراجع إليه بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج عليّ بنفسه، وقَدّم بين يديه جاريةً بن قدامة السّعديّ، فدعاهم جاريةً إلى طاعة عليّ، وحذّره القتل، فلم يجيبوا، ولحقهم عليّ أيضاً، فدعاهم، فأبوا عليه وعلى أصحابه،

(١) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٢ ولم يرد في تاريخ الطبري.

(٢) عند البلاذري «بشير».

(٣) عند البلاذري «وأجن».

(٤) في أنساب الأشراف «فالتقوا».

(٥) في الأصل: «بججرايا».

(٦) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٣ رقم ٥١٦ ولم يرد في تاريخ الطبري.

(٧) في الأصل «نفيل»، وفي أنساب الأشراف «وبعضهم يقول: هو سعد».

(٨) ما بين القوسين من النسخة (ي).

(٩) في أنساب الأشراف «الدرزيان».

(١٠) هو عمّ المختار بن أبي عبيد الثقفي.

(١١) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٤ رقم ٥١٧ ولم يرد عند الطبري.

(١٢) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ر).

(١٣) ما بين القوسين عن الأصل.

فقتلهم أصحابُ عليٍّ، ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم. وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر عليٌّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برأوا. وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمانٍ وثلاثين، (وكانوا من أشجع مَنْ قاتل من الخوارج، ولجراتهم قاربوا الكوفة)^(١).

ذكر عِدَّة حوادث

وحجَّ بالناس في هذه السنة قُثمُ بن العباس من قِبَل عليٍّ^(٢)، وكان عامله على مَكَّة.

وكان على اليمن عُبيدالله بن عباس^(٣)، وعلى البصرة: عبدالله بن عباس^(٤)، وعلى خراسان: خُلَيْد بن قُرَّة اليربوعي، وقيل كان ابن أُبَيْرَى^(٥)، (وأما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعمَّاله^(٦)).

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات صُهَيْب بن سِنان^(٧)، في قول بعضهم، وكان عمره سبعين سنة، ودُفِن بالبقيع^(٨).

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر). والخبر باختصار عن أنساب الأشراف ٤٨٥، ٤٨٦ رقم ٥١٨ وهو لم يرد في تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبري ١٣٢/٥، ومروج الذهب ٣٩٧/٤، ونهاية الأرب ٢٠٢/٢٠.

(٣) تاريخ الطبري ١٣٢/٥، تاريخ خليفة ١٩٨.

(٤) تاريخ الطبري ١٣٢/٥.

(٥) الطبري ١٣٢/٥.

(٦) الطبري ١٣٢/٥.

(٧) تقدّمت ترجمته ومصادرها في وفيات السنة السابقة، فلترجع هناك.

(٨) ما بين القوسين من النسخة (ر).

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين، عليه السلام

وفي هذه السنة فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف عليّ، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر، وفيها مالك بن كعب مَسْلُحَة لعلّيّ، في ألف رجل^(١)، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة، ولم يبقَ معه إلاّ مائة رجل، فلَمَّا سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يُخبره ويستمدّه، فخطب عليّ الناس وأمرهم بالخروج إليه، فتأقّلوا، وواقع مالك النعمان، وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه، وكتب مالك إلى مخنف بن سُلَيم يستعينه، وهو قريب منه، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال، فوجّه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جُفُون سيوفهم واستقتلوا، فلَمَّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء، وظنّوا أنّ لهم مدداً، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر.

ولما تأقّل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك صعد عليّ المنبر فخطبهم، ثمّ قال: يا أهل الكوفة، كلّمنا سمعتم بجمع من أهل الشام أظَلّكم^(٢) انجحر^(٣) كلّ امرئ^(٤) منكم في بيته، وأغلق عليه بابه انجحر^(٥) الضّبّ في جُحره والضّبُع في وِجارها، المغرور من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان عند النجاء! إنّنا لله وإنّا إليه راجعون! ماذا مُنيتُ^(٦) به منكم؟ عُمي لا يُبصرون، وبُكم لا ينطقون، وصُم لا يسمعون^(٧)! إنّنا لله وإنّا إليه راجعون^(٨).

(١) في النسخة (ي): «فارس».

(٢) عبارة الطبري ١٣٤/٥ «كلّمنا سمعتم بمنير من مناسر أهل الشام أظَلّكم وأغلق بابه انجحر».

(٣) في الطبعة الأوروبية «الجحر».

(٤) في الأصل «فر».

(٥) في النسخة (ي): «شبت».

(٦) عند الطبري ١٣٤/٥ «تبصرون، تنطقون، تسمعون».

(٧) الخبر عند الطبري، وفي أنساب الأشراف ٤٤٥ - ٤٤٨.

ووجه معاوية في هذه السنة أيضاً سُفَيان بن عَوْف في سِتَّة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هَيْتَ فيقطعها، ثم يأتي الأنبار، (والمدائن فيوقع بأهلها. فأتى هَيْتَ فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار)^(١) وفيها مَسْلُحة لعلِّي تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا ولم يبقَ منهم إلا مائتا رجل، وكان سبب تفرقهم أنه كان عليهم كُمَيْل بن زياد، فبلغه أن قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هَيْتَ، فسار إليهم بغير أمر علي، فأتى أصحاب سفیان وكُمَيْل غائب عنها، فأغضب ذلك علياً على كُمَيْل، فكتب إليه يُنكر ذلك عليه، وطمع سفیان في أصحاب علي لقتلتهم فقاتلهم، فصر أصحاب علي ثم قتل صاحبهم، وهو أشرس بن حسان البكري، وثلاثون رجلاً، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبر علياً، فأرسل في طلبهم فلم يُدركوا^(٢).

وفيها أيضاً وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حَكَمَة^(٣) بن مالك بن بدر الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يُصدّق^(٤) مَنْ مرَّ به من أهل البوادي ويقتل مَنْ امتنع، ففعل ذلك، وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك، واجتمع إليه بشرٌ كثيرٌ من قومه، وبلغ ذلك علياً فأرسل المسيب بن نجبة الفزاري في ألفي رجل، فليحق عبد الله بتيماء، فاقتتلوا حتى^(٥) زالت الشمس قتلاً شديداً، وحمل المسيب على ابن مسعدة، فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله، ويقول له: النجاء النجاء! فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره ومن معه^(٦) ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب في الباب وحرقه، فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا: يا مسيب قومك، فرق لهم، وأمر بالنار فاطفئت، وقال لأصحابه: قد جاءني عيوني فأخبروني أنّ جنداً قد أتاكم من الشام. فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سرّخني في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال: غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم^(٧).

وفيها أيضاً وجه معاوية الضحّاك بن قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة^(٨)، ويُغير

(١) ما بين القوسين من نسخة الأصل.

(٢) عن تاريخ الطبري بتصرف ١٣٣/٥، ١٣٤، وانظر: أنساب الأشراف ٤٤١ - ٤٤٣.

(٣) في الأصل «حكيم».

(٤) أي يأخذ الصدقات وزكاة الأموال.

(٥) في الطبعة الأوربية «حين».

(٦) عبارة الطبري ١٣٥/٥ «وحصره ومن كان معه المسيب ثلاثة أيام».

(٧) تاريخ الطبري ١٣٤/٥، ١٣٥، وانظر: أنساب الأشراف ٤٤٩ - ٤٥١، واليعقوبي ١٩٦/٢.

(٨) واقصة: بكسر القاف والصاد مهملة. منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقبل العقبة لبني شهاب من طيء ويقال لها واقصة الحزون وهي دون زُبالة بمرحلتين. (معجم البلدان ٣٥٣/٥، ٣٥٤).

على كلِّ مَنْ مَرَّ به مَمَّن هو في طاعة عليٍّ من الأعراب، (وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه، فسار الناس، وأخذ الأموال ومضى إلى الثعلبية^(١))، وقتل وأغار على مَسْلَحة عليٍّ، وانتهى إلى القُطْقُطانة^(٢). فلَمَّا بلغ ذلك عليًّا^(٣) أرسل إليه حُجْر بن عديٍّ في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين درهماً وخمسين درهماً، فلحق الضحَّاك بتدمر، فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلان، وحجز بينهما الليل، فهرب الضحَّاك وأصحابه، ورجح حُجْر ومن معه^(٤).

وفي هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثمَّ نكصَ راجعاً^(٥).

واختلف فيمن حجَّ [بالناس] هذه السنة، فقليل: حجَّ بالناس عُبيد الله بن عباس من قبل عليٍّ، وقيل: بل حجَّ عبد الله أخوه، وذلك باطل، فإنَّ عبد الله بن عباس لم يحجَّ في خلافة عليٍّ، وإنَّما كان على هذه السنة على الحجِّ عُبيد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي، فاختلف عبيدُ الله ويزيد بن شجرة وأتفقا على أن يحجَّ بالناس شيبه بن عثمان^(٦). وقيل: إنَّ الذي حجَّ من جانب عليٍّ قُثم بن العباس. وكان عمال عليٍّ على البلاد من تقدَّم ذكرهم.

ذكر مسير يزيد بن شجرة إلى مكة^(٧)

وفي هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي، وهو من أصحابه، فقال له: إنِّي أريد أن أوجهك إلى مكة لتقيم للناس الحجَّ، وتأخذ لي البيعة بمكة، وتنفي عنها عامل عليٍّ.

- (١) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخُزَيْمية، وهي ثلثا الطريق، وسُمِّيت بثعلبة بن عمرو مُزيقياء بن عامر ماء السماء، لما تفرقت أزد مارب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسُمِّي به. (معجم البلدان ٧٨/٢).
- (٢) القُطْقُطانة: بالضم ثم السكون ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألف نون وهاء. موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف. (معجم البلدان ٣٧٤/٤).
- (٣) ما بين القوسين من الأصل.
- (٤) تاريخ الطبري ١٣٥/٥، والفتوح لابن أعمش ٣٧/٤، وأنساب الأشراف ٤٣٧ - ٤٤٠، وتاريخ اليعقوبي ١٩٥/٢.
- (٥) الطبري ١٣٦/٥ برواية ابن سعد، عن الواقدي.
- (٦) تاريخ خليفة ١٩٨، تاريخ الطبري ١٣٦/٥، مروج الذهب ٣٩٧/٤، وانظر أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ (الحاشية).
- (٧) العنوان ورد في بداية الفصل رقم ٦٠ من نسخة الأصل، وفي بداية الفصل الأربعين من النسخة (ي). وهذا الموضوع ليس في تاريخ الطبري. وهو باختصار شديد في تاريخ خليفة، وبتفصيل في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ - ٤٦٤، وفي الفتوح لابن أعمش ٣٩/٤ - ٤٥.

فأجابه إلى ذلك، وسار إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس، وبها قُثم بن العباس عامل عليّ، فلمّا سمع به قُثم خطب أهل مكة، وأعلمهم بمسير الشاميين، ودعاهم إلى حربهم، فلم يُجيبوه بشيء، وأجابه شيبه بن عثمان العبديّ بالسّمع والطاعة، فعزم قُثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها، ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر، فإن أمده بالجيوش قاتل الشاميين، فنهاه أبو سعيد الخُدريّ عن مفارقة مكة وقال له: أقم، فإن رأيت منهم القتال وبك قوّة فاعمل برأيك، وإلاّ فالمسير عنها أمامك. فأقام، وقدم الشاميون ولم يعرضوا لقتال أحد، وأرسل قُثم إلى أمير المؤمنين يخبره، فسير جيشاً فيهم الريّان بن صُمرة بن هُوذة بن عليّ الحنفي، وأبو الطّفيل أوّل ذي الحجّة. وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومين، فنادى في الناس: أنتم آمنون إلّا من قاتلنا ونازعنا. واستدعى أبا سعيد الخُدري وقال له: إني أريد الإلحاد^(١) في الحرم، ولو شئت لفعلت لما فيه أميركم من الضعف، فقل له يعتزل الصلاة بالناس، وأعتزلها أنا، ويختار الناس رجلاً يصلّي بهم. فقال أبو سعيد لقُثم ذلك، فاعتزل الصلاة، واختار الناس شيبه بن عثمان فصلّي بهم وحجّ بهم^(٢). فلمّا قضى الناس حجّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبل خيل عليّ فأخبروا بعود أهل الشام، فتبعوهم، وعليهم معقل بن قيس، فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم، فأخذوهم أسارى، وأخذوا ما معهم، ورجعوا بهم إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية^(٣).

(الرّهاويّ منسوب إلى الرّهاء: قبيلة من العرب، وقد ضبطه عبد الغني بن سعيد^(٤))
بفتح الراء: قبيلة مشهورة. وأمّا المدينة^(٥): بضم الراء).

ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة^(٦)

وفيها سیر معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة، وفيها شبيب بن عامر جدّ الكرمانيّ الذي كان بخراسان^(٧)، وكان شبيب بنصّيين، فكتب إلى كُميل بن

(١) في النسخة (ي): «الاتحاد».

(٢) تاريخ خليفة ١٩٨، والاستيعاب ٣/٦٥٣، ٦٥٤، والإصابة ٣/٦٥٩، وأنساب الأشراف ٤٦٣، ومروج الذهب ٤/٣٩٧، والمجبر لابن حبيب ١٧، وشفاء الغرام ٢/٣٣٨، ٣٣٩، والفتوح لابن أعمش ٤/٤٣.

(٣) انظر: أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ - ٤٦٤، والفتوح ٤/٣٩ - ٤٥.

(٤) في كتاب: مشبه النسبة في الخط، مخطوطة المتحف البريطاني - ورقة ١٨ ب، باب: الرّهاوي والرّهاوي. أي مدينة الرّها.

(٦) عدّها البلاذري في أنساب الأشراف سابع غارة من غارات معاوية. وهذا الخبر ليس في تاريخ الطبري.

(٧) الفتوح لابن أعمش ٤/٥٠.

زياد، وهو بهيت، يُعلمه خبرهم، فسار كُمَيْلُ إليه نجدة له في ستمائة فارس، فأدركوا عبد الرحمن ومعه مَعْنُ بن يزيد السُّلَمي، فقاتلهما كُمَيْل وهزمهما، فغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام، وأمر أن لا يُتبع مُدْبِر ولا يُجْهَز على جريح، وقُتل من أصحاب كُمَيْل رجالان، وكتب إلى عليّ بالفتح فجزاه خيراً، وأجابه جواباً حسناً^(١) ورضي عنه، وكان ساخطاً عليه لما تقدّم ذكره.

وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين، فرأى كُمَيْلاً قد أوقع بالقوم، فهناه بالظفر، واتّبع الشاميين، فلم يلحقهم، فعبر الفرات، وبثّ خيله فأغارَت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك، فوجّه معاويةً إليه حبيب بن مَسْلَمَة فلم يدركه، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدعْ للعثمانية بها ماشية إلا استاقها، ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه، وعاد إلى نصيبين، وكتب إلى عليّ، فكتب إليه عليّ ينهاه عن أخذ أموال^(٢) الناس إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به، وقال: رحم الله شبيباً، لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار^(٣).

ذكر غارة الحارث بن نمر التنوخي^(٤)

ولما قدّم يزيد بن شجرة على معاوية وجّه الحارث بن نمر التنوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة عليّ، فأخذ من أهل دارا^(٥) سبعة نفر من بني تغلب، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا علياً إلى معاوية، فسألوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل، فاعتزلوه أيضاً. وكتب معاوية إلى عليّ ليفاديه بمن أسر مَعْقِل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة، فسيرهم عليّ إلى معاوية، وأطلق معاوية هؤلاء، وبعث عليّ رجلاً من خثعم يقال له عبد الرحمن إلى ناحية الموصل لِيُسْكِنَ الناس، فلقّيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية، وعليهم قُرَيْع^(٦) بن الحارث التغلبي، فتشامتوا ثم اقتتلوا فقتلوه، فأراد عليّ أن يوجّه إليهم جيشاً، فكلّمته ربيعة وقالوا: هم معتزلون لعدوك داخلون في طاعتك، وإنما قتلوه خطأ. فأمسك عنهم^(٧).

(١) الخبر في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٧٥.

(٢) في الأنساب «مواشي الناس».

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ٤٧٥، ٤٧٦، وانظر: الفتوح لابن أعم ٤٨/٤ - ٥٢.

(٤) الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في: أنساب الأشراف، والفتوح لابن أعم، وهو باختصار في تهذيب تاريخ دمشق ٤٦٢/٣ وفيه: الحارث بن نمر.

(٥) في أنساب الأشراف: «دارا».

(٦) في أنساب الأشراف «قرئع».

(٧) الخبر في: أنساب الأشراف ٤٦٩، ٤٧٠، وانظر كتاب الفتوح لابن أعم ٤٨/٤ - ٤٧ وفيه شعر ونص كتاب الإمام عليّ إلى معاوية بشأن إطلاق سراح الأسرى وهم عنده ثمانية.

ذكر أمر ابن العُشبة

بعث معاوية زُهَيْرَ بن مَكْحُولِ العامريّ، من عامر الأجدار، إلى السماوة وأمره أن يأخذ صدقات الناس، وبلغ ذلك عليّاً، فبعث ثلاثة نفر: جعفر بن عبد الله الأشجعيّ، وعُروة بن العُشبة، والجلاس بن عُمَيْرِ الكلبيّين، ليصدّقوا من في طاعته من كُلب و بكر بن وائل، فوافوا زُهيراً فاقتتلوا، فانهزم أصحاب عليّ، وقُتل جعفر بن عبد الله، ولحق ابن العُشبة بعليّ، فعتفه وعلاه بالدرة، فغضب ولحق بمعاوية، وكان زهير قد حمل ابن العُشبة على فرس، فلذلك اتهمه^(١)، وأمّا الجلاس فإنه مرّ براع، فأخذ جَبته، وأعطاه جُبّة خزّ، فأدركته الخيل، فقالوا: أين أخذ هؤلاء التراييون^(٢)؟ فأشار إليهم: أخذوا ها هنا، ثمّ أقبل إلى الكوفة^(٣).

ذكر أمر مسلم بن عُقبة بدومة الجندل

وبعث معاوية مسلمَ بن عُقبة المَرِّي إلى دومة الجندل، وكان أهلها قد امتنعوا منبيعة عليّ ومعاوية جميعاً، فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته، فامتنعوا، وبلغ ذلك عليّاً، فسير مالك بن كعب الهمدانيّ في جمع إلى دومة الجندل، فلم يشعر مسلم إلّا وقد وافاه مالك، فاقتتلوا يوماً ثمّ انصرف مسلم منهزماً، وأقام مالك أياماً يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعليّ فلم يفعلوا، وقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام. فانصرف وتركهم^(٤).

وفيها توجه الحارث بن مُرّة العبديّ^(٥) إلى بلاد السند غازياً (متطوعاً بأمر أمير المؤمنين عليّ، فغنم وأصاب غنائم وسبياً كثيراً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، وبقي غازياً)^(٦) إلى أن قُتل بأرض القيقان هو ومن معه، إلّا قليلاً سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية^(٧).

(١) أي اتهمه عليّ، كما في أنساب الأشراف.

(٢) التراييون: أي شيعة عليّ لأنه كان يلقب أبا تراب.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ٤٦٥، ٤٦٦، ولم يذكره الطبري في تاريخه.

(٤) الخبر في: أنساب الأشراف ٤٦٧.

(٥) في النسخة (ي): «العبدي».

(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٧) الخبر في: فتوح البلدان ٥٣١ وتاريخ الغزوة آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ هـ. ولم يرد هذا الخبر في تاريخ الطبري.

ذكر ولاية زياد بن أبيه^(١) بلاد فارس

وفي هذه السنة ولي عليّ زياداً كَرَمَانَ وفارس.

وسبب ذلك أنّه لما قُتل ابن الحضرميّ، واختلف الناس على عليّ طمع أهل فارس وكَرَمَانَ في كَسْرِ الخراج، فطمع أهل كلّ ناحية وأخرجوا عاملهم، وأخرج أهل فارس سهلاً بن حُنيف، فاستشار عليّ الناس، فقال له جارية بن قُدامة: ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صُلب الرأي، عالم بالسياسة، كافٍ لما ولي؟ قال: مَنْ هو؟ قال: زياد. فأمر عليّ ابنَ عَبَّاسٍ أن يوليّ زياداً، فسَيَّرَه إليها في جَمْعٍ كثير، فوطىء بهم أهل فارس، وكانت قد اضطُربت^(٢)، فلم يزل يبعث إلي رؤوسهم يَعد من ينصره ويُمْنِيه، ويُخَوِّف من امتنع عليه، وضرب بعضهم ببعض، فدَلَّ بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس ولم يلقَ منهم جمعاً ولا حرباً^(٣)، وفعل مثل ذلك بكرَمَانَ. ثمّ رجع إلى فارس وسكّن الناس واستقامت له، ونزل إصطُخر، وحصّن قلعة تسمى قلعة زياد قريب إصطُخر، (ثمّ تحصّن فيها بعد ذلك منصور الشُكْرِيّ، فهي تسمّى قلعة منصور)^(٤). (وقيل [إنّ] ابن عَبَّاسٍ أشار بولايته، وقد تقدّم ذكره)^(٥).

[الوَفَيَات]

وفيها مات أبو مسعود الأنصاريّ البُدرِيّ^(٦)، وقيل في أوّل خلافة معاوية، وقيل غير

(١) في الطبعة الأوربية «أميّة».

(٢) في النسخة (ي): «اضطربت».

(٣) في الأصل والنسخة (ي) زيادة: «إلا فرقه».

(٤) ما بين القوسين عن الأصل.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) انظر عن (أبي مسعود البدري) في:

المغازي للواقدي ٢٩٥ و ٣٣١ و ٧٢٤، وطبقات ابن سعد ١٦/٦، والمجبر لابن حبيب ٢٩٠، والتاريخ لابن معين ٢/٤١٠، ومسند أحمد ٤/١١٨ - ١٢٢، و ٥/٢٧٢ - ٢٧٥، والزهد له ٢٣٥، وطبقات خليفة ٩٦ و ١٣٦، وتاريخ خليفة ٢٠٢، والتاريخ الكبير ٦/٤٢٩ رقم ٢٨٨٤، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٣ رقم ٣٧، والمعرفة والتاريخ ١/٤٤٩، ٤٥٠، وأنساب الأشراف ١/٢٤٥، وتاريخ أبي زرعة ١/٥٧٦، والكنى والأسماء للدولابي ١/٥٤، وتاريخ الطبري ٤/١٢٩ و ٣٣٥ و ٣٥٢ و ٤٢٢ و ٣٨/٩٣، والجرح والتعديل ٦/٣١٣ رقم ١٧٤٠، والاستبصار ١٣٠، والاستيعاب ٣/١٠٥، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٠، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٢، وأمالى المرتضى ١/٧٥، ولباب الآداب ١٣ و ٢٨١، وأسد الغابة ٥/٢٩٦، ٢٩٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٦٧ رقم ٤٢٤، ووفيات الأعيان ٢/٤٧٩، =

ذلك، ولم يشهد بدرأ وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ بِدَرِيٍّ لِأَنَّهُ نَزَلَ مَاءُ بَدْرٍ، وَانْقَرَضَ عَقْبُهُ.

= وتهذيب الكمال ٩٤٨/٢، والعبر ٤٦/١، والكاشف ٢٣٨/٢ رقم ٣٩٠٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٥٧-٦٥٩، والمعين في طبقات المحدثين ٢٤ رقم ٩١، وسير أعلام النبلاء ٤٩٣/٢ - ٤٩٦ رقم ١٠٣، ومراة الجنان ١٠٧/١، وتهذيب التهذيب ٢٤٧/٧ - ٢٤٩ رقم ٤٤٦، وتقريب التهذيب ٢٧/١ رقم ٢٤٩، والإصابة ٤٩٠/٢، ٤٩١ رقم ٥٦٠٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٦٩.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر سرية بُسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن^(١)

في هذه السنة بعث معاوية بُسر بن أبي أرطاة، وهو من عامر بن لؤي، في ثلاثة آلاف، فسار حتى قديم المدينة، وبها أبو أيوب الأنصاري عامل عليّ عليها، فهرب أبو أيوب فأثى عليّاً بالكوفة، ودخل بُسر المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى عليه: يا دينار، يا نجار، يا زُرَيْق! وهذه بطون من الأنصار، شيخي شيخي، عهدته ها هنا بالأمس، فأين هو؟ يعني عثمان. ثم قال: واللّه لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركتُ بها محتلاً^(٢). فأرسل إلى بني سلمة فقال: واللّه ما لكم عندي أمان حتى تأتونني بجابر بن عبد الله! فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ماذا تريين؟ إن هذه بيعة ضلالة، وقد خشيتُ أن أقتل. قالت: أرى أن تباع، فإني قد أمرتُ ابني عمرو وختني ابن زُمعة أن يُبايعا، وكانت ابنتها زينب تحت ابن زُمعة، فأتاه جابر فبايعه.

وهدم بالمدينة دوراً ثم سار إلى مكة، فخاف أبو موسى الأشعري أن يقتله، فهرب منه، وأكره الناس على البيعة. ثم سار إلى اليمن، وكان عليها عُبيد الله بن عباس عاملاً لعليّ، فهرب منه إلى عليّ بالكوفة. واستخلف عليّ [على] اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بُسر فقتله، وقتل ابنه، وأخذ ابنين لعُبيد الله بن عباس صغيرين هما: عبد الرحمن، وقُثم فقتلتهما، وكانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلما أراد قتلتهما قال

(١) انظر عن هذا الخبر في:

تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبري ١٣٩/٥ وما بعدها، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٥٣ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٢٥/٣ - ٢٢٧، وتاريخ اليعقوبي ١٩٧/٢ - ٢٠٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠٧، ومروج الذهب ٣/٣٠، ٣١، ونهاية الأرب ٢٥٨/٢٠ - ٢٦٤، والاستيعاب ١٥٦/١.

(٢) في تاريخ الطبري ١٣٩/٥ زيادة: «لأ قتله. ثم بايع أهل المدينة».

له الكِنَانِي: لِمَ تَقْتُلْ هَذِينَ وَلَا ذُنِبَ لَهُمَا؟ فَإِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُمَا فَاقْتُلْنِي مَعَهُمَا! فقتله وقتلَهُمَا بعده^(١). وقيل إِنَّ الكِنَانِي أَخَذَ سَيْفَهُ وَقَاتَلَ عَنِ الْغَلَامِينَ وَهُوَ يَقُولُ:

الْلَيْثُ مَنْ يَمْنَعُ حَافَاتِ الدَّارِ وَلَا يَزَالُ مُصْلِتاً دُونَ الْجَارِ

وقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. وَأَخَذَ الْغَلَامِينَ فَدَفَنَهُمَا. فَخَرَجَ نِسْوةً مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ: يَا هَذَا! قَتَلْتَ الرِّجَالَ فَعَلَامَ تَقْتُلْ هَذِينَ؟ وَاللَّهِ مَا كَانُوا يُقْتَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ! وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَبِي أَرْطَاةٍ إِنَّ سُلْطَانًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِقَتْلِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَنَزْعِ الرَّحْمَةِ، وَعَقْقِ الْأَرْحَامِ لِسُلْطَانٍ سَوْءٍ^(٢)!

وَقَتْلُ بُسْرِ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ بِالْيَمَنِ، وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبْرَ، فَأَرْسَلَ جَارِيَةَ بَنٍ قَدَامَةَ السَّعْدِيِّ فِي أَلْفَيْنِ، وَوَهَّبَ بَنَ مَسْعُودٍ فِي أَلْفَيْنِ، فَسَارَ جَارِيَةُ حَتَّى أَتَى نَجْرَانَ، فَقَتَلَ بِهَا نَاسًا مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ، وَهَرَبَ بُسْرٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْهُ، وَاتَّبَعَهُ جَارِيَةُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَقَالَ: بَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالُوا: قَدْ هَلَكَ فَلِمَنْ نَبَايَعُ؟ قَالَ: لِمَنْ بَايَعَ لَهُ أَصْحَابُ عَلِيٍّ. فَبَايَعُوا خَوْفًا مِنْهُ^(٣).

ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَصْلِي بِالنَّاسِ، فَهَرَبَ مِنْهُ، فَقَالَ جَارِيَةُ: لَوْ وَجَدْتُ أَبَا سَنُورٍ لَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ: بَايَعُوا الْحَسْنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَبَايَعُوهُ، وَأَقَامَ يَوْمَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَصْلِي بِهِمْ^(٤).

وَكَانَتْ أُمُّ ابْنِي عُبَيْدِ اللَّهِ أُمُّ الْحَكَمِ جُوزِيرِيَّةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ قَارِظٍ^(٥)، (وقيل: عَائِشَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ^(٦) بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ)^(٧). فَلَمَّا قَتَلَ وَلَدَهَا وَلِهَتْ عَلَيْهِمَا، فَكَانَتْ لَا تَعْقِلُ وَلَا تُصْفِي، وَلَا تَزَالُ تَشُدُّهُمَا فِي الْمَوَاسِمِ فَتَقُولُ:

(١) الخبر باختصار عن تاريخ الطبري ١٣٩/٥، ١٤٠، ومروج الذهب ٣/٣٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٢٥/٣، ٢٢٦.

(٢) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في تاريخ اليعقوبي ١٩٨/٢، ١٩٩، وأنساب الأشراف ٤٥٦، ٤٥٧، ومروج الذهب ٣/٣٠، ٣١، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٢٦/٣، ٢٢٧ وفيه ورد الشعر هكذا: اللّيث من يمنع حافات الدار ولا يزال مصاناً دون الدار
ألا فتى أروع غير غدار

(٣) تاريخ الطبري ١٤٠/٥.

(٤) الطبري ١٤٠/٥.

(٥) أنساب الأشراف ٤٥٦، تاريخ اليعقوبي ١٩٨/٢، تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٧/٣، مروج الذهب ٣/٣٠.

(٦) قال هشام بن الكلبي: «من قال إن أمهما عائشة بن عبد الله بن عبد الممدان فقد أخطأ، لم تلد عائشة إلا العباس وعالية». (تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٧/٣).

(٧) ما بين القوسين من النسختين (ي) و(ر).

يا^(١) مَنْ أَحْسَنَ بُنْيَى^(٢) اللَّذَيْنِ هَمَا
يا مَنْ أَحْسَنَ بُنْيَى^(٣) اللَّذَيْنِ هَمَا
يا مَنْ أَحْسَنَ بُنْيَى^(٤) اللَّذَيْنِ هَمَا
مَنْ ذَلَّ وَالْهَيْةَ حَيْرَى^(٥) مُدْلَهَةً^(٦)
نُبْتُ بُسْرًا^(٧) وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا
أَحْنَى^(٨) عَلَى وَدَجِي^(٩) إِبْنِي^(١٠) مُرْهَفَةً^(١١)
كَالدُّرَّتَيْنِ تَشْطَى^(١٢) عَنْهُمَا الصَّدْفُ
مُخَّ الْعِظَامِ فَمَخِي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ
قَلْبِي وَسَمْعِي، فَقَلْبِي^(١٣) الْيَوْمَ مُخْتَطَفُ
عَلَى صَبِيْنٍ ذَلًّا^(١٤) إِذْ غَدَا السَّلَفُ^(١٥)
مَنْ إِفْكَهْم وَمَنْ الْقَوْلُ^(١٦) الَّذِي اقْتَرَفُوا^(١٧)
مَنْ الشَّفَارِ^(١٨)، كَذَاكَ^(١٩) الْإِثْمُ^(٢٠) يُقْتَرَفُ^(٢١)

وهي أبيات مشهورة^(٢٢)، فلَمَّا سَمِعَ أمير المؤمنين بقتلهما جَزَعَ جَزَعاً شديداً ودعا على بُسْر فقال: اللهم اسلبه دينه وعقله! فأصابه ذلك وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب، ويُجعل بين يديه رِقٌّ منفوخ، فلا يزال يضربه، ولم يزل كذلك حتى مات^(٢٣).

- (١) في جميع المصادر «ها» بدل «يا».
- (٢) في الطبعة الأوربية «بني»، وفي مروج الذهب، «من ابني»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «يا بني».
- (٣) في تهذيب تاريخ دمشق «تجلى».
- (٤) في الطبعة الأوربية «بني»، وفي مروج الذهب «من ابني»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «يا بني».
- (٥) الملحوظة السابقة.
- (٦) في مروج الذهب «فعلقي».
- (٧) في أنساب الأشراف «حراء» وفي تاريخ يعقوبي «حرى» وكذا في تهذيب تاريخ دمشق.
- (٨) في النسخة (ي): «حرى مولهة»، وفي أنساب الأشراف «شاكلة» وكذا في تاريخ يعقوبي، وفي تهذيب تاريخ دمشق: «من ذا لوالهة حرى مفجعة».
- (٩) في تاريخ يعقوبي، وأنساب الأشراف، وتهذيب تاريخ دمشق «ضلا».
- (١٠) هذا البيت ليس في مروج الذهب.
- (١١) في الأصل تحرف إلى «بشراً»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «حدثت بُسراً».
- (١٢) في جميع المصادر: «من قولهم ومن الإفك».
- (١٣) في مروج الذهب، وتهذيب تاريخ دمشق: «الذي وصفوا».
- (١٤) في أنساب الأشراف، وتاريخ يعقوبي، ومروج الذهب «أنخى». وفي تهذيب تاريخ دمشق «أثمي».
- (١٥) في تهذيب تاريخ دمشق «زوجي».
- (١٦) في أنساب الأشراف «طفلي».
- (١٧) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «الشعار». وفي جميع المصادر: «مشحودة» بدل «من الشفار».
- (١٨) في تهذيب تاريخ دمشق «وكلال».
- (١٩) في تاريخ يعقوبي «الأمر».
- (٢٠) في الطبعة الأوربية، وتهذيب تاريخ دمشق «يعترف». وفي تاريخ يعقوبي «مقترف».
- (٢١) وردت بتقديم وتأخير في: تاريخ يعقوبي ١٩٩/٢، وأنساب الأشراف ٤٥٧، ومروج الذهب ٣١/٣، وأمال الطوسي، وتاريخ دمشق، تحقيق دهمان ١٥/١٠، وتهذيبه ٢٢٦/٣.
- (٢٢) أنساب الأشراف ٤٦٠.

ولما استقرَّ الأمر لمعاوية دخل عليه عُبيد الله بن عَبَّاس، وعنده بُسْر، فقال لُبْسَر: وَدِدْتُ أَنَّ الْأَرْضَ أَنْبَتَنِي عِنْدَكَ حِينَ قَتَلْتَ وَلَدِي. فقال بُسْر: هَاكَ سَيْفِي. فَأَهْوَى عُبيد الله لِيَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَهُ مَعَاوِيَةَ وَقَالَ لُبْسَر: أَخْزَاكَ اللَّهُ شَيْخاً قَدْ خَرِفْتَ! وَاللَّهِ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْهُ لَبَدَأَ بِي! قَالَ عُبيد الله: أَجَل، ثُمَّ ثَنَيْتَ بِهِ.

(سَلِمَةُ، بكسر اللام: بطن من الأنصار)^(١).

وقيل: إِنَّ مَسِيرَ بُسْرٍ إِلَى الْحِجَازِ كَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ شَهْرًا يَسْتَعْرِضُ النَّاسَ، لَا يُقَالُ لَهُ عَنْ أَحَدٍ إِنَّهُ شَرِكٌ فِي دَمِ عَثْمَانَ إِلَّا قَتَلَهُ^(٢).

وفيهما جرت مهادنة بين عليٍّ ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب، ويكون لعلِّي العراق، ولمعاوية الشام، لا يدخل أحدهما بلد الآخر بغارة^(٣) (بُسْر: بضمّ الباء الموحدة، والسين المهملة. زُرَيْق، بالزاي والراء: قبيلة من الأنصار أيضاً. وجارية بالجمع والراء).

ذكر فراق ابن عَبَّاس البصرة

في هذه السنة خرج عبدُ الله بن عَبَّاس من البصرة، ولحق بمكة في قول أكثر أهل السَّيْرِ، وقد أنكر ذلك بعضهم وقال: لم يزل عاملاً عليها لعلِّي حتى قُتِلَ عليٌّ، وشهد صَلَاحُ الْحَسَنِ مَعَ مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ^(٤). وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي شَهِدَ صَلَاحُ الْحَسَنِ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ.

وكان سبب خروجه أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي الْأَسْوَدِ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكُنْتُ جَمَلًا، وَلَوْ كُنْتُ رَاعِيًا لَمَّا بَلَغْتَ الْمَرْعَى. فَكَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى عَلِيٍّ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، جَعَلَكَ الْيَأْمُؤَتِمَنَّا، وَرَاعِيًا مُسْتَوِلِيًّا، وَقَدْ بَلَّوْنَاكَ فَوَجَدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ، نَاصِحًا لِلرَّعْيَةِ، تَوْفِرُ لَهُمْ فَيَتَّقَهُمْ، وَتَكْفُ^(٥) نَفْسَكَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَرْتَشِي فِي أَحْكَامِهِمْ، وَإِنَّ ابْنَ عَمِّكَ قَدْ أَكَلَ مَا تَحْتَ يَدَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمِكَ، وَلَمْ يَسْغِنِي كَتْمَانُكَ، رَجِمَكَ اللَّهُ، فَانْظُرْ فِيمَا هُنَاكَ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ، وَالسَّلَامُ.

(١) ما بين القوسين من الأصل.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٥/٣.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٠/٥.

(٤) تاريخ الطبري ١٤١/٥.

(٥) في تاريخ الطبري ١٤١/٥ «وَتَظْلَفُ».

فكتب إليه عليّ: أما بعد، فمثلك نصيح الإمام والأمة^(١)، ووالى^(٢) على الحق، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتُ إليّ، ولم أعلمه بكتابك، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك ممّا النظر فيه صلاح للأمة، فإنك بذلك جدير، وهو حقّ واجب عليك، والسلام.

وكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فإن الذي بلغك باطل، وإني لما تحت يدي لضابط، وله حافظ، فلا تصدّق الظنون^(٣) والسلام. فكتب إليه عليّ: أما بعد فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت، وفيما وضعت. فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك، (أني رزأته من أهل هذه البلاد)^(٤)، فابعث إلى عملك من أحببت، فإني طاعنٌ عنه، والسلام.

واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر، فاجتمعت معه (قيس كلها)^(٥)، فحمل مالاً وقال: هذه أرزاقنا (اجتمع، فنبهه أهل البصرة)^(٦) فلحقوه بالطفّ يريدون أخذ المال، فقالت قيس: والله لا يوصل إليه وفيما عين تطرف! فقال صبرة بن شيمان الحُدائي: يا معشر الأزد، إن قيساً إخواننا وجيراننا وأعواننا^(٧) على العدو، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لقليل، وهم لكم خيرٌ من المال. فأطاعوه فانصرفوا (وانصرف معهم بكر وعبد القيس)^(٨)، وقتلهم بنو تميم، (فنهاهم الأحنف، فلم يسمعوا منه، فاعتزلهم)^(٩)، وحجز الناس بينهم، ومضى ابن عباس إلى مكة^(١٠).

ذكر مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السلام^(١١)

وفي هذه السنة قُتل عليّ في شهر رمضان لسبع عشرة خلّت منه، وقيل: لإحدى

(١) في تاريخ الطبري زيادة «وآدى الأمانة».

(٢) عند الطبري «ودل».

(٣) في طبعة صادر ٣/٣٨٦ «الظنين».

(٤) ما بين القوسين من الأصل.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) في الأصل والنسخة (ي) بدل الموجود بين القوسين «وسار فيهم».

(٧) «وأعواناً» زيادة من النسخة (ر).

(٨) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١٠) الخبر باختصار عن تاريخ الطبري ١٤١/٥، ١٤٢.

(١١) انظر عن هذا الخبر في:

تاريخ خليفة ١٩٨، وأنساب الأشراف ٤٨٧ وما بعدها (تحقيق المحمودي)، وتاريخ يعقوبي ٢/٢١٢، =

عشرة، وقيل: ثلاث عشرة بقيت منه. وقيل: في شهر ربيع الآخر سنة أربعين^(١). والأول أصح.

قال أنس بن مالك: مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر، فجلستُ عنده، فأتاه النبي ﷺ فنظر في وجهه، فقال له أبو بكر وعمر: يا نبي الله ما نراه إلا ميتاً^(٢). فقال: ولن يموت هذا الآن، ولن يموت حتى يُملاً غيظاً، ولن يموت إلا مقتولاً.

وقيل من غير وجه: إنَّ علياً كان يقول: ما يمنع أشقاكم أن يُخْضِبَ هذه من هذه؟ يعني لحيته من دم رأسه^(٣).

وقال عثمان بن المغيرة: كان علي لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند أبي جعفر، لا يزيد على ثلاث لُقَم، يقول: (أحب أن)^(٤) يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان، فلم تمض ليلة^(٥) حتى قُتل.

وقال الحسن بن كثير، عن أبيه قال: خرج علي من الفجر، فأقبل الإوز يصحن في وجهه، فطردوه من عنده، فقال: ذَرُوهُمْ فَإِنَّهُمْ نَوَاحٍ، فضربه ابن مُلْجَم في ليلته^(٦).

وقال الحسن بن علي يوم قُتل علي: خرجتُ البارحة وأبي يصلي في مسجد داره، فقال لي: يا بُني إني بت أوقف أهلي، لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر، فملكنتني عينا،

= مروج الذهب ٤٢٣/٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ١٤٣/٥ وما بعدها، والأخبار الطوال ٢١١، والفتوح لابن أعم ١٣٦/٤ وما بعدها، ونهاية الأرب ٢٠٥/٢٠ وما بعدها، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠٧، وطبقات ابن سعد ٣٦/٣ وما بعدها، والاستيعاب ٦١/٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٥، والرياض النضرة ٢٤٥/٢، ومقاتل الطالبين ٢٨، ٢٩، والإمامة والسياسة ١٣٤/١، وشرح نهج البلاغة ٤٢/٢.

(١) تاريخ الطبري ١٤٣/٥.

(٢) في النسخة (ر) زيادة: «لما به».

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٣٣/٣ عن الفضل بن دكين، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل قال: دعا علي الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي. فردّه مرتين، ثم أتاه فقال: ما يجبس أشقاها، تُخْضِبَنَّ هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، ثم تمثل بهذين البيتين:

أشدُّ حيازيمك للموت فإن الموت آتيك
ولا تجزغ من القتل إذا حلَّ بواديك

وأخرجه من طريق سنان بن حبيب، عن نُبُل بنت بدر، عن زوجها. (٣٤/٣) وابن عبد البر في الاستيعاب ٦٠/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٤٧، والبلاذري في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٥٠٠.

(٤) من النسختين (ر) و(ي).

(٥) في الأصل «الثلاث».

(٦) الفتوح لابن أعم ١٣٧/٤، تاريخ يعقوبي ٢١٢/٢، مروج الذهب ٤٢٥/٢.

فمنّت، فسبح لي رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللّد؟ قال: والأود العوج، واللّد الخصومات - فقال لي: ادعُ عليهم. فقلتُ: اللهم أبدلني بهم مَنْ هو خيرٌ منهم، وأبدلهم بي مَنْ هو شرٌّ مني! فجاء ابن النّباح^(١) فأَذنه بالصلاة، فخرج وخرجت خلفه، فضربه ابن مُلجَم فقتله. (وكان، عليه السّلام، إذا رأى ابن مُلجَم قال:

أريدُ حياتَهُ^(٢) ويريدُ قتلي عذيرَكَ من خليلِكَ^(٣) من مُراد^(٤))

وكان سبب قتله، أنّ عبد الرحمن بن مُلجَم المُرادِيّ، والبُرَك بن عبد الله التميميّ (الصُّرَيْمِيّ، وقيل اسم البُرَك الحجاج^(٥))، وعمرو بن بكر التميميّ السعديّ، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولّاتهم^(٦) ثمّ ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شربنا أنفُسنا، وقتلنا أئمة الضلالة، وأرْحنا منهم البلاد! فقال ابن مُلجَم: أنا أكفيكم عليّاً، (وكان من أهل مصر^(٧)). وقال البُرَك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص^(٨).

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدُهم عن صاحبه الذي توجّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسمّوها، واتّعدوا لسبع عشرة من رمضان. وقصد كلّ رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأَتى ابن مُلجَم الكوفة، فلقي أصحابه بالكوفة وكتّمهم أمره، ورأى^(٩) يوماً أصحاباً^(١٠) له من تيم الرّباب، وكان عليّ قد قتل منهم يوم النهر عدّة، فتذكروا قتلى

- (١) في تاريخ الإسلام ٦٤٨ «ابن النّباح» بالحاء المهملة. وهو: عامر بن النّباح مؤدّن عليّ رضي الله عنه. وانظر أنساب الأشراف ٤٩٥، ومقاتل الطالبين ٤١، وشرح النهج ٤٥/٢.
- (٢) في طبقات ابن سعد ٣/٣٤، وأنساب الأشراف ٥٠٢ «حياة».
- (٣) في الفتوح لابن أعثم ٤/١٣٦ «خليلي من عذيري» وفي طبعة صادر ٣/٣٨٨ «خليلك».
- (٤) ما بين القوسين من الأصل. والبيت في: خزانة الأدب ٤/٢٨١، ونهاية الأرب ٢٠/٢١١، والكتاب لسبويه ١/١٣٩ وفي: طبقات ابن سعد ٣/٣٤، وأنساب الأشراف ٥٠٢، والكامل للمبرّد ٥٥٠، وسمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي ٢/٤٦٦، وشرح نهج البلاغة ٢/١٧٠، والفتوح لابن أعثم ٤/١٣٦، ومقاتل الطالبين ٣١، والإرشاد في أسماء وأئمة الهدى للمفيد - طهران ١٣٣٠ - ص ٦، وشرح شافعية أبي فراس ٩٩.
- (٥) ما بين القوسين من الأصل.
- (٦) في تاريخ الطبري ٥/١٤٣ «وعابوا على ولاتهم».
- (٧) من الأصل.
- (٨) انظر: أنساب الأشراف ٤٨٧.
- (٩) في الأصل «ومكث».
- (١٠) في الأصل «عند أصحاب».

النهر، ولقي معهم امرأة من تيم الرِّباب اسمها قَاطِمٌ ، وقد قُتِلَ أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال. فلمَّا رآها أخذت قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوَّجك حتى تشفي لي^(١). فقال: وما تريدان؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبدًا وقينةً، وقَتَلَ عليّ. فقال: أما قتل عليّ فما أراكِ ذكركِ وأنتِ تريدني^(٢). قالت: بلى، التمس غِرَّتَهُ، فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي، ونفعك العيشُ معي^(٣)، وإن قُتِلتَ فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها. قال: والله ما جاء بي إلَّا قتل عليّ، فلكِ ما سألتِ. قالت: سأطلب لك من يشدّ^(٤) ظهركَ ويساعدك. وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وَرْدَانٌ وكَلَّمته، فأجابها، وأتى ابنُ ملجَم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بَجْرَةَ فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وماذا؟ قال: قتل عليّ. قال شبيب: ثكلتك أمك! لقد جئتَ شيئاً إداً! كيف تقدر على قتله^(٥)؟ قال: أكمُن له في المسجد، فإذا خرج إلى صلاة الغداة شَدَدْنَا عليه فقتلناه، فإن نجونا فقد شَفِينَا أَنْفُسَنَا، وإن قُتِلْنَا فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غير عليّ كان أهْوَنَ، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام، وما أجْدُنِي أنشرح لقتله. قال: أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من أصحابنا. فأجابه^(٦).

فلَمَّا كان ليلة الجمعة، وهي الليلة التي واعد ابنُ مُلْجَم أصحابه على قتل عليّ، وقُتِلَ معاوية وعمرُو، أخذ سيفه ومعه شبيب ووَردَان، وجلسوا مقابل السُّدَّة^(٧) التي يخرج منها عليّ للصلاة، فلَمَّا خرج عليّ نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة. فضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب، وضربه ابنُ مُلْجَم على قرنه بالسيف، (وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك)^(٨)!. وهرب وَردَان فدخل منزله، فأتاه رجل من أهله، فأخبره وَردَان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه، فضرب به وَردَان حتى قتله.

(١) في النسخة (ي): «تشفيني قلبي».

(٢) عند الطبري ١٤٤/٥ «تريد مني».

(٣) عند الطبري «ويهنتك العيش بلى».

(٤) عند الطبري «يسند».

(٥) عند الطبري ١٤٤/٥ «كيف تقدر على عليّ».

(٦) تاريخ الطبري ١٤٣/٥ - ١٤٥، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٦، والفتوح لابن أعمش ٤/١٣٤، ١٣٥، وأنساب الأشراف ٤٩١، ومروج الذهب ٢/٤٢٣، ٤٢٤، والأخبار الطوال ٢١٣، ومقاتل الطالبين ٣٢.

(٧) في الأصل والنسخة (ي): «الباب».

(٨) العبارة بين القوسين ليست في تاريخ الطبري. والعبارة باختصار عن طبقات ابن سعد ٣/٣٧، وأنساب الأشراف ٤٩٥.

وهرب شبيب في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حَضْرَمَوْت يقال له عُويْمَر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجلس عليه، فلَمَّا رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا، وهرب شبيب في غمار الناس^(١).

ولما ضرب ابن مُلْجَم علياً قال: لا يفوتنكم الرجل^(٢). فشَدَّ الناس عليه فأخذه، وتأخَّر عليّ وقَدَّم جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة، وهو ابن أخته أُم هانئ، يصلي بالناس الغداة، وقال عليّ: أحْضِرُوا الرجل عندي. فادخل عليه. فقال: أي عدو الله! ألم أحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذتُه أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال عليّ: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله^(٣). ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكْتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي^(٤)، يا بني عبد المطلب لا أُلْفِيَنَّكُمْ تخوضون دماء المسلمين، تقولون قد قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتَلَنَّ إلا قاتلي، انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربتي^(٥) هذه، فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثِّلَنَّ^(٦) بالرجل، فإنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمُثَلَّة ولو^(٧) بالكلب العقور»^(٨).

(هذا كله)^(٩) وابن مُلْجَم مكتوف. فقالت له أُم كلثوم ابنة علي: أي عدو الله! لا بأس على أبي، والله مُخْزِيكَ! قال: فعلى من تبكين^(١٠)؟ والله إن سيفي اشتريته بألف، وسممته بألف^(١١)، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد^(١٢).

ودخل جُنْدَب بن عبد الله على عليّ فقال: إن فقدناك، ولا نفقدك، فنبايع الحسن؟ قال: ما أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما:

- (١) تاريخ الطبري ١٤٥/٥، مقاتل الطالبين ٣٥.
- (٢) طبقات ابن سعد ٣٧/٣، أنساب الأشراف ٤٩٥.
- (٣) حتى هنا عند الطبري ١٤٥/٥.
- (٤) تاريخ الطبري ١٤٦/٥، مقاتل الطالبين ٣٦.
- (٥) عند الطبري «من ضربته».
- (٦) عند الطبري «ولا تمثِّل».
- (٧) عند الطبري «ولو أنها».
- (٨) رواه الطبراني بإسناد منقطع. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٩/٦.
- (٩) من النسخة (ر).
- (١٠) في الأصل «تقولين ذلك».
- (١١) في طبقات ابن سعد «لقد سممته شهراً».
- (١٢) انظر طبقات ابن سعد ٣٧/٣ والخبر في تاريخ الطبري ١٤٦/٥، وفي أنساب الأشراف ٤٩٥ بأهل عكاظ، ويقال بربيعة ومُضَر، ومقاتل الطالبين ٣٦.

أوصيكمما بتقوى الله، ولا^(١) تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما،
 وقولا الحق، وارجما اليتيم، وأعيننا الضائع^(٢)، واصنعوا للأخرة^(٣)، وكونا للظالم خصيماً^(٤)،
 وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله^(٥)، ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر
 إلى محمد بن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخوتك؟ قال: نعم. قال: فإني
 أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخوتك، لعظيم^(٦) حقهما عليك (فاتبع^(٧) أمرهما)^(٨) ولا
 تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكمما به، فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن
 أباكما كان يحبه. وقال للحسن: أوصيك أي بُني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء
 الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور^(٩)، وأوصيك بغفر الذنب،
 وكظم الغيظ، وصلة الرِّجَم^(١٠)، والحلم عن الجاهل^(١١)، والتفقه^(١٢) في الدين، والتثبت
 في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
 واجتناب الفواحش^(١٣).

ثم كتب وصيته، ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى مات، رضي الله عنه
 وأرضاه^(١٤).

وغسّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها
 قميص^(١٥). وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات^(١٦).

- (١) عند الطبري «وآل».
- (٢) عند الطبري «وأغيثا الملهوف».
- (٣) في الطبعة الأوربية «لأخرق».
- (٤) عند الطبري «خصماً».
- (٥) عند الطبري «في الكتاب».
- (٦) في الطبعة الأوربية «العظيم».
- (٧) في الطبعة الأوربية «وتزين».
- (٨) ما بين القوسين ورد بدله في النسخة (ي): «وترى حرمتها».
- (٩) عند الطبري زيادة: «ولا تقبل صلاة من مانع زكاة».
- (١٠) في الطبعة الأوربية «الحرم».
- (١١) عند الطبري «والحلم عند الجهل».
- (١٢) في النسخة (ي): «والثقة».
- (١٣) تاريخ الطبري ١٤٦/٥، ١٤٧، مروج الذهب ٤٢٥/٢، والفتوح ١٤٢/٤.
- (١٤) تاريخ الطبري ١٤٨/٥.
- (١٥) طبقات ابن سعد ٣٧/٣، تاريخ الطبري ١٤٨/٥، أنساب الأشراف ٤٩٦ رقم ٥٣٣، مقاتل الطالبين، ٤١.
- (١٦) مروج الذهب ٤٢٦/٢، وفي تاريخ الطبري ١٤٨/٥ «تسع تكبيرات» وفي أنساب الأشراف ٤٩٦ «كبر عليه أربعا». وص ٤٩٧، وفي المقاتل خمس تكبيرات.

فلَمَّا قُبِضَ بعث الحسن إلى ابن مُلَجِّم فأحضره، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله قد أعطيتُ الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلّا وفيتُ به، وإني عاهدتُ الله عند الحَظِيم أن أقتل عليّاً ومعاوية، أو أموت دونهما، فإن شئتُ خلّيتُ بيني وبينه، فلك الله عليّ إن لم أقتله أو قتلته، ثم بقيتُ أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: لا والله حتى تعالين النار. ثم قدّمه فقتله، وأخذته الناس فأدرجوه في بوارِي^(١) وأحرقوه بالنار^(٢).

قال عمرو بن الأصم: قلتُ^(٣) للحسن بن علي: إنّ هذه الشيعة تزعم أن عليّاً مبعوث قبل القيامة! فقال: كذب والله هؤلاء الشيعة^(٤)، لو علمنا أنه مبعوث قبل القيامة زوجنا نساءه، ولا قسّمنا ماله^(٥). أمّا قوله: هذه الشيعة، فلا شكّ أنّه يعني طائفة منها، فإنّ كلّ شيعة لا تقول هذا، إنّما تقوله طائفة يسيرة منهم، ومن مشهوري هذه الطائفة: جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه.

بَجَرَة: بفتح الباء والجيم. (والبرك: بضمّ الباء الموحّدة، وفتح الراء، وآخره كاف)^(٦).

وأما البرك بن عبد الله، فإنّه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضُرب فيها عليّ، فلَمَّا خرج معاوية ليصليّ الغداة، شدّ عليه بالسيف، فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال: إنّ عندي خبراً أسرك به، فإن أخبرتك فنافعي^(٧) ذلك [عندك]؟ قال: نعم. قال: إنّ أخاً لي قد قتل عليّاً هذه الليلة. قال: فلعلّه لم يقدر على ذلك. قال: بلى، إنّ عليّاً ليس معه أحد يحرسه. فأمر به معاوية فقتل.

وبعث معاوية إلى السّاعديّ، وكان طبيباً، فلَمَّا نظر إليه قال: اخترّ إمّا أن أحمي حديدة فأضعها^(٨) موضع السيف، وإمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإنّ ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أمّا النار فلا صبر لي عليها، وأمّا الولد فإنّ في يزيد

(١) البواري: جمع بارية: الحصير المنسوج.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٨/٥، ١٤٩، مقاتل الطالبين ٤١.

(٣) عند البلاذري: «قيل للحسن».

(٤) في الطبعة الأوربية «كذبوا والله هؤلاء بالشيعة». وفي أنساب الأشراف: «كذبوا ليس أولئك شيعة ولكنهم أعداؤه».

(٥) أنساب الأشراف ٥٠٢ رقم ٥٥٢، وطبقات ابن سعد ٣٩/٣.

(٦) ما بين القوسين (والبرك...) من النسخة (ر).

(٧) في النسخة (ي): «فشافني».

(٨) في الأصل «وأكوي بها».

وعبد الله ما تقرّ به عيني . فسقاه شربة فبراً ، ولم يولد له بعدها^(١) .

وأمر معاويةً عند ذلك بالمقصورات ، وحرّس الليل ، وقيام الشرط على رأسه إذا سجد^(٢) . وهو أوّل من عملها في الإسلام . وقيل : إنّ معاوية لم يقتل البرك ، وإنّما أمر فقطعت يده ورجله ، وبقي إلى أن ولي زياد البصرة ، وكان البرك قد صار إليها ، ووُلد له ، فقال له زياد : يُولد لك ، وتركّت أمير المؤمنين لا يُولد له ؟ فقتله وصلبه .

وأما عمرو بن بكر ، فإنّه جلس لعمر بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجه بن أبي حبيبة ، وكان صاحب شرطته ، وهو من بني عامر بن لؤي ، فخرج ليصلي بالناس ، فشّد عليه وهو يرى أنّه عمرو بن العاص ، فضربه فقتله ، فأخذه الناس إلى عمرو ، فسلموا^(٣) عليه بالإمرة . فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمرو . قال : فمَنْ قتلْت ؟ قالوا : خارجه^(٤) . قال : أما والله يا فاسق ما ظننته^(٥) غيرك ! فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجه . فقدّمه عمرو فقتله^(٦) .

قال : ولما بلغ عائشة قتل عليّ قالت :

فألقْتُ عصاها واستقرّت^(٧) بها النوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المُسافر^(٨)

ثمّ قالت : مَنْ قتله ؟ فقيل : رجل من مُراد . فقالت :

فإنْ يك نائياً^(٩) فلقد نعا^(١٠) نعي^(١١) ليس في فيه التراب^(١٢)

-
- (١) تاريخ الطبري ، مقاتل الطالبين ٣٠ .
 - (٢) تاريخ الطبري ١٤٩/٥ ، الأخبار الطوال ٢١٥ .
 - (٣) عند الطبري ١٤٩/٥ «يسلمون» .
 - (٤) عند الطبري «خارجه بن حذافة» .
 - (٥) في الأصل : «قصدت» .
 - (٦) تاريخ الطبري ١٤٩/٥ ، الأخبار الطوال ٢١٦ ، مقاتل الطالبين ٣٠ .
 - (٧) في طبعة صادر ٣٩٤/٣ «واستقر» .
 - (٨) البيت في : أنساب الأشراف ٥٠٥ ، وتاريخ الطبري ١٥٠/٥ ، وطبقات ابن سعد ٤٠/٣ ، ومقاتل الطالبين ٤٢ ، ولسان العرب (مادة : عصا) ، وقد نسب لعبد ربه السلمي ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفي ، أو معقر بن حمار البارقي .
 - (٩) في الطبعة الأوربية «نائباً» ، وكذلك في : مقاتل الطالبين .
 - (١٠) في مقاتل الطالبين «بغاه» .
 - (١١) في تاريخ الطبري ومقاتل الطالبين «غلام» .
 - (١٢) البيت في : تاريخ الطبري ١٥٠/٥ ، ومقاتل الطالبين ٤٢ .

(فَقَالَتْ زَيْنْتُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ: أَتَقُولِينَ هَذَا لِعَلِيٍّ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي أَنْسَى، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي^(١)). وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَيْيَاسٍ الْمُرَادِيُّ:

فَنَحْنُ^(٢) ضَرْبُنَا، يَا لَكَ الْخَيْرُ، حِيدِرًا
وَنَحْنُ خَلَعْنَا مُلْكَهُ مِنْ نِظَامِهِ
وَنَحْنُ كِرَامٌ فِي الصَّبَاحِ أَعِزَّةٌ
وَقَالَ أَيْضًا^(٣):

وَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ^(٤)
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدًا^(٥) وَقَيْنَةً
فَلَا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ^(٦) فِي قَتْلِ عَلِيٍّ:

أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ^(٧)
أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعَتُمُونَا
فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ^(٨)
بِخَيْرِ النَّاسِ طَرًّا أَجْمَعِينَ^(٩)

(١) تاريخ الطبري ١٥٠/٥، مقاتل الطالبين ٤٢.

(٢) عند الطبري «ونحن».

(٣) المأمومة: الشجة التي تبلغ أم الرأس.

(٤) في النسخة (ر) وتاريخ الطبري «إذا الموت».

(٥) ما بين القوسين من قوله: (فَقَالَتْ..) حتى آخر الأبيات، من الأصل. والأبيات في تاريخ الطبري

١٥٠/٥، وأنساب الأشراف ٥٠٨ بزيادة بيت بعد البيت الثاني.

(٦) في الأصل: «وقال الشاعر».

(٧) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «سفاهة».

(٨) ورد الشطر الثاني في: الأخبار الطوال، وتاريخ الطبري هكذا: «من فصيح وأعجم».

(٩) في الأخبار الطوال؛ والفتوح لابن أعثم «عبدًا».

(١٠) في الفتوح «المستم».

(١١) في تاريخ الطبري «دون قتل».

(١٢) الأبيات في: الأخبار الطوال ٢١٤، وتاريخ الطبري ١٥٠/٥، والفتوح لابن أعثم ١٤٧/٤، وسمط النجوم

العوالي ٤٦٨/٢، والكامل للمبرّد ٥٤٩، وشرح نهج البلاغة ١٧١/٢، والاستيعاب ٤٧٢/٣، وأنساب

الأشراف (تحقيق المحمودي) ٥٠٧، ونهاية الأرب ٢٠٨/٢٠، وقد اختلفوا في قائل هذه الأبيات فعند

الطبري: ابن أبي مَيْيَاسٍ الْمُرَادِيُّ، وفي سمط النجوم: للفرزدق. وفي الكامل للمبرّد نسبت إلى ابن

ملجم. وفي الأخبار الطوال: وقال الشاعر. وفي الفتوح لابن أعثم: نسبت للعبيدي.

(١٣) وقيل لأم الهيثم بنت الأسود النخعية.. (مقاتل الطالبين ٤٣) و(نهاية الأرب ٢٠/٢١٦).

(١٤) في نهاية الأرب:

«أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا»

(١٥) هذا البيت ليس في: مقاتل الطالبين.

(١٦) هذا البيت ليس في: أنساب الأشراف.

ورحّلها^(١) ومَن ركبَ السّفِينَا
ومَن قرأَ المَثَانِي والمِثِينَا^(٢)
رأيتَ البَدْرَ راعٍ^(٣) الناظِرِينَا^(٤)
بأنك خيرُها^(٥) حَسْباً وِدِينَا^(٦)

قتلتُم^(١) خيرَ مَن ركبَ المَطايا
ومَن لَيسَ النّعالُ (ومن حذاها)^(٢)
إذا استقبلتَ وجهَ أبي حَسينَ^(٣)
لقد علمتَ قَرِيشَ حيثَ كانتَ^(٤)

(وقال بكر بن حمّاد التاهري^(١)):

هدمتَ للدين والإسلام^(١) أركانَا
وأعظَمَ^(٢) النَّاسِ إسلاماً وإيمانَا
سَنَ الرّسُولِ لَنَا شِرعاً وتَبيانَا
أضحتَ مناقِبُهُ نُوراً وبُزْهانَا
مكانَ هارونَ من موسى بنِ عِمْرانَا
فقلتُ سبْحانَ رَبِّ العَرْشِ^(٣) سبْحانَا
كلّا ولكنَّهُ قد كانَ^(٤) شيطانَا

قل لابنِ مُلجَمٍ والأقدارُ غالبةٌ:
قتلتَ أَفْضَلَ مَن يَمْشي على قَدَمٍ
وأعلمَ النَّاسِ بالقرآنِ ثمَّ بما
صَهَرَ النَّبِيَّ ومولاهُ^(١) وناصرَهُ
وكانَ مِنْهُ على رُغمِ الحَسودِ لَهُ
ذَكَرْتُ قاتِلَهُ والدَمْعُ منحدِرٌ
إِنِّي لأحسِبُهُ ما كانَ من أنسٍ^(٢)

- (١) في: مقاتل الطالبين «رزئنا».
- (٢) في: الأغاني، ومقاتل الطالبين: «وخيسها»، وفي: مروج الذهب، ونهاية الأرب «وذللها»، وفي: أنساب الأشراف: «وأكرمهم».
- (٣) في النسخة (ي): «واحتذاها».
- (٤) في تاريخ الطبري، ومروج الذهب، ونهاية الأرب «والمبينا». وفي أنساب الأشراف، والأغاني: «المثينا».
- (٥) في نهاية الأرب: «أبي تراب».
- (٦) في الأغاني: «راق». وفي مروج الذهب، ونهاية الأرب: «فوق».
- (٧) هذا البيت ليس في أنساب الأشراف، ومقاتل الطالبين.
- (٨) في الأغاني: «حيث حلت».
- (٩) في أنساب الأشراف، ومروج الذهب، ونهاية الأرب: «خيرهم».
- (١٠) هذا البيت ليس في مقاتل الطالبين. وانظر الأبيات في: أنساب الأشراف ٥٠٨، وتاريخ الطبري ١٥٠/٥، ١٥١، والأغاني ٣٢٩/١٢، ومروج الذهب ٤٢٨/٢، ومقاتل الطالبين ٤٣، ٤٤، ونهاية الأرب ٢١٦/٢٠، ٢١٧، والاستيعاب ٦٦/٣، وإنباه الرواة ١٩/١، وهي في ديوان أبي الأسود الدؤلي ٣٢.
- (١١) في طبعة صادر ٣٩٥/٣ «حساد الباهري» وهو تصحيف.
- (١٢) في مروج الذهب «هدمت ويلك للإسلام»، وفي نهاية الأرب «هدمت ويحك للإسلام».
- (١٣) في مروج الذهب، ونهاية الأرب: «وأول».
- (١٤) في المروج «ومولانا».
- (١٥) في المروج، والنهاية: «رب الناس».
- (١٦) في المروج، والنهاية «من بشر».
- (١٧) في الطبعة الأوربية: «لكنان»، وفي المروج، والنهاية: «بخشى المعاد ولكن كان».

قد كان يخبرهم [هذا] بمقتله^(١) فلا عفا الله عنه سوء فعلته^(٢) يا ضربة من شقي^(٣) ما أراد بها بل ضربة من غوي^(٤) أوردته^(٥) لظي كانه لم يرد قضدا بضربته

قبل المنية أزماناً فأزماناً ولا سقى قبر عمران بن حطان^(٦) إلا ليبلغ من ذي العرش رُضواناً وسوف يلقي بها الرحمن^(٧) غضباناً إلا ليصلي عذاب الخلد نيراناً^(٨)

ذكر مدة خلافته ومقدار عمره

وقد قال بعضهم: كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر^(٩)، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة^(١٠)، وقيل: كان عمره تسعاً وخمسين، وقيل: خمساً وستين، وقيل: ثمانياً وخمسين^(١١). والأول أصح. ولما قُتل دُفن عند مسجد الجماعة^(١٢)، وقيل: في القصر، وقيل غير ذلك. (والأصح أن قبره هو الموضع الذي يُزار ويُتبرك به)^(١٣).

ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده

كان آدم شديد الأدمة، ثقیل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر، هو إلى القصر أقرب^(١٤)، وقيل: كان فوق الرُبعة، وكان ضخماً عضلة

(١) في المروج، والنهاية: «قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها».

(٢) في المروج، والنهاية: «فلا عفا الله عنه ما تحمله».

(٣) في الطبعة الأوربية:

فلا عني الله عنها ما عمله قبر عمران بن حطان
وفي مروج الذهب «حطاباً» وهو غلط.

وعمران بن حطان شاعر مشهور له أبيات يمدح فيها ابن ملجم لقتله علي رضي الله عنه. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (بتحقيقنا) حوادث وفيات ٨١ - ١٠٠ هـ. في حرف العين من وفيات الطبقة الثامنة.

(٤) في المروج، والنهاية: «من تقي».

(٥) في المروج: «أورثته».

(٦) في المروج: «مخلداً قد أتى الرحمن».

(٧) ما بين القوسين من أول قوله: وقال بكر. حتى هنا، من النسختين (ي) و (ر). والأبيات من جملة أبيات

أخرى في: مروج الذهب ٢/٤٢٧، ٤٢٨، ونهاية الأرب ٢٠/٢١٤، ٢١٥.

(٨) تاريخ الطبري ١٥١/٥، وفي تاريخ يعقوبي ٢/٢١٣ «وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر».

(٩) تاريخ يعقوبي ٢/٢١٢، تاريخ الطبري ١٥١/٥.

(١٠) تاريخ خليفة ١٩٩.

(١١) طبقات ابن سعد ٦/١٢، تاريخ الطبري ٥/١٥٢.

(١٢) ما بين القوسين من النسختين (ي) و (ر).

(١٣) طبقات ابن سعد ٣/٢٧، تاريخ الطبري ٥/١٥٣، أنساب الأشراف ١٢٦ رقم ٩٣.

الذراع، دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها^(١)، وكان من أحسن الناس وجهاً، ولا يُغَيَّرُ شَيْئُهُ، كثير التَّبَسُّم.

وأما نسبه فهو علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف (بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف)^(٢). وهو أول خليفة، أبواه هاشميّان، ولم يلِ الخلافة إلى وقتنا هذا من أبواه هاشميّان غيره، وغير الحسن ولده، ومحمد الأمين، فإن أباه هارون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور^(٣).

وأما أزواجه، فأول زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله ﷺ لم يتزوَّج عليها حتى توفيت عنده، وكان له منها: الحسن والحسين، وقد ذكر أنه كان له منها ابن آخر يُقال له مُحَسَّن، وأنه توفي صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى. ثم تزوّج بعدها أم البنين بنت حرام^(٤) الكلبيّة، فولدت له العباس، وجعفر، وعبد الله، وعثمان، قُتِلوا مع الحسين (بالطّف)، ولا بقيّة لهم غير العباس؛ وتزوَّج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشليّة التميميّة، فولدت له عُبيد الله وأبا بكر، قُتِلا مع الحسين^(٥). وقيل: إن عُبيد الله قتله المختار بالمدار^(٦)، وقيل: لا بقيّة لهما. وتزوَّج أسماء بنت عميس الخثعميّة، فولدت له محمداً الأصغر، ويحيى، ولا عقب لهما. وقيل: إن محمداً لأم ولد، وقُتِل مع الحسين. وقيل: إنها ولدت له عوناً. وله من الصُّهباء بنت ربيعة التغلبيّة، وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وولدت له عمر بن علي، ورقيّة بنت علي، فعمر حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراث علي، ومات ببئع. وتزوَّج عليّ أُمّامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له محمداً الأوسط، وله محمد بن عليّ الأكبر، الذي يُقال له ابن الحنفية، أمه خولة بنت جعفر، من بني حنيفة. وتزوَّج عليّ أيضاً أمّ سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفيّة، فولدت له أمّ الحسن، ورملة الكبرى، (وأمّ كلثوم)^(٧)، وكان له بنات من أمّهات شتى لم يُذكرن لنا، منهنّ أمّ هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأمّ كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمّامة، وخديجة، وأمّ الكرام، وأمّ سلّمة، وأمّ جعفر،

(١) طبقات ابن سعد ٢٦/٣.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٣) هذا القول للمؤلف، رحمه الله.

(٤) عند الطبري ١٥٣/٥ «حزام».

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

(٦) في نسخة المتحف البريطاني، والنسخة (ي): «بالمداثر».

(٧) زيادة من الأصل، والنسخة (ر)، وهي ليست في تاريخ الطبري.

وَجُمَانة، ونفيسة^(١)، كلهن من أمهات أولاد. وتزوج أيضاً مَخْبَأة^(٢) بنت امرئ القيس بن عديّ الكلبيّة، فولدت له جارية هلكت صغيرة، كانت تخرج إلى المسجد فيقال لها: مَنْ أحوالك؟ فتقول: وَهْ وَهْ، تعني كلباً.

فجميع ولده أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة امرأة، وكان النسل منهم للحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية^(٣).

ذكر عمّاله

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس، وقد ذكرنا الاختلاف في أمره، وكان إليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها^(٤)، وكان على قضائها من قبل عليّ أبو الأسود الدؤلي^(٥)، وكان على فارس زياد، وقد ذكرنا مسيره إليها، وكان على اليمن عبيد الله بن عباس، حتي كان من أمره وأمر بُسر بن أبي أرطاة ما ذكر^(٦)، وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس^(٧)، وكان على المدينة أبو أيوب الأنصاري، وقيل: سهل بن حنيف، وكان عند قدوم بُسر عليه من أمره ما كان، وذكر^(٨).

ذكر بعض سيرته

كان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ خازناً لعليّ على بيت المال، فدخل عليّ يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: من أين لها هذه؟ لأقطعن يدها! فلما رأى أبو رافع جدّه في ذلك قال: أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها^(٩). فقال عليّ: لقد تزوجت بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها.

قال ابن عباس: قُسم على الناس خمسة أجزاء، فكان لعليّ منها أربعة أجزاء،

-
- (١) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «نقية».
 - (٢) في نسخة مكتبة بودليان «مخياة»، وفي النسخة (ي): «محيات»، وفي تاريخ الطبري ١٥٥/٥ «مخياة».
 - (٣) تاريخ الطبري ١٥٣/٥ - ١٥٥، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢١٣/٢، وطبقات ابن سعد ١٩/٣، وأنساب الأشراف ١٨٩ - ١٩٦.
 - (٤) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
 - (٥) تاريخ خليفة ٢٠٠، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
 - (٦) تاريخ خليفة ٢٠٠، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
 - (٧) خليفة ٢٠١، الطبري ١٥٥/٥.
 - (٨) خليفة ٢٠١، الطبري ١٥٦/٥.
 - (٩) تاريخ الطبري ١٥٦/٥.

ولسائر الناس جزء شاركهم عليّ فيه، فكان أعلمهم به.

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب النبي ﷺ ما جاء لعليّ.

وقال عمرو بن ميمون: لما ضُرب عمر بن الخطّاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة، فلمّا خرجوا من عنده قال: إن يولّوها الأجلح يسلك بهم الطريق، فقال له ابنه عبد الله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين (من توليته)^(١)؟ قال: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميتاً.

وقال عاصم بن كليب عن أبيه: قدّم على عليّ مالٌ من أصبهان، فقسّمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فقسّمه على سبعة، ودعا أمراء الأسباع، فأقرع بينهم لينظر أيّهم يُعطى أولاً.

وقال هارون بن عنترة، عن أبيه: دخلتُ على عليّ بالخوّزَنق، وهو فصل شتاء، وعليه خلقٌ قطيفة، وهو يُرعد فيه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنّ الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك؟ فقال: والله ما أرزأكم شيئاً، وما هي إلّا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة.

وقال يحيى بن سلّمة: استعمل عليّ عمرو بن سلّمة على أصبهان، فقدّم معه مال، وزقاقٌ فيها عسلٌ وسمنٌ، فأرسلتُ أمّ كلثوم بنت عليّ إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلًا، فأرسل إليها ظرفٌ عسلٌ وظرفٌ سمن. فلمّا كان الغد خرج عليّ وأحضر المال والعسل والسمن ليُقسّم، فعَدّ الزقاق فنقصت زقّين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلّا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أمّ كلثوم فأخذت الزقّين منها، فراهما قد نقصا، فأمر التجّار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثمّ قسم الجميع.

وقيل: وخرج من همدان، فرأى رجلين يقتتلان، ففرّق بينهما ثمّ مضى، فسمع صوتاً: يا غوثاه بالله! فخرج يحضر نحوه وهو يقول: أذاك الغوث. فإذا رجلٌ يلازم رجلاً. فقال: يا أمير المؤمنين بعث هذا ثوباً بسبعة دراهم، وشرطتُ أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً، وكان شرطهم يومئذ، فأتاني بهذه الدراهم، فأتيّت ولزمته، فلطمني. فقال للأطم: ما تقول؟ فقال: صدق يا أمير المؤمنين. فقال: أعطه شرطه. فأعطاه. وقال للملطوم: اقتصّ. قال: أوأعفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك إليك. ثمّ قال: يا معشر المسلمين خذوه، فأخذوه، فحُمِل على ظهر رجل كما يُحمل صبيان الكتاب، ثمّ ضربه

(١) من الأصل.

خمس عشرة درّة وقال: هذا نكال لما انتهكت من حرّمته^(١).

ولما قُتل، عليه السّلام، قام ابنه الحسن خطيباً فقال: لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رُفع عيسى، وفيها قُتل يوشع بن نون، واللّهُ ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، واللّهُ إن كان رسول الله ﷺ يبعثه في السريّة وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واللّهُ ما ترك (صفراء ولا بيضاء)^(٢) إلّا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية^(٣).

وقال سفيان: إنّ عليّاً لم يبنِ أجرة على آجرة، ولا لبنّة على لبنّة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتّى بحبوه من المدينة في جراب.

(وقيل: إنّهُ أخرج سيفاً له إلى السوق فباعه وقال: لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار^(٤) لم أبعه. وكان لا يشتري ممّن يعرفه، وإذا اشترى قميصاً قدّر كمّه على طول يده، وقطع الباقي^(٥)). وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أحبّ أن يدخل بطني إلّا ما أعلم.

وقال الشّعبيّ: وجد عليّ درعاً له عند نصرانيّ، فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي! فقال النصرانيّ: ما هي إلّا درعي، ولم يكذب أمير المؤمنين؟ فقال شريح لعليّ: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصرانيّ الدرع ومشى سيراً، ثمّ عاد وقال: أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه. ثمّ أسلم واعترف أنّ الدرع سقطت من عليّ عند مسيره إلى صفّين، ففرح عليّ بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً، وشهد معه قتال الخوارج.

وقيل: إنّ عليّاً رُوي وهو يحمل في ملحفته تمرّاً قد اشتراه بدرهم، ف قيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحقّ بحمله.

وقال الحسن بن صالح: تذاكروا الزّهّاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: أزهّد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب.

وقال المدائنيّ: نظر عليّ إلى قوم يبابه، فقال لقنبر مولاه: من هؤلاء؟ قال:

(١) تاريخ الطبري ١٥٧/٥.

(٢) في نسخة مكتبة بودليان: «بيضاء ولا سوداء».

(٣) في النسخة (ي): «بجارية». والخبر في تاريخ الطبري ١٥٧/٥.

(٤) في النسخة (ي): «أرز».

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

شيعتك يا أمير المؤمنين. قال: وما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة؟ قال: وما سيماهم؟ قال: خُمص البطون من الطوى، يُسّ الشفاه من الظلم، عُمّش العيون من البكاء. (ومناقبه لا تحصى، قد جمعتُ قضاياها في كتاب مفرد)^(١).

ذكر بيعة الحسن بن عليّ

وفي هذه السنة، أعني سنة أربعين، بُوع الحسن بن عليّ بعد قتل أبيه. وأوّل من بايعه قيس بن سعد الأنصاريّ، وقال له: ابسط يدك أبايعك^(٢) على كتاب الله وسنة نبيّه، وقتال المُجَلّين. فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله، فإنّهما يأتیان على كلّ شرط. فبايعه الناس^(٣). وكان الحسن يشترط عليهم: إنكم مطيعون تُسالمون مَنْ سألتم، وتحاربون مَنْ حاربْت. فارتابوا بذلك وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلّا القتال.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة المُغيرةُ بن شُعبة^(٤)، واقتعل كتاباً على لسان معاوية^(٥)، فيقال: إنّه عرّف يوم التروية، ونحر يوم عرفة خوفاً أن يُقطن لفعله^(٦). وقيل: فعل ذلك لأنّه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان مصّبحه والياً على الموسم^(٧).

وفيهما بُوع معاوية بالخلافة ببيت المقدس^(٨)، وكان قبل ذلك يُدعى بالأمير في بلاد الشام، فلمّا قُتل عليّ دُعي بأمير المؤمنين، (هكذا قال بعضهم)^(٩)، وقد تقدّم أنّه بُوع بالخلافة بعد اجتماع الحكّمين، (والله أعلم). وكانت خلافة الحسن ستّة أشهر^(١٠).

[الوفيات]

وفيهما مات الأشعث بن قيس الكندي^(١١) بعد قتل عليّ بأربعين ليلة، وصلى عليه

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين (ر) و(ي).

(٢) من النسخة (ر) والأصل.

(٣) تاريخ الطبري ١٥٨/٥.

(٤) تاريخ خليفة ١٩٩، تاريخ الطبري ١٦٠/٥، مروج الذهب ٣٩٧/٤.

(٥) زاد الطبري ١٦٠/٥: «فأقام للناس الحج سنة أربعين».

(٦) عند الطبري «أن يفطن بمكانه».

(٧) الطبري ١٦٠/٥، ١٦١.

(٨) عند الطبري ١٦١/٥ «بإيلياء» وهما بمعنى.

(٩) من النسخة (ر).

(١٠) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١١) انظر عن (الأشعث بن قيس) في:

الحسن بن علي. وفيها مات حسان بن ثابت^(١)، وأبو رافع^(٢) مولى رسول الله ﷺ وهما من

= طبقات ابن سعد ٢٢/٦، ٢٣، والمجبر لابن حبيب ٦٤ و ٩٥ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٥١ و ٢٦١ و ٢٩١ و ٣٠٢ و ٤٥٢، وطبقات خليفة ٧١ و ١٣٣، والبرصان والعرجان ٣٦٢، وسيرة ابن هشام ٤٦، و ٢٢٨ و ٢٩٧، والتاريخ الكبير ٤٣٤/١ رقم ١٣٩٦، والتعليقات والنوادر رقم ١٠٦٣، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ١٦٨ و ١٨٩ و ٣٣٣ و ٥٥١ و ٥٥٥ و ٥٨٦، والأخبار الطوال ٥٢ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٥٦ و ١٦٩ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٨٨ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١١ و ٢٢٤، والمسند لأحمد ٢١١/٥ - ٢١٣، والمعرفة والتاريخ ٢٢٦/١ و ٦٦٨، وفتوح البلدان ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٦٠ و ٣١٥ و ٣٢٥ و ٣٣٦ و ٣٧١ و ٣٧٤ و ٣٧٨ و ٤٠١ و ٤٠٣ و ٤٠٦، وأنساب الأشراف ١٢٤/١ و ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٢٢٢/٥، والجرح والتعديل ٢٧٦/٢، ٢٧٧، رقم ٩٩٤، وأخبار القضاة لوكيع ٢٠١/٢ و ٢١٦ و ٢٣٣ و ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٣٠٢ و ٣٨/٣، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٨٣/١٠، والكنى والأسماء للدولابي ٥٢/١، والخراج وصناعة الكتابة ٣٢٩ و ٣٧٩ و ٣٨٠، ومشاهير علماء الأمصار ٤٥ رقم ٢٨٢، وثمار القلوب ٧٨ و ٨٥ و ٨٩ و ٩١، والثقات لابن حبان ١٣/٣، ١٤، والمعجم الكبير ٣٣٢/١ - ٣٣٨ رقم ٤٠، والاستيعاب ١٠٩/١ - ١١١، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام) ٩٨/٧، وربيع الأبرار ٣٠١/٤، وأمالى المرتضى ٢٩٥/١، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٥، وتاريخ بغداد ١٩٦/١، ١٩٧ رقم ٣٥، وأمالى القالي ١٤٥/٣، والمستدرک ٥٢٢/٣، ٥٢٣، والتذكرة الحمدونية ١٩/٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٦٧/٣ - ٧٨، ولباب الآداب ١٠٤، والزيارات للهروي ٧٩، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١٢٣/١، ١٢٤ رقم ٦١، ووفيات الأعيان ٩٠/٤ و ٣٣٤/٦، وتحفة الأشراف ٧٦/١ - ٧٨ رقم ١٧، وتهذيب الكمال ٢٨٦/٣ - ٢٩٥ رقم ٥٣٢، وأسد الغابة ١١٨/١، وسير أعلام النبلاء ٣٧/٢ - ٤٣ رقم ٨، وتلخيص المستدرک ٥٢٢/٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠٩، ٦١٠، ودول الإسلام ٣٤/١، والعبر ٤٢/١ و ٤٦، والكاشف ٨٤/١ رقم ٤٥١، ومراة الجنان ١٠٧/١، ١٠٨، والوفاء بالوفيات ٢٧٤/٩، ٢٧٥ رقم ٤١٩٣، وتهذيب التهذيب ٣٥٩/١، وتقريب التهذيب ٨٠/١ رقم ٦٠٨، والنكت الظرف ٧٦/١، ٧٧، والإصابة ٥١/١، ٥٢ رقم ٢٠٥، والبدة والتاريخ ١٠٩/٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩.

(١) الأشهر أن وفاته تأخرت إلى عهد معاوية في سنة ٥٤ هـ. وستأتي مصادر ترجمته هناك.

(٢) انظر عن (أبي رافع) في:

المغازي للواقدي ٢١٤ و ٣٧٨ و ٧٤٠ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٨٢ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١١١٣، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، ومسند أحمد ١٠٠٨/٦ و ٣٩٠ - ٣٩٣، وطبقات ابن سعد ٧٣/٤ - ٧٥، والتاريخ لابن معين ٧٠٤/٢، وتساريف خليفة ٢٠٢، والمجبر لابن حبيب ٩٢ و ١٢٨ و ٤٠٦، والمعارف ١٤٥، ١٤٦، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٨٤ رقم ٤٩، والمعرفة والتاريخ ٥١١/١، ٥١٢، وأنساب الأشراف ٢٦٩/١ و ٤١٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٩ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٨٣ و ٥٤٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢٨/١ و ٧٠، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥١، وتاريخ الطبري ٤٠٠/٢ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ١٣/٣ و ٢٥ و ٩٥ و ١٧٠ و ١٥٦/٤ و ١٨٠/٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٩ رقم ١٤٣، والجرح والتعديل ١٤٩/٢، والمعجم الكبير ٢٨٦/١، والمستدرک ٥٩٧/٣، ٥٩٨، والأسامي والكنى للحاكم، ورقة ١٩٦، والاستيعاب ٦٨/٤، وأسد الغابة ١٩١/٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ج ٢٣٠/٢ رقم ٣٤٢، وتحفة الأشراف ١٩٨/٩ - ٢٠٦ رقم ٦١٧، وتهذيب الكمال ١٦٠٣/٣، والمعين في طبقات المحذنين ٢٨ رقم ١٤٤، والكاشف ٢٩٤/٣ رقم ١٤٩، وتلخيص المستدرک ٥٩٧/٣، ٥٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢، ١٧ رقم ٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٦٨، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ =

الصحابه. وفيها مات شَرْحَبِيلُ بْنُ السَّمُطِ الْكِنْدِيِّ^(١)، وهو من أصحاب معاوية. قيل له صُحْبَةٌ، وقيل لا صُحْبَةٌ له. وفي أول خلافة عليّ مات جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ^(٢). له صُحْبَةٌ. وفيها مات الحارث بن خَزَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ^(٣) شهد بدرًا وأُحُدًا وغيرهما. وفيها مات خَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٤) الْأَنْصَارِيُّ بالمدينة، وكان قد خرج مع النبي ﷺ إلى بدر، فرجع لِعُدْرِ، فضرب له

= رقم ٣٥، وتهذيب التهذيب ٩٢/١٢، رقم ٩٣، رقم ٤٠٧، وتقريب التهذيب ٤٢١/٢ رقم ٥، والنكت الطراف ٢٠٠/٩ و ٢٠٤ و ٢٠٥، والإصابة ٦٧/٤ رقم ٣٩١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩.

(١) انظر عن (شرحبيل بن السمط) في:

طبقات ابن سعد ٤٤٥/٧، وطبقات خليفة ٣٠٧، والتاريخ الكبير ٢٤٨/٤، رقم ٢٤٩، والأخبار الطوال ١٢١ و ١٢٢ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٧٠ و ١٧١، والمعرفة والتاريخ ٣١١/٢، رقم ٣١٢، وفتوح البلدان ١٦٣ و ١٧٢، وتاريخ الطبري ٣٣٤/٣ و ٤٨٨ و ٥١٥ و ٥٣٠ و ٥٦٥ و ٥٦٧ و ٥٧٠ و ٥٧٩ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٩/٤ و ٥٧٤ و ٧/٥ و ٩٨، والجرح والتعديل ٣٣٨/٤ رقم ١٤٨٤، ومشاهير علماء الأمصار ٥١ رقم ٣٣٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٩، والاستيعاب ١٤١/٢ - ١٤٣، والعقد الفريد ٢٩٧/١، رقم ٢٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٩٩/٦ - ٣٠١، والجمع بين رجال الصحيحين ٢١٨/١، وأسد الغابة ٣٩١/٢، رقم ٣٩٢، والتذكرة الحمدونية ٢٨٦/٢، رقم ٢٨٧، وتهذيب الكمال ٥٧٦/٢، والكاشف ٧/٢ رقم ٢٢٧٩، والوافي بالوفيات ١٢٨/١٦، رقم ١٢٩، وتهذيب التهذيب ٣٢٢/٤، رقم ٣٢٣، رقم ٥٥٤، وتقريب التهذيب ٣٤٨/١ رقم ٤١، والإصابة ١٤٣/٢ رقم ٣٨٧٠.

(٢) انظر عن (جهجاه الغفاري) في:

المغازي للواقدي ٤١٥، رقم ٤١٦، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ١٥٣ رقم ٨١٧، وأنساب الأشراف ٤ ج ١/٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٨١ و ٤٧/٥ و ٤٨ و ٧٩، وتاريخ الطبري ٦٠٥/٢ و ٣٦٦/٤ و ٣٦٧، والجرح والتعديل ٥٤٣/٢ رقم ٢٢٥٨، والمعجم الكبير ٢٧٤/٢ رقم ٢٠٨، والاستيعاب ٢٥٢/١، رقم ٢٥٣، وأسد الغابة ٣٠٩/١، وتجريد أسماء الصحابة ٩٢/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٠، رقم ٥٦١، والوافي بالوفيات ٢٠٧/١١ رقم ٣٠٤، والإصابة ٢٥٣/١ رقم ١٢٤٥.

(٣) انظر عن (الحارث بن خَزَمَةَ) في:

المغازي للواقدي ٢٤ و ١٥٨ و ٤٠٥ و ٤٣٢ و ١٠١٠، وطبقات ابن سعد ٤٤٧/٣، وطبقات خليفة ٩٩، والمجتبر لابن حبيب ٧٤، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ١٣١ رقم ٥٦٣، وأنساب الأشراف ٢٤٢/١، والمعجم الكبير ٣١٢/٣ رقم ٢٩٨، والاستيعاب ٢٩٣/١، رقم ٢٩٤، وأسد الغابة ٢٢٦/١، رقم ٢٢٧، والمشتبه في أسماء الرجال ٢٣٢/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦١٧، والوافي بالوفيات ٢٤٤/١١ رقم ٣٥٢، وتعجيل المنفعة ٧٦ رقم ١٥٧، وتبصير المتبته ٤٣٦/١، والإصابة ٣٧٧/١ رقم ٣٩٩، والأسامي والكنى، ورقة ٩٠.

(٤) انظر عن (خَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ) في:

المغازي للواقدي ١٠١ و ١٣١ و ١٦٠ و ٢٣٢ و ٢٨٤ و ٣٠٣ و ٤٥٩ - ٤٦١ و ٥٥٤، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٤٧٧/٣، رقم ٤٧٨، والتاريخ الكبير ٢١٦/٣، رقم ٢١٧، رقم ٧٣٦، والمعارف ١٥٩ و ٣٢٧، وأنساب الأشراف ٢٤١/١ و ٢٨٩ و ٣١٧، والجرح والتعديل ٣٩٢/٣ رقم ١٧٩٩، وتاريخ الطبري ٤٧٨/٢ و ٥٠٩ و ٥٧١، ومشاهير علماء الأمصار ١٨ رقم ٦٨، وفتوح البلدان ١٢، والاشتقاق لابن دريد ٤٤٢، والمعجم الكبير ٢٤٠/٤، رقم ٢٤١، رقم ٣٩٢، والاستيعاب ٤٤٢/١ - ٤٤٨، وثمار القلوب ١٤١ و ٢٩٣، وريبع الأبرار ٣٣٣/٤، والاستبصار ٣٢٣، رقم ٣٢٤، والبدء=

رسول الله ﷺ بسهمه، وهو صاحب ذات النُحَيْنِ^(١).

وفي خلافة عليّ مات قُرْظَة بن كعب^(٢) الأنصاريّ بالكوفة، (وقيل: بل مات في إمارة المُغيرة على الكوفة لمعاوية)^(٣)، شهد أُحدًا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع عليّ. ومات مُعَاذ بن عَفْرَاء الأنصاريّ^(٤) (في أول خلافة عليّ، وهو بدريّ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ)^(٥). وفي خلافته مات أبو لُبابة بن عبد المُنذر^(٦) الأنصاريّ، وكان

= والتاريخ ١١٩/٥، والمستدرک ٤١٢/٣، ٤١٣، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٦، والمرصع ٣٣٥ و٣٣٩، وأسد الغابة ١٢٥/٢، ١٢٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٧٨، ١٧٩ رقم ١٥٠، وتهذيب الكمال ٣٨١/٦، والأسامي والكنى، والورقة ٢٨٠/١، ومرآة الجنان ١٠٧/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٦١٨ - ٦٢٠، وتجريد أسماء الصحابة ١٦٣/١ رقم ١٦٩٠، والأغانى ٣١٦/١٤ - ٣١٨ و٢٧١/٣، والوافي بالوفيات ٤٢٥/١٣ - ٤٢٧ رقم ٥١٥، ورجال الطوسي ٤٠، والعبر ٤٦/١، وسير أعلام النبلاء ٣٢٩/٢، ٣٣٠ رقم ٦٤، ومجمع الزوائد ٤٠١/٩، وتهذيب التهذيب ١٧١/٣ رقم ٣٢٣، وتقريب التهذيب ٢٢٩/١ رقم ١٧٠، والإصابة ٤٥٧/١، ٤٥٨ رقم ٢٢٩٨، وتلخيص المستدرک ٤١٢/٣، ٤١٣، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٨، وشذرات الذهب ٤٨/١).

(١) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «النحيين».

وذاوات النُحَيْنِ: اسم امرأة تسمى هداية أو هزلية. جرى بها المثل في الشغل والشح، فقيل: «أشغل من ذوات النُحَيْنِ»، ومن حديثها أن خوات بن جبير الأنصاري حضر في الجاهلية سوق عكاظ، فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فأخذ نَحْيًا من أنحائها، ففتحته ثم ذاقه ودفع النَحْي في إحدى يديها، ثم فتح نَحْيًا آخر ودفع فمه في يدها الأخرى، ثم كشف ذيلها وواقَعها، وهي غير ممانعة لحِفْظ فم النُحَيْنِ، ولم تدفعه خوفًا على السمن، حتى قضى حاجته، فضربت العرب بها المثل، فقالوا: أنكح وأغلم من خوات، وأشغل وأشح من ذوات النُحَيْنِ.

(٢) انظر عن (قُرْظَة بن كعب) في:

طبقات ابن سعد ٢٧/٦، وطبقات خليفة ٧٤ و١٣٤، والتاريخ الكبير ٣٠٤/٤، ٣٠٥ رقم ٢٩٢١، ومسند أحمد ٢٣٩/٤ - ٢٤١، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٩١ رقم ١٢٩، والمعرفة والتاريخ ٤٠٠/٣، والجرح والتعديل ٤٢٠/٤، ٤٢١ رقم ١٨٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ٤٧ رقم ٢٩٧، والمعجم الكبير ٦٣/٨، ٦٤ رقم ٧٢٣، والاستيعاب ١٨٨/٢، ١٨٩، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٧، وجوامع السيرة ٢٨٣، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٤٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٤٩ رقم ٢٦٤، وتحفة الأشراف ١٩١/٤ - ١٩٤ رقم ٢٤٠، وتهذيب الكمال ٦١٠/٢، والكاشف ٢٧/٢ رقم ٢٤٢٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٦١، ٦٦٢، وأسد الغابة ٢٤/٣، والوافي بالوفيات ٣١٧/١٦ رقم ٣٤٨، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٤ رقم ٧٤٥، وتقريب التهذيب ٣٦٨/١ رقم ١٠٨، والنكت الطراف ١٩٣/٤، ١٩٤، والإصابة ١٨٩/٢ رقم ٤٠٨٠.

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) هو: مُعَاذ بن الحارث بن رفاعه، نُسب إلى أمه عفراء. انظر عنه:

طبقات ابن سعد ٤٩١/٣، وطبقات خليفة ٩٠، وتاريخ خليفة ٢٠٢، والمستدرک ٥٢١/٣، والاستيعاب ١٤٧/٣، وأسد الغابة ١٩٧/٥، وتهذيب الكمال ١٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ٣٥٨/٢ رقم ٧٢، وتهذيب التهذيب ١٨٨/١٠، والإصابة ٢٢١/٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٨٠، وشذرات الذهب ٧١/١.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) انظر عن (أبي لبابة بن عبد المنذر) في:

نقيّاً، شهد بدرّاً. وقيل: بل استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة وردّه من طريق بدر وضرب له بسهمه. وفيها توفي مُعَيْقِب بن أبي فاطمة ^(١) الدُّوسِيّ، (له صحبة، قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكان على خاتم النبي ﷺ وكان مجذوماً، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال، وكان معه الخاتم أيّام عثمان، فمن يده وقع الخاتم. وقيل: إنّه توفي آخر خلافة عثمان ^(٢)).

(انتهى المجلّد الثاني ويليّه المجلّد الثالث وأوّلّه :)

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

= المغازي للواقدي ٨ و ١٠١ و ١١٥ و ١٥٩ و ١٨٠ و ١٨٢ و ٢٨١ و ٣٠٣ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٩ و ٨٠٠ و ٨٩٦ و ١٠٤٧ و ١٠٧٢، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٣/٤٥٦، ٤٥٧، والتاريخ لابن معين ٢/٧٢٣، ومسند أحمد ٣/٤٣٠ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٥٠٢، وطبقات خليفة ٨٤، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٧٧، وعيون الأخبار ١/١٤١، والمعارف ١٥٤ و ١٨٠ و ٣٢٥ و ٥٩٧، وأنساب الأشراف ١/٢٤١ و ٢٩٤، والمعرفة والتاريخ ٢/٧٠٣، وتاريخ الطبري ١/١١٣ و ٢/٤٧٨ و ٤٨١ و ٤٨٥ و ٥٨٣ - ٥٨٥ و ١١١/٣، والكنى والأسماء للدولابي ١/٥١، ومشاهير علماء الأمصار ١٧ رقم ٥٦، وجمهرة أنساب العرب ٢٣٤، والاستيعاب ٤/١٦٨ - ١٧٠، والمستدرک ٣/٦٣٢، وأسد الغابة ٥/٢٨٤، ٢٨٥، وتحفة الأشراف ٩/٢٧٥ - ٢٧٨ رقم ٦٥٣، وتهذيب الكمال ٣/١٦٤١، ١٦٤٢، والكاشف ٣/٣٢٩ رقم ٣٥٠، وتلخيص المستدرک ٣/٦٣٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٣٦١ و ٦٦٨، والوافي بالوفيات ١٠/١٦٤ رقم ٤٦٣٨، وتاريخ خليفة ٩٦، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٩٣ رقم ١٤٥، والمعين في طبقات المحدثين ٢٨ رقم ١٥٠، وتهذيب التهذيب ١٢/٢١٤ رقم ٩٩٠، وتقريب التهذيب ٢/٤٦٧ رقم ١، والنكت الظراف ٩/٢٧٥، ٢٧٦، والإصابة ٤/١٦٨ رقم ٩٨١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٥٨، والبدایة والنهاية ٧/٢٢٣.

(١) انظر عن (معيقب) في:

السير والمغازي لابن إسحاق ٢٢٧، والمغازي للواقدي ٧٢١، وطبقات ابن سعد ٤/١١٦ - ١١٨، ومسند أحمد ٣/٤٢٦ و ٥/٤٢٥، ٤٢٦، والتاريخ لابن معين ٢/٥٧٨، وتاريخ خليفة ٩٩ و ١٥٦ و ١٩٩ و ٢٠٢، وطبقات خليفة ١٣ و ١٢٣، والمجبر لابن حبيب ١٢٧، ومقدمة مسند بقي بن مخلد ٢٣٨، والمعارف ٣١٦ و ٥٨٤، والتاريخ ٨/٥٢، ٥٣ رقم ٢١٢٣، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، والمعرفة والتاريخ ٢/٤٦٧، وأنساب الأشراف ١/٢٠٠ و ٤ ج ١/٤٥٥ و ٥٤٨ و ٥٨/٥، والمجرح والتعديل ٨/٤٢٦ رقم ١٩٣٨، وفتوح البلدان ٦ و ٤٣١، والاستيعاب ٣/٤٧٦، ٤٧٧، والمعجم الكبير ٢٠/٣٤٩، ٤٠٢/٤، ٤٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/١٠٨ رقم ١٥٧، وتهذيب الكمال ٣/١٣٥٨، وتحفة الأشراف ٨/٤٦٨، ٤٦٩ رقم ٥٣٧، والتذكرة الحمدونية ١/١٤١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٦٥٤، والكاشف ٣/١٤٧ رقم ٥٦٧٩، والعبر ١/٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩١ - ٤٩٣ رقم ١٠٢، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٥٤ رقم ٤٥٦، وتقريب التهذيب ٢/٢٦٨ رقم ١٣٠٢، والإصابة ٣/٤٥١ رقم ٨١٦٤، والبدایة والنهاية ٧/٢٢٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩٧، وشذرات الذهب ١/٤٨.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(بعمون الله وتوفيقه تمّ التصحيح والتعليق على المجلّد الثاني من الكامل في التاريخ لابن الأثير، على يد طالب العلم «عمر بن عبد السلام تدمري» الطرابلسي المولد والوطن، الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، وذلك صباح يوم الأحد ٢٥ من شوال ١٤١٥ هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٩٥ م، بمنزله في ساحة النجمة بطرابلس الشام حرسها الله).

الفهرس العام للمجلّد الثاني من «الكامل في التاريخ»

الموضوع	الصفحة
ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة	٥
ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة	١٠
ذكر سرية عبد الله بن جحش	١٠
ذكر غزوة بدر الكبرى	١٢
ذكر غزوة بني القَيْنُقَاع	٣٠
ذكر غزوة الكَدَر	٣١
ذكر غزوة السويق	٣٢
ودخلت السنة الثالثة من الهجرة	٣٤
ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي	٣٤
ذكر قتل أبي رافع	٣٧
ذكر غزوة أُحُد	٣٩
ذكر غزوة حمراء الأسد	٥٢
ودخلت السنة الرابعة من الهجرة	٥٥
ذكر غزوة الرجيع	٥٥
ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان	٥٧
ذكر بئر معونة	٥٨
ذكر إجلاء بني النضير	٦٠
غزوة ذات الرقاع	٦١
ذكر غزوة بدر الثانية	٦٢
الأحداث في السنة الخامسة من الهجرة	٦٤
ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب	٦٥
ذكر غزوة بني قُريظة	٧٠
ودخلت سنة ست من الهجرة	٧٣
ذكر غزوة بني لُحيان	٧٣
ذكر غزاة ذي قَرَد	٧٣

٧٦	ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة
٧٨	حديث الإفك
٨٢	ذكر عمر الحُدَيْيَّة
٨٧	وفيهما كانت عدة من سرايا وغزوات
٩١	ذكر مكاتبة رسول الله ﷺ، الملوك
٩٦	ودخلت سنة سبع
٩٦	ذكر غزوة خيبر
١٠١	ذكر غزوة وادي القرى
١٠١	قصة الحجَّاج بن علاط السُّلَمي
١٠٢	ذكر مقاسم خيبر
١٠٣	ذكر فَدْكَ
١٠٥	ذكر عمرة القضاء
١٠٧	ودخلت سنة ثمان
١٠٧	فيها توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ، قاله الواقدي
١٠٧	غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوَّح
١٠٨	ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة
١٠٩	ذكر غزوة ذات السلاسل
١١٠	ذكر غزوة الحَبْط وغيرها
١١١	ذكر غزوة مُؤَتَّة
١١٥	ذكر فتح مكة
١٢٧	ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جَذِيمَة
١٣٢	ذكر غزوة هوازن بَحْنِين
١٣٧	ذكر حصار الطائف
١٣٩	ذكر قسمة غنائم حُنَيْن
١٤٣	ثم دخلت سنة تسع
١٤٣	ذكر إسلام كعب بن زهير
١٤٥	ذكر غزوة تبوك
١٥٠	ذكر قدوم عُروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ
١٥٠	ذكر قدوم وفد ثقيف
١٥١	ذكر غزوة طيء وإسلام عدي بن حاتم
١٥٢	ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

١٥٦	ذكر حجّ أبي بكر رضي الله عنه
١٥٨	ذكر الأحداث في سنة عشر
١٥٨	ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد
١٦٤	ذكر إرسال عليّ إلى اليمن وإسلام همدان
١٦٥	ذكر بعث رسول الله ﷺ، أمراءه على الصدقات
١٦٦	ذكر حجّة الوداع
١٦٧	ذكر عدد غزواته ﷺ، وسراياه
١٦٨	ذكر عدد حجّ النبي ﷺ، وعُمره
١٦٨	ذكر صفة النبي ﷺ، وأسمائه وخاتم النبوة
١٦٩	ذكر شجاعته ﷺ، وجوده
١٧٠	ذكر أزواج النبي ﷺ، وسراياه وأولاده
١٧٤	ذكر موالي رسول الله ﷺ
١٧٦	ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ
١٧٦	ذكر أسماء خيله، ﷺ
١٧٧	ذكر بغاله وحُميره وإبله، ﷺ
١٧٨	ذكر أسماء سلاحه، ﷺ
١٨٠	ذكر أحداث سنة إحدى عشرة
١٨٠	ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته
١٨٧	حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه
١٩٣	ذكر تجهيز النبي ﷺ، ودفنه
١٩٤	ذكر إنفاذ جيش أسامة بن زيد
١٩٦	ذكر أخبار الأسود العنسي باليمن
٢٠١	ذكر أخبار الرّدة
٢٠٢	ذكر خبر طليحة الأسدي
٢٠٦	ذكر ردة بني عامر وهوازن ومُسلم
٢٠٨	ذكر قدوم عمرو بن العاص من عُمان
٢٠٩	ذكر بني تميم وسجّاح
٢١٢	ذكر مالك بن نويرة
٢١٤	ذكر مُسَيْلَمة وأهل اليمامة
٢٢١	ذكر ردة أهل البحرين
٢٢٥	ذكر ردة أهل عُمان ومَهْرة

٢٢٦	كر خبر ردة اليمن
٢٢٧	كر خبر ردة اليمن ثانية
٢٢٩	كر ردة خضر موت وكندة
٢٣٤	م دخلت سنة اثنتي عشرة
٢٣٤	كر مسير خالد بن الوليد إلى العراق وصلاح الحيرة
٢٣٦	كر وقعة الشني
٢٣٦	كر وقعة الولجة
٢٣٧	كر وقعة أليس وهو على الفرات
٢٣٨	ذكر وقعة أمغيشيا
٢٣٨	ذكر وقعة يوم فرات بادقلى وفتح الحيرة
٢٤٠	ذكر ما بعد الحيرة
٢٤١	ذكر فتح الأنبار
٢٤٢	ذكر فتح عين التمر
٢٤٣	ذكر خبر دومة الجندل
٢٤٤	ذكر وقعة حصيد والخنافس
٢٤٤	ذكر وقعة مصيخ بني البرشاء
٢٤٥	ذكر وقعة الشني والرمل
٢٤٥	ذكر وقعة الفراض
٢٤٦	ذكر حجة خالد
٢٤٨	ثم دخلت سنة ثلاث عشر
٢٤٨	ذكر فتوح الشام
٢٥٢	ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام
٢٥٥	ذكر وقعة اليرموك
٢٥٩	ذكر حال المثنى بن حارثة بالعراق
٢٦٠	ذكر وقعة أجنادين
٢٦٢	ذكر وفاة أبي بكر
٢٦٣	أسماء فضاته وعتاله وكتابه
٢٦٤	ذكر بعض أخباره ومناقبه
٢٦٦	ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
٢٦٨	ذكر فتح دمشق
٢٧٠	ذكر غزوة فحل

٢٧١	ذكر فتح بلاد ساحل دمشق
٢٧٢	ذكر فتح بيسان وطبرية
٢٧٣	ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود
٢٧٤	ذكر خبر النمارق
٢٧٥	ذكر وقعة السقاطية بكسكرك
٢٧٦	ذكر وقعة الجالينوس
٢٧٦	ذكر وقعة قسّ الناطف ويقال لها الجسر ويقال المروحة وقتل أبي عبيد بن مسعود
٢٧٩	ذكر خبر أليس الصغرى
٢٧٩	ذكر وقعة البويب
٢٨٢	ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد
٢٨٤	ذكر الخبر عن الذي هيج أمر القادسية وملك يزدجرد
٢٨٧	ثم دخلت سنة أربع عشر
٢٨٧	ذكر ابتداء أمر القادسية
٣٠٢	ذكر يوم أرمات
٣٠٦	ذكر يوم أغواث
٣٠٩	ذكر يوم عماس
٣١١	ذكر ليلة الهرير وقتل رستم
٣١٦	ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة
٣٢١	ثم دخلت سنة خمس عشرة
٣٢١	ذكر الوقعة بمرج الروم
٣٢٢	ذكر فتح حمص وبلبك وغيرهما
٣٢٤	ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية
٣٢٥	ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرهما من العواصم
٣٢٧	ذكر فتح قيسارية وحصر غزة
٣٢٨	ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين
٣٢٩	ذكر فتح بيت المقدس وهو إيلياء
٣٣١	ذكر فرض العطاء وعمل الديوان
٣٣٤	ذكر الحروب إلى آخر السنة فمن ذلك يوم بؤس وبابل وكوى
٣٣٥	ذكر بهر سير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب
٣٣٧	ثم دخلت سنة ست عشرة
٣٣٧	ذكر فتح المدائن الغربية وهي بهر سير

٣٣٨	ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى
٣٤٢	ذكر ما جُمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها
٣٤٥	ذكر وقعة جَلُولاء وفتح حُلُوان
٣٤٨	ذكر تكريت الموصل
٣٥٠	ذكر فتح ماسَبَدَان
٣٥٠	ذكر فتح قرقيسيا
٣٥٢	ثم دخلت سنة سبع عشرة
٣٥٢	ذكر بناء الكوفة والبصرة
٣٥٥	ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين
٣٥٦	ذكر فتح الجزيرة وأرمينية
٣٥٩	ذكر عزل خالد بن الوليد
٣٦٠	ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه
٣٦١	ذكر غزوة فارس من البحرين
٣٦٣	ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى
٣٦٤	ذكر الخبر عن فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري
٣٦٦	ذكر صلح الهرمزان وأهل تُسْتَر مع المسلمين
٣٦٧	ذكر فتح رامهُزْمُر وتُسْتَر وأسر الهرمزان
٣٧٠	ذكر فتح السوس
٣٧٢	ذكر مصالحة جُنْدِيسَابُور
٣٧٢	ذكر مسير المسلمين إلى كرمان وغيرها
٣٧٤	ثم دخلت سنة ثمان عشرة
٣٧٤	ذكر القحط وعام الرمادة
٣٧٦	ذكر طاعون عمواس
٣٧٩	ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون
٣٨٢	ثم دخلت سنة تسع عشرة
٣٨٣	ثم دخلت سنة عشرين
٣٨٣	ذكر فتح مصر
٣٨٦	ذكر عدة حوادث
٣٩٠	ثم دخلت سنة إحدى وعشرين
٣٩٠	ذكر وقعة نهاوند
٣٩٩	ذكر فتح الدَّيْنُور والصَّيْمَرَة وغيرهما

٣٩٩	ذكر فتح همدان والماقين وغيرهما
٤٠٠	ذكر دخول المسلمين بلاد الأعاجم
٤٠١	ذكر فتح أصبهان
٤٠٢	ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة
٤٠٣	ذكر عدة حوادث
٤٠٣	الوَقَايَات
٤٠٥	ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين
٤٠٥	ذكر فتح همدان ثانياً
٤٠٦	ذكر فتح قزوين ورنجان
٤٠٧	ذكر فتح الري
٤٠٧	ذكر فتح قُومِس وجُرجان وطبرستان
٤٠٨	ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة
٤٠٩	ذكر فتح أذربيجان
٤١٠	ذكر فتح الباب
٤١١	ذكر فتح موقان
٤١١	ذكر غزو الترك
٤١٢	ذكر تعديل الفتح بين أهل الكوفة والبصرة
٤١٣	ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبة
٤١٤	ذكر فتح خُراسان
٤١٨	ذكر فتح شهرزور والصامغان
٤١٨	ذكر عدة حوادث
٤١٩	ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين
٤١٩	ذكر الخبر عن فتح تَوَج
٤٢٠	ذكر فتح إصطخر وجُور وغيرهما
٤٢٢	ذكر فتح فَسَا ودارابجرد
٤٢٣	ذكر فتح كرمان
٤٢٣	ذكر فتح سِجِسْتان
٤٢٤	ذكر فتح مُكران
٤٢٥	ذكر خبر بَيْرُود من الأهواز
٤٢٦	ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
٤٢٧	ذكر الخبر عن مقتل عمر رضي الله عنه

٤٣٠	ذكر نسب عمر وصفته وعُمره
٤٣١	ذكر أسماء ولده ونسائه
٤٣٢	ذكر بعض سيرته رضي الله عنه
٤٤٠	ذكر قصة الشورى
٤٤٩	ذكر عدة حوادث
٤٤٩	الوقایات
٤٥٣	ثم دخلت سنة أربع وعشرين
٤٥٣	ذكربيعة عثمان بن عفان بالخلافة
٤٥٣	ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص
٤٥٤	الوقایات
٤٤٥	ثم دخلت سنة خمس وعشرين
٤٥٥	ذكر خلاف أهل الإسكندرية
٤٥٦	ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة
٤٥٧	ذكر صلح أهل أرمينية وأذربيجان
٤٥٩	ذكر غزوة معاوية الروم
٤٦٠	ذكر غزوة إفريقية
٤٦٠	ذكر عدة حوادث
٤٦١	ثم دخلت سنة ست وعشرين
٤٦١	ذكر الزيادة في الحرم
٤٦٢	ثم دخلت سنة سبع وعشرين
٤٦٢	ذكر ولاية عبد الله بن أبي سرح مصر وفتح إفريقية
٤٦٥	ذكر انتفاض إفريقية وفتحها ثانية
٤٦٦	ذكر غزوة الأندلس
٤٦٦	ذكر عدة حوادث
٤٦٧	الوقایات
٤٦٨	ثم دخلت سنة ثمان وعشرين
٤٦٨	ذكر فتح قبرس
٤٧٢	ثم دخلت سنة تسع وعشرين
٤٧٢	ذكر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها
٤٧٣	ذكر انتفاض أهل فارس
٤٧٥	ذكر الزيادة في مسجد النبي ﷺ

٤٧٥	ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمع وأول ما تكلم الناس فيه
٤٧٧	ثم دخلت سنة ثلاثين
٤٧٧	ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد
٤٨٠	ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان
٤٨١	ذكر غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف
٤٨٣	ذكر سقوط خاتم النبي ﷺ في بئر أريس
٤٨٣	ذكر تسيير أبي ذر إلى الرَبْدَة
٤٨٥	ذكر عدة حوادث
٤٨٥	الوفيات
٤٨٨	ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
٤٨٨	ذكر غزوة الصواري
٤٩٠	ذكر مقتل يزجرد بن شهریار
٤٩٣	ذكر مسير ابن عامر إلى خراسان وفتحها
٤٩٧	ذكر فتح كَرْمان
٤٩٧	ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما
٤٩٨	ذكر عدة حوادث
٤٩٨	الوفيات
٥٠٣	ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين
٥٠٣	ذكر ظفر الثرك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة
٥٠٥	ذكر وفاة أبي ذر
٥٠٧	ذكر خروج قارن
٥٠٨	ذكر عدة حوادث
٥٠٨	الوفيات
٥١١	ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين
٥١١	ذكر تسيير من سيّر من أهل الكوفة إلى الشام
٥١٦	ذكر تسيير من سيّر من أهل البصرة إلى الشام
٥١٨	ذكر عدة حوادث
٥١٨	الوفيات
٥١٩	ثم دخلت سنة أربع وثلاثين
٥١٩	ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة
٥٢٢	ذكر ابتداء قتل عثمان

٥٢٤ ذكر عدة حوادث
٥٢٤ الوفيات
٥٢٦ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين
٥٢٦ ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان
٥٣٦ ذكر مقتل عثمان
٥٤٥ ذكر الموضع الذي دُفن فيه ومَن صلى عليه
٥٤٦ ذكر بعض سيرة عثمان
٥٤٩ ذكر نسبه وصفته وكنيته
٥٥٠ ذكر وقت إسلامه وهجرته
٥٥٠ ذكر أزواجه وأولاده
٥٥٠ ذكر أسماء عمّاله في هذه السنة
٥٥١ ذكر الخبر عن كان يصلّي في مسجد النبي ﷺ حين حُصر عثمان
٥٥٢ ذكر ما قيل فيه من الشعر
٥٥٤ ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٥٦٠ ذكر عدة حوادث
٥٦٠ الوَفَيَات
٥٦٥ ثم دخلت سنة ست وثلاثين
٥٦٥ ذكر تفريق عليّ عمّاله وخلاف معاوية
٥٦٨ ذكر ابتداء وقعة الجمل
٥٨٢ ذكر مسير عليّ إلى البصرة والوقعة
٦١٦ رواية أخرى في وقعة الجمل
٦١٩ ذكر قصد الخوارج سجستان
٦٢٠ ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة
٦٢٣ ذكر ولاية قيس بن سعد مصر
٦٢٧ ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له
٦٢٨ ذكر ابتداء وقعة صفّين
٦٣٧ ذكر عدة حوادث
٦٣٧ الوَفَيَات
٦٤١ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين
٦٤١ ذكر تنمة أمر صفّين
٦٦٧ رفع المصاحف والدعوة إلى الحكومة

٦٧٦	قتلى صفين
٦٧٨	ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان
٦٧٨	ذكر اعتزال الخوارج علياً ورجوعهم إليه
٦٨٠	ذكر اجتماع الحكمين
٦٨٤	ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر
٦٩٠	ذكر قتال الخوارج
٦٩٦	ذكر مقتل ذي الثدية
٦٩٧	ذكر رجوع علي إلى الكوفة
٦٩٩	ذكر عدة حوادث
٦٩٩	قتلى صفين
٧٠١	الوقيات
٧٠٤	ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين
٧٠٤	ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق
٧١١٠	ذكر إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة
٧١٤	ذكر خبر الخزيت بن راشد وبني ناجية
٧٢١	ذكر أمر الخوارج بعد النهروان
٧٢٣	ذكر عدة حوادث
٧٢٣	الوقيات
٧٢٤	ثم دخلت سنة تسع وثلاثين
٧٢٤	ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين، عليه السلام
٧٢٦	ذكر مسير يزيد بن شجرة إلى مكة
٧٢٧	ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة
٧٢٨	ذكر غارة الحارث بن نمر التنوخي
٧٢٩	ذكر أمر ابن العُشبة
٧٢٩	ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل
٧٣٠	ذكر ولاية زياد بن أبيه بلاد فارس
٧٣٠	الوقيات
٧٣٢	ثم دخلت سنة أربعين
٧٣٢	ذكر سرية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن
٧٣٥	ذكر فراق ابن عباس البصرة
٧٣٦	ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام

٧٤٦	ذكر مدّة خلافته ومقدار عُمره
٧٤٦	ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده
٧٤٨	ذكر عمّاله
٧٤٨	ذكر بعض سيرته
٧٥١	ذكر بيعة الحسن بن عليّ
٧٥١	ذكر عدّة حوادث
٧٥١	الوَقَايَات